فهرس المجلد الرابع والسبعين

تنبيه : كل عنوان امامهُ نجمه يدلُّ على مقال مصوَّر

وجه مريم المجدلية
كما تصوّرهُ ورسمهُ جبران خليل جبران في كتابهِ الجديد
« يسوع ابن الانسان »

انظر الصفحة ٩

مقتطف ينار ١٩٢٩

كلمات للدكتور صروف

اللغة العربية والتعريب

اذا قرأت مقدمة نصير الدين الطوسي في كتابهِ تحرير الاصول لاقليدس وجدت ان كثيراً من الفاظها وتعابيرها ليس من مناحي العرب ولكن مترجمي اقليدس والجارين في خطتهم مثل ثابت بن قرَّة الحرَّاني وحجاج بن مطر وسنان بن جابر الحراني لم يتقيدوا بالفاظ الشعراء والادباءِ واساليبهم بل اخضعوا اللغة لاغراضهم فعرَّبوا واستعاروا وتصرفوا كيف شاؤوا على ما اقتضاهُ نقل المعاني الى العربية . وهذا ينبغي ان يكون شأننا نحن اذا اردنا ان نجاري العصر ونسير في طريق العلم . فالحاجة الى التعريب واساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها الاَّ اصحاب كل فن في فنهم. فالجرَّاح الذي قرن العلم بالعمل والتعلم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب. والصيدلاني الذي قرن العلم بالعمل والتعلم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب . وقس على ذلك الفلكي والفسيولوجي والبيولوجي والجيولوجي والنباتي والرياضي والنوتي وقائد الجيش وصانع الآلات والادوات. اما ان تقيم نحويًّا او منطقيًّا او مؤرخاً او منشئاً لوضع كلمات في علم الفلك وعلم الهندسة وعلم النبات وعلم الحيوان والعلوم الطبيَّة والطبيعية والرياضية فمثل تخويلك قاضياً تطبيب الابدان وطبيباً تصوير الالوان . نعم انهُ لا بدَّ من الاستعانة بعلماءِ اللغة الذين يحفظون متونها ويسهل عليهم استحضار الفاظها ولكن يستحيل الاستغناء بهم عن العلماء الاختصاصيين الذين لهم المام واسع بمختلف العلوم والفنون وقد قرنوا العلم بالعمل زماناً طويلاً

العلم يقبض على اعنة الطبيعة

صورة غلاف المقتطف

بين كل الانقلابات الخطيرة التي حدثت منذ انشاء المقتطف، لا نعرف انقلاباً اكثر خطراً وأبعد اثراً في الحضارة والحياة من الانقلاب الاجتماعي الذي اساسهُ تطبيق قواعد العلوم الطبيعية على مقتضيات العمران . فقد سيطر الانسان على عناصر الطبيعة واستخدمها في قضاءِ ما ربهِ فتضاعفت قوتهُ وزادت ساعات فراغهِ فاخذ ينفقها في مطالب الحياة العليا من تأمل ومطالعة وتمتع بمشاهد الطبيعة وآثار التاريخ وآيات الفنون

فقواعد العلوم الطبيعية وما استعملت لهُ من الاعمال تدخل في كل كبيرة وصغيرة من حياتنا اليومية فردية كانت او اجتماعية

لقد اصبح المهندسون من جهة والكيماويون من جهة اخرى ارباباً يبارون الطبيعة في استحداث كل ما هو عجيب مفيد . انهم صيّروا الارض كرة صغيرة كالكرة التي يلهو بها الطفل في العابهِ . لان طرائق المخاطبات اللاسلكية التي استنبطوها تمكنهم من ارسال رسالة حول الارض في اقل من خمس ثانية وفي الولايات المتحدة وحدها اذا خطب خطيب تمكن خمسون مليوناً من الاصغاء اليهِ. وارتقاء المواصلات البرية والبحرية والجوية محا آية البعد . وقد جعلوا اطراف هذه الكرة كذلك اكثر ترامياً وارجاءها اعظم اتساعاً بما كشفوهُ من المجاهل وما جففوهُ من المستنقعات وما رووهُ من الصحارى وما مهدوهُ من الادغال وما ابادوهُ من الامراض في البلدان الموبوءة

ان طرق المواصلات السريعة التي لم تخطر لابناء القرن الماضي في اوله على بال ، جعلت ابناء العصر الحاضر من مختلف الاقطار على اتصال دائم بعضهم ببعض . فمن اقصى البلدان والجزائر النائية تمخر السفن عباب اليمِّ حاملة على متنها مواد الصناعة واصناف الغذاء . والاسلاك البرقية تطوق قارات الارض باسلاك من نحاس بل والهواء نفسهُ يعجُّ عجيجاً بالامواج اللاسلكية تحيط بالارض وتحمل على اجنحتها السحرية الصور والانباء — انباء النجاح وانباء الخيبة ، انباء السرور وانباء الحزن ، انباء الحرب وانباء السلم ، انباء المكتشفات الخطيرة التي تنشئ في التاريخ حدوداً للزمان وانباء الحوادث والمكائد والسرقات الحقيرة . . . . . ولله درّ خليل مطران القائل :

فاليوم ابطأ ما تكون رسالة — ان نطت عاجلها بريش القشعمِ
حمّل الوكتك الفضاء يؤدها — شرراً الى اقصى مدًى متيمَّمِ
فالجوّ بالقطبين طرس دائرٌ — والبرق اسرع ما ترى من مرقمِ

فاذا امتطى جماعة من الروّاد متن طيارة او منطاد وراحوا يطلبون المجد في ارتياد صقعٍ من مجاهل القطبين فاصيبوا بنكبة هاضت اجنحتهم وتركتهم يعانون الزمهرير على ركام طافٍ من الجليد ، يتراوحون بين الامل بالنجاة واليأس من الحياة ، كان في الامكان ان ترد انباء نكبتهم وان يعيَّن مكانها على اجنحة الاثير نبرات واضحة وكلات مفهومة ، فيشترك العالم المتمدن في سماعها ويشاركهم في جزعهم ويهبُّ ابناؤه الى نجدتهم . واذا دخل الانسان دارهُ حسب نفسهُ ربَّما صغيراً اذ يضغط على زرّ كهربائي قائلاً « ليكن نور » فتنقادُ الكهربائية لامرهِ صاغرة تشق دياجير الظلام بنور كنور النهار . واذا شاء ان يتملّى القوة في مظهرها الميكانيكي فما عليهِ الاَّ ان ينظر من نافذة داره الى الشارع فيرى السيارات تطوف الشوارع رشيقة القوام كالغادات التي تسوقها ، ولكن في داخلها قوة تستطيع ان تدفعها في سرعة السهم او النيزك المنقضّ من الفضاء . ثم اذا حلق بنظرهِ الى السماء رأى الانسان وقد امتطى اجنحة من معدن يسابق عليها عقبان الجوِ . واذا سار الى المرفإِ شاهد فيهِ مدناً طافية اكتملت فيها كل معدات الراحة والرفاهة تجوب البحار هازئة بامواجها وكم من سفينٍ ابتلعهُ البحر في حشاه . واذا زار معملاً من المعامل الحديثة رأى فيهِ الآلات الضخمة

يدُ العلم ترفع اعباء الحياة عن كتف الانسان بما تستحدثهُ من المستنبطات الآلية المختلفة التي توفر وسائل الراحة وتمدُّ في اسباب الرخاء

اللغة العربية والمصطلحات العلمية

مقال مخطوط للمرحوم الدكتور صروف

لا نعرف في العربية بحثاً علميًا ولا مصطلحات علمية قبل عهد بني العباس حينما استقدموا الاطباء والمنجمين من البلدان التي فتحوها وسهلوا لهم ترجمة الكتب العلمية والفلسفية من السريانية واليونانية والهندية وحينما جعل النابغون من رجالهم يؤلفون في العلوم اللغوية والفقهية وامثالها اقتداء بالامم التي فتحوا بلادها. فاضطروا حينئذٍ الى استعمال المصطلحات العلمية لان الالفاظ المستعملة في الكلام لا تعبر عن معنًى جديد لا يعرفهُ المتكلمون بها ولاسيما اذا كانوا لا يزالون على حال البداوة كما كان العرب في ذلك العهد

ويظهر لنا من النظر في الكتب العلمية التي ظهرت بالعربية وضعاً او ترجمة في القرون الستة الاولى ان هذه الكلمات الاصطلاحية تقسم الى ثلاث طوائف

الطائفة الاولى الكلمات العربية التي استعملت كما هي ولكن وضع لها معنًى مجازيّ يشبهُ معناها الوضعي مثل كلمة الماضي للفعل الدال على معنى حدث في الماضي مثل ذهب وكلمة امر للفعل الدال على الفعل الحاوي معنى الامر مثل إذهبْ واقتلْ. ومن هذه الطائفة كلمات كثيرة في الحساب والجبر والهندسة والفلك والطب والفقه مثل الجمع والطرح والقسمة والكسر والجبر والمعادلة والزاوية والهرم

والطائفة الثانية الكلمات العربية المبنى التي لا تظهر لها اقل علاقة بمعنى ما وضعت لهُ مثل كلمة المضارع للفعل ومثل كلمة نحو للعلم المعروف وكلمة وتد وكلمة سبب في علم العروض. وهذه الكلمات كثيرة وقد بحثنا عن اصل بعضها فكشفنا ما ادهشنا فكلمة نحو اسم بلد في مديرية المنوفية من القطر المصري نُسب اليها الاسقف القبطي المؤرخ يوحنا النحوي الذي كان في زمن الفتح فخلط العرب بينهُ وبين يحيى الغراماطيقي اليوناني الذي كان قبل الفتح بزمن طويل فحسبوهما رجلاً واحداً واستنتجوا ان كلمة نحوي مرادفة لكلمة غراماطيقي واذن فكلمة نحو اسم لعلم قواعد اللغة عند اليونان. وبعد ان استنتجنا ذلك وجدنا ما يؤيدهُ في لسان العرب في كلمة نحو. ومن هذا القبيل كلمة وتد في فن العروض فانها ترجمة حرفية للكلمة اليونانية ولكن للكلمة اليونانية معنيين مختلفين من اصلين مختلفين الواحد معناهُ صوت او مقطع او نغم والثاني معناهُ الوتد الذي يدقُّ في الارض او في الحائط والظاهر

ان الذين ترجموا العروض من اليونانية لم يكونوا يعرفون العروض فترجموا هذه اللفظة بالمعنى المتعارف اي الوتد الذي يُدَقُّ . ونرجح انهُ اذا تناول هذا الموضوع اناس يحسنون السنسكريتية والفارسية واليونانية والسريانية وجدوا مئات من الكلمات المحسوبة عربية فارسية وما هي الاَّ معرَّبة

الطائفة الثالثة الكلمات المعربة على اصلها او مع شيء من التحريف وهذه في الطب والشرع والموسيقى تعَدُّ بالالوف

هذا كان لما كانت اللغة حية تنمو من الداخل ومن الخارج ولا مجامع لغوية تمنع نموها ونحن الآن امام امرٍ واقع في هذه النهضة الحديثة التي نشأت منذ ايام محمد علي باشا . وهذا الامر لا يتعرض لقواعد اللغة من حيث وضع العوامل والمعمولات ولا لتصاريف الافعال والاسماء ولا لحروف الجرّ والعطف والاستفهام ونحوها من حروف المعاني ولا لقواعد الاعراب والبناء اي انهُ لا يتعرض لجوهر اللغة وغاية ما فيهِ ادخال كلمات جديدة لمعانٍ جديدة والاتفاق على ترجمة بعض المصطلحات العلمية الجديدة اي السير بالعربية كما سير بها في القرن الثاني والثالث والرابع والخامس بعد الهجرة بل كما سير بها قبل الهجرة من اتصال العرب بمصر والشام ومن سكنى اليهود في بلاد العرب ومن تنصر كثيرين من العرب على يد قسوس من السريان واليونان .فان العربية تناولت من هؤلاءِ كلهم كلمات كثيرة حسبت بعدئذٍ من صميم العربية

ولعلنا من اشد الكتَّاب شعوراً بهذا الامر الذي نشير اليهِ اي الاتفاق على ترجمة المصطلحات الجديدة او تعريبها فاننا من حين شرعنا في انشاءِ المقتطف رأينا ان لا بدَّ لنا من الترجمة والتعريب فنظرنا اولاً في المصطلحات العلمية التي جرى عليها الاقدمون كابن الهيثم في الحساب والجبر وابن سينا في الطب والطبيعة وابن البيطار في العقاقير الطبية والبناني في علم الفلك والتي جرى عليها اساتذتنا في الجامعة الاميركية ومدرسة قصر العيني الطبية

نعم رأينا انهُ لا بد لنا من استعمال كثير من المصطلحات العلمية وهذه اما ان نجدها فيما لدينا من الكتب القديمة كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار وشمسية ابن الهيثم وزيج البناني وما اشبه من الكتب العربية العلمية او فيما طبع من الكتب المترجمة في مدرسة قصر العيني وجامعة بيروت الاميركية . واما ان نضطر الى ترجمتها او تعريبها مجارينا الذين سبقونا فيما ترجموهُ او عربوهُ وحذونا حذوهم في ترجمة ما جدَّ بعدهم او تعريبهِ مجارينا الدكتور فانديك في كل ما ترجمهُ وعربهُ في الطب والجبر والهندسة والانساب والمثلثات والمساحة وسلك الابحر والفلك والكيمياءِ والدكتور ورتبات في الفسيولوجيا

والتشريح والدكتور بوست في النبات والحيوان والجراحة ورأينا انهم هم تابعوا اساتذة قصر العيني في كثير مما ترجموهُ او عربوهُ

ثم حذونا حذو هؤلاءِ الاعلام فيترجمة ما جدَّ وتعريبهِ ولكنَّ الكتب العلمية المترجمة حديثاً في القطر المصري لا يجري مترجموها مجرانا فيما يترجمهُ واضعوها فنحن مثلاً نترجم كلمة Atom بكلمة جوهر او جوهر فرد لان العرب ترجموها كذلك وقالوا ان الجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ واما المترجمون في مصر فيترجموها بكلمة ذرة ونحن ترجمنا الكلمة quantum بكلمة مقدار والجمع quanta مقادير وتلامذة المدرسة المصرية ترجموها بكلمة كمّ اما نحن ففضلنا كلمة مقدار لانهُ يسهل جمعها على كلمة كم التي لا تجمع

وبعض الكلمات التي ترجمناها شاع كثيراً ومن ذلك كلمة غواصة ودبابة ورشاشة ونواة ولكن بعضها قليل الاستعمال مثل كهرب لكلمة electron ونرى الآن ان الاتفاق على ترجمة الاسماء العلمية الجديدة في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى يكاد يكون ضرباً من المحال ولا تجنى منهُ فائدة كبيرة وخير منهُ تعريب هذه الاسماء على ما هي لانها (اولاً) عديدة جدًّا تزيد على خمسمائة الف اسم في الحيوان والنبات والجماد فترجمتها كلها تقتضي السنون الطوال ولو توخاهُ جماعة من العلماءِ . وقبل ان يتفقوا على ترجمة الف اسم من هذه الاسماءِ يكون العلماء قد اكتشفوا اكثر من الف اسم جديد فيزيد بعدنا عن الغاية المطلوبة فمحاولة ترجمتها ضرب من المحال اما التعريب فلا يكلف الاَّ كتابتها بحروف عربية . (ثانياً) لان الذين سبقونا مثل ابن سينا وابن البيطار جروا على هذه الخطة في كل الاسماءِ العلمية التي دخلت فيما كتبوهُ فان كل اسم ليس لهُ مرادف في العربية عربوهُ بلفظهِ اليوناني او الفارسي . (ثالثاً) ما يقال عن الاسماءِ المجردة يقال عن مشتقاتها اما في المشتقات فنتبع القواعد العربية في المثنى والجمع والنسبة ووزن الفعل ان امكن

والتعريب انما يكون متى كان اللفظ ليس لهُ مرادف في العربية اما ما لهُ مرادف فتجب ترجمتهُ بمرادفهِ ولو كان المرادف غير عربي الاصل

ثم ان الكلمات العلمية قد لا تكون واحدة في الانكليزية والفرنسوية والايطالية مثال ذلك كلمة Nitrogen الانكليزية فانها في الفرنسوية Azote واكثر الذين ترجموا عن الانكليزية عربوها بكلمة نتروجين والذين ترجموا عن الفرنسوية عربوها بكلمة ازوت ولكن هؤلاءِ اذا ذكروا حوامض هذا العنصر واملاحهُ قالوا حامض نتريك ونترات الصودا . فاذا اختلف اسم المادة الواحدة في لغتين مختلفتين من لغات اوربا فالاولى اتباع اكثر اللغات استعمالاً لان الفوز سيكون لها اخيراً

جبران خليل جبران

لمناسبة صدور كتابهِ الانكليزي

« يسوع ابن الانسان »

من الكتّـابِ والفنّـانين مَن يستولي على فكركَ ويحظّـر عليك التجاوز إلى غير ما يحدّثك بهِ . ومنهم مَن يفتحُ ببيانهِ وفنّـهِ عالماً غير العالم الذي ينشرهُ حولك ويعرضهُ أمامك ويوسع وراء أُفقهِ آفاقاً لا يدري أهي محض خيال (وهل في الحياة ما يمكننا ان نسميه محض خيالٍ بحقٍّ ؟) ، أم هي حقائق محسوسة بعيدة تعرضك دونها حقائق محسوسة قريبة نُسجت منها يوميَّاتُ حياتك

وجبران جامعٌ بين هذا وذاك في نظر الذين يفهمون طريقتهُ ، ويأْنسون بلهجتهِ ، ويستسلمون لقدرتهِ دون مساجلةٍ أو مجادلة . لأن مناقشة جبران إذا هي كانت ميسورة لقارىءِ الطائفةِ الاولى من كتاباتهِ العربية فهي جدّ عسيرة — هذا إن لم تكن مستحيلة — على متصفّح مؤلَّفاتهِ الانجليزية وما يتخلَّـلُها من الرسوم الفنيّـة . لان جبراناً يبدو في هذه أتمَّ معرفةً لمحيطهِ النفسيّ الخاص وأبعد توغّـلاً في مشاعبهِ ومناحيهِ ومجاهلهِ . وهو فيها أوسع شعوراً ، وأدقّ حسًّا ، واشمل نظرةً للحياة من مختلف نواحيها بعد أن كان في أولى كتاباتهِ بالعربية لا يرى إلاَّ قسماً أو اقساماً من المجتمع والطبيعة فيتمسَّك بداهةً بفئةٍ من الآراء ولا يرضى عنها بديلاً

ولا غرابة انْ نحن شهدنا عندهُ هذا النموّ وهذا التوسُّع . فالأعوام إن هي فشلتْ في إيجاد العبقرية وخلق المواهب وإبداع الشعور والادراك حيث لم تُـرِدْهُما الغريزة ، فانها تثقّـفُ العبقري الموهوب بما تُـقدّمُ لهُ من الاختبارات والآلام والمسرّات والمتع والحرمانات ، وتنفثُ فيهِ مزيداً من القوة واللباقة بما تسخّـرهُ لهُ من أدوات الفنّ المهذَّبِ والبيان المصقول

فكلُّ ما تجلّـى من بداهةٍ وعطفٍ وادراكٍ وثورةٍ في كتابات جبران الأُولى باللغة العربية التي مضى على تأليفها ربع قرن نجده بجوهرهِ في كتب جبران الانجليزيةِ . ولكن كم صُقلتْ تلك المواهب خلال هذه الأعوام ، وكم هي اتسعتْ وعمقتْ وعَـلَتْ !

شخصية هذا الكاتب عندي من أدلّ الشخصيات على سنّة التطوُّر كما هو من ارحب الكتاب والفنّانين شخصيَّة عالميَّة مستأثرةً أنانية

***

قلت ان شخصية جبران عالمية . والدليل انهُ عند ما يتكلم مثلاً عن لبنانهِ العزيز وشرقهِ المحبوب ينبضُ في كلامهِ الحبُّ والاعزازُ لكلّ ما هو ليس لبنانأوكلّ ما هو ليس الشرق . وعند ما يحشدُ عنايتهُ على شخصيةٍ واحدةٍ يعظّمها بفنّ المصوّر جاعلاً ما سواها أشباحاً في اللوحة تزيد تلك الشخصية وضوحاً — فانما هو يعتني في نفس الوقت بطائفة الشخصيات المشابهة لها في الماضي والحاضر والمستقبل . وقد جرّدها جميعاً من فروق اللغة والجنس والوطن والعصر ليلخّصها جميعاً في استعدادها الخاص ونزعتها الخاصّة وكيفية تصرُّفها بالحوادث المارّة بها

وقلتُ ان شخصية جبران مستأثرة . فهي قبل أن تعرب عما يخالجها تُسلفُ حذف وجود شخصيات غيرها ولا تستمدّ إلاَّ من حسّها الفرديّ الذي تجتاحهُ تياراتُ الحياة وتنعكسُ عليهِ صورُ الوجود. ولانَّ هذه الشخصية تعرفُ انها قادرةٌ محكمةٌ في بابها فهي لا تفترض الاعتراض والمناقشة عند القارئ أو هي تفترضهما عند نفسها وتردُّ عليها بالجواب المفحم. لذلك يصبحُ موقفك انت القارئ حاكماً حيال هذه الشخصية : فاما ان توجم أمامها وإلاَّ فانت أحدُ اصدائها . إما تنسخ وتستوحي وجهاً من وجوهها وإما تغمضُ عينيك دونها وتشيح بوجهك عنها . إما تشرئبّ بسمعك إلى همسها وتتوق الى

وُلد جبران في بيروت سنة ١٨٨٣ وهاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٥ ثم عاد الى بيروت وتلقى العلوم في مدرسة الحكمة . وعاد الى اميركا سنة ١٩٠٣ فقضى في بوسطن خمس سنوات ذهب بعدها الى باريس لدرس فن التصوير فتتلمذ لرودان الشهير الذي لقّبهُ « وليم بلايك القرن العشرين » وقد نشر لهُ حتى الآن خمس كتب انكليزية هي المجنون والسابق والنبي ورمل وزبد ويسوع ابن الانسان . فلقيت كلها حفاوة كبيرة لدى النقاد الاميركيين

صخبها والاَّ فانت صامٌّ أُذنيك دون الاصغاء اليها . حيال فنّ جبران لك كلمة نعم أو كلمة لا . أما المناقشة فسخيفةٌ غبيَّةٌ وهل من استئثارٍ أعظم من هذا ؟

وقلتُ ان تلك الشخصية أنانية . وأقول انها تزداد أنانيةً كلَّما أرهف تطوُّرها واستوْثق نموُّها . لأنها تفهم الشخصيات الأخرى عن طريق شعورها بها . فتتناول كلَّ شخصية صالحةً كانت او طالحةً ، وتصهرها بعمليَّة فكرية ، لتمزجها بالجانب المشابه من شخصية جبران الكاتب او المصوّر . فاذا ذُكرت بعدئذٍ تلك الشخصية الغريبة كانت ذاكرةً جانباً من ذاتها هي شخصية جبران . وإذا أسهبت في التفصيل وأفلحت في البيان فلأنها تنقل صورةً ماثلةً أمامها وتروي عما يخالج خوافيها

أرأيتَ مرةً في كتابات جبران استشهاداً بكاتبٍ أو بشاعرٍ أو بعظيم ؟ قد تعثر أحياناً على مثل ذلك في كتاباتهِ الأولى باللغة العربية . أما بعدئذٍ فلا ! مع أني واثقة (ومضمون كتاباتهِ ناطقٌ بذلك) من أنهُ لا يهملُ التنقيب والاطلاع وبسايرِ الحركة الفكرية في العالم في شتى مظاهرها . غير أنهُ لا ينسى اقتناعهُ ذاك من أنهُ متبوعٌ لا تابع ، قائدٌ لا مقود ولا تظهر معلوماتهُ المستوحاة من كتب الآخرين وأقوالهم في « الحرف » من كتاباتهِ وان هي تلخَّصت في المعنى الصميم . لان أنانيتهُ تحوّل كلَّ ما يتصلُ بها إلى جزء منها ، ثم تخرجهُ على القرطاس وكأنهُ إلهام شخصيّ لم يظفر بهِ من قبلُ أحد وهذه هي روح الفنّ السحري

وبعدُ ألاحظتَ كتب جبران لاسيما الانجليزية — وان كانت كتبهُ العربية مثلها في هذا الباب ؟ من « المجنون » إلى « السابق » إلى « النبي » إلى « رمل وزبد » إلى هذا الكتاب الأخير « يسوع ابن الانسان » — في كل من هذهِ الكتب لا يُسمعُ إلاَّ صوت شخصٍ واحد ، وإلاَّ فالأصوات العديدة فيها محُدِّثةٌ عن شخصٍ واحـد . ولا أرتابُ في انَّ جبراناً عندما كان يستنطق كلاًّ من هـذه الأشخاص أو يستنطقُ الآخرين عنها إنما كان واضعاً نصب اهتمامهِ الجزء الذي يرى هو أنهُ يماثلها في شخصيتهِ . وهو لا يقتصرُ في الوصف على معاني الفهـم والحبّ والتقدير بل هو مغرمٌ بمعاني السخط والامتهان واللعنةِ والاضطهادِ والتعذيب . لأنَّ هؤلاء كاولئك من صميم الطبيعة البشرية وفي صميم الانفعالات البشرية

***

ولنا شاهدٌ على ذلك من كتاب « يسوع ابن الانسان » حيث يوردُ المؤلِّفُ آراء

سبع وسبعين شخصية تاريخية وُجدت في تدرُّج العصور منذ ألفَيّ سنة . فلا يأنفُ من أن يُنطق بعض هذه الشخصيات بألفاظ الحنقِ والتطاول والتحامل . لأنها لسانُ حالها ولسانُ حالِ كلّ مَن زاملها فيها لو وُجِدَ في مثل حالتها ولم يكنْ لهُ عقلية غير عقليتها

يسوع ابن الانسان هو ابن وسطهِ وابنِ زمانهِ . فكلٌّ من الذين يحاذونهُ او يباشرونهُ او يستفيدون منهُ او يسمعون عنهُ كلٌّ من أولئك عالَتهُ او يهاجمهُ وفقاً لاستعدادهِ الادراكي ووفقاً كذلك لمصلحتهِ الشخصية حسيَّة كانت أو أدبيَّة

ولما كان جبران ملمًّا بحدود العقليات والمدارك ، عليمًا بأغلال المصالح والمنافع ، غير جاهل حقّ ما نسميه « شرًّا » في ان يقوم الى جانب ما نسميه « خيراً » ، فهو دواماً الساخط الراضي ، الثائر المستسلم ، المناقض الموافق ، المستنكر المستحسن ... فما الحياة إلاّ الحياة الحاوية لملايين الأشكال والمعاني والرموز ، لاينضبُ منها تيارٌ إلاّ لينبثق آخر ، ولا تجفّ فيها حديقةٌ إلاّ ليثمر سواها ، ولا تتوارى خلالها صورةٌ إلاّ لتتهيأ أخرى ... وجبران آخذ بنظرية التناسخ ليس في الموجودات والصور والأشكال فقط بل في الشخصيات الانسانية ايضاً . وقد أبنتُ ذلك فيما كتبتُهُ عن كتاب «المواكب» عند صدورهِ . وها كتاب « يسوع ابن الانسان » يأتي بشاهدٍ على هذا الاقتناع عند جبران في أجمل قصائد هذا الكتاب على الأطلاق ، عنيتُ القصيدة الخاتمة الموضوعة على لسان « رجل من لبنان بعد مرور ١٩ قرناً على مجيء يسوع » . وأنا أبتُّ في ان هذا الرجل هو جبران

قال هذا الرجل فيما قال مخاطباً ابن الانسان :

« أيها السيّدُ المُنشد ، يا سيد الكلماتِ التي لم تُلفَظْ . إني سبع مرات ولدتُ وسبع مراتٍ قضيتُ منذ زيارتك الوجيزة إلينا وترحيبنا العاجل بك . وها أنذا أحيا من جديدٍ ذاكراً ذلك اليوم وتلك الليلة إذ رفعتنا على موجتك العالية . قد اجتزتُ البراري والبحار منذ ذلك الحين ، وحيثما حللتُ كان اسمك موضوع ابتهالٍ أو جدال . ، وكان الناس لك بين مبارك ولاعن ...

« ما زال أصدقاؤك معنا يعدّوننا بالمؤاساة والمعونة . وأعداؤك معنا كذلك يحفزون منا البأس والمناعة . وأمك معنا ايضاً . نلمحُ وجهها في وجوه جميع الامهات ويدها تهزُّ المهد بلطفٍ وتطوي الأقمطة بحنان . وما زالت المجدليَّة في وسطنا ، تلك التي نهلت

خمر الحياة بعد أن نهلت خلَّها . ومعنا يهوذا رجل الآلام والمطامع الضئيلة السخيفة ، إنهُ ما برح هائماً في الارض يلتهمُ نفسهُ حيث لا يجد ما يلتهم ويعكفُ على تعظيم ذاتهِ حتى في القضاءِ على ذاتهِ

«ويوحنا الحبيب ما فتئ يُنشدُ وليس لهُ من سامع. وهنا بطرس المنفعل الذي جحدك ليُطيل عمرهُ في سبيلك ، وقد يجحدك مرةً أخرى قبل بزوغ فجرٍ جديدٍ على أن يُصابَ لأجلك وهو يحسب انهُ غير حقيق بهذا الشرف . وقيافا وحانان من بني يومنا كذلك ، يحاكمان المجرم والبريءَ ثم ينامان على فراشهما الوثير بينما الذي حكما عليهِ تمزّقهُ سياطُ العقاب . . . . . .

« وأنت أيها السيّد ، ياقاب السماءِ ومولى أجمل أحلامنا ، أنت كذلك تخطو خطاك في أيامنا هذه وليست لتوقف سيرك الحراب والأسنّةُ لأنك تجوزها جميعاً. فتسير ملقياً ابتسامتك علينا ، ومع انك أحدثنا سنّاً فانت للجميع أب. . . »

***

نخط هذه الكلمات و« الرابطة القلمية » بنيويورك تتهيَّأ للاحتفاءِ بمرور ٢٥ سنة على شروع جبران في الكتابة . وخيراً هي فاعلة وان كان من المستحسن أن تفسح في الوقت ليتسنى للأقطار العربيّة ان تشاركها في ذلك الاحتفاء فان كان في عصرنا شخصية جامعة مبدعة فشخصية جبران مثالها . لقد كان بكتبهِ العربية من اكبر العوامل التي اوجدت في الادب العربي الحديث نزعةً رومنتكية رمزية وقد لفتنا إلى عديد الموضوعات والشؤون . وأوجد لنا بكتبهِ الانكليزية ورسومهِ أدباً شرقيّاً وفنّاً شرقيّاً في العالم الجديد وعلى طريقة العالم الجديد . فليس أحق بالتكريم من هذا الشرقي اللبناني المتغلغل في نفسيّة الشعوبِ . من هذا الأنانيّ المستأثر المتكلم بلسان جميع الشخصيات ، المعرب عن جميع الخوالج . من هذا الشاعر الفنّان الذي يحدّثُ ببيانهِ الخاص عن حقائق حيويّة راسخة. من هذا العاكف على نفسهِ تمرُّ خلال حسّهِ وتُستأثر قيد فنّهِ تياراتُ الحياةِ ابداً متشابهة متنوّعة ، أبداً جديدة أبداً قديمة ...

« ميّ »

تقدم العلم في العام الماضي

رغبت ادارة مجلة «العلم العام» الاميركية الى طائفة من اكبر علماء اميركا في ان يصفوا لها في مقالات موجزة ما اصابتهُ فروع العلم النظري والعملي من تقدم في العام الماضي . والى قرّاءِ المقتطف خلاصتها

﴿ الكيمياء ﴾ (١) تقدم البحث في السرطان من الوجهة الكيماوية (٢) تركيب سكر القصب صناعيًّا (٣) صنع المواد الكحولية ومركبات اخرى من البترول والغاز الخاتي (٤) تقدم البحث في استعمال الذرة وقوالحها في مختلف الصناعات (٥) صنع فيتامين (د) بواسطة الاشعة التي فوق البنفسجي وتركيزهُ في مادة تؤخذ اكلاً (٦) ارتقاءُ طرق التركيب الكيماوي التي تحتاج الى حرارة عالية جدًّا

﴿ الطيران ﴾ (١) زيادة سرعة الطيارات التجارية واتقان الاجهزة لزيادة سلامتها (٢) التجارب التي جربتها شركة باكارد الاميركية بآلة من نوع آلات ديزل التي تقتصد كثيراً في ما تحرقه من البنزين وبذلك تمكن الطيارات ان تطير بمقدار معيَّن من البنزين مسافات أطول من المسافات التي كانت تطيرها من قبل بالمقدار نفسهِ (٣) طيران دلاشيرفا بطيارتهِ التي في اعلاها عجلة كالطاحونة من لندن الى باريس (٤) طيران ولكنز من الاسكا الى سبتسبرجن فوق الاصقاع المتجمدة الشمالية الى جنوب القطب الشمالي (٥) طيران البلون غراف زبلين من المانيا الى اميركا وعودتهُ منها

﴿ المخاطبات ﴾ (١) التوسع في المخاطبات التلفونية اللاسلكية بين اوربا واميركا (٢) تقدم مباحث مركوني في استعمال الامواج القصيرة وربط أجزاءِ الامبراطورية البريطانية بمخاطبات لاسلكية مبنية عليها

﴿ التصوير ﴾ (١) اتقان طريقة لتصوير الاجسام بألوانها الطبيعية . (٢) ترقية الشريط الناطق حتى صارت تعرض روايات كاملة تشاهد فيها صور الممثلين وتسمع اصواتهم

﴿ الفلك ﴾ التقدم في صنع تلسكوبات كبيرة سيبلغ قطر مرآة احدها ٢٠٠ بوصة وينتظر ان يكشف بهِ عن نصف بليون نجمة لم تعرف من قبل . (٢) تجمُّع الادلة لدى الباحثين على ان المجرة تدور حول نقطة بعيدة في نصف القبة الجنوبي واكتشاف مجرّات اخرى يبعد بعضها عنا نحو مائة الف الف سنة نورية

البقية في باب الاخبار العلمية

أمن عصر العقل الى عصر القلب ؟

ام من عصر العقل الى عصر المعدة ... ؟

مشكلة الفقر والغنى بين العلم والقانون والايمان

يزعمون أننا في عصر العلم وفي دهر القانون ويريدون أن يسلبوا الناسَ إيمانهم كان الايمان هو مشكلةَ الانسانية مع أنهُ لا حلَّ لمشكلتها إلا بهِ . إن مسألة الغنى والفقرِ وما كان من بابهما لا يحلها العلم ولا القانونُ إذ هي من مواد القضاء والقدر في إنشاء الآلام والاحزان وأضدادِها التي تـقابلها ، وما دام فوق الانسانية من السماء قوةٌ لا تحدُّ ، وتحت الانسانية من القبر هُوَّةٌ لا تُسدُّ ، فلا نظامَ الاَّ على تصريف النفس أمراً ونهياً وتأويلِ الحياة معنى وغاية ، فان لم يكن الشأنُ في ذلك مقرراً في الغريزة على جهة الإيمان فلن يكون العلم والقانونُ على ظاهر النفس الا ثورةً بما في باطنها ، ولن يبرح الناسُ على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منهُ وهو مضطر اليهِ أو كالمضطرّ اليهِ وهو هاربٌ منهُ ، وكلٌّ من كلٍّ في معنى من معاني النفس لا انسانية فيهِ

ما زاد العلماء على أن خلقوا في ساعدَي الحياة هذه العضلةَ البخاريّةَ وذلك العصب الكهربائيَّ فمن لم يستطع أن يتوقّى ضربة الحياة المدنية بعُدَّةٍ من قوة وعتادٍ من المال طاحتْ بهِ فدكّتهُ دكّ الخسف ووضعتهُ من الناس موضع الحبّة من الرَّحى الدائرة فما بينهُ وبين أن ينهار موضعٌ يستمسك عليهِ ، وانما هذا الموضع هو ايمان المؤمن إذ يعطفُ على الضعفاء أو يُسعِدُ أو يبرُّ بما كتب عليهِ أن يرقَّ لهم من ذات نفسهِ ويتحنى ويتوجع

ومتى كانَ العلم والدينُ يقومان جميعاً على تنظيم الطبيعة في مادتها وإنسانيتها لم تجر الانسانية الاَّ على ناموس بقاءِ الاصلح في الجهتين، فاذا تخلّى بها العلمُ وحده فلن تجري أبداً الاَّ على ناموس بقاء الأصلح في ظاهرها لايجاد الأفسد في باطنها

لن يُفلحَ الانسانُ للحياة الطيبة — ما دام بهذا التركيب الذي لن يتغير — الاَّ اذا وازنَ بين بيئتهِ التي هو يوجّهها وبين طباعهِ التي هي توجّههُ ، فقيّد أشياء في قيودها وأطلق أشياء من قيودها وجمع في مُتبوَّأ نفسهِ حدًّا بحرية ودِيناً بعلم . بيدَ أن طغيان

العلم في هذه المدنية قد مَرَدَ على طباع (١) الانسان وشمائلهِ في كل موضع من الحياة لا تكافئهُ فيه قوة الدّين فاذا هو يزين الشهوات واذا الشهوات تُطوّعُ المغامرةَ واذا المغامرةُ تجلب المنازعةَ واذا المنازعةُ تدفع الى الحرص واذا الحرصُ يتصرفُ بالحيلة واذا الحيلةُ تهلك التّقوى وكان في تقوى الانسان إيمانهُ وكان في إيمانه رحمتُهُ وكان في رحمتهِ الاثيرُ الانسانيُّ الذي تعيش فيهِ الروح . وعلى ذلك يقع في الانسان من النقص بمقدار ما يزيد لهُ العلم ، فاذا هو منحدرٌ الى السقوط مقبلٌ على المحق راجع الى الحيوانية باكثر مما يحتمل تركيبهُ منها

أو لا يرى الناسُ أن تفوّق امةٍ على أمة لم يعد في هذه المدنية الاّ معنى من معاني القدرة على أكلها . . . . . ؟

ومضى العلم على شأنهِ ذاك حتى جعل الانسان آلةً من آلاتهِ التي عَمَر بها الدنيا فأصبح من لا ايمان لهُ يتعسّف خسائسهُ (٢) لا يدري أين يؤمُّ منها وأين يقف ، فلا يتسفل بقوة انسان ولا بضراوة وحشٍ ولكن بقوة آلة من الآلات الكبرى ودقّتِها وسرعتها وإتقانها . . . . حتى لا رذيلة من رذائل هذه المدنية إلاّ هي مفنّنةٌ في تركيبٍ على نسق الامور المخترعة ، وكأن الآلات العمياء ما زادت انسانها شيئاً الاّ أن قالت لهُ كن أعمى . . . . وكأن المدنية الملحدة ما عدت أن جعلت الوحشية تعمل أعمالها الفظيعة بتأنق وتمدن . . . .

نسي الناسُ الايمانَ أو انسلخوا منهُ فاذا أيديهم تموجُ باسباب الفضائل (٣) تحكمها ولا تضبطها وما كان الايمان الصحيحُ الاّ التقوى (٤) ولا كانت هذه التقوى إلاّ عملاً من أعمال الارادة غايتهُ إيجادُ الغرائز العليا في الانسان بالاسلوب الذي لا تخلق الغريزةُ العمليةُ في النفس الاّ به وعلى النحو الذي لا تصلحُ في الحياة الاّ عليهِ

أظهرُ آثار الايمان تحديدُ الغايات الانسانية وتنسيقها والملاءمةُ بينها ، فان اطلاقَ

---

(١) أي مرن عليها واستمر وبلغ بها الغاية التي تخرجها من جملة ما عليه الطبع الانساني الكريم

(٢) ينخبط فيها على غير هدى

(٣) ماجت اليد بالشيء اذا اضطربت به كأن أيديهم لا تضبط أسباب الفضائل من ضعفها عنها

(٤) الاسلام كله في كلمة التقوى كما بيناه مفصلا في كتابنا (اعجاز القرآن) فانظره . وكلمة التقوى من معجزات هذا الدين . ولقد قال (هكسلي) قسيم داروين الشهير —— : «ان الدين هو اجلال المثل الأعلى من الاخلاق ومحبة العمل على تحقيقه في الحياة» . وكل هذا من قول أستاذ القرن التاسع عشر وكل ما سبقه به الفلاسفة والحكماء وكل ما جاء وما سيجيء هو من معاني (التقوى) في الاسلام لا تضيق الكلمة عن شيء منه

الغاية لكل انسان على شأنه وسبيله كيف دَرَّت معيشته (١) وكيف دارت اهواؤه — يجعل طُرُق الناس متداخلة متعادية فيقطع بعضها على بعض ويقوم سبيل في وجه سبيل ، فلا تحل عقدة الا من حيث تقرض اختها ولا يخاص خيط من خيوط اللذات الملتبسة المتشابكة الا قاطعاً متقطعاً معاً ، وأنت اذا بحثت عن الوحدة التي تحاول ضمَّ الانسانية المتنافرة وردَّها الى مرجع واحد لم تجدها في غير ايمان المؤمنين ، فهو أبداً يقابل في كل نفس ما تطغى به الحياة على اهلها ، ولا عمل له الا ان يحذف الزيادات الضارّة بالانسان من بيئته وبالبيئة من انسانها وهو بهذا حائل في كل مجتمع بين ان تنقلب أسبابُ السمو العقلي فتعود من اسباب الدناءة والخسة ؛

وانما محلُّ الايمان من اهله فوق محل الحكومة ممن تحكمهم فهو الامرُ والنهيُ بلغة الدم والعصب ، وهذه الغاياتُ التي تتألف من أجلها الحكومات كأمْن الناس ونظامهم وسعادتهم هي انفسُها محكومة بمسائل تأتي من ورائها في طبائع الناس وعاداتهم ومعايشهم ومصالحهم ، فان لم تكن في النفوس من الدين اصول تأمرُ وتحكم ، وفي الطباع من اليقين أصول تستجيبُ وتخضعُ ، رجعت الحكومةُ في الناس أداةً مساطةً لا تغني كبير غناء في الخير والشر . اذ يحتاج الخير ابداً الى قوتها تحميه ويحتال الشر أبداً على قوتها تستنقذه ، ومتى لم يكن الخيرُ الا بالقوة فاحتياجُهُ اليها شر . ومتى لم يكفّ الشر عن القوة فاحتياله عليها شر مثله ، فاذا تضعضعت من الاديان هذه الدعائمُ الراسية وفرط من الانسانية هذا الفارطُ الذي ليس في الأرض كفاء منهُ — لم تجد حسنةً في حكومة من الحكومات الاَّ معها من طبيعتها سيئة ، ولم تجد سيئةً الا هي سيئتان ، فلن تكون الحياةُ حينئذٍ الاَّ تعقيداً أشدَّ التعقيد من طغيان القادرين عليها بالمال والغنى ومن حقد العاجزين عنها بالفقر والحاجة

والغنيُّ القادرُ على مُتَع الحياة ولذاتها هو دائماً في فلسفة العاجز قادرٌ بلا قدرة ، كما ان الفقير الضعيف هو دائماً عند نفسه عاجزٌ بلا عجز ، ولا أدلّ على ذلك من تعبيرهم عن معناهُ بالكلمة التي تُشبهُ ان تكون هي ايضاً معنًى بلا معنًى . . . . . وهي الحظ . فلا بد للناس من الحدود التي تبني بين كل ضدين من احوال الانسانية جداراً يعطفُ نفساً على نفس بالرحمة ، ويردُّ قوة عن قوة بالصبر ، ويكفُّ عادية عن عادية بالتقوى ، ويحقق عواملَ التوازن بين اسباب الاضطراب في الجماعات المتصادمة ليُقِرَّ كلَّ

(١) كناية عما تتفق به أسباب العيش وتجتمع وتزكو

مُضطرِبٍ في حيِّزٍ إن لم يمسكهُ فيثبتَ فيهِ لم يُفلتهُ فيعدُوَ على سواهُ

فاذا عملت المدنيةُ على هدم هذه الحدود وتركت قوةَ الايجاب في طبيعة الحياة بغير قوة قلبية سلبيةٍ من الايمان في طبيعة النفس، كشفتْ للانسان عيوبَهُ بلاغةٍ من تعبير شهواته فزادتها رسوخاً فيهِ كما تقول للص : إنك لتسرق وستصبحُ غنيًّا تمرُّ يدكَ في الذهب تُنفق وتستمتعُ على ما تشتهي . . . . فما يراك قالت لهُ لا تكن لصًّا وتَعفَّفْ بل قالتَ لهُ كن غنيًّا واستمتعْ . ويومئذٍ يغبرُّ البؤسُ ويقشعرُّ الفقر كما نرى لعهدنا في الامم التي فشا الإلحاد فيها ، فليس من بعدُ إلاّ أن يتحول الفقر عن صورته البيضاء في سكْبِ الدمع إلى صورتهِ الحمراء في سفك الدم وكان سؤالاً فيعودُ اغتصاباً وكان الأسفلَ فيرجعُ الأعلى وكان يفرضهُ الحقّ فاذا هو الحقُّ نفسهُ . والله لكأن المسكين في هذه المدنيةَ هو الجزء اللئيمُ الذي طردهُ الغنيُّ من نفسهِ وتبرأ منهُ وأمات ما بينهُ وبينه ، فاذا هما اعترضا في مذهب من مذاهب الحياة ، نَفَرَ الغنيُّ كأنما يرى قبره يدنو منهُ وأطبق عليهِ البائس بمعاني النقمة واللعنة يقول لهُ ما أنا الاّ لؤمك أنت

إن من الشجر شجرةً تنبت في القفر تعتصرُ ماءها من بين رملٍ وحجرٍ وتمتصُّ غذاءها من لؤم الجدب ، فاذا حان أن يُزهِرَ عودُها شوَّكَ فلا يكون في عُقَدِهِ ونبْرهِ[1] الاّ شوكٌ ، فاذا ازدَرَعُوها في الخِصْب وخضَّلها الماء[2] وساغت لها الطبيعة ثم حان أن يزهرَ عودُها ملَّسهُ كرمُ الارض[3] فاذا في موضع كل شوكةٍ زهرةٌ كأنها كلمةُ الحمد . وكذلك مَثلُ الفقير بين الملحد والمؤمن

تُرى أيخرجُ الانسان في هذه المدنية من عصر العقل إلى عصر القلب . أم هو منحدرٌ من عصر عقلهِ الى عصر معدتهِ . . . . ؟

وكان على هذه الارض أغنياء مؤمنون فيهم من كرم الحس شِبهُ الفقر ، ومساكينُ مؤمنونَ لهم من كرم الصبر شبه الغني ، فهل تنقلب المدنيةُ من الغنى المحض والفقر المحضِ الى مادة تخلق اللحمَ الحيَّ وأخرى لا تخلق لهُ الاّ الظُّفرَ الحيّ . . . ؟

وكان اختراع الانسان في المادة الجامدة ، أفتُراهُ يجيء يومٌ على الناس يكون أعظم اختراع فيهِ للانسان الاخير ان يعيدَ الى الارض إنسانها الاول الكريم ؟

مصطفى صادق الرافعي

(١) النبر النتوء الذى في العود (٢) بله الماء (٣) نعمته وأدمجته وأزالت نتوءه
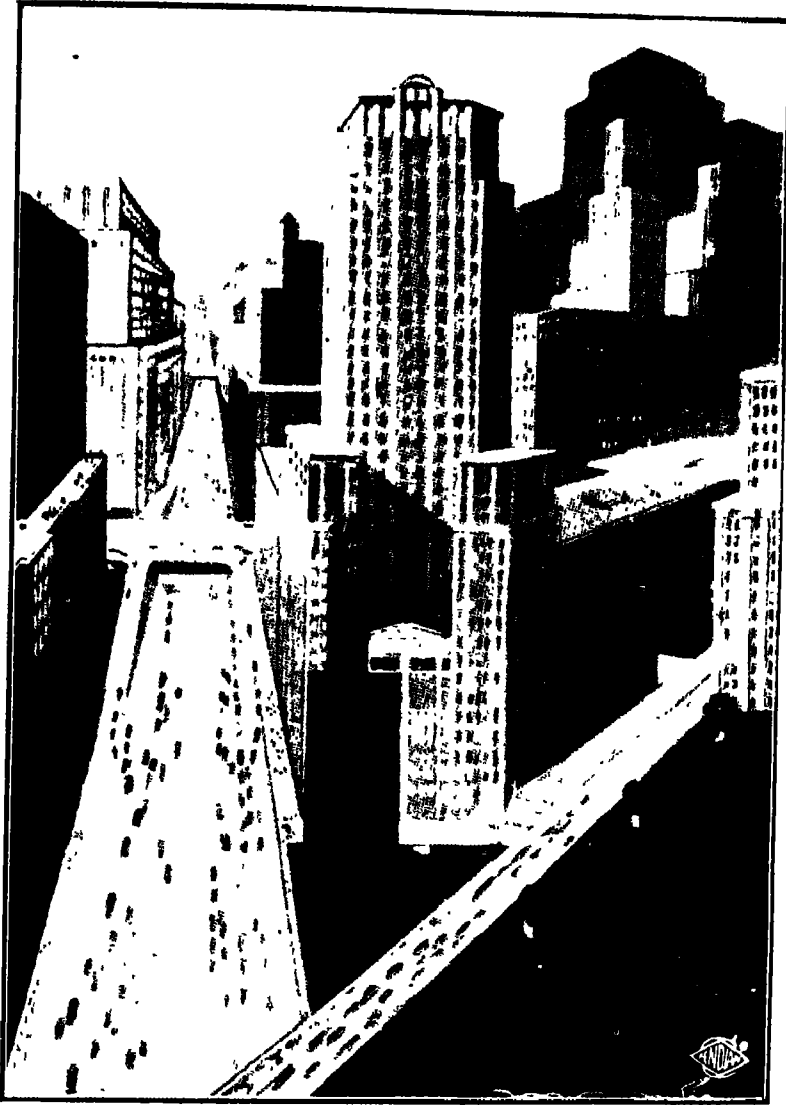
نظرة الى مدينة المستقبل

أليس في هذه المباني فنٌّ أكثر انطباقاً على حضارة العصر من فنون القرون الوسطى ؟

مقتطف يناير ١٩٢٩

امام الصفحة ١٩

هل الحضارة الغربية على جرف هار؟

ما أسباب القلق ؟ ما اركان الحضارة الغربية ؟

ما الاخطار التي تهددها ؟

١ — مظاهر القلق

ينزعُ فريق كبير من فلاسفة الغرب وكتّابه الى القول بان الحضارة الغربية على شفا جرف هار وانهُ اذا انتابت اوربا حرب اخرى كالحرب التي انتابتها منذ اربع عشرة سنة قضت على العمران الاوربي وغادرت بلدانهُ قاعاً صفصفاً . ومفكرو اميركا حيث جدّد الاوربيون شبابهم وفتحوا بلداناً غامرة فعّمروها واستنبطوا من صدر الارض ثروة طائلة بعرق جباههم وقوة سواعدهم يوجهون السؤال التالي على صفحات جرائدهم وفي صدور محافلهم وانديتهم — يقولون : وبعد هذا الى اين نحن صائرون ؟ اما وقد ملا ما معدنا فما هي الخطوة التي امامنا ؟ كذلك في اليابان ترى فتيانها الذين يشاهدون امام اعينهم انقاض عصر القَدَمية وقد تخلى عنهُ آباؤهم لتوطيد اركان النظام الجديد ، يتساءلون في رزانة وجدّ ماذا نفعل ؟ انبقى سائرين على الطريق الذي اختطهُ لنا اسلافنا فنخوض حضارة الكهربائية والفولاذ بهمة جديدة وعزم جديد ام نرجع القهقرى من منتصف الطريق ونحيي معالم عصر كادت آثارهُ تبيد ؟ وعلى هذا المنوال ترى المفكرين في كل الاقطار يتساءلون في حيرة وارتباك هل الحضارة التي نحن في غمارها تسير سيراً مطرداً الى غاية عليا او هل اخذت تنحطُّ ويوم اضمحلالها اضحى على الابواب ؟

وليس ينفرد جمهور الفلاسفة والمفكرين في تأملهم مصير مدنية الغرب على هذا المنوال. بل يشاركهم في ذلك رجال السياسة ايضاً. ففي ايطاليا نجد اصحاب المعتقد الفاشستي قد قضوا على الديمقراطية والاشتراكية ونظموا الصناعة والعمل وتثمير الاموال نظاماً فعّالاً لم تنلهُ امة اخرى من قبل وبذلك مهدوا السبيل اما للتعاون بين المتمولين والعمال او لحرب تثور بينهما فلا تبقي ولا تذر. وفي روسيا قضى البولشفيك على الارستقراطية والديمقراطية محاولين ان يخلقوا دولة شيوعية باوسع معاني الشيوعية ، فاذا نجحوا في ذلك كانت دولتهم هذه خطراً يهدد كلّ دولة اخرى تقوم على قواعد تخالف اركان الدولة

البلشفية . والمانيا تتقلب مقضوضة المضجع بين احزابها الوطنية واحزابها الاشتراكية والجمهورية وكتلة شعبها التي تسير في عملها اليومي وكفاحها في معترك الحياة مقتنعة ان حلم السيادة لم يبدُ بعدُ . وفرنسا تقف في ساعة نصرها المبين تحصي الخسائر الفادحة التي تكبدتها لاحراز هذا النصر الموهوم . وانكلترا المنصورة تراها جالسة على عرشها الامبراطوري تنظر الى امبراطوريتها فتجدها قد زادت سعة وغنى ولكنها ترى كذلك مستعمراتها الحرة تطلب استقلالاً وتفوز بهِ الى حدٍّ بعيد. ثم تتأمل قليلاً فتدرك ان الحالة المالية والصناعية في اثناء الحرب الكبرى قد قضت على زراعتها فهبَّ المولون واصحاب الصناعات بعد الحرب يسعون لبيع بضائعهم في اسواق يزاحمهم فيها الالمان والاميركيون اشد زحام فيجدون الفوز فوق طوقهم والضرائب العالية تثقل كواهلهم

اما اميركا فتبدو لاول وهلة غير خاضعة لهذه الثورة الفكرية والسياسية الخطيرة. تراها قائمة بين محيطين في بلاد شاسعة غنية وأبناءها راتعين في بحبوحة من العيش ، ومن فيض اموالهم يقرضون امم اوربا فتحسبهم قد بلغوا الغاية العليا من الرخاء والاطمئنان . ولكن النقاد من اميركيين واوربيين لا يرون هذا الرأي . فاينشتين يسخر من ذكاء الاميركيين وسيغفريد يراهم نحاساً يطنُّ وصنجاً يرنُّ ، ويؤيدهما في ذلك طائفة من النقاد الاميركيين انفسهم

٢ — اركان الحضارة الغربية

يراد بالحضارة الغربية لدى موازنتها بالحضارة الشرقية حضارة مبنية على العلم والصناعة والآلات ازاء حضارة قائمة على الزراعة والصناعات اليدوية . فهي في الواقع حضارة ميكانيكية . وعمرها لا يرجع الى اكثر من مائتي سنة اي الى اوائل القرن الثامن عشر على الاكثر وعندي ان نفوذها آخذ في التوسع والانتشار بدلاً من الضعف والتقلص

فالركن الاساسي الذي تقوم عليهِ مدارهُ آلات تديرها قوة عظيمة تفوق قوة الانسان وتضاعف مقدرتهُ على صنع المصنوعات . فالعلوم الطبيعية بفروعها المختلفة اصبحت عبيداً في ايدي ابناء الحضارة الغربية يقيمون عليها بناءها الفخم . وقد انقضى عصر المستنبط الفرد وصار لا بدَّ من البحث العلمي المتواصل في العلوم الطبيعية على اختلافها لابداع الآلات الجديدة ولنشر المصنوعات في مختلف الاسواق . ولما كان المال الذي ينفق في نشر العلم وترقيتهِ يجبى من الضرائب التي تجبى من اصحاب الصناعات ومن هبات الاغنياء فلا ينتظر ان ينضب لمصباح البحث العلمي زيت او يطمس لهُ نور

والحضارة الآلية التي نحن بصددها تختلف عن كل الحضارات السابقة في انها حضارة

حيوية تحمل في طياتها بزور بعثها وتجديدها . ولما كانت هذه الحضارة قائمة كما قدمنا على الصناعة والعلم والاستنباط واتساع الاسواق كان لا بدّ لها من ان تتغير تغيراً سريعاً لان العلم يتجدد ويتحول كلّ يوم وهو اساس الاستنباط وركن الصناعة . فلم يكد عصر البخار يثبت على دعائم متينة حتى حلّت الكهربائية محلّهُ . ولم تكد الكهربائية تسيطر على كل القوى التي سبقتها في المعامل والصناعات حتى أخذت آلة الاحتراق الداخلي تزاحمها وتسبقها

فاذا سلمنا ان هذه الخصائص تميز الحضارة الغربية بركنيها العلمي والميكانيكي — فهل نستطيع ان نسلم كذلك ان هذه الحضارة صيحة في واد او سراب لا يلبث ان يلمع حتى يزول او حادث من حوادث التاريخ لا يلبث ان ينقضي ويحلّ نظام آخر من نظم العمران مكانهُ ؟ هل يتوقف جمهور الناس يوماً ما عن طلب البضائع التي تصنع بالآلات فيقضى على المصانع الكبيرة التي تخرجها وتقفل ابوابها ؟ هل يحتمل ان يضعف العلم عن اغراء الرجال بوقف حياتهم وذكائهم وصبرهم على احيائهِ وتجديده بمباحثهم ومكتشفاتهم ؟

ان جواباً بالايجاب عن هذه الاسئلة يحتاج الى تعنت كثير . فالعلم ليس وقفاً على طائفة واحدة من الناس ورجال العلم لا ينحصرون في طبقة معينة من طبقات الشعب ومالم تخدعنا كل الظواهر لا نجد سبباً واحداً يقنعنا ان الصناعة والعلم سيضمحلان وينقرضان. وهما كيفما قلبنا وجوه المسئلة الركنان اللذان تقوم عليهما الحضارة الغربية في صميمها

٣ — الخطر الاسيوى

فاذا كانت الحضارة الغربية في مأمن من خطر داخلي كالخطر الذي قدمنا ذكرهُ ينتابها ويقضي عليها ، فهل لدينا ظاهرة من الظواهر تدلُّ على ان امة من الامم القاطنة اسيا تستطيع ان تغزو اوربا سلماً او حرباً وتبيد النظام الآلي العلمي الذي تقوم عليهِ حضارتها ، من غير ان تتسلح بهذا النظام نفسهِ لتستعملهُ اداة لقضاءِ مآربها ؟

مما لا ريب فيهِ ان بعض الامم الاسيوية شرعت تأخذ عن اوربا بعض اركان حضارتها ومظاهرها واشهر هؤلاءِ الامة اليابانية التي لا تزال على ما بلغتهُ من التقدم في هذا المضمار تعتمد على الغرب في كثير مما تحتاج اليهِ من الادوات الميكانيكية والمبادئ العلمية التي تبنى عليها المخترعات والمستنبطات. فاذا لم ينحطّ الابداع العلمي في الغرب — ولسنا نعرف دليلا يشير الى ذلك — فمن المرجح كثيراً ان ما من امة من امم الحضارة الزراعية في آسيا او افريقيا تستطيع ان تباري الغرب في ارتقائهِ العلمي والميكانيكي . واذا صرفنا النظر عن هذه الوجهة من وجهات البحث لم نرَ في احدى هذه الامم ما يؤيد القول بان منها امة تستطيع ان تغزو اوربا بجحافلها كما غزت قبائل الشمال الامبراطورية الرومانية وقطعت

اوصالها ، الاَّ اذا اقتبست اصول الحضارة الغربية وفافت ابناء الغرب فيها .وحينئذٍ اذا حاربت اوربا بسلاحها وانتصرت عليها فلا يقال ان الحضارة الغربية قد بادت لانها في الحقيقة تكون قد انتقلت من مكان الى آخر على سطح الكرة الارضية

٤ — خطر الانحطاط الفني

واذا نظرنا الى حقيقة الحضارة نظرة محصورة في الادب والفن ظهرت بوادر الانحطاط اكثر وضوحاً من بوادر الانحطاط في العلم والصناعة . هنا نقترب من موضوع يصعب تحديده وعليهِ يتعذر البحث فيهِ بحثاً علميًّا منتظماً . فاذا نظرنا الى آيات الآداب الغربية التي ظهرت في خمسين السنة الاخيرة لم نرَ فيها دليلاً ما على انها اخذت في الانحدار من قمة المجد . بل يذهب نفر من النقاد الالمعيين الى ان الادباء في هذا العصر — عصر السرعة والماكنة — يضاهون في قوتهم وبلاغتهم اعظم الكتّاب في اي عصر من العصور بعد ظهور الاسلوب الروماني الفخم. اننا نسلم باننا لا نعرف بين كتّاب العصر الحديث كاتباً يوضع في مصاف هوراس او شكسبير او غوته ، ولكننا نذهب كذلك الى ان ادباً مثل ادب هؤلاء الاعلام لا مكان لهُ في حضارة تقوم على اساس يختلف كلَّ الاختلاف عن حضارة عصورهم . واذا كانت فنون الشعر قد اخذت تفقد ما كانت تتصف بهِ من فخامة وروعة فسبب ذلك ليس انحطاط القوى العقلية بل سببهُ ان الخرافات التي بُنيت عليها اشعار القدماء لا تمتُّ بسبب الى روح ابن العصر . وعندي ان خيال علماء كاينشتين الالماني وبوهر الدنماركي وملكن الاميركي يفوق خيال شعراء كملتن الانكليزي وفرجيل الروماني ؛

وما يقال عن الآداب يقال عن الفن . وهنا كذلك نسلّم جدلاً ان عصر الآلات لم ينجب في فنون البناء والنحت والتصوير ما يضاهي آثار الفن التي خلفتها القرون الوسطى. ولكن هذا إنْ يدلُّ على شيء فيدلُّ على ان عصر الآلات لا يزال في مهدهِ وان ابناءهُ لم يوجدوا فنًّا يعبر عمَّا توحيهِ اليهم مظاهر هذا العمران الجديد ، مع ان هناك تباشير فن جديد يتفق مع روح العصر، نرى آثارهُ في محاطّ السكك الحديدية وآلات النقل والانتقال على اختلافها والمعاهد العامة ومباني المعامل وناطحات السحاب . فاذا اعترض معترض ان ابناء هذا العصر لم يبنوا كنائس تضاهي الكنائس التي بناها ابناء القرون المتوسطة اجبناهُ ان القرون الوسطى لم تبنِ طرقاً وحمامات وقناطر للماء مثلما بنى الرومان قبلهم . ان لكل عصر روحاً تظهر في مبانيهِ. وروح كل عصر تختلف عن روح العصر الذي يسبقهُ او الذي يليهِ . قد يظهر في المستقبل ان ابناء هذا العصر لم يخلقوا فنًّا يضاهون بهِ فنون

العصور الغابرة ولكننا لا نستطيع ان نقول انهم بلغوا الآن في فهم ذروة الارتقاء حتى نثبت انهم اخذوا في الانحدار منها

٥ — اخطار الحروب الاهلية والدولية

هل يجوز ان تمنى امم الحضارة الغربية بثورات او حروب اهلية تفتّ في عضدها وتدكّ قواعدها كما حدث لامبراطوريات العصور القديمة ؟ اذا حاولنا ان نقيس الحاضر على الماضي وجب ان نفعل ذلك والحذر رائدنا الاول . فاننا مهما نقلْ في حالة العمال الآن في البلدان الصناعية نجد ان حالتهم المادية والاجتماعية والتهذيبية ومقامهم السياسي يفوق حالة العمال والعبيد في الامبراطورية الرومانية . فثورة مثل ثورة العبيد في رومية بعيدة الاحتمال في حضارة آلية مهما يبلغ ضيق العمال ، لان العمال يطلبون إنْ طلبوا شيئاً زيادة وسائل الراحة والمدّ في اسباب الرخاء — فطالبهم اذاً تقوم على رغبة في تأييد الحضارة الغربية مع توزيع منافعها على الجمهور توزيعاً عادلاً

ولكن ألا يحتمل ان تنشب حروب طاحنة بين الامم المتحضرة بالحضارة الغربية فتكون شؤماً على الحضارة نفسها تدك بنيانها وتخرب البلدان التي نشأت فيها وتنضب دماء الامم التي ابدعت مبادئها وشيّدت معالمها ؟ من المرجح ان حروباً طاحنة تنشب في المستقبل فتفني الدول في اتونها زهرة شبابها وكل ثروتها . ولكني لا استطيع ان اتصوّر حرباً تستطيع ان تفني الشعب كلّهُ وتقوض اركان المعيشة التي يعيشها . واذا فعلت ذلك الى حدٍّ ما فان حيوية الشعوب المختلفة تبعث على انقاض الماضي النظام الاليَّ العلميَّ حيًّا من جديد ، وتوطد اركان الرخاء المادي في فترة قصيرة . وقد ذهب الفيلسوف الاقتصادي الانكليزي جون ستيورت مِلْ الى انهُ اذا بادت الثروة الميكانيكية في امة من الامم امكن احياؤها في عشر سنين . وعليهِ لا نرى مسوّغاً للقول بان تعاقب الحروب في المستقبل يقضي على الحضارة الغربية . نقول ذلك من غير ان ننتقص في حال من الاحوال الضرر الناجم عن هذه الحروب . واذا سلمنا ان حروباً كهذه تقوّض اركان الحضارة الغربية في اوربا واميركا افلا تستطيع اليابان وقد بلغت شأواً بعيداً في الاخذ بحضارة الغرب ان تحيي هذه الحضارة من جديد بما في خزائنها وجامعاتها ومعاملها من بزور حيّة

فللأسباب المتقدمة نرى ان الحضارة الحاضرة المبنية على العلم والصناعة لن تنحطّ وتضمحل كما انحطت الحضارات القديمة واضمحلت . (ملخصة بتصرف قليل من مقالة للمؤرخ الاميركي الاستاذ شارلس بيرد في مجلة هاربرز)

ما يصنعهُ الكيماوي بالكهربائية [1]

وانماث اعرب من الخيال — مركبات الكلور والالومنيوم — الفرن الكهربائي
تحويل المعادن بفعل التيار في الافران الكهربائية الشديدة الحرارة

اذا ارسلنا النظر في التطبيقات المتنوعة للعلوم المختلفة ، لم نجد في العلوم الطبيعية فرعاً موثّق العلائق بشؤون الحياة العصرية كفرع الكهربائية مع انهُ احدث فروع الطبيعيات نشأةً . فقد وضعت قواعده ، ودرست ظواهره الاولى بعد النهضة العلمية في اوربا . واول من اجرى ما يصح ان يسمَّى تجارب كهربائية هو جلبرت الانكليزي ، المتوفى سنة ١٦٠٣ في عهد اليصابات ملكة انكلترا . فقد دعاهُ البلاط الانكليزي لعرض تجاربهِ في تكهرب الاجسام بالدلك على سبيل التسلية كما يتسلى الامراء بمشاهدة اعمال السحرة والمشعوذين . وظلّ العلم بعد ذلك ساكناً مدة قرن ونيف

﴿ نبذة تاريخية ﴾ وفي اوائل القرن الثامن عشر اخذت التجارب الكهربائية تزداد وشغف كثيرون بها . فاكتشفوا الاجسام الموصلة والفاصلة ، وعرفوا نوعي الكهربائية ، السلبي والايجابي . واخترعوا الآلات الكهربائية الاستاتيكية (الساكنة) التي عمَّ استخدامها ، واتخذها الناس وسيلة من وسائل اللهو . وفي بدء القرن التاسع عشر توصل ڤولطا العالم الإيطالي سنة ١٨٠١ الى استنباط الجهاز المعروف بالعمود الڤلطاني لتوليد التيار الكهربائي في الاسلاك . وتمكَّن من تركيب بطارية كهربائية بتوصيل اعمدة عدة . وما ذاع خبر استنباط العمود الكهربائي حتى تهافت العلماء على استخدامهِ لاجراء الامتحانات بواسطته ، فافضى ذلك الى سلسلة من الاكتشافات المتوالية في السنين الاولى من القرن التاسع عشر . فنشا عنها فنُّ الحل الكهربائي وكان من اسبق كشوفه حلّ الماء بالكهربائية الى عنصريهِ الاصليين ، الهيدروجين والاوكسجين

وتتبَّع داڤي الكيماوي الانكليزي درس هذا الموضوع . فافضى بهِ البحث سنة ١٨٠٨ الى اكتشاف ان الصودا الكاوية والبوتاسا الكاوية ليسا عنصرين بسيطين ، بل هما مركبان . وتمكن من حلها بالكهربائية ، فحصل على عنصرين جديدين ، هما الصوديوم

(١) خطبة للاستاذ حبيب افندي اسكندر مدير مدارس التوفيق القبطيه . خطبها في نادي الشبان المسيحيين بمصر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨

والبوتاسيوم اللذان لم ترهما عين انسان قبلاً في الكون . واليوم يحضر هذان المنصران بالطريقة عينها بمقادير وافرة للصناعة . ومن ثم تقدمت الاكتشافات الكهربائية الموجزة ان فنّ الكهربائية من احدث فروع الطبيعيات . فاذا حسبنا فُولطا مؤسساً لهُ كان عمر الفن ١٢٨ سنة . واذا عددنا فارادي اباً لهُ كان عمرهُ ١٠٠ سنة فقط . فلا يبعد

> هذه الخطبة النفيسة تبين في سهولة استرسال اثر الكهربائية في اعمالنا اليومية الحيوية من كبيرة وصغيرة — في صنع الصلب والنحاس وادوات الالومنيوم والمنسوجات والزجاج والورق والاطعمة والاسمدة والمفرقعات والمطاط والعقاقير والحجارة الكريمة واقلام الرصاص وعيدان الثقاب والمواد المبيدة للحشرات والزيوت والغازات السامة وغير ذلك من المواد التي لا تقوم للحضارة او الصناعة قائمة بدونها

تباعاً . فاكتشف العلماء الخواص المغنطيسية، وظواهر النور والحرارة في التيار الكهربائي . ثم ظهر إمام الكهربائية الاعظم، فارادي الانكليزي الذي كان في اول حياتهِ مجلد كتب وموزع صحف، فصار بجدهِ واجتهادهِ علماً بين اكابر العلماء الطبيعيين . وتمكن من اكتشاف نواميس التأثير الكهربائي، والتحليل الكهربائي ، التي كانت مدخل دور جديد من ادوار الكهربائية . وكان من آثارها العمرانية ما نراهُ من تطبيقاتها في شؤون الحياة الكثيرة يتبين من هذه الفذلكة التاريخية

ان يكون بعض الاحياء اليوم ممن عاشوا قبل ان يهتدي الانسان الى استخدام الكهربائية في اية ناحية من نواحي الحياة . فمنذ مائة عام كان العالم — الحافل الآن بالادوات والآلات الكهربائية — خلواً من كل تطبيق كهربائي بل لم يدر في خلد احدٍ يومئذٍ ان هنالك فائدة ترتجى من الابحاث الكهربائية . فسألت سيدة ذات يوم الاستاذ فارادي، على اثر القائهِ محاضرة في ابحاثهِ الكهربائية قائلة لهُ : هبني ان ابحاثك هذه وتجاربك صحيحة كما تقول، فما هي الفائدة المرجوَّة منها ، وما هي

قيمتها العملية ؟ : فاجابها على الفور جواباً تفهمهُ السيدات قال : ان قيمة هذه الاكتشافات هي كقيمة طفل ولد حديثاً ، لاحول له ُ ولا طول ، ولكنهُ سيصير يوماً من الايام رجلاً ذا بأس : وزاره ُ مرة كبار رجال الدولة ، ومعهم غلادستون الشهير . وبعد ان عرض عليهم فارادي بعض تجاربهِ الكهربائية ، سألهُ غلادستون عن قيمة هذه التجارب من الوجهة العملية .فاجابهُ جواباً ينتبط له ُ رئيس كل حكومة قال : ياجناب الوزير، لا يمضي زمن طويل حتى تجني الدولة التي ترأسونها المبالغ الطائلة من الضرائب . وقد تحقق قوله هذا بسرعة مدهشة ، فقد بلغ ما تقبضهُ الحكومة الانكليزية من اصحاب معامل الادوات اللاسلكية وتجارها اكثر من نصف مليون جنيه سنويًّا

فالكهربائية ، التي كانت الى عهدٍ قريب مجرَّد لعبة وتسلية ، قدصعدت بسرعة فائقة عديمة المثال في التاريخ ، الى ذرى المجد والسؤدد ، فاحتلت المكان الاول في العلوم التطبيقية فهي اليوم اعظم اداة للعمران، واذا زالت تطبيقاتها من الوجود تصدعت اركان الحضارة ، وزال اظهر مميز لمدنية العصر الحاضر عن مدنيات العصور التي تقدمتهُ

وللكهربائية تطبيقات عديدة في شؤون الحياة ، فان استخدامها في التلغراف والتلفون والتنوير وتسيير القاطرات وتحريك الآلات، اشهر من ان تذكر. ولكني احصر كلامي الآن في ناحية واحدة هي الناحية الكيماوية التي قد لا يفقهها الكثير من عامة المتعلمين . ومن هذه الناحية تدخل الكهربائية في حياتنا من مئات الابواب من غير ان نشعر . وقلما تجدون مادة او سلعة تجارية الاَّ ولها بالكهربائية صلة قريبة او بعيدة لان اكثر المواد الاساسية تحضَّر اليوم بطرق كهربائية

خذ مثلاً « ملح الطعام » . هذا الملح الابيض الذي نستعملهُ مراراً كل يوم ، يكثر في ماءِ البحر ، وفي بعض طبقات الارض . فاذا مرَّ في محلولهِ المائي تيار كهربائي نتج من ذلك المحلول ثلاث مواد اساسية ، هي الكلور والهيدروجين والصودا الكاوية. وهذه المواد الثلاث تحضر اليوم بالقناطير والاطنان من ملح الطعام، بواسطة المولدات الكهربائية ، كما في معامل شلالات نياغرا باميركا

﴿ الكلور في الصناعة ﴾ فالكلور ، وان كان مجهول الاسم عند الكثير من الناس ، يدخل في كثير من ضروريات الحياة. فيضاف بعضهُ الى ماء الشرب لتطهيرهِ من الجراثيم، وخاصة جراثيم الحمى التيفويدية . وقد كان استعمالهُ سبباً في منع تفشي هذا الداء الفتاك . على ان المقادير اللازمة منهُ لهذا الغرض هي قليلة .لان قطرة واحدة منهُ سائلاً تكفي لقتل الجراثيم في ثمانين لتراً من الماء . واما معظم الكلور فيستخدم في الصناعات الكيماوية .

يضاف بعضهُ الى الجير لصنع المسحوق المبيّض ، الذي يزيل الالوان في صنع الورق ، والمنسوجات وغيرها فيقصرها . ويستخدمون بعضهُ في تحضير بعض اصباغ القطران ، كصباغ النيل . وكذلك في تحضير العقاقير الطبية ، كالكلوروفورم ، وفي صناعات كيماوية اخرى كتنقية الزيوت ، وتحضير البنزين ، واستخلاص المعادن . ثم انهُ اساس حرب الغازات فهو نفسهُ اول غاز سام أُستعمل في الحرب العظمى . كما انهُ مادة اساسية لتحضير معظم الغازات والابخرة السامة ، مثل غاز الفوسجين ، وغاز الخردل ، والكلوروبكرين ويدخل ايضاً في صنع المفرقعات ، وفي تركيب المواد المهلكة للحشرات في فن الزراعة

وما قيل عن الكلور المستحضر بالحل الكهربائي يقال كذلك في المادتين الآخريين ، الهيدروجين والصودا الكاوية . ولزيادة الايضاح اذكر علاقة هذه النواتج الكهربائية بامر بسيط وهو « الجوارب » المصنوعة من القطن ، التي قد لا يستغني عنها متمدّن . فالهيدروجين غاز اذا احرقناهُ في الهواء اتحد بالاوكسجين فتكوَّن من اتحادهما الماء وبقي الازوت او النتروجين . ويتحد هذا الغاز الاخير بالهيدروجين ، في احوال خاصة ، فيتولد من اتحادهما غاز النشادر المستعمل في صنع الجليد . الاَّ ان اهم فوائد النشادر استخدامهُ في تحضير الاسمدة الزراعية ، ولاسيما كبريتات النشادر ، وفصفاته ، التي ترسل الى البلاد الزراعية ، كمصر ، غذاء لشجرة القطن . وعند ما تكبر شجرة القطن ، وتصل الى نهاية النمو تصاب احياناً ببعض الامراض فيعالجونها بمواد كيماوية كزرنيخات الكلسيوم التي تحتاج في تحضيرها الى الكلور المحلل بالتيار الكهربائي . وبعد جني القطن وحلجهِ وغزلهِ خيوطاً يقصَر اي يجعَل لونهُ ابيض ناصعاً بغاز الكلور المجهز بالتحليل الكهربائي او بمسحوق ازالة الالوان الذي يستحضر بواسطتهِ . ولكي تصير خيوط القطن لامعة كالحرير تعالج بمحلول الصودا المستحضرة من ملح الطعام بالتحليل الكهربائي ، فيصير القطن بهذه الوسائل ابيض ناصعاً برّاقاً . واذا أُريد صبغهُ باللون الاسود او بغيرهِ من الالوان استعملت بعض اصباغ القطران ، التي تحتاج في تحضيرها الى غاز الكلور الناتج عن الحل الكهربائي . هذه هي قصة مختصرة للجورب وعلاقة الكيمياء الكهربائية بهِ . وما يقال عن الجورب والمنديل يقال كذلك عن كل مرافق الحياة

﴿ الكيمياء والتعدين ﴾ ومن الصناعات الكيماوية المتصلة بالكهربائية اتصالاً وثيقاً صناعة التعدين فالحديد الصلب يجهَّز اليوم في افران كهربائية . واكثر المعادن تستخلص من مركباتها الطبيعية بالتحليل الكهربائي ، بعد ان كانت تستخلص بالطرق الكيماوية العادية ، ولكن بحالة غير نقيَّة . ونقاوة المعادن تؤثر في خواصها تأثيراً بالغاً . فيجب ان لا

يحتوي الالومنيوم على اكثر من جزء واحد في المائة من المواد الغريبة ، والاَّ تغيرت خواصهُ . والرصاص لا يحتمل اكثر من جزء من الف من المواد الغريبة ، وكذلك القصدير . اما النحاس فلا يحتمل اكثر من خمسة اجزاء في عشرة آلاف جزء . واذا اتصل جزء من البزموت بعشرين الف جزء من النحاس ، وزناً ، صار قصماً ، غير قابل للسحب والمط وصنع الاسلاك . من هـذا تتبينون ما لتحضير المعادن نقية بواسطة التيار الكهربائي من الشأن الخطير

هذا وان معدن الالومنيوم خاصة لا يمكن استخلاصه من ركازه بتسخينهِ بفحم كوك . فالطريقة التجارية لانتزاعه من خاماته الطبيعية هي بتحليلها مصهورة بالتيار الكهربائي . فتنحلّ تلك الكتل الى اوكسجين والومنيوم . وقد كشف هذه الطريقة الكهربائية شاب امريكي فقير يدعى « هول » وهو في الثالثة والعشرين من العمر . ولما مات سنة ١٩١٤ ترك ثروة تقدَّر بالملايين من الجنيهات . وذلك لان الالومنيوم متحلٍّ بكثير من الصفات التي تجعلهُ خليقاً بالرواج . فهو معدن متين ، مع انهُ اخف وزناً من الحديد ثلاثة اضعاف حجماً لحجم . وهو قابل للمط والانطراق ، وموصل جيد للحرارة والكهربائية ولا يتأكسد بالهواء . وهذه الخواص تجعلهُ جديراً بالاستعمال في شؤون كثيرة : فتصنع منهُ كميات كبيرة من اواني الطبخ والمائدة . ويحلُّ محلَّ النحاس في المنشآت الكهربائية وخاصةً في صنع الطيارات والسيارات . وتستخدم صفائحهُ في التفضيض ، لانها تحفظ بريقها ولا تسودّ ، كالفضة في الهواء . ويستعمل مسحوقهُ في بعض الزيوت كدهان للحديد لمنع صدئهِ . ويدخل في تركيب بعض السبائك المعدنية فبرنز الالومنيوم ، او المعدن الذهبي هو سبيكة من النحاس والالومنيوم ، لها مظهر الذهب ولا تصدأ بالهواء . ومخلوط الالومنيوم مع القصدير يستعمل بدل النحاس . ويفضلهُ في انهُ اخف وزناً واقل عرضة للتلف وفوق ذلك يستخدم الالومنيوم في لحم المعادن باللحام المعروف بالترميت . ولولا التيار الكهربائي لما تمتع العالم بهذا المعدن المفيد الثمين . وكان قبلاً يباع الرطل منهُ بمائة واربعين ريالاً (٢٨ جنيهاً) لندرة وجودهِ . فلما صار يستحضر بواسطة التيار الكهربائي شاع استعماله حتى يباع رطله الآن بخمسة غروش

﴿ الفرن الكهربائي ﴾ ويجمل بي في هذا المقام ان اقول كلمة في الفرن الكهربائي . وما يصنعهُ الكيماوي بواسطته . وسترى انهُ آلة غريبة تعد من معجزات العلم الحديث . فمن العمليات التي تهم الكيماوي كثيراً عملية التبريد والتسخين . لما غمس الطبيعي الالماني فهرنهيت سنة ١٧٢٠ ترمومتره المعروف ، في مخلوط الملح والجليد هبط زئبقه ٣٢ درجة

عن درجة الجليد . فتوهم انهُ بلغ ادنى درجات الحرارة فدعا تلك الدرجة درجة الصفر ولكنهُ بعد ذلك ثبت ان درجة الصفر المطلق هي تحت صفر فهرنهيت بنحو ٤٥٩ درجة . وقد تمكن العلماء في السنوات الاخيرة ، بطرق التبريد المؤسسة على تمدد الغازات الفجائي من الوصول الى ما يقرب من درجة الصفر المطلق وهي ٤٥٩ درجة تحت الصفر . فيمكنهم تحويل الغازات اجساماً صلبة . وفي امريكا يبيعون ثاني اكسيد الكربون المتجمد كما يبيعون الجليد بمصر . ويستعملونهُ في التبريد ، وحفظ الاطعمة . فباستطاعتهم حفظ الجلاني والدندرمه ، والاطعمة المعرَّضة للفساد وتصديرها من امريكا الى اوربا والبرازيل،دون ان تذوب او تفقد شيئاً من خواصها

هـذا من جهة التبريد ، او درجة الحرارة المنخفضة . اما من جهة التسخين او درجة الحرارة المرتفعة فقد كانت اقصى درجات الحرارة التي استعملها السباكون والمعدنون في العهد الماضي هي درجة حرارة الفحم المنفوخ فيهِ بالهواء او الاكسجين ولكنهم بعد اكتشاف القوس الكهربائي والدينامو تمكنوا من عمل افران كهربائية تبلغ فيها درجة الحرارة ١٤٠٠٠ فوق الصفر . وهي اعلى من حرارة الشمس ٣٠٠٠ درجة وعلى هذا اصبح لدى الكيماوي ، او الصانع الحديث مدًى متَّسع من درجات الحرارة لايقل عن ١٤٤٥٠ درجة . فاستطاع الكيماوي ان يأتي بالمعجزات لانهُ كلما ارتفعت درجة حرارة الجسم اصبح ذليلاً ، وضعفت فيهِ قوة الاستمساك الطبيعية . فيلين الجسم القاسي اولاً ، ثم يرتخي ثم يسيل ثمَّ تتباعد دقائقهُ ويتحول بخاراً . ثمَّ تنحل ذرات دقائقهِ وتنحل المركبات الى عناصرها الاصلية البسيطة . واخيراً تطير من تلك الذرات بعض كهاربها التي يعادل الواحد منها جزءًا من ١٨٠٠ من ذرة الهدروجين . وهـذه اصغر وحدة في الكون . وجميع خواص العناصر الطبيعية والكيماوية تتوقف على عدد الكهارب في ذراتها . وبتغيير عددها ونظامها يمكن تحويل العنصر الواحد الى عنصر آخر

فالفرن الكهربائي بدرجة الحرارة المتناهية في الارتفاع المقرونة بقوة التيار المرشدة يعدُّ آلة سحرية في يدالكيماوي لاحداث تغييرات وتحولات غريبة في المادة ، لا تخطر على بال ، وبذلك حولوا الكربون الى الماس والفحم الى الجرافيت المستعمل في صناعة اقلام الرصاص. وبهِ تمكنوا من فصل عنصر الفلور انشط العناصرالكيماوية الذي يفعل بالزجاج . وبهِ يحضرون عنصر الفصفور من كتله الطبيعية ويستعملونهُ في وجوه كثيرة ، اهمها صناعة عيدان الثقاب (الكبريت) . وبهِ توصلوا الى فصل عنصر السلكون المعدود من العناصر المستعصية ولم ترهُ العين فيما سلف

﴿ بناء الاجسام العضوية ﴾ وبالتيار الكهربائي يمكن عمل ما هو عكس العمليات السابقة . اي يمكن بناء مركبات معقدة كالتي تتكون في جسم النبات من عناصر بسيطة . خذ مثلاً مادتين بسيطتين ، هما الجير والفحم فاذا مرَّ بمخلوطهما تيار كهربائي انفصل عنصر الكلسيوم عن الاكسجين ، واتحد بالكربون وكوّن مادة جديدة تدعى كربونور الكلسيوم. وهذه المادة الجديدة التي يصنعها الكيماوي بالفرن الكهربائي ، من عنصرين بسيطين هي المادة الاولية لبناء جميع المواد العضوية، فهي قنطرة اتصال العالم العضوي بالعالم غير العضوي. فقد كان الشائع قديماً ان جميع المواد المستخرجة من الحيوان والنبات تتكون بتأثير قوة حيويَّة ، وليس في وسع الكيماوي بناؤها من عناصرها البسيطة. ولكن هذا الاعتقاد قد تهدَّم ، واصبح الاشتمال في العالم العضوي ايسر منهُ في غير العضوي . ولو كان الكيماوي لا يزال عاجزاً عن محاكاة الطبيعة ، كل العجز

قلت ان كربونور الكلسيوم الذي يجهز بالفرن الكهربائي ، مادة أولية يبنى عليها معظم المواد العضوية . ولبيان ذلك اقول. اننا اذا القينا قطعة منهُ في الماء اخرجت غازاً ، اذا لامسهُ اللهب احترق متفرقعاً . وهذا الغاز هو الاستلين المشهور ، بالنور الخاطف الابصار ، المستخدم في الدراجات والسيارات . واذا حرق هذا الغاز في الاكسجين التي انتج اشد اللهب الكيماوية حرارة . فيقطعون بهِ الواح الفولاذ كما يُقطع الخشب بالمنشار فتشقُّ لهبهُ لوحاً من الفولاذ سمكهُ خمسة سنتمترات بسرعة ٢٥ سنتمتراً في الدقيقة كما يشق الخياط الاقمشة القطنية. واذا اضيف غاز الاستلين الى ماء فيهِ قليل من الحامض وملح الزئبق اتحد بالماء وكوّن مركباً عضويًّا يدعى « استلدهيد » . واذا مزج بخار الاستلدهيد بالهيدروجين ، ومرّ المزيج على سلك من النكل اتحد — الهيدروجين والاستلدهيد — ، وكوّنا الكحولاً . وهو نفس الالكحول الذي يحضر بطريقة الاختمار من الفاكهة والحنطة ، ويشربهُ الشاربون في الجعة والنبيذ . ويسهل تحويل الاستلدهيد الى خل ، او الحامض الخليك ، بالبكتيريا وبعوامل بسيطة. ويتحد الحامض الخليك بالجير ويكوّن خلات الكلسيوم ، التي تتحلل بالتسخين وتكوّن مادة عضوية ، تسمَّى الاستون ، المستعمل لاذابة كثير من المواد الصلبة . واذا اتحد الاستون بغاز الاستلين كيماويًّا نتجت عنهُ مادة تسمَّى « ايسوبريم » وهي مادة المطاط الاساسية ، او الكاوتشوك . وكان الالمان، في اثناء الحرب يحضرون الكاوتشوك منها وهكذا اذا بدأنا بالفحم والجير والفرن الكهربائي وصلنا الى اعقد المركبات العضوية بناءً كالكاوتشوك وغيره

اترك الجير وانتقل الى الرمل . يتركب الرمل من مادة تسمَّى سليكا ، وهي مادة

لا تنصهر، ولذلك يخلطونها ، في صنع الزجاج ، بالصودا ليسهل صهرها . غير انهم في المدة الاخيرة توصلوا بالفرن الكهربائي الى صهر السلكا النقية ، وصنع اوان شفافة كالزجاج

وهذه الاواني والاجسام يمكن احماؤها الى درجة الاحمرار ، وغمسها في الماء البارد دون ان يصيبها كسر ، وهي شفافة تنفذها اشعة الحرارة ، وكذلك اشعة النور الى حدّ يمكنك من قراءة الكتابة وراء قطعة منها سمكها عشرون سنتمتراً ويصنعون منها اليوم اواني المطبخ والمائدة

هذا واذا مرَّ القوس الكهربائي في مخلوط الرمل والفحم تولَّدت منهما مادة زرقاء او سوداء، تشبه الماس جمالاً وصلابة تسمى « كربوراندم » . كان اول من اهتدى الى هذه المادة يبيعها الرطل بـ ١٢٠ جنيهاً ، على انها حجر كريم . وهي تأتي بعد الماس في الصلابة وقوة خدش الاجسام . وهي تفوق الصنفرة (اكسيد الالومنيوم) في شحذ المعادن مع اقتصاد الحرارة . ومنها يصنعون الرحى والاهوان واحجار الشحذ والقماش المصنفر ، ولها فوائد جمّة . ويصنع منها سنويًّا في كندا والولايات المتحدة ما يبلغ ثمنهُ الملايين من الريالات. واذا فعل عنصر الكلور « بالكربوراندم» وكلاهما حاصل الكهربائية ، حلّ الكلور محل الكربون ، فتكوَّن منهما مركب جديد يسمى كلورور السلكون الرابع وهو يكوّن مع الهواء الرطب والنشادر دخاناً كثيفاً. وقد استعمل مخلوطاً بالنشادر في الحرب العظمى لاحداث حواجز من الدخان لاخفاء مواقع المدافع والجنود والبوارج عن اعين الاعداء . وكانوا يضعون بعضهُ في القنابل ليروا مواضع انفجارها فيعرفون مدى مرماها . وهنالك مادة اخرى تسمى كلورور التيتانيوم الرابع وهو افضل من كلورور السلكون الرابع في احداث الدخان والضباب الكثيف . وهذه المادة ايضاً تحضر بالفرن الكهربائي

﴿ تثبيت النتروجين ﴾ واهم تطبيق كيماوي بالكهربائية في شؤون الحياة استخدامها في تثبيت النتروجين الجوي بطرق متنوعة. ان قصّة عنصر النيتروجين من اغرب القصص وافيدها . هذا العنصر متكبر يميل الى العزلة ،ولا يحب الاتحاد الكيماوي بغيره من العناصر. ولهذا يوجد في الهواء على حالته العنصرية مخلوطاً بالاكسجين بنسبة ٤ الى واحد حجماً . وهو لا يكلف شيئاً ،كما انهُ لا يصلح لشيء. غير ان مركباته الكيماوية كالنشادر والحامض النتريك ومشتقاتهما من افيد المركبات واشدها لزوماً لصنع المفرقعات والاسمدة الزراعية . وقدكان ،صدر المركبات النتروجينية الوحيد ملح شيلي او نترات الصوديوم . ويبلغ ما استخرج من مناجم شيلي من هذا الملح ٧٠ مليون طن . ويرى الفنيون ان

هذا الملح سينفد بعد سنوات قليلة . ولا بد من ايجاد مصادر اخرى لاستحضار الحامض النتريك والنترات . والاَّ تعرَّض العالم لازمات زراعية شديدة . لذلك حوَّل الكيماويون وجوههم شطر اكبر موارد النترات وارخصها ، وهو الهواء محاولين ادخال نتروجينهُ في مركبات كيماوية . فاستعان بعضهم بالكهربائية فانقاد لهم العنصر المتكبر صاغراً فحولوهُ الى حامض نتريك ونترات ومفرقعات واسمدة . فاذا اطلقت الشرارة الكهربائية في مزيج الاكسجين والنتروجين اتحد هذان العنصران اتحاداً كيماوياً فتألف منهما فوق اكسيد النتروجين واذا عولج هذا بالماء كوَّن الحامض النتريك ويمكن تجهيز النترات من الحامض باضافة القواعد اليهِ . وتستخدم في الصناعة افران ذات اقواس كهربائية كبيرة شديدة الحرارة تبلغ درجتها ٦٠٠٠ درجة . وطول القوس الكهربائي فيها ٢٣ قدماً على شكل لهب حلزونية . وبمرور تيار الهواء الساخن في هذه الافران على لهب القوس بسرعة ثم يُدفع الاكسيد المتولد في انابيب يحيط بها الماء البارد ، وينقل منها الى اسطوانات رأسية حيث يتأكسد ما فيهِ من الاكسيد النتريك الى فوق اكسيد النتروجين بالاكسجين المتخلف . ثمَّ تطرد الغازات في ابراج مرتفعة يقطر فيها الماء فيتحد الماء بالغاز مكوناً الحامض النتريك ويمر ما بقي في محلول الصودا فيكوّن نتريت الصوديوم

ويخزن الحامض في احواض من الجرانيت . ثمَّ يعدَّل بالحجر الجيري او الجير ويبخر المحلول ويباع الناتج في الاسواق باسم ملح النرويج ، او ملح الهواء ويسمَّى كيماوياً نترات الكلسيوم . وتستعمل هـذه الطريقة في البلاد ذات المنابع الكهربائية الرخيصة كبلاد نروج التي تكثر فيها مهابط الماء التي تستخدم في توليد الكهرباء من غير نفقات طائلة . وتستخدم الشركات في بلاد نروج ما يعدل قوة نصف مليون حصان من القوة بالاستمرار في تثبيت النتروجين الجوّي . ويقال ان الحكومة المصرية اليوم تدرس مشروع توليد الكهرباء من خزان اصوان . واذا نجح العمل امكننا تثبيت نتروجين الهواء بهذه الطريقة وتوفير مبالغ طائلة واوجدنا عملاً للملايين من الايدي الفارغة التي اذا تركت هملاً هددت السلام والامن تهديداً عظيماً

هذه كلمة شتيتة تبين بالاختصار بعض ما يصنعهُ الكيماوي الكهربائي ، وتظهر اثر الكهربائية في اعمالنا الحيوية كبيرة وصغيرة من صلب والومنيوم ونحاس ومنسوجات وورق واطعمة واسمدة ومفرقعات ومطاط وادوية وزجاج وحجارة كريمة وجرافيت وعيدان ثقاب ومواد مبيدة الحشرات وزيوت وغازات سامة وغير ذلك من المواد التي لا تقوم للحضارة او الصناعة قائمة بدونها

الرائد

القصيدة التي نالت الجائزة الاولى في مباراة المقتطف

تَحفَّزَ حتى القُطب في وثباتهِ ... وحلّق حتى الشُّهْب في رغباتهِ

وزاحَمَ نَسْرَ الجوّ في طيرانهِ ... وصَالَ على عُقبانهِ وبُزاتهِ

وأقلقَ حُوتَ البَحْرِ في مُسْتَقَرّهِ ... وَرَوَّعَ وَحْشَ البرّ في فَلَواتهِ

فما شَهِدَتْ عَيْنُ الزَّمانِ كَرَائدٍ ... تَمَرَّس بالاهْوالِ في غمراتهِ

يَهُونُ عَلَيهِ أنْ يُضحّي بِذاتهِ ... وأكرَمُ حَيّ مَنْ يُضحّي بِذاتهِ

يُوَدِّعُ مَغْنَاهُ ويَمْشِي إلى الرَّدَى ... وحيداً وصرفُ الدَّهرِ بعضُ عداتهِ

حَقيبَتُهُ تُفضِي إليكَ بِسرّهِ ... ومِرْقبُهُ يُنْبيك عَنْ عزَماتهِ

عَصاهُ عصا (موسى) ومنهُ تفجّرت ... يَنابيعُ علمٍ قبْلَ ضَرْبِ صفاتهِ

فَفِي كُلّ أُفقٍ مِنْ أشعّةِ فكرِهِ ... وَفي كُلّ وادٍ مِنْ صدَى كَلِماتهِ

وَفي كُلّ قفرٍ صفْحَةٌ مِنْ كتابهِ ... وَفي كُلّ نَهرٍ قَطْرَةٌ مِنْ دواتهِ

وفي كُلّ لُجّ مَسْرَبٌ لِسَفِينه ... وفي كُلّ قطبٍ مَرْكَزٌ لأداتهِ

وَفي كُلّ فجرٍ مَسْرَحٌ لِخَيالِهِ ... وَفي كُلّ ليْلٍ مَعْبَدٌ لِصَلاتهِ

يطيرُ إلى القُطْبِ الشماليّ صاعِدًا ... وفي البَحْرِ هَوْلُ القَبرِ في فَجَواتهِ

ويَهْوي إلى القُطبِ الجَنُوبيّ هابطاً ... يَشُقُّ حِجابَ الغَيْبِ في خَطَواتهِ

يَفِلُّ جُيُوشَ الزَّمْهرِيرِ مُغَالِباً ... عَناصِرَ كَوْنٍ لَوَّحَتْ قَسَماتهِ

وكَمْ جَازَ أصقاعَ الجَليدِ وحفّهُ ... ضَبَابٌ كَثيفٌ حالَ دُونَ نَجاتهِ

يسدُّ عليه الثلجُ حيناً سبيلهُ وحيناً يقيه الثلجُ من عثراته
ويغمرهُ الليلُ البهيمُ وقلبهُ يحسُّ دبيبَ الموتِ في نبضاته
وكم خطرٍ يجتازهُ متسلقاً إلى جبلٍ أوفى على هضباته
وكم شاقهُ وادٍ فمرَّ بجدولٍ تدفق حتى سالَ عن جنباته
وأفضى إلى غابٍ فراعَ فؤادهُ تخيّج أفاعيه وسمُّ نباته
تهبُّ عليه الريحُ نكباءَ زعزعاً وتمتزجُ الرمضاءُ في زفراته
ويفري الفيافي والجوى ملءُ صدرهِ كأنَّ لظى الصحراءِ نفثُ لهاته
تجوسُ الضواري وهي تزأرُ حولهُ فتحرمهُ في الليلِ طيبَ سباته
فيا لغريبٍ يلتقي الهولَ وحدهُ ويقضي فقيراً بعدَ مكتشفاته
يكادُ يزيحُ السترَ عن كلِّ غامضٍ ويفتتحُ الأفلاكَ في غزواته
يطالعُ سفرَ الكونِ حتى إذا انثنى أضافَ على المكتوبِ من صفحاته
فيرتشفُ الروّادُ من قطراته ويقتطفُ الروّادُ من ثمراته
وينظمُ للأجيالِ خيرَ قصيدةٍ يدوّنها التاريخُ في حسناته
وينشدُها السمّارُ في هدأةِ الدجى ويذكرُها الطيّارُ في رحلاته
وما العمرُ إلا رحلةٌ إثرَ رحلةٍ يكابدُها الإنسانُ قبلَ مماته
فمن عاشَ عيشَ الظافرين تبسّمت لهُ صفحاتُ الكونِ في خلواته
ومن ماتَ موتَ الرائدينَ مغامراً فدى العلمِ كانَ الموتُ بدءَ حياته

حليم دموس

شوبرت قبيل وفاته، وتوقيعه

شوبرت في حداثته

مقتطف يناير ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٥

شوبرت: الموسيقي الشاعر

عاش ٣١ سنة ولكنهُ ملأ الدنيا انغاماً شجيّة

الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاته

قال لست: « ان شوبرت أعظم الموسيقيين شاعرية ». وقال بيتوفن: « في شوبرت قبس من الشعلة الالهية ». وقال شومان: « يستطيع شوبرت ان يلحّن فأساً »

هذه هي آراء ثلاثة من اعظم ائمة الموسيقى في شوبرت. تُرى ماكانوا يقولون الآن لوكانوا احياء يشاهدون الاحتفال بنبوغهِ على ذكر وفاتهِ في كل بلاد متمدنة. ففي اليوم التاسع عشر من نوفمبر الماضي انقضت مائة سنة على وفاتهِ، رأى العالم في اثنائها نجم شهرتهِ الضئيل طالعاً في افق الفن كوكباً متألقاً — وبعد ما قضى هذا الموسيقيُّ فقيراً خامل الذكر اصبحت موسيقاهُ ثروة فنية تطرب وتشجي الالوف وصار اسمهُ ذكراً خالداً في هيكل الفن الخالد

وُلد في ڤينا في اليوم الاخير من شهر يناير سنة ١٧٩٧ فكان الولد الثالث عشر في اسرة بلغ عدد اولادها تسعة عشر ولداً. وكانت اسرتهُ وضيعة المحتد الاَّ ان جدَّهُ كان قد ادرك بزكانتهِ وذكائهِ ان التعليم والتهذيب اكبر ثروة يتركها لابنائهِ فجوزي عن ذلك بان بلغ اثنان من اولادهِ مرتبة اهّلتهما للتعليم. وكان احدهما ابا شوبرت

ظهرت مواهب المترجَم منذ نعومة اظفارهِ فقد قيل انهُ كان يستطيع ان يغني قبلما كان قادراً ان يمشي. وعلّمهُ ابوهُ ان يضرب على الكمنجة لما اصبح قادراً ان يحمل في يدهِ قوسها ثم علمهُ اخوهُ الاكبر الايقاع على البيانو. ولم يلبث ان ظهرت عبقريتهُ الكامنة فعهد في تعليمهِ الى ميخائيل هولزر وهو موسيقي بارع ولكنهُ معلم ضعيف. والمرجَّح انهُ لم يعلم شوبرت شيئاً

واتفق حينئذٍ انهُ حدث فراغ في المدرسة التي تمرن جوقة الغناء لكنيسة الامبراطور فأُرسل شوبرت ليتبارى مع المتبارين لملء هذا الفراغ

كان صغير الجسم — بلغ طولهُ في رجولتهِ ٥ اقدام وبوصة واحدة — منتفخ الخدّين كثيف الشفتين ويلبس على عينيهِ نظارتين اطاراها من الحديد. وكان شعرهُ اسود

جداً ومنظرهُ العام زريًّا . لذلك لما وصل الى الغرفة التي اجتمع فيها الاحداث المتبارون سرت بينهم بسمة سخرية وتهكم لم تلبث ان ارتفعت قهقهة اتصل اثرها بمديري المباراة فلم يملكوا انفسهم عن الابتسام . وكان الفتى شوبرت مضطرباً متعثراً في كلامهِ وخطواتهِ فضاعف استقبالهُ هذا الاستقبال ما فيهِ من قلق واضطراب

ثم جاء الامتحان ووقف كلٌّ من الفتيان امام المحكمين ينشد على حدة . فلما وقف شوبرت سرت البسمة من جديد . ولكن صوتهُ لم يرتفع في فضاء الغرفة حتى تحوّل استهزاؤهم استحساناً . ذلك انهُ صبَّ كل قواهُ على العمل الذي بين يديهِ ناسياً انهُ امام جمهور يسخر منهُ وغير عابئ بما كان يحس بهِ من قلق واضطراب وجعل ينشد كما تنشد الطير في الرياض غير عابئةٍ بحوادث الكون او رزايا الحياة . فسرى اثر نشيدهِ كما يسري تيار كهربائي وجلس المحكمون والفتيان كأنهم تماثيل مشدوهة يصغون اليهِ

ففاز بالجائزة الاولى وقضى سنوات في هذه المدرسة احكم في اثنائها اواصر الصداقة مع نفرٍ من التلاميذ كانت صداقتهم لهُ اكبر معوان على اظهار آيات نبوغهِ

ويقال انهُ اراد ذات يوم ان يضع تأليفاً موسيقيًّا للبيانو فشكا الى صديقهِ سبون حالتهُ واسرَّ اليهِ انهُ لا يملك ورقاً خاصًّا بكتابة العلامات الموسيقية وانهُ لا يستطيع ان يبتاعهُ لان اهلهُ فقراء « لا يستطيعون ان يرسلوا اليَّ نقوداً لابتاع بها هذهِ الاشياء » . فذهب سبون واشترى لهُ من الورق ما يكفي لكتابة تأليف موسيقي كبير . ومع ان خط شوبرت الموسيقي كان دقيقاً ملأ تأليفهُ هذا اثنتين وثلاثين صفحة . ولما وجد سبون انهُ يتعذر عليهِ ان يبتاع لشوبرت كلَّ ما يحتاج اليهِ من الورق الموسيقي طلب الى اثنين من اصدقائهِ واصدقاءِ شوبرت ان يشتركا معهُ في ذلك . ففعلا

لا يُعرَفُ في تاريخ الفن ما هو ابلغ اثراً في النفس من اخلاص هؤلاءِ الاصدقاءِ لصديقهم الفقير الدميم وتفانيهم في سبيل اعلاء شأنهِ . وقد بقوا مخلصين لهُ طول حياتهِ وكان هو يعترف بفضلهم عليهِ

ولما كان في السادسة عشرة من عمرهِ أُصيب في حلقهِ بما افقدهُ صوتهُ ، وكان هذا الضعف الذي يصيب بعض التلاميذ يحسب شيئاً فنيًّا اقلُّ نتائجهِ اخراج صاحبه من المدرسة . ولكن المديرين اعتبروا شوبرت تلميذاً ممتازاً فعاملوهُ معاملة ممتازة ولكنهُ ابى فترك المدرسة واشترك مع ابيهِ في تعليم فرق المبتدئين في مدرستهِ ومع كرههِ للتعليم اضطرَّ ان يزاولهُ ليتخلص من التجنيد الاجباري . ولكنهُ ظلَّ يدرس الموسيقى على ساليري في الليل بعد ما يقضي نهاره في التعليم

وكان ساليري رجلاً يمتاز في كثير من الامور ولكنهُ لم يكن اهلاً لتعليم هذا الموسيقي النابغة . علـم بيتوفن فن « السوناتا » فرفع بيتوفن اليهِ احد مؤلفاتهِ الموسيقية اعترافاً بفضله ، ولكنهُ لم يكن ذا نظر ينفذ الى البواطنِ فلم يدرِ ان سرّ نبوغ شوبرت هو في تلك الشاعرية الفياضة التي لا يماثلها في الطبيعة الاّ تغريدة البلابل وزقزقة الاطيار والتي لا تجد غير الاغنية والانشودة هيكلاً لها . فحملهُ خطأً على تأليف الاوپرا فانصرف حيناً اليها ولكنهُ لم يفلح في واحدة منها . فتركها جانباً بعد ما شعر بمرارة الخيبة . وتناول ورقاً موسيقيًّا وجعل يدوّن عليهِ موسيقاهُ الغنائية ومقامها في عالم الموسيقى كمقام القصائد الغنائية التي نظمها كيتس وشلي الانكليزيان وهيني الالماني ولامارتين الفرنسي في عالم الشعر

وفي احد الايام زارهُ سبون فوجدهُ اشعث الشعر مشوّش الهندام جالساً الى مكتبهِ يدوّن على الورق اناشيد « الارلكنج » وهي الاناشيد التي لحّـن بها قصيدة وضعها غوته في وصف هذه الاسطورة من اساطير الالمان . فلما سمع غوته موسيقى شوبرت فيها قال: «لو كانت الموسيقى اداة فكري لا نظم الكلام لكنت اخرجت هذه الاسطورة كما اخرجها شوبرت» . ومع ذلك كتبها شوبرت كلها في ساعة واحدة على ما فيها من الجمال والقوة واختلاف المشاهد والالوان وسحر الحلاوة في انغامها والحانها

وسألهُ سبون يوماً عن المدرسة ففرج كربهُ مبيناً انهُ يكرهُ التعليم ولكنهُ يزاولهُ مرغماً

فتكلم سبون مع فون شوبر احد الشبان الاغنياء فزار شوبرت وعرض عليهِ ان يسكنهُ في دارهِ حيث يستطيع ان ينصرف الى التأليف الموسيقي من غير قلق او اضطراب. فقبل ما عُرض عليهِ شاكراً

***

لقد خلّف موسيقيّنا مقداراً كبيراً من التآليف الموسيقية من اوپرات وموسيقى كنسية وسمفونيّات واغانٍ وغيرها . ولكن قلّ من يعرف اوپراتهِ وندر من يجهل اغانيهُ وسمفونيتهُ التي لم يكملها . فهو خالد باغانيهِ تجدهُ فيها كأنهُ طير غرد يتنقل في كآبة وألم وشعور دقيق من غصن الى غصن فيحوّل كل معاني الحياة اناشيد شجية عذبة تسمو بالنفس الى السماء

وكانت طريقتهُ في كتابة هذه الاناشيد غريبة في سرعتها . فكأنهُ كان يحسُّ بامواج الانغام والالحان تزخر في صدره فلا يهنأ لهُ عيش قبل تدوينها . فقد جاء انهُ كتب يوم ١٥ من اكتوبر سنة ١٨١٥ —وكان عمرهُ ١٨ سنة — ثماني اغانٍ ويوم ١٩ من اكتوبر كتب سبعاً اخرى !

وكان بعد ما يتناول الطعام لا يحسُّ بوجوب الراحة بل يشرع في الحال يدوّن الاغاني التي تجول في صدره على غطاء المائدة . وبعد ما يكتب ما يمي كبار الموسيقيين كان يخطر لهُ فكر اغنية جديدة تفوق الاغاني الصغيرة التي كتبها في اتساع فكرتها واختلاف اجزائها فيتناول حينئذٍ ورقاً ويدوّن اغانيهُ الخالدة . ومن الاغاني التي كتبت كذلك « سماع . سماع الى القبّرة » . فقد كتبها في بضع دقائق في بستان جمة . ثم اعارهُ احد اصدقائهِ في المساء نفسه ترجمة لبعض اشعار شكسبير فابدع « من هي سيلفيا ؟ »

وعاش مدة مع الشاعر مايرهوفر . فكانا يتناولان الفطور ثم يأخذ كلٌّ منهما ورقاً فينظم الشاعر شعراً ويبدع الموسيقيُّ انغاماً . وفي احد الايام فرغ شوبرت مما كان منهمكاً فيهِ . ونظر الى طرف المائدة الآخر فوجد الشاعر مكبًّا على نظم قصيدة غنائية وهو كلما فرغ من ورقة يضعها جانباً ليكتب الاخرى فكان شوبرت يتناول كلَّ ورقة بعد فراغ مايرهوفر منها ويلحنها . وقد اشار الشاعر الى ذلك قائلاً « كان شوبرت يبدع لقصيدتي انغاماً قبلما يجفُّ حبرها »

وكان بعيداً عن الدعوى ولكنهُ ذهب في ذات ليلة مع نفر من اصحابهِ ليسمعوا آخر « اوبرا » وضعها روسيني الايطالي. فسئل فيها فقال اجد فيها كثيراً من الموسيقى العالية ولكني لا افهم لماذا يضع روسيني موسيقى من الطبقة المنحطة في « مفتتحها » (verture) ثم قال : لو شئت لاستطعت ان اكتب مفتتحاً يفوق هذا في جلسة واحدة

وبعد الاوبرا ذهب الاصحاب الى دار احدهم لتناول بعض المنعشات فجلس شوبرت الى مكتبٍ وقال اعطوني ورقاً حتى ابرَّ بوعدي وأؤيد كلامي . فاعطوهُ ورقاً فكتب وهم على مشهدٍ منهُ اول « مفتتح » لهُ على الاسلوب الايطالي وهو اول قطعة موسيقية لهُ من نوع موسيقى الاوركسترا عُزِفت في معاهد الموسيقى

وفي احد الليالي كان سائراً على سبيل التنزه فاتفق مرورهُ امام دار صديق فدخلها فاستقبلهُ الخادم معتذراً عن انشغال سيّدهِ فجلس في المكتبة وفيما هو ينظر الى الكتب على رفوفها رأى مجموعة جديدة من الاشعار فجعل يطالعها . وكان قوة سحرية قد تملكتهُ فدفعتهُ الى التلحين فبحث عن ورق يدوّن عليهِ هذه الانغام الشجية التي تهزّ كلَّ وتر من اوتار نفسهِ فلم يجد ولما لم يستطع ان يكظم نفسهُ خرج من دار صديقهِ خفية ورجع الى دارهِ وهناك جلس يملأ صفحات الاوراق شجواً وتطريباً . وبقي كذلك حتى انتصف الليل. وفي الصباح التالي زار صديقهُ معتذراً عن تصرفهِ الشاذ ثم قال : وهاك ما جئتُ بهِ اليك — ورمى عند قدميهِ ست اغانٍ — وضعتُها في الليلة البارحة

ولم يكن في كلّ ذلك يبغي بيع انشودةٍ من اناشيدهِ لانهُ كان يكتبها كما تفوح ازهار الوادي فتملأ الارجاء شذاً وعطراً

***

وكان بيتوفن يقطن ڤينا في اثناء حياة شوبرت . ولكنهما لم يلتقيا حتى اقترح شندلر احد معارف بيتوفن ومؤرخهُ بعد وفاتهِ ان يدبر اجتماعاً يجمعهما فيهِ . فلما سئل شوبرت في ذلك كان كمن تعرض عليهِ تاجاً وسريراً لانهُ كان يعبد بيتوفن وكان يظن ان الاجتماع شرفٌ لا ينالهُ امثالهُ فتردّد. فقال شندلر لشوبرت : لا اعلم لماذا تتردد في الاجتماع بهِ وانت تتوق الى ذلك. انك رفعت بعض اناشيدك اليهِ فلماذا لا تدعهُ يرى نسخة منها ؟

فدُبّر الاجتماع ولكن الحديث مع بيتوفن كان متعذراً لصممهِ. فدار الحديث بينهما كتابة . على انَّ شوبرت كان مضطرباً لانهُ شعر كأنهُ في حضرة ربٍّ يعبدهُ . وفيما كان بيتوفن ينظر في الاناشيد التي قدمها اليهِ شوبرت رفع بصرهُ ليسألهُ فيها فلم يجدهُ. ذلك ان شوبرت لدعتهِ لم يطق ان يكشف رب الموسيقى عن مواقع الضعف والخطأ في اناشيدهِ ففرَّ هارباً . على انهُ زارهُ وهو على فراش الموت مرتين. وفي الزيارة الثانية كان بيتوفن يحتضر فوقف شوبرت واجماً من شدة الحزن ثم نظر اليهِ نظرة طويلة وخرج وعيناهُ مغرورقتان بالدموع

ثمَّ مشى في جنازتهِ حاملاً تابوتهُ وبعد الدفن دخل مع بعض اصحابهِ حانة وشرب كأساً على ذكر « الرجل العظيم الذي دفناهُ » . ثم رفع كأسهُ ثانية وقال لنشرب الآن « كأس مَن منا يسير في أثرهِ » . وكأنهُ كان ينعى نفسهُ لانهُ اصيب في السنة التالية بحمى التيفوس ومات في ١٩ من نوفمبر ١٨٢٨

مشى في جنازة بيتوفن نحو عشرين الفاً من محبيهِ والمعجبين فيهِ. ولما مات مندلسن الالماني اقفلت المخازن في مدينتي ليبزغ وبرلين وجُلّلت الشوارع بالسواد . ومأتم شوبان في باريس كان يصحّ ان يكون مأتم ملك . اما شوبرت فذهب الى القبر كما قضى الحياة لا يحفُّ بهِ الاَّ نفر قليل من اصدقائهِ . عاش فقيراً ومات فقيراً فمجموعة أوراقهُ التي كانت تحتوي على كثير من اناشيدهِ واوبراتهِ وسمفونيتهِ غير الكاملة قدّر ثمنها باربعين غرشاً ! ولكنهُ عاش ومات غنيًّا بالعاطفة المتأججة والشعور الملتهب والنفس المتأثرة بطيوف الالوان والاصوات والاحساس . فذهب احد كبار النقاد الى ان موسيقى سائر الموسيقيين هي كالنثر البليغ الرزين ازاء ما في موسيقى شوبرت من الشعر الغنائي المرقص حيناً والمشجي احياناً . فهو كما قال فيهِ لِست « اعظم الموسيقيين شاعرية »

اؤمن بالادب

[illegible] في مقتطف ديسمبر الماضي مقالة للسر آرثر كيث العالم الانكليزي المشهور [illegible] اؤمن بالعلم وخلاصتها قوله «ان العلم [illegible] المعقول والفصل فضل العلوم». وقد [illegible] الانقادي بمقالته النفيسة هذه مثبتاً فيها ان الحياة قد تكون بلا [illegible] لا تكون الا [illegible] وهما ركنا الادب

اؤمن بالادب لاني اؤمن بالحياة

فما كان الادب الاّ التعبير عن الحياة باسمى ما استطاعتهُ الى الآن من لغات التعبير وهو الكلام. وما كانت الحياة نفسها الاّ تعبيراً ينطق بما يحويهِ باطنها للعالم، فلكل حياة مظهر ينمُّ على ما فيها تبديهِ لتوافق ما حولها او لتتميز عما حولها، واين هي الحياة التي وجدت لحظة فلم يكن لوجودها صدى في العالم الخارج؛ واين هي الحياة التي تعيش بغير تعبير؛ واين هو التعبير الجميل المتخيَّر ان لم يكن هو الادب او هو كل ما يدخل في معناهُ

حياة خرساء صماء ماذا تكون؛ وحياة ناطقة معبرة ماذا يكون نطقها في اعلاه واجمله وابلغهُ الاّ ادب الكلام وما يجرى مجراهُ في اساليب بني الانسان

انا استطيع ان اتصور الحياة بغير علم ولكنني لا استطيع ان اتصور الحياة بغير تعبيراتها لانني لا استطيع ان اتصورها بغير احساساتها. فاذا احسَّت الحياة نطقت واذا نطقت وتجمات في معانيها والفاظها فذلك هو الادب او ذاك هو الكلام الجميل

هو كلام..! نعم. ولماذا لا نريدهُ ان يكون كلاماً؛ وهو احلام..! نعم. في كثير من الاحيان. واي شيء في هذه الدنيا اصدق من الاحلام في كثير من الاحيان؛

فالواقع أو ما يسمونهُ الواقع هو الكاذب الزائل، والحلم او ما يسمونهُ الحلم هو الصادق الدائم؛ وبالاحلام نقاد الى المستقبل ولا نزال نقاد وننقاد الى ما نجهل من مصير محتوم، وأما الواقع فما هو؛ ابحث عنهُ لا تجدهُ في الواقع ولا تجدهُ الاّ في الخيال!

***

وهم يضربون المثل «بالامريكان» ويتخذونها قدوة «للواقعيات» والجهاد في اعمال الحياة. ولكن امريكا نفسها لو لم تكن حلماً في يوم من الايام لما كُشفت قط ولا ضربنا المثل اليوم بالامريكيات والواقعيات!

فعلى شواطئ امريكا اقليم واسع هو أقليم كليفورنيا . هل يعلم القارئ ما هي كليفورنيا التي لا شك الآن في انها حقيقة من حقائق العيان ؟ هي في الخرافات الاسبانية كجزائر الواق في الخرافات العربية ، هي مدينة من مدن الاوهام تخيلها الكاتب الاسباني « منتالڤو » في اواخر القرن الخامس عشر وافرغ عليها مسحة من السحر وذهباً من كنوز الخيال التي لا تنفد وجعلها على مقربة من بلاد الهند التي كانت في ذلك العهد كعالم الغيب في اوهام الرواة ، فلما شخصت السفن الى الغرب لترتاد السبيل الى بلاد الذهب والجوهر كانت قصة الملكة كلافيا صاحبة تلك المدينة في وطاب كل ملاح يشق غمار العباب من أجل ذلك السراب ! وكانت « كليفورنيا » هي الاسم الذي اختاره الرواد لارض الكنوز والاعلاق حين تمثل الحلم في وضح النهار ، ولولا تلك الاحلام وما أشبهها لبقيت امريكا في ضمير الغيب ولما أصبحت جزيرة الواق مكاناً معهوداً على خريطة هذا العالم المعمور ! ولئن بات العالم خلواً من شواسع الاقطار التي تهدينا اليها الاقاصيص فان في اطواء كل نفس لاقطاراً شاسعات لا يزال يهدينا اليها الحلم ولا نزال نشق اليها الغمار ولا تزال هي الثروة التي من اجلها ننفق الثروة وهي النضار الذي من اجله نطلب النضار

والناس يخطئون فهم « الامريكيات » التي يسمونها بالواقعيات وينكرون من أجلها الشعريات والخيالات . فما كان أبناء امريكا وسكانها متهافتين على الذهب لانهُ الذهب ولا كاسبين المال لانهُ المال . انما يتهافتون على الذهب لانهُ الوسيلة الى ما يتعطشون اليه من إحساس الحياة والعدّاد الذي يعدّون به قدرتهم على ان يعملوا عملهم ويشعروا شعورهم ويأخذوا من الآمال بنصيبهم ، فاذا بلغ بهم الذهب أقصى حدوده تجاوزوه في طلب الاحساس الى المخاطرات والمجازفات وركبوا البحر والهواء الى الموت او الى لحظة من الزمن يتجمع فيها من شعور الحياة ما هو وسق أعمار وأجيال

الاحساس هو عملة الحياة لا عملة غيرها ولا يمكن ان يكون غيرها عملة صحيحة ، فكل شيء في هذه الدنيا لا يتحول في نهاية امره الى احساس هو زيف وهباء وهو خديعة وهراء وهو عدم او كالعدم في عالم الاحياء

***

يقول العالم الكبير الاستاذ ارثر كيث في مقاله الذي ترجمهُ له مقتطف ديسمبر الماضي بعنوان اؤمن بالعلم : « اطلعت الآن في صحف الصباح على ان سكان بلادي اسكوتلندا كانوا حينما ولدت منذ اثنتين وستين سنة ٣،٢٢٥،٠٠٠ نسمة يحرثون ويزرعون ١،٤٧٠،٠٠٠ فدان اي ما متوسطهُ نصف فدان للنسمة الواحدة منهم . وقد زاد السكان الآن حتى بلغ

عددهم نحو خمسة ملايين نسمة ونقص مايحرثونهُ من الارض ويزرعونهُ الى ١٦١٤٧٠٠٠ فدان اي ان المتوسط نقص الى نحو ربع فدان للنسمة الواحدة ، ومع ذلك نرى سكان اسكوتلندا الآن أوفر راحة ورخاء من سكانها في أواسط القرن الماضي ، فطعامهم أنظف وأكثر غذاء وبيوتهم أكثر راحة ودفأ وملابسهم أليق وأغلى ونظام تعليمهم أرقى وأشمل ونفقاتهم العامة تضاعفت . وما يقال عن اسكوتلندا يقال عن انكلترا ووياس بوجه عام . فكأننا حققنا المستحيل فكيف فعلنا ذلك ? لقد حققنا هذا التقدم بثمار عقولنا التي استعملناها أدوات للعلم . والحق يقال اننا سكان الجزائر البريطانية قد عدنا لا نعتمد على حاصلات ارضنا بل على خصب عقولنا ومنتجاتها . فمساحة بلادنا يجب ألا تقاس بالفدان وألاّ يبنى على قياسها كذلك ما يمكن ان تسعهُ من السكان . وعلينا ألاّ نخوف من ازدحام السكان في بلادنا . . قبل ان تبلغ قوانا العقلية حدَّها من التقدم والاكتشاف والاختراع وتصاب عقولنا بالعقم . . . »

لهذا يؤمن العالم الكبير بالعلم ويؤمن برسالة العلماء . فالآن ما محصل كل هذا ان لم يكن محصله ان الناس يحسون في هذا العصر أحسن مما قد أحسوا قبل ستين سنة ويتشوقون أحسن مما تشوقوا ويستريحون أحسن مما استراحوا ? فالذين يطلبون الحياة بغير أدب يطلبونها بغير احساس لانها لن تحس الا عبرت ولن تعبر تعبيراً جميلا الا كان لها أدب في صورة من صور الآداب

***

ومن المقارنات الخاطئة ان يوضع العلم في المكان المقابل للادب كأنَّ العلم يمنع الادب او كأن الادب يمنع العلم او كأن الامم لا يمكن ان تتفق لها علوم وآداب في وقت واحد . فكل أمة تحسن التشوق والاستطلاع تحسن العلم وتحسن الادب ، وكل علم لا يكون باعثهُ الشعور الصادق بالحياة ولا تكون غايتهُ من هذا القبيل هو علم كالجهل او لعل الجهل خير منهُ لان الجهل كان في الدنيا وكان فيها العظماء والسعداء والغالبون والفاتحون ، بل كانت الشمس تدور حول الارض في نظر ألوف من سكان هذه الكرة السابحة في الفضاء كانوا أعظم وأقدر من أناس يعلمون اليوم انها كرة سابحة في الفضاء ! وقد سبحت الارض سبحها ولم تقف لمحة عين لان سكانها ساخوا الدهور يجهلونها ويظنون بها الوقوف

***

قال لي صديق من المؤلفين المعروفين وقد رأى في يدي ديواناً من الشعر: «ما رأيك اني لأحسب ان الشعر شيء قد مضى أوانهُ وانهُ لهوٌ قد يستهوي صغار الشبان ولكن

لا يستهوي الرجل في أوج عمره . وأراني لا أطرب اليوم لاجمل الشعر كما كنت أطرب لهُ يوم ان كان الشباب يستخفني بمرحهِ وغروره . وأنا أحب الشعر وأحب ان أُسَرَّ بهِ فما أعجب ذاك ؟ »

قلت لا عجب . فمن الذي قال ان كل لهو يلهو بهِ الرجال خير من كل لهو يلهو بهِ الشباب ؟ انك كنت في عنفوان شبابك أحيا حياةً منك في العقد الخمسين . فأنت أوفر تجربة من ذلك الشاب الذي كنتهُ قبل سنين ولكنك في يقظة العاطفة أقل مما كنت أيام استخفك مرحهُ وغروره ، فأنت تتأخر ولا تتقدم . واذا ازددت في الحكمة فشتان الزيادة في الحكمة والزيادة في الحياة . ان الحياة لا تخدعك اليوم لانها لاتبالي بك ياصاح !

ولقيني طالب «علمي» يجادل في العلم والادب ويحسب ان الدنيا مادة كلها وان كل ما عدا المادة عبث وخرافة ، وهو من رواد الصور المتحركة يكاد لا تفوته رواية تعرض فيها . فقلت لهُ : هذه المادة في جيبك وأنت تسعى بقدميك الى دور الصور المتحركة لتنفقها عن طيب خاطر . فماذا تقبض من تلك الدور عند ما تفارقها ؟ لا تقبض غير الخيالات والاحلام

انني أؤمن بالادب لانني اؤمن بالحياة . واذا قست انساناً الى انسان او امة الى امة فانما اقيسهم جميعاً بالشعور الذي يشعرونهُ والامل الذي يأملونهُ . وليس مقياس الامل الطيب انهُ واقع مشاهد والا لما كان املاً ، ولكنما مقياس الواقع الطيب انهُ يدعو الى اطيب الآمال . فاذا التمست لجميع أولئك مظهراً صادقاً يعرف بهِ فلست واجدهُ الا في عالم الآداب

عباس محمود العقاد

الشباب والمشيب

ابيات مخطوطه للمرحوم الدكتور صروف

كان الشباب وكنت ان
خطب دهاني ازدريهِ
فاتى المشيب وصرت اجـ
تنبُ النسيم واتقيهِ
يا ويح من اصباحهُ
سود النواصي والوجوهِ
ما يرتجي ان جنّهُ
ليل يضلُّ النجم فيهِ

تاريخ الغناء العربى

(٢) فى عهد خاتم المرسلين وخلفائه الراشدين

من سنة ٦١٠ إلى سنة ٦٦٢ م أو من سنة ١٣ ق ه إلى سنة ٤٠ ه

قبل أن تنجاب دياجير الجاهلية بفجر الحنيفيّة كان الغناء العربىّ فاشياً فى أمّهات القرى من بلاد العرب حيث مكة ويثرب والطائف وخيبر ووادى القرى ودُومة الجندل والرياض وعُنَيْزَة وبريدة وحائل والقطيف ومسقط ذلك إلى بلاد اليمن التى ملأها أبناء التبابعة والأقيال مثل صنعاء ومأرب وظَفَار وعدن وإلى رمال الأحقاف حيث حضرموت وبلاد المناذرة بالعراق حيث الحيرة والأنبار والأهواز وإلى بلاد الغساسنة بالشام مثل جِلّق «دمشق» وبعلبكّ وبصرى وصور وصيدا إلى غيرها على اختلاف العشائر وتعدّد اللهجات لدى أهل البداوة منهم وأهل الحضارة

فلمّا ظهر الإسلام فى صباح القرن السابع الميلادى (سنة ٦١٠ م) أى سنة ١٣ قبل الهجرة شُغِلَ العرب فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم وفى عهد خلفائه الراشدين عن الغناء العربىّ إلا قليلاً بالقرآن الكريم الذى أخذ بمجامع قلوبهم فصرفهم عن الشعر وبه التغنى ومالوا إلى الإصلاح الاجتماعى ففتحوا البلاد لهدى العباد. ولقدكان رسول الله يصدف عن جلّ أغراض الشعر الذى كان يتغنى به الأعراب ويردُّ عليه بكلام من القرآن — يروى أن الطّفيل بن عمرو السّدُوسىّ جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فقال له إنى رجل شاعر فاسمع ما أقول فقال الرّسول هاتِ فأنشد :

لا وإلهِ الناس نألمَ حربَهم ... ولو حاربتنا مُنهبٌ[1] وبنو فهمِ

ولمّا يكن يومٌ تزول نجومهُ ... تطير بهِ الركبان ذو نبأ ضخمِ

أسلما على خسف[2] ولستُ بخالدٍ ... ومالىَ من واقٍ إذا جاءنى حَتمى[3]

فلا سلم حتى تحفر الناس خيفة ... ويصبح طير كانسات[4] على لحمى

---

(١) منهب كمنذر أبو قبيلة وكمنبر فرس غويه ولد سلمى الضي وبنو فهم حى من العرب وهو ابن عمرو لا عمير ولد قيس بن عيلان منهم تأبط شرا والليث بن سعد فقيه مصر (٢) خسف نقيصة وذل

(٣) الحتم الامر وجب وحوما لا يمكن اسقاطه يريد الموت (٤) قوله على لحمى متعلق بالفعل يصبح وهو تام هنا كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . والمعنى ويصبح على لحمى طير كانسات اي متخذات لحمى كناسا ككناس الظباء فتأوى اليه . والكناس بيت الظبي

فأجابه النبيّ وأنا أقول أعوذ [٥] بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم « قل هو الله أحد ، الله الصمد [٦] . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً [٧] أحد » وقرأ غير هذه السورة فأسلم الرجل

كما روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث إلى المغيرة بن شعبة عامله على الكوفة يقول له استنشدْ مَن قِبَلك من شعراء مصرك ما قالوا فى الإسلام فأرسل المغيرة إلى لَبيد العامرىّ أحد أصحاب المعلقات وكان وقتئذٍ بالكوفة فقال له أنشدنى ما قلته فى الإسلام فكتب سورة البقرة فى صحف ثم أتى بها إلى المغيرة وقال له أبدلنى الله هـذا (القرآن) فى الإسلام مكان الشعر — ويروى أن لبيدا هذا لم يقل فى الإسلام الاّ بيتاً واحداً وهو :

الحمـد لله إذ لم يأتنى أجـلى حتّى اكتسيتُ من الإسلام سربالا [٨]

وفي رواية اخرى : —

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرء يصلحهُ الجليس الصالح

ولبيد عاش ١٤٥ سـنة منها ٩٠ سنة فى الجاهلية و٥٥ سنة فى الإسلام . وقد اختلفت الروايات فى عمر لبيد غير أن الرواة مجمعون على انهُ كان من المعمّرين المخضرمين

وما كان الدين الإسلامى وهو دين الأذان الذى يشنف الآذان لينكر سماع الغناء ويحرّمه أو يجعلهُ مكروهاً فإن النبى عليه الصلاة والسلام سمع نسوة يتغنين فى وليمة عرس فلم ينكر ذلك عليهنّ

وقد استقبله صلى الله عليه وسلم نساء من الأنصـار عند هجرته من مكة إلى يثرب (المدينة) بالدفوف والمزاهر وهن يتغنينّ بقولهنّ :

طلع البـدر علينا من ثنيات [٩] الوداعْ
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعْ
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاعْ

فلم ينكر ذلك عليهن ايضاً . وكان صلوات الله عليه يعجبه الصوت الحسن حتى خصّ بلالاً الحبشىّ بالأذان لحسن صوته وجودة نغماته وكان يأمره بقراءة القرآن فيسمع منه

---

(٥) أعوذ أعتصم

(٦) الصمد بمعنى المصمود أى المقصود فى الحاجات (٧) الكفو المماثل (٨) سربال قميص او كل ما يلبس (٩) ثنيات الوداع بالمدينة سميت بذلك لان من سافر منها الى مكة كان يودع هناك والذى فى اللسان أن الوداع واد بمكة وثنية الوداع منسوبة اليه ولما فتح الرسول مكة استقبله اماؤها يصفقن ويقلن الابيات المذكورة فتأمل الروايتين ولا مانع من انه استقبل فيهما بالنشيد مهاجراً ثم فاتحاً

والقرآن إذا قرئ بترتيل حسن وتنسيق لحروفه كان آثر فى النفس وأروح للقلب من كل قول كريم . وإن فنّ التجويد وحده جمع من ضروب الإيقاع وطرائق التلحين ما لم يجتمع فى كتاب من كتب الغناء وحسبي الإشارة إلى أحكام المدّ الطبيعى والمتصل والمنفصل واللازم وإلى الإدغام والإظهار والاخفاء والإقلاب والغُنّة وإلى حروف الهمس والجهر والاستعلاء والاستفالة والترقيق والتفخيم والرخو والشدة والتوسط والصفير والإطباق والانفتاح والإذلاق والقلقلة والابتداء والوقف إلى غير ذلك . فإن كنتم فى ريب مما أقول فسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . ولم يطلق العلماء على فنّ التجويد اسم الغناء الديني حذراً من أن يمزج العامة كلام الإنسان بكلام الرحمن وهو القرآن. وإن أقدم أنواع الغناء هو الغناء الديني ولقد كان لإمام المغنين داود عليه السلام معزفة يعزف بها إذا رتل الزبور فيجتمع عليه الجن ! والإنس والطير ! فيبكي ويبكى من حوله ! ! وأهل الكتاب يجدون هذا فى كتبهم وإليكم سفر داود ونشيد الأناشيد والنبوات. ذلك إلى الأناشيد المتعلقة بالآلهة الباطلة كما فى إلياذة هوميروس أقدم شعراء الإغريق. وقد اكتفى المسلمون بتجويد القرآن الكريم بمقتضى القراءات التى تواترت عن رسول الله وأصحابه والتابعين عن الاستعانة بآلات العزف والطرب حين ترتيله كما كان يفعل داود عليه السلام والكتابيّون حتى اليوم عند ترتيل الزبور. وحسبنا ما نشهده الآن من القرّاء فى الأفراح والأتراح فإن لقراءتهم روعة فى النفوس ورنة في الآذان فيرتاح لها اليهود والنصارى ارتياح المسلمين . وإنى قد رأيت طوائف من أهل الكتاب فى كثير من المآتم المصرية قد طربوا من قراءة الشيخ رفعت والشيخ عبد الشافى والشيخ على محمود والشيخ أحمد ندى والشيخ الصيفى وإن كان بعضهم لم يفهم معانى الآيات وكان لسان حاله ينشد البيت :

ولم أفهم معانيها ولكن شجت قلبي فأطربنى شجاها

وعن ابن جُرَيج قال سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء فقال لا بأس بذلك . وقال الامام النيسابوريّ في تفسير قوله تعالى (ورتّل القرآن ترتيلا) وهو قراءةٌ على تأنّ وتثبّتٍ ولا يحصل إلا بتبيين الحروف وإشباع الحركات. ومنه ثغر مرتّل إذا كان بين الثنايا افتراق ليس بالكثير . ومنه قال الليث الترتيل تنسيق الشيء وثغر رَتِلٌ حسن التنضيد كنَورُ الأقحوان .سئلت عائشة عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلّم فقالت لا كسرْدِكم هذا لو أراد السامع أن يعدّ حروفه لعدّها . وفي قوله ترتيلاً زيادة تأكيد فى الإيجاب وأنه لا بدّ للقاريء منه لتقع قراءته عن حضور القلب وذكر المعانى

فلا يكون كمن يعثر على كنز من الجواهر عن غفلة وعدم شعور اه . وفى أساس البلاغة للزمخشرىّ ثغر مرتل ورَتِـل مفلّج مستوى البنية حسن التنضيد. ومن المجاز رتّـلَ القرآن ترتيلا إذا ترسّـل فى تلاوته وأحسن تأليف حروفه اه . وفي المنجد الترتيل مصدرٌ خفضُ القراءة وتحسين الصوت وعند المولّـدين هو التلاحين فى الغناء وتلاوة الصلوات اه.

على أنّى لا أريد بما كتبت أن أبيح للقرّاء التلاعب في قراءة القرآن بالترقيص أو الترعيد أو التطريب إلى غير أولئك مما افتنّـه الموسيقيّـون لأن ذلك كله خروج على قواعد فنّ التجويد المستنبطة من قراءة التابعين عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اكتسب مشهورو قرّائنا فى مصر من ألحان دور التمثيل والمراقص ودور الموسيقى ما أدخلوه فى قراءتهم لهواً ولعباً وهـذا حرام فليجتنبوه ولا يغرّهم استعادة السامعين إياهم الآية مرات

قال الإمام القسطلانى فى كتابه لطائف الإشارات ما نصهُ وقد ابتدع قوم فى القرآن أصوات الغناء الجامعة للتطريب الذي لا ينفك عن المدّ فى غير موضعه وزيادته فيه وغير ذلك مما عمّـت به البلوى قيل وأول ما غنى به من القرآن — أمّـا السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر — نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر

أما القطاة فإنّى لست أنعتها   نعتاً يوافق عندى بعض ما فيها

وقد قال عليه الصلاة والسلام فى هؤلاء مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم اه

وكان المصطفى عليه السلام يحثُّ على الغناء فى بعض الحالات فقد روى أن تزوجت فتاة من فتيات الانصار بالمدينة المنورة فقال لعائشة زوجه رضى الله عنها أأهديتم الفتاة إلى بعلها؟ قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى؟ قالت لا قال أو ما علمتِ أن الأنصار قوم يعجبهم الغـزل ألا أبقيتم معها من يقول

أتينـاكم أتينـاكم   فحيونا نحييكم
ولولا الحبة[10] السمرا   ء لم نحلل بواديكم

ومرّ صلى الله عليه وسلم بجارية وهى تغنّى

هـل علىَّ ويحكمو   إن لهوتُ من[11] حرجِ

فقال صلى الله عليه وسلم لا حرج إن شاء الله

وسمع عليه الصلاة والسلام بِـلالا يغنى فى جُنح الليل بهذين البيتين

---

(١٠) حبة القلب سويداؤه أي ولولا المحبة القلبية العظيمة لم نحلل الخ والبيتان رواهما الرسول (١١) اثم

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بمكة حولي إذْخر[١٢] وجليل
وهل أرِدَنْ يوما مياه[١٣] مجنة وهل يبدوَنْ لي شامة[١٤] وطفيل[١٥]

فقال عليه السلام حنت يابن الكرام (أي إلى الوطن) لأن بلالاً أنشد هذا الشعر في المدينة بعد هجرته من مكة إليها كما هاجر اليها المسلمون الأولون . وتعدّ مكة بعد الحبشة وطناً لبلال الحبشيّ لانه بلغ أشده فيها واستوى واستظل بظلال قريش في الجاهلية ثم أسلم في صدر الإسلام.وكان عمر بن الخطاب وعبدالله بن رواحة في سفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الرسول أن تسرع الإبل في السير لطول الطريق فقال لعبد الله بن رواحة أحد شعرائه لو حركتَ الركاب يعني الإبل فسكت عبدالله هنيهة حياء من رسول الله فقال له عمر اسمع وأطع فأخذ عبد الله يحدو الإبل بقوله

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا
الكافرون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبّت الأقدام إن لاقينا
وأنزلنْ سكينة علينا

فسالت البطحاء بأعناق الإبل لحداء عبدالله حتى بلغ الركب المدينة

وهذه قصة الأعرابية التي نذرت لله نذراً فقالت لئن عاد رسول الله من غزوه لأغنّينّهُ أنشودة على دفّي هذا فلما عاد رسول الله من غزوه ظافراً منصوراً يمّمت حضرته واستأذنته في الغناء فأذن لها فغنّته في جمع من الصحابة منهم أبو بكر الصديق فلم ينكر المصطفى عليها شيئاً من أغانيها وإلى هذه القصة أشار حافظ بك إبراهيم فقال

أرأيتَ تلك التي لله قد نذرت أنشودة لرسول الله تهديها
قالت نذرت لئن عاد النبي لنا من غزوه لعلى دفي أغنيها
ويمّمتْ حضرة الهادي وقد ملأت أنوار طلعته أرجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدّف واندفعت تشجي بألحانها ما شاء مشجيها
والمصطفى وأبو بكر بجانبه لا ينكران عليها من أغانيها

وهذا عمر بن الخطاب الشديد في الدين قد سمع الغناء فلم ينكره ولم يكرهه بل استعاده ومزح . روي عن أسلم مولاه قال مرّ بي عمر رضي الله عنه وأنا وعاصم نغني فوقف وقال أعيدا عليّ فأعدنا عليه وقلنا أيّنا أحسن صنعة يا أمير المؤمنين؟ فقال مثلكما كحماري العباديّ

(١٢) اذخر بالكسر حشيش اخضر طيب الرائحة ومفرده اذخرة. وجليل نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت (١٣) مجنة موضع قرب مكة وكانت تقام به سوق كسوق عكاظ في موسم الحج كل عام (١٤) جبل حيال مكة (١٥) طفيل جبل حيال مكة وقيل موضع

قيل له أي حماريك شرّ؟ قال هذا ثم هذا فقلت له أنا الاول من الحمارين قال أنت الثاني منهما فلم يستقبح رضي الله عنه الغناء وإنما استقبح المغنّييْن لأنّهما لم يحسنا الصنعة

وكان في المدينة المنورة في صدر الإسلام مغن يقال لهُ قَنْد وهو مولى سعد بن أبي وقّاص الصحابي فاتح مملكة الفرس وأحد قواد المسلمين في خلافة أبي بكر وعمر وكانت عائشة الصديقية زوج رسول الله تستظرف قنداً هذا لرقة غنائه وإبداعه في صنعته فضربه سيده سعد بن أبي وقاص فحلفت عائشة لا تكلمهُ حتى يرضى عنهُ فدخل عليه سعد فاسترضاهُ فرضى عنه وكلمته عائشة أم المؤمنين بعد هذا !!! . فمن هذا كله تعلمون : —

(١) أن استماع الغناء حلال وليس بحرام ولا مكروه وقد تجلّت لكم أدلة مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع من الصحابة بل علمتم أن المصطفى صلوات الله عليه كان يحث على الغناء في بعض الأحوال

(٢) من الجهل الشائن أن نصيخ إلى قول فريق من المسلمين الذين حرّموا استماع الغناء مطلقاً ولقّبوا علماء الدين. وعندي أنه إذا لم يُلهِ عن ذكر الله وعن الصلاة والسعي في طلب الرزق فلا وجه لتحريمه . وقد أخطأ نفر من المتعلمين فهم الآية الشريفة (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين) فاستنبطوا منها تحريم الغناء إذ جعلوهُ لهو الحديث وكل لهو عندهم حرام وفهموا أنه هو الذي يضلّ عن سبيل الله بغير علم فيتخذ آيات الله هزواً فإنما نزلت تلك الآية في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشترى الكتب من أخبار السير والأحاديث القديمة وتُترجم لهُ فيحدّث بها قريشا ويضاهي بها القرآن ويقول هو وشيعته إنها أفضل منه (انظر العقد الفريد وتفسير غرائب القرآن في سورة لقمان للنيسابوري وقد اقتبستُ منها المعنى أكثر من المبنى) وليس من يسمع الغناء يتخذ آيات الله هزواً ولا أقلّ من أن يكون سبيل الغناء سبيل الشعر فحسنهُ حسن وقبيحهُ قبيح

(٣) كلف العرب بالغناء حتى في عصر النبي وخلفائه الراشدين والإسلام في شرخ شبابه مع وجود القرآن الكريم الذي فيه غنى عن كل غناء على ما اشتمل عليه من الآداب والفضائل والحكم والأحكام التي فيها خير الناس في أولاهم وأخراهم بَيْدَ ان العرب لم يخترعوا في ذلك العصر ضروباً في الغناء غير التي كانت في العصر الجاهلي وقد بينتها في مقالتي السابقة بمقتطف ديسمبر سنة ١٩٢٨م. وما عهد القراء عنها ببعيد ؟

عبد الرحيم محمود
المدرس في السعيدية الثانوية بالجيزة

الدمقراطية والنبوغ

أين مهد النبوغ : في الاكواخ او في القصور ؟

من الاقوال المأثورة التي يتناقلها دعاة الدمقراطية انَّ كل النوابغ تقريباً وُلدوا في مهد الفاقة ، وان والديهم كانوا فقراء ولكن على جانب عظيم من شرف الخلق. على ان القائلين بهذا القول لم يبينوا هل الفاقة والفقر من مقومات الشرف او ان الشرف من اسباب الفاقة . وعامة الاميركيين تعتقد انهُ اذا ولد طفل في كوخ حقير ، بعيداً عن معالم العمران واسباب التعلم والتهذيب ، وحُكم عليهِ منذ نعومة اظفارهِ بان يكافح ارزاء الحياة ومشاقها من غير ان ينال كلمة ثناء او تشجيع ، فقد مهّد لهُ سبيل النبوغ وتفتحت امامهُ ابواب النجاح

وحين ننظر في هذا الموضوع نظرة مجردة عن الهوى تخطر على بالنا ثلاثة اسئلة تضعف هذا الرأي الذي يعتزُّ بهِ دعاة الدمقراطية

السؤال الاول : اذا كانت الطبقات الاجتماعية الفقيرة المنحطة هي مهد النوابغ ومعين الادمغة المتقدة ذكاء في كل عصور التاريخ — فلماذا لم يهتم هؤلاءِ النوابغ بازالة الفقر وهو اكبر الشرور الاجتماعية

السؤال الثاني : اذا كان ضعف العقل والخلق اكثر تفشيًّا في الطبقات الاجتماعية الراقية الناجحة ، فمن الواضح ان قوة العقل وسموّ الخلق غير لازمين للانسان لكي يصيب اعلى غايات الحياة ، وعليهِ فالنظام الاجتماعي فاسد من اساسهِ

السؤال الثالث : اذا كان الاذكياء والفضلاء لا يصيبون من النجاح ما يصيبهُ اصحاب العقول الضعيفة والاخلاق الفاسدة ، فليس في الانسان اذا صفات تمكنهُ من مغالبة الرزايا والانتصار عليها بل عليهِ ان يخضع لما قسم لهُ ، وهذه فلسفة تعيق العمران عن التقدم والارتقاء

والمراد الآن ان ننظر في هذا الموضوع نظراً تاريخيًّا . فنبدأ بنتائج البحث الذي قام بهِ البيولوجي ادمس وود والصحافي الين ارلند فقد اخذ هذان الباحثان قاموس التراجم الوطنية Dictionary of National Biography وفيهِ تراجم ثلاثين الف شخص من اصل انكليزي او ارلندي اشتهروا الى حدٍّ ما في الالف السنة الماضية . ومن المشهور لدى دارسي التاريخ ان الامة الانكليزية ما زالت تناضل منذ فجر العمران الحديث لتجعل سبيل

الارتقاء والتقدم ممهداً امام الغني والفقير من ابنائها على السواء . فثبت من هذا البحث ان الطبقات الوضيعة من الهيئة الاجتماعية وهي طبقة العمال والصناع على اختلاف مراتبهم لم تنجب من هؤلاء المشهورين سوى ١١٫٧ في المائة من ثلاثين الفاً ذكروا في القاموس المشار اليهِ واما الطبقات العالية فانجبت ٨٨٫٣ في المائة منهم

وقد وضع الكاتب الفرنسوي المسيو البرت اودن Odin كتاباً موضوعهُ « اصل الرجال العظام » ذكر فيهِ كلَّ الذين اشتهروا في الادب الفرنسي شعراً ونثراً في القرون الخمسة الماضية فذكر اماكن ولادتهم واحوال اهلهم الاجتماعية والاقتصادية ويظهر من كتابهِ هذا ان القول « بان الكوخ مهد النبوغ » قول لا ينطبق على الحقيقة . فقد اثبت في كتابهِ هذا ان تسعة ادباء فقط من كل مائة اديب اشتهر في فرنسا في القرون الخمسة الماضية ولدوا في مهد الفاقة ومع ذلك فان الطبقات الفقيرة في فرنسا حسب المقياس الذي وضعهُ وسار عليهِ تبلغ ٩٧ في المائة من مجموع السكان والطبقات الغنية تبلغ الثلاثة في المائة الباقية . اي ان هذه الطبقات الغنية على قلتها انجبت من نوابغ الادب الفرنسي عشرة اضعاف ما انجبتهُ الطبقات الفقيرة على كثرتها

واذا نظرنا الى طبقة الاشراف في فرنسا وهي جزء من مائة جزء من مجموع السكان وقارناها بالطبقات الفقيرة من حيث عدد النوابغ الذين انجبتهم كلُّ طبقة وجدنا ان طبقة الاشراف الفرنسية انجبت ٢٥ في المائة من نوابغ الادب الفرنسي في القرون الخمسة الماضية وان الطبقات الوضيعة لم تنجب سوى ٣ في المائة

ومن الغريب ان كثيرين من الاشراف انفسهم الّفوا كتباً ووضعوا روايات ونظموا اشعاراً اصبحت فيما بعدُ دستور الاحرار الفرنسيين وقد اثبت الاستاذ ادورد ثورنديك ان كل ضروب الاصلاح التي توخاها الثوار في فرنسا في عهد الثورة يرجع اصلها الى كتابة بعض هؤلاء الاشراف . فيستدلُّ مما تقدم ان ابناء الاغنياء كانوا اقرب الى النبوغ والاشتهار في فنون الادب الفرنسي في القرون الخمسة الماضية من ابناء الفقراء ولا نعلم هل ذلك عائد الى الوراثة او الى اثر البيئة

وبحث السر فرنسس غلتن العالم الانكليزي المشهور في سِيَر ابناء المشهورين من قضاة الانكليز مدة ٢٥ سنة وقارن الذين اشتهروا منهم بالذين يشتهرون من ابناء الطبقات العامة فثبت ان واحداً من كل ٤٠٠٠ شخص من العامة يبلغ مرتبة معينة من ذيوع الصيت واما ابناء القضاة الذين بحث في سِيَرهم فواحد من ثمانية منهم يبلغ المرتبة نفسها

ويصعب ان نعيّن السبب في هذا التفوق. هل هو تفوق ناتج عن ا

ورأيي الخاص ان سبب التفوق عائد الى كليهما معاً ولكن ما هي نسبة الواحد الى الآخر؟ ذلك امر لا اعرفهُ ولا اظن ان احداً يعرفهُ. ولكنني اعرف امراً واحداً وهو ان ماتقدم يثبت فساد القول بان كل رجل يصيب شيئاً من الشهرة والنجاح فقد حكِم على اولادهِ بالخيبة وفساد السيرة

على انهُ مهما اختلف الرأي في اسباب هذا التفوق والنبوغ فلا ريب ان طبقات الشعب الراقية اجتماعيًّا والناجحة ماليًّا تنجب اكبر عدد من اصحاب الادمغة المفكرة؛ ويصعب ان نتبسط هنا في الاسانيد التي نسند اليها هذا القول . ولكنَّ الدكتور پوپينو محرر « جورنال الوراثة » جمع اهمها واليك نماذج منها : —

١ - امتحن الاستاذ امبرتو سافيوني جماعات من التلاميذ بميلان ثم رتبهم حسب الاعمال التي زاولها آباؤهم ووضع امام كل جماعة رقماً يدلُّ على درجة ذكائهم ولدى مقارنة الارقام نستطيع ان نحكم على نسبة ذكائهم بعضهم الى بعض :

ابناء اصحاب المهن الحرة	٥١٫٩
ابناء الطبقات التجارية العالية	٥٠٫٨
« الطبقات التجارية العادية	٤٧٫٢
« الخدم	٤٤٫٤
« الصناع	٤١٫٧

٢ امتحن عالمان من علماء السيكولوجيا تلاميذ مدرسة في بروكسل ببلاد البلجيك لا يؤمها الا ابناء الاغنياء فوجدا ذكاءهم يفوق المتوسط المقرر للتلاميذ الذين في سنهم

٣ - ثبت من امتحان اولاد الاغنياء الذين لا يزيد سنهم على ٩ سنوات في احدى المدارس فوجدا انهم يوازون ابناء الفقراء الذين في العاشرة ذكاءً والامتحانات التي من هذا القبيل معددة وكلها تؤيد هذا القول

وقد وضع السيكولوجي المشهور الدكتور سيريل برك سلسلة من الاسئلة لا بدَّ ان يجيب عنها الاولاد من مختلف الطبقات الاجتماعية اجابة صحيحة اذا بلغوا عمراً معيَّناً فوجد ان الاولاد الذين يعيشون في ازقة لفربول واحيائها القذرة يستغرقون ١٢٣ ثانية في الاجابة عنها وان ابناء التجار يستغرقون ٩١ ثانية في الاجابة عن الاسئلة نفسها وان اولاد الاساتذة والمطارنة يستغرقون ٧٤ ثانية فقط . واذا اعترِض على هذا الامتحان بان اولاد الازقة نحاف الاجسام ضعاف العقول لانهم لا ينالون غذاءً كافياً حرنا في تعليل الفرق في سرعة الاجابة بين ابناء التجار وابناء الاساتذة . والمرجح ان اولاد الفريقين

ينالون كل ما يحتاجون اليهِ من الغذاء والعناية الصحية . وقد لخّص الاستاذ لوس ترمن الاميركي وهو من كبار الباحثين في هذا الموضوع نتائج هذه المباحث بقوله « ان التفوق في الذكاءِ يزيد خمسة اضعاف في ابناءِ الطبقات الاجتماعية العالية عن ابناء الطبقات الاجتماعية الواطئة »

وقد نشر الدكتور هفلك الس الفيلسوف والكاتب الانكليزي المشهور بحثهُ في ١٠٣٠ نابغة من نوابغ الانكليز رجالاً ونساءً سنة ١٩٠٤ وبعد ما بوّبهم حسب طبقاتهم الاجتماعية او عملهم وجد النوابغ فيهم على النسبة التالية

	في المائة		في المائة
الطبقات العالية (الاسر العريقة)	١٨٫٥	الجيش والاسطول	٦٫١
رجال الكنيسة	١٦٫٧	صغار الموظفون والكتاب	٣٫٢
رجال القانون	٧٫١	التجار	١٨٫٨
رجال الطب	٣٫٦	الصنائع	٩٫٢
المهن المختلفة	٧٫٨	الفلاحون	٦٫٠

وقد نشر الدكتور كاتل رئيس مجمع تقدم العلوم الاميركي كتاباً جمع فيهِ سير ٩٥٠٠ رجل من رجال اميركا المتفوقين في العلم وبحث في الاصل الذي نشأ منهُ ٨٨٥ منهم وهاك نتيجة بحثهِ :

اصحاب المهن	انجبوا	٤٣٫١	في المائة	وهم	٠٣٫١	في المائة من المجموع
المشتغلون بالزراعة	انجبوا	٢١٫٢	«	وهم	٤١٫١	« « « «
« بالصناعة والتجارة	انجبوا	٣٥٫٧	«	وهم	٣٤٫١	« « « «

فثبت من ذلك ان ثلاثة في المائة من سكان اميركا وهم اصحاب المهن الحرة انجبوا نحو نصف علمائها

ووضع الدكتور ادون لفت كلارك رسالة بحث فيها في اصل ٦٦٦ رجلاً من رجال الكتابة والتأليف في اميركا فوجد ما يأتي

اصحاب المهن الحرة انجبوا	٤٩٫٢	في المائة من الرجال الذي تناولهم في بحثهِ	
المشتغلون بالتجارة «	٢٢٫٧	« «	« «
المشتغلون بالزراعة «	٢٠٫٩	« «	« «
غيرهم «	٠٨٫٢	« «	« «

وقد توصل الدكتوركلارك من مباحثهِ الى القول بان لا الفقر يخلق النبوغ ولا الغنى ولكن الغنى اكبر معوان على اظهارهِ وان الوراثة والبيئة تشتركان في ذلك

واجرى الدكتور برسي والمس روث رالستن بحثاً انتخبوا فيهِ جماعتين من التلاميذ وكانت اعمار التلاميذ في الجماعة الاولى تتراوح بين ست سنوات وثماني سنوات واعمار التلاميذ في الفرقة الثانية تتراوح بين ١٠ سنوات و١٤ سنة فوجدوا في الفرقتين ان نحو ٧٩ في المائة من اولاد اصحاب المهن الحرة يفوقون الرتبة العلمية المعيَّنة لعمرهم وان ٣٨ في المائة من ابناءِ العمال يفوقونها كذلك . ثم تركوا الفرقة الاولى كلها تتعلم اربع سنوات واعادوا الكرة على امتحان افرادها فوجدوا ان النسبة فيها لم تتغير تقريباً. ورأي الباحثين يتلخص في ان علة هذه الفروق مقدرة داخلية موروثة وانهُ ليس لفعل البيئة والتعليم في البيت او في المدرسة اثر كبير في ذلك

***

هل يستطيع نبوغ نابغة ان يظهر باجلى مظاهرهِ من غير ان تتناولهُ ايدي المعلم والمهذب بالصقل والتثقيف ؟

اذا اعدنا النظر في كتاب الاستاذ ادون وجدنا ان ٧٩٥ رجلاً من ثمانمائة واحد عشر رجلا تلقوا علومهم في الجامعات . وهذا يجب الاَّ يؤخذ دليلاً على ان التعليم في الجامعات يهبط بالنبوغ على الطلاَّب. ولكنهُ يثبت اثباتاً لا يحتمل الريب انهُ يصعب جداً على الجاهل مهما تبلغ مقدرتهُ الموروثة ان يتسلق قمة النجاح والشهرة في هذا العصر وان المصاعب التي تقف حائلاً دون هذا التسلق تزداد يوماً فيوماً حتى يكاد يصبح متعذراً . ويظهر من المقدمة التي كتبها محررو (كتاب مشهوري اميركا) لسنة ١٩٢٤ و١٩٢٥ الذي يحتوي على تراجم مختصرة لما يزيد على ٢٤ الف رجل وسيدة من الاميركيين ، ان ٧٧ في المائة من هذا الجم الغفير تلقى علومهُ بعضها او كلها في المدارس الكلية وان ٦٤ في المائة من المجموع نال شهادة عالية . والمرجَّح ان زعماء الاعمال في جميع مسالك الحياة الذين بلغوا مكانتهم العليا من غير ان يتلقوا علوماً في مدرسة كلية او جامعة اخذوا ينقصون وقد لا تمضي بضع سنوات حتى يتعذر ان تجد رجلاً في منصب كبير لم يتلقَّ علومهُ في مدرسة عالية . فالرجل العصامي بالمعنى الذي استعملهُ لهُ صموئيل صميلز قد فات زمنهُ او كاد لان شؤون الحضارة اصبحت كثيرة التعقيد والتركيب سريعة الاحساس والانفعال ولن يسمح بعدُ لايدٍ غير لبقة وعقول غير مثقفة ان تدبر مصيرها (ملخصة عن مقالة للمستر البرت وجَمْ في مجلة العالم اليوم) ....

صورة تمثل خرافة « بجماليون » التي بنيت عليها القصة التالية

انظر الصفحة ٥٥

مقتطف يناير ١٩٢٥

بجماليون[1]

لفنتورى غارسيا كالدَرُون

[ولد غارسيا كالدَرُون في ليما عاصمة جمهورية بيرو في جنوب اميركا سنة ١٨٩٠ . وهو معدودٌ من اعظم جهابذة النقد ومؤرّخي آداب اللغات في اميركا الجنوبية . ولهُ شهرة مستفيضة بوضع أقاصيص يسمو فيها الخيال والتصور فتبدو لقارئها كالنثر الشعريّ او الشعر المنثور . ومما تمتاز بهِ اقاصيصهُ اناقة الاسلوب وسلاسة اللفظ وبلاغة المعنى]

القصة

فرغ بجماليون من نحت ذلك التمثال فافترّ باسماً عن ثغر المسرة والابتهاج كمن كشف مجهولاً او فاز باكبر غنيمة ! والحقّ يقال ان تمثاله هذا جاء آيةً في الثقافة والكمال ، شاهداً على ما اوتيهُ في نحتهِ من البراعة النادرة المثال. وهمّ ان يحذو حذو صناع الاوثان في قديم الزمان ، حين كانوا يعبدون الاصنام التي نحتوها ويسجدون للآلهة التي صنعتها ايديهم. وكان يحيط بهِ ، في مصنعهِ الفسيح ، جم غفير من عالم الرخام ، على قواعد الدُمى والتماثيل او على الارض ، بجانبهِ او بعيداً منهُ او على الرفوف والمقاعد . وجميع احلام شبابهِ الذي مالت شمسهُ الى الغياب كانت ملقاة في ذلك المصنع ، هنا وهناك وهنالك ،كانها في مقلع حيّ ، عليها مسحة من الجمال ولكنَّ الإِهمال حال دون استيفائها ما ينقصها من محاسن الكمال . فأملى عليهِ الاحتشام والاستحياء ان يصدّ الناس عن باب مصنعهِ لعلمهِ انهم لا يقصدون بدخولهم اليهِ سوى شفاء غليل الفضول وتعريض ما يرونهُ فيهِ لسهام القدح والانتقاد

وكانت كُتَل الدمى والتماثيل في درجات متفاوتة من حيث التمام والاناقة .فبعضها كان متوغلاً في الغموض والخفاءِ ، وبعضها عليهِ رسوم الملامح والتقاطيع لا غير . وفي البعض

(١) في اساطير اليونان الخرافية (ميثولوجيا) ان بجماليون كان ملكا ومثالا في جزيرة قبرس . وكان قد عاف الزواج لما رآه من شدة تهتك نساء الجزيرة وانهماكهن في حمأة الخلاعة . ولكنه اولع بجمال دمية من عاج وقيل من مرمر ، كان قد اجاد نحتها واتقن صنعها . فابتهل الى الزهرة الاهة العشق ان تنفخ فيها نسمة الحياة . ولما ضمها الى صدره معانقاً لها خيل اليه انها تندرج الى الحس والشعور وما لبثت ان صارت فتاة حية . فتزوجها ورزق منها بافوس مؤسس المدينة المعروفة باسمه في جزيرة قبرس — المترجم

الآخر كان بجماليون قد اعمل الازميل وعالج خشونة الغضون والتجاعيد بالصقل والجلاء . وبقوَّة العبقرية اخذ بتلابيب المرمر وعاجله بضربات شديدة ، مهتمًّا كل الاهتمام بمنح هذه المادّة الجامدة شيئاً من مظاهر الحركة والحياة . وهذه الرسوم التمهيدية تدرّجت على التوالي في سلّم النشوء والارتقاء ، من اجنّة غامضة او جراثيم خافية ملتبسة الى تماثيل ترفل في حالل الوضوح والكمال ، مسفرة بمزيد الاسف عن عمل التصوّر الشاقّ الاليم

ولكن بين تماثيل العذارى الحسان كان تمثال الغادة غلاطيا غرَّة في جبين الإجادة وفريدة في قلادة الإتقان . فقد بدت فيهِ حانيةً رأسها على مرآة يدها لتزداد تمكّناً من الإعجاب بجمالها

وقوة التصوّر والابتكار أضافت الى خفّة قدميها جناحين قصيرين وجعلت جسدها مثلاً مضروباً في النضارة والنعومة وصيرت ذراعيها طوقاً يلتفُّ حول جيد الحبيب كحبل من مسد فلا يستطيع الإفلات حتى تفارق روحهُ الجسد

تفرَّس بجماليون مليًّا في كفيهِ اللتين لا يزال الغبار مغشّياً لهما ، غير مصدّق انهُ صنع هذا التمثال العجيب بيديهِ المفضيّ عليها بالموت ، قائلاً في نفسهِ : — « اذا صحّ اني أنا صانعهُ فقد اصبح في إمكان الصانع البشريّ ان ينتزع سرّ الجمال من صدور الآلهة » . وما ابطأ ان اقتنع بانهُ توفّق هذه المرّة ، بمعجزة خارقة ، الى نحت تمثال خالدٍ هو نسيج وحدهِ اي لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة صانع بمثالهِ ولكنهُ تذكّر من فورهِ كم مرةٍ حاول ذلك متمنّياً ما لا يطاق من المشاق وحارماً جسدهُ الراحة وعينيهِ الرقاد ولم يجن من ورائهِ الاَّ الاوبة بالخيبة والخذلان . وهذه الذكرى هاجت بهِ الماً يعجز حتى الموت عن إخماد أوارهِ . وهذا النجاح الباهر الذي اصابهُ ، مع عظمة شأنهِ ، عدَّهُ حقيراً بالنسبة الى ما كان يعلل نفسهُ بالحصول عليهِ

***

ارخى المساء سدولهُ على تماثيل العذراى ولكنَّ بياض اجسامهنَّ اليقق الناصع ظلّ يذرّ اشعة الضياء . ولم تكن العتمة الا لتزيد هذه الاجساد حسناً وجمالاً . فشعر بجماليون بأن غلاطيا تختلج بحياة تختلف عما يعهدهُ بالرخام من الهمود والجمود . وخضب الشفق أطرافها بلهيبهِ الاحمر الوهاج وعلى صدورها تركت الشمس قبل المغيب آثار الوداع

في ذلك المساء هبَّت نسمات الدَّبور [ريح الغرب] ، عابقة بانفاس الصبابة والغرام . ومن البحر المجاور ، حيث الزهرة الاهة العشق تستوي على عرشها في طهرها المتجرد ،

سرى ولوع واهن ضعيف . فقبّل بجماليون قدمي غلاطيا العاريتين وقلب رأسهُ المحموم على ساقيها . وفجأةً انتصب على قاعدة تمثالها وطبع على شفتيها الخرساوين قبلة حارةً كانت قبلة المحبة الاولى . وكأنهُ شعر بما في عمله من الخرق والطيش فأطرق خجلاً واستحياءً . ثم اعتراهُ مزيج من الدهشة والرعب كاد يذهب بصوابهِ وهو واقف امام هذه المعجزة الخارقة . فان التمثال دبَّ فيهِ روح الحياة واخذ يتحرك . وصبغ الدم خدَّيهِ وتمشت الحياة فيهِ من عنقهِ الى قدميهِ واخذ النهدان يرتفعان وينخفضان بحركة موزونة منتظمة ، واهداب الاجفان ترفُّ مختلجة من وقوع النور عليها

لم يبق عند بجماليون اقل ريب في صحة ما حدث . وتحول ماكان في يديهِ من الخشونة والفلاظة الى غضاضة وطراءة لا مزيد عليهما . لمس بهما رخام التمثال فشعر بخفتهِ ولينهِ كأنهُ لم يبق فيهِ اثر للثقل والصلابة . واشتدَّ حلك الضفائر كأن الليل خلع عليها حلة سوداء واستعارت العينان صفاء البحر ولمعانهُ

لم تفه غلاطيا بكلمة لكنها افترت باسمة وعلى محياها المتألق بنور البشر سيماء الدهشة والتعجب . وكطفل في سريرهِ مدَّت يدها الى رأس بجماليون تعبث بشعرهِ . ثم ضحكت ضحكة رنَّ صوتها في اذنيهِ احلى من زقزقة الاطيار في الأسحار فأسرَّ اليها بعض كلمات ورأى جبينها الفضة الناعمة تبدو اول مرة متغضنة دليلاً على انها تحاول فهم ما يقولهُ لها

وكان لكلامهِ في مسمعها احسن وقع كتهميم الام في اذن طفلها عند تنويمهِ فران عليها هجوع استراحت في كنفهِ لأن الحياة اثقل عبئاً واصعب تناولاً من ابدية لاحراك فيها . واوجس بجماليون اشدَّ الخوف من فقد معجزتهِ ، بعد ما عانى الامرَّين في سبيل نيلها ، فوقف يرقبها وهو يهذي هذيان المخمور او المحموم . وهي في اثناء هجوعها وذراعاها على صدرها وظل السكرى منبسط على وجهها ، تجرَّدت من غطرسة صورة الالهة رخامية وبدت في مظهر جسدٍ حزين يلتمس الاعتصام بملجاءٍ الحب

قضى بجماليون تلك الليلة ارقاً يساوره القلق والاضطراب ولما انبلج الصبح عاودتهُ الحيرة والدهشة لانهُ نظر الى غلاطيا فلم يتبين فيها اقلَّ اثرٍ للحياة الرخاميَّة وربما كان على جسدها بقية من نعومة الصقل والجلاء وعلى شفتيها وذراعيها وشعرها المسدول على كتفيها مسحة من الجمال الارضي والتعرض لسرعة الانكسار

لم تتكلم لانها كانت خالدة . ولا شك في ان النور الذي خامر ذهنها خالطهُ ادراك غامض غير صريح من جهة الاشياء العاليَّة . فكانت نفسها اشبه بكتل العاج الهندية التي يتسنى

للمثّال ان ينقش عليها صورة جنّيّة الاحراج اووجه بالاس الاهة الحكمة عند قدماء اليونان

***

كان بجماليون سيدها ومدربها . ووجودهُ في هذه الحالة اي اهتمامهُ بارشادها وتعليمها هاج فيهِ شعوراً ملتبساً مختلطاً كمن يعنى بصوغ تمثال عزيز من شمع . وهي واقفة تبدو دائماً في مظهر الاهة وعندما تغوص في لجة التأمل والتفكر كانت تلين وتنعطف كاحدى العذراى اللواتي يتقدمنَ موكب الاحتفال بعيد منرفا (الاهة الحكمة)

وامام بجماليون المبهوت المدهوش وقفت تحيط بها هالة بياض نقيّ ساطع، تكرر لهُ غير ناطقة ، التهنئة بمعجزة حلم تحقق. وهو من صميم فؤادهِ أخذ يردد آيات الشكر والثناء على ما اوتيهِ من الظفر الذي لم يكن قطّ في حسبانهِ . كان الى هذا الوقت ينظر الى فنهِ بعين الازدراءِ ويعدهُ عملاً مجدباً عقيما مدعاة السآمة ومجلبة الملل والضجر. وأما الآن فقد نقض حكمهُ السابق بعد ما رأى نفسهُ قد أصبح كواحد من الآلهة ، قادراً على تحويل الجماد الى جسدٍ حيٍّ ، انال ولو موقتاً قوة الخالق بعد ما قضى وقتاً طويلاً في بؤس وشقاء ووهن وضعف

وعلى توالي الايام اخذ حبهُ لغلاطيا يعظم ويشتدّ حتى بلغ درجة العشق والهيام. فكان يقضي الساعات مكفراً لها ومعفراً وجههُ عند قدميها او ممناً في تقبيل شفتيها ووجنتيها وهو مطوّق قامتها الهيفاء بذراعيهِ وزفرات قلبهِ تسابق عبرات عينيهِ . وهذا كلهُ لم يفدهُ شيئاً بل كان يزيد أوام شوقهِ اشتداداً واوار عشقهِ اتقاداً

وفي ذات ليلة نظرت غلاطيا الى نفسها وبما لايزيد عليهِ من الدهشة والهلع علمت انها امرأة . لان ذلك العاشق الولهان تملكهُ هوى لم يستطع كبح جماحهِ وقمع ثورتهِ على رغم ما ابدياهُ كلاهما من التحرُّج والتورّع. وامام هذا المظهر الطارىءِ كررا العهود والمواثيق التي اخترعها العشاق لتخدير اعصاب المحبة

وهاجت امواج البحر تمثل لهما بعجيجها ظل الحياة الزائل ولونها الحائل وقد سمعاهُ ولكنهما جهلا مغزاهُ !

***

قال بجماليون يخاطب غلاطيا بفكرهِ ولم يجسر ان يكلمها بلسانهِ :

« ايتها الصورة الالهية إنكِ خالدة المحتد ومع ذلك ستموتين وتصيرين الى البلا والفسا بدل الخلود الذي تصورتهُ لكِ وعللت نفسي ببقائك متمتعة بهِ. ولكي أعلن لنفسي قدرةً الالهية ارغمتك على الخضوع لسلطان الموت . ولكن لا يسعني الصبر على موتك . فلتَ

نفسي بدلاً منكِ وليذهب جسدي نهباً مقسَّماً بين البلى والفساد ويبق جسدكِ الطاهر سالماً من مصير سائر الاجساد .ويلي ! لماذا لقَّنتكِ دروس الحبّ وطارحتكِ احاديث العشق والغرام ! »

وبألم مبرّح لا يطاق وجّه نظرهُ نحوكل نقرة وتجعيد في جسدها . وطفق يصلى نار التعاج بضرمها ذكرحبّ بلغ فيارتقائهِ قمة الهيام ولا يبطئ ان يهبط منها بسرعةٍ لا تقلّ عن سرعة صعودهِ اليها . وعند انبثاق الفجر كان يشعر بخدر يعتري أعصابهُ ويهيج سخطهُ وامتعاضهُ . ويدهشهُ ان ينظر اليها وهي نائمة فيرى يد اللغوب والكلال عابثة بوجهها وناسخة منهُ آثار الحسن والجمال . على انَّ بهاءها الطبيعيّ الرقيق الحاشية والعاطل من حلي الزخرفة والتنميق ظلّ خلاباً يغري بالتقبيل كالطفل الراقد في حضن الدعة والطمأنينة

خلا بجماليون في احدى زوايا مصنعهِ يكتئب وينتحب ويقول :

« آه يا غلاطيا ! لقد منحتني كلّ شيء ومع ذلك . . . أطلعتني على غبطةٍ يغشى عليَّ كلما ذكرتها . لكنَّ السعادة كالشقاءِ تسومنا ما لا يطاق من الإعنات والإرهاق . ولجهلي ان الاحلام بانتقالها الى الارض يتحوّل طيبها الى خبث وصلاحها الى فساد اردتُ ان امنحك شيئاً من حقيقة الحياة . والخلائق الجميلة يجب ان يُكتَب لها الخلود فلا تمتدّ اليها يد الفناء ! هأنذا أعاني لوعتين ، لوعة حزن وأسىً ولوعة ولهٍ وشغف . واتردّد بين امرين كلاهما اصعب منالاً واخشن مركباً من الآخر — بين الإقدام على اقتراف جريمةٍ فظيعةٍ ، اتّقي بارتكابها عذاباً اليماً من مشاهدة جمال يصير غداً الى الفناء والزوال ،وبين رغبتيفي ان ادعكِ تحيين ، وإن خابت آمالي ولم تصحّ احلامي لأُمتّع نفسي بلذّة مشاهدتكِ »

ثم ضمَّ يديهِ احداهما الى الاخرى واستخرط في البكاء ، ومن البحر سمع نبرات الامواج تتنفس على شاطئهِ وتقع في قلوب المحبين وقوع التنهد والانين . وكان قد طال انقطاعهُ عن النحت فحفز يديهِ شوق الى المطرقة والازميل . ولكنَّ الاعياء الباهظ ظلَّ بضعة ايام منيخاً عليهِ بكلاكلهِ ومغشياً ذهنهُ بسحب اليبوسة والجفاف حتى خيّل اليهِ ان الفنّ مخرقة جديدة استنبطت لإشباع شهوة النفس . فهو والحالة هذهصناعة دنيئة ومن وساوس الشيطان الخناس الخليقة بالارقاءِ الجهلاء لا بالاحرار العقلاء

بكت غلاطيا فحرّكت ساكن عطفهِ وحنانه ولكنها لم تفهم كلماتهِ التي اسرّها اليها بصوت خافت كما تُقصّ الاحلام او كما يخاطب الاطفال . قال لها : — « كفكفي دموعكِ

يا حبيبتي غلاطيا وخلّي عنك الانتحاب . لا ابتغي الحياة طمعاً في لذّتها بل انما انا احيا لاجل هذه الخلائق الرخامية . حسبكِ انكِ على الاقلّ شعرت بإمكان الخلود . اما انا التاعس الجدّ والمنكود الحظّ فخلوق ارضيّ ذو مطامع وتملات ولذلك تأبى نفسي الاستسلام الى الموت . ومع ان آمالي تذهب هباءً منثوراً فان حماستي وشغفي بعملي وانكبابي عليهِ — هذا كلهُ سيبقى ولو بضع ثوانٍ ماثلاً في صورة الدائم الخالد . واقلُّ ما ارجوهُ انكِ تحرصين على ادلة طيشي وبينات رعونتي . إنَّ شيئاً قليلاً من طبيعتنا البائسة الشقية يبقى حيًّا في اعمالنا . فيا صديقتي العزيزة بل يا زوجتي المحبوبة قولي لي انكِ فهمتِ مغزى كلامي ووقفتِ على مبعث حزني وكربي »

على انها عجزت عن فهم كلامهِ ولم تستطع شيئاً سوى البكاء . ولم تلبث آثار الذبول والنحول ان بدت على وجهها وصدرها وسائر اعضائها وفارق عينيها صفاؤها الساطع وضياؤها اللامع واعتراها شحوبٌ وكلوحٌ دلاًّ على دنوّ الاجل. ومما شدَّ عليها وطأة جهد البلاء انها تذكرت ساعات المسرَّة والهناء التي كانت تقضى باللثم والتقبيل وعقد العهود والمواثيق كان وجهها الذاوي الذابل يهيج في قلب حبيبها العبادة التي استحقها جمالها الطاهر المصون وفي كل يوم كانت شقة الانفصال تزداد اتساعاً بين غلاطيا المغلوبة على امرها وبجماليون الذي علّل نفسهُ بالمحال واطمعها بنيل كمال لن يُنال

ولما قابلت غلاطيا نفسها باخواتها الدمى والتماثيل التي في المصنع حسدت ما في الحجر من خاصة الثبوت وعدم التحوّل وعدم الشعور بالكرب والغمّ وبالتأثير الطارئ من كرّ الشهور ومرّ السنين . فكرهت البقاء وتمنّت الفناء . ولسوء حظها لم تتمكن من الموت حسب مشيئتها

***

وفي صباح يوم رأى بجماليون فيها تشوهاً ينذر بمصيرها المحتوم . فتركها راقدة حتى اقبل الليل وحينئذٍ تناول ازميلهُ وأعملهُ في صدرها . وعجَّ البحر عجيجاً شديداً متواصلاً فصاح بجماليون : — « لله من شدة جورك ايها الجمال ! ليتني كنتُ أعمى . لماذا يبالغ القبح الانساني في غيظي ونكايتي ؟ وعلامَ التعلل بالاحلام إذا كانت كلها واضحة البطلان لاشبه صحة لها على الاطلاق ؟

لمس جسمها بيديهِ فاذا بهِ بارد كالثلج . فاقشعرَّ بدنهُ اذ تحقق انها صائرة الى اصلها الرخامي وان جسدها يسترد صلابة المادة وملاسها وغدائرها تشبت مغروزة في خطوط

ناتئة بارزة كالعروق الصلبة . حتى الدمعة التي على خدها جدت على الاثر وتحولت الى حجر

ولشدة رغبتهِ في تدارك النقص الطارىء ثار ثائره وبلغ بهِ الهياج الى درجة الجنون وفي الظلمة المدلهمة تلمس الازميل والمطرقة واحيا ليلهُ في النحت وكانت ضربات مطرقتهِ تخترق حجاب السكوت كخفقان القلوب واختلاج الصدور . وفي ظل الظلام المطبق والهدوء الشامل وقعت يداهُ على جناحين يرتعدان وكانا بعض الاحيان يرتفعان فوق النهدين كمجن يستتران بهِ . ثمَّ تجددت اصوات شديدة كهتاف الانتصار او كقصف الرعود صادرة من ضربات المطرقة الجادة عبثاً في تلافي ما فات

***

طلع الفجر وذرَّ اشعتهُ الذهبية على البحر الخضم فاستيقظ من رقادهِ ونظر فرأى اطرافهُ مخضوبة بذوب نضار تلك الاشعة وفي عنان السماءِ المصبوغة بحمرة الارجوان كاجساد الشهداءِ نشبت اسراب طيور سوداء ونفذ من الفجر شعاع ساطع الضياء وطوَّق جيد غلاطيا

وكان بجماليون قد بات في آخر هزيع من الليل خائر العزم منهوك القوى لشدة ما كابدهُ من العناءِ فاضطجع يلتمس بعض الراحة بالنوم ولما افاق هبَّ مروَّعاً مذعوراً بما عرض لهُ من الرؤى المفزعة والاحلام المخيفة . ونظر الى غلاطيا فرأى شفتيها قد فقدتا ما كانتا عليهِ من التقوُّس والانحناءِ وعلى عينيها غشاء كثيف من الغم والحزن ونضب من جسدها ماء النضارة واللين فاصبح جافاً قصماً منحنياً نحو امهِ الارض . وكان بجماليون قد قضى ليلتهُ في النحت وهو يزعم انهُ ينقش تمثال الجمال الرائع فاذا بين يديهِ تمثال ينم على الغمّ والاسى . كانت يداهُ من قبلُ مطواعتين تعملانِ ما شاءَهُ مما لا مزيد عليهِ من الدّقة والإتقان . ولكنها في الليلة البارحة خدعتاهُ وجرتا على خلاف ما اراد . والآن حذت عيناهُ حذو يديهِ في خداعهِ والتغرير بهِ . وما من الم — مهما يعظم ويشتدّ — يضاهي الم صانع يرى بامّ عينيهِ خيبة املهِ بصنع يديهِ

وان الموت لخير من الحياة عند مَن يتجرَّع صاب الخيبة ولا يريهِ الغرور بارقة املٍ باقلّ نجاح في المستقبل . ومن يعرف مبلغ النكال الذي يقاسيهِ الزائل الفاني يصبح غير قادر على اتقان صنع التماثيل الخالدة . وقد عوقب على عبادتهِ لمخلوقات هذا العالم الناقصة

وكان مثلهُ في ذلك مثَل واقفٍ في المنازل الخاليـة يبكي الاطلال الدارسة والرسوم البالية

ترجمة : اسعد خليل داغر

تركيا الحديثة تتجه غربا

اثر الغازي مصطفى كمال في تجديدها

ظهر حديثاً في بلاد الانكليز مؤلف نفيس بعنوان « تركيا الحديثة » وضعته « المس جريس السون » الكاتبة الانكليزية التي زارت تركيا مراراً وألمت بشؤون الاتراك منذ عهد عبد الحميد الى هذا اليوم . وهذه الكاتبة من اوسع الناس خبرة بنظام الجمهورية التركية ومن اكثرهم الماماً بسياسة الغازي مصطفى كمال . وقد اجتمعت بالغازي مراراً كثيرة عرفت في خلالها اخلاقه وما ترمي اليه سياسته . والكاتبة شديدة الاعجاب بهذا الرجل ولكنها لا تأذن لاهوائها بالتحكم بقلمها . وقد رأينا ان نورد فيما يلي خلاصة فصل كتبته عن الغازي وعما قام به من العمل حتى الآن وفيه بيان صادق لصفات هذا الداهية وموجز لما قد تم على يده من الاصلاح . قالت الكاتبة : —

ليس في وسع الكاتب المنصف ان يصف تركيا الحديثة من دون ان يؤمى الى الرجل الذي جدّد معالمها واعلى منارها . وما هذا بغريب اذا تذكرنا ان للغازي مصطفى كمال باشا مقاماً بين قومهِ لا يدانيهِ مقام — فما من مجمع او ملجإٍ او نادٍ او محفلٍ الاّ للغازي فيهِ اثر بارز للعيان . بل انك لتجد آثار الرجل في كل مظهر من مظاهر النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلميّ بحيث لا يسع الباحث في احوال الجمهورية التركية الاّ ان يتتبع آثار الرجل في كل منحى من مناحي الحياة المختلفة

ومهما يكن المصير الذي خبأتهُ الاقدار للغازي مصطفى كمال فلا شك انهُ قد أصبح من رجال التاريخ العظام وان اسمهُ سيظلُّ منقوشاً على صفحات الخلود . وقد زادهُ بروزاً بين قومهِ انهُ ليس بينهم من يدانيهِ في قواهُ العقلية او في قدرتهِ على تسيير سفينة الدولة في بحر السياسة العجاج . ولقد كان لمساوئ حكم السلطان عبد الحميد اثر عظيم في نفسهِ منذ حداثتهِ . فكان وهو صبيّ يافع يتلهّب غيرة على وطنهِ . ويظهر انهُ ورث حب الجندية عن اسلافهِ فاقسم وهو بعد في طور الحداثة ان يسعى لانقاذ قومهِ . وكان ذلك اهم ما يجيش بهِ صدره في ايام المدرسة حتى انهُ كان ينشر بين رفاقهِ صحيفة يكتبها بخط يدهِ ويشرح بها ما يراهُ من مساوئ الحكومة في تلك الايام . وقد كتب عن نفسهِ انهُ منذ العاشرة من عمرهِ لم ينِ ساعة عن العمل لرفع منار وطنهِ

ومع أن المقادير قد اوصلتهُ الى اعلى المراتب بين قومهِ الاّ انهُ بعيد كل البعد عن

المطامع الدنيوية . فهو لا يطلب جاهاً ولا ثروة ولا مقاماً . ولو خيّل اليهِ ان مصلحة الدولة كانت تقتضي ان يبقى السلطان على عرش آبائهِ لثبّت لهُ عرشهُ . وفي الواقع انهُ رجا من السلطان في زمن من الازمان ان يتسلم مقاليد الدولة ويقوم باعباء الملك . ولما عرض الاتراك على الغازي ان ينادي بنفسهِ سلطاناً وخليفة ابى ذلك كل الاباء اذ لم تكن لهُ مطامع عالمية . ولو فعل ذلك لتقوّل اعداؤهُ عنهُ السوء ولقالوا انهُ اناني يسعى لمصلحة نفسهِ . ولما خلا عرش آل عثمان بذهاب السلطان وحيد الدين تولى الغازي قياد الدولة بنفسهِ قائلاً : ان القائد الحازم يجب ان يكون شارعاً حازماً ايضاً ولا يصدق الحكم على الاول حتى يثبت ان في وسعهِ تحويل جنوده من مقاتلين الى مسالمين

وهذا الداهية يحيط بهِ اليوم عصبة من الوزراء الافذاذ . وهو يمتاز بسرعة الحكم وحسن تصريف الامور . فكلما عرضت لهُ او عرضت عليهِ مشكلة عالجها بحزم مدهش يترك الناظر حائراً . فهو ثاقب البصر واسع الحيلة لا يلقي نظرهُ على امر الا عرف الوجه في تصريفهِ . ولهُ ذاكرة هي اكبر معوان لهُ على اعمالهِ . فلا تفوتهُ شاردة ولا واردة . وهو واسع الالمام بعلم التاريخ فتراهُ يطبق عبر الزمن الغابر على ما فيهِ صلاح الدولة

والحق ان هذا العبقري قد كان وسيظلُّ معجزة من معجزات الزمان . فهو لتركيا الكل في الكل واليهِ ترنو عيون ابنائها . فهو زعيمها وقائد جيشها ومدير سياستها والقيم على شؤونها . فبينما تراهُ مصلت السيف في ميادين القتال اذا هو في مثابات القوم رجل دمث الاخلاق واسع الخبرة بآداب الاجتماع . وقد تلتقيه في مجتمع ادبي فتحسبهُ من ارقى اهل الافرنج بمنظرهِ وهندامهِ . وانك لتطيل تحديقك اليهِ فلا تجد منهُ موضع ضعف لا في حديثهِ ولا في مرآه . بل انك لتعجز عن ان تجد في هندامهِ نقصاً يدعو الى الانتقاد . على انك اذا زرتهُ في دارهِ رأيت في اثاثهِ ما يدهشك من سلامة الذوق مع بساطة المظهر . ولعل انفس ما يقتنيهِ تحف قد اهداها اليهِ اقيال المشرق الذين لهُ عندهم اسمى مقام

وقد جرى لكاتبة هذه السطور معهُ حديث بل احاديث عدة تناولنا بها مختلف الموضوعات . وذكرت لهُ مرة انني اضطررت ذات ليلة الى النزول مع رفيقين في منزل تاجر من اهالي ازمير للمبيت . فاضطر التاجر ان يعنى بامرنا بنفسهِ لان السيدات لا يؤذن لهنَّ في الاختلاط بالرجال . فقال الغازي وهو يستشيط غضباً : هذا هراء سوف يزول لا محالة . فلن تنقضي فترة من الزمن حتى نقضي على الحجاب وعلى جميع العوامل التي كانت كالسوس ينخر كياننا والتي ورثناها عن اهل بيزنطة القدماء . وليت شعري كيف يتاح لنا ان ننشئ بلاداً ديمقراطية اذا كان نصف قومنا يرسفون في قيود الاستبعاد ؟ اجل . لن ينقضي عامان حتى

تميط كل امرأة عن وجهها النقاب وتختلط بالرجال. وسوف ينزع الرجال طرابيشهم ويلبسون القبعات . فلقد انقضى الزمن الذي كانت فيهِ الثياب رمزاً الى الدين . والطربوش الذي هو موضع سخرية الحضارة الغربية يجب ان يزول

وقد كدت اكذب اذنيَّ ولا اصدق ما يقول ذلك العبقري . بل ما كان ليجول في خاطري ان رجلاً واحداً يستطيع كل ذلك في مثل تلك الفترة الوجيزة . ولكن من العزائم ما لا تقف امامها العثرات . ولقد قال لي مصطفى كمال : لقد كنت اشعر منذ حداثتي بضرورة تأسيس نظام الاسرة عندنا على اساس مكين لان الرجال الذين تحتاج اليهم الديمقراطية يجب ان يكونوا ثمرة الحياة البيتية الطيبة ولما كنا قد قضينا على تعرض الاجنبي لشؤوننا فقد صار في وسعنا ان نشرع في الاصلاح

قلت : ولكن حجاب التركيات من جهة الزيّ هو من اجمل ما ابتكرهُ اهل الفن

قال : قد يكون الامر كذلك ولكننا لا نستطيع ان نظل في العصور المظلمة ليسرَّ كتّاب الافرنج بمرأى الحجاب

قلت : وماذا تفعلون برجال الدين ؟

قال : صدقت . لقد مرت علينا العصور ونحن مستعبدون لرجال الدين .وقد آن الاوان ان يعلموا ما هو واجب عليهم.فاذا تعرضوا لنا فسنلحقهم بالسلطان

قال ذلك بلهجة الحازم وعيناهُ تلمعان بنور خفيّ على ان معرفتي بتاريخ الاتراك وباحوال رجال الدين القت في نفسي بعض الريبة . ذلك لان الامر الذي اجتمع لهُ عزم الغازي لم يكن من توافه الامور . ومع ذلك فقد عرفت الغازي فعّالاً قليل الكلام . واذ لمح في وجهي دلائل الريبة قال لي . انك تتحدثين عن الدين . الا فاعلمي اني رجل لا دين لهُ. وكثيراً ما وددت لوكان في وسعي ان اقذف بجميع الاديان الى قعر البحر

فلم اجبهُ بشيء . اذ علمت انهُ لم يكن يومئ الى روح الدين بل الى ما علق بهِ من الاباطيل . وليس ذلك بمستغرب من رجل ولد وترعرع في سلانيك

وواصل الغازي حديثهُ فقال : ان الحاكم الذي يشعر بحاجتهِ الى الدين ليدعم بهِ حكومتهِ لهو أخرق الرأي ضعيف السلطان يحاول اصطياد الرعية بالحبال الواهية . اما الشعب التركي فسيتعلم مبادئ الديمقراطية الصحيحة ويرضع لبان العلوم الحقة . وسنضرب الخرافات بيد من حديد ثم ندع للناس حرية الاعتقاد ليعبدوا ما يشاؤون . فلكلٍ دينه وعقيدتهُ الاَّ اذا كان ذلك ينافي العقل ويأمر بالمنكر ويدعو الى العدوان

ذلك كان — ولا يزال — موقف الغازي مصطفى كمال بازاء الدين . وقد كان من

حسنات النظام القديم في تركيا اطلاق حرية الاديان الى اوسع حد . على ان الغازي رأى في ذلك شيئاً من الغلو وادرك ان هنالك اموراً تعزى الى الدين والدين بريء منها والمدنية الحقيقية لا تبيحها فهل يلام اذ هو تصدى لمنعها ؟

الغازي والاجانب

لقد عابوا على الغازي سياستهُ بازاء الاجانب فرموهُ بالتعصب وبكره الاجنبي . وكل دليلهم على ذلك انهُ نسخ الامتيازات الاجنبية وقضى على تعرض الاجانب لسلطتهِ . ولما قيل لهُ في ذلك قال انني لم اشهر سيفي الأ في سبيل الحق. فنحن قوم نرى في تعرض الاجنبي لنا سبّة ونريد ان نعيش مع الدول بسلام لكي يتاح لنا ترميم بلادنا وازالة مساوئ العهد القديم

وفي الواقع ان اخلاص مصطفى كمال لوطنهِ هو الذي حداه الى انتهاج ذلك المسلك فقد وجد بلاده مغلولة الايدي بسبب تعرض الاجنبي وكانت مرافق البلاد كلها في يد الاجانب والاتراك يعانون من جراء ذلك عرق القربة . ولم تكن المتاجر وحدها صيداً حلالاً للغريب بل كانت سلطة الدولة نفسها مقيدة بقيود الامتيازات . وقد رأى مصطفى كمال ان من العبث محاولة اي اصلاح ما دامت البلاد تحت نير الغير . وكان شعاره : « يجب ان نكون اتراكاً وان نجدد كل شيء » . وفي الواقع ان تركيا كانت مستعبدة في كل شيء — في دينها وتجارتها وماليتها وحكومتها ومدارسها وموارد حياتها . وما كان في وسع احد ان يطلق اسارها من دون خلع نير الامتيازات . فضلاً عن ان ترقية البلاد ودفعها نحو الديمقراطية الحقيقية كانا يقتضيان هدم النظام القديم واقامة صرح نظام جديد على انقاضهِ . ولو انك فحصت بعض شكاوى الاجانب من النظام الجديد لرأيتها تافهة الى حد مدهش. فهم يقولون ان التعليم والتخاطب والمراسلات بين دواوين الحكومة ولوائح الشركات واسعار السلع واجور السكك الحديدية وقوائم الفنادق وشعائر المخازن وما الى ذلك قد اصبح باللغة التركية بعد ان كان باللغات الاجنبية . وفي ذلك ما فيهِ من التعب لجماعة الافرنج من سياح ومقيمين بالبلاد . على ان الذين يشكون من جهلهم باللغة التركية انما يسرفون في العنت وكان جديراً بهم ان يرعوا حرمة النصفة ويعترفوا بان الغازي لم يأت شيئاً ادًّا

ويعتبر الغازي نفسه زعيم حزب الامة لكنهُ يكره ان يعزى اليهِ كل الفضل في بناء صرح النظام الجديد . ولذلك لا تسمعهُ يتكلم عن شيء بصيغة المفرد بل بصيغة الجمع

ويكره ان يوصف اي مظهر من مظاهر عمله بالكمالي . وهو شديد الاحترام لعبر التاريخ يستعين بها على عمله لاعتقاده ان حكم التاريخ لا يعرف الرحمة ولا المحاباة . ولذلك تراهُ يحاسب كلاً على عمله لا تأخذه فيهِ هوادة . ولهُ غرام بجمع الاحصاءات وبتحليل الحوادث لمعرفة العلل والمعلولات . واذا سألت عن اعظم رجال التاريخ في نظره قال لك ان كل من خدم وطنه هو رجل عظيم ومن الغبن ان تقارن رجال التاريخ بعضهم ببعض

وللاتراك في مصطفى كمال ثقة عمياء . وقد سئل احدهم عنهُ مرة فقال انهُ صفوة الرجولة التركية ونموذجها المعصوم عن كل خطإٍ . وهو شديد الاخلاص لوطنهِ يعترف لهُ كل تركي بانهُ رافع علم وطنهِ وضامن حريتهِ بعد ان كان الاتراك في عهد عبد الحميد اشبه بالسائمة

***

وللغازي باعتبارهِ رئيس الجمهورية التركية حرس خاص يحيط بهِ في روحاتهِ وغدواتهِ ولكنهُ يكره هذه المظاهر ويتمنى لو يستطيع الاستغناء عنها . وكثيراً ما ينسلُّ في الخفاء ليقضي ساعة في الخلاء بين التلال المجاورة . ولهُ خادم امين يدعى بكير يلازمهُ عن كثب ويحرسهُ ومع ان مهام الدولة تستدعي كل اهتمامهِ فانهُ يجد متسعاً من الوقت لاخذ نصيبهِ من الرياضة الحلوية . ولا تعقد حفلة من حفلات الدولة الاَّ يحضرها . واذا رأيتهُ في احداها ادهشك ما تراهُ من سلوكهِ الذي ينطبق في جزئياتهِ وكلياتهِ على ادق مقتضيات العرف والتقاليد . وهو في تلك المجتمعات نموذج دماثة الخلق وحسن الضيافة يضع كل شيء في موضعهِ ويقت لكل شيء وقتاً ومع محافظتهِ على مقتضيات منصبهِ وكرامة سلطتهِ تراهُ شديد الوفاء لاصدقائهِ الذين عرفهم في ايام حداثتهِ . وكان قره بكير من جملة قادة الجيش الذين ناوأوهُ في اول عهده ثم انضمَّ اليهِ لما استتبَّ لهُ الامر . فاغضى الغازي عن عدوانه وقبل منهُ ما اظهرهُ من الندم . ولما اساء قره بكير التصرف في احدى الولايات الشرقية والحَّ الناس في اقالتهِ ضنَّ بهِ الغازي ولم يشأ ان ينال منهُ احد . وقد غامر بذلك بمنصبهِ وبما لهُ من المكانة في نفس الشعب حرصاً على صديقهِ قره بكير . الاَّ ان هذا الصديق خان عهد الامانة فقلب للغازي ظهر المجن مرة اخرى

وعلاقة الغازي بوزرائهِ اشبه بعلاقة رب اسرة باهل بيتهِ . فهم شديدو الاخلاص لهُ يلجأُون اليهِ في كل معضلة ويقبلون حكمهُ في كل مشكلة . وهو خير قدوة لجميع الذين يعملون معهُ لا تغرّهُ بهرجة الظواهر ولا يكترث لمشاق المعيشة . ومن احسن ما يؤثر عنهُ

يرتب اوقاتهُ على مقتضى مهام الدولة ويعطي كل وجه من وجوه الحياة حقهُ . وهو
سع الاطلاع على آداب الافرنج كامل الالمام بمبادئ كتابهم . ولعل « ويلز » الكاتب
نجليزي العصري هو قدوة الكتاب في الادب والاجتماع في نظرهِ حتى انهُ يقتبس مما
كتبهُ ما لا يستطيع ان يقتبسهُ الانكليز انفسهم . وهو معجب اشد الاعجاب بكتابهِ
خلاصة التاريخ » فتراهُ يسلخ شطراً من اوقات فراغهِ في مطالعتهِ

لقد خلق مصطفى كمال جمهورية تركيا الجديدة وهو يعلم ان بقاء هذه الجمهورية ونجاحها
قفان على عمل ابنائها ولذلك تراهُ يسعى الى نفخ روح العزم والثقة في صدور القوم
ولاً تغيير نفسيتهم واستيلاء جيل جديد اكثر انطباقاً على مقتضيات الحالة الجديدة
صلح للبقاء من الجيل الذي افسدهُ رق العصور الفائتة . كل ذلك وهو لا ينتحل لنفسهِ
ئاً من الفضل بل يعزو نجاحه الى وطنية الشعب التركي واخلاص رفاقهِ القائمين معهُ باعباء
ولة واشد ما يوقر سمعه ان يوصف عهده بالكمالي او ان يقال ان الشعب التركي
مي الى الحزب الكمالي. ذلك لانهُ يعتقد ان ليس في البلاد حزب كمالي وحزب غير كمالي
ن الشعب كله حزب واحد هو حزب الوطن يسعى لخير الامة ويعمل على رفع منارها

وكان الغازي في اول الامر يأنف من العودة الى الاستانة حتى انهُ قضى سبع سنوات
رها في خلالها لانها كانت في نظره رمزاً الى العهد القديم فتقوَّل اعداؤهُ عن امتناعهِ
ها الاشاعات المختلفة وقالوا انهُ جبان يخشى ان هو زار الاستانة ان يلقى فيها حتفه بيد
حد اعدائهِ . فلما سمع بتلك الترهات صمم أن يزور الاستانة . وفي ذات ليلة علم اهل
ذه المدينة ان الغازي قد وصل وحلَّ في قصر « طولمه بغجه ». ثم ما عتموا حتى رأوهُ
لوف بانحاء العاصمة بلا حشم ولا حراس . فاثبت للقوم انهُ لم يكن يخشى احداً ولا
تقد ان لهُ اعداءً

قلنا ان العاصمة كانت في نظر الغازي رمزاً الى العهد القديم. وفي الواقع انها عنوان
سياسة العتيقة التي جرى عليها سلاطين الاتراك والتي كانت تمثل تماماً في شكل سلسلة من
ظالم والمفاسد في عهد حكام لم يروا من السبة ان تنزل البلاد الى اسفل دركات الغباوة
الفساد بل كانوا يتعمدون استبقاء الرعية راسفة بقيود المهانة لان جل ما كانوا يرمون
يهِ هو ملء جيوبهم واشباع بطونهم . ذلك هو ما كان يحول دون ذهاب الغازي الى
لاستانة في اول الامر . وقد اثبت للعالم اجمع ان تركيا اليوم غير تركيا الامس وان تلك
ان تكن اصغر من هذه حجماً الا انها اعظم قوة وارسخ بنياناً س . .

عيد الطيران الفضي

بعض وجوه الاصلاح التي ينتظر تحقيقها

في ١٧ دسمبر الماضي احتفل المشتغلون بشؤون الطيران بانقضاء خمس وعشرين سنة على تجربة الاخوين رَيط الاولى التي اثبتا بها ان الانسان يستطيع ان يحلق في الجو ويلبث فيه برهة وهو محمول على آلة اثقل من الهواء . فرأينا ان نثبت نبذة في رقي الطيران في العصر الحديث ثم نستطرد الى ذكر بعض وجوه الاصلاح التي ينتظر تحقيقها في المستقبل القريب كما يراها الكومندر برد الاميركي اشهر رواد القطبين عن طريق الجو ومن ارسخ الباحثين قدماً في مسائل الطيران من وجه علمي

من الخطاءِ البين القول بان كل الفضل في ارتقاءِ الطيران الحديث يرجع الى الاخوين ولبُر واورڤيل ريط . وهما آخر من يدعي هذا الفخر لانهما يعلمان انَّ روَّاداً كثيرين سبقوهما الى العناية بعلم الطيران وتقرير قواعده الاساسية ومحاولة التحليق في الجوّ بآلة اثقل من الهواءِ . على انهما افلحا حيث خاب غيرهما لانهما درسا مباحث من تقدمهما وجمعا الحقائق المنثورة ثم عكفا على تحقيقها واصلاح الخطاء فيها والبحث عن مبادىء جديدة مرتبطة بها . وبعد ما ملكا ناصية البحث من الوجهة النظرية عرفا بزكانة المستنبط المبدع كيف يبنيان عليها طيارة ترتفع في الجوّ وتلبث فيهِ برهة مع انها اثقل منهُ

وُلد ولبر ريط في ١٦ ابريل سنة ١٨٦٧ في بلدة ملڤيل بولاية انديانا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية ووُلد اخوهُ اورڤيل سنة ١٨٧١ وبعد ما تلقيا علومهما الثانوية فتحا دكاناً لاصلاح الدراجات (العجلات) ثم اتجهت افكارهما الى شؤون الطيران فعنيا بدرسها علماً وعملاً وفي ١٧ من دسمبر ١٩٠٣ طار احدهما بطيارة من صنعهما مسافة ٢٦٠ ذراعاً فلبث في الجوّ ١٧ ثانية فكان بذلك اول انسان طار بطارَّةٍ اثقل من الهواءِ . وفي ٥ من اكتوبر سنة ١٩٠٥ طار اورڤيل على مقربة من بلدة ديتون فاجتاز مسافة ٢٤ ميلاً بسرعة ٣٨ ميلاً في الساعة . ومع هذا النجاح لم يقدم احد من المتمولين على تعضيدهما بالمال . فذهب ولبر ريط سنة ١٩٠٨ الى فرنسا وفي ٢١ من سبتمبر فاز بجائزة ميشلن بعد ما طار مسافة ٥٦ ميلاً . فذاع صيتهُ بين ليلة وضحاها . وفي شهر دسمبر من السنة نفسها طار مسافة ٧٧ ميلاً في ساعتين وثلث ساعة . وفي سنة ١٩٠٩ طار فوق نيويورك مسافة ٢١ ميلاً في ٣٣ دقيقة و٣٣ ثانية . وسنة ١٩٠٩ منحهما الكنغرس (مجلس الامة الاميركية)

وساماً ضُرب لهما خاصة ثم اشترت الحكومة طيارتهما بستة آلاف جنيه . وقد توفي ولبر سنة ١٩١٢ ولا يزال اخوهُ اورفيل حيًّا وهو رئيس المهندسين في شركة طيران كبيرة

ما اقصر الشقة بين ١٧من دسمبر سنة ١٩٠٣ و١٧من دسمبر ١٩٢٨ وما اطولها !

استغرقت الرحلة الجوية الاولى بالطيارة ١٧ ثانية ومن الطيارات الآن ما يبقى محلقاً في الجوّ نحو ستين ساعة . وكانت سرعة الطيارات الاولى لا تتجاوز ٣٨ ميلاً في الساعة اما الآن فقد بلغت سرعة الطيارة المائية التي امتطاها الكابتن دارسي كريج الانكليزي في نوفمبر الماضي ٣١٩ ميلاً في الساعة . وكان الناس حينئذٍ يسمعون اخبار الطيران ولا يصدقونها لغرابتها ولاعتقادهم الراسخ ان مجاراة النسور في الجو امر يستحيل على الانسان. اما الآن فترى الطيارات تطير في مواعيد معينة وتصل الى اماكن طيّها في مواعيد معينة تحمل على متنها الرسائل والركاب وامتعة الركاب . وترى الروّاد يستقلونها لاجتياز البحار والصحارى ولارتياد القطبين وما يحيط بهما من الاصقاع المتجمدة . وترى الدول تهبُّ الى بناءِ اساطيلها الجوية كما كانت تعدّ جيوشها البرية واساطيلها الضخمة استعداداً للمعارك فوق الغيوم .وكانت فواجع الطيران يتلو بعضها بعضاً فصارت بعض الشركات تمنح راكبي طياراتها تأميناً مجانيًّا على حياتهم في اثناء الطيران لشدة ثقتها بسلامة الذهاب والاياب . وقد انقضى على شركة امبريال اروبز اكثر من ثلاث سنوات لم تصب طياراتها بفاجعة ما

كل هذا التقدم في وسائل النقل والانتقال بدأ يوم فاز ولبر رايط بالطيران مسافة ٢٦٠ ذراعاً في ١٧ ثانية يوم ١٧ من دسمبر سنة ١٩٠٣ . من كان يقول حينئذٍ ان ذلك اليوم يصبح حدًّا من حدود التاريخ التي ينتهي عندها عصر ويبدأ عصر جديد !

مستقبل الطيران

من اغرب المفارقات في تاريخ العمران انهُ بقدر ما تزداد عناية الجمهور بشؤون الطيران، يبطىءُ ارتقاؤهُ .ذلك انهُ كلما كثرت العقول التي تعنى بمعالجة المشكلات وحلها كثرت الآراءُ المتضاربة وبطؤ التقدم . ولكننا مع ذلك نخرج من معمعة الآراء ونحن واثقون بان الرأي الذي يستقرُّ عليهِ القرار هو الرأي الراجح والقول الصواب.فمتى اشترك مئات من المهندسين في المفاضلة بين المحركات التي تبرد بالهواءِ والمحركات التي تبرَّد بالماءِ وجب ان نثق ان نوع المحرّك الذي تتفق عليهِ كلهم يفضل نوعي المحركات التي حميت عليهما معمعة الجدال

والطيران قد خاض الآن هذا الدور من ادوار النمو والارتقاءِ فصفوف المهندسين الذين يضعون رسوم الطيارات واصحاب المصانع الذين يريدون ان يبنوها والطيارون التائقون الى ان يخوضوا بها عناصر الجوّ تتضخم كلَّ يومٍ بما ينتظم في سلكها من خريجي

دارس او مهرة الصناع . لذلك كثر تضارب الآراء بين الصفوف وبطؤ ارتقاء الطيران
اقيس بسرعة ارتقائه منذ اوائل الحرب الكبرى . ولكنني واثق كل الثقة ان ما ينتظر
قيقه من الارتقاء ابقى اثراً واعظم فائدة . ويلوح لي من احاديثي مع اناس من مختلف
طبقات ان العامة تهتز لما تراه في حياة الطيار من الخطر والمغامرة وتنتشي بنشوة القوة
السلطان حين تتصور ما يكننه المستقبل القريب من العجائب والممكنات. فمستقبل الطيران
تعط كل الارتباط بما يلازمه من خطر ومغامرة. وتقدم اية وسيلة من وسائل النقل والانتقال
تكفل الا اذا كانت امينة الجانب . فالجمهور لن يؤثر الطيارة على السكة الحديدية الا
ا وازت الطيارة السكة الحديدية في سلامتها وما يتوفر فيها من اسباب الراحة على الاقل

وقد خطونا في السنوات الماضية خطوات كبيرة الى الامام . فقد اثبتنا اولاً ان آلة
ن آلات الاحتراق الداخلي تستطيع ان تبقى دائرة نحو يومين من غير ان تقف . عرفنا
لك اولاً في مختبرات المعامل الصناعية حيث بقيت بعض الآلات دائرة اكثر من يومين
لكن الدوران في المعمل شيء والثبات على الدوران في عاصفة تهب فوق الاتلنتيكي او
لقطب الشمالي شيء آخر . على ان الشجعان من روَّاد الجو الذين طاروا من اوربا الى
ميركا او من اميركا الى جزائر هواي ومنها الى استراليا او من اوربا الى اميركا الجنوبية
ثبتوا انهُ يصح الاعتماد على دوران المحركات دوراناً متصلاً من ٣٠ الى ستين ساعة
ذلك رغم ما لقوه في رحلاتهم من تقلب في احوال الجو وتفاوت في درجة الحرارة .
عندي ان يوم الآلة التي تستطيع ان تستمر دائرة نحو مائة ساعة قد اصبح على الابواب

تعدد المحركات

وقد اثبتت هذه الرحلات الجوية البعيدة المدى ان الطيارات المجهزة باكثر من محرك
احد هي الطيارات التي يصح الاعتماد عليها في المواصلات الجوية لانهُ اذا اصيب احد
محركاتها بعطل ما اوقفهُ عن الدوران أُستعمل المحرك الآخر وهلم جرًّا . وعليه ارى ان
طيارات الركاب التي ينتظر ان تكون شائعة سنة ١٩٣٦ لا بدَّ ان يكون كل منها مجهزاً بعدد
ن المحركات يتراوح بين الاربعة والعشرة . ولا يستعمل بعض هذه المحركات الا حين
الحاجة — اي حينما يعطل بعض المحركات الاخرى . ولا بدَّ ان يعنى المستنبطون
المشتغلون بشؤون الطيران بتخفيف حملها في لحظة من الزمان . اذ قد ثبت لي بالاختبار
ن هذا الامر لا مندوحة عنهُ . ففي الطيارة « اميركا » التي طرنا عليها من اميركا الى اوربا
كنا قد اعددنا جهازاً خاصًّا يمكننا من افراغ حوض البنزين على سعته في دقيقة ونصف
دقيقة لاني حسبت انهُ اذا لم تستطع الطيارة النهوض بحملها الثقيل فالمرجح انها تتعرض في

محاولتها النهوض لخطر الانقلاب او الاصطدام فافراغ حوض البنزين في لحظة رهيبة كهذه يخفف حمل الطيارة فتصبح قادرة على ان تنهض به

صعود الطيارة ونزولها

ومن الامور التي انتظر تحقيقها في المستقبل استنباط جهاز يمكن السائق من ابطاء سير الطيارة لدى نزولها الى الارض . فطيارة ربط كانت تسير على سطح الارض بسرعة ثلاثين ميلاً في الساعة ثم تبطيء رويداً رويداً الى ان تقف . اما طيارات اليوم فيجب ان تكون سرعتها ٦٠ ميلاً في الساعة لدى نزولها الى الارض لانه اذا كانت سرعتها اقلّ من ذلك لم تستطع الهبوط الى الارض هبوطاً تدريجيًا لثقلها فاذا اخطأ الطيار خطأً مهما يكن قليلاً في ادارتها عرّض الطيارة وراكبها لاصطدام خطر . وزد على ذلك ان هذه السرعة تستلزم ميداناً فسيحاً تجري فيه الطيارة قبل وقوفها . ولعلّ التقدم يأتي من ناحية التغيير في شكل الطيارة ونسبة اجزائها بعضها الى بعض او باستنباط اجهزة صغيرة تتصل بالاجنحة فتفعل فعل « الفرامل » في السيارات والمطارات فتبطئ سرعة الطيارة حين تمس الارض. ويتبع ذلك استنباط اجهزة تمكن الطيارة بحملها الثقيل من ان ترتفع عن الارض او تهبط عليها في زاوية اكثر انفراجاً من الزوايا التي تستعملها الآن. وهذا الامر على تفاهته الظاهرة خطير جدًّا . ذلك ان ازدحام المدن يجعل تصغير مساحة المطير الذي تحطُّ فيه الطيارات وتقوم منهُ من الامور التي لا مندوحة عنها . فاذا كانت زاوية القيام — اي خط قيام الطيارة بالنسبة الى سطح مستوٍ — حادة وجب على الطيارة ان تسير شوطاً طويلاً قبلما ترتفع عن الارض ارتفاعاً كافياً . ولذلك هلل الناس وكبروا لطيارة دلاشيرفا الاسباني الانكليزي التي وُضع في اعلاها عجلة كطاحون الهواء فتمكنت طيارتهُ من النهوض في خط عمودي تقريباً والنزول الى الارض في خط عمودي

الطيران والمخاطبات اللاسلكية المنظمة

وعندي انهُ متى تمكنت الحكومة وشركات الطيران من تنظيم مكتب لجمع انباء الظواهر الجوية من مختلف الانحاء بالتلغراف والتلفون اللاسلكيين واذاعة هذه الانباء اذاعة منتظمة حتى يستفيد منها سائقو الطيارة قلّ كثيراً الخطر الذي تتعرض لهُ طيارات الركاب وطيارات البريد. فاذا انتظمت خطوط السفر الجوي بين اوربا واميركا فوق المحيط الاتلنتيكي كانت هذه الانباء التي تذاع من محطات لاسلكية قائمة على شواطئ القارتين ومن البواخر الماخرة عباب البحر ، كالاشعة التي تنبثق من المنائر القائمة على الشواطئ الصخرية تفري الظلمات وتهدي التائهين. لانها علاوة على اذاعة انباء الجوّ تعيّن للطيارين مواقع طياراتهم.

وحينئذٍ لا يعود ضروريّاً لربّان طيارة ان يوجهها معتمداً على البوصلة فقط بل يجمع الاخبار الواردة عليهِ من مختلف الجهات ويعين موقعهُ واتجاههُ . ولا يخفى انهُ اذا اضاع الطيار اتجاههُ تعرض لاكبر المخاطر

بين اوربا واميركا

وهذا يصل بنا الى الكلام على انتظام السفر الجوي بين اوربا واميركا فوق المحيط الاتلانتيكي. فقد عني جمهور من الباحثين بوضع رسوم مختلفة لجزائر صناعية ضخمة تقام على صدر الخضم في خط الطيران فتؤوب اليها الطيارات لملء أحواضها بالبنزين او ترسل منها السفن والطيارات لاغاثة الطيارات التي تصاب بحادث ما. ولا شك ان المسافرين لا يغامرون بأنفسهم اذا لم يتأكدوا ان في البحر أماكن تستطيع الطيارات ان تنزل فيها اذا تعرضت للخطر. ورأيي الخاص انهُ قد لا ينقضي نصف قرن على الاكثر الاّ ونرى نوعاً من هذه الجزائر قد استقرّ القرار عليهِ وبنيت معهُ سفن ضخمة لها سطوح متسعة تستطيع الطيارات ان تحطّ عليها وان تحلق منها في الجوّ . وهذه السفن تعيَّن لجوب البحار في مناطق خاصة . فاذا وقع لطيارة من طيارات الركاب ما حتم عليها طلب الغوث فعلت ذلك لاسلكيًّا فترسل طيارات صغيرة من أقرب السفن اليها لتنجية الركاب والسائقين . ومع ان هذا الحلّ لا يفي بالمطلوب الاّ انهُ ولا ريب خطوة تتبعها خطوات أخرى

الطيارة ام البلون

ولا بدَّ ان تنشأ مزاحمة شديدة بين الطيارات والبلونات وخصوصاً لان الحكومات المختلفة أخذت تنفق نفقات طائلة في بناء بلونات ضخمة . فالبلون غراف زبلين بلغ طولهُ ٧٦٢ قدماً والبلون الانكليزي الذي ينتظر اتمامه قريباً طولهُ ٧٢٠ قدماً ويسع خمسة ملايينِ قدم مكعبة من الغاز وفي امكانه ان يجتاز مسافة ٩٠٠٠ ميل من غير ان ينزل للارض حاملا مائة مسافر . والبلون الاميركي الذي يبنى الآن سيكون أضخم من هذا فطولهُ سيكون ٧٨٠ قدماً وسعتهُ ٦ ملايينِ قدم مكعبة من الغاز وفيه ٨ آلات مجموع قوتها ٤٨٠٠ حصان تسير البلون بسرعة ٨٥ ميلا في الساعة . وأظن انهُ لا بدَّ ان تمضي خمس سنوات على الاقل قبل ان نتمكن من بناءِ طيارة تستطيع ان تحمل على متنها مائة مسافرٍ مع ان أحد المهندسين الالمان يشتغل الآن بوضع تصميم كامل لطيارة من هذا القبيل

ومع ان كثيرين يرون ان السرعة التي بلغتها الطيارات الآن هي سرعة فائقة الحدّ لا أرى ان هناك ما يمنع زيادة هذه السرعة الى خمسمائة ميل في الساعة وخصوصاً بعد ما تدرس طبقات الجوّ العالية درساً وافياً حيث الهواءُ ألطف فيسهل على الطيارات ان تزيد سرعتها

زاديج : لفولتير

ولد ڤولتير في باريس سنة اربع وتسعين وست مائة والف م. وقرأ على جماعة الجزويت فأخذ عنهم فنون الادب اليوناني والادب اللاتيني ولكنهُ ما لبث ان انقلب على عقائدهم وتعاليمهم . ثم انهُ قضى عهد شبابهِ بين الجرأة على الناس والطعن في الدين فسجن مرتين ثم نفي الى انكلترا وما رجع الى فرنسا حتى فرَّ منها الى سويسرا من اجل كتاب عنوانهُ الرسائل الفاسفية . وكان ملك بروسيا قد دعاه الى جانبهِ فقصده وسرعان ما فارقهُ مغضباً ثم عاد الى سويسرى ثانية حيث اجتهد في الكتابة وهو يبلغ من العمر اثنين وستين عاماً وفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة والف استأذن ملك فرنسا في دخول باريس فلما دخلها عظمهُ اهلها واجلوا شأنهُ . وفي ليلة ٣٠ مايو من هذه السنة مات فرحاً وقد نالهُ اضطراب شديد وهو يحضر تمثيل احدى رواياتهِ . وقد كان ڤولتير أنانياً سبّاباً متملقاً كاذب اللسان فاسد الطوية شديد الحقد وكان مع هذا مخلصاً لاصدقائهِ سمح اليدين . وكان فيلسوفاً اديباً شاعراً قصاصاً عالماً سياسيًّا. أما فلسفتهُ فالابيقورية والتمرد على ما وراءِ الطبيعة وكره الدين ولاسيما النصرانية واما ادبهُ فالمحافظة على الطريقة الاتباعية في النثر وڤولتير يُعدّ اكتب كتّاب فرنسا واما شعره فتكلف جامد واما قصصهُ فخفيفة الظل فصيحة العبارة بعيدة المرمى الفلسفي والاجتماعي واما علمهُ فسطحي مع وفرتهِ واماسياستهُ فانكار الاستبداد الملكي والمطالبة بحرية الفكر والنشر وقد وطدت سياستهُ الثورة الفرنسوية وزميله في هذا الامر جان جاك روسو . والى القارئ ترجمة قطعة من قصة زاديج وهي قصة فلسفية في قالبٍ خيالي وفي صورة شرقية اراد ڤولتير بها أن يبثَّ بعض آرائهِ في السياسة والفلسفة وأن يهزأ بمن عاداهُ من المفكرين في عصره . وما زاديج الاَّ ڤولتير نفسه

﴿ الرقص ﴾ ... ما اقام زاديج في جزيرة سرنديب طويلاً حتى عُدَّ رجلاً عجيباً . فغدا صديق الحكماء ومرجع المستشارين والحكم الفاصل فيما بين التجار . وقد رغب ملك سرنديب ان يعرفهُ فلما رآهُ وسمعهُ ما عتَّم ان قدره قدره فسكن الى حكمتهِ واختصَّهُ بمودتهِ . ولكنما زاديج خشي ولاء الملك لهُ وتعظيمهِ اياهُ وكان متوقعاً صباح مساء الضرر الذي لحقهُ ايام حظوتهِ بين يديَّ موأبدار في مدينة بابل وقد كان يقول في نفسهِ ان الملك اطمأنَّ الى عشرتي فلا مفرَّ من الهلاك . غير انهُ لم يقوَ على التنصل من ملاطفة الملك

لانّ نابوسان ملك سرنديب . . . كان من اخيار امراء اسيا ومن اقرب الناس الى القلوب

وكان الملك طالما خُدع وسُرق وكان رجالهُ يتسابقون الى سلب امواله وكان محصل الجزيرة العام قدوة في هذا الشأن فاقتدى بهِ سائر الموظفين . وكان الملك على علم بذلك فبدّل خزنة المال غير مرة ولكنهُ عجز عن ان يبدّل النظام المتبع وقد كان دخل المملكة ينقسم بموجبهِ قسمين متفاوتين اجسمهما مرجعهُ الى الوكلاء والآخر الى جلالتهِ

فكاشف الملك زاديج بهمهِ وقال لهُ الا ترشدني وانت اعلم باجلّ الامور الى خازن طاهر الكف قال زاديج بلى والله ففرح الملك فرحاً شديداً وقال وكيف ذلك قال زاديج ان يرقص المتقدمون للوظيفة فأرشقهم رقصاً وأخفهم وثباً لاشك آمن الناس قال الملك امازح انت فلعمري ما رأيت قط طريقة يضحك منها مثل الطريقة التي عرضت . اتزعم أن ارقص الخزنة احذقهم وانزههم قال زاديج ربما كان احذقهم ولكنهُ لا ريب انزههم . وكان زاديج يتكلم بلهجة رجل واثق بما يقول . فظن الملك أن لهُ سرًّا يفوق ما هو طبيعي في البحث عن رجال المال. فبادرهُ زاديج وقال لهُ اني اكره ما فوق الطبيعة ولم استسلم قط الى رجال العجائب ولا الى كتبهم فان فسح لي مولاي في ان اجرّب ما بسطت لهُ اقتنع ان سرّي من اقل الامور خطراً فدهش الملك ولربما ما دهش لو قيل لهُ ان سرَّ زاديج اعجوبة من اعاجيب الزمان . ثم قال للرجل افعل والله ما رأيت قال زاديج ليدعني مولاي ودأبي يغنم فوق ما يظن ثم اعلن باسم الملك ان يُقبل كل من رغب في وظيفة محصل خراج جلالة نابوسان بن نوساناب في مستهل قمر التمساح الى بهو القصر في ثياب من دقيق الحرير. فأتى البهو في الميعاد المذكور اربعة وستون رجلاً . وكان بجوار البهو قاعة جلس فيها العازفون واخذوا في الضرب والنقر . وكان بين البهو وبين القاعة سرداب مظلم قد عرض فيهِ الملك كنوزه . وكان الحاجب ينطلق فيهِ بالرجال فرداً فرداً . ويلبث فيهِ بضع دقائق

ولما استقرت القاعة بجميع الرجال أمر الملك بالرقص . فما ثقل احد قط في رقصهِ مثلما ثقل اولئك القوم . وكان كلهم منكس الرأس عاثر الخصر مسنداً جنبيهِ بيديهِ . فكان زاديج يقول في نفسهِ ما الأمم . ثم لمح من بينهم رجلاً يرقص في خفة ورشاقة عالي الرأس ثابت الساق فقال ما اكرم الرجل وما أعفّهُ . . . ثم ان الملك قبّل الرجل وجعلهُ خازنهُ وعاقب كلَّ من رقصوا معهُ عقوبة موجعة لأنهم كانوا قد ملأوا جيوبهم مما حوتهُ الكنوز عند ما مرّوا في السرداب فثقلت خطواتهم

على ان الملك غضب للطبيعة البشرية لما رأى من اربعة وستين راقصاً ثلاثة وستين لصًّا . . . واما السرداب فسمي سرداب الاستغواء ؟

ف . . .

امحوتب

آله الطب عند
قدماء المصريين .
عاش في عصر
الاسرة المصرية
الثالثة بمنف وكان
الوزير الاكبر للملك
زوسر باني الهرم
المدرج بسقارة .
وكان كذلك مهندساً
معمارياً بارعاً وقد
جاء في النصوص
القديمة ان هذا
الاله هو ابن المعبود
بتاح خالق الكون
من سخمت
الاهة الجراحة

مقتطف يناير ١٩٢٩
أمام الصفحة ٧٥

المؤتمر الطبي الدولي في مصر

والاحتفال بانقضاء مائة سنة على انشاء المدرسة الطبية المصرية

قدم الطب

اي متى بدأ الانسان يدرك شيئاً من اسرار الخلق والتركيب ، اي متى بدأ يبحث عن وظائف الاعضاء والانسجة وافعالها الحيوية ، لقد قيل ان علم الهيئة اقدم العلوم على الاطلاق . ومما لا ريب فيه ان علم الهيئة نشأ في فجر التاريخ . ولكن وراء المبادىء التي وضعها الانسان في علوم الهيئة والطب والرياضيات قضى البشر قروناً طويلة يجمعون في اثنائها عن طريق الاختبار والتجربة قدراً من الحقائق بنوا عليها في فجر التاريخ علوماً ، ولا يعلم على وجهٍ من الدقة اي هذه العلوم سبق غيره الى الوجود

ولو كان يصحّ ان يقال ان اقدم هذه العلوم هو العلم الذي عثر الباحثون على اقدم مخطوطات فيهِ لفاز بفخر الاقدمية علم الطب والرياضيات . لان الباحثين عثروا على مخطوطات مصرية في الطب والرياضيات اقدم كثيراً من اقدم الكتابات الفلكية التي كشف عنها . ولكن الحكم الفاصل بهذه الطريقة متعذر لان هذه العلوم الثلاثة اقدم من كل المخطوطات والكتابات التي وجدت

وقد كانت مصر في زمن الفراعنة ساطعة بالمعارف الطبية كما ثبت من مراجعة النقوش في معابد المصريين القدماء وما دوّن في قراطيسهم كقرطاسي ايبرس وادون سمث المشهورين وغيرهما. وامتاز الاطباء المصريون القدماء امتيازاً خاصاً بمعرفة العظام واجزائها والاحشاء الكبيرة كالقلب والكبد والطحال والامعاء والمثانة ومجرى البول والرئتين وعرفوا مركز القلب وعلاقتهُ بالاوعية الدموية كما اشتهروا بتشخيص الامراض واعمال الجراحة والتحنيط حتى ان احدهم عمل عملية التربنة وهي ثقب الجمجمة لمداواة المخ

فاجلالاً لما بلغهُ المصريون القدماء في فروع الطب ، وتنويهاً بما للاسرة المصرية المالكة،من محمد علي باشا الى الخديوي اسماعيل الى جلالة الملك فؤاد من ايادٍ بيضاء على ترقية العلوم الطبية في مصر ،واحتفالاً بانقضاء مائة سنة على انشاء المدرسة الطبية المصرية

المشهورة بمدرسة قصر العيني اجتمع المؤتمر الطبي الدولي في عاصمة الديار المصرية في الاسبوع الثالث من شهر دسمبر الماضي وحضره مندوبون من اقطار الارض نابوا فيهِ عن ٤٦ دولة وجامعة

افتتح المؤتمر حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد في حفلة حافلة بدار الاوبرا الملكية صباح السبت في ١٥ دسمبر الماضي. ثم توزع أعضاؤهُ على الفروع التالية : (١) تاريخ الطب (٢) الامراض الباطنية (٣) الجذام (٤) القلاازار (٥) الملاريا (٦) التدرن الرئوي (السل) (٧) الدوسنطاريا (٨) امراض الاطفال (٩) الجراحة (١٠) امراض النساء (١١) علم الطفيليات (١٢) البلهارزيا (١٣) الباثولوجيا والبكتريولوجيا (١٤) الصحة العامة (١٥) امراض العيون (١٦) المباحث العلمية. ويوم الاثنين في ١٧ دسمبر تفضل حضرة صاحب الجلاله الملك فؤاد فوضع حجر الاساس لكلية الطب الجديدة ومستشفى فؤاد الاول التابع لها وذلك في روضة المنيل على مقربة من مدرسة قصر العيني الحالية . وفي هذا الاحتفال مُنح حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد لقباً فخريًّا من الجامعة المصرية هو لقب دكتور في الشرائع ومُنح الجراح المصري المشهور الدكتور علي ابرهيم لقب رفيق في كلية الجراحين الملكية بلندن

نبذة من سيرة كلوت بك

مؤسس المدرسة الطبية المصرية (١)

في سنة ١٨٢٥ عيّن كلوت بك بواسطة جومار Jomard للمرحوم محمد علي باشا ويعهد بانشاء مصلحة الصحة وكان جراحاً باسبتالية مرسيليا وكانت الحاجة لانشاء ادارة الصحة اذ ذاك من الامور الضرورية للجيش والاهالي الذين كانت تداهمهم الاوبئة والامراض الموبقة لعدم رعايتهم قواعد الصحة والسير بموجبها . وفي ذلك العهد كانت بعض الولايات الشاسعة كسنار وكردفان والحجاز وكريد والشام محتلة بجيش عرمرم لا يقل عدد جنده عن مائتي الف نفر وهذا الجيش الكثيف الذي كان تحت امرة قواد معظمهم من الاجانب لم تكن لهُ ادارة صحية يرجع اليها لدى الحاجة بل كان بهِ بعض اطباء من

(١) هذه النبذة مقتطفة من خطبة طويلة للمسيو لورنسه الذي ناب عن حكومة فرنسا في ازاحة الستار عن تمثال كلوت بك بمدرسة قصر العيني في حفلة اقيمت في ٦ يناير سنه ١٨٩٥ وكان المرحوم الدكتور شمل اول من اشار بنصب تمثال كلوت بك في صحن مدرسة الطب وذلك في الصفحة ١٨٢ من الجزء الخامس من مجلة الشفاء الصادرة في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٨ وكان التمثال هدية من ابن كلوت بك الى المدرسة الطبية . والنبذة مترجمة بقلم محمد افندي حلد وقد نشرنا ما نشرناه منها بنصه
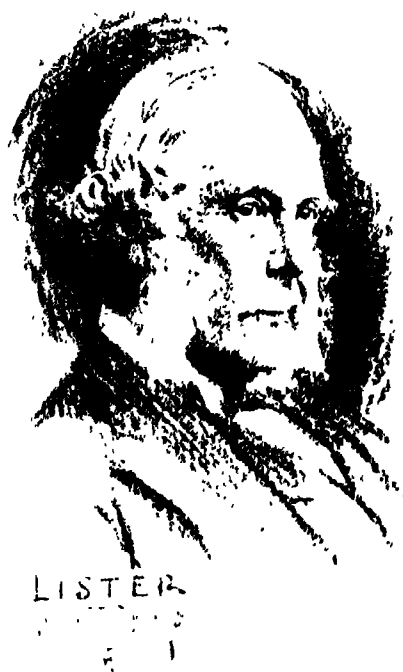
اربعة من أركان الطب الحديث

مقتطف يناير ١٩٢٩ ـ امام الصفحة ٧٧

الاوروبيين اقل من القليل في جانب ما يلزم ولم يكن هؤلاء الاطباء تحت رئاسة واحد منهم بل كانوا على حالة الاستقلال بعضهم بازاء بعض وعدم وجود نظام يرتبطون به كان من البواعث التي تجعل عنايتهم بالمرضى والجرحى عديمة الجدوى ضعيفة الفائدة

فعند ما عين كلوت بك رأى ان لا بد من القيام بكل هذه الامور سداً للخلل ومحافظة على حياة الجيش ولدى وصوله الى القطر المصري بذل قصارى جهده وعظيم همته في انشاء مصلحة الصحة وترتيبها معتمداً في اعماله على حسن ثقة محمد علي باشا به ثم سن لائحة محكمة ضبط بموجبها درجات الاطباء ولم تكن موجودة قبل قيامه بهذه المهمة مستشفيات في غير القاهرة والاسكندرية فقام بانشاء عدة مستشفيات داخل القطر وأوجد فيها الادوات والموظفين على ما يقتضيه عدد المرضى في كل جهة

وحيث ان الادارة كانت ضرورية للتصريح بتعاطي صناعة الطب للاطباء ، نظم ادارة مخصوصة ولم يمض على عمله سنتان حتى اتى بالفائدة المطلوبة وسار في طريق التقدم وشهدت له علماء اوربا ولكنه لم يكتف بتلك النتيجة المهمة التي نالها بل بذل عظيم المجهودات لشفاء اطباعه الشريفة

وفي سنة ١٨٢٧ ميلادية رأى المرحوم محمد علي باشا ان يوصل منافع الصحة للاهلين اذ انه كان بما اوتي من سمو المدركة يعلم ان قانون الصحة الذي به تخفف الحياة البشرية هو من اهم بواعث الخير العام للامم وكان يعلم ايضاً ان جودة الصحة في الافراد هي اعظم اسباب السعادة في هذا العالم ففي محادثاته مع كلوت بك ونخبة العلماء الذين قربهم منه كان كثيراً ما يردد هذه الخواطر الكريمة ولكن كيف يتأتى له ان ينفذ مقاصده الجليلة هذه وعدد الاطباء قليل في جنب ما يلزم للجيش وليس بالمراكز اطباء ويستحيل عليه مهما بذل من الاموال الطائلة ان يتحصل على المدد الكافي من الاطباء ، فرأى ان لا حل لهذه المسئلة الصعبة الا ايجاد تعليم اهلي لتخريج اطباء من الاهالي يقومون بشؤون الصحة وحفظها ، وفي سنة ١٨٢٧ ميلادية أشار عليه كلوت بك بانشاء مدرسة الطب لتخريج ضباط صحة على جانب من العلوم الطبية ينتفع بمعارفهم في الظروف الصعبة التي كانت مصر محفوفة بها في ذلك العهد . فادرك المرحوم محمد علي باشا بثاقب فكرته ما يترتب على احداث هذه المدرسة من عظيم المزايا للقطر ورغماً عن معارضة بعض المعارضين صار احداث مدرسة الطب بابي زعبل على مقربة من مستشفى عسكري كان هناك

ولقد كانت صعوبة نظام المدرسة مما يثبط الهمم ولكن غير همة كلوت بك العالية فانه لم تكن حينئذٍ محال ولا آلات ولا مساعدون بقدر الكفاية وكانت بعض الاوهام الفاسدة

الشائعة تصعب مباشرة الاعمال على الجثث بل تجعلها خطرة على من يباشرها فانهُ لا تخفى حادثة التلميذ الذي استولت عليهِ ثورة الغضب فهجم على كلوت بك وضربهُ ثلاث مرات بخنجر كان في يده بقاعة التشريح بينما كان مشتغلاً باعطاء درس في علم الجراحة ولم ينج كلوت بك بحياتهِ الاَّ بتوسط بعض المساعدين الذين قبضوا على هذا المعتوه

وكان التعليم اذ ذاك على وتيرة تعليم مدارس فرنسا الطبية وكان القاء الدروس باللغة العربية بواسطة المترجمين وهذه الطريقة المعيبة ما كان يمكن اتباع غيرها في عهد لم تكن التلامذة فيهِ تعرف مبادئ اللغة الاجنبية . بيد ان كلوت بك كان يرى ان تتبع هذه الطريقة موقتاً وكان يعلل نفسهُ انهُ في اقرب وقت تستعد التلامذة لتلقي الدروس الطبية باللغة الفرنساوية ودليل على ما قدمتهُ فقرة من كتاباتهِ يحسن ان نميها وهي بفحواها « في سنة ١٨٢٧ ميلادية انشأت مدرسة لتعليم اللغة الفرنساوية تسهيلاً لعلاقات التلامذة بالاساتذة ولكي تسمح لهم بالتغذي بلبان العلم من ضرعهِ » وفي غضون انتظار تلك النتيجة التي كان يطمع في نوالها مع ما كان يحول دون تحقيقها من المصاعب باشر تعيين اثنين وخمسين كتاباً من اهم الكتب المطبوعة باللغة الفرنساوية ، وقام بانشاء جنينة لتعليم علم النباتات في ابي زعبل ثم نقلت الى قصر العيني . ثم جمع مجموعة الحيوانات تكملة لادوات التعليم واخيراً احدث مدرسة لتخريج القابلات لكي يقمن مقام المولدات الجاهلات المنبثات في المدن والقرى. وفي اثناء الثاني عشرة سنة الاولى من حكم المغفور لهُ محمد علي باشا خرَّجت مدرسة الطب الفاً وخمسمائة طالب جلهم من ذوي الفضل والالمام بالعلوم الطبية ،وكان هذا العدد كافياً لتوظيف أطباء بالمراكز وتوسيع نطاق مبدإ مساعدة المرضى بالمنازل واحداث ادارة لتلقيح الجدري نشأ عنها حفظ حياة ستة آلاف طفل في كل عام وكانوا قبل التلقيح يموتون بانتشار عدوى الجدري . اما مساكين المرضى والمجانين الذين كانوا يهيمون على وجوههم في الطرق فقد أدخلوا المستشفيات لمعالجتهم والعناية بأمرهم واذ ذاك قلَّ عدد العميان الذين كانوا يتخبطون جماعات في الطرق وكان يندهش لكثرتهم سيَّاح الاجانب

على ان أفكار كلوت بك الصائبة فيما يتعلق بالصحة العمومية تدلنا أوضح دلالة على حسن تبصره وارتقاءِ ملكته في نظر الامور وتقديرها حق قدرها فانهُ ما كان يمكنه ان يعرف حينئذٍ الميكروبات ولا تأثير الضوء او الاكسجين على هذه الاحياء الدنيا ، ومع ذلك فقد ختم احدى رسائلهِ لاسماعيل باشا الخديوي الاسبق بهذه الكلمات الشهيرة : « ليقلع عن تلك العادة الوخيمة وهي سجن من تجري عليهم الكارنتينة مدة شهور فان

الصحراء والهواء الطلق الذي يستنشق فيها أنفع في ملاشاة الاوبئة من الاسوار التي تشيدها يد الانسان »

وهي حقيقة من الحقائق الثابتة التي سارت بموجبها مجالس الصحة الدولية فيما بعد واتخذتها دستوراً لاعمالها في ثغور مصر ورغماً عن مكانته التي أوصلته لها خمس وعشرون سنة من الكد والعمل والمجهودات فقد خانه الزمن ونزلت به المحن بوفاة المرحوم محمد علي باشا وبترت مصلحة الصحة ومدرسة الطب والولادة بحجة اصلاح نظامهما وقد انصدعت كبده وانخلع فؤاده لما رأى ما قضى في انشائه السنين الطويلة من حياته قد تلاشى تحت جرة قلم

ولما كان عام ١٨٤٩ ميلادية سافر الى فرنسا وأقام فيها خمس سنوات للاستراحة من عناء ما ألم به من الكآبة والكدر وعند ما تولى سعيد باشا زمام الاحكام بمصر ورغب في استمرار أعمال والده الجليل المرحوم محمد علي باشا استدعى كلوت بك ولكونه من ذوي الاقدام والاخلاص لبى دعوة المرحوم سعيد باشا وقصد مصر التي كان يحن اليها كوطن ثان له لكي يعيد لها مصلحة الصحة ومدرسة الطب على نظام جديد وفي سنة ١٨٥٨ ميلادية وهنت قواه تحت عبء الاعمال التي قام بها والمصاعب الجسيمة التي قابلها فاعتزل وظيفته وتأكد ان صحته قد ضعفت

ولست بحاجة لتعداد مؤلفات كلوت بك التي تشهد له بسعة الاطلاع وغزارة المادة وانما أكتفي بذكر أشهر مؤلفاته وهو الكتاب الذي وضعه عن أحوال مصر وطبع في عام ١٨٤٠ ميلادية في جزئين كبيرين وهو واف بحاجة الاطباء والطبيعيين والمشتغلين بعلم الادب والتهذيب والباحثين في تاريخ البشر الطبيعي . لكن أجل عمل أتاه بل أعز ثمرة أنتجها هي مدرسة الطب المصرية التي بذل في رفع عمادها نفيس أوقاته وعظيم مجهوداته ووقف على اعلاء شأنها كل أفكاره ، ولا مشاحة في ذلك لان من أعظم مفاخره ان تسنى له انشاء مدرسة على هذا النظام في سنة ١٨٢٧ ميلادية وهو عهد لا تخفاكم شؤونه وكانت فيه مدارس اوربا على حالة غريبة من سوء النظام والاختلال بالنسبة لحسن نظام المدارس الحالية وجميل سيرها ، وان انتقاد بعض المنتقدين لم يصب الحقيقة ولا لوم عليّ لو قلت ذلك جهاراً وكررته مراراً لأنه لولا هذه الجرثومة المباركة التي وضعت في أرض مصر الخصبة منذ ست وستين سنة (مائة سنة الآن) لما اجتمعنا هنا الآن حول هذا التمثال ولما آوينا الى هذه المدرسة التي تفخر بها مصر ويشرف بها القائمون بأمرها والذين يبذلون نفيس عمرهم لعمرانها »

واسمحوا لي يا سادتي بأن أتمنى امراً أرى آثاره جلياً في أواخر رسائل كلوت بك وهو ان هذه المدرسة الجميلة المصرية يلزمها حفظاً لحياتها من التلف واستمداداً للقوة التي تحيا بها زمناً طويلا وترقى بها مقاماً منيعاً ان تخرج معملين يعودان على مصر بل على العالم بأسره بما لا يخفى من الفوائد الجمة يبحث أحدهما في الباكتريولوجية والآخر في علم الحيوانات المتسلقة اذ ان مصر كما لا يخفاكم هي من أكبر طرق الاوبئة التي تأتينا من المشرق، كما انها بؤرة مستديمة للحيوانات المتسلقة التي تعمل تحت طي الخفاء في ملاشاة صحة الانسان وحينئذ تكثر الابحاث الجميلة والاكتشافات المهمة الجليلة في القطر المصري يوم توجد هذه المعامل الواسعة التي تقبل العلماء المكبين على البحث والعمل ويعدون انفسهم من السعداء اذا قوبلوا من مدرسة الطب المصرية بحسن الوفادة وعثروا فيها على ما لا يتأتى لهم في غير هذه البقعة من الابحاث المفيدة

خلاصة بعض المحاضرات

التطعيم ضد سمّ العقارب

للدكتور علي توفيق شوشه بك وكيل المعامل الفنية بالصحة بمصر

لا جدال ان لدغ العقارب منتشر في بعض انحاء القطر المصري وخصوصاً في بعض انحاء القاهرة والواحات والصعيد وينجم عنهُ جملة وفيات كل سنة بين الاطفال عادة وقلَّ ان تحدث الوفيات في البالغين. ويؤخذ من بعض الابحاث التي قامت بها مصلحة الصحة انهُ حصل في سنة ١٩٢٢ - ٨٣٦٠ وفاة ناتجة عن لدغ هذه الحشرات

ويلاحظ في بعض مدن الصعيد ان بعض المشعوذين يكسبون رزقهم بان يعرضوا على الجمهور عقارب حيّة وان يجعلوا تلك العقارب تلدغهم على مشهد من الناس وهم لا يتأثرون بلدغها. ومما لا جدال فيهِ ان مثل هؤلاءِ لابد ان تكون عندهم مناعة مكتسبة ضد سموم العقارب. فهل يمكن ايجاد مثل هذه المناعة بالطرق العلمية وكيف ذلك؟

لقد أظهر الدكتور طامت سنة ١٩٠٤ انهُ يمكن تلقيح الماعز ضد سمّ العقرب وان مصل الماعز الملقح يبطل فعل هـذا السم. وتوسع الدكتور طود سنة ١٩٠٨ في بحث هذه المسألة ونجح في تطعيم الخيل ضد هذه السموم فوجد ان مصل الخيل المطعمة ذو فائدة في علاج المصابين وطريقة طود وان تكن صعبة الاستعمال وخطرة على الحيوانات المحقونة الا انها هي المستعملة حتى الآن في تحضير المصل الواقي من لدغ العقرب

ولكن هل يمكن تلقيح الانسان اوالحيوان ضد سموم العقرب تلقيحاً يحدث فيهِ مناعة

فعّالة ؟ وهل توجد طريقة أقل خطراً واكثر سهولة من طريقة الدكتور طود في تحضير المصل الواقي ؟ هذا ما نريد ان نصل اليهِ في بحثنا هذا. لانهُ قد ثبت انهُ اذا أضيف محلول الفورمالين الى بعض السموم بنسبة مخصوصة وحُفظ المزيج على درجة ٣٧ سنتغراد لمدة معلومة فان هذه السموم تتحول نحو"لا" يخفف فعلها السامّ ولكنها تحفظ قوة توليدها للمواد المضادة لها . وبعد ما سرد الخطيب جملة تجارب علمية دقيقة على الحيوانات المختلفة بحقنها بهذه السموم المخففة لاثبات هذه النظرية او نفيها وصل الى النتائج الآتية —

(١) انهُ يمكن تخفيف سموم العقارب بوضع قليل من محلول الفورمالين عليها بنسبة مخصوصة

(٢) ان هذه السموم المخففة تحفظ قوة توليدها للمواد المضادة لها اذا حقنت في الحيوانات وانهُ يمكن استعمالها في تحضير المصل المضاد لسم العقرب بدون تعريض الحيوانات المحقونة للخطر كما في الطريقة المستعملة الآن

(٣) ان الحيوانات التي تستعمل في المعامل كالارانب والارانب الهندية يمكن اكسابها مناعة فعالة بحقنها بهذه السموم المخففة بمقادير متزايدة وبناء عليهِ فانهُ يمكن ايضاً بواسطة هذه الطريقة تحضير المصل الواقي من الخيل بدون تعريضها للخطر الذي تتعرض لهُ في الطريقة القديمة اذ يمكننا اعطاءها مقادير كبيرة من السموم المخففة بدون اي خطر عليها

ملاحظات على الدوسنطاريا في مصر

للكولونيل ماريان بري مدير معامل الصحة بمصر والدكتور بدر الدين ا... البكتريولوجي ...

لقد أبان الخطيبان نتيجة الفحص البكتريولوجي لسلسلة من الحالات المصابة بأسهال حاد مصحوبٍ بدم ومخاط . وأغلب المرضى من اهالي المدن المصرية والنتيجة تنطبق بالاكثر عليهم ولكن لا يوجد ما يمنع تطبيقها على اهالي الارياف ايضاً

فقد وجد الخطيبان ان اغلب الحالات مسببة عن العدوى بباسيل فلكسنر اذ أن $\frac{1}{2}$ ٣٧ في المائة من هذه الحالات فصل منها هذا المكروب و$\frac{3}{4}$ ١٨ من بقية الحالات وجد بها باسيل سون و $\frac{1}{2}$ ٢ في المائة وجد بها باسيل شيجا و١٢ في المائة اميبا الدوسنطاريا

ويلاحظ من هذه النتائج ان الرأي الشائع عن انتشار أميبا الدوسنطاريا في مصر وازدياد العدوى بها عن العدوى بباسيل الدوسنطاريا لا أساس لهُ لان المنسوب المئوي في حالات الاميبا الايجابية في هذه السلسلة لم يتعدَّ ١٢ في المائة وعليهِ فالقول ان اكثر اصابات الدوسنطاريا بمصر سببهُ اميبا الدوسنطاريا ليس لهُ اساس علمي

اسهال الاطفال في مصر

للماجور بنستد

هذا الخطاب يتناول بحث ثلاثمائة طفل مصابين باسهال الاطفال في احد مراكز رعاية الطفل في القاهرة . فقد أجرى الخطيب البحث في براز هؤلاء الاطفال بحثاً بكتريولوجيًّا دقيقاً ووجد في ٩٥ في المائة منهم المكروب المسبب للمرض كما يظهر من الجدول الآتي :—

حالات مسببة عن باسيل فلكسنر	٤٤ في المائة
حالات مسببة عن باسيل شيجا	١٢ في المائة
حالات مسببة عن اميبا الدوسنطاريا	١١ في المائة
حالات مسببة عن باسيل مورجان (Entamaeba histolytica)	٠٠ في المائة
والباسيل الصديدي الاخضر (bacillus pyocyaneous)	٠٠ في المائة
وباسيل شمتز للدوسنطاريا (Schmitz's bacillus)	٢٨ في المائة

داء الطحال المصري

للدكتور هرلد ستفن مدير المستشفى الاميري ببور سعيد

ذكر الدكتور ستفن خلاصة ما اختبره بنفسهِ باستئصال الطحال المتضخم في ٣٩٠ مطحولاً مصريًّا ومن رأيهِ ان داء الطحال المصري من اشد الادواء التي تصيب الفلاح وهو يظن ان سببهُ شدة عدوى البلهارسيا وهذا يتفق مع رأي الدكتور داي الانكليزي استاذ الامراض الباطنية الاكلينكية في قصر العيني سابقاً الذي ذهب الى انهُ وجد في اوردة الطحال بيوض البلهارسيا . وشرح عمليتهُ الجراحية التي يستأصل بها الطحال وقال ان ذلك لا يكون الا بعد اعداد المطحول اعداداً تاماً لها بمعالجتهِ بحقن من الطرطير المقيء وبالعلاج المضاد للزهري وحذَّر احداث الجراحين من الاقدام على هذه العملية بلا اعداد المريض لها تمام الاعداد لانها عملية شديدة الخطر ولكن نفعها عظيم . ففي الـ ٣٩٠ عملية جراحية التي عملها مات ١٩ في المائة على اثرها وسلم الباقون . وقد تحقق بالبحث والاستقصاء بعد سنتين وثلاث سنوات من عمل عمليتهِ الجراحية ان ٧٠ في المائة من الذين عملت لهم يتمتعون بتمام الصحة والعافية كغيرهم من الاصحاء ولولا العملية واستئصال طحالهم لماتوا بعد سنة اوسنتين. قال ومهما تكن العملية خطرة فشفاء الاكثرين بها ونجاتهم من موت عاجل لولاها يشهد بنفعها ويشدد العزائم على عملها

نائلو جائزة نوبل

الاستاذ برغسن الفرنسي	سيغريد اوندست النروجية	الاستاذ شارل نيكول
فاز بجائزة الآداب عن سنة ١٩٢٧	فازت بجائزة الآداب عن سنة ١٩٢٨	فاز بجائزة الطب لسنة ١٩٢٨

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

السيدة سغريد اوندست تفوز بجائزة نوبل

Sigrid Undset

تسير المرأة في العصر الحاضر سيراً حثيثاً الى الامام منازعة الرجل في كل مرافق الحياة ، حتى في جوائز نوبل الادبية . . فقد حازت في العام الماضي غراتزيا ديليدا الكاتبة الايطالية جائزة نوبل للآداب وفازت بها هذا العام (١٩٢٨) الاديبة والراوية النروجية سغريد اوندست

وها هي ذي جميع الاندية الأدبية في اوربا تحتفل باوندست ومؤلفها الشهير المثلث الذي حازت به جائزة نوبل . ذلك المؤلف الذي اثار كثيراً من الدهشة في مختلف انحاء الغرب—وخصوصاً في البلدان الشمالية كاسوج ونروج والدنمارك والمانيا وغيرها—لما احتواه من احساس عميق ووصف بليغ لحياة بلاد النروج في القرن الرابع عشر ويعدُّ هذا المؤلف بحق من اظهر المؤلفات الادبية واعظمها اثراً في هذا العصر

وكل مؤلف مثلث (تريلوجي[1] trilogy) يحتاج في تأليفه الى جرأة واعتقاد ثابت وبحث مستفيض وقد قامت اوندست بكل ذلك في مؤلفها العظيم المسمى Kristin Lavransdatter الذي يضم كتباً ثلاثة عناوينها (اكليل ازهار . سيدة هزبي . والصليب)

واذا كانت هناك امرأة لها من آرائها الاجتماعية السديدة وافكارها الصائبة ما يخولها ان تتبوأ العرش الادبي لعام ١٩٢٨ فتلك هي سغريد اوندست

ولدت في الدنمرك عام ١٨٨٢ حيث كان والدها Ingvald Undset يشتغل وهو من

---

(١) هي قصة او قطعة ادبية ذات اجزاء ثلاثة مستقل بعضها عن بعض — ولكنها تتصل بفكرة عامة ورأي شامل

اعظم واشهر المؤرخين الذين انجبتهم بلاد نروج ، وقد عادت عليهِ مؤلفاتهِ الاولى بشهرة واسعة واسم ذائع وحُسب ثقة يُرجَعُ اليهِ في آثار نروج واصلها وكان قد قضى في رومية مدة طويلة باحثاً في مكتبة الفاتيكان منقباً عن تاريخ نروج. اما ابنتهُ « سغريد» فقد اتيح لها ان تكون سكرتيرة لوالدها . ويرجع حذقها وبراعتها في التاريخ الى بقائها معهُ في مكتبهِ تنقب لا لمدرسة سواها . . .

ومات ابوها قبل ان يتم مؤلفاً عظيماً كان يشتغل بتأليفهِ ،فظلت آثاره ومخطوطاته القيّمة التي صرف عمره في جمعها وكتابتها ، في عهدة ابنتهِ « سغريد» فحملت اظهار هذه الآثار مهمتها الاولى وجاءت الى النرويج لتقوم باعباء ذلك العمل الادبي

وما لبثت ان تزوجت من الرسام Lars Svanstad وصرفت كل جهودها للادب والكتابة والتأليف ، تلك الصناعة الشاقة التي لا يتاح الفوز بها الاَّ لكل من بسم لهُ الحظ وبش لهُ الدهر ! . . وقد قالت سغريد نفسها في احدى رسائلها « انهُ لصعب جداً ان تكتب ، والطفل يصرخ ويعول في المهد » !

ظهر اول مؤلفاتها سنة ١٩٠٧ وهو قصة تدعى Fru Martha Orly ولكنها لم تحز الاَّ قليلاً من الاعجاب . واتبعت مؤلفها هذا بقصة اخرى عنوانها « العصر السعيد » وصفت فيهِ تجاربها في الحياة ومصاعبها واثر ذلك في نفسها ، والحياة في النرويج ، وهي كما هي في باقي بلاد العالم ، تكاد تكون مملة شاقة في اغلب الاحيان !

وظهر في سنة ١٩١١ مؤلفها جني Jenny وقد نجح نجاحاً لا بأس بهِ . ولكنها لم ترَ في ذلك ما يقرب بها من غرضها الاعلى . . . وحين ذاك رجعت الى مؤلفات ابيها احثة منقبة ، وانقضت مدة طويلة قبلما اظهرت للعالم مؤلفها المثلث العظيم وقد وصفهُ احد اصدقائها قائلاً : « لقد حملتنا هذه (الرواية المثلثة) على ان نطلق على مؤلفتها لقب امرأة النرويج العجيبة ! » وعند ما تقرأ ما تكتبهُ سغريد عن النرويج تشعر بعواطفها تسيل رقة وعذوبة . وترى حب بلادها متغلغلاً في اعماقها

واما مؤلفها المذكور فقد عاد عليها بثروة ساعدتها على التنقل بين عواصم اوربا وبلدانها، فزارت خزائن الدنمارك والمانيا وايطاليا . ولا نغالي اذا قلنا ان لسغريد اياد بيضاء على النرويج فبلادها مدينة لها بكثير من المعلومات التاريخية الواسعة وهي مرجع تاريخي مهم سواء في اللغة او التاريخ ، وقد ترجمت الى لغة النرويج الحديثة بعض مؤلفات ايسلندا وخرافات النرويج القديمة

وقد اشترت مما ربحتهُ من مؤلفاتها ، بيتاً في بقعة جميلة تعيش فيهِ محبوبة من كل الذين تسكن بينهم من الفلاحين ، لكرمها وعطفها عليهم . وقد سأل احد الكتاب : «ماذا تشبه في ظاهرها ؟ » فقيل لهُ : « هي كملكة نروجية قديمة واستُ قادراً على ان ازيد شيئاً على ذلك » وهي تتكلم ست لغات ، وتاقي مع اعمالها ، كثيراً من المحاضرات في التاريخ والادب . وهي فوق ذلك موسيقية بارعة تضرب على الارغن . وقد أكبت على جمع آثار النروج ، وبنت قرب دارها متحفاً لذلك تضم اليهِ كل ما تعثر عليهِ من الآثار ، كاسلحة قديمة ، وحلي وملابس ومراكب ، وما الى ذلك . ومع هذا فاهم شيء لديها في الحياة ان تكتب وتؤلف ، وقد يمضي عليها الليل بكاملهِ فلا يغمض لها جفن . . . .

وشهرة سغريد اوندست ترتكز على دراستها نفسية المرأة حيث جعلتها المحور الذي تدور عليهِ في مؤلفاتها . وبذلك تستند وترجع دائماً الى نفسيتها . ان تأليفها ترجمة نفسية لها .ومن ثم جعلت من الفلاحين ابطالاً في تأليفها ، تبهج مرآهم وتُسرّ لاحاديثهم ، وتسمع ما ينبض بهِ وجدانهم ، وما تتأثر بهِ مشاعرهم . ولذلك كان لها اثر بين في الادب النروجي ،وصورة عامة تنطبق على الحياة الانسانية — وما تحويهِ من مهازل ومآسي — ذلك على ما اعتقد — جعلها تفوز بجائزة نوبل العالمية . . .

حلب — سورية فؤاد عينتابي

هديتنا الصحي حقائق صحية في اسلوب سهل

هل تدخن ؟ هل تدخنين ؟

يتعذر في الغالب على الباحث في مسألة التدخين ان يتجرد عن هواهُ ويتناول البحث من وجهٍ علمي بحت . لانهُ اما ان يكون مدخناً او غير مدخن . فاذا كان مدخناً حركهُ عامل خفي الى القول بان ما يلذّ لهُ مفيد او انهُ على الاقل غير ضار . واذا كان لا يدخن صعب عليهِ ان يحبس نفسهُ عن القضاء على عمل يكرههُ هو ويمارسهُ غيرهُ . اما كاتب هذه المقالة وهو طبيب مشهور وعضو من اعضاء الجمعية الطبية البريطانية — فمعتدل في التدخين ومن الطبيعي انهُ لا يجد سبباً يحملهُ على التشهير بالاعتدال في التدخين ولكنهُ مع ذلك يأمل ان يتناول الموضوع من وجهٍ علمي مجرَّد

عناصر دخان التبغ : ما هي العناصر التي توجد في دخان التبغ وتفعل في الجسم ؟
يسهل قسمة هذه العوامل الى ثلاثة اقسام . (الاول) غاز الامونيا ومعهُ مادة آلية

طيّارة تدعى پيريدين ومواد اخرى تماثلها . هذه المواد تهيج الاغشية المخاطية وهي سبب الالتهاب المزمن في الحلق والفم واللسان الذي يصاب بهِ مدمنو التدخين وما يتبع ذلك من سعال شديد في الصباح ، وبلغم ينفثونهُ حين السعال . على ان الامونيا والپيريدين لا تزيدان التدخين لذة ما ولا نعرف سبباً يمنع استنباط وسيلة علمية صناعية لاستخراج هذه المواد من التبغ من غير ان تغير طعمهُ ورائحة دخانهِ واثرهُ في المدخنين

استنشاق الدخان وفعلهُ: والعنصر الثاني في دخان التبغ هو اكسيد الكربون الاول وهو غاز سامّ وتجدهُ في غاز الفحم كما تجدهُ في الدخان الذي يخرج من انابيب السيارات الخلفية . وفعل هذا الغاز السام سببهُ انهُ يتحد بمادة الهموغلوبين التي في كريات الدم الحمراء والتي وظيفتها الاولى الاتحاد بالاكسجين في خلايا الرئتين ونقلهُ الى كل أعضاءِ الجسم . ولما كان اتحاد غاز الكربون الاول بمادة الهموغلوبين اسرع واقوى من اتحادهِ بالاكسجين فالنتيجة الاولى التي تنجم عن استنشاق غاز الكربون الاول مع دخان التبغ هي منع الهموغلوبين من نقل الاكسجين الى اعضاء الجسم . فاذا حدث ما منع ١٥ في المائة من هموغلوبين الدم عن الاتحاد بالاكسجين ونقلهِ الى الاعضاءِ ظهرت على الجسم الطبيعي آثار التسمم. على ان هناك اناساً شديدو الانفعال بقلة الاكسجين حتى اذا امتنع ١٠ في المائة من هموغلوبين دمهم او اقل من ذلك عن الاتحاد بالاكسجين ظهرت عليهم آثار التسمم

اما مقدار هذا الغاز في دخان « السيجار » فيبلغ نحو ٨ في المائة وفي دخان «البيبة» نحو ١ في المائة وفي دخان السجاير يتراوح من نصف الى واحد في المائة. فاذا دخل دخان لفائف التبغ الفم اختلط بالهواءِ فقلّ مقدار اكسيد الكربون الاول كثيراً واذا كان المدخن لا يستنشق الدخان الممزّج بالهواءِ الى رئتيهِ لم يستطع هذا الغاز السام ان يتصل بكريات الدم الحمراءِ ويتحد بمادة الهموغلوبين فيها فالتدخين من غير استنشاق الدخان الى الرئتين لا يضرُّ من هذا القبيل

ولكن اذا كان المدخن ممن يستنشق الدخان الى رئتيهِ فلا مندوحة حينئذٍ عن ان يتصل هذا الغاز بالكريات الحمراءِ ويفعل فعلهُ فيها وبعض مدمني التدخين يمنعون نحو عشرة في المائة من هموغلوبين دمهم عن القيام بعملهِ الطبيعي (الاتحاد بالاكسجين اللازم للحياة ونقلهِ الى الاعضاءِ) لكثرة ما يستنشقونهُ من دخان التبغ . ولا يقوم حينئذٍ دمهم بعمله الطبيعي قياماً وافياً الا في فترة النوم

النيكوتين: والعنصر الثالث الذي يتكون منهُ دخان التبغ هو مادة النيكوتين التي سميت كذلك نسبة الى جان نيكو Nicot سفير فرنسا في اسبانيا (١٥٣٠ — ١٦٠٠) لانهُ كان يزرع التبغ في حديقة دارهِ وكان شديد الاعتقاد بفائدة أوراقهِ في العلاج الطبي . ومادة النكوتين هذه هي مصدر الفعل الذي يطلب التدخين من أجلهِ

لا ريب في ان مادة النيكوتين سم مميت سريع الفعل . ففي سيجار واحد من النيكوتين ما يكفي لقتل رجلين . على ان جانباً من نيكوتين التبغ يتبخر بفعل النار حين اشعال السيجار او السيجارة او البيبة وعليهِ فمقدار النيكوتين الذي يستنشقهُ المدخن أقل من المقدار الذي يوجد في التبغ حقيقة . وهذا المقدار لا يتصل بالرئتين الا اذا استنشق المدخن الدخان . وقد حسب أحد الباحثين انهُ اذا دخن أحد مدمني التدخين عشر سجاير الواحدة في أثر الاخرى استنشق مع دخانها مقداراً من النيكوتين يساوي عشر جرعة مميتة

ومتى اتصل النكوتين بالرئتين وسرى فعلهُ في الجسم ظهر لهُ أثر مخدر في بعض الاجسام ومهيج في البعض الآخر

ويضع البعض النكوتين مع مخدرات كالمورفين والكوكايين في صف واحد ويقولون ان ادمان التدخين وادمان المورفين والكوكايين من نوع واحد يضرّان بالجسم ضرراً بالغاً ويؤديا الى اضعاف الجسم وانحلال في الاخلاق

على ان مسألة الادمان مسألة نسبية وقلَّ بين الناس على كثرة من يدخن منهم المصاب بضرر كبير من جرَّاء التدخين . وعلى الضدّ من ذلك نجد ان مدمني المخدرات عبيد لها لا يستطيعون ان يتحرروا من عبوديتها وهم في الغالب ضعاف الاجسام ضعاف الاخلاق

اثر النكوتين في المعدة: وللنكوتين اثر كبير في الجهاز الهضمي والغدد المتعلقة بها . ومن افعالهِ الظاهرة التأثير في غدد الفم لافراز اللعاب فاذا توقف المدخن عن التدخين توقفت هذه الغدد عن افراز مفرزاتها . وبذلك يعلل جفاف فم المدمن عند الصباح

ومن افعالهِ ايضاً التأثير في غدد المعدة فتفرز العصارة المعدية ولذلك يصاب الذين يتأثرون كثيراً بفعل التدخين زيادة حموضة المعدة لان تدخينهم يزيد افرازها للعصارة التي تحتوي على الحامض الهيدركلوريك . ويقول بعض الثقات انهُ اذا اتصلت بعض محتويات المعدة الحامضة بالامعاء الدقيقة كان ذلك مدعاة لتقرّح الامعاء ولذلك يحذّر المصابون باي تقرّح في المعدة من التدخين

وللنكوتين فعل في المعدة هو منع عضلات المعدة من التقلص فيقلُّ الشعور بالجوع

لان تقلص عضلات المعدة يحدث الشعور بالجوع . لذلك تضعف قابليات المدمنين في اثناء ادمانهم ثم تزيد اذا تركوا التدخين

الضجة واثرها في الصحة والعمل

الانسان قابل بطبعهِ للتكيف بحسب مقتضيات البيئة التي يعيش فيها . فاذا أخذت جماعة من الناس من بلاد باردة وأسكنتهم بلاداً حارَّة صعب عليهم في البدء ان يعيشوا ويشتغلوا في البلاد الحارة كما كانوا يعيشون ويشتغلون في البلاد الباردة . لكن أجسامهم لا تلبث ان تتكيف بحسب مقتضيات المعيشة في البلاد الجديدة فيعيشوا فيها عيشة طبيعية

ومن الامور التي لا يختلف فيها اثنان ان الضجة واصطخاب الاصوات من أظهر مميزات المعيشة في المدن المزدحمة في هذا العصر . فهل ينتظر ان يتكيف جسم الانسان فيعود لا يعبأ بأثر الاصوات فيه في أثناء الراحة او العمل ؟

هذه مسألة خطيرة جدًّا والكشف عن سرها يعود بفائدة كبيرة على الصحة العامة وسرعة انجاز الاعمال في المكاتب والمتاجر والمعامل

وقد عُنيت جامعة كولجيت الاميركية بالبحث في هذه المسألة بحثاً علميًّا فتناول البحث جمهوراً كبيراً من الموظفين والكتاب والمصارعين وطائفة من الحيوانات ايضاً . فثبت من هذه التجارب ان الضجة تثير في الناس والحيوانات الخوف من طارئ مفاجئ . فصوت المبرد وهو يبرد قطعة من الحديد يثير قشعريرة في الظهر . وانطلاق مسدس على غير انتظار يدفع ومن يُفاجأ بطلقهِ ان يقفز خوفاً . وغير ذلك

وقد جربت تجربة في نائم فوجد الباحثون انهُ كلما مرّت سيارة في الشارع تحت نافذة غرفتهِ انقبضت عضلاتهُ وارتفع ضغط دمهِ من غير ان يستيقظ . ووُجد انهُ اذا نقص الصوت بمقدار ١٥ في المائة في مكتب من المكاتب زاد مقدار ما تشتغلهُ الكاتبات على التيب ريتر ٥ في المائة وقلّ ما تنفقهُ من القوة في انجاز هذا الشغل ٢٥ في المائة . ولا تزال التجارب العلمية في هذا الموضوع قائمة على قدم وساق وكلها تشير الى ان الضجة تؤثر في جسم الانسان نائماً ويقظاً على المنوال المتقدم . وبعد هذا نأمل ان تعنى الحكومة بما يكفل لسكان القاطنين في الاحياء المزدحمة عدم التعرض لضجة لا مسوّغ لها بعد منتصف الليل ، حيث تكون الشوارع فارغة تقريباً ولا داعي لنفخ أبواق السيارات فيها نفخاً مزعجاً مثلاً

باب الزراعة والاقتصاد

زراعة الارز في مصر

وتجارته مع الاقطار الخارجية

اهم ما يعنى بهِ الباحثون من رجال الاقتصاد والمال في مصر تنويع المحاصيل الزراعية في البلاد اذ لم يبق شك في خطر اعتماد القطر على محصول واحد لان كل ما يصيب سوق هذا المحصول من اضطراب او كساد يؤثر تأثيراً مباشراً في جميع مرافق القطر من اقصاه الى اقصاه

ولما كان اصلاح ما في اليد خير من النظر الى ما بايدي الناس، كان واجبنا الاول تنشيط المحاصيل الزراعية التي تنتجها التربة المصرية فعلاً ، علاوة على القطن ، مع السعي بكل الوسائل المفيدة لتجربة زرع محاصيل جديدة يمكن ان تتكوَّن منها في البلاد مصادر للثروة واولى المحاصيل بالعناية هو الارز

فان هذا الصنف فضلاً عن كونهِ من المواد الغذائية التي يستهلك منها مقادير كبيرة في القطر نفسه بل ويكاد يكون الغذاء الرئيسي في شمال الدلتا حيث يعتمد عليهِ دون القمح — فان لهُ في السوق العالمية طلباً لا بأس بهِ وتستورد اقطار اخرى مقادير كبيرة منهُ . فضلاً عن انهُ يصلح الاراضي الضعيفة والمالحة ويحسن حالتها

زراعة الارز ومحصوله

يزرع الارز في شمال الدلتا بمديريات البحيرة والدقهلية والغربية وكذا في الشرقية . وزراعتهُ صيفية — مثل القطن — ويحصد في اوائل الخريف اي انهُ يصل الى الاسواق حوالي شهر اكتوبر من كل سنة . ولكن مساحة ضئيلة لا تتجاوز ٢٥ الف فدان تزرع نيليًّا في مديريتي الشرقية والفيوم

وتتوقف الزراعة الصيفية على حالة مياه النيل فهي تضطرد زيادة ونقصاً مع ارتفاع الفيضان وانخفاضهِ وتحدد الحكومة حوالي مايو من كل سنة مقدار المساحة التي يمكن زرعها ارزاً والمناطق التي يجوز ان يزرع فيها وذلك طبقاً للانباء التي ترد اليها عن حالة النهر في اعالي السودان

ويترتب على هذه الحالة ان محصول الارز المصري يتراوح قلة وكثرة بين سنة واخرى

وهذا يؤثر طبعاً في مقادير الصادرات منهُ الى الاسواق الخارجية التي لا تستطيع ان تستمرّ على انتاج محدود ولو على وجه التقريب من الارز الوارد من القطر المصري

ولكي يستطيع القارىء ان يتصور مقدار التفاوت في محصول الارز بين عام وآخر نورد هنا بعض الارقام على سبيل المثال

السنة	المساحة بالفدان	المحصول بالاردب	الصادر بالطن
١٩١١	٢١٧٬٠٣٦	٥٥٩٬٠٠٠	٢٩٬٧٥٦
١٩٢١	٣١٢٬١٥٢	٧٩١٬٠٠٠	١٩٬١٦٠
١٩٢٢	٠٤٨٬٢٢١	٠٩٣٬٠٠٠	١٧٬٤٠٦
١٩٢٣	١٧٩٬٠٨٧	٥٠٩٬٠٠٠	١٨٬١٣٤

فبينما يقدّر المحصول بما يقرب من ثمانمائة الف اردب في عام ١٩٢١ اذا به لا يتجاوز ٩٣ الف اردب فقط في سنة ١٩٢٢ وهي التالية لها مباشرة . كما ان صادرات مصر من الارز في عام ١٩١١ بلغت نحو ثلاثين الف طن في حين انها لم تصل الاَّ الى ١٨ الف طن فقط في سنة ١٩٢٣

غير ان المأمول ان تتعدل هذه الحالة اذا ما نفذت مشروعات الري الكبرى وامكن توفير المياه الصيفية فهناك يصبح من المستطاع زراعة الارز بطريقة منتظمة ثابتة

انواع الارز

وللارز انواع عديدة جداً يختلف كل منها عن الآخر من حيث موعد الزراعة ومدتها والتبكير في النضوج ووفرة المحصول وسهولة الدراس وغير ذلك ولكل من هذه الانواع قيمة تجارية وغذائية خاصة

واهم الانواع الصالحة للزراعة في مصر هي : —

(١) ياباني بانواعهِ
(٢) صيني دكرنسي
(٣) صيني بلقاسي
(٤) فينو
(٥) عجمي
(٦) سلطاني
(٧) اتحادي
(٨) جديدي
(٩) جبلي
(١٠) امباري
(١١) كيدناوي
(١٢) طلياني

ومعظم هذه الانواع يزرع في حقل تجارب وزارة الزراعة بالجيزة بقصد الاكثار من الانواع الصالحة للقطر المصري

ولا نرى ونحن هنا في مقام بحث اقتصادي ان نتعرض لشيء من التفاصيل الزراعية — فهذه قد يمكن ان تكون موضع بحث خاص — ولهذا نكتفي بان نذكر ان ضم الارز ودراسته لا تجعله صالحاً للاستهلاك مباشرة بل تكون حبتهُ اشبه شيء بالشعير ولهذا يطلق عليهِ اسم الارز الشعير ويتعين تقشيره ثم تبييضه قبل ان يصل الى ايدي المستهلكين

مضارب الارز

في القطر المصري مضارب عديدة لتقشير الارز موزعة في المديريات طبقاً للبيان الآتي

الدقهلية	١٠٠	دمياط	٠٢٢
الغربية	٠٩٨	الفيوم	٠٠٣
البحيرة	٠٦٦	اسكندريه	٠٠٢
الشرقية	٠٤٣	الجملة	٣٣٤

والعدد الاكبر من هذه المضارب هو كالمطاحن بالنسبة للغلال يشتغل بتقشير الارز لحساب اصحابه دون تبييضهِ وذلك في المناطق التي غذاؤها الرئيسي هو الارز

وليس من بين هذه المضارب من يشتغل بالتجارة فعلاً سوى مضارب دمياط ورشيد والمنصورة والاسكندرية فهذه تضرب الارز وتبيضهُ وتوردهُ الى المدن الكبرى والاسواق الخارجية . وعدد هذه المضارب الكبرى كالآتي

	عدد		عدد
اسكندرية	٢	دمياط	٢٢
رشيد	١٦	المنصورة	٠٣

ومصنعا الاسكندرية هما اكبر مصانع القطر واحدثها عدداً واتمها استعداداً وقد يستطيع هذان المصنعان ان يضربا كامل محصول القطر المصري من الارز الشعير . ولكن قلة المحصول واختلاف مقاديره بين عام وآخر تجعل مضارب الارز لا تشتغل سوى شهوراً قليلة في السنة فقط ومنها ما يضطر الى عدم الادارة مطلقاً وذلك في الاعوام التي يكون فيها المحصول ضئيلاً

ولو ان المصانع الكبرى التجارية اشتغلت العام باكله لاستطاعت ان تضرب مايوازي ٧٠٠ الف اردب من الارز الشعير وهذا يعادل اكثر من ضعفي المحصول المصري حتى في اوسع سنواته مساحة

وهذه الحالة تجعل صناعة ضرب الارز من الصناعات غير المرغوب فيها . لان اصحاب المضارب لا يجدون ارزاً كافياً لتشغيل مصانعهم طول العام مع انهم مضطرون للاحتفاظ بالموظفين الفنيين اللازمين لها وهم لا ينتفعون بهم اكثر من بضعة شهور كلَّ سنة

ولا تزال طريقة ضرب الارز المتبعة في رشيد ودمياط كما كانت عليهِ منذ قرن مضى . ولا سبيل للعمل على ادخال الآلات الحديثة هناك حتى يمكن حماية صناعة الارز وتنشيط تجارتهِ بحيث يمكن لهذه المصانع ان تستفيد من آلاتها طوال العام

(تتمة البحث في الجزء التالي) جلال حسين

تثبيت نتروجين الهواء

بطريقة بوش هابر — والاحتفاء بالاستاذ هابر في مصر

ان اسم هابر علم بين العلماء قلما يجهلهُ واحد من القراء لما اشتهر عن علمهِ وفضلهِ فهو من هذا القبيل من اولئك الافذاذ الذين قرنوا العلم بالعمل فكان لهم في كل واد ومنزل اثر خالد يذكر العالم بما كشفوا عنهُ او استنبطوهُ فكان مصدر فائدة مادية ومعنوية لجميع الناس

وقد اشتهر الاستاذ فرتز هابر بمباحثهِ في كيمياء الغاز وطلي الحديد وتحليل الكهربائية التدريجي في النتروبنزول الذي عليهِ يتوقف تركيب الانيلين الى حدٍّ بعيد في صناعة الاصباغ

الاَّ ان شهرة هابر العالمية ترجع الاكثر الى الطريقة التي تمكن بها من التقاط النتروجين من الجو وهو العنصر الذي يغذي النبات وينميه ويدخل في تركيب اشهر الاسمدة الطبيعية كزبل البقر ونترات الشيلي . فالعالم في حاجة اليهِ لانماءِ مزروعاتهِ كما يحتاج اليهِ في مختلف صناعاتهِ وهذه الحاجة زادت كثيراً عما كانت عليهِ قبلاً لان ارتقاء الصناعات ورواج المصنوعات ووجوب العناية بتثمير الارض الزراعية الى اقصى حد مستطاع يستلزم ذلك

ومن الشواهد العديدة على ذلك ما نراهُ في مصر من الاقبال على استعمال الاسمدة الازوتية (النتروجينية) اي التي تحتوي على عنصر الازوت (النتروجين)

الاّ ان الناس كانوا يخشون قبل هابر من ان يأتي يوم تنفد فيهِ المناجم التي تستخرج منها المواد (النتروجينية) الازوتية كنترات الصودا في شيلي او يقل ما يستخرج منها عما يحتاج اليهِ الزارعون كما قلّ قبلها السباخ البلدي فتقف الزراعة والصناعة حينئذٍ مشلولة اليدين. فكان الشعور بهذه الحاجة وازعاً لعلماء الكيمياء حملهم على البحث عن مادة تقوم مقام الاسمدة النتروجينية الطبيعية وقد توفقوا في صنع النشادر . الاان هابر تجاوزهم بطريقتهِ المعروفة بطريقة هابر - بوش التي مكنت المعامل الالمانية من ان تصنع اليوم من الاسمدة الازوتية ما يزيد على استخراج نترات الصودا مرتين مع مراعاة ما تحتويهِ هذه من الازوت وسهلت على العالم الحصول على اسمدة تفوقت على كل ما تقدمها من حيث النقاوة في التركيب وتجهيز المزروعات بما تحتاج اليهِ للخصب والنمو

ومما يذكر لهابر في خدمة بلادهِ ان طريقتهُ المذكورة كانت القوة التي مكنت المانيا من الاستمرار في تلك الحرب العالمية خصوصاً بعد ان انفصلت عن العالم ومنعت عنها نترات شيلي التي كانت تعتمد عليها في تسميد مزارعها ولولا طريقة بوش هابر التي مكنت المعامل الالمانية من ان تصنع الاسمدة النتروجينية (الازوتية) لما بقيت المانيا في الدفاع بقائها السنوات الخمس . ولكن لا يفهم مما تقدم ان نية هابر في بحثه واستنباطهِ كانت منصرفة الى هذا الوجه الحربي لانهُ كان اول الناهضين ضد الحرب بعد ما وضعت اوزارها معلناً بوجوب اتجاه العالم الى السلم والوئام ومنذراً بالاضرار التي ينالها العالم من حرب اخرى بعد ما بلغتهُ الكيمياء من اصطناع المواد الخانقة والمفرقعة ما بلغت

ولد هابر في برسلو في يوم ٩ دسمبر سنة ١٨٦٨ حيث تلقى علومهُ ولما شب اراد ابوه ادخاله في محل تجارته الذي كان يتعاطى فيهِ بيع النيلة والمواد الكيماوية الاّ انّ هابر لم يطل عليهِ المطال حتى آنس من نفسه الميل الى العلم فسافر الى برلين وتلقى العلوم العالية فيها ونال شهادة الدكتوراه في سنة ١٨٩١ وبعد ان اقام مدة قصيرة دعي في سنة ١٨٩٤ لان يكون مساعداً في معهد الكيمياء الفنية في مدرسة البولتكنيك في كارلسرو وفي سنة ١٨٩٨ نال شهادة البروفسور (الاستاذ) في الكيمياء ثم في سنة ١٩١١ عين مديراً لمعهد الامبراطور غليوم في برلين حيث تخصص في درس الكيمياء الطبيعية والكهربائية وقد بلغ هذا المعهد شأواً عظيماً في الشهرة يرجع الفضل فيهِ الى اعمال هابر نفسه.هذا تاريخ مقتضب عن اعمال هذا الرجل العظيم الذي كان ضيف مصر في الشهر الماضي والذي احتفلت مصر بقدومهِ احتفاءً بعلمهِ وفضلهِ

ثابت ثابت

الحشائش المضرّة وابادتها

هي الاعشاب او الحشائش البرية التي تنمو من نفسها بدون حاجة اليها فتؤذي الارض والزرع ومن يغتذى بهِ من الحيوان والانسان وتسمّى الارض الملوثة بها محشة ثم خرساً وهي المحشة اكثر . وتسمى الارض نظيفة اذا كانت سليمة من الحشائش

أضرارها

اولاً بالارض تستنفد خصبها ونداوتها وتصعّب فلاحتها وتشغلها من قبول البذر واعاء الزرع كالنجيل والحلفا والخرنزه

ثانياً بالزرع من وجوهٍ الاول تزاحمه فتحول دون استفادته كما ينبغي من خصبها ونداوتها وقد تتغلب عليهِ فتحرمهُ من تأثيرات الجو المفيدة الضوء والحرارة والتهوية وغيرها وتلوث ثمره ببذورها وهشيمها فتقلّل قيمتهُ كالسريس بالبرسيم والملوخية بالقطن والدنيبة بالارز — الثاني تحمي وتغذّى بعض حشراتهِ وآفاتهِ فيزداد تكاثرها وفتكها بهِ فان الحشائش الغضة كالساق والعلّيق والفرلة والجعضيض، والحميض تحتمى بها شرانق الديدان وجراثيم الفطريات وتتغذى بها في بعض ادوار تناسلها ثم تنتقل الى الزرع كالدودة القارضة وديدان القطن — الثالث تتطفّل عليهِ فتتغذّى منه ذاتهِ فتضنيه وتميتهُ كالحامول والهالوك في البرسيم والفول وغيرها

ثالثاً بالانسان والحيوان اذ يغتذيان من الزروع وحبوبها الغالتة بهذه الحشائش وبذورها كالداتورة والدحريج في القمح والاولى سامّة مسهلة مرّة والثاني كريه الرائحة وكلاهما يغير لون دقيقهِ والدفل اي الحندقوقى والزغانته « نبات يشبه الرجله » في البرسيم يقلّلان لبن الماشية الحلوب ويمرران طعمهُ والاول ينفخها والثاني يسيل ريالتها « اللعاب حينما يسيل من الفم »

رابعاً بمجاري الري والصرف بتعطيل جري المياه فيها كالنسيلة « الأمشوط » في المساقي والرم في المصارف

ومما يزيد تكاثرهذه الحشائش البرية واضرارها

(١) ان بذورها تستكن بالارض حافظة لقوة انباتها بضع سنين الى ان تطرأ ظروف توافقها فتنمو فجأة كالسّعد مع التّنبيل والسلق مع الدّمس والهالوك مع الفول والدنيبة والنّبت والعجير مع الارز

(٢) استعمال الغلت من التقاوي كالقمح الذي لم يغربل والبرسيم الذي لم يعقب ومن العلائق كالشعير الملوث ببذر الحندقوقى فينزل بعضهُ مع روث الماشية قبل تمام الهضم على الارض وهي بالغيط او في الزرائب والاسطبلات فيخرج مع السماد قبل تعفنه تعفناً يقضى على قوة انباتهِ فيرجع الى الارض بالتسميد

(٣) انها ابكر إنباتا واسرع نمواً من الزرع لا سيما بدء حياتهِ وأقدر منهُ على تحمل سوء الاحوال الجوية والزراعية كالسلق مع القطن والسريس مع البرسيم والنفل اي الحندقوقي مع الشعير وعلى مقاومة الامراض والحشرات وأبكر نضوجاً وتبذيراً منهُ فتنتثر حبوبها على الارض قبل الحصد كالدنيبة مع الارز والزمير مع القمح وأن بذور بعضها ذات زغب فيسهل تطايرها مع الهواء وانتشارها في الغيط كذيل القط (اسم نبات)

(٤) انها تجد في جوانب البتون والسكك وحافات مجاري الري والصرف التي تهمل فلاحتها عادة منابت تظل نامية فيها بينما تكون الارض عرضةً لاجراآت الفلاحة المبيدة لها كالحرث والعزيق

وسائل ابادتها

الاولى — تشريق الارض حتى تفف تغذية حشائشها ثم حرثها حرثاً عميقاً يقلع جذور الحشائش التي تتكاثر بجذورها كالنجيل والسعد والحلفاء وتظهر بذور الحشائش الاخرى — ثم تترك للتشميس حتى تفقد او تضعف قوة انباتها ثم يصير تنقية الجذورحتى تنظف الارض منها وتنقل بعيداً عن التربة وتحرق في الحال حرقاً لا يبقى معهُ اثر لها

الثانية — ريّ الارض حتى اذا نبتت بذورحشائشها يسرع ابادتها بالحرث او العزيق قبل تبذيرها او بالقلع قبل تكاثر جذورها اذا كان بقي شيء من هذه ثم يحرق حرقاً. اما الحشائش التي يخشى أن تتكاثر ببذورها وابيدت قبل تبذيرها فان كانت رويئة كالسلق والخبيز يسهل تلاشيها في التربة وتحللها بها كمادة عضوية مفيدة فيحسن ابقاؤها بعد ابادتها اما الحشائش الخشنة التي يخشى ان تشوه منظر التربة او تحول دون اتقان فلاحتها كالحلّة والخريزة فلا بد من ازالتها من الارض وخير الاوقات للعمل بالوسيلتين السابقتين فصلا الصيف والخريف والارض خالية بعد المزروعات الشتوية وقبل الزراعة التالية لها نيلية كانت كالذرة اوشتوية كالقمح او صيفية كالقطن

الثالثة — اذا كانت الارض خرساً او شبيهةً بالخرس تحرث وتباد حشائشها مراراً ثم تزرع برسيماً فيخصّبها من جهة ويتغلب على حشائشها بكثافة نموه فلا تعيقهُ ولكثرة ريّهِ تموت بذورها ثم ما ينمو منها بعد ذلك يُباد مع تكرر رعيهِ او حشهِ

الرابعة — ان لا تستعمل الاَّ التقاوي والعلائق النظيفة من الفَلَت وان لا يستعمل السماد البلدي الاَّ بعد تعفنهِ تعفُّناً يقضي على حياة بذور الحشائش

الخامسة — العناية بحرث اوعزيق او نقاوة الحشائش النامية بجوانب البتون والسكك ومجاري الري والصرف

السادسة — تستأصل من الارض المزروعة اما بالعزيق إذا كانت الزراعة في خطوط او قلعاً باليد وحشًّا بالمحشة اذا لم تكن ، فالحشائش التي لا تُربّي خلفة كالنفل والسريس لا بأس من حشها اما التي تربي خلفة كالدنيبة فتقلع قلعاً بجذورها حتى لا تنمو ثانياً. ويجب التبكير بابادة الحشائش من المزروعات اوائل نموها كليهما قبل تكاثفهِ تكاثفاً يزداد معهُ ضررها وتصعب ابادتها وتسبب الابادة اتلافاً للزرع في اثناء اجرائها

وفي العرف ان تتم ابادتها من المزروعات الشتوية قبل النطاس اذ بعدهُ ينشط نمو النباتات بأنواعها ومن زراعة القطن قبل نزول النقطة اذ بعدها يقوى نموه وتفريعهُ ويصعب عزيقهُ ويروى اشباعاً فيزداد نموها ذاتها -- ومن الارز قبل تعقيله

ومما لاحظتهُ انهُ يجب مثلاً ان تكون نقاوة الملوخية من القطن قبل تزهيره حتى لا تكون نقاوتها بعد سبباً في إسقاط ازهاره وقبل زيادة تفريعه حتى لا تكون سبباً في تكسير فروعهِ وقبل تفتيحهُ حتى لا تكون سبباً في تلويث شعره وتصعيب جنيهِ وان تأخر نقاوة الحشائش الشائكة والخشنة من المزروعات الشتوية يصعب حصدها ويسبب تناثر حبوبها وتكسير حصيدها وان نقاوة اللبين (وهو السريس بعد ان يزهر) من البرسيم الرباية تكون بعد ان تذهب طراوتهُ ويعقد بجمهُ (زهره) فلا تسبّب نقاوتهُ دهوسة الرباية دهوسة تضر نموها وانعقاد حبها وقبل ان ييبس تماماً فيتقصف ويتناثر بل تكون وهو لين قد انعقد ثمره واحسن ما تكون النقاوة حينئذٍ في الصباح والرباية ندية

السابعة خدمة كل زراعة بما يناسب نموها وينفع في ابادة تلك الحشائش فتزرع الزراعة الشتوية الحبوبية بطريقه (الحراثي) لا العفير — والزراعة الصيفية بعد دمس ارضها — وتأخير ريهما وموالاة عزيق ما يزرع منهما في خطوط عزقاً يساعد على تحمل تأخير الري وعلى ابادة الحشائش — وروى الارز غمراً كافياً يفيد في تنشيط نموه ومماكسة نموها

(ملحوظة) ذكرنا اسماء الاعشاب او الحشائش كما هي في العرف الزراعي اذ الغرض زراعي عملي لافادة جمهور الزراع لا نباتي علمي فان هذا من اختصاص النباتيين — واكثرنا من الامثلة لانها افيد في توضيح المعاني وتحديدها

احمد الالفي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

رعشة الكاتب

رُبَّ رأيٍ خيرٌ من علاجٍ

رغبنا الى الاستاذ اسعد خليل داغر ان يصف لنا هذا الداء الغريب الذي يعتري بعض الذين يزاولون الكتابة فبعث الينا بالوصف التالي

رعشة الكاتب من الامراض النادرة المجهولة الاسباب . يصاب بها من يتعاطى صناعة الكتابة ، بعد طول مزاولتهِ لها وعكوفهِ عليها . فترتعش يدهُ كلما امسك بها قلماً وترتعد مضطربةً كأنها لامست مجرى كهربائيًّا . وتأخذها حركاتٌ اضطرارية تتعرَّض لعضلاتها عند ما تحاول ان تتحرَّك طوع ارادة صاحبها فتتقبَّض وتعجز عن الجري بالقلم على مراد الكاتب . والغريب في امرها أنها تعرض ليد الكاتب من غير ان يشعر معها باقل شيء من الالم والوجع او الوهن والضعف . ولا يظهر اثرها في اليد الاَّ عند قبضها على القلم ، ايًّا كان — قلم حبرٍ او قلم رصاص. وقد تعتري الذين يكتبون بالمِكْتاب [تيبريتر] والذين يزاولون الإيقاع على البيانو

أصابتني هذه الرعشة منذ ثماني سنين وكانت وطأتها ، باديءٌ ذي بدء ، خفيفة ضعيفة. فكنتُ اتمكَّن من مقاومة هزَّات يدي او حركاتها الاضطرارية بمعارضتها بحركات اخرى أُثيرها في عضلاتها بقوَّة ارادتي . فتتغلَّب هذه على تلك وتظلُّ يدي جارية بالقلم على مشتهاي ولو بشيء من الرهق والمشقَّة . ولكن حدث بعد ذلك أن ثقلت على يدي وطأة الرعشة واشتدَّت وحالت حركتها الاضطرارية اي ارتعاشها وارتعادها دون مطاوعتها لي في الكتابة . فالتجأت الى غير واحدٍ من نُطُس الاطباء واستعملت كلَّ ما وصفوهُ لي من الادوية والعلاجات ولم استفد شيئاً ، حتى اضطررت اخيراً ان ابتاع

[مِكْتاباً اي النيب ريتر] واستخدمهُ على رغمي في قضاء حاجاتي الكتابية

وفي صيف سنة ١٩٢٤ ذهبتُ الى لبنان وزرت أُسرة صديقي المرحوم نعوم شقير بك في صوفر. وكان نجلهُ الدكتور ادوار شقير قد أكمل في تلك السنة دروسهُ في المدرسة الطبية للآباء اليسوعيين في بيروت وأحرز شهادتها . وكنتُ لم أرهُ منذ عدة سنين . فذكرتُ لهُ في اثناء الحديث ما اشكوهُ من رعشة الكاتب وقصصت عليهِ بالاختصار إصابتي بدائها. وبعدما أطرق متأملاً متفكراً قال لي ما خلاصتهُ : — «ان هذا المرض نادر الحدوث وسببهُ الحقيقيّ غير معروفٍ معرفة تامة. ولذلك يضطرُّ معظم الاطباءِ — إن لم يكن كلهم — ان يصفوا علاجهُ بالحدس والتخمين او بالنقل عما في كتب الطب لجهلهم سببهُ وقلة ما يُعرَض عليهم من حوادثهِ . فرأيي والحالة هذه ان تدع الاهتمام بالعلاج جانباً وتقتصر على العناية بتدريب يدك اليسرى على الكتابة فتحذقها بعد مرانة قصيرة وتستغني بها عن يدك اليمنى »

ولكنني لم احفل برأيهِ هذا لظني انهُ ، مع شدة ذكائهِ ونباهتهِ ، باقٍ حديث السنّ وقليل الاختبار ولان تمرين يدي اليسرى لم يُشر بهِ طبيب آخر واعدُّهُ صعباً جدًّا ان لم يكن متعذراً بالنظر الى سنّي . وفي خريف تلك السنة زرتهُ في بيتهِ في مصر. فسألني . « هل مرّنت يدك اليسرى على الكتابة ؟ » ولما اجبتهُ سلباً قال لي : —

« يا سبحان الله ! ألأنها وصفة مجانية سهلة التناول ترفضها ولا تعنى بها ؟ إنّ خوفك من صعوبة تمرين يدك اليسرى ، لتقدّمك في السنّ، في غير محلهِ لانك لست محتاجاً ان تتعلم فنَّ الكتابة، إذ هو محفوظ في ذهنك وصور الحروف كلها مرسومة في لوح ذاكرتك فليس عليك سوى ان تمرّن يدك اليسرى على حركات رسم الحروف بضع دقائق كل يوم، مدة اسبوع وانا الضامن لك انك تجدها مطواعة لك في كتابة ما تشاء »

ثم أفاض في توطيد رأيهِ بالادلة العقلية . واتفق ان سلفي المرحوم العلامة الدكتور يعقوب صرُّوف كان حاضراً وسمع كلَّ ما قالهُ الدكتور شقير فوافق عليهِ كلَّ الموافقة وايَّده بالاستشهاد بالجنرال غورو الذي بعد ما قطعت يمناهُ مرَّن يسراهُ على الكتابة واقترن تمرينهُ لها بالنجاح . وحينئذٍ لم يسعني الاَّ أن أعنى بتمرين يدي اليسرى . وبعد ايام قليلة لاحت تباشير النجاح . وفي بضعة اسابيع صار هلال هذا النجاح بدراً كاملاً ! وقد مضى عليَّ الآن اربع سنوات ازاول فيها الكتابة بيدي اليسرى، بما لا مزيد عليهِ من الراحة والسهولة والاتقان، مثنياً على ذكاءِ الدكتور شقير وبراعتهِ، ومعجباً باصالة رأيهِ وصواب مشورتهِ . وعارفاً لهُ جميلاً ، إن قصَّر عن شكرهِ لساني فلن يقصّر عن الشعور بهِ جناني

الكبد والانيميا الخبيثة

بعد تقديم وافر الاحترام قرأت ما كتبتموهُ بعدد يونيو (حزيران) في باب الاخبار العلمية تحت عنوان علاج للانيميا الخبيثة وقد كانت قرينتي مصابة بها مدة ٤ أشهر وعالجها أشهر أطباء هذه الولاية بدون جدوى ثم اهتديت الى طبيب برازيلي يدعى الدكتور ڤامبره Vampre فوصف لها الكبد (القصبة السودا) من العجول الصغيرة بدون فرق بين الذكور والاناث وكانت تأكل يومياً ٢٠٠ غرام نيئاً ١٠٠ غرام عند الصباح و١٠٠ عند المساء مع قليل جداً من الملح وفي أول شهر أكلت٢٥ يوماً لأن يوماً في كل أسبوع لا تذبح العجول والكبد لا تنفع الا اذا كانت طريَّة وفي الشهر الثاني والثالث أكلت بين ١٨ و ٢٠ يوماً وقد شفيت تماماً بحمده تعالى . وعند أول فحصهِ لها قال ان لم تجد كبد(قصبة) العجول فاعدٌّ لها التابوت ولم يكن الكبد(القصبة) الدواء الوحيد بل أعطاها دواءً للشرب قبل الاكل وآخر بعـدهُ ووصف لها مصَّ كثير من الليمون الحامض او شرب عصيره مع الماء وحقن تحت الجلد وقد أفهمني ان الكبد (القصبة) هي الدواء الرئيسي والادوية الباقية تساعدهُ. وقد تحدثت مع أكثر من طبيب بالامر فكانوا يقلبون شفاههم حتى ظننت ان تلك الوصفة لم تكن الا من باب الخداع وبعد ان قرأت ما كتبتموهُ في مقتطفكم المفيد بهـذا الخصوص زاد اعتقادي بأن القصبة هي التي شفيت بواسطتها قرينتي وان رأيتم مصلحة لقرائكم في نشر كتابي هذا فيمكنكم نشره

وقرأت بصفحة ٧٠٤ تحت عنوان مكتبة المقتطف للاديب احمد الالفي قوله ليت كتّاب العربية في أقطارها المختلفة يجرون على اسلوب واحد في استعمال الالفاظ الخ فأتى على ذاكرتي فكر أطرحه أمامكم وهو طالما نجد بمصر وبأكثر البلاد العربية استعداداً ليوجدوا (وبمصر وبيروت والشـام أوجدوا) مجامع لغوية فهل يمكن ان تتفق هـذه المجامع على اسلوب واحد في استعمال الالفاظ الفنية والمستحدثة ؟ أظن أن الجواب سيكون سلباً فكيف يجب ان تتفق الكتّـاب اذاً ؟ .. وهل يصعب توحيد هذه المجامع ؟

وكنت قرأت من زمن بعيد جواباً عن سؤال عما معناه هل للجنس الاسود من الناس رائحة كريهة ؟ فأجبتم ان هذا وهمٌ وان اليابانيين يعتقدون ان للبيض رائحة كريهة فأخذت من ذلك الوقت أنتبه لكل انسان أسود وهنا يوجدون بكثرة حتى اتصلت الى هذه النتيجة وهي ليس لجميعهم رائحة كريهة انما لأكثرهم وماذلك الا لقلة النظافة ولعدم معرفتهم بالواجب الصحي وأكثرهم فقراء يشتغلون أشغالاً شاقة وخدم البرازيل بولس الخوري

مكتبة المقتطف

الخيام ورباعياته

كتب بعد قراءة رباعيات الخيام التي نقلها الاستاذ جميل صدقي الزهاوي عن الفارسيه نثراً وشعراً

لئن قال قائل ان الجمهورية -- هي افلاطون — وافلاطون هو الجمهورية - فان من الناس من يقول بحق — ان الرباعيات هي الخيام — والخيام هو الرباعيات . ولقد كان لهـذه الرباعيات حظ كبير في الاجواء الادبية في الغرب وتهافت على نقلها الى اللغات الغربية ثلة من مشهوري الادباء في كل امة فاشتهرت وذاع صيتها ذيوعاً عظيماً وخلدت مع الاسفار الخالدة بين كل جيل وفي كل ملاٍ من الناس . وكان اولى بذلك الاهتمام وتلك العناية ابناء العربية ونحن تربطنا واهل الفرس أواصر كثيرة بيد ان ذلك لم يكن . ولم يعن بنقلها الى العربية الاّ من ست عشرة سنة تقريباً

ولعل اول من عني بنقلها الى العربية في ذلك العهد الاستاذ وديع البستاني افندي وقد نقلها عن الانكليزية مع تلخيص وايجاز ثم ترجمها سنة ١٩٢٢ الاستاذ محمد افندي السباعي عن الانكليزية ايضاً وقد سمعت ان الاستاذ احمد افندي رامي شاعر الشباب ترجمها ايضاً بيد اني لم ار هذه الترجمة — ولقد حاول الاستاذ العلامة المرحوم نور الدين بك مصطفى نقلها من الفارسية مباشرة ففاجاتهُ المنية قبل ان يتمَّها ولو مدَّ الله في أجلهِ سنين لكانت ترجمتهُ من ابلغ ترجمات الرباعيات واذكر انهُ رحمهُ الله اسمعني منها هذين البيتين

أكسرت ربي اناء خمري   وهدمت ربي بناء عمري
أأذوقها ويثور غيري   الويل لي اعداك سكري

ثم عني بنقلها عن الفارسية اخيراً وفي هذه السنة الاستاذ جميل صدقي الزهاوي

وما نحن بحاجة الى التدليل على ما للرباعيات من شأن في عالم الأدب وجو الشعر - وهي اشهر واكبر من ان يدل عليها او ينوَّه بها، وانما نحن نريد ان نلمع الماعاً بشيء منها يدل على نفسية صاحبها : انا نرى ان الصواب في جانب احد مشهوري الكتاب الانكليز — واعله ماكولي .. على ما اذكر — اذ يقول اننا اذا اردنا ان نتعرف أو ندرس شخصية من الشخصيات البارزة فانما يجب ان ندرس اولا العوامل التي كونتها واثرت في نفس صاحبها وفي كيانهِ — طبيعية كانت ام سياسية ام اجتماعية — فنعرف البيئة التي نشأ

فيها الشاعر او الكاتب والعصر الذي حضرهُ والمؤثرات التي احاطت بهِ وهي كثيرة — ونعرف ان كان من الشعراء او الكتّاب ،في أية سن قال هذه القصيدة او كتب تلك المقالة — وعلى أية حالة كان ابّان ان شعر او نثر — وكلها لها شأنها واثرها في نفس الشاعر او الكاتب . فاما اذا اردنا ان ندرس شخصية من الشخصيات البارزة في التاريخ فانما يكون من الحق علينا ان نعنى بذلك وان نقرأهُ كلهُ — لا ان نحكم على الكاتب بمقالة كتبها وعلى الشاعر بقصيدة قالها وفي ذلك ما فيهِ من نقص وفساد — ولقد يوافق (ما كولي) — (تن) الفرنسي في طريقتهِ التحليلية المحدثة

وانت لا تستطيع ان تقرأ الخيام في خمرياتهِ او في تذمرهِ او في عظاتهِ — او في حكمهِ او في مناجاتهِ — الاّ اذا الفت بين اجزائها جميعها ودرست حالته وما كان يحيط بهِ من عوامل

والرأي عندي ان الرجل قد خلط الفلسفة بالتصوف وكان نزّاعاً الى التفكير الحر ثم ما لبث ان عاودهُ عقله وثاب الى رشده — فكانت منهُ مناجاته لربه بحرارة وتذلل . فبينا تراهُ مندمجاً في اللذة الحسية اذ يقول في الخمر :

اسقني كأساً فهي تعدل عندي	الف دين والف ملك وطيد
ليس من مرة سواها تساوي	الف حلو في كل هذا الوجود
ويقول : لا يتم الوضوء الاّ بخمر	للذي للشمار في الحان يرعى
اسقنيها فان ثوب عفافي	شق حتى لا يقبل الشق رقعا
ويقول : انني ان صحوت يزداد همي	واذا ما سكرت ينقص عقلي
انما بين الصحو والسكر حال	انا من غمتي بها متسلي
ويقول : اتخذ جنة لنفسك في الدنيا	من الخمر واغتبط بجناها
انت لا تدري تلك ان هي حقت	اتراها هناك ام لا تراها

اذ تراهُ يقول متذمراً :

يوم ابدى فينا الحياة الباري	لم يكن عنهُ فعلنا في تواري
شاء ان نجيء ذنباً فجئنا	فلماذا يلتقي بنا في النار
ويقول : كثرت في صحوي وسكري الظنون	ورموني بالكفر والكفر ديني
لا ، ابالي بظنهم بي فاني	ملك نفسي كما اشاء اكون
ويقول : أنا لو كنت كالاله قديراً	لهدمت السماء ركناً فركنا
ولأنشأت من جديد سماء	هي تعطي الانسان ما يتمنى

وتراهُ يقول في العظة

كان ليل من قبلنا ونهار وبجوم تلجُّ بالدوران
رب ارض وطئتها هي كانت عين حسناء في قديم الزمان

ويقول : هب جميع الدنيا اتت لك عفواً وافادت وان نجمك سعد
وافترض ان قد عشت مائة عام وبلغت المنى فماذا بعد

وتراهُ يقول في حالة الشك :

اغتنم فرصة الحياة وخذ بالا ـهو وانعم فالعمر ان مرَّ مرَّا
لست ذاك الذي اذا حصدوهُ مرةً كالكراث ينبت اخرى

ويقول : انا لا اشتري الجنان بفلس وتبيع الدنيا باخراك انتا
قلت من بعد الموت اين ذهابي هات خمراً واذهب الى حيث شئتا

ثم يثوب الى رشده فتعود نفسه آمنة مطمئنة فيقول مناجياً ربه

انني في حرب مرة مع نفسي انا مما قدمته ندمان
هبك يوماً عفوت عني ولكن انا مما اتيتهُ خجلان

ثم يقول : قلت اني معذب لك فارهب ليت شعري اين العذاب يكون
منك لا يخلو في الوجود مكان وانا حيثما تكون مصون

ثم يقول : اي انسان لم يجئ قط ذنباً كيف عاش الذي زكا وتوقى
ان تكافئ سوئي بسوء فقل لي اي فرق بيني وبينك يبقى

ثم يقول : بك قد نلت يا آلهي وجودي وانا اليوم في نعيمك ارتع
سأزيدن من ذنوبي لادري اذنوبي ام عفوك الجم اوسع

نقول وليس من الصحة ولا من الصواب في قليل ولا كثير ان نحكم على شاعر بقصيدة من قصائده او اثر واحد من آثار شاعريتهِ ، وانما اولى لنا ان ندرس شخصيتهُ ونتعرف المؤثرات التي اثرت في شاعريتهِ والعوامل التي كونتهُ من طبيعية وسياسية واجتماعية وهي الطريقة التحليلية التي سار عليها تن الفرنسي وماكولي الانكليزي وغيرهما من علماء التحليل والبحث الدقيق على حين اننا فوق ذلك لابد ان نعرف سن الشاعر حين قال شعره ، وحالتهُ النفسية وقتئذ ، ولما كانت الحالة النفسية مرتبطة كل الارتباط بالحالة العضوية كان من الحق علينا دراسة حالتهُ العضوية ايضاً

ومن الحق ايضاً ان نلم الماماً كليًّا بشعره من كل نواحيهِ وفي ازمنتهِ المختلفة ، لنجري في شعرهِ حكمنا ، ولننصفهُ من بعد ذلك ، لا مجنفين عن الصواب ، ولا متنكبين سبيل الحق

والرأي عندي — من بعد ذلك كله ، ان اصحاب الشاعرية الفياضة ، والوجدان المتأجج والعقل الجبار — لا يترجمون ولا يقرأون الا في لغتهم — فشكسبير لا يقرأ الا بالانكليزية ، والمعري لا يقرأ الا بالعربية ، وهوجو لا يقرأ الا بالفرنسية ، والخيام لا يقرأ الا بالفارسية الخ

ذلك لان لآثار الشاعرية الفياضة والعقل الجبار ،والوجدان المتأجج— روعة وجمالاً يضيعان عند النقل من لغة الى لغة ويذهبان بذهاب الاصل — فالفن والجمال والحلاوة والطلاوة ، والروعة والبهاء ، كلها لا تنسجم ولا تتسق في شأن من الشؤون او شيء من الاشياء الا اذا كانت على طبيعة الفكر ، واصله الاصيل ، بيد ان للقراء في غير اللغة الاصلية ضرورة ، والضرورة توجب الحيلة وقد وفق الاستاذ الزهاوي في ذلك كما ترى مما نقلناه من ترجمته لرباعيات الخيام حسن حسين

اغاني الدرويش

نظم رشيد ايوب طبع بالمطبعة السورية الامريكية بنيويورك

« رشيد ايوب شاعر رقيق يفيض الشعر من أعماق قلبهِ مع العاطفة ... وقد قاسى في زمانهِ من الدهر ونكباتهِ ما جعله شاعر الاسى والشكوى. فأكثر شعره دموع وعتب وأنين » هذا بعض ما قلتهُ في ناظم أغاني الدرويش في الطبعة الثانية من كتابي « بلاغة العرب في القرن العشرين » من نحو خمس سنوات فماذا أقوله اليوم وقد أصدر « أغاني الدرويش » الذي قرأت معظم مقطوعاتهِ فراقني جمالها وسحرتني بلاغتها وتذوقت بيانها وكنت أسير مع الناظم فأشاهد جمال الطبيعة وأدرس أسرار النفس البشرية والحياة في المدن والقرى وما يجده الشاعر من الانس بالنجوم والليل والوحدة وغير ذلك مما هو منثور في ديوانهِ بل في كل مقطوعة من مقطوعاتهِ وفي كل بيت من أبياتهِ

الديوان كلهُ شعر وبلاغة في اتقان طبعهِ وجمال ورقهِ وبديع شكلهِ ومحكم زخرفتهِ مُلىءَ فناً وفاض بآيات الجمال وقد قدمهُ الى القراء نابغة النقد الحديث الاستاذ ميخائيل نعيمه مؤلف « الغربال » وسكرتير الرابطة القلمية في نيويورك فقال في نغمة رشيد ايوب انها نغمة صادقة الرنة لطيفة الوقع صافية المصدر الى ان قال : انما العجب كل العجب في انك تراه اذا غاص في لجج امسهِ ويومهِ لا يستسلم لها بل يتخلص منها الى جو غد فسيح وقال:

« ليصعّد رشيد ايوب من الزفرات ما شاء وليبك ما دام في مقلتيهِ دموع فلا شأن لي معهُ في ذلك . تلك أوتاره وذاك هو أسلوبهُ في التوقيع وانهُ اذا ما حرّك وتر أسى

في قلبي لا يتركني في قبضة الاسى بل ينزل بي الى قلب الحياة حيث أنسى ما في رغوة العيش من خير وشر وأدرك ان وتر الحزن ووتر الفرح واحد وان في الكون نقطة يتساوى عندها كل شيء ... وفي أغاني هذا الدرويش أصداء شجية من أغنية الحياة الكبرى تلك الاغنية التي تختلج في صدر كل شاعر والتي لم ينطق بها بعد لا وتر ولا لسان ولا استوعبتها اذن انسان » فماذا بقي بعد كل هذا القول من ناقد معروف بأنهُ لا يحابي أحداً ولا يعرف حرمة الا للفن والضمير ؟

والى القارئ من أبيات الديوان نموذجاً لمحتوياتهِ . قال في قصيدة «في سبيل الحب» :

قد كنت في جيش الصبا ... بة حاملا راياتها
أهوى الليالي كيفما ... جاءت على علاتها
فلكم شربت الراح صر ... فاً من أكف سقاتها
وأجبت داعي النفس بال ... اعراض عن شبهاتها
والنفس تأبى ان سمت ... ما زاد عن حاجاتها

ففي هذه الابيات درس لاسرار النفس وتنبيهٌ دقيق لمبلغ تأثير الميول والاخلاق والعادات في النفوس السامية ولقد ابى الشاعر الا ان يبين النفس التي يحبها في نهاية القصيدة بقولهِ :

انا اعشق النفس التي ... تلتذ في حسراتها

وقال في قطعة عنوانها « فراشتي » :

ماذا تقول فراشتي ... ان رفرفت عند الصباح
ورأت محاسن روضتي ... اودت بها هوج الرياح
فتناثرت ازهارها منها وفرَّ هزارها

ويقول في غروب شمس الحياة :

انفقت هذا العمر مكتئباً ... وقطعت هذا العيش بالركض
ودرجت في الدنيا على امل ... باق ولو غيبت في الارض
ما ضرَّ نفسي والحياة مضت ... فالى حياة غيرها تمضي
فالنفس من اخلاقها ابداً ... ابدال ذاوي الغصن بالغض
والعين ان طال السهاد بها ... عند الضحى حنت الى الغمض

وفي قصيدتهِ « الحنين الى صنين » وصف لجمال الطبيعة ومسارح الرعاة ونفحات النسيم العليل لا متسع لنقله هنا. وقال في قصيدة « من خلال الضباب » :

أيا ليل يا ابن الدهور   بربك لا تنجلِ
ظلامك رشد ونور   لدى الشاعر المختلي
أمان وراء البدور   بها قلبه مُبتلي
فهلاً ، ألا ياظلام

ومن قصائده الفريدة « وولى ما عرفناه » و « قصري » و « بنت الخلود » « وروضة الحب » وغير ذلك كثير مما هو منثور في صفحات الديوان وهو يقع في ١١٢ صفحة من القطع الكبير ويطلب من ادارة جريدة السائح في نيويورك وثمنهُ ريالان اميركيان

محي الدين رضا

الحكم المطلق في القرن العشرين

تأليف عباس محمود العقاد — صفحاته ١١٠ قطع صغير — طبع بمطبعة البلاغ الاسبوعي

قال كارليل في كتابهِ الابطال : « الطاعة واجبة ولكن لمن يستحق ان يطاع . والسلطة ضرورية ولكن في يدِ من يقدر ان يحكم استعمالها . فويل للذي يرفض الطاعة لمن هو حريٌّ بها وويل لمن يطلب السلطة وهو بها غير جدير . اعطني الرجل الذي يحوي كل الصفات التي يجب ان تجتمع في الحاكم فهو يحكم عليَّ بحقٍ الهيّ »

فكارليل بقولهِ هذا لا يقضي على النظام الديمقراطي في حكم الشعوب بل يؤيدهُ أشد التأييد لان وصفهُ هذا لاينطبق الاّ على «المستبدّ العادل » او « الدكتاتور الصالح » كما يدعوهُ الاستاذ العقاد. والمستبدّ العادل انما هو رجل الشعب وثمرة العوامل التي تتضافر على خلق رجل من الشعب يشعر شعورهُ ويدرك ادراكهُ ولكنهُ يتفوّق ذكاءً في تصوّر الوسائل المفيدة لترقيتهِ ومضاءً في تنفيذها . وقد أشار الاستاذ العقاد الى ذلك في قولهِ :« فاذا احتاجت الجماهير الى المصلح النافذ في اصلاحهِ فليس أقدر على هذا المطلب من زعيم شعبي تبرزهُ البديهة الشعبية ولا أسرع منهُ في حث غريزة الامم ومغالبة ما فيها من العيوب . وكان هذا المصلح هو الزوج المحبوب الذي يطاع لان طاعتهُ سرور ويقاس مقدار حبهِ بمقدار المشقة التي تبذل في اطاعة اوامرهِ »

ثم عمد المؤلف الى ثلاثة من اشهر الدكتاتورين في القرن العشرين وهم بريمو ده ريفيرا الاسباني ومصطفى كمال التركي وموسوليني الايطالي . فسرد سيرهم وحلّل العوامل التي اجتمعت على خلقهم ووصف اثرهم في البلدان التي سيطروا على حكمها . ثم اضاف اليهم بسمارك ونبوليون مع انهما من رجال القرن التاسع عشر ولا ندري لماذا اهمل لنين مع انهُ

من دكتاتوري القرن العشرين بل من أعظمهم وموضوع الكتاب كما يظهر من عن
ينحصر في « الحكم المطلق في القرن العشرين »

لقينا منذ خمس سنوات الكاتب الاميركي المشهور الدكتور لوثرب ستودرد مؤ
« حاضر العالم الاسلامي » الذي نقلهُ الى العربية عجاج افندي نويهض وعلق عليهِ ؛
اسلامية الامير شكيب ارسلان . نقول لقينا هذا الكاتب الكبير بعد ما طاف اوربا ليج
في طوافهِ الحقائق اللازمة لوضع كتابهِ « حقائق اوربا الجنسية » فسألناهُ من هم في نظ
اعظم رجال اوربا . فقال لقد اجتمعت باكثرهم وعندي ان مصطفى كمال ولنين هما ا
رجال الحكم في اوربا الآن وقد يليهما الدكتور بنش وزير خارجية تشكوسلوفاكيا

قال هذا قبلما رسخت قدم مصطفى كمال في اصلاح تركيا هذا الرسوخ الذي نشه
الآن وقبلما قام بأعمال الاصلاح العديدة التي جدّد بها شباب الامة التركية وبعث فيها ال
والنشاط ، وقبلما ارتفع نجم موسوليني في افق السياسة الايطالية الى الاوج وقبض
اعنة الحكم فيها . وكلما زاد اطلاعنا على أعمال هذين الرجلين زاد اعتقادنا رسوخاً
مصطفى كمال هو الرجل الذي ينطبق عليهِ قول كارليل الذي صدّرنا بهِ هذا الكلام وق
الاستاذ العقاد الذي اقتبسنا منهُ جملة واحدة . بل هو في نظرنا مثال الزعيم الذي يظ
في التاريخ مرة في قرنين على الاكثر لانهاض امة واصلاحها

وبعد هذا . فهل فشلت الديمقراطية فشلاً يبرر ما نراهُ في مختلف الامم من تهافت
الاستقلال بالحكم والاستبداد في تصريف شؤون الشعوب ؟

كلا لم تفشل الديمقراطية وان كانت بعض مظاهرها قد فشلت . فجهل الناخ
وكثرة الاحزاب وتنازعها على توافه الامور ليس من الديمقراطية في شيء . فاذا فشا
هذه المظاهر فالديمقراطية لم تفشل لانها عقيدة راسخة ملخصها ان كلَّ انسان ح
في ان يشترك مع غيرهِ من ابناءِ قومهِ في تقرير مصيرهِ بنفسهِ او بانابة غيرهِ عنهُ في ذلك
وهذه العقيدة لم تضعف بل قويت واتسع انتشارها . ومهما تختلف مظاهر الديمقراط
في المستقبل فالعقيدة لا بدَّ ان تزداد رسوخاً وانتشاراً

وهي كذلك حالة عمرانية اوجدها انتقال الناس من عصر الزراعة والصناعات اليدو
الى عصر العلم والصناعة الميكانيكية والصحف والمدارس وما اليها . وفشل بعض الحكوما
النيابية في الاضطلاع باعباءِ الحكم اضطلاعاً حكيماً لا يزيل هذه الحالة من الوجود مازا
المدارس تكثر انتشاراً والصحف والفنون اللاسلكية تذيع الانباء وتربط الناس برا
المصلحة العامة والمعرفة المشتركة والشعور بان العلم والتعليم رسّخا في نفوس المتعلمين وجو

الاستقلال الشخصي وحطة النوم على الضيم وضرورة التعاون والتكاتف على تحقيق مطالب العمران العليا

اصل الانواع

تأليف شارلس داروِن — ترجمة اسماعيل مظهر بك — طبع بدار العصور بمصر

سئل المستر ولز الكاتب الانكليزي الشهير ان يذكر المؤلفات العشرة التي يحسبها أعظم المؤلفات في التاريخ فجعل كتاب داروِن في أصل الانواع وكتابهُ في تسلسل الانسان بينها. ومما لا ريب فيه ان كتاب أصل الانواع الذي نشر سنة ١٨٥٩ كان فاتحة عصر جديد في الفلسفة والعلم والاجتماع

فتغيَّر الرأي في النظر الى اصل الانسان وتسلسل المخلوقات وارتقائها من عجائب القرن التاسع عشر . وقد اشار الى ذلك العالم الانكليزي المشهور السر ارثر كيث في قولهِ « من كان يظن ان كتاب اصل الانواع حين ظهورهِ سيحدث ثورة كاملة في نظرنا الى الاحياء ويكون فاتحة عصر جديد في اساليب التفكير — ندعوهُ بحق العهد الداروِني — ونحن لا نزال في غمراتهِ الى الآن »

فكتاب كهذا الكتاب وهو في الحقيقة خزانة حافلة بالحقائق العلمية والملاحظات الدقيقة والآراء الفلسفية واساليب التفكير المبني على الاستقراء والتحفظ من الخطأ — دع عنك أثرهُ وشهرتهُ — يجب الاَّ تحرم منهُ لغة قوم يريدون ان يسيروا في موكب الحضارة الى الامام

ويسرُّنا ان قد تصدَّى لهُ صديقنا الاستاذ اسماعيل مظهر بك فترجمهُ منذ بضع سنوات ونشر فصولهُ الخمسة الاولى ، وهي الفصول التي تحتوي على لب الموضوع . وقد عاد في الصيف الماضي الى اعادة طبع الكتاب في خمسة اجزاء وقد انجز الجزء الاول فصدرهُ بمقدمتين الاولى وصف فيها وصفاً بليغاً كيف محت عزيمتهُ على ترجمتهِ والثانية تناول فيها سيرة شارلس داروِن مؤلف الكتاب ثم لخص المذاهب القديمة في النشوء واثر تقلب الاحوال الخارجية في الاحياء . ومذاهب النشوء عند العرب وما الى ذلك من المباحث العقلية الخطيرة . وقد ذيل الجزء الاول بذيل مسهب شرح فيهِ المصطلحات العلمية على اختلافها وترجم العلماء الذين ذكروا في المتن .ويقيننا انهُ متى تمَّ طبع الكتاب على هذا النسق جاء كنزاً علميًّا لا يقدَّر بمال . فنثني على همة مترجمهِ ثناءً عظيماً ونرجو ان يلقى من التأييد ما يخفف عنهُ أعباء عمل علمي شاق كهذا

تاريخ الادب العربي

بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات — مدير التعليم العربي بجامعة القاهرة الاميركية — صفحاته ٤٠٠ صفحة قطع المقتطف — طبع بمطبعة الاعتماد بمصر — طبعة رابعة منقحة

أدب كل أمة هو تاريخها النفسي ، هو صورة لحياتها الحقيقية ، هو تعبير عما يجول في صدور أبنائها من الافكار ومايختلج في نفوسهم من الآمال والرغبات. لذلك كان درس تاريخ الادب مكملاً لا مندوحة عنهُ لدرس التاريخ العام . ففي هذا نطلع على تاريخ الحروب والثورات وانثلال العروش ونشوء أنواع الحكم على اختلاف العوامل السياسية والاقتصادية والفكرية التي تتضافر على احداثها . وفي ذلك نرى في الروايات والقصص وصفاً لحياة الشعب كما هي ، ما يجول في عقول أبنائهِ على اختلاف طبقاتهم من المعاني — أهم قانعون بنظام الحكم المفروض عليهم ? وهل لحرية الفكر والقول والعمل مقام ما في نظام معيشتهم? هل تأخذهم فلسفة العمل الجديدة فيندفعون في تيَّار الحضارة لا يلوون على مُثُل عليا كانت تتصباهم ? هل هم شديدو الغيرة من الاجانب ، وما هو موقفهم ازاء التغيُّر في نظام الاخلاق ? هل يرون شرًّا عظيماً في انحلال نظام العائلة وتكاثر حوادث الطلاق ? اما ملابسهم، واما بيوتهم، واما آدابهم في الحديث والزيارة والاكل وآراؤهم في الزواج والدين والاولاد والحب وغير ذلك فصور واضحة لا بدَّ ان تقع عليها في كل أدبٍ راقٍ . لذلك نقول ان درس التاريخ لا يكفي ان لم يقرن بهِ درس الادب . ودرس الأدب اذا نظر اليهِ هذه النظرة درس خطير لا يكتفى فيهِ بسرد أسماء الكتاب وتبويب أساليبهم وذكر مؤلفاتهم والاطلاع على نبذٍ من شعرهم او نثرهم . على ان معرفة هذه الحقائق لا بدَّ منها كمقدمة لدرس الادب في صميمهِ . وعندنا ان كتاب الاستاذ الزيات من أصلح الكتب كمدخل الى الادب العربي في معناه الاصيل

فهو كتاب مدرسيّ لم نرَ كتاباً مدرسيًّا يفوقهُ ترتيباً وحسن نظام وايجازاً في سرد الحقائق وبلاغة في ارسالها . وطبعهُ طبعة رابعة أكبر دليل على ما لهُ من المكانة العالية في المدارس التي تعنى بتدريس تاريخ الادب العربي

على اننا نتمنى على الاستاذ الزيَّات ان يكبَّ على وضع كتاب في الادب العربي لا يكون تتابع الاسماء فيهِ الاَّ هيكلاً لحمهُ ودمهُ تلك التيارات النفسية التي تجتاح النفس العربية والعقل العربي في الجزيرة ومصر والشام والعراق والمغرب والاندلس في مختلف العصور . ونحن على يقين ان الاستاذ اهلٌ للاضطلاع بهذا العمل المفيد

صحة الام والطفل

للدكتور حسين رشيد سري الدين — طبع بمطبعة المصباح ببيروت صفحاته ١١١ صفحة — يحتوي على صور كثيرة

البيت مهد الامة فيهِ تتولد القوى الحيَّة وتنشأ وتتكيف حسب عوامل التربية والبيئة التي تتسلط عليها. والمربي بمثابة كيماوي في عهدتهِ مواد يستطيع ان يستعملها للنفع او للضرر والولد اشبه شيء بهذه المواد يتكيف ويتحول حسب ارادة المربي على قدر ما تسمح بهِ غرائزهُ وميولهُ الفكرية . ويا ليت ذلك المربي يكون دائماً الام لما اودعتهُ فيها الطبيعة من الشعور النبيل والحنان السامي . ولكن كثيراً ما تجهل الامهات مميزات الاطفال الجسدية والنفسية فيخطئنَ المرمى في التربية والتعليم . واهمُّ ما يجب ان تعرفهُ الامهات ما يتعلق بتركيب جسم الطفل ووظائف اعضائهِ وما قد ينتابهُ من الامراض وكيفية الوقاية منها او معالجتها .لذلك عني الدكتور سري الدين بوضع هذا الكتاب المفيد وقد احسن بقسمتهِ الى قسمين عامين الاول يدور على الامومة والعناية بصحة الحامل والنفساء والمرضع وما الى ذلك من المباحث والثاني يدور على الطفل . وزيَّنهُ بصور كثيرة تجعل فوائدهُ العلمية والعملية مزدوجة الفائدة

امراض الجلد

تأليف الدكتور محمد كامل براده — الطبيب الخاص لوزارة المعارف في الامراض الجلدية والزهرية طبع بدار الكتب المصرية بالقاهرة . صفحاته ٢٤٠ قطع المقتطف . مصور . وفي ذيله معجم للمصطلحات العلمية

الغرض من الكتاب شرح الامراض الجلدية لطلبة الطب والمتخرجين ونظار المدارس حيث يجدر بالناظر ان يكون ملمًّا ببعض الحقائق البسيطة المعروفة عن امراض الجلد فيستطيع ان يعرف المصابين بها من الطلبة فيعنى بارسالهم الى الطبيب او يعزلهم عن رفاقهم اذا كانت اصابتهم معدية . وعندنا انهُ يحسن بربات البيوت المتعلمات اقتناؤهُ لان الفوائد الصحية التي تستطيع ان تقتطفها منهُ ربة بيت جمة . والكتاب مبوَّب تبويباً علمياً واسلوبهُ موجز سهل وصورهُ كثيرة ملونة وغير ملونة ، تسهيلاً للاخذ وتجسيماً للمعاني

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) مؤلفات الدكتور صروف

مصر . ما هي مؤلفات الدكتور يعقوب صروف

ج . لم يؤلف الدكتور صروف كتاباً بالمعنى المقصود من التأليف اي اختصاص بحث من المباحث بوقته والتوفر على درسه والتأليف فيه . ولكنه قضى اثنتين وخمسين سنة ينشئ المقتطف ويكتب في كل الموضوعات التي يراها مفيدة لقرائه فتناول قلمه في أثناء ذلك العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية على تعدد فروعها والتاريخ والفلسفة واللغة والادب . وكتب في كلٍّ من هذه الموضوعات مقالات تملأ أكثر من مجلد واحد . ولما اقترحت طائفة من قراء المقتطف على ادارته ان تعنى بجمع مقالات المقتطف التي تتناول موضوعاً عاماً واحداً في كتاب على حدة جمعنا منها «كتاب بسائط علم الفلك» و « أعلام المقتطف» و«الروّاد» و « العلم والعمران » و«رسائل الارواح» فكل هذه الكتب من وضع الدكتور صروف

وكان قد عني رحمة الله عليه بتأليف روايات عصرية بسط فيها آراءه الاجتماعية فوضع رواية « فتاة مصر » ورواية «فتاة الفيوم » ورواية « أمير لبنان » وعناوينها تدلُّ عليها . وترجم كتاب «سرّ النجاح» وكتاب« الحرب المقدسة »وكتاب«أبطال اليونان » في أوائل عهده بالكتابة . ثم نقّح سرّ النجاح وطبعهُ مراراً

(٢) اينشتين والنسبية

بغداد . هل كان اينشتين الالماني أول من قال بنظرية النسبية او كان هناك علماء قبله قالوا بها ولكنهم لم يعنوا بها عنايته ولم يؤلفوا بين متفرقها تأليفه

ج . وضع الكاتب الانكليزي ولز كتاباً اسمهُ « آلة الوقت » سنة ١٨٩٥ اي قبلما نشر اينشتين مباحثهُ الاولى في مذهب النسبية الخاص بعشر سنوات وقد

أشار فيهِ الى «البعد الرابع» اي «الزمن» وهو من الاركان التي تقوم عليها نظرية اينشتين . غير ان اشارة ولز ليست سوى خطرة روائي مبدع تعوّد ان يتصوّر الاشياء تصوّراً غريباً . ولكن اينشتين على ما نعلم هو اول من قال بنظرية النسبية والّف بين اجزائها . على ان نظريتهُ مبنية على تجربة مشهورة لدى علماء الطبيعة تعرف بتجربة ميكلصن ومورلي وفيها حاول العالمان اولاً — وميكلصن وحده بعد وفاة مورلي — ان يثبتا حركة الارض في بحر الاثير الذي تسبح فيهِ فلم يفلحا على غير ما كان ينتظر. فاضطر العلماء ان يقولوا — بانين قولهم على هذه التجارب — انهُ لا يمكن الشعور بالاثير باية آلة من صنع الانسان . فلماذا نفرض اذاً وجود شيء نبني عليهِ كلَّ فروضنا العلمية من غير ان نستطيع ادراكهُ على الاطلاق ولماذا لا نقول بان الاثير غير موجود ؟

فجاء اينشتين وبنى نظريتهُ على نتائج هذه التجارب ومن اركانها تعليل الظاهرات الطبيعية من غير ان يفرض وجود الاثير

ومع ذلك يجب الاَّ يغمط حق العلماء الذين مهدوا لمذهبهِ بمباحثهم الرياضية الدقيقة مثل لورنتز ولارمور وفتزجرلد وغيرهم

(٣) بقاء النسبية

ومنهُ . هل لنظرية النسبية من القوة ما يمكنها من ان تكون اساساً للعلوم الحاضرة اقوى من الاساس الذي سار عليهِ العلم مدة وجيزة ؟

ج . الفروض العلمية تبقى سائدة ما زال منها فائدة للعلماء اي ما زال العلماء قادرين ان يعللوا بها ظواهر طبيعية لا يستطيعون تعليلها باي فرض علميّ آخر . لذلك لا نستطيع ان نعرف الزمن الذي يبقى فيهِ مذهب اينشتين مسيطراً على اصول العلم . ولكن مما لا ريب فيهِ انهُ يعلّل كثيراً من الامور التي لم يكن تعليلها مستطاعاً بالمذاهب القديمة كالاضطراب في حركة عطارد وتفرق النور. واكثر عناصر هذا المذهب الجديد قد امتحن امتحاناً علميًّا فايّدهُ الامتحان . من كان يقول منذ خمسين سنة ان نظرنا الى الكون المبني على مباحث كوبرنيكس وغليليو ونيوتن سيتغير كما تغيّر الآن ، بل من كان يقول قبل ظهور كوبرنيكس وغليليو ان آراءها ستغيّر الآراء الفلكية السائدة قبل مجيئهما. كذلك لا ندري الى متى يبقى مذهب اينشتين كافياً لتعليل الظواهر التي قد يكشف عنها العلماء في المستقبل

(٤) حدود الكون

ومنهُ : الرأي الحاضر المجمع عليهِ تقريباً يقول بان « لانهاية للكون » والاستاذ اينشتين يحدده — وذلك كما جاء في الجزء السابع من المقتطف سنة ١٩٢٨ في الاخبار العلمية — فكيف توفقون بين رأيهِ والرأي السابق

ج . راجعنا باب الاخبار العلمية في
ء يوليو سنة ١٩٢٨ وهو الجزء السابع
ي صدر هذه السنة فلم نجد فيهِ الاشارة
ـأي اينشتين التي تذكرونها في سؤالكم.
ان اينشتين يقول ان الفضاء ينتهي
كنهُ غير محدود . ذلك ان رأيهُ في
ناء يختلف عن الآراء السابقة فيهِ . فهو
، ان الفضاء كرويّ فاذا ارسلت شعاعة
من كوكب في احد اطرافهِ سارت
اعة في خط مستقيم ظاهراً — لسعة
ون وتعذر رؤية الانحناء في خطوط
رة تخترقهُ — وتبقى سائرة حتى تعود
الكوكب الذي صدرت منهُ . فالكون
هذا القبيل ينتهي . ولكنهُ غير محدود
، انهُ اذا امتطى انسان متن هذه
اعة وسار عليها في الفضاء لم يصل الى
ن يرى فيهِ لوحة كتب عليها « هنا حدُّ
ون ولا كون وراءه » فالكون من
القبيل غير محدود

ونرجو ان تعذروا ما قد يتسرب الى
، الاجوبة من عدم التدقيق العلمي التام
لا مندوحة عن ذلك في بسط مذهب
، يقوم على ادق القواعد الرياضية
قدها

(٥) مبادىء مذهب اينشتين

ومنهُ . هل لكم ان تذكروا لنا شيئاً
اهم ما جاء في نظرية اينشتين وتاريخها
تاً عن تاريخ هذا العالم خدمة للعلم والحقيقة

ج . لا يتسع باب المسائل للجواب عن
هذا السؤال . انما بدأنا من مدة نجمع
المواد لكتابة مقالة في مذهب النسبية
تمكن القراء من الاطلاع على صورة اجمالية
لهُ . ونأمل ان نفرغ منها قريباً فننشرها
في اول فرصة . اما سيرة اينشتين فقد
لخصناها في باب المسائل ص ١٠٨ من
مقتطف يوليو ١٩٢٨

(٦) الشعر في الانف

الاسكندرية . في السنة الاخيرة
كثر الشعر في انفي وبدأ الآن يظهر
فما هي افضل طريقة لازالة لون الشعر
حتى لا يظهر . وهل هناك خطر اذا
ازيلت هذه الشعيرات بابرة كهربائية او
قلعت نتفاً

ج . هذه الشعيرات الدقيقة تصفي
الهواء الذي تتنفسهُ من الانف وتمنع
وصول ذرات الغبار الى باطن الانف
فالاقلال من التلاعب بها قاعدة صحية تجب
مراعاتها مراعاة دقيقة وقلع هذه الشعيرات
نتفاً مضرّ ضررين الاول انها تعود الى
النمو فتكون اثخن واقسى والثاني ان
بصيلات الشعر قد تلتهب فتسبب الماً شديداً
وقد ينجم عنها ضرر كبير . فقصّها
اقل خطراً من غيرهِ على شرط ان يكون
المقص حاداً . اما في قصرها (اي
ازالة لونها) فنفضل استعمال اكسيد
الهدروجين الثاني (او اكسيجينه)

باب الاخبار العلمية

العلم في العام الماضي

تتمة ما نشر صفحة ١٤

﴿ الطبيعيات ﴾ (١) تأيُّد مباحث ملكن في الاشعة الكونية وذهابهُ الى ان مصدرها تكوُّن العناصر المركبة من دقائق الكهربائية او من دقائق العناصر البسيطة في السدم اللولبية (٢) توفّق الاساتذة تيبو وهنت واوسبرن وهوج كلٌّ على حدة، الى اكتشاف اشعة مكانها في الطيف بين الاشعة التي فوق البنفسجي واشعة اكس . وكانت الهوة بين هذين النوعين من الاشعة خالية الى الآن من اشعة معروفة

﴿ الارتياد ﴾ (١) فاجعة البلون ايطاليا ونجاة قائده ورجالهِ وفقد امندصن الرحالة النروجي الشهير (٢) طيران ولكنز وايلسن بطيارة من الاسكا الى سبتسبرجن (٣) وكلا الرحلتين اثبت عدم وجود ارض في الاصقاع المتجمدة الشمالية (٤) قيام بعثتين جويتين الى القطب الجنوبي لارتيادهِ عن طريق الجو وهما بعثة الكومندر برد وبعثة السر جورج ولكنز

﴿ الظواهر الجوية ﴾ (١) اجتماع علماء الظواهر الجوية من بلدان اميركا واوربا في باريس في شهر مايو والغاية من هذا الاجتماع اعداد المعدات لتنظيم مكتب دولي لجمع أنباء الجوّ من البواخر في عرض البحر واذاعتها لاسلكيًّا لتستعملها البواخر والطيارات التي في حاجة اليها . وهذا العمل كان مرمى علماء الظواهر الجوية الاعلى منذ خمسين سنة الى الآن

﴿ الطب ﴾ (١) كان البحث في انواع الفيتامين واستفرادها والخطر الناتج عن زيادتها في الجسم وخصوصاً فيتامين (د) وعلاقتهِ بالعقم في مقدمة المباحث الطبية التي عالجها العلماء (٢) ثبت انهُ يمكن نقل عدوى الحمى الصفراء الى نوع من انواع القردة الافريقية وبذلك تسنى للاطباء ان يجربوا تجاربهم في القردة بدلاً من تجربتها في الناس وتعريضهم لخطر الموت بها اثباتاً لرأي طبيّ او نفياً لهُ (٣) ثبت لطائفة من الباحثين في جامعة وسكنصن ان لمقدار النحاس في الجسم مقاماً كبيراً في تكوين الدم. وقد كان الرأي الشائع حتى الآن ان الاملاح الحديدية هي المواد الرئيسية اللازمة للدم . (٤) تمَّ لبعض الجراحين ازالة نصف المخ من غير ان يموت المريض. (٥) اثبات فائدة الكبد النيء في معالجة الانيميا الخبيثة

﴿ الهندسة الكهربائية ﴾ (١) التقدم الكبير في اتقان التلفزة اي الرؤية عن بعدٍ وتجربة ذلك بين اوربا واميركا ونجاح التجربة نجاحاً لا بأس بهِ . (٢) التوسع في استعمال الانابيب المفرغة للتحكم بسير الطيارات والسفن من بعيد . (٣) صنع آلات كالاحياء كآلة التلفكس التي تسمع الاوامر بالتلفون وتنفذها والآلة الهندسية التي تحسب حسابات رياضية معقدة يستغرق حلها اياماً . (٤) اتقان المنائر التي تنير انواراً تخترق الضباب باستعمال غاز النيون (٥) درس البرق درساً علميًّا منتظماً ومحاولة التقاط القوة الكهربائية التي تتولد من شرارته واستخدامها

اول صانع للطيارات

اشرنا قبلاً الى خلاف عنيف قام بين المستر اورڤيل ريط احد الاخوين ريط اللذين استنبطا الطيارة ومديري المعهد السمثصوني الاميركي على نصيب الاستاذ لنغلي في استنباط الطيارة الاولى وهل كانت طيارتهُ اول طائرة اثقل من الهواء صنعها الانسان وتمكن من ان يحلق بها في الجوّ فتثبت فيهِ وتتحرك بقوة محركها . ذلك ان مديري المعهد السمثصوني زعموا طيارة كان قد صنعها الاستاذ لنغلي وعرضوها في متحف المعهد بعد ما كتبوا على لوحة علقت بها انها طيارة لنغلي الاصلية وانها اول طيارة حلّق بها الانسان في الجوّ فلبثت فيهِ وسارت بقوة محركها. فاحتجّ على ذلك المستر اورڤيل ريط وارسل الطيارة الاصلية التي استنبطها مع اخيهِ ولبر وطار بها في ١٧ دسمبر ١٩٠٣ الى المتحف العلمي بسوث كنسنجتون بلندن بدلاً من ان يعرضها في المتحف السمثصوني في عاصمة بلادهِ

فعهدت ادارة هذا المعهد الى لجنة من الخبراء في تحقيق دعوى المستر ريط وقد قرأنا الآن في ناتشر ان مدير المعهد — الاستاذ أبُت — نشر رسالة اعترف فيها بخطاءِ المعهد ولذلك غيّرت اللوحة التي علقت على طيارة لنغلي فصارت كما يأتي « طيارة الاستاذ لنغلي التي صنعها سنة ١٩٠٣ بعد ترميمها » . ووجه دعوة جديدة الى المستر اورفيل ريط ليهب طيارتهُ التي في لندن الى المتحف السمثصوني بعد ما قرّرت اللجنة المنتدبة للبحث انهُ واخوهُ كانا اول من طار بطائرة أثقل من الهواءِ تسير بقوة محركها ويمكن التحكم بها في سيرها

رسائل الارواح

عنيت جريدة الديلي نيوز الانكليزية بنشر سلسلة من المقالات لنفر من اشهر كتاب الانكليز رغبت اليهم في ان يجيبوا فيها عن اسئلة ثلاثة . الاول هل تأيدت دعاوي الروحانيين او لم تتأيد وهل ينتظر

ان تتأيد او تنفى ? الثاني ما هي الادلة التي بنى عليها الكاتب جوابهُ . الثالث هل ممارسة مخاطبة الارواح تضر بجسم الذي يمارسها ? ومن الكتّاب الذين نشرت رسائلهم السر اوليفر لدج . على انهُ لم يجب عن هذه المسائل اجابة صريحة بل اكتفى بتفنيد المذهب المادي في النظر الى الحياة وختمها بقولهِ بان الادلة على الحياة بعد الموت ازدادت كثيراً في السنين الاخيرة وانها على ازدياد متواصل. واجاب المستر روبرتسون J. M. Robertson ان تاريخ الخمسين السنة الاخيرة لم يثبت بدليل علمي امكان التحكم بالاجسام المادية بطريقة روحانية ولا امكان مخاطبة الاموات للاحياء

المستشرقون والمطبوعات العربية

جاءنا من المستر اورثر جفري الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية في جامعة القاهرة الاميركية انهُ كان حديثاً في اميركا واوربا وزار كليات العلوم ودور الكتب المشهورة بها والتقى بكثيرين من العلماء المستشرقين فأعربوا له عن أسفهم على عدم وصول معلومات كافية اليهم في الوقت المناسب عن المطبوعات العربية التي تنشرها مطابع مصر. وقد بحث معهُ الدكتور ستوك هورغوني المستشرق في أيسر طريقة للوقوف على أخبار صدور هذه المطبوعات في حينها لأن العلماء يحبون ان يقتنوها ولا سيما الكتب الخاصة بعلوم التاريخ والتفسير والفقه والتصوف

ثم قال ان هذه المسألة ذات ركنين الاول جمع المعلومات عن الكتب العربية التي تصدر والثاني نشر هذه المعلومات للراغبين فيها .وقد وجد حلاً للركن الثاني اذ ظهرت في لندن حديثاً مجلة شهرية اسمها «آسيا تكه» اتفق مع محررها على ان ينشر بها ما يرسله اليهِ من المعلومات عن الكتب التي تطبع. فبقي الركن الاول وهو مستعد ان يجمع تلك المعلومات ويرتبها على النظام المطلوب اذا رضي ناشرو الكتب العربية ان يرسلوا عينات مطبوعاتهم الى مكتبتهِ في مدرسة اللغات الشرقية في جامعة القاهرة الاميركية. وأهم ما يعنى بهِ المستشرقون من الكتب هو كتب الفنون الاسلامية والعلوم الشرقية وتاريخها وهم لا يعنون طبعاً بالكتب التي تترجم من اللغات الاوروبية ولا بالروايات ولا بمختصرات العلوم الحديثة

جائزة نوبل الطبية

نشرنا في مكان آخر من هذا الجزء صورة الدكتور شارل نيكول مدير معهد باستور في تونس الذي فاز هذه السنة بجائزة نوبل الطبية جزاءً لهُ على مباحثهِ في حمى التيفوس التي أبان بها ان في الامكان نقل عدوى التيفوس من البشر الى الشمبانزي

ومنهُ الى القردة من المراتب الدنيا ، وانهُ يمكن نقل العدوى كذلك الى الخنازير الهندية ولكن أعراض العدوى فيها لا تكون حادة . وهو الذي اثبت ان القمل ينقل مكروب هذه الحمى وخصوصاً النوع المعروف علميًّا « بريكيولوس فستمنتي » وان البراغيث والبق والبعوض لا تنقل هذا المكروب. ثم اثبت ان حقن الاصحاء بمصل دم الناقهين من هذه الحمى يمنح الاصحاء مناعة فعالة ولكنها غير دائمة. وهو مع الاستاذ كونسي Conseil اول من اثبت ان مصل دم الناقهين من الحصبة يساعد الاصحاء المعرضين لها على اتقائها

التلفزة الملونة

التلفزة هي الكلمة التي عربناها لفظ تلفزيون الفرنسوي ومعناهُ الرؤية عن بعد. وقد اخترنا هذه اللفظة المعربة لسهولة جريها على الاوزان العربية . فالاسم تلفزة والفعل تلفز والآلة تلفاز وهلمَّ جرًّا

ولا يخفى على قرَّاء المقتطف ان تصوير الاجسام بالوانها الطبيعية صار ممكناً على ما بيناهُ في باب الاخبار العلمية من جزء دسمبر الماضي. لذلك عني المستر بايرد ابعد المشتغلين بالتلفزة نجاحاً باستنباط طريقة تمكنهُ من تلفزة الاجسام بألوانها الطبيعية وقد فاز بما اراد. ذلك انهُ يستعمل مصفاة لونية كالمصفاة المستعملة في التصوير الملوَّن مقسمة الى ثلاثة اقسام احدها اخضر والثاني احمر والثالث ازرق فتمرُّ امام عين المشاهد على اللوح ثلاثة صور للجسم المتلفَز احداها خضراء والثانية حمراء والثالثة زرقاء ولكن سرعة تتابعها تمنع العين من رؤية كل لون على حدة فترى صورة فيها الالوان متحدة او بالحري كأنها مغمورة بنور الشمس المركب من كل الالوان

ارشاد البواخر باللاسلكي

جُهّزت باخرة كبيرة في المانيا تدعى « تزيهرنغن » حمولها ١١ الف طن بادوات لاسلكية تمكن اصحابها من ادارتها لاسلكيًّا وهي في عرض البحر . ثم أُرسلت الى عرض البحر من غير بحّار واحد على متنها ومن غير ان يكون بينها وبين اليابسة اتصال ما الاّ بالامواج اللاسلكية وكانت تصدر اليها الاوامر اللاسلكية من اليابسة فتنفذها . فكانت تسير وتقف وتسرع وتبطئ وتدور على وفق الاوامر اللاسلكية الصادرة اليها . وزيادة عن ذلك كان بامكان مديريها ان يطفئوا ناراً تشبُّ فيها باستعمال مطافئ تدار باللاسلكية وهذا من غرائب الصناعة . وقد جرّبت امثال هذه التجارب قبلاً في البواخر والطيارات فنجحت ولكننا لم نقرأ ان التجربة جربت في باخرة هذا حجمها وحمولها

اكبر التلسكوبات

وهب مجلس التعليم الدولي معهد كاليفورنيا الصناعي بيازادينا — حيث يقوم الاستاذ ملكن بمباحثهِ الخطيرة في الاشعة الكونية — هبة مالية كبيرة لبناء تلسكوب يكون قطر مرآتهِ مائتا بوصة اي مضاعف قطر المرآة في اكبر تلسكوب بني حتى الآن وهو تلسكوب جبل ولسن الذي قطر مرآتهِ مائة بوصة. فمتى تمّ ينتظر ان يصل بهِ العلماء الى تصوير خمسمائة مليون نجمة لم يستطيعوا ان يصوّروها حتى الآن لضعف التلسكوبات المستعملة

وكان يعترض على التلكسوبات العاكسة بان الحرارة تفعل بمراياها فتتقلص او تتمدد بحسب هبوط الحرارة او ارتفاعها فاذا تقلصت المرآة او تمددت مهما يكن تقلصها او تمددها قليلاً شوهت صور المرئيات التي ترسمها. لذلك يرى القائمون على بناء التلسكوب الجديد ان يحلّوا هذه المشكلة بجعل مرآة التلسكوب المنوي صنعهُ من الكوارتز المصهور وهو اقل انفعالاً بتقلبات الحرارة من الزجاج العادي

الاستاذ تشمبرلين واصل السيارات

في ١٥ نوفمبر الماضي توفي الاستاذ تشمبرلين الاميركي استاذ الجيولوجيا المتقاعد في جامعة شيكاغو في الخامسة والثمانين من عمرهِ. وهو من اكبر العلماء الذين انجبتهم اميركا واشهر ما يذكر بهِ رأيهِ في تكون السيارات من السديم الشمسي الذي يلخص فيما يلي: ان شمسنا كانت في سالف عصرها قائمة بذاتها خالية من السيارات ثم مرّت شمس اخرى على مقربة منها فتجاذبت الشمسان وحدث مدٌّ شديد في مادة كلٍّ منهما عن جانبيها فخرجت من جانبي شمسنا مادة تساوي جزءًا من سبعمائة جزء من جرمها وكان من المحتمل ان تعود اليها بعد ابتعاد الشمس الاخرى عنها ولكن تلك الشمس لم تكتفِ بجذب هذه المادة ونزعها من شمسنا بل دفعتها بجاذبيتها في الفضاء فصارت تحت سلطة قوتين قوة جذب الشمس الاولى لها لارجاعها اليها وقوة دفع الشمس الاخرى لها في الفضاء فسارت بين هاتين القوتين اي دارت حول الشمس كما تدور اذرع السديم اللولبي حولهُ ثم تجمعت دقائقها وتكونت منها السيارات واقمارها. وقد اطلق على هذا المذهب اسم المذهب المدّي لان انفصال السيارات عن الشمس كان على اسلوب يشبه المدّ

مكتشفات اثرية هامة

ادى استئناف اعمال الحفر التي تباشرها مصلحة الآثار بسقارة (جنوب القاهرة) الى اكتشاف غير منتظر فقد عثر فوق حفرة كبيرة مغمورة بالرمال وبعيدة عن

الابنية على جملة تماثيل حجرية مكدسة بعضها فوق بعض تمثل آلهة غير مصرية تدلُّ ازياؤها وحركاتها على انهُ يحتمل كثيراً ان تكون آلهة سورية غير ان صنعها يدل بعكس ذلك على انها من عمل حفار مصري من العهد الفارسي او من عهد البطالسة . واكبر تلك التماثيل تمثال امرأة ممتلئة الجسم وهي جالسة يعلو رأسها تاج مرتفع. أما التماثيل الاخرى فانها تمثل رجلاً مرتدياً ثوباً من الثياب الكلدانية وامرأة وكلاهما واقف جامداً وباسطاً ذراعيهِ الى الامام ثم رأس رجل ذي لحية طويلة يظهر انهُ كان رأس ثور ذي اجنحة

ولما كانت صور آلهة اسيا في الشرق الادنى نادرة للغاية فان قيمة هذه المجموعة عظيمة الشأن وهي في الوقت نفسهِ تذكار نفيس لاحدى الجاليات الاجنبية العديدة في منفيس في العصور المتأخرة والتي لا يعرف سوى النزر القليل عنها

واكتشفت مصلحة الآثار التاريخية بسقارة رأس تمثال جسم من الجرانيت الاحمر لاحد ملوك الاسرة الخامسة وقد حصل هذا الاكتشاف في اثناء الحفارّ التي عملت في الجهة الجنوبية من الهرم الذي يظن انهُ هرم الملك اسيسا المعروف باسم « الهرم المخربش »

ومن المحتمل كثيراً ان يكون هـذا الرأس رأس الملك اوسركاف اول فراعنة الاسرة الخامسة لانهُ قد وجد بالقرب من ذلك المكان جملة قطع لتماثيل اخرى ونقوش بارزة من معابد منقوش عليها خرطوش (خاتم) هذا الملك

وهـذا الراس محفوظ في حالة جيدة وهو من اجمل ما اخرجهُ الصناع في الدول القـديمة واكبر راس عرف حتى الآن بعد راس ابي الهول من تلك الدولة ولا يعرف حتى الآن من مخلفات الاسرة الخامسة تمثال لاحد ملوك هذه الاسرة

العلم والحـكومة

القى العـالم البيولوجي الانكليزي الاستاذ هلداين خطبة ضافية في الجمعية الفابية في ٢٥ اكتوبر الماضي جعل عنوانها « العلم والحضارة الغربية » طلب فيهـا ادخال الطرق العلمية في معالجة شؤون الدولة ومما قاله فيها انهُ يطيب خاطراً اذا رأى في الوزارة الانكليزية عضواً واحداً تساوي معارفهُ العلمية معارف طالب في الفرقة الثانية من قسم التاريخ الطبيعي بجامعة كمبردج. ومثـل على ذلك بقولهِ ان قانون الضرائب على السيارات لا يمكن ان يضعهُ الا مجنون

النتروجين والذهب

يبلغ الآن ثمن رطل من غاز النتروجين نحو سبعة غروش صاغ اما ثمن رطل من

الذهب فلا يقل عن مائتين وخمسين جنيهاً. ومع ذلك يقول الاستاذ بايتس وكيل اتحاد زراعي اميركي كبير في الجمعية الكيماوية الاميركية ان ثروة كل امة لا تلبث ان تقاس بمقدار ما تستعمله من نتروجين هوائها لا بمقدار ما في خزائنها من الذهب الابريز. لأن اربعة اخماس الهواء الذي نتنفسهُ ويحيط بنا من هذا الغاز المجرّد عن اللون والرائحة الميّال الى العزلة اي الى عدم الاتحاد بغيره من العناصر. ولكنهُ مع ذلك من الزم العناصر في صناعات الاسمدة والمفرقعات. فمستقبل العالم يتوقف على مبلغ نجاحنا في اخراجهِ من عزلتهِ وحملهِ على الاتحاد بالعناصر الاخرى لصنع الاسمدة. ولولا ذلك لصحت نبوءة السر وليم كروكس العالم الانكليزي الذي ذهب الى انهُ اذا لم يفز العلماء بصنع الاسمدة الصناعية بتثبيت نتروجين الهواء حلّت مجاعة عامة بعدما تنفد مصادر نترات شيلي

وقد اشار الى هذا الموضوع كلٌّ من الاستاذ حبيب اسكندر في نهاية خطبتهِ في هذا العدد ص ٢٤٠ وثابت افندي ثابت في ما ذكرهُ عن الاستاذ هابر الالماني في باب الزراعة ص ٩٢

مطلب الجمهور في الصحف

يؤخذ من تحليل الصحف الانكليزية الكبيرة ان الانباء التجارية تشغل اكبر جانب من الصحف التي تناولها البحث في لندن مما يدلّ على عناية الجمهور الانكليزي بالشؤون التجارية والمالية لان الصحف تنشر لقرائها ما يهمهم. ويلي ذلك الشؤون السياسية فانباء الالعاب الرياضية على اختلافها فالمسائل العقلية فالفنية فالعلمية فالاخبار المثيرة للاهتمام بغرابتها كالجرائم وما اليها فامور الدين

اكرام العلماء

منحت الجمعية الملكية الانكليزية المدالية الملكية لكل من الاستاذ ادنغتون استاذ الفلك في جامعة كمبردج لمباحثهِ الخطيرة في علم الفلك الطبيعي «استروفزكس» وللاستاذ بروم لمكتشفاتهِ التي تجلو بعض الجلاء اصل الحيوانات الثدوية. ومنحت مدالية كوبلي للسر تشارلز بارسنز لما أفاد بهِ علم الهندسة ومدالية رمفرد للاستاذ باشن لمكتشفاتهِ في الحل الطيفي ومدالية دايفي للاستاذ دونان لمباحثهِ في الكيمياء الطبيعية

جائزة نوبل للكيمياء

منحت جائزة نوبل للكيمياء عن سنة ١٩٢٧ للاستاذ ڤيلند من اساتذة جامعة مونيخ لمباحثهِ في حوامض الصفراء وعن سنة ١٩٢٨ للاستاذ ڤندوس من اساتذة جامعة غوتنجن لمباحثهِ في مواد تدعى «الستيرين» وعلاقتها بالفيتامين

الجزء الاول من المجلد الرابع والسبعين

صفحة

الدكتور اكنر : صانع البلون عراف زبلين وربانه وهو
ينوي ان يجيء ببلونه الى مصر قريباً

مقتطف فبراير ١٩٢٩

كلمات للدكتور صروف

الاعصاب وفعل الموسيقى

كنا في حداثتنا نُطرب لصوت الترتيل اليوناني ولأصوات المؤذنين والمغنين. ولما سمعنا المرتلين يرتلون في الكنائس الانكليزية استهجنا اصواتهم ولم نرَ فيها شيئاً يطرب او يحرك العواطف. واتفق اننا اقمنا مدة في بيت رجل اميركي وزوجتهِ وكان امام كوة الغرفة التي نجلس فيها مأذنة يؤذن فيها مؤذن مشهور برخامة صوتهِ ولكنهُ كان لا يكاد يشرع في التأذين حتى يقوم الرجل وزوجتهُ ويقفلان الشباك فنضطر ان ننتقل الى غرفة اخرى لنستمع اذانهُ . وكان الرجل من الماهرين باللعب على الارغن وكنا لا نطيق سماعهُ . ثم وُضع في يدنا كتاب لنترجمهُ الى العربية وفيهِ فصل عن الموسيقى الدينية وتأثيرها في النفوس فترجمناهُ وعقبنا عليهِ بان الموسيقى لا تؤثر التأثير الواجب الا اذا الفتها الاذن طويلاً . وطبع الكتاب فقامت علينا قيامة اصحابهِ ونزعوا منهُ الورقة التي فيها التعقيب. ثم مرَّت السنون ونحن نسمع الموسيقى الافرنجية والموسيقى العربية فصرنا نسرُّ بالاثنتين على حدٍّ سوى . ونحن نعلل ذلك بان الصوت الموسيقي لا يصل الى مركز الشعور بهِ في الدماغ الاَّ بعد ما يمرُّ في سلسلة من الاعصاب والدقائق العصبية فيحركها حركةً لم تكن قد الفتها فلا ترتاح لها بل قد تتعب منها فاذا تكرر من آونةٍ الى اخرى انتظمت تلك الدقائق الانتظام المناسب لسير امواج ذلك الصوت فيبطل تعبها منهُ وتألفهُ وتصير تنتظرهُ فترتاح لحدوثهِ . واذا قُرن الصوت بكلام لهُ معانٍ مستحبة اومرتبطة بشيءٍ محبوب زاد سرور النفس بهِ واشتركت مع اعصاب السمع اعصابٌ اخرى فتتحرك حركةً موسيقية وتحرك معها الاعضاء الخاضعة لها حركةً موسيقية أيضاً

النور اللاسلكي

بعد التلغراف اللاسلكي والتلفون اللاسلكي والصور اللاسلكية والرؤية اللاسلكية قوي الامل بتحقيق القوة اللاسلكية التي تذاع من محاط مركزية وتلتقط في البيوت والمعامل. ثم وردت الانباء ان المستنبطين فازوا بصنع مصابيح تنير نوراً اسهل استعمالاً وأرخص نفقة وأبهر ضوءا من النور الكهربائي المعروف ومما يدعو الى العجب والاعجاب انهُ نور لاسلكي!

ولا يخفى ان النور الكهربائي الشائع الآن هو نتيجة تيار كهربائي قويّ يسري في أسلاك دقيقة من المعدن فيحميها حتى تحمرَّ اولاً ثم تبيضَّ فتنير . فجانب كبير من القوة الكهربائية المستعملة ضائع في احماء الاسلاك . ومع هذا فالنور ليس باهراً ولكي تمتحن ذلك ما عليك الاّ ان تسدل الستائر على نوافذ غرفة من الغرف في رابعة النهار وتنير فيها المصابيح الكهربائية مهما تكن قوية ، ثم ارفع الستائر والمصابيح منيرة ترَ الفرق

فاوّل تغيير ينتظـر احداثهُ في هذه المصابيح هو اخلاؤها من كل اثر للاسلاك التي تنكسر او تحترق وملؤها بغازات تضيء اذا مرَّ فيها تيّار كهربائي سريع التناوب . فكل مصباح من هذه المصابيح كرة مفرغة من الزجاج تحتوي في داخلها على غاز لطيف شفاف

والتغيير الثاني هو انارة هذه المصابيح بتيارات كهربائية من غير ان تتصل المصابيح بالسلك الذي يجري فيهِ التيار . فقد وجد الباحثون انهُ اذا وضعت مصباحاً من هذه المصابيح في حقل ممغنط ، قوة مغنطيسهِ تتغير تغيراً متتابعاً بين القوة والضعف، احدث هذا التغير في كهارب الغاز المالئ للمصباح تيارين يسير الاول مندفعاً في جهة ثم يسير الثاني مندفعاً في جهة مقابلة، وانَّ احداث هذين التيارين في كهارب الغاز ينيرهُ . فكل ما يجب في هذه المصابيح الجديدة هو ان تضعها على مقربة من حقل ممغنط متغيّر القوة تغيّراً سريع التناوب. وهذا الحقل يمكن ايجادهُ بمدّ اسلاك كهربائية في جدران الغرفة التي يريد انارتها كما تُمَدُّ اسلاك المصابيح الكهربائية الآن وتعيين مكانين داخل الجدار او ثلاثة امكنة توضع فيها لفات من السلك الكهربائي الممغنط من غير ان ترى فيجري التيار السريع التناوب في الاسلاك حتى يصل الى هذه اللفات فيحدث التناوب المطلوب في حقلها المغناطيسي . فاذا وضع مصباح من المصابيح المذكورة آنفاً على مقربة من هذه اللفة او تلك أضاءت ضوءا باهراً ولون ضوئها يختلف باختلاف الغاز الذي يملؤها

اللغة العربية والمصطلحات العلمية

رأي الدكتور محمد شرف بك

صاحب المعجم الطبي العلمي المعروف

لم نعهد في تاريخ البشر فتحاً أعظم من فتح اللسان العربي ، ولا أشد سرعة منهُ ، فانهُ ولا جدال قد عمّ اجزاء كبيرة من العالم ، ولم ينازعهُ الشرف في كونهِ لغة عامة ، اولسان فكر ديني او سياسي اسمى من اختلاف العناصر ، الاّ لغتان اللاتينية واليونانية ، ولكن أين مجال هاتين اللغتين في السعة من الاقطار التي عمّ انتشار العربية فيها . ولقد اختارت الامم الكثيرة التي خضعت للمدنية الإسلامية التي ضربت بجرانها من الصين الى المحيط الاطلنطي، اللغة العربية في تدوين مصطلحاتها العلمية ، وكان شأنها في ذلك كاللغة اللاتينية فيما بعد، لمّا أخذت الأمم الغربية عن العرب في الأندلس وايطاليا ما خلّفتهُ المدنيات السالفة

ولم يبق هذا التراث على حالتهِ التي كان عليها ، بل أدخل العرب عليهِ زيادات في كل فرع من فروع العلم وفتح العلماء الاعلام والفلاسفة المشهورون الذين ظهروا في بغداد وقرطبة ومصر مجالاً لتقدم العلوم ، وضربوا بسهم صائب في رفعة منار المدنية ، مدة ستة قرون ، كانت فيها سائر الامم الاوروبية غارقة في بحار جهالة القرون الوسطى ، فترجمت الى العربية في عصر الدولة العباسية وخصوصاً في عهد هارون الرشيد وابنهِ المأمون ، كتب فلاسفة اليونان . وأول من بدأ حركة الترجمة ، خالد بن يزيد الذي تعلم الطب على استاذهِ مريانوس الكاهن المسيحي ، الذي كان في الغالب مدرّساً في مدرسة الطب بالاسكندرية

والعربية ليست من اللغات الميتة ، حتى يزهد بعض ابنائها فيها، ويتعلموا العلوم بغيرها ، بل هي لغة كاملة وغنية اي غنى . هي الآن لغة اكثر من ٧٠ مليوناً من البشر ، نازلين في اجمل اقطار الارض، في آسيا وافريقية ، وهي لسان ديني لما يقرب من اربعمائة مليون من المسلمين، ولسنا معاشر الناطقين بها دون ارقى امم الحضارة الحديثة بعقولنا او ذكائنا، فتاريخنا موضع الدهشة على توالي العصور ، وإنا اذا عرانا ضعف سياسي قد أخّرنا عن المجتمع العصري ، وقصرنا عن اللحاق بالسابقين فيهِ، لا نلبث بتماسكنا ، وتعاضدنا وتفانينا بحب قوميتنا ولغتنا ، أن نساوي غيرنا قريباً

معروف عن العرب ما كان لهم من لطف الحس وصفائهِ ، ونصاعة الفكر وارتقائهِ ، وفصاحة اللسان وحسن بيانه ، ومعروف عنهم ايضاً شغفهم العظيم بلغتهم ، وتعظيمهم لشأنها وافتخارهم بها ، واعتقادهم انها اشرف اللغات وأوسعها ، واغناها بل اجملها واكثرها انقياداً ، تتجلّى فيها الدقّة والرقّة وحسن الصنعة ، والادلّة على صحة ذلك كثيرة مثبتة في كتب اللغة والادب. ولم تُغفِل العرب وضع شيء من الالفاظ التي تدلّ على جميع ما شاهدوهُ او احسّوهُ حتى اصبحت المفردات في وقتهم زائدة عن حاجة التعبير عن المحسوسات وان وجدنا في لغتنا اليوم قصوراً في التعبير عن المعنويات فما ذلك الاّ لانا أهملنا الجري على سننهم في الاستحداث . ألا ترى كيف يغني فيها الحرف الواحد عن الكلام الكثير؟ ألا ترى فيها الايجاز والبعد عن الاكثار ظاهراً في أمثالهم وخطبهم وأشعارهم ؟ وفيها من الالفاظ المفردة التي لا يعبّر عنها في اللغات الفرنجية الا بعبارات ؟ ألا ترى شدة عنايتهم بالالفاظ ومراعاتهم لها بالتصليح والتهذيب والإحكام ، وعنايتهم بالمعاني وتخيُّر أحسن الالفاظ لتأديتها واظهار أغراضها ومراميها ، ولتكون أوقع لها في الآذان وأذهب بها في الدلالة على القصد ؟ ألا ترى في كثرة مفرداتها وتفرُّعها وتشعُّب طرق التركيب وتنوّع الاشتقاقات القياسية وسيلة لصوْغ ألفاظ تؤدي ما لا نهاية لهُ من المعاني ؟ أليست هذه مزايا تجعل العربية راجحة على اليونانية واللاتينية (وهما اساس اللسان العلمي) واللتان تتخذان من النحت طريقة لوضع الالفاظ المركبة التي تشاكل المعاني ؟ فقد سهلت على أبناء العربيـة استحداث اوضـاع لمدلولات العلوم الدينية والعربية والرياضية والطبيعية والطبية وغيرها لما شرعوا في نقلها ، وهذه معدّات حسنة للغاية في اللغة تجعلها لائقة للانشاء العلمي

ولم يكن كتّاب العرب أهلاً للقيام بالترجمة العلمية والتعريب العلمي لانهم لم يحسنوا فهمَ اليونانية التي كانت تعلّم في بغداد ولم يعلموا شيئاً من العلوم الطبيعية ، فلم نسمع بواحد منهم قام بتعريب شيء من

نشرنا في مقتطف يناير الماضي مقالاً مخطوطاً لمنشيء هذه المجلة المرحوم الدكتور صروف المّ فيها الماماً موجزاً بمسألة « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » ووجوب توحيدها . وقد بعثنا بهذا المقال الى طائفة من اكبر العلماء ليبدوا آراءهم في هذا الموضوع الخطير على صفحات المقتطف . وسننشر هذه الردود تباعاً في الاجزاء التالية

الكتب اليونانية علمية كانت أو أدبية . والذين تولّوا نقل علوم اليونان الى العربية في عصر الخلفاء كانوا من النسطوريين والكلدانيين والاسرائيليين كابن الخصيّ والطوسيّ وحنين بن اسحق العبادي النسطوري المتوفى سنة ٢٦٣ هـ — ٨٧٦ م وابنهُ اسحق ويحي بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣ هـ — ٨٥٧ م وأبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف (ابن وحشيه) الذي عاش في سنة ٢٩١ هـ — ٩٠٣ م وآل جرجس ابن بختيوشع وتلاميذهم وجبريل عيسى بن صهار بخت واصطفن بن بسيل وشيخوص بن ياتون والحجاج بن مطر وابن البطريق وسليمان وأبو بشر متى بن يوسف المتوفى سنة ٣٢٨ هـ — ٩٣٩ م وابو زكريا يحي بن عديّ التكريتي المتوفى سنة ٣٦٤ هـ — ٧٤٩ م وابو علي عيسى بن زارة مترجم التاريخ الطبيعي وكتاب الحيوانات وقسطا بن لوقا وغيرهم . وهؤلاء كانوا علماء أكثر منهم أدباء ، وان كانوا تعلموا العربية فانهم لم يتفقهوا فيها ولم يتقنوا آدابها . لذلك نجد ما عرّبوهُ مشحوناً بالالفاظ اليونانية مع ان لها في العربية مرادفات . وكان اسلوبهم ركيكاً بالنسبة الى نظائرهِ من كتب الادب ، أو لما عرّب من الفارسية بمعرفة من برّزوا في اللغتين كابن المقفع المتوفى سنة ٧٦٠ م وأمثالهِ . ومع هذا فقد كان تعريبهم مقبولاً وافياً بالمرام لحدّ معيَّن من جهة الامانة في النقل وحسن التأدية بتحصيل المعاني المقصودة واخراجها على وجه يقرب من الصحيح ، في صورة تتّفق مع قوام اللغة العربية ومشربها ، وبأسلوب تسوغهُ أذواق الناطقين بها

والذي يُستخرجُ من استيعاب معرَّبات العرب أنهم لم يجروا في التعريب على نمط واحد يصحُّ اتباعه الاّ في احوال معينة . بل تجدهم صوّروا الكلمات المعرَّبة وخصوصاً اليونانية بصور شتى ، يصعب على قارئها رجعها الى اصولها أو تطبيقها على الاسماء الحالية تطبيقاً صحيحاً . والنُسَّاخ أحقُّ باللوم لانهم لم يضعوا التنقيط على الحروف العربية بالضبط الوافي فادَّى ذلك الى التصحيف والتحريف وعدم فهم المصطلحات المعرَّبة والتخليط في الأزمان التالية . ولم يذكر أحد من أئمة اللغويين اي قواعد لما يعرَّب من الكلمات الاعجمية توجب علينا اتباعها ، وان ذكر بعض أصحاب المعاجم قليلاً من المعربات في موادأصولها أو استطراداً في غير مظان موادها ، وقد أجروا بعضاً منها مجرى أصول الكلام العربي في الصرف واشتقوا منها كما يشتق من أصول كلامهم

عدم صد باب انماء اللغة عند العرب ونهجهم في التوسع والاصلاح

وقد وجدت العرب اسماء تفرّدت بها الفرس وامم اخرى دونها فاضطرت الى تعريبها او تركها كما هي وورد كثير منها في كتب اللغة والمعاجم ومن امثالها الكُوز ، الإبريق ، الطَّسْت ، الطَّبق ، من انواع الاواني . السَّمُّور ، السِّنجاب ، الفيل ، من الحيوانات .

الديباج ، السُّنْدُس من الملابس . الياقوت ، البِجاد ، البَلُّور ، اليشْب (عبرية) من الجواهر . والسَّميذ ، الدَّرْمك ، الجرْدق ، الجزْمازج من ألوان الخبز . الجُلاب ، السَّكَنْجبين ، الجلنجبين ، الميبة من الاشربة والانبجات . الهلام ، الإسبيذناج ، الجِرْذباج ، والفالوذَج ، والسَّكْباج ، والبزماورد ، من ألوان الطبيخ والحلوى. المشْلوْز . والرصاص والزنبق والزيتون. والفُلْفل ، والكرْوياء ، والقِرْفة ، والزنجبيل ، من الافاويه. والنرجس ، والبنفسج والنِّسْرين ، والخيرى ، والسُّوْسَن ، والمرزنجوش ، والياسمين ، والجُلَّنار من الرياحين. والمسك ، والعنبر ، والكافور ، والصَّنْدل ، والقرنفل من انواع الطيب وكلها فارسية. كما استعارت العرب من اليونانية الفاظاً كثيرة نذكر منها : الفِرْدَوس ، القِسْطاس ، السَّجَنْجَل ، البطاقة ، القَرْسطون ، الأُسْطرْلاب ، القُسطرىّ ، القُسطل ، القُنْبرُس ، البطريق ، القراميد ، الترياق ، والدرياق ، القنطرة ، القيطون ، النقرس ، القُوْلَنْج ، القلم ، الحوت ، الكنْدارة ، الإسْبور ، الانقليس والرساطون والإسفنْط والعلَّوز والسريس والمومس والمالنخوليا الخ ،

هذا بخلاف ما أُخذ من الحبشية والعبرانية والسريانية والسنسكريتية والنبطية والكلدانية واللاتينية في فروع المعارف على اختلافها قبل أن يتسنَّى لهم وضع ما يقابلها في لغتهم

ومن ذلك نرى أن النحاة واللغويين لم يصدّوا الأبواب في وجوه من أراد إنماء اللغة باستعارة ألفاظ اعجمية تهذّب للدلالة على مالا تقوى لغتهم على تأديته ، بل كانوا حكيمين مجددين يحفلون بصيانة التراث اللغوي القديم بقدر ما يعنون بانماء الثروة اللفظية كلما دعت الحاجة الى ذلك . واذا تأملنا صيغ الاشتقاق العربية وكثرتها ، وشدّة العناية بها حتى تكون مشتملة على جميع المعاني وجدنا فيها ممدَّات قوية للتوسع في اللغة وقد وضع اللغويون قواعد للاشتقاق وتصرّفوا تصرُّفاً واسعاً حتى يكون صالحاً للتمييز واستيعاب اللغة واستدراك ما لم يوجد في كتبها وأنمائها. وكل ما قيسَ على كلام العرب فهو من كلامهم ويصحُّ اجراؤهُ مجراهُ وان لم ينطقوا بهِ. واذا كان القياس لا يمنع وضع لفظ جديد فاتباعهُ لتأدية معنى جديد لا غبار عليهِ بل هو مستحبٌّ جدًّا . ولم يكن العرب أعداء للتجديد والتوسع والابتداع في عصر من عصور نهوضهم وقد أباحوا بناء الالفاظ على مثُل جديدة . وقالوا إن تركهم للبناء بتلك الكيفية ليس بمانع من بنائهِ كذلك ولم يوجبوا على المتأخرين ايراد مثل في ذلك من كلامهم القديم . فقد قال الجاحظ ما على الناس شيء اضرُّ من قولهم ما ترك الاول للآخر شيئاً . والاشتقاق في العربية لا يوجد لهُ مثيل في اية لغة ويقوم مقام النحت في اللغات الفرنجية التي تنحت ما تستحدثهُ من أصول إغريقية أو لاتينية . ولاختلاف هذه اللغات

عن العربية في تقديم المضاف اليهِ على المضاف لا يمكن تعريب ألفاظهم الكثيرة الأعجية الا اللحى والشفاه ويشق على العربي التلفظ بها وينفر عنها حسه وينبذها ذوقهُ ،ولذلك نجد فيهِ اصلح الوسائل لابتداع الالفاظ الجديدة

التعريب في العصر الحاضر

وقد سار معرّبو هذا الزمن ومترجموهُ في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة ، فابتدع هذا اسلوباً جرى عليهِ خالفهُ فيهِ غيرهُ ، واستنّ آخر سُنّة لم يشايعهُ عليها احد. وصار كل معرّب يضع لنفسهِ منهاجاً لتصوير الالفاظ والمعاني او لتعريبها ،وانطلقت للاقلام والالسنة الأعنة ،ووضعت اوضاع وصيغت ألفاظ بطرق مختلفة لا تؤدي المقصود منها ، وشطَّ المعرّبون عن الصواب شططاً بعيداً . وجاء فيما ظهر من الكتب العلمية المعربة والتي تدرس في مدارس الحكومة او ما نشر في الصحف اليومية والمجلات خلط كثير. وأكثر هؤلاء المعربين ممن درسوا بلغات فرنجية وابتعدوا عن العربية، فتجدهم يستعملون الالفاظ المبتذلة والسخيفة ، والكلمات العامية الركيكة ، ويتصرّفون بالمعاني ويتناولونها بالزيادة أو النقص أو التشويه أو يستعملون المجازات التي لا تتم بها المعاني المقصودة تماماً لعدم وقوفهم على الالفاظ العربية المقابلة ، أو لعدم وجود طريقة تتّبع ، أو معجم وافرٍ يُستدعى للمعونة حتى صار أكثر المعرَّبات لا يتفق في وحدة الاصطلاح أو المدلولات

وتجد أساليب مختلفة لكل ناقل باختلاف مشربه واللغة الفرنجية التي استقى منها . ولاختلاف القوام اللغوي وخواص التركيب ونسب الإسناد بين الالسن ، يسهل على القارىء المدقق تعرّف المصدر الذي عُرّب عنهُ ، فرنسيّاً كان او انجليزيّاً . فان تناولت كتاباً مما عرّب بهذه الاساليب،او مجلة من المجلات الطبية العربية او المصرية ،او الجرائد الهندسية او الزراعية ، تجد ما يكتب فيها كلاماً ارسل سدًى غير محصّل وغُفلاً من الاعراب فلا ترتاح نفسك الى قراءتهِ ، ولا تستخرج منهُ عائدة ، لان اكثر المعربين يكتبون بروح فرنجية ، وبلغة لم تطبع في نفوسهم ، فيتخذون كل لفظة فرنجية ويضعون لها مقابلاً عربيّاً ، أو يضعونها كما هي على حالها ، بدون حسن تطبيق في الهجاء العربي ، أو يصوغونها في قالب غريب ، بدون مراعاة للمعاني وخدمتها واستجماعها ،وبدون أدنى تأمّل في أحكام النحو، أو طلاوة التركيب وانسجام الاسلوب العربي ، فلا تعرف إن كنت تقرأ كلاماً عربيّاً أو فرنجيّاً

في تتمة هذا المقال الحصيف يتناول الدكتور شرف المقابلة بين القدماء والمحدثين ويبدي خلاصة مقترحاته العملية لمعالجة هذا الموضوع الخطير — فارقب مقتطف مارس القادم

اؤمن بالدين

عرفتُ فيمن عرفتُ من أصناف الناس اربعةَ تجري امورُهم في نفسي على غير مجاريها في انفسهم وأرى من طبيعتهم موضعَ الغفلة فيما يرونه أو يحسبونهُ موضعَ السَّداد :

(فالاول) رجلٌ ملحد اديب مَعنِيي بجمع الكتب يتعلق بكل نفيس منها ، وهو يزعم أنهُ تأمَّل الاديانَ فلم يجد طائلاً في شيء منها ، وأن له في كل دين ظنَّةً على ريبَة ونقداً على مسئلة وثانيةً على أوَّلة[1] ، وانهُ تبدَّل الدينَ بالخُلُق فما خسر شيئاً وربح الحقيقة ، ثم يَحْذو بعدُ على هذا الحَذْو كما يفعل الملحدون في صفة انفسهم وهم دائماً لا يأخذون من الكلام الا بمل اليدين اذ من العجيب أن لا تقع لهم الكلمةُ الصحيحةُ المفردة

هذا الذي خرج من الاديان ومن نهيها وامرها الى الاخلاق وعُهْدتها وادبها ، قال لي ذات يوم وقد خُضنا في امر الكتب : اني لأمقتُ السرقةَ والغَصْبَ والخديعة ولا أبيح منها شيئاً ولا أمرُّها لأحد ، غير اني اذا وجدت كتاباً نفيساً وعجزت عنهُ ثم أمكنتني فرصة من الغَفَلات لم أتورَّع ان أسرقهُ .... ولو غَصَبتُ ولو خدعتُ

قال هـذا فلم أفهم من كلمته شيئاً الاّ ان لقب (اللّص) يكون من الشرف أحياناً بحيث يسمو كثيراً على الرجل الملحد

(والثاني) رجل متفلسف انقلبت عقيدتهُ الى زَيْغٍ فلهُ رأيان في امور الحياة : واحدٌ ينزع فيه الى طبيعته فيستمتع ما وجد متاعاً في حرام او حلال وفي معروف او منكر . والآخر يرجع به الى ضميره الانساني وما هو الا شبهُ بعلمه وعقله وفلسفته فيألم ويتململ إذ يرى انهُ لا يزن من لذاته لا بمقادير الخير ولا بمقادير الشر وانهُ يبيح لنفسه ويحرّم على غيره فانما الرأيُ والحق والعدل ان لا ينطلق في كل انسان تاريخهُ الوحشيُّ كما يفعل هو ليقوم النظامُ على أصوله وتتحقق الانسانية في أهلها ، ولو فعل الناس ذلك فوسعتهم الفلسفة لما وسعتهم الطبيعة بل هي تسرع حينئذٍ فتطلق لكل حيوان مع أكيلته التي يغتذي بها آكلهُ الذي يغتذي به

لم أفهم من فلسفة الرجل أنهُ فيلسوف ، بل عرفت من علمه ان الرجل من الناس قد يكون سافلاً حتى من الجهة العالية فيه وقد يكون فاسداً حتى من بعض جهاته الصالحة

(١) كناية عن التعدد وانه لا يكتفي بواحدة

(والثالث) رجل يزعم عند نفسه انهُ مصلح ويتولى امور الناس فيُداورها ويلتمس لكل شيء مأتىً يتسبب منهُ الى اصلاح فيهم حتى اذا وثق الناس به واستكانوا اليه وصاروا في حال الغِرَّة وفي قياد الأمن ، صدعهم في اديانهم وأخلاقهم وركبهم بمزاعمه وخرافاته وبثّ اوهامهُ في مذاهب اقدارهم وتصاريف امورهم وظن الدين كلمة يضع في موضعها كلمة غيرها وحسب اليوم من ايامه في عمل الدهر كاليوم من ايام الله في خلق السموات . . . . فهو يطرد الازمنة ويمحو العادات ويغيّر الطباع ويسنُّ لفروع الشجرة سنّة جذورها فلا يذهب الفرعُ طالعاً بل يغور نازلاً ، ثم يريد ان يقيم على طريق التاريخ مَجازةً او قنطرةً ليمشيَ بالناس فوق التاريخ فيقطعَ بهم الف سنة في الف يوم وكأنهُ زاد في الطبيعة ناموس نهيه وامره . . . . انا لا أقول في مثل هذا انهُ مصلح بل اقول يا عجباً لسخرية الاقدار من القوة ، ألا يرتفع النسرُ في الجوّ الا ليبحث أين تكون الجيفة. . . . .

(والرابع) ذاك الذي جعلتهُ الكتب عالماً وقسمَتْ لهُ ما شاء ولكن الله تعالى لم يقسم لهُ شيئاً من كرم الضريبة وشرف العِرق ولا أتى معانيَ الذهب في سلسلة آبائه فهو رِثَّة[1] لا يجيء في معاني الناس بطباعه واخلاقه الا كالثوب الخَلَق من فتوق ورُقَع ، ويغطي عليه العلم كما تغطي القشرةُ النضرةُ على الثمرة المرة ، فاذا كتب للناس ارتطم في طباعه ونزع الى مأخذه وتجاذبَ داخلُ نفسه وخارجها فيذهبُ ينكر ويعترض ويسفّهُ ما عليه الناسُ من دين وخلُق وينزو بهم في نوازيه ودواهيه ، ويردُّ كل ما في الطبيعة من الجمال وكل ما في النفس من الحق الى تأويل ماديّ بحْت ، كأنّ الزهرة الخارجة من الطين هي طين مثله ويسقط عنده كلُّ ما عمل الشعاع والماء في الذّرة الازلية التي انبثقت منها النبتة فخرجت توحي عن السماء وحي النور واللون

أنا لا أفهم أن مثل هذا عالم ولكنهُ في الناس كبعض النبات في النبات يُرزق من النمو قوةً يفسد بها ما حوله، فاذا هي ظهرت فيه لم تنبه على قيمته بأكثر مما تنبه الناس الى وجوب اقتلاعه واستئصاله . . . .

***

لا ثقة لي بمتخلّق لا دين لهُ فان الخلُق يصلهُ بحظ نفسه اكثر مما يصله بواجبات الناس ، ولا بفيلسوف ملحد لان الفلسفة تمزجهُ بالمادة اكثر مما تمزجهُ بالانسانية ، ولا بمصلح ينسلخ من الدين لان اصلاحهُ صورٌ من غروره ، ولا بعالم جاحد لان علمه كهندسة الشوكة كلها من أجل آخرها . . . . أولئك لا يدرون انهم من هذا العالم في حدود

(١) اي من البقايا التي لا خير فيها

أغراضهم الصغيرة الفانية اذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يجبُ هو لا من حيث يجبُ عليهِ ، ثم يفسر الاشياء في جزء منها لا في مجموعها ،ويعتبر الزمن عمراً كعمر الفرد وهو تاريخ لا يموتُ وينظُر الى الغاية من الوجود كأنها داخلة في الحد مع انها لو حُدّدت لبطلت ان تكون غاية

كل منهم صحيح في ذاته فاسدٌ بموضعهِ من اغراضهِ أو من اغراضنا ، وما اشبههم بالأشجار في المقابر لا تجد لها في المقبرة ما تجد لها في الحديقة ،كأنها لما قامت في موضع الموت قامت حية ولكن ماتت روحُ الحديقة فيها

لا تسمو حياة الفرد الاَّ اذا كان جزءًا من كلٍّ ،ولا يجتمع الكلُّ الاَّ اذا كان تامًّا فيما هو كلٌّ بهِ ، فالسبيل ان يُدفع الفرد أبداً الى خارج حدوده الذاتية الصغيرة .وفكرة الكل هذه لا يصوّرها ولا يستوفي معانيها الاَّ الدينُ الصحيح إذ هو خروجٌ بالفرد من شهواتهِ التي تفصلهُ من غيرهِ الى واجباتهِ التي تصلهُ بغيرهِ ، وانتزاعٌ لهُ من ذاتيتهِ الى انسانيتهِ ، ودفعٌ بالانسانية نفسها الى الكل الذي هو أسمى . فكأن الايمان في حقيقتهِ إن هو الاَّ دُرْبةٌ لهذا الانسان على الدخول في اللانهاية فهو من أجل ذلك يقضي على الفرد أن يتسع ويمتدَّ في انسانيتهِ لا في شخصيتهِ فيتخلق بالاخلاق التي تعمُّ دون التي تخصّ. وهذه صورة صغيرة من جمل الحدود في ذاتهِ أعظم من ذاتهِ ودفع ما ينتهي في سبيل ما لا ينتهي

فاذا عمل الفرد على ان يُقفل حدودَهُ عليهِ ويستغلقَ بها ويمتنع من ورائها ، صار كالقلعة المحصَّنة لا تصلح الاَّ حرباً لما حولها ودفاعاً عما فيها فلن يضع هو امرهُ الاَّ على هذا المعنى ،ومن ثمَّ فلن يكون لهُ ممن يصادمونهُ الاَّ حكمٌ واحدٌ وهو تخريبهُ وهدمهُ واقتحامهُ. فاذا كانت الحياة غير باقية على فرد من الناس فمن الحمق ان تكون هذه هي صورةُ الانسانية فيها ، واذا كان ذلك حمقاً فالحمق ولا جَرَمَ بعض المعاني التي يقوم الإلحاد عليها

***

ليس في الأرض انسان لا أجداد لهُ فمن ثمَّ ليس على الأرض انسان في نفسهِ بل انسانيةٌ فقط ، انسانيةٌ متصلةٌ مُفرَغةٌ إفراغاً ليس للفرد بينها موضعٌ لذاتهِ بل موضعهُ لاتصاله بسائرها كمنزلة الخلية الواحدة بين الملايين من الخلايا المتلازِّمة في جسم واحد قائمٍ من جميعها صالح للوجود بصلاحها وفسادها معاً

أما إنها لعجيبةٌ أن تُلاقيَ بسؤالين متناقضين لا يلتئمان ثم لا تجد عليهما الاجواباً واحداً لا يختلف ،سَلِ الحكمةَ : لِمَ صلُح هذا ؟ فالجواب :ليكون شيئاً ضروريًّا في الوجود. وسلها لِمَ فسد ذاك ؟ فالجواب كذلك ليكون شيئاً ضروريًّا في الوجود . هي الحلقةُ

المفرغةُ لما غاب طَرَفاها صار كلُّ موضع فيها طَرَفاً وعَلَت كلُّها ونزلت كلُّها

فليس الا النوعُ لا الفرد والكلُّ لا الجزء والانسانيةُ لا الانسان. وانما يقع كل شيء في الحياة - بَل في الوجود كله — تدريجاً لتحقيق هذه الوحدة كيلا ينفصم أحد منها ، فهي ابداً ذاهبة بالجسم والعقل والمعرفة والعمر من جزء الى جزء ، من الاصغر الى الصغير ، الى الكبير الى الأكبر ، الى الأوسع الى الأسمى ، لان تلك هي علامتها في حركتها و تَسَحُّبِها وهي طريقة برهانها بالنهاية على أنها لا نهاية

بَيْدَ أن خطأ الغريزة في الانسان يظهر في اعتبار الفرد نفسَه كلاًّ تامًّا وشيئاً متميزاً فلا يريد لنفسهِ الا أمراً تامًّا ووجوداً يتميز فيهِ ، وبذلك يقتحم سواه ويستبيح وجودَهُ فيقع النزاع والعدوان ويضيق بمقدار ما لا يستطيع ان يتّسع لاندفاعَهُ لكل ما حولهُ مردودٌ عليهِ بدفعٍ مثلِهِ مما حولهُ فتتبدّل صورة الانسانية في شكل دَخَانَهُ الغلطُ من كل جهاتهِ . وههنا موضع الدين الصحيح فما هو الا الناموس القائم من كل انسان على الواقع في ذاتهِ والواقع في غيره ليصل بين الواقعين المختلفين بنظام مختلف متّحد يكون لهُ في النفس ما يكون لنظام المدّ والجزر

وبهذا كان واجباً حتماً أن تكون العقوبة جزءًا من نعيم الدين وأن يكون القيد شقًّا من حرية العقيدة والا بطلت في الايمان قوتا الجذب والدفع معاً ببطلان إحداهما لأن مدًّا بلا جزر هو أخش الغرق من ناحية وجزراً بلا مدّ هو اخش الغرق من الناحية الاخرى

***

تعجبني كلمة في الانجيل لا أعرف احداً أحسن تأويلها و بلغ حقيقتها . قال « يجب أن تولدوا ثانية » ، ووضعُها في هذا المقال هو تفسيرها فان الفرد يولد من الفرد ولكنهُ لا يصلح على ذلك بل يجب أن يولد في صفاتهِ واخلاقهِ من المجموع الانساني لتقع الملاءمة . ثم انه من أبويهِ يخرج من الحيوانية بغرائزها ولن يفلح بها انساناً فيجب أن يولد مرة اخرى من جنسهِ الاجتماعي بغرائز مكتسبة . ثم انهُ يولد مهيأ للاقرار بنفسهِ وحدَها فيجب أن يولد الثانية مهيأ لإنكارها وحدَها

على هذه الأرض ، إما الإقرارُ بالنفس وإيثارها والاعتداء بها ومع كل ذلك الحيوانية والشيطان ، وإما إنكارها والايثارُ عليها والمهاونةُ بها ومع كل هذه الانسانيةُ والله

لن تطاق الحياة الاّ اذا تبدلت فاتخذت لها اسلوباً غير أسلوبها الآتي من تركيب المادة ، وانما صراعُ الارض كلّه حول اقامة هذا الاسلوب الجديد او هدمه او ترميمهِ . أسلوبِ الاخلاق والطباع الشديدة التي لا تطيقها الحيوانية فتسميها انسانية ، وتكبرها

الانسانية فتسميها الايمان. بالاسلوب الاول تكونون بالحياة في موضعها ، وبالثاني تسمُون بالحياة عن موضعها « فيجب ان تولدوا ثانية »

***

كل ما يراد بهِ أن يسدَّ في الانسانية مَسدَّ الدين ويغني عَنهُ فانما هو في رأيي كطعام أهل الجحيم ، لا يُطعمون فيها كما يطعمون في (نزلٍ) لشبع وسمَن بل طعاماً كما جاء في القرآن الكريم « لا يُسْمِنُ ولا يُغني من جوع » أي لإِحداث الجوع وكلبِهِ واستمرارهِ (١)

والطبيعة نفسها تهيئ الانسان للدين بأسلوب غريب هو هذا الحب الذي يُخلق فطرةً على انواع مختلفة متعددة حتى لا يخلو منهُ أحد فلا معدلَ عنهُ ولا محيص . وانما هو في مظاهرهِ — أيها كان — دُربةٌ للنفس الانسانية تصعد بهِ درجاتٍ من الفضائل كالاخلاص والإِيثار والاتصال الفكري والانبعاث الروحي والشوق الخيالي ونحوها مما هو في الحقيقة إيجاد للحياة النفسية في أعمالنا وفيضٌ بالقوة الروحية على مظاهر المادة لاحداث الملامسة بين الارواح والاشياء والترابط بين الجاذب والمنجذب . وكل ذلك تهيئة للدين وعملهِ في النفس ليكون قائماً على اساسهِ في الطبيعة . فالحب دين على اسلوب خاص ضيق ولذلك يشتد فيهِ التعصب كما يقع في الدين من المؤمن بهِ على وتيرة واحدة اذ لا يرضى القلب في هذا ولا هذا غير رأي واحد

فكيفما قلّبنا الحياة رأينا في كل جهة منها وجهاً من وجوه الايمان وباعثاً من بواعثهِ وحكمة من فلسفتهِ ، فالمصلحون الذين يحاولون تجديد الامم بصور مملوءة من الغرائز تطمس على الدين ، هم الذين يرجعون بهذه الامم في عاقبة الامر الى الحيوانية لانهُ ليس في طبيعة النفس الا شيئان : هوًى هي دائماً اعظم منه وايمان هو دائماً اعظم منها

مصطفى صادق الرافعي

---

(١) انظر اعجاز هذا التركيب وكيف بدأ حين أراد وصف طعام أهل الجحيم وما هي بدار طعام بل دار عذاب فقال « لا يسمن » فينخدع الحس فيظن أن هذا الطعام ان لم يسمن فربما ذهب بالجوع وان لم يذهب به فربما أغنى منه ولو شيئاً . فقال « ولا يغني من جوع » فيصدم الحس هذه الصدمة وينعكس عليه التأثير الذي توهمه . ثم يشتد هذا التأثير ويبلغ مبلغه حتى يتأمل الحس البليغ هذا التركيب الدقيق فلا يخرج له الا أن طعام هؤلاء اذا كان لا يحدث نتيجة البتة مما هو من خصائص الاطعمة لا في سمن ولا شبع ولا الغناء من جوع فما هو الا طعام منعكس لايجاد الجوع واستمراره وتسميته على ذلك (طعاماً) مع أن لهذه الكلمة في النفس عكس ذلك العمل يكون اشد على النفس في العذاب وفي التهكم فتأمل كيف يكون الاعجاز

ركفلر الصغير

ضيف مصر الكريم وصاحب المبرات الوافرة للعلم والتعليم

ركفلر الكبير

الذي وهب من ماله نحو ١٣٠ مليوناً من الجنيهات

مقتطف فبراير ١٩٢٩ امام الصفحة ١٣٣

ركفلر الصغير يتحدث عن ابيه

اغنى الاغنياء واسخى المحسنين

بلغت قيمة هباتهما نحو ١٣٠ مليوناً من الجنيهات

سيرة ركفلر الكبير

كان الشأن الاكبر في القرن الماضي للفحم الحجري لاعتماد المعامل والبواخر عليهِ . اما المعامل فبعضها لا يزال اعتمادهُ على الفحم والبعض الآخر صار اعتمادهُ على الكهربائية سواءٌ كانت متولدة من الفحم او من انحدار الماءِ. واما السفن البخارية تجارية كانت او حربية فصار اكثر اعتمادها على البترول توقدهُ بدل الفحم وستقتصر كلها عليهِ في القريب العاجل على ما يظهر . واضيفت اليها السيارات والطيارات ولذلك صار البترول من الحاجيات التي لا يُستغنى عنها . وهو ليس من المواد التي تُزرع وتُستَغلُّ كالحبوب والاثمار فتولد البزرة مئات ولا ممَّا يتيسَّر الحصول عليهِ في اكثر الاماكن كالمياه والمعادن بل هو ممَّا خُصَّت بهِ بعض الاراضي . ولذلك انصرفت همة الدول الحربية والتجارية الى امتلاك تلك الاراضي والاَّ تعذَّر عليها وجود القوة المسيّرة لاساطيلها البحرية والبرية والهوائية من البواخر والسيارات والطيارات

ولما كان العثور على الينابيع الغزيرة من البترول غير خاضع لارادة الانسان ولا هو مرتبط بقاعدة معلومة صار هـذا العثور نوعاً من المضاربة فقد ينفق الباحث مالاً قليلاً فيصل بهِ الى غنىً وافر وقد ينفق ثروتهُ كلها ولا ينال شيئاً . وهذا لا يعني ان ليس في الاكتساب من البترول مجال للبحث والعمل المنتج فان ما يستنبط منهُ من الارض لابدَّ من تكريرهِ وتقطيرهِ على اساليب مختلفة حتى يصير صالحاً للاستعمال فيما يراد استعمالهُ لهُ وحتى يسهل نقلهُ من مكان الى آخر . والاعمال اللازمة لذلك اقتضت معارف اكبر العلماء وابرع المهندسين . فهو مادة طبيعية كالفحم الحجري والحديد ولكنها لا تصلح للاستعمال الاَّ بعد ما تعالج على اساليب شتى

واذا ذُكر ملوك البترول فاول من يخطر على البال منهم ركفلر الاميركي صاحب الملايين الكثيرة والمبرات الوافرة الذي اعطى ابنهُ نحو مائة مليون جنيه ووهب المدارس

والمكاتب والمستشفيات ونحوها مائة مليون اخرى ولم يزل في يدهِ ثروة طائلة لا يدري كيف ينفقها حتى يموت فقيراً. وها نحن أولاء موردون شيئاً من ترجمتهِ وما فيها من الاعمال التي تصلح ان تكون دستوراً لغيرهِ

ولد جون ركفلر بولاية نيويورك في ٨ يوليو سنة ١٨٣٩ فكان يشتغل اولاً بالفلاحة ١٥ ساعة في اليوم لقاء خمسة غروش ثم انتقل بهِ ابوهُ الى كليفلند سنة ١٨٥٥ حيث نيط بهِ مسك الدفاتر في بيت تجاري هناك وجعل راتبهُ ١٢٠ جنيهاً في السنة . وحدث حينئذٍ امران كان لهما الشأن الاكبر فيما وصل اليهِ من الغنى الوافر . الاول ان صاحب ذلك البيت التجاري امرهُ ان يدفع لرجل ثمن ادوات صحية وضعها لهُ في بيتهِ فنظر في الاثمان المطلوبة لتلك الادوات فوجد انها مقدَّرة باكثر من ثمنها الحقيقي ولو قليلاً فأبى دفعها فسرَّ بهِ صاحب البيت التجاري . وكان هذا شأنهُ في كل اعمالهِ التالية فانهُ كان ينظر في الجزئيات ويهتم بها كما يهتم بالكليات . والامر الثاني انهُ لما جمع من اجرتهِ ٨٠٠ ريال اتاهُ رجل اسمهُ كلارك وقال لهُ انهُ عازم على انشاء محل تجاري ويود ان يشركهُ معهُ اذا اتاهُ بالفي ريال فنظر في الامر واستحسنهُ وذهب الى ابيهِ وطلب منهُ ان يقرضهُ الف ريال فقال لهُ ابوهُ انهُ كان عازماً ان يعطي كل ولد من اولادهِ الف ريال حينما يبلغ سن الرشد اما وهو لم يبلغ تلك السن (اي ٢١ سنة) فانهُ يعطيهِ الف الريال ديناً برِبا عشرة في المائة فرضي بذلك وتمت الصفقة على هذه الصورة وانشئ محل كلارك وركفلر واخذ ابوهُ الربا منهُ . وهذا دليل على ما اتصف بهِ ذلك البيت من حسبانهِ المعاملات المالية اساليب تجارية لا محل فيها للعواطف ومراعاة الخواطر

***

لم يكن البترول منذ خمسين سنة يكرر كما يكرر الآن وينقى من الشوائب التي تخالطهُ وكان كل ما يتعلق بالبترول من حين استنباطهِ من الارض الى ان يصل الى من يستعملهُ في حالة الاضطراب والتشويش حينما تناول ركفلر هذا الموضوع فعزم على اصلاح ذلك كلهِ واستخراج نوع من البترول يكون في جودتهِ مقياساً (ستندرد) يقاس غيرهُ عليهِ ومن ثم سميت شركتهُ الآتي ذكرها شركة ستندرد اويل اي شركة البترول الذي هو مقياس . وقد جعل الاقتصاد اساساً لاعمالهِ. مثال ذلك ان اغطية صفائح البترول كان الغطاء منها يلحم باربعين نقطة من اللحام فوجد بعضهم ان تسعاً وثلاثين نقطة تكفي فجرى ركفلر على ذلك فبلغ ربح شركتهِ من اقتصاد نقطة واحدة من اللحام خمسين الف ريال في السنة . وكان

خشب براميل البترول يقطع في الغابات ويؤتى بهِ حالاً الى حيث تصنع البراميل منهُ فصار يتركهُ في الغابات حتى يجفّ بعد قطعهِ فيخف وزنهُ ويقتصد ربع نفقات نقلهِ

ولركفلر الفضل في انهُ ادخل في اعمال الشركات اسلوبين كان لهما شأن كبير في نجاحها . الاول اسلوب الاحصاء فقد كان عمل شركتهِ حينئذٍ ابتياع البترول الخام من مستخرجيهِ وتكريرهُ وبيعهُ مكرراً وكان سعرهُ قبل تكريرهِ يكتب ويعلق يوميًّا على جدران غرفة الانتظار في مكتبهِ كما تعلق اسعار القطن الآن في البورصة .وذات يوم دخل تلك الغرفة شاب اسمهُ بيمس ورأى السعر منشوراً فاخذ ورقة وجعل يحسب نفقات تكرير الجالون من البترول نسبة الى ثمنهِ ورآهُ ركفلر حينئذٍ فأُعجب بهِ واستخدمهُ لهذا العمل وانشأ فرعاً للاحصاء في معملهِ اي لحساب النفقات وهو فرع الاحصاء الذي يرى الآن في كل معمل واسع حسن الادارة . ثم لما اراد انشاء شركتهِ الكبيرة « ستندرد اويل كمبني » جعل هذا الشاب من مديريها وهو الذي ادخل بترول ركفلر الى الصين وناظر الشركات الاخرى في الشرق كلهِ . ولما توفي كان قد صار نائب رئيس الشركة

والاسلوب الثاني انشاء المطاعم للرؤساء والمديرين في المعامل نفسها ليتناولوا فيها طعام الظهر وغرضهُ من ذلك الاقتصاد في الوقت والاهتمام بامور الشركة فان الرؤساء والمديرين كانوا يضيعون جانباً كبيراً من الوقت في ذهابهم الى حيث يتناولون الغذاء فصار المطعم في المعمل نفسهِ وصاروا يجتمعون معاً ويدور حديثهم على مصلحة العمل. فالقليل الذي ينفق على طعامهم لا يوازي الاَّ جزءًا صغيراً من الربح الذي يربحهُ المعمل من النظر في اموره . وكان ركفلر وهو صاحب الشركة ومديرها لا يجلس على رأس المائدة بل بين سائر المديرين كانهُ واحد منهم واعطى الرآسة لغيرهِ وكان عدد المديرين حينئذٍ ١٦ ولم يبق منهم الآن حيًّا الاَّ ركفلر

وانتقل مقرّ الشركة الى اماكن مختلفة بحسب اتساع اعمالها وكانت غرفة المائدة ابهج غرف الاماكن التي انتقلت اليها ويدعى اليها اصدقاء المديرين والرؤساء ليتغدوا معهم ولا يقتصر الحديث فيها على ما يتعلق باشغال الشركة بل يتناول كثيراً من الموضوعات الفكاهية فهي رابطة الالفة بين مديري الشركة وموسعي نطاقها وموفري مكاسبها

ولما انقسمت اعمال الشركة الى دوائر مختلفة صار لكل دائرة منها غرفة غداء خاصة بها والاساس الذي بني عليهِ هذا النظام هو ان المؤاكلة من اقوى وسائل الالفة بين الناس

الاسلوب الثالث انشاء مجلس الادارة حيث يجتمع المديرون كل يوم ويتذاكرون في

مصالح الشركة فيصير كل واحد منهم على علم بكل الاعمال التي تتعاطاها

ودامت الحال على هـذا المنوال وركفلر ينشئ شركات جديدة ويضمها هي وغيرها الى شركتهِ الاصلية ويسيطر عليها الى ان كانت سنة ١٩١١ فادُّعي عليهِ حينئذٍ ان في هذا الضم وهـذه السيطرة احتكاراً غير جائز فحكمت المحكمة بتفريق هـذه الشركات فافترقت واستعفى ركفلر حينئذٍ من ادارتها ومن ادارة شركتهِ الاصلية ولكن هـذا الافتراق لم يضعفها بل زادها قوة وانتشاراً وزاد اعمالها اتساعاً وقد كان مجموع رؤوس اموالها ٢٨٥٠ مليون ريال سنة ١٩١١ فصار ٩٢٥٠ مليون ريال سنة ١٩٢٣ وكان لركفلر ٢٤٤٣٤٥ سهماً في شركتهِ الاصلية وكان السهم منها يساوي ٦٥٠ ريالاً سنة ١٩١١ فقيمتها كلها كانت اقل من ١٥٩ مليون ريال فصارت قيمة السهم الآن ٣٥٠٠٠ ريال فتساوي كلها ٩٥٥ مليون ريال او نحو مائتي مليون جنيه

والراسخ في الاذهان ان ركفلر لا يملك الاَّ اسهم البترول والحقيقة انهُ يملك اسهماً كثيرة في شركات سكك حديد ومناجم الحديد فثروتهُ بلغت اكثر من الف مليون ريال (مائتي مليون جنيه) ولكنهُ انفق أكثر من نصفها في الاعمال النافعة كالمدارس والمكاتب ومعاهد البحث الطبيّ وما اشبه

ومما جرى عليهِ في هباتهِ انهُ لا يهب نقوداً بل اسهماً من اسهم شركاتهِ ويبقي لمديري شركاتهِ شيئاً من السيطرة عليها فتزيد قيمتها مع الزمن وتزيد قيمة هباتهِ بها . مثال ذلك ان ثمن السهم في شركتهِ القديمة كان ١٢٥ ريالاً سنة ١٨٩٣ فلو وهب مدرسة ٤٠٠ سهم منها حينئذٍ اي ٥٠٠٠٠ ريال لصار ثمنها ٠٠٠ ١٤٩ ١ ريال سنة ١٩٢٣ وتكون المدرسة قد تناولت ربحاً في هذه السنين يبلغ ٠٠٠ ٧٢٢ ريال مع انهُ لو اعطاها ٥٠٠٠٠ ريال نقوداً لبقيت كما هي ولما زاد ربحها في هذه السنين على ٠٠٠ ١١٦ ريال

ولما استقال من الادارة العامة وقت افتراق الشركات صار لكل شركة مدير خاص يتولى شؤونها فنمت واتسعت فزادت قيمة ممتلكاتها اكثر من عشرين ضعفاً وهذا سبب الزيادة العظيمة في ثروتهِ . وقد ثبت من ذلك ان اتحاد الشركات مفيد في بداءة الاعمال الى ان يتدرب المديرون على العمل ثم يصير الانفصال اصلح من الاتحاد

ما تعلمت من والدي [1]

﴿ التوفير والاحسان ﴾ من أقوالهِ المأثورة : « كل شاب يجب ان يعتني كل الاعتناء

---

(١) هذه الحوادث مقتطفة من حديث لركفلر الصغير — خيف مصر الكريم — مع احد الكتاب الاميركيين ومن ترجمة ركفلر الكبير في كتاب « ملوك التجارة »

بماله . وانهُ لفرض مقدس عليهِ ان يجمع كل ما يستطيع جمعهُ من المال وان يحتفظ بكل ما يستطيع الاحتفاظ بهِ وان يُحسن بكل ما تنبسط لهُ يدهُ ». فقد كان ابي في حداثته وهو عامل بسيط لا يكاد يكسب الاَّ ما يقوم بأوَدهِ ، يعنى بتوفير شيءٍ من مالهِ والاحسان بجانبٍ من هذا المال الموفر . ولديهِ الآن يومية كان يحفظها في تلك السنوات يظهر منها انهُ كسِب بين سبتمبر ١٨٥٥ ويناير ١٨٥٦ عشرة جنيهات أنفق منها على طعامهِ وغسل ثيابهِ ووفر جانباً منها ومع ذلك كان يبسط يدهُ كلَّ اسبوع لمساعدة مدرسة احدية بمليمين . مليمان كل اسبوع ! مبلغ حقير ولا ريب ، ولكنهُ عوّد ركفلر العامل الفقير ان يكون ركفلر الغنيُّ محسناً سخيًّا . ولما زاد راتبهُ الشهري حتى صار ٥ جنيهات كل شهر سنة ١٨٥٧ جعل يحسن الى جمعية من جمعيات التبشير بقرشين كل شهر والى جمعية اخرى بقرشين واربعة مليمات . ومن الدروس التي أُغرم بالقائها على أصدقائهِ وأبنائهِ ان الاحسان لا يستدعي ان يكون المحسن غنيًّا وهذه اليوميّة تثبت ان ركفلر كان يمارس في صغرهِ عقيدتهُ هذه

وقد جرى على هذا المبدإِ في تربيتنا فقد علَّمنا منذ صغرنا اننا لا نستطيع ان ننال منهُ كلٍ ما نريدهُ . بل كان كثيرونٍ من أبناءِ عمومتنا ينالون من اللعب والهدايا أكثر منا . وعلَّمنا اننا يجب ان نعمل عملاً مفيداً مقابل كلَّ ما نأخذُ منهُ او من أمنا من النقود . وكان كلما وفر احدنا جنيهين مثلاً يضيف عليهما جنيهين من جيبهِ ويفتح لهُ حساباً في البنك . وكان يجازينا عن قيامنا بما يجب علينا قياماً تامًّا بجوائز مالية يحتم علينا توفير جانب منها والاحسان بجانب آخر . ولما بدأت انا أشتغل في ارضنا بولاية كليفلند كنت أتناول أجوراً كباقي العمال

﴿ رحابة صدرهِ وكرمهُ ﴾ ومع تدقيقهِ هذا دهش الناس منذ بضع سنوات لما جُردت أسماء أصحاب الاسهم في شركاتهِ المختلفة فوُجد ان ركفلر الصغير صاحب أكثرها لا ركفلر الكبير . ذلك ان ركفلر الكبير وجد ان ابنهُ يقوم بأعباءِ العمل ويحمل كل المسؤولية في ادارتها فوهبهُ من الاسهم ما قيمتهُ ثمانون مليوناً من الجنيهات !

قال ركفلر الصغير : وبعد ما توفي مورغان الكبير نُقلت مجموعتهُ الخزفية النفيسة الى المتحف المتروبوليتان بنيويورك ثم عرضت للبيع فوددت ان اشتري بعضها فكتبت الى ابي أطلب منهُ ان يقرضني المال اللازم لشرائها . فجزع لعظم المبلغ ورفض الطلب . فكتبت اليهِ ثانية أقول « لم أُنفق في حياتي مالي جزافاً في القمار وما اليهِ من اسباب الترف والاسراف . وهذه المجموعة النفيسة لها قيمة فنية وتهذيبية كبيرة لانها من آيات الفن المشهورة » وطلبت

اليهِ ثانية ان يقرضني المـال اللازم فقبل ولكنهُ بدلاً من ان يقرضني المال أهدى اليَّ المجموعة التي اخترتها . وكانت قيمتها مائتي الف جنيه

ومرة لما كنت لا ازال حديث العهد بالاعمال المالية ضاربت بمبلغ من المال كنت قد وفرتهُ مع اختي فخسرت مبلغاً كبيراً لان السمسار خدعني فذهبت اليهِ وعرضت عليهِ الامر وطلبت ان ينشلنا من الهوَّة التي وقعنا فيها . فاخذ يوجه اليَّ اسئلة دقيقة كشفت لي عن اسرار المضاربات وخطر التمادي فيها ثم قال انهُ مستعد ان يدفع كل الخسارة التي خسرتها من غير ان يؤنبني بكلمة واحدة . وحين اذكر تلك الحادثة واذكر كرمهُ وشممهُ واسئلتهُ الدقيقة يثبت لي ان ابي لم يكن قادراً ان يجد طريقة لتأديبي في هذا الموقف افعل من هذه الطريقة

وهاتان الصفتان فيهِ لا تدلان على انهُ سهل الانخداع بل تلازمهما صفة اخرى هي التدقيق في كل عمل قبل ان يقدم عليهِ ومتى وصل الى نتيجة حاسمة في الموضوع مضى فيهِ من غير تردُّد

﴿ الصبر ﴾ اذكر مرة اننا كنا نتناقش في موضوع يتعلق باعمالنا فقال «هذه الخطة سليمة ولا بدَّ من ان تؤدي بنا الى النجاح في هذا الامر ولو لزم الامر ان نصبر خمساً وعشرين سنة » .وحياتهُ ابلغ مثل على انتصار الصبر والمثابرة على كل المثبطات .واي مثبط اعظم من الفقر وضعف الصحة والشيخوخة . ومع ذلك ترى ركفلر الكبير قد فاز على فقرهِ بالاجتهاد والصبر حتى صار اغنى اغنياء العالم واسخى محسنيهِ وفاز كذلك على ضعف صحتهِ وشيخوختهِ بمثابرتهِ على علاج مملّ نتيجتهُ بطيئة الظهور . ولكنهُ الآن في التاسعة والثمانين من عمرهِ ولا يزال يلعب الجولف

﴿ تواضعهُ ﴾ ارادت اسرة ركفلر منذ بضع سنوات ان يعنى سارجنت المصور الاميركي المشهور بتصوير رأس الاسرة صورة كبيرة بالزيت . فسأل قبل قبوله عن نفقاتها فلما عرف وجد المبلغ كبيراً فرفض قائلاً ان لهُ اصدقاء بارعين في التصوير في بلدتهِ لا يتقاضون عن عمل كهذا اكثر من مائة جنيه .فلما قيل لهُ ان سارجنت من اشهر مصوري الاشخاص قال« ولماذا يجب ان يصور صورتي رجل مشهور يتقاضى هذا المبلغ الكبير؟ من انا وماذا فعلت؟ لقد اتفق ان اثريت ولكني اعرف رجالاً كثيرين اثروا كذلك » ولكن لما قيل لهُ إن كلَّ اعضاء اسرتهِ يتوقون الى رؤية صورتهِ مرسومة بريشة سارجنت قبل ولكن ابنهُ دفع الثمن

خمسة في سيارة

٩

واجمع الاصدقاء امرهم بعد هذا على ان يذهبوا الى سويسرا الالمانية فراراً من الحر الذي عمّ فرنسا وسويسرا الفرنسوية في تلك الايام . فقالوا تعالوا نذهب الى جنيف نركب سككها الحديدية النظيفة تديرها الكهربائية نزلوسرن وانترلاكن وما الى ذلك من البلاد الهلفاسية ثم نقفل عائدين الى فرنسا فبلاد البلجيك ونعود من بعدُ الى اكتراء سيارة تطوف بنا مواقع الحرب في هذه البلاد . فكان اشدهم ارتياحاً للرأي صاحبنا المصري فانهُ كاد يضنيه ركوب السيارة بتصعيدها وهبوطها وقعوده فيها مقعد الاسير طوال الطريق

فبعد ان مكثوا ليلهم في جنيف همّوا في الصباح بقطار يذهب رأساً الى عاصمة البلاد واسمها « برن» فوصلوا اليها قبيل الظهر وخرجوا يسألون عن اهم ما يرى فيها وما لا يرى

فقال الرفيق الافرنسي — وكان قد زار المدينة مراراً — اما ما لا يرى فامرأة جميلة ذات هندام حسن او ذات حذاء صغير واما ما يُرى فمحلٌ يعرف « بئر الدبية » يحاذي حديقة يسمونها « حديقة الورد » . فقالوا هيّوا بنا الى البئر ثم الى الحديقة

وسمع صاحبنا المصري اسم « بئر الدبية » وانهُ قبلة زائري المدينة فظنهُ شيئاً كالاهرام اوكابي الهول او كبئر يوسف في القلعة ولم يشأ ان يستوضح رفاقهُ لئلا يظهر جهله بآثار المدنيات العالية . وساروا على اقدامهم يصعّدون في طريق يرتفع رويداً رويداً فلا يصل المرء الى آخره حتى يكون حرَضاً او يكون من الهالكين . فقال صاحبنا اين « بئر الدبية » قال شرطيٌ واقف في الطريق ها هو الى يمينك حيث ترى اربعة او خمسة من العمال العاطلين واقفين. فذهبوا فاذا بهم في بقعة ارض صغيرة بها حفرة يخالها المرء خندقاً في الارض في اسفله اثنان او ثلاثة من الدبية يروحون يجيئون ملتمسين الطعام في وسط اقذار ووحول

« ما هذا ؟ ايضحك الناس من عقولنا . لقد كنت اظنني آتياً لاشاهد اثراً عظيماً اطلقوا عليه اسم الدبية او لارى صخوراً برزت فيها تماثيل الدبية لغرض لا اعلمهُ واما ان آتي الى بقعة في حيّ مثل احياء « تحت الربع » وانظر في حفرة لارى دبّاً يلاعب دبّاً فهذا لم يخطر لي ببال ». قال صاحبنا المصري هذا ساخطاً مضنىً

ولا تسل عن ضحك الرفاق من انفسهم ومن غباوتهم فانهم كلهم كانوا ذلك المصري —

يتساءلون عن السرّ الذي جعل عاصمة سويسرا تشتهر بتربية الدببة مثل هذا الى ان قال قائل الا تعلمون ان هـذه المدينة كانت في ما مضى من الزمان تسكنها الدببة وجبالها لا تزال حتى الساعة مأوى لهذا الوحش . او لا ترون ان شعارها في رايتها وفي كل مواقع العظمة منهـا دبٌّ اسمر . او لا تعلمون ان اسمها برن Bern وهو في لغتهم السويسرية الالمانية دببة اي جمع دب . فقال المصري اما انا فلم اكن اعلم شيئاً من هذا — ولكن هبك الامر كذلك اما رأوا ان يخلدوا دببهم الا في هذه الحفرة ولماذا يأتون بهِ الى قلب البلد وجبالهم تعجُّ بهِ

لا . ايها الرفاق . اني لا امكث بعد هذا في بلد شعارهُ الدب وموضع الفخر منهُ دبٌّ واسمهُ جمع للدب . قالوا لا تيأس من رحمة الله وتعال نزُر حديقة الورد فهي على قابي قوس من هذا المكان . فسار معهم يعرج مضنىً من التعب ودخلوا الحديقة وهي اذا قيست بها حديقة « الازمان » في القاهرة عُـدَّت هذه الاخيرة جنة وفردوساً. وانك لو قابلت صديقنا هذا الآن لرأيتهُ يقسم باعظم الايمان انهُ لم يرَ وردة او شبه وردة في هذه الحديقة التي يسمونها حديقة الورد

على ان في برن — ولا بدّ من انصافها — بناءً فخماً جميلاً هو مجلس نواب الاتحاد السويسري فقد زارهُ القوم فاعجبوا من حسن موقعهِ من البلد ومن جمال عمارتهِ من الخارج والداخل واتساع غرفهِ وكان اكثر ما اثار اعجاب صاحبنا هذا الخشب السويسري الذي سقفت بهِ الغرف وقدّت منهُ المقاعد والابواب فانهُ غاية في الابداع ليس بعده غاية. اما بقية السفر فلم يعبأوا بشيء من هذا فلما قال لهم في ذلك قالوا هذا صنع حديثاً وليس عليهِ مسحة من جمال الفن القديم

فاطرق صاحبنا يقول في نفسهِ ان هؤلاء الناس لا يفتأون يحدثونني عن الفن القديم فاذا بي لا اكاد افهم للفن معنى والتفت الى الصديقة اللبنانية المتفرنسة يسألها عن معنى الفن

الفن

قالت هو الجمال يظهره لك الفنّان مرة في الحجر واخرى في الصور. تارة في الشعر وآونة في النثر وقال الانكليزي بل هو في الطبيعة فكل فن لا يحاكي الطبيعة ليس بفن

اللبنانية — عندك ايها السيد بل هو في نفس الفنان تفيض بهِ نفسهُ وخيالهُ على ما قدّمتُ من آثار

المصري — اذاً هناك رأيان في الفن احدهما رأي صديقنا الانكليزي الذي يرى الفن في محاكاة الطبيعة وهذا قول رجلهم رسكن Ruskin فانهُ رسول هذا الرأي وقد رأينا صورتهُ منقوشة في صخرةٍ في شاموني Chamonix حيث كان يجلس يشاهد الطبيعة الفاتنة يستوحيها الدليل على ما يشعر بهِ. ورأيك ايتها السيدة اذ ترين الفنّ في خيال الفنان يبرزهُ على لوح او في كتاب. وسواء أكان الامر هذا ام كان ذاك فليس من المنطق ان يُجمع الناس على شيء فنيّ جميل. لان ما اراهُ انا من جمال في الطبيعة قد لا ترينهُ انت. واما تتبّع الفنانين في خيالهم فكيف يكون في متناول الجميع؟ فخيال الفنان المصري خلاف خيال الفنان الفرنسي. فكيف تدللون لي اجماع الناس على اشياء انها جميلة كصورة للعذراء من صنع رفايل او آية من الشعر غناها هوميروس او شكسبير

الانكليزي — ان الذين عاشوا من الفنانين حتى الساعة هم الذين نظموا الحياة وعبروا عنها بادق معانيها وهذا يؤيد مذهبي فما الحياة الصحيحة الاّ الطبيعة بكل ما فيها. فشكسبير حي لا يموت لانهُ صوّر الطبيعة نفسها وجسدها تصويراً حقّاً ورفايل خالد لانهُ صوّر الحنو والعطف والطهر في صور العذراء تصويراً حقّاً

الفرنساوي — قد يصحُّ هذا في شكسبير ولكنهُ لا يصحُّ في الصور والتماثيل

المصري — كما انهُ لا يصح في هوميروس وملتون ودانتي ومن اليهم. الجميع معاً — وكيف ذلك؟ الامر بسيط. كلكم وكل رجل منصفٍ يجيب اذا سئل عن آيات الفن في الشعر مثلاً فيقول انها الالياذة لهوميروس والكوميديا السماوية لدانتي والفردوس المفقود لملتن ونقول نحن في بلدنا انها المعلقات السبع. واذا لم يجب بمثل هذا عدَّ مقصراً في الثقافة. فقولوا لي بربكم من منا قرأ الالياذة او استطاع ان يأتي عليها من اولها الى آخرها. ومن منا قرأ الفردوس المفقود ومن منكم قرأ المعلقات السبع. اني اخشى ان يكون الناس في كل آرائهم مقلدين يحاكون القردة ولا يحكمون ذوقهم الخاص او رأيهم الشخصي لذلك ارى ان الفن والجمال في الفن امر نسبي لا اطلاق فيهِ شأن كل الامور الاخرى

السيدة اللبنانية — انت رجل ماديّ الشعور فلا ترقص والرقص فن ولا ترى الجمال الا حيث تريده فليس اجماع الناس على شيء بالامر المنكر بل ان في روح الجماعات منطقاً وذوقاً سليمين لا تغني فلسفتك عنهما شيئاً

الرقص

الانكليزي — (وكأنهُ اراد ان ينقل الحديث الى حيث يريد) ولماذا لا ترقص.

ان الرقص فن ورياضة بدنية ولا ينفر منهُ الاَّ ذو النيّات السيئة

المصري – ولماذا تحسبهُ فنّا . اكلما عزفت الموسيقى بلحن مشجٍ وجب عليَّ ان اعود بعواطفي الى الغريزة الحيوانية الاولى فاقفز واختطف الانثى . ان اجدادنا الاولين والامم البعيدة عن الحضارة حتى الآن كلاهما كان اذا رقص هم بفتاة يختطفها عنوةً ويستميلها بمظاهر قوتهِ — فهو في اساسهِ نتيجة لميل جنسي قد لا يظهر الآن تحت ستار التقليد والعادات ولكنهُ كامن كمون كل عواطفنا الموروثة .اني افهم الفن جمالاً اتلذذ به بعقلي وبقلبي وبعاطفتي ولكني لا افهمهُ خروجاً عن الرزانة الطبيعية ورجوعاً الى الغريزة الاولى اذ كان الحكم للاصوات وللاشارات مثلما هو عليهِ الامر في الحيوان الآن

الفرنساوي - اتعلم ماذا قال احد كتابنا الحاليين مشيراً الى الرقص الذي عمَّ العالم بعد هذه الحرب ؟ انهُ شبه الحرب بابرة وخزت بطن المدنية الغربية فتحركت ذات اليمين وذات الشمال كابرة تخز بطن احد الناس فانهُ لا يلبث ان يتحرك ويلتوي معوجاً . وما الرقص في نظره ، وعلى الاخص الرقص على نغمات هذا الجازباند الاَّ منظراً من مناظر المدنية المتألم بطنها من وخز الابرة

الانكليزي—كاتبكم ابله لا قلب لهُ . فلا يدرك حقيقة الرقص الاَّ ذوو القلوب الطيبة وهذا ما اشار اليهِ احد علمائنا الطبيعيين فانهُ لاحظ ان الاطفال والخرفان والكلاب يحبون الرقص ولا يكرهون عليهِ ذلك لطيب سريرتهم. واما رجال الشرطة ورجال القانون وجميع انواع السمك فلا ترقص الاَّ نادراً واذا رقصت كان رقصها رديئاً وما ذلك الاَّ لقساوة قلوبهم .اما ديدان الارض واعضاء المجالس البرلمانية فلا يرقصون الاَّ لغرض[1]. فقهقه صاحبنا المصري قهقهةً بلديةً نسي معها وقار موقفهِ. وانك لا تدري أضحك لاشارة الانكليزي الى الديدان والى أعضاء البرلمان وجمعهِ اياها في صعيد واحد ام تضاحك ليستر اهانة الرجل للبرلمانات وهو راغب في هذه النظم السياسية متفائلٌ بها خيراً

وكأنهُ ادرك حرج حاله فتظاهر بالتواضع وقال اما انا فلا ارقص لاني لم استطع اتقان الرقص ولا اخفي عليكم اني لو كنت احسن نقل خطاي بلباقة وخفة لما وجدت كالرقص آلة للذة العيش . فهو ابن هذا العصر عصر السرعة وتعجُّل النتيجة . فالراقص اليوم يستطيع في ليلةٍ ما لم يستطعهُ كبار المحدثين من العشاق في سنة

---

(١) الاشارة هنا الى الكاتب الفرنساوي André Maurois والى العالم الانكليزي جيمس ستفنس

المبدأ والمصلحة

الافرنسية — اذن انت تتهكم على الشيء من حيث علاقته بك لا من حيث المبدأ

المصري — كل شيء في الدنيا كذلك أيتها السيدة المحترمة

الافرنسية — فالعفاء على المبادىء بعد هذا

الانكليزي — لا . لا تبالغي ان صديقنا المصري مصيب كل الاصابة فيما يقول — فان لكل امر في العالم من الامورالادبية او الاجتماعية مرجعاً اذا استقصينا سره وجدناهُ في شخصية المرء لا في مطلق المبدأ

الافرنسية — ما فهمت

الانكليزي — اسمحي ان افسر ما اقصد اليهِ بشيء من التطويل

انهُ يستحيل على امرءٍ ان يقوم برأي يبذل لهُ نفسهُ ونفيسهُ او بعمل يضحي لهُ بكل عزيز وغال الاَّ اذا كان هذا العمل او ذاك الرأي مما تطمئنُّ اليهِ نفسه وتوافقه عليهِ عواطفه او غريزتهُ . واني لا احب ان اقول شيئاً ينفّر مني امرأةً جميلةً متدينةً مثلك فاكشف لها عن رأيي في الذين قاموا بالديانات الناجحة دون التي ماتت في مهدها

بل اضرب لكِ مثلاً او مثلين من الامور الاجتماعية . فهاكِ الاشتراكية

انظري الى زعيمها كارل ماركس . هذا رجل يهودي عاش في برلين حيث لا قيمة ولا شأن لابناء جنسهِ واضطرَّ بعد ذلك ان يذهب الى لندن عاصمة اغنياء الدنيا في عهدهِ وركن الارستوقراطية . وكان فيها فقيراً . وكانت نفسه كبيرة تنظر الى الناس بعين الكره لاحتقارهم بني جنسه من ناحية ولتمتعهم دونه بملذات الحياة من ناحية اخرى . فهل تتوقعين ممن كان مثل هذا ان يقول باشتراكية « لا يكون حرب الطبقات » اساسها المكين ؟ ان الحسد والشهوة وحبَّ ما ليس في متناولهِ يملي عليهِ مبدأهُ الاشتراكي اراد ام لم يرد

وهاكِ الاشتراكي الآخر كاتبنا ولز (Wells) . هـذا اثرى من كتبه وصار يُعدُّ من كبار الملاَّك اذا كتب اليوم في لندن قرأهُ غداً مائتا مليون متكلم بالانكليزية ضاحكةً لهُ باسمة. فهل تنتظرين من اشتراكيتهِ ان تكون مثل اشتراكية كارل ماركس ؟ لا . فهو يدعو الى التعاون والى المحبة بين الناس لانهُ لا يشتهي ما في ايديهم ولا يحسد احداً شيئاً . فهذا العامل الشخصي هو المكوّن الاعظم لآراء الناس ولافعالهم سواء جاهروا بهِ ام كتموه

ان المحرك الحقيقي لاعظم الثورات او الانقلابات الاجتماعية والسياسية هو الحسد والكره اللذان يشعر بهما الرجال الناهضون بالثورات للنظام الذي يقلبونهُ. ولكنهم اذا سئلوا قالوا ان الدافع الذي يحركهم هو حب العدل واقرار السعادة على هذه الارض وىما لاشك فيهِ ان معظمهم صادق في قوله السطحي لانهُ مسوق بعقله الباطن لا بعقله الظاهر

الانكليزية — اذاً كيف تعلل نجاح الانقلابات الخطيرة

الانكليزي — ان الانقلابات التي تنجح او بالحري ان الرجال الذين ينجحون في قلب النظم اقل بكثير من الذين لا ينجحون . اما الذين فشلوا فلانهم لم يعرفوا مواطن الضعف في الجماهير لتسهل عليهم قيادتها ولم يعبروا عما في ضمير الشعوب من حب السلطة والمال . اما الذين ينجحون — وهم النوابغ — فقد لبسوا عقلية الجمهور وعاطفته وميله فعرفوا مواطن الهلاك او الفوز

المصري — انا من رأيك . فاني لا ارى في كل هذه التغيرات الاجتماعية الا انتقال السلطة من يد الى يد اخرى ، فقد يكون الاستبداد تارة من فوق — من ملك او من طبقة من الاشراف. وقد يكن تارة من تحت — من جمهور يساب ويحكم .والنتيجة في الامرين واحدة من حيث العدل المطلق او الحرية المطلقة

السيدة الافرنسية — غاضبة اذاً فلنهدم العالم .وماذا تقيمون على انقاضهِ ؟ولنزرع الشرَّ والفساد. وما هي النتيجة؟ و لنرَ كل شيء اسود. فلماذا لا ننتحر و نتخلص من هذه الحياة

المصري — لا . لا . ايتها السيدة . بل لننظر الى الحياة نظرة حقيقية فلا نؤخذ بالالفاظ ولا يستعبدنا السادة سواء اكانوا ملوكاً ام صعاليك . فعندي ان الغرض الاسمى الذي يصحّ ان تسمو اليهِ التربية البيتية والمدرسية هو ان يعرف المرء حقهُ وواجبه ويعرف ان يدافع عنهما بكل انواع القوة . فاذا عرف حقهُ عرف حق جاره وحلَّ الكثير من مبادئ الغيرية بين الناس محل الانانية. ومتى تغلغل في الناس شيء من فضائل الايثار وقليل من نعمة التضحية امنوا كثيراً مما يعثرون بهِ الآن

الانكليزي — انت خليط عجيب يجمع بين الخيال والحقيقة . نجدك مرةً سماويًّا حتى ترتفع واخرى ارضيًّا حتى تهبط . هكذا انتم ايها الشرقيون

المصري — ان صحّ وصفك لي فانعم بهِ فخراً . اكون اذاً قد حاكيت كنه حقيقة الحياة . ولكن انّى لي ذلك !

سامي الجريديني

الى احمد شوقي بك

الشتاء في باريس

رب فجرٍ شعرتُ بالْـــحزنِ قد دَبّ في الفضا

فنضا الكونُ من بشا شةِ وجْهَيهِ [1] ما نضا

وانزوى البلبلُ اللعو بُ [2] عن الوردِ مُعرضا

حسب الوردُ أنَّهُ قد نبا عنهُ مبغضا

فذَوَى مُطرِقاً عبوســاً وسرعانَ ما قضى

غَضّ من همسهِ النسـيمُ اكتئاباً وخفّضا

كفّنَ الوردَ بين أعْـطافهِ ثُمَّ أعرضا

فإذا البلبلُ انبرى موجَعَ القلب مُمْرضا

لَثَمَ الوردَ باكياً ثُمّ في فيضهِ مضى [3]

باريس — ادوار فارس

(١) المثنى هنا بمعنى المفرد (٢) قال صاحب تاج العروس «اللعوب الجارية الحسنة الدل. قال الازهري كتبَ اعوباً لكثرة لعبها» وفي البيت تشبيه (٣) مضى في فيض فلان أي شيع جنازته

اين نحن في مسائل الفيتامين

هل يعيش الانسان بالحرارة وحدها ؟

هل يكمل الغذاء من دون انواع الفيتامين ؟ هل ينمو الجسم نمواً تاماً اذا ازيلت من الغذاء ؟
ما هي الامراض التي تصيبه اذا منعت عنه ؟ ما هو مصدرها ؟ وهل يمكن توليدها
في الاطعمة باشعة الشمس اذا كانت تنقصها ؟

يقال — والعهدة على القائل — ان ادمند كين الممثل الانكليزي المشهور كان يتناول طعاماً خاصًّا لكل دورٍ يمثلهُ فكان يتناول لحم الخنزير قبلما يمثل دور طاغٍ من الطغاة ولحم البقر قبل تمثيلهِ دور سفّاك من السفاكين ولحم الضأن قبل تمثيل دور عاشق ولهان

وينطوي هذا القول على حكمة بليغة اثبتتها المباحث العلمية الحديثة . فكل من القراء يتناول طعاماً طبخهُ طبّاخ لا يدري في الغالب شيئاً من المبادىء العلمية التي يجب ان تبنى عليها شؤون الغذاء .فلا يعرف مثلاً قيمة الاطعمة المختلفة من حيث توليدها للحرارة والحوامض ولا مقدار ما تحتوي عليهِ من عناصر الجسم المختلفة.على ان كلاًّ منهم يقول : «ولِمَ هذا القلق والاضطراب فآباؤنا واجدادنا وآباؤهم كانوا يأكلون كما نأكل من غير عناية خاصة بتركيب اطعمتهم على الاصول العلمية وقد كانوا كلهم اصحاء الابدان والعقول ؟».وهذا قول صحيح اذا نظرنا اليهِ نظراً ضيّق النطاق . ولكن كثيراً من الناس على اختلاف اعمارهم كانوا يصابون بامراض متباينة تنشا عن جهلهم باصول التغذية العلمية كالبريبري والاسكربوط والكساح وغيرها . وهذه الامراض قد دانت للعلماء الآن لان مباحثهم في الغذاء مكنتهم من معرفة اسبابها وطرق معالجتها والوقاية منها . زد على ذلك ان الاطعمة التي كان يتناولها اجدادنا تختلف اختلافاً كبيراً عن الاطعمة التي نتناولها نحن ، في هذا العصر ، في المدن المزدحمة والحياة المندفعة التيار . فقد كانت اكثر اطعمتهم لحماً من ضأن او عجل مذبوح لساعتهِ ، ولبناً وزبدة وبيضاً وخضراوات وفواكه وخبزاً من حنطة غير مقشورة . وماذا يأكل سكان المدن الآن ؟ لحوماً مقددة ومحفوظة في العلب ، وزبدة صناعية بدلاً من الزبدة الطبيعية الجديدة ،وخبزاً ابيض من حنطة مقشورة.وهذا التغيير في عناصر الغذاء يجعل العناية بالوان الطعام والمبادىء العلمية في تركيبها فرضاً على كل انسان نحو نفسهِ ونحو اسرتهِ ونحو امتهِ

كيف كشف الفيتامين

لما كشف علماء الطبيعة مبدأ حفظ القوة حاول علماء الفسيولوجيا ان يطبقوهُ على شؤون الغذاء في الجسم الحي. فقالوا اذا كان هذا المبدأ صحيحاً فيجب ان تكون الحرارة التي تتولد في الجسم من تناول طعام معيَّن مع الحرارة التي يفرزها الجسم في مفرزاته مساوية للحرارة التي في استطاعة هذا الطعام المعيَّن ان يولّدها. وابدعوا لذلك تجارب كيماوية دقيقة اثبتوا فيها صحة هذا المبدإِ الخطير فشرعوا حينئذٍ في امتحان الوان الاطعمة المختلفة لمعرفة ما يولدهُ من الحرارة كلٌّ منها . وجعل الاطباء والعلماء يشيرون بالعناية كلَّ العناية بهذا الوجه من وجوه الغذاء حتى كان مسألة الطعام كلها وتغذية الجسم حُصرت حينئذٍ في ما يستطيع الجسم ان يولدهُ من الحرارة بعيد الطعام مع الاحتفاظ بنسبة المواد الدهنية والنشوية والبروتينية بعضها الى بعض

على ان السر فردريك جَوْلند هبكنز (وكان الدكتور هبكنز حينئذٍ) اثبت بسلسلة من التجارب العلمية البديعة ان الانسان لا يعيش بالحرارة وحدها . وقال ان هناك مواد اضافية غير المواد الدهنية والنشوية والبروتينية ، لا مندوحة عن وجودها في كل طعام حتى يكون طعاماً كاملاً يغذي الجسم تغذية تامة . وقد دعيت هذه المواد بعدئذٍ بالمواد الحيوية او « الفيتامينية » ويحسب الكشف عنها فاتحة عصر جديد في علم الغذاء

ذلك ان هبكنز جاء بطائفة من الجرذان وغذاها بمواد دهنية ونشوية وبروتينية بعد ما نقاها تنقية كيماوية من كل عنصر آخر ولشدة عجبهِ وجد ان هذه الجرذان وقفت عن النمو واخذ وزنها ينقص مع ان غذاءها كان تامًّا . وكان قد عني عناية خاصة بان يجعل طعامها كافياً لتوليد الحرارة اللازمة لها محتفظاً بالنسبة بين عناصر الغذاء المختلفة مضيفاً عليها ما يلزم من الاملاح المعدنية والماء . ومع ذلك لم تكن كل هذه المواد كافية لتغذية الجرذان فاستمرت تضعف وتهزل

فتساءل هبكنز — ما ينقص هذا الطعام من العناصر اللازمة للنمو ؟ وكأن الوحي هبط عليهِ فخطر لهُ ان الاطعمة الطبيعية قد تحتوي على عناصر لازمة لنمو الجسم تزول منها اذا نُقّيت وحُفظت . فامتحن هذا الخاطر على المنوال التالي : اخذ طائفة اخرى من الجرذان وجهز لها طعاماً يماثل طعام الاولى من كل وجوههِ انما اضاف عليهِ قليلاً من اللبن الجديد . وكان مقدار اللبن قليلاً لا يمكن ان يكون لهُ اقلُّ أثر في زيادة مقدار الحرارة التي تولدها عناصر الغذاء الاخرى . ولكن وجود هذا المقدار القليل من اللبن

الطازة كان لهُ أثر كبير في نمو الجرذان لان طائفة الجرذان الثانية اخذت تنمو وجعل وزنها يزيد زيادة مطردة

ولما كان هبكنز عالماً يحتاط بكل الوسائل لمنع تسرب الخطاءِ الى بحثهِ اراد ان يمتحن صحة النتائج التي دلت عليها تجربتاهُ السابقتان امتحاناً ينفي كلَّ ريب ، فاخذ طائفتي الجرذان اللتين استعملهما في تجربتيهِ المتقدم ذكرهما وقلب آية الطعام ، فغذى الطائفة الاولى بالغذاءِ الذي كانت تتناولهُ قبلا وهزلت من تناولهِ ، بعد ما اضاف عليهِ قليلاً من اللبن . وغذى الطائفة الثانية بغذاءِ الاولى اي منع عنها اللبن. فنمت الاولى واشتدّت بعد هزالها وضعفها ، وهزلت الثانية بعد شدّتها . فأفحمت هـذه التجربة كل معترضٍ واثبتت ان في بعض الاطعمة مواد لازمة لنمو الجسم لم تعرَفْ قبلاً

وظُـنَّ اولاً ان هذا العنصر الغذائي انما هو عنصر اضافي لازم لتكملة التغذية التي تقوم على المواد الدهنية والبروتينية والنشوية . ولـكن الباحثين الاميركيين اثبتوا ان الخميرة تحتوي على عنصر غذائي لازم لنمو الجسم ولكنهُ يختلف كلَّ الاختلاف عن العنصر الغذائيّ الذي في اللبن . واشاروا ان يطلقوا على العنصر الذي في اللبن الحرف الاول من الحروف الابجدية (ا) وينعتوهُ بقولهم « الذي يذوب في الدهن » وان يطلقوا على العنصر الذي في الخميرة الحرف الثاني من الحروف الابجدية (ب) وينعتوهُ بقولهم « الذي يذوب في الماء » ووجدوا ان العنصر (ب) يوجد كذلك في اللبن ولـكن مقدارهُ فيهِ اقل من مقدارهِ في الخميرة . واثبتوا ان العنصر (ا) يوجد في الزبدة ومحّ البيض وزيت كبد الحوت والادهان الحيوانية المختلفة . ثم اطلق على هذين العنصرين اسم المواد الحيوية او « الفيتامين » فشاعت اللفظة وصار لا مندوحة لنا عن استعمالها معرّبة

***

واعجب ما عرف عن المواد الفيتامينية في اول درسها ان مقداراً قليلاً جداً منها يفعل هذا الفعل العجيب في الجسم الحيّ . وكان السر فردريك هبكنز اول من اشار الى ان نقص المواد الفيتامينية في الطعام يحدث المرض في الجسم . وهـذا المذهب في سبب الامراض صار مألوفاً ولكنهُ في بدءِ الحرب الكبرى كان مذهباً جديداً وفي نظر البعض متطرفاً . لان العلماء كانوا يظنون الى ذلك الوقت ان سبب الامراض مكروبات مختلفة وكاد يكون من المتعذر اقناعهم ان نقص بعض عناصر الغذاء يسبب مرضاً

السر فردريك جولند هبكنز
زعيم الباحثين في مسائل الفيتامين

مقتطف فبراير ١٩٢٩
امام الصفحة ١٤٩

الامراض التي يحدثها نقص الفيتامين

قبلما نشر السر جولند هبكنز مباحثهُ كان الشائع بين الباحثين ان بين الامراض ونوع الغذاء ارتباطاً لم يعرفوا طبيعتهُ على وجهٍ دقيق

﴿ البريبري ﴾ فمرض البريبري مثلاً مرض يصيب الجهاز العصبي كان يفشو بين آكلي الارز من سكان اليابان وجزائر ملقا وجزائر الهند الشرقية وما اليها من البلدان ولا يزال كذلك . وكان الدكتور ايجكمان المدير الصحي لسجن جزيرة جاوى فوقعت اليهِ حوادث مختلفة من البريبري ولاحظ في اثناء معالجتها وبعدها ان الدجاج في حقل السجن يصاب احياناً باعراض تشبهُ اعراض البريبري التي تظهر على المرضى من الناس. ولاحظ كذلك ان الناس والدجاج تعتمد كثيراً في غذائها على الارز المقشور فخطر على بالهِ ان هذا الغذاء هو سبب المرض . فمضى في البحث فوجد — هو وآخرون — انهُ اذا اكل الناس الارز مقشوراً اصيبوا بمرض البريبري اما اذا اكلوهُ غير مقشور فلا .واثبت ايضاً ان قشور الارز التي تُزال حين قشرهِ تمنع البريبري اذا اضيفت الى الارز المقشور واكلت معهُ . فحصرت علاقة المرض بالارز في قشرتهِ. على ان الدكتور ايجكمان اخطأ اولاً في تعليل هذه الحقيقة فقال ان قشور الارز تعدّل فعل غذاء غنيٍّ بالنشاء ليس الا . ولكن المباحث الحديثة اثبتت ان الفيتامين في قشور الارز هو العنصر الفعّال الذي يقي الجسم من مرض البريبري

ومضت مدة ظن فيها الباحثون ان الفيتامين المقاوم للبريبري هو هو الفيتامين المساعد للنمو الذي يذوب في الماء . واطلق على كليهما فيتامين (ب) ولكن المباحث الحديثة قد اثبتت ان الواحد يختلف عن الآخر ولذلك يطلق الآن اسم فيتامين (ب) على الفيتامين المساعد للنمو الذي يوجد في الخميرة ويطلق على الآخر الملابس لهُ «الفيتامين المقاوم لالتهاب الاعصاب» (والبريبري منها) ويكثر وجوده في الحبوب والقطاني وخصوصاً في قلبها (الجنين الذي ينمو حين التفريخ) وفي قشورها وما يلي القشور . اما ما بقي من الحبوب فخال من هذا النوع من الفيتامين

﴿ الاسكربوط ﴾ والاسكربوط مرض كان يظن انهُ مثل البريبري لهُ علاقة بالطعام. وقد عرفهُ البحارة منذ اقدم الازمنة وكانوا يعرفون انهم اذا لم يأكلوا الخضروات والفواكه الطازة اصيبوا بهِ.وظل الاسكربوط كابوس البحارة الى زمن حديث .وقد اشار الى ذلك باخسترم في رسالتهِ التي وضعها سنة ١٧٣٤ بقولهُ : « وجد ان الخضروات

الحديثة هي المادة الوحدة التي تحفظ الجسم من هذا المرض » وقد ذكر الطبيب لند نقلا عن كرامر رئيس جرّاحي الجيش النمسوي في المجر سنة ١٧٢٠ ما يأتي :

الاسكربوط من اكره الامراض . ولست تجد له دواء في خزانة ادويتك ولا في اكمل الصيدليات استعداداً . فلا الصيدلة تفيد في معالجته ولا الجراحة . احذر من الزيف . اجتنب الزئبق فهو سم . . ولكن اذا اكل المريض الخضروات الخضراء ، اذا حضرت مقداراً كافياً من العصائر الجديدة الشريفة المضادة للاسكربوط ، اذا كان لديك برتقال وليمون او ابهما او عصيرهما محفوظاً مع السكر في زجاجات حتى تستطيع ان تصنع منها ليمونادة حين تشاء . . استطعت ان تشفي هذا المرض من غير وسيلة اخرى

وقد لاحظ الملاحون ان لليمون والبرتقال فعلاً شافياً خاصاً في معالجة هـذا المرض وسنة ١٨٠٤ حتمت وزارة البحرية الانكليزية على كل وحدات الاسطول البريطاني ان تحفظ فيها مقداراً كبيراً منهما ، فقلّ الاسكربوط حتى صار نادراً مع ان الوفاً من البحارة كانوا يصابون بهِ كلّ سنة (والليمون المقصود هنا هو الليمون المعروف بالاضاليا)

وقد أثبتت المباحث الدقيقة في معهد لستر بلندن ان الاسكربوط كالبريبري مرض سببهُ نقص احد انواع الفيتامين من الطعام . فاطلق على هـذا الفيتامين الحرف الثالث من الحروف الابجدية (ج) وهو كثير في الفواكه والخضروات وخصوصاً البرتقال والليمون والطماطم (البندورة) واوراق الخس والكرنب (الملفوف) وقليل في اللبن واللحم . اما اللحم المحفوظ في العلب فخال منهُ ولذلك لا يفيد اكلهُ في منع الاسكربوط . على ان الطبخ على النار يميت هذا النوع من الفيتامين وعليهِ فالخضروات المطبوخة لا تفيد في منع الاسكربوط. ولكن اذا لم يدم الطبخ اكثر من نصف ساعة بقي بعض ما فيها من الفيتامين فعّالاً . ولما كان وجود مادة قلوية يزيد فعل النار بهـذا الفيتامين فيجب الاّ تضاف مادة كربونات الصودا على الخضروات حين طبخها لئلا تأتي على البقية الباقية من الفيتامين فيها. وقد كان طبخ الخضروات خمس ساعات سبباً لحدوث ٨٢ اصابة بالاسكربوط في معسكر اسكتلندي سنة ١٩١٧ وقد ثبت ان الاسكربوط فشا في ارلندا سنة ١٨٤٧ وفي نروج سنة ١٩١٤ عقب امحال موسم البطاطس فيهما . ومن المواد الغنية بفيتامين (ج) البصل وهو رخيص الثمن

﴿ الكساح ومرض العيون ﴾ قلنا قبلاً انهُ ثبت ان فيتامين (ب) هو في الحقيقة فيتامينان الاول يساعد على النمو والثاني يمنع البريبري . وقد ثبت كذلك ان فيتامين (ا) فيتامينان دُعي احدها فيتامين(ا) والثاني فيتامين (د) واشهر مصادرها زيت كبد الحوت وادهان الحيوانات بوجهٍ عام . وكلاهما لازمان للنمو والاطعمة التي ينقصها فيتامين (د)

تسبب الكساح ومرضاً يصيب العينين فيجفف جفونهما وما قيهما ويفقدهما لمانهما وخصوصاً في الاطفال الرضع . وقد فشا هذا المرض الاخير في الدنمارك في اوائل الحرب الكبرى لانَّ الامهات المرضعات كانت تعتاض عن الزبدة بالمرجرين وهي زبدة صناعية

اما نقص فيتامين (١) فلا يؤدي الى ظهور مرض خاص واعراض خاصة ولكنهُ يضعف الجسم ويعدّهُ للاصابة بعدوى المكروبات. على انَّ هناك مرضاً يصيب عيون الكبار وهو نوع من « العشاوة » يرجح ان سببهُ نقص فيتامين (١) من الغذاء — وقد لوحظ ان هذا المرض كثيراً ما يفشو بين فلاحي الروس وخصوصاً في اثناء الصيام الكبير الذي يسبق عيد الفصح اذ يمنع في هذه المدة اكل اللحوم والسمك والبيض واللبن. ولما كان هذا المرض يشفى بتناول زيت كبد الحوت ترجح ان سببهُ نقص فيتامين (١) من الغذاء

﴿ العقم ﴾ وقد وجد حديثاً ان هناك نوعاً سادساً من الفيتامين يكثر في قلوب الحبوب كالحنطة واوراق الخضروات كالخس وبعض الزيوت النباتية وهو قليل في بعض الانسجة الحيوانية وزيت كبد الحوت. وثبت انهُ اذا كان الطعام ناقصاً من هذا الفيتامين كان نمو الجسم غير طبيعي واصيب بالعقم وقد اطلق عليهِ فيتامين (ه)

اصل الفيتامين

قدمنا ان زيادة مقدار قليل من اللبن الطازة على طعام الجرذان في تجربة السر رولند هبكنز الشهيرة كان كافياً لان يعيد الى الجرذان نموها ونشاطها . ولدى البحث ثبت ان فعل اللبن هذا يختلف، اي ان مقدار الفيتامين فيهِ يختلف باختلاف الزمن. فلبن البقر في انكلترا اكثر فيتامينياً في الصيف منهُ في الشتاء . فقادت هذه الحقيقة جمهور الباحثين الى التنقيب عن مصدر الفيتامين . هل البقرة تبنيهِ في جسمها ثم تقدمهُ لنا في لبنها او هو يبنى في المواد التي تأكلها البقرة ويظهر في لبنها ؟ فثبت ان مقدار الفيتامين في لبن البقر يختلف باختلاف ما تأكلهُ ويبلغ اعظمهُ عند ما تأكل البقرة الحشائش الخضراء في الصيف وينقص الى اقلهِ في الشتاء حين تقتصر على التغذية بالحبوب والقطاني

ويؤخذ من الادلة المتجمعة ان مصدر الفيتامين الاول في عالم النبات لا في عالم الحيوان . فقد تتبع العلماء فيتامين (١) الذي في زيت كبد الحوت الى مصدرهِ فوجدوهُ في الحشائش البحرية الدقيقة ومقدار الفيتامين فيها كبير جدًّا ومن المرجح انها قادرة على تركيبهِ في جسمها من العناصر الاولية كما تركب الاشجار في اوراقها الخضراء السكر من الماء واكسيد الكربون الثاني . وامتحنت احدى هذه الحشائش البحرية فوضعت في حوض من ماء بحري معقم فتمكنت من تركيب فيتامين (١) في جسمها

الفيتامين و نور الشمس

قلنا ان الكساح مرض يصيب الاطفال في عظامهم فينشأون ضعاف الاجسام مقوّسي الارجل صفر الوجوه . والظاهر انهُ يصيب الكلاب وغيرها من الحيوانات أيضاً . وهو كثير التفشي في المدن الصناعية بين العمال الفقراء وقد ظل الاطباءُ منقسمين في سببهِ فريق يقول انهُ ناجم عن قلة الغذاءِ . وآخر يذهب الى ان سببهُ المعيشة في وسط غير صحي الى ان جاء الدكتور هبكنز سنة ١٩٠٦ وقال ان الكساح كالبربري والاسكربوط سببهُ نقص نوع من انواع الفيتامين من الطعام وأثبت قولهُ بتجارب جربها في صغار الكلاب . كما اثبت ان تناول زيت كبد الحوت يشفي منهُ ويمنعهُ . وهـذا الفيتامين هو فيتامين (د) المقاوم للكساح

ثم ثبت من مباحث أخرى ان نور الشمس يفيد في شفاءِ الكساح ومنعهِ . وان الاطفال الذين يلعبون في الفضاءِ الطلق متعرضين لنور الشمس قلما يصابون بهِ . ولما عولج بعض الاطفال المصابين بهِ بتعريضهم للاشعة التي فوق البنفسجي شفوا . فحمل هذا البحث نفراً من العلماءِ على القول بان فعل نور الشمس واشعتها البنفسجية والتي فوق البنفسجية في حوادث الكساح هو كالفعل الناجم عن زيت كبد الحوت

ولم تعرف حقيقة فعل الشمس من هذا القبيل حتى كُشف ان بعض الاطعمة التي لا تحتوي على فيتامين (د) اصلاً يتولد فيها اذا عرضت للاشعة التي فوق البنفسجي . فهذا الفيتامين مثلاً قليل جدًّا في اللبن ولكن اذا عرض اللبن للاشعة التي فوق البنفسجي زاد مقدار فيتامين (د) فيهِ زيادة كبيرة . ولكن تعريض اللبن لهذه الاشعة يكسبهُ طعماً كريهاً ويميت فيهِ فيتامين (ا) فاذا اعتمد الاطفال عليهِ في غذائهم امنوا شرَّ الكساح ولكنهم تمرضوا للامراض التي تنجم عن نقص فيتامين (ا) . فجربت التجارب في الزيوت النباتية وثبت انها اوفى لهذا الغرض من اللبن اي لتوليد فيتامين (د) فيها واستعمالها غذاءً . ولدى التدقيق ظهر ان مادة شمعية في هذه الزيوت تدعى كولسترول ، هي المادة التي يتكوّن فيها فيتامين (د) بفعل الاشعة التي فوق البنفسجي . على ان العلماء لم يكتفوا بذلك بل واصلوا البحث فوجدوا في الكولسترول مادة اخرى نسبتها فيها نسبة ١ الى ٢٠٠٠ تدعى ارجسترول ، وانها هي المادة التي تتأثر بفعل الاشعة فتولد الفيتامين المقاوم للكساح (د) والمرجح ان هـذا الفيتامين سيكون الضربة القاضية على مرض الكساح اذا شاع استعمالهُ لان توليده بالطريقة المتقدمة سهل التناول قليل النفقة

الرائد

القصيدة التي نالت الجائزة الثانية في مباراة المقتطف

ابثك ما بي من جوًى يفلق الصّما يجيش اذا ما رائد الامل احتما
واخشى على نفس بجنبيك حرةٍ اذا بحتُ ان لا تحمل البثَّ والهمّا
جوًى طالما اخفيتهُ عنكِ فالتوى على القلب صلاًّ ارقماً ينفث السمّا
رعى الله قلباً قلبتهُ يد الهوى على الجمر ان ساد الظلام رعى النجما
تحيّر بين الحب والمجد تائهاً فمن جاذب عفواً ومن دافع رغما
فكم ليلة وسدتك الزند والضنى ينمّ على وجدي كرّياك اذ نمّا
ضجيعين نمسي والهوى يستفزنا فنخمدهُ رشفاً ونوقدهُ لثما
فيورثنا حرّ الضمير فننثني عناقاً فنطفي حرّ انفاسنا ضمّا
ابيت على همٍّ لو ان يسيرهُ برضوى لأهوى او بيذبل لانهمّا
ومن كان ذا انف اشمّ فقد ضوى اليه من التبريح ما اثقل الشما
اتدرين لِمْ لَمْ تألف النوم مقلتي ولم لم تفارق مهجتي الهمّ والسقما
لعلكِ ترضين العلى لي ان ابح بسري او لا تنكرين بي الحزما
تهون عليّ النفس عندكِ مثلما تهونين عندي ان أرى انصر العلما
هو العزم ما بين المنية والمنى فسيان اودى المرء او فقد العزما
اريد ارتياد القطب والحتف دونهُ فاما العلى فوزاً واما الرّدى إما...

***

فقالت: امسٌّ فيك ام انت ابلهٌ اعيذك ام هل اعمهٌ انت ام اعمى؟
تركت يقيناً في وجودٍ مخلّدٍ ورحت تعاني في يد العدم الوهما
فكم رائد في البحر صاحب حوتهُ وكم بهمة في البر قد آنس البهما
فما الرأي ان تفشل وما النفع ان تفز وما شأن من يمسي الاياب لهُ غنما
فقلت لها قد قال قولك معشر ولكنَّ لي عن قولهم اذناً صما
ونادٍ لنا اذ فيهِ اطلقت مقولي وحاولت اقناع النفوس بهِ حتما
الحّ عليّ القوم ما بين عاذلٍ وبين جهول قام يوسعني شتما
فمن قائل قد جن هذا وزاعمٍ باني هذّار اصابتني الحمى

وقالوا تطلبت المحال ضلالةً وسميت ويك الجهل علماً لنا ظلما
لو انك حاولت العروج الى السما وامسيت في قوس البروج اذاً سهما
لاسهل من ان تطوي البرّ خابطاً واقرب من ان يعبر الرائد اليمّا
وقلع مسامير النجوم من الفضا لايسر من ان يبلغ القطب من امّا
فقلت اذا هاج الفتى العزمُ حلّقت عزائمهُ في الجو بالهمة الشما
يحاورني الجهال في كل محفل وترمقني الابصار تفحص بي الوصما
فيعجزني تبيان قصدي وانما عسير على الانسان ان يفهم العجما
فأزمعت بعد اللوم لا مترقباً واملت حمد الرأي لا خائفاً ذما
واهملت طيب العيش وهو محببٌ وفضلت حمل النائبات على النعمى
وفارقت اصحابي واهلي وجيرتي وقومي حتى الصنو والخال والعما
فان انس لا انسى العجوز اذ انحنت تقبلني باللهف والامر قد حمّا
تقول الا يا ليت نفسي لك الفدا وقلّ الفدا لابن ابيت لهُ أمّا
الا في سبيل العلم سر حيث ما تشا وفي ذمة الرحمن ظعنك ان زما
وودعت عرسي وهي لي غاية المنى ونبذت انسي واستعضت بهِ الغما
ولما تعانقنا وحان فراقنا لمنا كلانا الشوق تحت النوى لمّا
فقبلت منها العين والخد واللمى وصيرت زادي الفم واللثم والشما
فاشبه در الدمع لؤلؤ ثغرها فمن لامع نثراً ومن ناصع نظما
فوالله ما ادري اقبّلت مدمعاً اذ اختلط التبريج ام مبسماً المى
ولي طفلة كالبان قدًّا اذا انثنى وكالبدر في وجه اغر اذا تما
بكت فبكى من كان حولي بادمع حرار تذيب الشحم او تفطر العظما
وقالت رعاك الله ليتكَ ترعوي فتصرف عني يوم ترحالك اليتما
تخلفتها حسرى بعين قريحةٍ وودعتها والدمع يستمطر الرحما
وحلقت في الجو المريع مخلفاً لدى الاهل روحاً ثاوياً فارق الجسما
وسخرت بالعزم الفضاء وقدهوى من الهول نسر الجو اذ حاول الصدما

***

كأن لفيف السحب اوراق كاتب يخط يراع البرق فيها لنا رسما
كأن الرواسي تحتنا أكَر بها تلاعبت الارياح تقذفها لطما

بطيارة قد غالب النسر شأوها … فكاد السحاب الجون يحطمها حطما
فباتت بعصف الريح ريشة طائرٌ … وكان كثيف الغيم يهوي بها رغما
فهادت وحاولنا النزول الى الثرى … ولكن خشينا البحر يلقمنا لقما
فملنا الى مالم يطئهُ ابن آدم … وصرنا لمن يرتاد من بعدنا ادما
نزلنا على ارض الجليد بهمة … بلغنا السما بل قد بلغنا بها الاسمى
فشاهدت ما لم تشهد العين مثلهُ … وحُملت ما لم يحمل المرء لو همّا
ومرت علينا اربع لم نذق بها … طعاماً ولم نعرف لغير الطوى طعما
سل الجوع عنا فهو ينبيك اننا … صبرنا كراماً اواذا شئت سل عما. . .
فاردى الطوى طيارنا وهو خير من … يعزُّ علينا اذ شكا القر والفرما
وصدْنا بعيد الجوع دبّاوقد غدا … الذ طعام لم نذق مثلهُ لحما
فكنا نروم الاكل من قبل شيّهِ … وكدنا نكد العظم نلهمهُ لهما
وخل حديث البرد عنك فانهُ … تهاون لما شام من عزمنا الحدما
فلم يثننا هذا وذاك عن العلى … ولم يسلب الجهد الذي—غاب الحتما
مشينا على الاقدام لكن رؤوسنا … تنازع منا الارجل الزحف واللدما
واكبادنا كانت ترى لا عيوننا … سويعةَ لم نبصر طريقاً ولا رسما

***

لك الله من هولٍ لقيت ومحنة … حملت تريع الخل او تحزن الخصما
فما الدهر ان اخنى وما الويل ان دها … وما الليث ان اردى وما السهم ان اصمى
باعظم من هول بهِ اسودَّ يومنا … فشبنا بما ابيضت بهِ الليلة الدهما
ولما بلغنا القطب والموت دونهُ … نسينا بهِ الآلام والنصب الجمّا
وعدنا وقد طرنا باجنحة المنا … وفزنا وفاخرنا بها البطل القرما
وما البطل السفاك ان اخضع الورى … كمن راد صعب الارض او خدم العلما

***

وجئت الى قومي بأسنى هدية … فزال العنا عنا وصفو المنا عمّا
وسار الى اقصى البلاد حديثنا … وصرت اذا عدّت شهام الورى شهما
الا فليخطّ المجد لي فوق صدرهِ … من الذهب اسماً حينما خلد الاسما

طهران — عباس ميرزا الخليلي

دقائق الجماد تتصرف كالخلايا الحية

هل فيها سرّ التولّد والحياة ؟

هل هي حلقة الاتصال بين الجوامد والاحياء ؟

حركات الجماد

اذا اذبت قليلاً من ملح الطعام في الماء ووضعت نقطة من هذا المذاب على زجاجة تحت المكرسكوب فانك تشاهد بلورات الملح تتكون امام عينيك اشكالاً مربعة منخفضة من وسطها كأنها بيوت تبنى او كأنها المربعات الحربية في ساحة القتال. وكل البلورات تتكون على هذه الصورة فان دقائقها لا تكتفي بان تتحرك فقط ولكنها تتحرك حركة منتظمة حتى تبنى منها اشكال هندسية منتظمة انتظاماً بديعاً جدًّا ولكل نوع من المادة المتبلورة شكل خاص بهِ كأنها النباتات او الحيوانات التي لكل نوع منها شكل خاص بهِ .فالحيوان والنبات والجماد متماثلة من هذا القبيل

ولقد شوهد ان نقط الزئبق الصغيرة تتحرك حركة تشبه حركات الحيوان والنبات او حركات دقائقهما وأول من انتبه لذلك بازوف Paaizov وذلك سنة ١٨٥٨ فانهُ وضع نقطة من الزئبق في صحفة مستوية وصبّ على هذه النقطة قليلاً من الحامض الكبريتيك ووضع الى جانبها بلورة صغيرة من بيكرومات البوتاس فجعلت نقطة الزئبق تتغير في شكلها وتتحرك فتدنو من بلورة البيكرومات ثم تبعد عنها ثم تدنو ثم تبعد دواليك. ومتى دنت تقعّرت في الجهة المقابلة للبلورة . وسبب ذلك ان البيكرومات يؤكسد وجه الزئبق الذي يليهِ فيقل تماسك الزئبق بعضهُ ببعض وتنجذب النقطة الى البيكرومات ولكن الجزء الذي تأكسد يذوب في السائل حالاً فيعود ما بقي من نقطة الزئبق الى تماسكه الاول ويبعد عن البيكرومات . ثم يتأكسد جزء من الزئبق فتنجذب النقطة كلها الى البيكرومات ويذوب هذا الجزء الذي تأكسد فتبعد بقية الزئبق عن البيكرومات وهلمَّ جرًّا

وقد اعاد احد الفسيولوجيين الآن هذه التجربة على صورة اوضح حتى صارت حركة نقطة الزئبق مثل حركة الحيوان تماماً وذلك انهُ وضع نقطة الزئبق في صحفة من الزجاج موضوعة وضعاً افقيًّا وصبّ في الصحفة حامضاً نتريكاً مخففاً ووضع فيها بلورة من

بيكرومات البوتاس على بضعة سنتمترات من نقطة الزئبق . فحالما انتشر المذاب الاصفر من البلورة في السائل جعلت نقطة الزئبق تدنو منها حتى تتصل بها ثم تبعد عنها ثم تدنو ثم تبعد دواليك . واذا أُبعدت البلورة عنها فانها تتبعها اينما سارت حتى تصل اليها وتكاد تحتضنها ثم تبعد عنها

ولا يخفى ان بعض الاحياء الدنيا كالاميبا تتحرك على هذه الصورة اذا ادنيت منها بعض المواد الكيماوية . فاذا ملىء انبوب دقيق بمذاب خفيف من كلورات البوتاس او البيتون ووضعت فيهِ نقطة من الزئبق فيها مكروبات متحركة فبعد ثوانٍ قليلة تجد هـذه المكروبات قد اسرعت واجتمعت عند فم الانبوب وهي تمدُّ زوائدها امامها كانها ايدٍ تتلمَّس بها وكانها تشعر ان في تلك المادة الكيماوية طعاماً لها فتهجم عليها لكي تغتذي بهِ. وقد اطلق على هذه الصفة اي صفة الانجذاب الى المادة الكيماوية اسم الكيموتكسس Chemotaxis اي الانتظام الكيماوي

احياء صناعية

وقد عالج الاستاذ هريرا المكسيكي — رئيس قسم البيولوجيا في مصلحة الزراعة المكسيكية — هذا الموضوع من جهة اخرى فكشف فيهِ عن عجائب تحير اللب

ذلك انهُ يأخذ خمسين جزءًا من زيت الزيتون ويذيبها في ١٠٠ جزء من الفازولين ثم يأخذ ١٤ جزءًا من القلي ويذيبها في مائة جزء من الماءِ المقطَّر ثم يضيف على هذا المحلول قليلاً من صبغ الانيلين الاسود حتى يستطيع ان يفرق بين المحلولين

ثم يضع المحلول الاول (زيت الزيتون والفازولين) في صحن ضحضاح من الخزف ويقيمهُ في مكانٍ هادىءٍ مستوٍ حتى يثبت لهُ ان ما فيهِ من الحركة غير ناتج عن فعل الجاذبية . ثم يتناول قطارة ويأخذ بها نقطاً من المحلول الثاني الاسود (القلي والماء المقطر) ويزجُّها في المحلول الاول تحت سطحهِ . ثم يقدم لزائره عدسية مكبِّرة ويطلب اليهِ ان يراقب ما يحدث

وفي الحال تبدأ الحركات الغريبة في الظهور. وكأن القطرة السوداء اصبحت خلية حية فتبدأ ترتجف وتهتز بنفسها . بل تبدأ تختلج وتتنفس ثم تنقسم اقساماً كالحيوانات الدنيا . وهـذه الاقسام الجديدة تأخذ في الحركة كانها غير قانعة بالبقاء حيث هي . بل هي تطارد القطرات الاخرى آناً وتجتنبها آناً وتشتبك معها في معركة آناً آخر . بل هي تمدُّ في بعض الاحيان اذرعاً كاذرع الاميبا او كاذرع السديم لمحاربة القطرات الاخرى

فهذه القطرات الغريبة تتصرف كالخلايا الحية . تراها تغتذي وتتولد اي تكبر حجماً

وتنقسم اقساماً تظهر فيها مميزات القطرة الاولى وتتحرك وتحارب كما تفعل الاميبا في بركة من الماء تقطنها الوف من اخواتها . على ان الاستاذ هريرا لا يدعي ان هذه القطرات حية بل يعلل حركاتها ببعض النواميس الطبيعية والكيماوية المعروفة وهي النواميس التي يجري بموجبها فعل « التصبين » اي تكوُّن الصابون من القلي والزيت

التعليل

حين تزج القطرة السوداء من محلول القلي والماء في محلول الزيت والغازولين يتكون حولها في الحال غشاء صابونيٌّ شفاف . فلدينا اذاً قطرة من محلول اسود يحيط بها غشاء صابوني وكلاهما معلق في محلول تختلف مادتهُ عنها اختلافاً بيناً

وهذا الغشاء الذي يحيط بالقطرة السوداء كالاغشية التي تحيط بالخلايا الحية ويعرف بجدارها وهو رقيق شفاف تخترقهُ جواهر السوائل فحالما يتكون حول نقطة القلي السوداء تأخذ الجواهر من المحلول الخارجي تحاول اختراق الغشاء الى داخلهِ وجواهر القطرة التي داخل الغشاء تحاول اختراقهُ حتى تخرج منهُ ويعرف هذا الفعل بالاسموسس فتنشأ عن ذلك تيارات دقيقة من الخارج تحاول الدخول وتيارات من الداخل تحاول الخروج فينجم عن هذه الحركات تغيّر مستمر متتابع في شكل القطرة وتركيبها لانها بدلاً من ان تكون محلولاً من القلي في الماء تدخل عليها قطرات من محلول آخر هو محلول الزيت في الغازولين وتتحد بها . ثم تبلغ القطرة درجة تصبح عندها ذرة من الصابون فتسكن بعد الثورة والحركة . والمدة التي تقتضيها قبل بلوغ هذه الدرجة رهن حرارة السائل التي تعلق فيهِ ، فاذا كانت حرارتهُ ٥٠ درجة بميزان فارنهيت كانت مدة « حياة » القطرة ثلاثة ارباع الساعة

ولا تكفي نواميس الاسموسس لتعليل حركات هذه الدقائق بل لا بدَّ من تطبيق مبادئ الضغط السطحي وبعض النواميس الكهربائية التي تعرف بها مقدار الشحنات الكهربائية التي في الايونات . ولذلك يقترح الاستاذ هريرا تجربة واسعة النطاق تتناول هذا البحث وهي بناء بحيرة كبيرة يوضع فيها المحلول الاول (محلول الزيت في الغازولين) ثم ادخال قطرات كبيرة نوعاً من محلول القلي في الماء المقطَّر فيستطيع الباحثون ان يدرسوا حقيقة هذه الظاهرات درساً اوفى

وقد جرَّب تجارب اخرى بمواد آلية مثل التنين والالبومين والادهان على اختلافها فقلَّد حركات البكتيريا والبرتوبلازم وميكروبات الستربتوكوكس وما اليها من الاحياء

الدنيا ووجد انهُ يبلغ اقصى نجاح في تجاربهِ اذا كان في المواد التي يستعملها شوائب من قبيل المواد الرملية (السليكات) . ومن اغرب تجاربهِ هذه انهُ اخذ حفنة من مسحوق زلال البيض المحضر كيماويًّا في معامل مرك وذرّها على قطرة من الحامض التريك على لوحة مكروسكوب . فظهرت اشكال تشبه كلّ الشبه اشكال البروتوبلازم الحيّ وكان كلما غيّر الحامض المستعمل يغيّر هذه الاشكال

النتائج الفلسفية

ان هذه التجارب لا تخلو من فائدة بيولوجية . لانها تثبت على الاقل شبهاً كبيراً بين اشكال الخلايا الحية الدنيا وتصرفها وبين اشكال هذه القطرات وتصرفها . والاستاذ هريرا لا يدعي انهُ اثبت بتجاربهِ هذه انهُ ايّد مذهب القائلين بان الحياة بدأت في المواد غير الآلية ولكنهُ يقول ان هذا المذهب اقرب الى المعقول من غيرهِ لانهُ يرجح ان وجود المواد الآلية المعقدة التركيب منذ البدء لا ينطبق على مقرّرات العلم . وهو يرى ، مستدلاً على ذلك بتجاربهِ الغريبة ، ان اتحاد بعض المواد غير الآلية بالماءِ وبعض عناصر الهواءِ قد يولّد اشكالاً خلوية التركيب كالكائنات التي ولّدها في مختبرهِ . وعندهُ ان وجه الشبه بين تصرف هذه الكائنات وتصرف الاميبا قريب جدًّا كما بينا في صدر المقال. وهو يؤيد الآراء التي يبديها بعلم واسع وحجة متينة كسبها في اثناءِ ٣٠ سنة من البحث والامتحان وستة آلاف تجربة في فرع من فروع العلم ما زال حتى الآن بكراً مع انهُ اخذ يسترعي عناية العلماءِ مؤخراً

وحركات هذه الاحياء اي الاميبا وما اليها وحركات نقطة الزئبق المشار اليها سابقاً وقطرة القلي وغيرها تكاد تكون واحدة في النوع ولو اختلفت في الدرجة . وكلما دققنا البحث وجدنا ان بعض افعال الجماد والنبات والحيوان متشابهة في النوع ولو اختلفت اختلافاً كبيراً جدًّا في الدرجة . قل ما شئت في سبب ذلك قل ان سببهُ كونها مخلوقة على اسلوب واحد او كونها متسلسلة بعضها من بعض بفعل خالقها مباشرة او بنواميس سنّها لها فان النتيجة تبقى واحدة لا يمكن انكارها ولا حجبها عن العيون وهي ان المخلوقات الحية وغير الحية متصل بعضها ببعض ويظهر فيها الارتقاءُ من البسيط الى المركب .فان كانت نواميس الطبيعة قد كفت لتوليد انواعها بعضها من بعض في مدة ملايين السنين التي مرت على الارض فذلك ادل على قدرة واضع هذه النواميس ممَّا لو خلق كلَّ نوع على حدة ولاسيما اننا نرى التنوع او ما يشبههُ يجري الآن امام عيوننا بالوسائل الطبيعية

اداة التعريف في التاريخ

١ً مدخل البحث

أكانت اداة التعريف في لساننا المبين الألف واللام ، ام كما يقول اغلب النحاة : اللام ؟ ذلك سؤال لم ارَ جوابهُ في كتاب من كتب الاقدمين والمحدثين ، ولا اظن ان باحثاً من ابناءِ العرب او ابناء الغرب تصدَّى لهُ ، ولهذا افتح الباب بمقالي الذي تراهُ لأستطلع بهِ رأي المنقبين عن مثلهِ ليقولوا كلمتهم اذ لا ادعي بأني « جهيزة » ولا نبيٌّ من الانبياء هبط عليهِ الوحي في ليلة او ضحاها ، بل اذكر ما اذكر بعد الاستقراءِ والاستنتاج والحَمْل على النظير لا غير[1]

٢ً كانت اداة التعريف الهاء في اول وضعها

اذا قابلنا اليوم لغتنا باحدى اللغات السامية الاخوات، رأينا ان اداةالتعريف معروفة في العبرية والعربية فقط . واما في سائر اللغات فان اصحابها يستغنون عنها كما يستغني عنها اتراك اليوم وكما استغنى ويستغني عنها الرومان (اللاتين) ، إذ في سياق التعبير ما يدل على المراد من غير ان يضطروا الى اتخاذ تلك الوصلة

واداة التعريف عند العبريين هي « الهاء» الحرف الذي يلي الدال في حروف الجمَّل. واما عندنا فهي الالف واللام . على ان كثيرين يستغنون عن ذكر الالف ويقولون : لام التعريف. فلا جرم ان اتخاذنا لهذه الاداة حديث عندنا بالنسبة الى قدمها عند العبريين. فهذه لغتهم المدونة من عهد موسى النبي الى زمننا هذا فاننا لا نرى اصحابها يتخذون للتعريف سوى الهاء لا غير . واما نحن فليس عندنا من المدوَّن المثبت سوى ما جاء في القرآن وهو لم يبرز لانظارنا إلا في المائة السابعة للمسيح . اما اذا استنبأنا ما كتب قبل ذلك العهد واعتمدنا على ما قرأهُ المنقبون على الرُقم التي وجدوها في ديار العرب فاننا لانجد فيها اتخاذ اداة التعريف في اقدم ما ورد إلاَّ الهاء كما في العبرية وكما يرى ذلك في الرقم التي نُبشت في ربوع اليمن

إذن اول استعمال اداة التعريف في لغتنا كان الهاء على حدّ ما نراها اليوم مستعملة

---

(١) اذا كان احد المعربين من شرقيين او غربيين قد عالج هذا الموضوع ، فاني غير واقف عليه . واود ان يذكر لي اسم الباحث وفي اي لغة وفي اي كتاب

في اللغة العبرية . لكن من اين اتت تلك الهاء في اللغتين الساميتين ؟

الذي عندنا انها مقطوعة من فعل لا وجود لهُ الآن في العربية وموجود في العبرية وهو هوَه يَهْوَه او هَيَه يَهْيَه ومعناهُ : وُجِد يُوجَد (بصيغة المجهول) ولا جرم ان هذا الفعل كان عندنا في سابق الازمان ، والدليل ما بقي من اثرهِ وهو الضمير الغائب في المفرد والمثنى والجمع ، في المذكر والمؤنث اي هُوَ ، هُما ، هُمْ ، هي ، هُنَّ . ومعناهُ في اصلِ وضعهِ : موجود، موجودان موجودون ....

وقد صارت هذه الضمائر الى حرف واحد في قولك : هذا ،هذانِ، هؤلاءِ . . . وهذا الحرف سماهُ نحاتنا هاء التنبيه ، كما سموا تلك الهاء هاء الضمير . اما الحقيقة فان لكليهما اصلاً واحداً هو الفعل الممات المذكور فقولنا إذَنْ « هكِتاب » في اول استعمالنا لهُ : « كتاب موجود » اي « الكتاب » لان ما شيء يعرّفك بهِ مثل وجودهِ بين يديك . هذا وهناك الفاظ تبتدىء بالهاء في لغتنا وصلت الينا من ذلك العهد وكان اصلها للتعريف فنسي سبب وضعها وجعلت من صُلبها مثل قولهم الهِجْزع والهبلع والهجرع، واصلها هجزعْ وهبلعْ وهجرع اي الجزع والبلع والجرع هذا جُلّ ما يقال عن اداة التعريف حينما كانت هاءً . على انها خُففت بعد ذلك بصورة الهمزة

> العلامة الاب انستاس ماري الكرملي، صاحب هذا المقال الفريد في بابه — نابغة في العلوم العربية وقد خدم اللغة وتاريخها وفلسفتها وفيلولوجيتها خمسين سنة خدمة صحيحة لا يشوبها رغبة في منصب او نشب . فاجمع افاضل العراق ووزراؤه وعلماؤه وادباؤه وجمهور كبير من مستشرقي الافرنجة ومريدي العلامة من علماء مصر وسورية وفلسطين وغيرها من الاقطار على تكريمه في حفلة اقيمت في ٧ اكتوبر الماضي في دار رئيس الوزارة العراقية وبرآسة وزير معارفها الهمام . فنهنىء الاب العلامة — ويسرنا ان ننشر لابناء العربية والمشتغلين بعلومها — هذا المقال النفيس من قلمه في نشوء اداة التعريف مثالا لمباحث الاب المحتفل به واذاعة لفضله

٣ الهمزة اداة تعريف بعد الهاء

كانت بعض القبائل السامية تكره الحروف الحلقية فكانت تخفّفها وتنقل العين والهاء الى الهمزة . وتحوّل الحاء الى هاء وهكذا

اليوم نرى عند الصابئة المندائية فانها تتجافى عن التلفظ بنظائر تلك الحلقيات الجافية ، وكذا نرى ابناء الغرب جميعهم فانهم خففوا جميع الاهجئة التي يرى فيها حرف حلق جافٍ او مفخم فانهم يقولون مثلاً في حوّاء وحام وعابر وبيت لحم : هيوا وكام وهيبر وبيت لهم او بيت لأم الى غيرها

وهكذا فعل اسلافنا فانهم حوّلوا الهاء همزة واخذوا ينطقون بها عوضاً من الهاء. وقد شاع ذلك في نحو المائة الثالثة قبل المسيح . وقد وصل الينا من ذلك قول المؤرخين الاقدمين « إطورية » اي « الجبلية » بتقدير « البلاد » فالإطوريون « جبليون » واسمهم مشتق من الطور بمعنى الجبل . نعم ان هناك رحلاً انتسبوا اليه ، وهو يَطُور او إطُور ، من ابناء اسمعيل (راجع سفر اخبار الايام الاول ١ : ١ : ٣١) إلاّ انك تعلم ان اسماء الاقدمين كانت تتخذ بالنظر الى ما سيكونون عن امرهم . طالع معنى قاشين وهابيل وشيث ويوسف الى غيرها وتعد بالعشرات بل بالمئات

واداة التعريف هذه (اي الهمزة) شائعة مستفيضة عند اليونانيين فان لهم ثلاث ادوات وهي O و E و To . فالهمزة المضمومة ضمًّا غير صريح اي O للمذكر ،والهمزة المال فيها الى الياء اي E المؤنث ، وجعلوا للجنس المشترك (وهو الجنس الذي ليس فيه عضو الذكور ولا عضو الإناث) التاء مضافةً الى حرف مصوّت هو O ، فنشأ من اجتماعهما « تو To » . اما الحقيقة فاداة التعريف هنا هي التاء لا غير ، ولم يؤتَ بالحرف المصوت ، الاّ ليتمكنوا من التلفظ بها على وجه من الوجوه ليس إلاّ

وهنا اسائل نفسي : هل العرب اعاروا اليونانيين في ذلك العهد القديم تلك الادوات، ادوات التعريف ، او هؤلاء اعاروا اجدادنا تلك الادوات ؟ واقول « أدوات التعريف » ولا اقول « اداة التعريف » لاني اتخيّل انهم كانوا يستعملون في وقت واحد عدة ادوات، لكل قبيلة كبيرة او لكل قسم كبير من بلاد العرب اداة تختلف عن اداة القبيلة الاخرى او الديار الاخرى .فكانت قبيلة تستعمل الهاء ، واخرى الهمزة المضمومة ، وثالثة الهمزة المكسورة ، ورابعة الهمزة المفتوحة ، وخامسة التاء ، وفي آخر الازمان ، اللام وحدها ، وقبيل الاسلام الالف واللام الى يومنا هذا

اما جواب السؤال الذي سألت نفسي ايّاهُ فلم اهتدِ اليه بنوع بات، بل أُرجح ان السلف هو الذي اعار تلك الادوات لسبب ان الادوات الجارية في كلام اليونانيين عليها علامات التفخيم اي علامة الهاء . وقد بيّنا ان الهاء من الوضع الساميّ ، اذ لغاتهم ، ولغاتهم وحدها ، تفسر لنا وجود تلك الهاء للتعريف تفسيراً يوافق النطق والصدق

اما ان الناطقين بالضاد اتخذوا التاء اداة للتعريف في زمن من الازمان . فهذا مالا نرتاب فيه كما نشرحهُ لك الآن

٤ التاء او الثاء اداة تعريف في العربية القديمة

اننا لا نشك في ان السلف اتخذ لهُ اداة التعريف « التاء في اول الكلم قبل ان يستعمل الالف واللام . وذلك ظاهر من تدقيق النظر في بعض الالفاظ ، او ان شئت فقل من « تشريح بناء » الحروف

أُولعت بردّ المفردات اليونانية واللاتينية الاحادية الهجاء او الثنائيته الى ما يقابلها في لغتنا او الى اصول عربية ، فاهتديت الى كثير من تلك الكلم ، حتى انتصبت بين عيني اللفظة اللاتينية Volpes او Vulpes وقلت في نفسي : اني قد وضعتُ مبدأً : ان كل كلمة يونانية او لاتينية قديمة مركبة من هجاء (او مقطع واحد) او هجاءين ، فلا بد من ان يكون لها نظير في العربية تشبهها في المبنى او المعنى او تكاد تشبهها . واذ ليس في لغتنا حرف V اللاتيني فلا بد من ان هناك حرفاً كان يقوم مقامه ، وهذا الحرف كان « العين » في اغلب الاحيان للكلمات الرومانية المبتدئة بحرف V والحال اننا اذا طرحنا الحرفين ES من آخر الكلمة اللذين هما من قبيل علامة الاعراب ، لم يبقَ امامنا سوى VULP وهذه يقابلها عندنا (عُلف) او (علب) وليس عندنا من اسماء الحيوانات ما هو معروف باحدى هاتين الكلمتين ، فما عسى ان تكون الكلمة العربية المقابلة للرومانية او الرومية او اللاتينية ؟ فعندنا العُلب (بضم الاول) وهو الضب ، والكلِب (بفتح فكسر) الوعل الضخم ، وكلاهما لا يتفق ومعنى الكلمة اللاتينية . وعندنا ايضاً العِلف (بالكسر) وهو الكثير الاكل . وهذا يصدق على الانسان كما يصدق على الحيوان ، وكل ذلك لا يوافق المعنى المطلوب. ثم قلنا لنجعل في رأس الكلمة « تاء » التعريف او « ثاء » التعريف ، فاذا امامنا « ثعلب » وهو المعنى المراد من اللفظة الرومية

وتاء التعريف (بالمثناة) او ثاؤهُ (بالمثلثة) باقية في الفاظ كثيرة عربية لا يكاد يفطن لها المتكلم لتعوّده النطق بها بلا فكرة . فأمثلة التاء المثناة : التَتْفُل ومعناهُ الثعلب او كما صحّحها كثيرون : جرو الثعلب . واصلهُ « الطفل » وهو الولد الصغير من الانسان والحيوان . فلا جرم ان اصل الكلمة « تطفل » اي الطفل ، طفل الحيوان ، ثم غيروا شيئاً من التركيب وقالوا « تتفل » وخصّوهُ بجرو الثعلب. قال في التاج : « قال شيخنا : اتفق ائمة اللغة والصرف قاطبةً ان التاء الاولى في أولهِ زائدة على ما عرف في الاوزان الصرفية . اه . فهذه شهادة واضحة على ان التاء زائدة لكنهم لم يعلموا انها كانت للتعريف.

واخذنا اليوم نقول : التَّـتْـفل (اي «ال الطـفل» باداتين للتعريف؟ : اداة قديمة (التاء) واداة حديثة (ال). كما يقول الفرنسيون اليوم : Lalcade, L'alcool, L'alcoran الى غيرها واصلها عربيّ القرآن والكُحْـل والقاضي

ومثال التاء ايضاً التـمْـسَـحْ او التِّمساح ، فان اصلها « مسْـح » ومعنى المسح المسخ لان الاقدمين كانوا لا يميزون كثيراً بين الحاء والخاء . اذن معنى التمساح «مسخ النهر» اي وحش النهر وهو كذلك. وهناك غير هذا التأويل يطول بسطهُ وانهُ من المصرية القديمة ، وهو ما لا تنكرهُ إلا انهُ يرجع الى هذا المعنى الذي اوضحناهُ

وهناك الفاظ اخرى كثيرة كالترمس والتنضب والتذرج الى غيرها كترنموت وتذنوب

واما ان التاء المثناة للتعريف كانت تلفظ بعض الاحيان ثاءً مثلثة فذلك ما كان عندهم معروفاً في لغةٍ لهم فان الشواهد على ذلك اكثر من ان تحصى . راجع مثلاً المزهر للسيوطي في الجزء الاول ص ٢٥٦ و ٢٥٧ وكانت لغة اهل خيبر . طالع في التاج ما قالهُ الاصمعي عنها في مادة خ ب ث في الكلام عن « الخبيث » وما اثبتهُ الخليل في هـذا الموضوع . وهناك شواهد على ان الثاء المثلثة وردت في بعض المفردات للتعريف . فهذا الثؤلول فالثاء فيهِ زائدة واصل المادة ال ل . وكذلك قل عن الثخـرِط (والثحرط [1] غلط) وهو نبات واصل مادتهِ الخرط بخا منقطة من فوق . والثرملة مصدر ثرمل من هذا القبيل ايضاً فان الثاء فيهِ اداة تعريف واصل تركيبهِ الرملة لان معنى الثرملة اكل اللحم من غير ان ينفض ما عليهِ من الرملة او الرمل الذي يُراد بهِ هنا المَـلَّـة او الرَّمَاد . ولو اردنا ان نتسع في هذا المجال لأوغلنا فيهِ ولكن على غير جدوى إذ الشواهد كثيرة لا تحصى

بقي علينا ان نذكر معنى الثعلب فان الباحثين عن اسرار اللغى لم يصلوا الى حقيقة سبب هذه التسمية . فلو علموا انها عربية الوضع لعللوا انها مشتقة من العَـلْـب وهو الرجل الذي لا يُطمع فيما عندهُ وذلك لدهائهِ والعَـلْـب هنا كالغَـلْـب اي الغالب لكل من يناوئهُ والثعلب هو كذلك فانهُ معروف بدهائهِ حتى انهُ ليضرب بهِ المثل . فانظر كيف ان اللغة العربية تهتك لك استار الاسرار وتفتح لك معضلات المعاني

٥ً اللام اداة اخرى للتعريف عُـرفت في لغتنا

لم يحافظ سلفنا على اداة التعريف بصورة واحدة في جميع العصور ، بل غيَّـروها

(١) ذكر الثحرط بالحاء المهملة البستاني ومحيط المحيط . والاول نقلها عن الثاني وهذا الثاني نقلها عن فريتغ وفريتغ لم يسندها ولم يحققها فلا أرى مسوغاً للغويينا ذكرها وهي لا ترى في كلام عربي محض

بتغيير البيئة التي يصيرون فيها فكانوا يستعملون الهاء ما داموا مخالطين للعبريين ؟ ثم نطقوا بالهمزة والتاء حينما كثر اختلاطهم باليونانيين وذلك لان هذين الحرفين اهون في اللفظ من الهاء ، فاما ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوهُ عن اليونانيين ، لكن بعد ذلك تغلب الرومان على الشرق الادنى فاتخذوا لهم اداة اخرى لمثل تلك الغاية وتلك الاداة هي « اللام »التي لم تظهر الاَّ بعد اختلاط بني يعرب ببني الاصفر (الرومان) وانت تعلم ان ليس في اللغة اللاتينية اداة تعريف بل يستعملون اداة الاشارة ILLE باختلاف صيغها اذا اضطروا الى مزيد في التعريف والتحقيق ، فيقولون مثلاً Ille Homo اي هذا الرجل اذا ارادوا تعريفهُ . فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداة لهذه الغاية فقالوا « لْـرَجُـل » باسكان اللام وربما حركوها او ربما ادخلوا عليها الهمزة.وقد وصل الينا هذا الحرف في الرُقُم التي وجدها الاثريون في ديار العرب والاداة مستعملة فيها مرة باللام وحدها ومرة بالالف واللام. من ذلك الرقيم الذي وجدهُ المنقبون عن امرىءِ القيس البدء وهو من بني لخم مَـلَـك من سنة ٢٨٨ الى ٣٢٨ للمسيح فقد جاء فيهِ ما هذا حرفهُ بالرسم النسخي :

« تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب ذو اسر التاج . . . وملك الشعوب ووكلهُ لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه »

ومعناهُ بلغتنا الحالية : « هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب الذي تقلد التاج . . . واخضع القبائل واناهم [اناب ابناءهُ] عنهُ لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ » . فانت ترى من هذا النص ان السلف الاقدمين منا استعملوا في عهد الرومان اداة للتعريف تارة الالف واللام وتارة اللام وحدها بموجب موقعها

ومن الالفاظ التي بلغت الينا متأثرة بهذه الاداة ، قول اللغويين اللكاف وانما اصلها الاكاف فحذفت الهمزة الاصلية التي هي في رأس الكلمة وقام مقامها لام التعريف فقالوا لكاف في التنكير واللكاف في التعريف فاجتمعت اداتان معاً في كلمة واحدة وهو امر يشبه ما وقع لالفاظ غيرها حينما كان التعريف بالتاء او بالثاء (اي بالمثناة وبالمثلثة) ومثل الاكاف واللكاف : الأيكة والَليكة . الأَصَف والَلصَف وغيرها

٦ً التعريف بالميم او النون

ولا يمكن ان نمسح القلم من هذا البحث ما لم نوفهِ حقهُ من جميع اطرافهِ . فقد جاء في شرح هذا المثل : لا عطر بعد عروس. هذه العبارة . . . « ويعمل السيف صبيحات انباس » بمعنى الباس .قال في تاج العروس في مادة ع ر س : هكذا في النسخ بالنون و[الباء]

الموحدة . وفي بعضها بتقديم الموحدة على النون وفي التكملة : صبيحات البأس ، ولعله الصواب ، او صبيحات امباس ، بالميم بدل النون على لغة حمير ، كما ينطق بها اهل اليمن . انتهى كلام التاج . فيؤخذ من هذا ان بعض العرب كان ينطق بالنون بدل اللام وبعضهم يبدلها ميماً .وهي لغة حمير. ولغة بعض طيء اذ يقولون : طاب امهواء اي الهواء (القاموس) وقال النمر بن تولب : سمعت رسول الله (ص) يقول : « ليس من امْبِرِّ امْصِيام في امْسفَر » يريد « ليس من البر الصيام في السفر » فانهُ ابدل لام المعرفة ميماً وهو شاذ لا يسوغ . حكاهُ عنهُ ابن جنّيّ (عن لسان العرب في مادة ب رر)

وقال السيد مرتضى في مادة س ل م : « وانشد الجوهري :

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمي ورائي بامْسَهْمِ وامْسَلَمَهْ

يريد « بالسهم والسلمه » وهكذا انشدهُ ابو عُبَيْد وهي من لغات حمير. وقال ابن بريّ : هو لبُجَيْر بن عنمة الطائيّ وصوابهُ :

وان مولاي ذو يعاتبني لا احنة عندهُ ولا جرمه
ينصرني منك غير معتذر يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

انتهى كلامه

قلت : وقد ذكر في المزهر (١ : ٢٢٢ من طبعة بولاق الاولى) ان « ابدال لام التعريف ميماً لغة قبيلة من قبائل العرب وهي معروفة عند اهل حمير وتسمى بالطُمطُمانيّة (المزهر ١ : ١١٠)

٧ خلاصة البحث

لم تكن اداة التعريف في اللغة العربية منذ اول نشوءها اللام او الالف واللام بل كانت في اول عهدها « هاء » كما في العبرية ،حينما كان العرب والعبريون على صعيد واحد . ثم لما خالط العرب اليونان اتخذ الاولون الهمزة والتاء ، ولما احتك الناطقون بالضاد بالرومان اتخذوا اللام او الالف واللام . وفي ذلك الحين نفسه كان بعض العرب يجعل اللام ميماً او نوناً . حتى جاء الاسلام فبقيت اداة التعريف بصورة واحدة هي الالف واللام . وقد تحذف الالف في بعض المواطن لاسباب قرَّرها النحاة فتبقى اللام وحدها . ولهذا يكتفى بالكلام عنها بقولهم « لام التعريف »

كل ما ذكرناهُ خواطر مرَّت في سماء الفكر ونحن لا نجزم بها . ومن أحب ان يدحضنا او يردنا فليأتنا ببيناته وادلته على ما فعلنا ، ونحن اول من يتهم نفسهُ اذا ما رأى شعاع الحق بادياً في كلام الخصم

بغداد الاب انستاس ماري الكرملي

هل تندثر مدوّنات العصر ؟

او الورق والتاريخ

اقتراح على اصحاب الصحف العربية

وضع لنا مؤرخو القرن التاسع عشر والقرن العشرين قواعد الاسلوب العلمي في كتابة التاريخ فكان من اهم هذه القواعد العناية بالآثار والمدوّنات والوثائق الرسمية واستنطاقها متجردين عن هوى النفس . فرسَّخ ذلك في نفوسنا وجوب العناية بحفظ مصادر التاريخ سليمة لا تعبث بها ايدي الدهر في حدثانهِ . لذلك تبنى خزائن الكتب وتشاد المتاحف تحفظ فيها الآثار او توقف المبالغ الطائلة من المال على العناية بدور العلماء والفلاسفة والقوّاد لتكون مزاراً للناس ومصدراً للتاريخ

وبعد ما علمنا مؤرخو القرن التاسع عشر والقرن العشرين قدسية هذه الآثار وضرورة حفظها سليمة حتى يستطيع مؤرخو القرون المقبلة ان يستنطقوها اخذ الكتّاب والعلماء والفلاسفة يطبعون كتبهم على ورق مصنوع من رُبّ الخشب الذي لا يلبث ان يأتي عليهِ حين من الدهر حتى يتلف ويندثر

ولا يعرف عصر في عصور التاريخ منذ فجرهِ الى الآن عمد أبناؤهُ الى تخليد آثارهم في مادة قابلة للاندثار كهذا العصر . فمن شرائح الخيزران التي كتبت عليها كتب سيلان المقدسة الى الرُقُم الدلغانية التي حفظت فيها كتابة الاشوريين المسمارية الى ورق الصين الحريري الى بردي مصر وغرانيتها الى رقوق العصور المظلمة — مواد مهما قيل فيها فلا سبيل الى انكار مقدرتها على مقاومة انياب الدهر قروناً بل عشرات القرون . اما الورق الذي تطبع عليهِ صحفنا اليومية واكثر مجلاتنا الشهرية وطائفة كبيرة من الكتب فلا يقدَّر لهُ من الحياة اكثر من عشرين سنة او ثلاثين

فدروج البردي المصرية التي يرجع تاريخها الى اكثر من اربعة آلاف سنة لا تزال محفوظة سليمة من الاذى تتناولها ايدي العلماء تطويها وتنشرها وهي تفضل في ذلك كثيراً من الصحف اليومية التي طبعت في اثناء الحرب الكبرى. وفي خزانة ليدن الهولندية كتاب عربي من عصر النبي مكتوب على ورق مصنوع من الياف القطن ولا تزال صفحاتهُ متينة

تقلبها وتقرؤها فاذا هي افضل من كثير من كتب العصر . وبعض المطبوعات التي طبعت في اول عهد الطباعة تفوق في متانتها المجلات والجرائد التي طبعت سنة ١٩٠٠ والتي اخذت يد الدهر تمزقها كلَّ ممزق

صناعة الورق من الحرير والكتان والقطن قديمة يرجع تاريخها الى الفي سنة تعلمها العرب من ابناء الصين ونقلوها الى اوربا في العصور المتوسطة فحلَّ الورق محلَّ الرقوق الثمينة التي كانت معتمد الاوربيين الوحيد في نسخ المخطوطات ويقال ان الامبراطور فردريك باربروسا منع استعمال هذا الورق لكتابة الاوامر والنشرات الامبراطورية لظنهِ انهُ ضعيف المقاومة سهل الاندثار

ثم اُستنبط فن الطباعة فقلب آية التأليف والنشر وبنيت عليهِ صناعة كبيرة هي صناعة طبع الكتب ونشرها . وصارت الكتب في متناول الجمهور فانتشرت آيات العلم والفلسفة والصناعة وما زالت حتى الآن تزيد رواجاً وذيوعاً . على ان استنباط فن الطباعة ما كان يكفي لرواج الكتب وذيوعها لولا استنباط طريق صناعية لصنع مقادير كبيرة من الورق بنفقة قليلة

لقد ثبت ان الورق الذي كان يصنع في العصور الوسطى باليد من الياف الكتان او القطن يستطيع ان يبقى على الزمن ويقاوم انياب الدهر . فمخاوف الامبراطور فردريك برباروسا لم تكن قائمة على اساس متين . والنشرات الامبراطورية عمّرت بعد ما زالت القوانين التي دُوّنت فيها . والكتب التي طبعت في القرن الخامس عشر لا تزال في خزائننا متينة القوام صافية الرواء

ولكن في اوائل النصف الثاني من

> اطلعنا على هذا البحث النفيس في مجلة السينتفك اميركان فرأينا ان نأتي على خلاصتهِ ونشفعهُ باقتراح على اصحاب الصحف العربية لا بدَّ ان تنجم عنهُ فائدة علمية اذا أُخذ بهِ فابناء الحضارات القديمة خلفوا لنا آثارهم في رقم الدلفان ودروج البردي واحجار الغرانيت وصحائف الحرير ولفائف الرق وهي لا تزال متينة تقاوي انياب الدهر على قدم عهدها بهِ . فهل يكون نصيب الصحف والمدوّنات في هذا العصر نصيب المدوّنات القديمة من البقاء ؟

القرن التاسع عشر كشف عن مبدأين جديدين قلبا صناعة الورق رأساً على عقب . الاول استنباط آلة لصنع مقادير كبيرة من الورق بنفقة قليلة . والثاني صنع الورق من الالياف الخشبية التي في انواع مختلفة من الحشائش والاخشاب فرخص بذلك ثمن الورق كثيراً عما كان عليهِ وصار في مستطاع اصحاب الجرائد ان ينشئوا صحيفة في نحو ٢٤ صفحة من حجم المقطم ويبيعوها باقل من نصف غرش. نعم ان الاعلانات مورد كبير من مواردالرزق لاصحاب الصحف ولكن لولا استنباط الآلات التي تصنع لفات الورق الضخمة ولولا الكشف عن طريقة لصنعهِ من الياف الاشجار والحشائش الرخيصة الثمن متى قيست بثمن ألياف الكتان او القطن ، لبقي الورق غالي الثمن وبقيت الصحف مقيدة بقيود ثقيلة تعيقها عن النهوض والارتقاءِ

والمبدأ الذي بنيت عليهِ صناعة الورق هو استعمال الالياف الخشبية الدقيقة التي في جدران الخلايا النباتية سواءٌ كانت هذه الخلايا من خرق قطنية او من جذوع اشجار او من انواع خاصة من القش . تؤخذ الخرق القطنية مثلاً فتنظف وتقطع وتُبلّ وتغلى حتى تتحول رُبًّا ثم يؤخذ هذا الربُّ ويوضع في اسطوانة كبيرة وتغمر بماء نقيٍّ حارٍّ اذيبت فيهِ الصودا وتضرب جيداً باجهزة خاصة حتى تقطع الالياف الخشبية ويصبح الربُّ دقيقاً ثمَّ يلوَّن باللون المطلوب او يُقصَّر او يترك على لونهِ ثم تضاف اليهِ مادة غروية تمسك الالياف الخشبية الدقيقة معاً فيستطاع مدّها ورقاً. ثم يحَلُّ كل هذا بالماءِ ويمرُّ طبقات رقيقة جدًّا في آلة معقدة التركيب فتبخر الماء رويداً رويداً وتترك الالياف والغراء فتتماسك معاً وتصبح ورقاً

فالالياف الخشبية هي العمدة في صناعة الورق فاذا انحلَّت هذه الالياف واندثرت انحلَّ الورق المصنوع منها واندثر . والالياف تختلف في قبولها للانحلال والاندثار باختلاف المصادر التي تؤخذ منها . فمنها الياف يصعب عليها ان تتحد بغيرها من المواد فتحفظ قوامها زمناً طويلاً ومنها ما يسهل عليهِ هذا الاتحاد فيبلى ويندثر . فقيمة كل ورق قائمة على استعداد اليافهِ للاتحاد بغيرها من المواد او عدم استعدادها لذلك. ولا يخفى ان المادة الاساسية في كلٍّ هذه الالياف سواءٌ كانت من القطن او الكتان او القنب او القش او الخشب هي السلولوس . ولكن سلولوس الخشب يحتوي على مواد ميالة الى الاتحاد بغيرها فالورق الذي يصنع منها سريع الانحلال قريب العهد بالفناءِ . واما سلولوس القطن والكتان والقنب فيحتوي على مواد ميالة الى العزلة غير راغبة في الاتحاد بغيرها من المواد. فالورق

الذي يصنع منها ورق متين يبقى على الزمن . اما العنصر الذي يبلي الورق فهو اكسجين الهواء الذي يتحد ببعض المواد التي في الالياف فتنحل وتندثر واتحاده بها هو من قبيل الاحتراق البطيء لان كل اتحاد بالاكسجين في عرف الكيماويين احتراق فاذا كان الاتحاد عنيفاً تولدت حرارة تظهر لهباً واذا كان بطيئاً كانت الحرارة التي تتولد من هذا الاتحاد قليلة متدرجة الظهور فلا يظهر لها اثر بيّن

واذا كان الجو رطباً او عُرّض الورق اتفاقاً لدخان بعض الغازات فعلت به بقايا الحوامض التي دخلت في تركيبه واتلفته واذا طلي الورق بالجلاتين اصبح مرتعاً خصباً للمكروبات حين بلـه. على ان عدو الورق الاكبر هو الاحتراق البطيء اي الاتحاد بالاكسجين فاذا كانت اليافهُ من الشجر والقش لم يقو الورق على هذا العدو وخصوصاً إذا كان كثير الاستعمال واما اذا كانت من الكتان او القطن او القنب صدتهُ عنها هازئة بهِ

الصحافة والتاريخ

والصحف هي السجل الذي تدوَّن فيهِ كلُّ انباءِ العمران يوماً فيوماً ويجب ان يكون سجلاً خالداً يستطيع ابناء القرون المقبلة ان يرجعوا اليه كمصدر من مصادر التاريخ . على ان قرَّاء الصحف لا يحفظون نسخة منها بعد مطالعتها فطبعها على ورق كتاني متين من قبيل الاسراف الذي لا داعي لهُ فضلاً عن انهُ يحدُّ انتشار الجريدة لغلائها . ولكننا نرى انهُ يجب على كل صاحب جريدة او مجلة ان يطبع منها بضع نسخ على ورق كتاني متين تحفظ في ادارة الجريدة نفسها وفي خزائن الكتب العامة. وقد كانت جريدة نيويورك تيمس سبّاقة الى تحقيق هذه الغاية فان اصحابها يطبعون كلَّ يوم نسخاً منها على ورق كتاني كالقماش ليحفظ سجلاً عامًّا لما تي العمران. وقيمة الاشتراك بنسخة من هذا النوع ٣٤ جنيهاً مع ان قيمة الاشتراك بنسخة مطبوعة على الورق العادي لا تزيد على ١٤٠ غرشاً صاغاً

وعندنا انهُ يجدر بكبريات الصحف المصرية ان تطبع كلٌّ منها بضع نسخ كل يوم على ورق كتاني متين تحفظ احداها في دار الكتب المصرية والاخرى في خزانة الجامعة المصرية والثالثة في خزانة ادارة المطبوعات (اذا كان لها خزانة لحفظ الصحف) ورابعة لادارة الجريدة نفسها. ولا بد ان تعنى بعض الجامعات الكبيرة في اوربا واميركا وحكومات البلدان الشرقية بطلب هذه النسخ المطبوعة على ورقٍ خاص لحفظها في خزائنها . فمجلدات الصحف المصرية في دار الكتب المصرية تكاد تندثر في زواياها لكثرة التقليب مع انهُ لم يمضِ على اقدمها من الصحف المنشورة الآن اكثر من قرن واحد

مقاييس النجاح

هل نقيسهُ بالشهرة او السعادة او الغنى او خلود الذكر ؟

ما النجاح ؟ ان رأي صموئيل صميلز[1] فيهِ معروف مشهور: يؤمُّ طالب صناعة مدينة لندن وهولا يملك أكثر من نصف ريال فاذا ما وجد عملاً واصل ليلهُ نهاره في الانكباب عليهِ فيظفر برضى رئيسهِ وثقتهِ بهِ فيرقيهِ ثم يتخذه شريكاً له في عمله يزوجهُ ابنتهُ فاذا مات كان من أصحاب الملايين

هذا هو النجاح المحسوس الذي يعنيهِ والذي لا يختلف فيهِ اثنان

وكل رئيس وزارة رجل ناجح لانهُ لو لم يكن كذلك لما توصل الى هذا المقام الرفيع في ادارة أحكام بلاده. كذلك يحسب القاضي او رئيس الاساقفة او قائد الجيش او المؤلف الرائجة مؤلفاته ناجحاً من هذا القبيل، كلٌّ في عملهِ الخاص. ويزعم أكثر الناس ان كلاً من هؤلاء كان يفضل إما ان يكون مثرياً وإما رئيس وزارة اذا تسنى لهُ ذلك. ولكن لا ريب في انهم افلحوا في العمل الذي تفرغوا لهُ

وتوجد بلا شك طرق أخرى لقضاء الحياة تستهوي بعض الخلق ولكنَّ المجتمع الانساني لا يحسبها عادة تفضي الى النجاح

فقد كان روبرت براونج (١٨١٢ — ١٨٨٩) الشاعر الانكليزي يظن ان العالم بالنحو والصرف الذي يقضي حياتهُ في تفهُّم مغامض الصرف الاغريقي معلقاً على عمله النجاح التام او الخيبة التامة، في مقدمة الناجحين. وقد عرفتُ عدة من هؤلاء العلماء فاذا هم لا يرنون مطلقاً الى تيجان تزدان بها رؤوسهم واذا هم أسرى عاداتهم لا غير، ولو حيل بينهم وبين مكاتبهم وكتبهم يوماً واحداً لحلَّ بهم الشقاء ولم يهنأ لهم عيش

ويسلم جم غفير من الناس بالقول « إن السعادة غايتنا من الوجود وضالتنا المنشودة في الحياة » ومع ذلك، وهو من المستغربات. تراهم لا يعترفون بأن النجاح هو السعادة نفسها. ولو فعلوا ذلك لتحتم عليهم تغيير رأيهم في حقيقة النجاح تغييراً عظيماً. ولقد قيل ان الرجل السعيد يملك أفضل الاسباب لصيرورتهِ سعيداً وذلك السبب هو سعادتهُ الراهنة

---

(١) مؤلف كتاب سر النجاح

وربما كان هذا الاعتقاد صحيحاً . ولكن الرجل القنوع ينقصهُ كثير من الاستعداد للجري في ميدان الحياة . لأن من يطلب قليلاً لا يفوز الاَّ بقليل . وقد يكون حب الشهرة والرفعة عند السعداء أحياناً مدعاة للسرور ولكنهُ في الغالب سلوى للاشقياء

ويدعونا جورج بورو (الرحالة الانكليزي المؤلف ١٨٠٣ — ١٨٨١) في أحد مؤلفاتهِ الى الاعتقاد بأن « الميل الى الخمول العقلي قد يكون صديقاً حمياً للانسان » — كأنهُ يقول — « ذكاء المرء محسوب عليهِ » او « إن العلماء يشقون بعلومهم » او « إن ذوي الجهالة لفي نعيم مقيم » فقد قال : « ان رمت يا صاحِ ان تكون حليفاً للحبور فارض بأن تكون مجنوناً . فايُّ عمل عظيم كان ثمرة من ثمار المسرَّة والحبور ؟ ومن هم الذين اشتهروا بالفطنة والقوة وتدويخ الاقطار ؟ أكانوا من أبناءِ السرور ؟ كلا »

إن تراجم العظماء على الاجمال تؤيد رأي بورو هـذا . على أننا لو تتبعنا نشأة اولئك العظماءِ لوجدناهم في الغالب قد عاشوا عيشة بؤس وافلاس مرغمين على الكفاح كفاحاً شديداً بلا معين ، اذلاَّء ، مضطربين اضطراباً يفوق الحدَّ الذي كانت تقتضيهِ أحوالهم . وطالما اعترفوا بأن أسعد ايام حياتهم كانت في أثناءِ جهادهم الاول الذي أسفر عن فوزهم فوزاً يسيراً في البدءِ . وكانت انتصاراتهم العظمى في بعض الاحيان لا يعقبها الاَّ زوال ابتهاجهم لانها كانت تأتي بعكس ما كانوا يقصدون فكانت صحتهم تعتلُّ بعد معاناة الشدائد التي لا بد من معاناتها لاحراز النصر ، اوكانوا يتعودون عادات تحرمهم التمتع بلذة الظفر اذا ما أُوتوه . فلا يجرؤ بعد هذا احدٌ على الزعم « ان الناجحين في الغالب سعداء » الاَّ اذاكان النجاح في اعمال غير شريفة او سهل المنال لا يقتضي جهداً وعناءً

وأغلب العظماءِ ، كما يقول المستر اوغسطين بيريل في احدى مقالاتهِ البليغة يبغضون عظمتهم لانها ليست من النوع الذي يهيمون بهِ

كان جراي شاعراً مجيداً ونال عرَضاً منصباً رفيعاً في احدى الجامعات بينما كان يصبو الى منصب قائد جيش مظفر ولكنهُ نظم قصيدتهُ « رثاء في مقبرة قروية » ولم يفز بالاستيلاء على مدينة كويبك . على حين دوَّخ القائد ولف تلك المدينة وكان في اثناءِ انتصاره يقول « ليتني أنشأت مرثية كالتي نظمها جراي ولم أحرز هذا الفوز المبين »

ثم ان كارليل[1] الذي كان شعاره « الضرب افضل من الكلام » أو « السيف اصدق انباء من الكتب » قد خالف هذا الشعار فألف نحو ستة وثلاثين مجلداً أطنب فيها بفوائد الصمت

(١) اديب مؤلف اسكتلاندي (١٧٩٥ — ١٨٨١)

اما المرضى من الادباء مثل هنلي المقعد او روبرت لويس ستيفنسن المسلول فقد أطلقا العنان لتخيلاتهما في وصف ضروب الشدة والعنف واراقة الدماء البشرية

واذا غضضنا الطرف هنيهة عن مقياس الغبطة لانهُ ليس مقياساً ثابتاً للنجاح—لانّ السعداء إما حيل بينهم وبين السعادة وإما قد الهتهم شواغل الحياة عن التفكير في هل هم سعداء حقيقة أو اشقياء — صادفتنا مشاكل اخرى عويصة تتطلب الحل وهي :

لماذا اعتدنا نعت كل امر حميد العاقبة حميداً ؟ وما سبب عظمة شأن امرىء في خاتمة تاريخ حياتهِ وان كان وضيع المحتد ؟ أو هل تظن ان الذي يقضي حياتهُ متجشما اصعب المشاق ابتغاء القوة اوالمنصب او سعياً وراء الاعمال الكبيرة ناجحاً ؟ مع انهُ اذا ما نال اربهُ في النهاية لا يلبث ان يحرم ثمرة مجهوده وهي على قاب قوسين من فيهِ اما بسلطان الموت واما بدافع الضعف واما بسبب الكوارث العائلية ؟

أكان بولس الرسول مخفقاً لانهُ عوقب بقطع رأسهِ ؟ وهل كان نابليون قائداً غير مظفَّر لانهُ نفي ومات شريداً في جزيرة القديسة هيلانة ؟ وهل كان رفائيل[1] وموزارت[2] خائبين لان غصن حياة كليهما هصر رطباً

يكلف رجلان بغانية فيفوز احدهما بها وينظم الآخر فيها قصيدة بليغة فايهما الفائز . انزلت بياتريس آي الشعر الخالد على دانتي ولكن زوجها كان يحسبها امرأة عادية . فايهما كان مفلحاً ؟ الرجل الذي حرمها ام الرجل الذي تزوجها ؟

أما وجوب الاحجام عن وصف اي انسان بالنجاح حتى يموت فيحكم عليهِ حينئذٍ الحكم النهائي — فلا يصلح اتخاذه قاعدة ثابتة ولا مقياساً صحيحاً للعظمة . فكم من رجال ماتوا في ربيع الحياة وبعضهم قضوا أشقياء مع انهم في بدء حياتهم قاموا باعمال جعلت العمران مديناً لهم

أما مشكلة نيل الشهرة بعد الموت واعتبارها عنصراً من عناصر النجاح فما زالت متعذرة الحل . فقد كان روجرس يعتقد أنهُ شاعر مفلق وقد تمتع بشهرتهِ كل التمتع مع أنهُ غدا نسياً منسيًّا.ولو مات وردزورث في الخمسين من عمره لما كان من حظهِ الاعتراف بفضله في حياتهِ أما الآن فهو آمنٌ مطمئن على مقامهِ الادبي . وكان المصور الفرنسي ميليه في متربة على حين كان — ميله الانكليزي يكسب ٣٠ الفاً من الجنيهات الانكليزية في

(١) مصور ايطالي (١٤٨٣ — ١٥٢٠)
(٢) موسيقي نمسوي (١٨٥٦ — ١٨٩١)

كل سنة. فأيهما كان أعظم نجاحاً ؟ المصور الافرنسي الذي رسم « الانجلوس » أم الانكليزي الذي صوَّر على رقع الكتان صوراً حازت اعجاب الجمهور فراجت سوقها ؟

وهذه المسائل التي يصعب تفسيرها تفسيراً مقبولاً لا بدَّ ان تسوقنا الى البحث عن معيار آخر للفلاح لا يقوم على النجاح المادي الظاهر الذي فتن بهِ صموئيل صميلز . لان النجاح متعلق بكنهِ الانسان أو مصيره ولا يقوم على ما يكسبهُ او يربحهُ . وهذا مما يرجع بنا الى المشكلة القديمة . كيف نحكم على الانسان — بصفاتهِ الظاهرة او بحقيقتهِ غير الظاهرة ؟ وقد بحث فيها سقراط الفيلسوف في الجزء الاول من كتاب افلاطون المسمى « الجمهورية » وأدت بهِ مباحثهُ الى الاعتراف « بأنهُ خير للانسان التحلي بسجية العدل من تظاهره بهِ ولو مات الدعيُّ حائزاً لسمات الشرف وشارات الاكرام وهلك الرجل العادل شنقاً بعد احتماله صنوف التعذيب والآلام »

ونحن إذا ما قرأنا تلك الجملة التي كتبت في القرن الرابع قبل الميلاد كان في وسعنا إدراك قصدَ نيتشه[1] بقوله « إن افلاطون كان مسيحيًّا قبل ظهور السيد المسيح نفسهِ » فان كنت تصبو الى النجاح فلا بدَّ لك من استثمار حياتك استثماراً سديداً . أما البحث فيما يعود عليك من ذلك فليس لهُ شأن في قياس النجاح

على المرء ان يسعى الى الخير جهده وليس عليهِ ان تتم المقاصد

ولا بدَّ أن هذا المقياس الجديد للفلاح يزيّف بعض الابطال الذين نوَّه بهم صميلز كما يزيف بعض المشهورين الذين يشيد بذكرهم المستر لويد جورج

وكم افاحت طوائف من الناس بسلوك سبل عملية كانت مفضية (على غير انتظار) الى خير عميم . وكم سعدت بانتهاز الفرص عند سنوحها كما حدث لبعض الذين احتكروا اصناف البضائع وقتاً ما فغنموا منها ارباحاً طائلة وساروا في طريقهم لا يعترضهم اي حائل بينما كان غيرهم يئنُّ من فداحة اعباء المعيشة . وهـذا هو الظلم الاجتماعي الذي يثير استياء المساكين . ونحن يشقُّ علينا الاحجام عن الاعتراف بان هذا الضرب من النجاح هو الممدوح كثيراً والمحسود عليهِ صاحبهُ والمنشود من الآخرين اكثر مما يجب ان يكون

وقد يتغاضى المرء نفسه عن عيوبه الشخصية ويتجاهل أن سيرته عرضةٌ للانتقاد ولـكن هذا النوع من النجاح السمج لا يتناسب مع سمو الاخلاق بل هو مفسدة لها وفي وسعنا ان نتحقق ذلك حتى من دون التحذيرات التي جاءتنا بها الكتب المقدسة

---

(١) هو فريدريك نيتشه الفيلسوف الالماني ولد سنة ١٨٤٤ وتوفي سنة ١٩٠٥

وخارج ميدان التجارة نرى كثيراً من الشهرة التي يدعوها الناس نجاحاً ناجمة عن استئثار رجل معروف بشهرة رجل غيره احقُّ منهُ بها او على الاقل يشاركهُ فيها. وعليهِ نرى انهُ لا يسهل علينا الاجابة عن المسألة التي ابدعها سقراط — هل نحكم على حقيقة الرجل او على ظاهرهِ؟ لانهُ يكاد يكون متعذراً معرفة الحقيقة من الظاهر

ولكن اذا كانت أركان النجاح تتوقف على استخدام أكثر مواهبنا الطبيعية وأفضلها فكيف يحصل الفلاح من دون التخصص في شيءٍ ما؟ ومن ذا الذي ينبغ في عمل لم يتخصص بهِ؟

اننا لنغبط الرجل المتناسب أعضاء الجسم بسبب ما يجنيهِ من جم المنافع ولكن ليس اولئك الرجال هم الذين لهم فضل يذكر على الانسانية

وانا لنستصوب الاقتداء بالسير چون لبوك الذي كان (لورد اڤبري) يهتم بكل صغيرة وكبيرة، فمن مباحث في تربية النحل الى مباحث في أعمال المصارف المالية. او التشبه بالمستر اندرو لانج الذي كان يكتب آناً كتابة بليغة في لعبة الصولجان وآناً آخر ينشيء المقالات في كل ما يتعلق بالشعوب القديمة من عادات واعتقادات وتقاليد وخرافات وما شاكلها وهذا عدا ترجمتهِ الياذة هوميروس

أوَلا يحسب ليوناردو دافنشي[1] ناجحاً وهو ذلك النابغة الذي لم يبلغ شأوه أحد من معاصريهِ والذي فرَّق بعض مواهبهِ شذر مذر فأضعف نتائجها بمحاولتهِ عمل اشياء كثيرة فانجز نصفها ولم يتمكن من اتمامها كلها بل مات وتركها ناقصة؟

أما رأيي في التخصص فانهُ اذا كان الشيء المراد التخصص فيهِ دنيئاً دالاً على الاثرة أو غير محمود الاركان الفوز فيهِ كثير الكلفة لان سلوك السبيل الى هذا الفوز يفسد النفس ويهبط بالاخلاق الى ادنى الدركات. ولكن اذا عقد امرؤٌ نيتهُ على القيام بمحمدة من المحامد وخيِّل اليهِ وجوب التفرغ لها فان تضحيتهُ في هذا السبيل لا تكون كبيرة كما يظهر لهُ أولاً

اما الفضائل الثابتة: ومنها التقوى، والصدق، والجمال فان كل فضيلة منها تنطوي على الاخرى فاذا اتبعنا احداها باخلاص أسوة بالقديسين أو العلماء أو رجال الفنون فانا لا نخسر جميع ما نتعلمهُ من الفضيلتين الاخيرتين

---

(١) ولد سنة ١٤٥٢ وتوفي سنة ١٥١٩ — مصور ايطالي ومثال — مارس صناعته في مدينتي ميلانو وفلورنسا فرسم في الاولى صورة (العشاء الاخير) وفي الثانية (معركة العلم) ثم أنشأ قناة لمدينة ميلانو وكتب مقالات شتى في التصوير والتاريخ الطبيعي والعلوم ومن صوره «الجوكوندا» المشهورة

وكل مسعى شريف يذيع صيتهُ في الآفاق — وبذا لا يضيق المجال أمام العقول الواسعة فاذا استوعبنا دراسة موضوع ما تيسر لنا التوغل في دراسة غيره . وهذا خير لنا من المعارف السطحية أو القشور التي نلهو بها من عدة مباحث في آن واحد

***

قال السيد المسيح في ثنائهِ على يوحنا المعمدان ان الانبياء أعاظم الناس . ولكن النبيَّ شخص مُلهم . فما هو نوع العظمة الذي يلي العظمة الروحية التي تبلغ اوجها في الانبياء ؟ وكيف نبلغهُ ؟

اولاً يجب ان نقع على عمل يتفق مع ميولنا الطبيعية . وثانياً يجب ان نوحّد الغاية في الانكباب عليهِ . وقد قال كارليل في ذلك « مبارك الذي وجد عملهُ . ليصرفْ همهُ عن البحث عن بركة اخرى »

وقد يكون العمل سافلاً او الغاية غير نبيلة فالنجاح في تحقيقها نجاح في الشرِّ وهو ما لا ننفكُّ عن التنديد بهِ

ومن أسمى الامثلة في وضع خطة والسير عليها سيرة جيبون المؤرخ . على اننا نفضل عليهِ تشارلس داروين والسير فرنسيس جالتون وباستور

ولما كانت الاكتشافات العلمية لا نهاية لارتقائها فقد وصم البعض نيوتن وداروين بعدم التنزه عن الخطإِ ولكننا قلنا إن الخاتمة ليست من أركان النجاح لأن الرجل الذي وسع نطاق المعارف واتى كل ما استطاعهُ مخلوق في حياتهِ ان يأتيهُ لخيرِ بني جنسهِ يجب ان يحسَب ناجحاً ولو انقلبت تعاليمهُ كلما تقدم البحث

اما الرجال (العمليون) الذين كانت نتائج اعمالهم غير مأمونة العواقب سريعة الزوال ومنهم يوليوس قيصر ونابوليون وبسمارك فان الطرق التي سلكوها والمقاصد التي تحروها كانت اقل نزاهة من مقاصد العلماء المكتشفين ورجال العلم المحنكين

ولكن اصوات الجمهور تجعلهم في أعلى عليين فوق هام العلماء والمفكرين . أما انا فلا يسعني الاَّ الاسف على هذا التصرف الممقوت لان أولئك القواد الحربيين قد اختلسوا من المجتمع الانساني اكثر مما نفحوهُ بهِ من المنافع ثم سببوا للعالم مصائب لا تحصى . وسيأتي يوم تنقشع فيهِ غياهب الجهل عن أبصار الجمهور المتمرد فيبصر في وضح النهار ما استفادهُ العالم من محبي خير الانسانية فيمجدهم أكثر مما يمجد الامبراطور نابوليون وغيرهُ من القواد العظام الذين عملوا على محق البشرية

ملخصة بتصرف عن الانكليزية عوض جندي
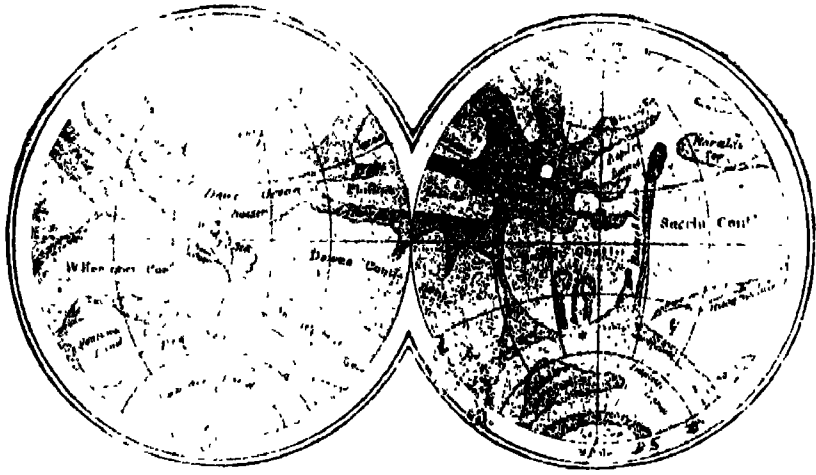
خريطة للمريخ كما رسمها بروكتر منذ نحو خمسين سنة
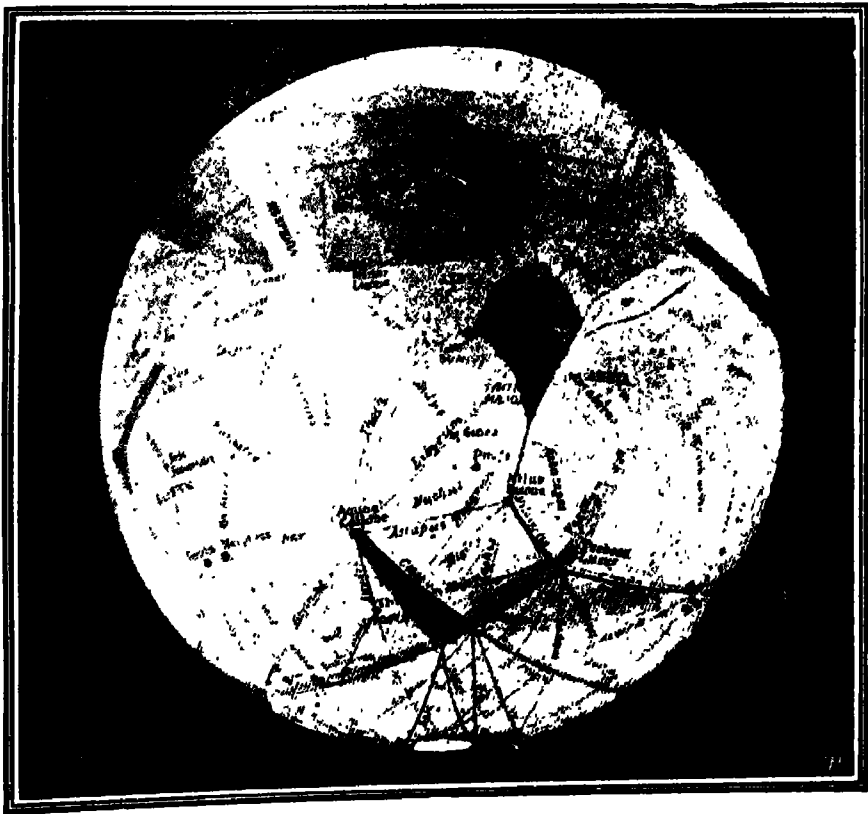
صورة المريخ كما رسمها الاستاذ لول ويظهر في اسفلها الثلج على القطب
والخطوط ترمز الى ما يحسب فيهما ترعاً للري

الحياة على سطح المريخ

جلة علماء الهيئة الاميركيين يجمعون على وجود الحياة

على سطح المريخ ولكنهم يختلفون في درجة ارتقائها

اذا نظر المرء الى السماء بعيد الغروب رأى فيها نجماً كبيراً احمر اللون وهو من السيارات العليا التي فلكها اوسع من فلك الارض .(ومتى اتفق وقوع الارض بينهُ وبين الشمس قيل انهُ في الاستقبال؟لانّنا نستقبل حينئذٍ وجههُ الذي يقع عليهِ نور الشمس وهي تحت افقنا) ومدار المريخ حول الشمس اهليلجي فيكون في بعضهِ اقرب الى الشمس ، وبالتالي الى الارض ، منهُ في البعض الآخر

والمريخ الآن في الاستقبال بلغ اقرب قربهِ الى الارض في استقبالهِ هذا ، في الاسبوع الثاني من شهر دسمبر الماضي اذ صار على نحو خمسين مليون ميل منها . وهذا ليس اقرب قربهِ اليها فقد اقترب منها في استقبال سنة ١٩٢٤ حتى صار على ٣٢ مليون ميل منها وفي استقبال سنة ١٩٢٦ حتى صار على ٤٢ مليون ميل منها

ويغتنم علماء الهيئة اقتراب المريخ من الارض على هذا النمط ليوجهوا الى سطحهِ آلات الرصد في المناطق التي يصلح رصدهُ فيها لكي يكشفوا عن الاسرار التي تحيط بمسألة الحياة عليهِ . اذ لا يخفى على قراء المقتطف ان على سطح المريخ ترعاً حسبها بعض العلماء من صنع اناسٍ بلغوا درجة بعيدة من الرقي العقلي عارفين باصول الهندسة والريّ وحسبها البعض الآخر من قبيل الخداع البصري

وقد اطلعنا في احدى الصحف الاميركية على مقالة في هذا الصدد أوجزت فيها آراء جمهور كبير من علماء الهيئة الاميركيين اجمعوا كلهم على ان المكتشفات الحديثة تؤيد القول بوجود الحياة على سطح المريخ . ولكنهم يختلفون في درجة ارتقائها. فالدكتور بكرنغ[1] يذهب الى انهُ من الثابت تقريباً وجود احياء عاقلين على سطح المريخ وانهم يحاولون التخاطب معنا . ويعارضهُ في ذلك الدكتور أبُت[2] فيقول ان الحياة على المريخ محصورة

(١) الدكتور بكرنغ مدير فرع مرصد جامعة هارفرد في بلدة مندفيل بجامايكا
(٢) الدكتور أبت مدير المرصد الفلكي الطبيعي بالمعهد السمثصوني الاميركي

في الاحياء النباتية الدنيا لعدم موافقة الاحوال الجوية التي تحيط بهِ لغيرها من الاحياء.
وبين الطرفين تجد الاساتذة رسل[٣] وايتكن[٤] وفشر[٥] الذين يقولون ان وجود احياء راقية او عمران اناس متمدنين على سطح المريخ ليس مستحيلاً ولا هو غير مرجَّح. ولكنهم يذهبون كذلك الى ان الادلة العلمية التي جمعها الباحثون الى الآن لا تثبت ان الاحياء التي على سطح المريخ اعلى من النباتات والحيوانات الدنيا

***

فما هي المكتشفات الفلكية الحديثة التي حدت بالعلماء الى تغيير موقفهم ازاء مسألة الحياة على المريخ فعادوا يجزمون بوجودها على سطحهِ بعد ما كان اكثرهم يهزأون بالاستاذين لول وبكرنج اشهر من تصدى لهذا البحث

لقد ثبت من المباحث الحديثة ان على سطح المريخ وفي جوّهِ حرارة وماء واوكسجيناً وهي المواد الثلاث اللازمة للحياة. وقد ايدت المباحث الفوتغرافية الارصادَ بالعين المجردة في ان الاحوال اللازمة للحياة لا تختلف كثيراً في جو المريخ عنها في جوّ الارض

ولعلَّ اكبر المباحث شأناً في هذا الصدد قياس الحرارة في جوّ المريخ قياساً دقيقاً قام بهِ الدكتور كوبلنتز[٦] بعد ما استنبط اداة دقيقة لذلك تدعى الترموكيل فوجد ان درجة الحرارة على سطح المريخ تبلغ حوالي الظهر ٦٠ درجة بمقياس فارنهيت اي نحو ١٥ درجة بمقياس سنتغراد وهي مثل حرارة الجوّ في القاهرة حوالي الظهر في ايام الشتاء الباردة وهذه النتيجة تخالف رأي العلماء سابقاً اذ كانوا يظنون ان درجة الحرارة في جوّ المريخ لا ترتفع عن درجة الصفر (الجليد)

اما كيف قيست حرارة سيار يبعد عن الارض ملايين الاميال فمن اغرب غرائب البحث العلمي في هذا العصر. فالطبيب اذا شاء قياس حرارة مريضهِ وضع ميزان الحرارة في فمهِ تحت لسانهِ. ولكنهُ اذا بعد عنهُ ذراعاً واحدة لم يستطع مقياسُ الحرارة ان يتأثر بحرارة المريض على الاطلاق. مع ذلك استنبط العلماء آلة يستطيعون ان يقيسوا بها حرارة المريخ وبعدهُ عنا يتراوح بين ٣٢ مليون ميل و٦٣ مليون ميل في الاستقبال. وهذه الآلة انبوب مفرغ من الزجاج يحتوي في داخله على اسلاك دقيقة من البلاتين والبزموت مشتبكة كنسيج العنكبوت

---

(٣) الدكتور رسل مدير المرصد بجامعة برنستن ونائل الوسام الذهبي من الجمعية الملكية الفلكية بلندن
(٤) الدكتور ايتكن مدير مرصد لك
(٥) الدكتور فشر امين علم الهيئة في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك
(٦) الدكتور كوبلنتز من علماء مصلحة المقاييس في الحكومة الاميركية

واماكن اتصالها الواح دقيقة مستديرة والاسلاك لدقتها تكاد لا ترى بالعين المجردة بل يجب وضعها على لوحة المكرسكوب حين وصل احدها بالآخر . وطرف هذا الانبوب مسطح وفي وسطهِ دائرة صغيرة شفافة فاذا جمعت الاشعة الواردة من المريخ عليهِ نفذ النور من الدائرة الشفافة ووقع على احد هذه الالواح المعدنية فيحميها مهما يكن ضئيلاً . واحماؤها يولد تياراً كهربائياً يستطاع قياسهُ. فاذا قوبلت قوة هذا التيار بقوة تيار صادر عن حرارة معروفة عرفت حرارة الاشعة القادمة من سطح المريخ

***

ولما سئل الدكتور كوبلنتز عن رأيهِ في سكان المريخ وهل هو دار لاحياء بلغوا درجة بعيدة من الرقي العقلي قال لا نعلم . انما نعلم الآن شيئاً محققاً عن درجة الحرارة في جوهِ فالمباحث التي قمت بها مع الاستاذ لامبلاند في مرصد لول والمباحث التي قام بها الاستاذان بتي ونيكلصن في مرصد جبل ولسن تؤيد القول بان حرارة الجو في المريخ قرب الظهر فوق درجة الجليد . وقد دونت حتى الآن درجات من الحرارة تتراوح بين درجة ٤٠ ودرجة ٦٠ بميزان فارنهيت وهذه الحرارة صالحة للحياة على ما يعرف من مراقبة الاحياء الارضية

ولكن ايدلُّ هذا على ان المريخ مأهول معمور، فيهِ حضارة ومدن وصناعات ؟

كلاَّ ، يجيب الدكاترة كوبلنتز ورسل وفشر وايتكن وغيرهم من علماء الهيئة الذين يشيرون الى ان الاختلاف الكبير بين حرارة جوّ المريخ على أعلاها في النهار وحرارتهِ على أدناها في الليل يجعل حياة الناس كما نعرفها على الارض متعذرة

***

اذا نظرت الى المريخ بتلسكوب ضخم رأيت على سطحهِ بقعاً وخطوطاً وقد علم من عهد السر وليم هرشل انهُ اذا جاء الشتاء في المريخ تكوَّنت على كلٍ من قطبيهِ بقعة بيضاء كبيرة ثم تضيق رويداً رويداً بمجيء فصل الصيف ان لم تزل تماماً. ويظهر بقياس التمثيل بين الارض والمريخ ان فيهِ ماءً وهذا الماء يجمد ويصير ثلجاً وجليداً عند القطبين في فصل الشتاء ثم يعود ماءً في فصل الصيف . اما الخطوط التي يراها القارئ على الصفحة المقابلة فظُنَّ اولاً انها اقنية صناعية للريّ واستدلّ بها لول وغيرهُ على ان صانعيها قوم بلغوا درجة عالية من الارتقاء العقلي ومعرفة الاصول الهندسية . ولكن مباحث الاستاذ انطونيادي بمرصد مودون قرب باريس ومباحث علماء الفلك بمرصد جبل ولسن ومرصد

لول أيدت القول بأن هذه الخطوط تدل على وجود خضرة على سطح المريخ ، اي أيدت القول بوجود أحياء نباتية على سطحه . فقد لوحظ مثلاً ان لون هـذه الخطوط والبقع اخضر في ربيع المريخ ثم يتحول قليلاً قليلاً فيصير نحاسيًّا في الخريف

على ان وجود النبات يكون عادة مصحوباً بوجود حيوانات من المراتب الدنيا. ولذلك ترى الدكاترة ايتكن وشايلي[٧] ورسل وكوبلنتز وادمز[٨] وفرست[٩] وسليفر[١٠] وبكرنج يجمعون ان هذه هي الحال على المريخ . والدكتور ادمز يقول ان مباحث الاستاذ ربط من علماء مرصد جبل ولسن تثبت ان المريخ جوًّا يحتوي على بخار المـاء وبعض الغيوم وان ازدياد ثلج القطبين في الشتاء ونقصهُ في الصيف يؤيدان وجود الماء . وقد كشف الباحثون في مرصد جبل ولسن عن الاكسجين في جوّ المريخ . فقد اجتمعت لدينا اذاً كل العناصر اللازمة للحياة كما نعرف مقوماتها — الحرارة والاكسجين والبخار المائي والماء

وفي ذلك يقول الدكتور رسل : لقد ثبت ثبوتاً قاطعاً ان للمريخ جوًّا ولم يعد ثمت ريبة ما في ان بقعتي القطبين ثلج يتراكم في الشـتاء ويذوب في الصيف . ووجود البخار المائي في الجوّ ثبت بالمباحث السبكترسكوبية (مباحث الحل الطيفي) وما يقال عن البخار المائي يقال عن الاكسجين . وحرارة جوّهِ أكثر جدًّا مما كان يُظَـنُّ .فلا نرى مانعاً بعد كل هذا يمنع حسبان المريخ داراً صالحة للاحياء

والمباحث الحديثة تدل على ان هذه الاحياء نباتات وحيوانات من المراتب الدنيا.هنا نصل الى الحدّ الفاصل بين الدليل العلمي والتخيُّل.ان الادلة الوافرة التي عرضها الاستاذ لول ليؤيد بها قوله بان المريخ دار لاحياء بلغوا درجة عالية من الرقي العقلي وشأواً بعيداً في العلوم والصناعات لا نستطيع ان ننفيها نفياً باتًّا ولا ان نؤيدها . فهي قائمة على رصد المريخ بالعين المجردة ورؤية اشياء دقيقة لا بدّ ان يختلف الباحثون في تعليلها .ولا نعرف الآن طريقة علمية لحلّ هذا المسألة والبت فيها ما زالت آلات الرصد كما هي ، على تقدمها. لذلك يجب ان نترك هذه المسألة معلقة الآن

---

(٧) الدكتور شايلي مدير مرصد كلية هارفرد

(٨) الدكتور ادمز مدير مرصد جبل ولسن

(٩) الدكتور فرست مدير مرصد يركيز

(١٠) الدكتور سليفر مدير مرصد لول ببلدة فلاغستاف من اعمال ولاية اريزونا

تاريخ الغناء العربي

(٣) في العهد الأموي — عهد معاوية الأول

لا تثريب علينا إذا جعلنا لعهد معاوية بن أبي سفيان مقالاً في تاريخ الغناء العربيّ لطول عهده بالحكم لأنه لبث متبوّئاً دست الملك عشرين سنة من سنة ٤١ هـ إلى سنة ٦٠هـ أو من سنة ٦٦٣ إلى سنة ٦٨٢ م كما تبوّأ دست الإمارة عشرين سنة مثلها من قبل في عهد الخلفاء عمر وعثمن وعليّ وهو خارج عليه وكانت دمشق قاعدة دسته في العهدين. ولا غرو إذا قصرنا بحثنا اليوم في الغناء على عهد ملكه سواء الذي حضر مجلسه والذي لم يحضره مع استيلاد النتائج من مقدماتها وإبداء ما يعنّ لنا من الملاحظات . ويجب الإشارة إلى أن همّ معاوية وهو المؤسس للدولة الأموية إلى الدهاء والسياسة أكثر منه إلى اللهو المباح ومنه الأغاني والغواني مما ملكت يمينه. وقد اقتضت سنة الله في خلقه أن يعني مؤسسو الدول بالإصلاح الاجتماعي. والدولة الأموية ورأسها معاوية قامت على كرهٍ من الشعوب الإسلامية إلا شعب الشام فعليها أن تتقرب من الرعية بالعدل والجد والجود وغيرها من الفضائل وتنشر وسائل الحضارة وتعمل على أن تشاغل الامة في أوقات الفراغ من الأعمال بما يشرح الصدور ويثلج الأفئدة كالأشعار والقصص والأخبار والغناء الذي لا يخدش وجه الأدب

ومما هو جدير بالعلم أن بلاد الحجاز وهي مهبط الوحي ومنزل القرآن ومباءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرة الصحابة والتابعين كانت عهدئذٍ مسارح للغناء والطرب وكانت المدينة المنورة عشّ المغنين واولهم طُوَيْس وكان في أيام عثمن بن عفان ومنه تعلم ابن سريج والدّلال ونئوم الضحا . ثم جاء بعد أولئك سَلْم الخاسر وعنه أخذ معبد الغناء وتلميذه ابن أبي السمح الطائي وكان لا يضرب بعود وإنما يغني مرتجلاً فاذا غنى لأستاذه معْبَد صوتاً حقّقهُ ويقول قال الشاعر فلان الشعر ومطّطه معبد وخففته أنا. وقد هجر معبد المدينة المنورة بعد أن حذق في الصنعة ولزم البلد الحرام مكة كالغريض وإليهما انتهت الشهرة في التلحين والغناء في العهد الأموي. والملحنون والمغنون تحت لوائهما معاً. ولا فضل لأحدهما على الآخر بدليل ان السيدة سكينة بنت سيدنا الحسين رضي الله عنهما لمّا قدمت مكة جاءها الغريض ومعبد فغناها كلّ منهما هذا البيت

عُوجي علينا ربّةَ الهودج إنّكِ إنْ لا تفعلي تحرجي (١)

فقالت والله ما لكما مثلٌ إلا الجدي الحارّ والبارد لا ندري أيّهما أطيب؟! وسيعرف القراء في مقالنا الآتي أن للسيدة سكينة صادق الحكم في الغناء والمغنين والادب والمتأدبين ذلك إلى غزارة علمها ورجاحة عقلها . كما أن قنداً مولى سعد بن أبي وقاص ثاني اثنين بالمدينة المنورة في هذا الفن . إلاّ إن طُوَيساً بزّه لحسنه وإحسانه في الصنعة وكان يتهم بالتخنّث فانظر رعاك الله إلى دار الهجرة كيف كانت داراً للغناء والخلاعة وداراً للتقوى والطاعة !! وكان معاوية بن أبي سُفيان يعقب مَرْوان بن الحَكَم وسعيد بن العاص وكلاهما من أمية على المدينة المنورة يستعمل هذا سنة وهذا سنة وكانت في مروان شدّة وفظاظة وسلاطة لسانٍ وفي سعيد لين عريكة وألفة وحلم فلقي مروان قَنْداً المغني وهو معزول عن المدينة وبيده عكازة (عصا) فلما رآه قال :

قل لقند يشيّع الأظعانا ربما سرّ عيننا وكفانا

فقال له قند لا إله إلا الله ما أسمجك والياً ومعزولاً !! ويريد مروان بتشييع قند الأظعان أنه يحدو الإبل من المدينة إلى دمشق لتطرب هي وهوه . فيسهل عليها وعليه السفر وليست المدينة في غنية عن قند أيام هذا السفر البعيد مع والٍ معزول مكروه خلف ناقته أو جمله . وحدث في عصر معاوية أيضاً أن طُوَيساً المغني كان يتغنى في عرس رجل من الأنصار بالمدينة المنورة فدخل النعمان بن بشير الانصاري سيد قومه وطويس يغني هذين البيتين

أجدّ بِعَمْرةَ غُنيانها فتهجر أم شاننا شانها

وعمرة من سروات النسا ء تنفح (٢) بالمسك أردانها (٣)

فقيل له اسكت اسكت لأن عمرة أم النعمان بن بشير فقال النعمان إنه لم يقل بأساً إنما قال

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

وللسيد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أياد على المغنين لشغفه بالغناء وهو من سراة بني هاشم المتموّلين الذين تقطعت بهم أسباب الخلافة بدهاء معاوية وسيوف بني أمية فانصرفوا إلى اللهو ولم ينسوا حظهم من الدين على حين كان الأمويون منصرفين إلى تدبير شئون الدولة والتربص بالأعداء ريب المنون فكانت عيونهم ناظرة إلى الحجاز وفي الحجاز أكثر دعاة الخلافة من بني هاشم وقلوب أكثر الامّة الاسلامية معهم وسيوفها في أيدي

---

(١) عوجي ميلي واعطفي والهودج محمل له قبة تركب فيه النساء والجمع هوادج وتحرجي تذنبي (٢) نفح ينفح بفتح العين انتشرت رائحة الطيب (٣) الاردان جمع ردن بوزن قفل وهو اصل الكم أو طرفه الواسع

بنى أمية . ولشدّ ما سرّ الأمويين أن عكف الحجازيون وفيهم الهاشميون — وأفاضلهم آل بيت رسول الله أبناء علىّ على الغناء وإلى مجالسه اختلفوا وقد أفلت من أيديهم تخت الملك . ذلك إلى أن سراة الحجاز قد سئموا الحروب لأجل الخلافة بعد ما كان من أمرها بين الإمام على كرم الله وجهه ومعاوية رحمه الله وبعد أن ذاقوا مرارة نفاق نصرائهم أهل العراق فهم الذين أفسدوا على الإمام علىّ رأيهُ . على أن آل البيت لم يلههم الغناء عن القيام بما يجب عليهم لله عزّ وجل وما خدشوا للأدب وجهاً كما أنبأنا بذلك التاريخ . روى الاصمعى قال قدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فأنزله فى دار عياله وأظهر من إكرامه وبره ما كان يستحقه فغاظ ذلك فاختة زوجة معاوية ! ! فسمعت ذات ليلة غناء عند عبدالله بن جعفر فجاءت إلى معاوية فقالت هلمّ فاسمع ما فى منزل هذا الذى جعلته بين لحمك ودمك وأنزلتهُ فى دار حرمك فجاء معاوية فسمع شيئاً حرّكه وأطربه وقال والله إنى لأسمع شيئاً تكاد الجبال تخرُّ له وما أظنّه إلاّ من تلقين الجنّ ! ثم انصرف

فلمّا كان آخر الليل سمع معاوية قراءة عبدالله وهو قائم يصلّى فأنبه فاختة وقال لها اسمعي مكان ما اسمعتنى : هؤلاء قومى ملوك بالنهار رهبان بالليل ! ! اه

أقول وكأن لسان حال عبد الله بن جعفر فى هذين الشأنين ينشد قول الأعرابية

ولله عندى جانب لا أضيعه وللّهو عندى والخلاعة جانب

وأخلق بمعاوية أن يفخر بقومه إذ يقول فيهم ملوك بالنهار رهبان بالليل فإنهم من سراة هاشم وجعفر والد عبد الله هذا أخو علىّ بن أبى طالب ابن عم رسول الله وصهره . وبمثل هذه العبارات المأثورة عن معاوية وُطّد ملك بنى أمية حيناً من الدهر - وما كان لفاختة وهى امرأة أن تتأذى من جوار رجل يحيي ليله بالغناء الحسن فى الصوت الحسن بالشعر الحسن حتى طرب زوجها معاوية فقال ما قال . بل العقل يحكم أنها كانت أشد طرباً منه وإن لم تكن تتظاهر به شأن كل النساء يقلن بأفواههنّ ما ليس فى قلوبهن . وأين فاختة زوجة معاوية من عائشة أم المؤمنين وقد وقف القراء على آرائها فى الغناء ومجالسه وقد بينتها فى مقالتى السابقة وليست فاختة من الورع فى شيء إذا قيست بعائشة ورعاً وزهداً

وأرق معاوية ذات ليلة فقال لخادمه خديجُ اذهب فانظر من عند عبدالله وأخبرهُ بخروجي إليه فذهب فأخبره فأقام كلَّ من كان عنده ثم جاء معاوية فلم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس مَن هذا ؟ قال مجلس فلان قال معاوية مرْهُ يرجع إلى مجلسه ثم قال مجلس من هذا ؟ قال مجلس فلان قال مرْهُ يرجع إلى مجلسه حتى لم يبق إلاّ مجلس رجل قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان ياأمير المؤمنين قال له معاوية

فإن أذنى عليلة فره' يرجع إلى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود ثم غنى بمطلع معلقة زهير بن أبي سلمى المزنى المتوفى سنة ٦٠٨ م

أمن أم أوفى دِمْنَةٌ(٤) لم تَكَلَّم ؟ ! بحومانة الدرّاج فالمتَثَلَّمِ(٥)

فحرك عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رأسه فقال له معاوية لم حرّكت رأسك ؟ يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لاقيت عندها لا بليت ولئن سئلت عندها لأعطيت — اهـ وكان مغنّى هذا المجلس بُدَيح . وكان معاوية قد خضب بالخضاب الاسود وكانت عنده جارية عزيزة متولية خضابه فقال ابن جعفر لبديح «ذلك المغنى» هات غير هذا فغناه

أليس عندك شكر للتي جعلت ما ابيضّ من قادمات الشعر كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طرباً شديداً وجعل يحرك رجله فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين سألتني عن تحريك رأسي فأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال معاوية كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم مجلسهُ حتى يأتيه إذني فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاص ثيابه وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب (والدينار يقدر بنصف جنيه انكليزي)

وعن ابن الكلبيّ والهيثم بن عدى قالا بينا عبدالله بن جعفر في بعض أزقة المدينة إذ سمع غناء فأصغى إليه فإذا صوت شجيّ رقيق لقينة تغنى

قُلْ للكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرج(٦)

فنزل عبدالله عن دابته ودخل على القوم بلا إذن فلما رأوه قاموا إليه إجلالا ورفعوا مجلسه ثم أقبل عليه صاحب المنزل فقال يا بن عم رسول الله دخلت منزلنا بلا إذن وما كنت لهذا بخليق فقال عبدالله لم أدخل إلاّ بإذن قال ومن أذن لك ؟ قال قينتك هذه سمعتها تقول «قل للكرام ببابنا يلجوا» فولجنا فإن كنا كراماً فقد أذن لنا وإن كنا لئاماً خرجنا مذمومين فضحك صاحب المنزل وقال صدقت . جعلت فداك . ما أنت إلاّ من أكرم الأكرمين — ثم بعث عبدالله بن جعفر إلى جارية من جواريهِ فقال لها غنّى فغنّت فطرب القوم وطرب عبدالله فدعا بثياب وطيب فكسا القوم وصاحب المنزل وطيّبهم ووهب لهُ الجارية وقال لهُ هذه أحذق بالغناء من جاريتك — فنعم الكريم عبدالله ! ! !

---

(٤) الدمنة ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما والجمع الدمن بكسر الدال المشددة وفتح الميم
(٥) حومانة الدراج والمتثلم موضعان (٦) التصابي الميل الى اللهو واللعب . والحرج ذنب

وكان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبهم فيه وأضيقهم خلقاً إذا قيل لهُ غنّ أو أحسنت قال أو لمثلي يقال هذا ؟! عليّ عتق رقبة إن غنيت سائر يومي هذا . ففي ذات يوم خرج ابن عائشة المغني إلى وادي العقيق [٧] فيمن خرج من المدينة وهو متجر بفضل ردائه فنظر إليه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان فيمن خرج إلى العقيق وبين يديه أسودان كأنهما ساريتان يمشيان بين يديه أمام دابته فقال لهما اذهبا إلى ذلك الرجل المتجر بفضل ردائه فخذا بضبعيه [٨] فإن فعل ما آمره به (فقد نجا) وإلا فاقذفا به في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة إلاّ وهما آخذان بضبعيه فقال من هذا فقال لهُ الحسن أنا هذا يابن عائشة قال لبيك وسعديك وبأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول واعلم أنك مأسور في أيديهما إن لم تغن مائة صوت فإن أبيت طرحتك في العقيق وهما حران ولئن لم يفعلا ذلك لأقطعن أيديهما فصاح ابن عائشة يا ويلاه .واعظم مصيبتاه — قال الحسن دع من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي وأقبل يغني فترك الناس العقيق وهو بسيل محيا وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبّر الناس باسان واحد تكبيرة واحدة ارتجت لها أقطار المدينة وقالوا للحسن صلى الله على روحك حيًّا وميتاً فما اجتمع لاهل المدينة سرور قطّ الاّ بكم أهل البيت فقال له الحسن رضي الله عنه إنما فعلت هذا بك يابن عائشه لأخلاقك الشكسة فقال له ابن عائشة والله ما مرت عليّ مصيبة أعظم منها. لقد بلغت (الروح) أطراف أعضائي فكان بعد ذلك إذا قيل لهُ ما أشد ما مرّ عليك؟ قال يوم العقيق

ولمّا ولي أبان بن عثمان بن عفان المدينة المنورة لمعاوية بن أبي سفيان قعد في بهو لهُ عظيم واصطف لهُ الناس فجاء طويس المغني وقد خضب يديه غمساً واشتمل على دُفّ لهُ وعليه ملاءة مصقولة فسلّم ثم قال بأبي وأمي يا أبان - الحمد لله الذي أراك أميراً على المدينة إني نذرت لله فيك نذراً إن رأيتك أن أخضب يدي غمساً وأشتمل على دفي وآتي مجلس إمارتك وأغنيك صوتاً فقال يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال بأبي أنت وأمي يابن الطيب أبحني قال هات يا طويس فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين (الصفين) وغنى

---

(٧) العقيق الوادي الذي شقه السيل قديماً وهو في بلاد العرب عدة مواضع منها العقيق الاعلى عند المدينة المنورة مما يلي الحرة الى منتهى البقيع ومنها العقيق الأسفل وهو أسفل من ذلك ومنها العقيق الذي يجري ماؤه من غوري تهامة وأوسطه بحذاء ذات عرق قل بعضهم ويتصل بعقيق المدينة وهو وادي ذكره الشافعي فقال لو أهلوا من العقيق كان أحب الي (٨) الضبع الكتف أو العضد أو وسطها

ما بال أهلك يا رَبابُ خُزْراً[٩] كأنهم غضابُ ؟!

فصفق أبان بيديه ثم قام من مجلسه فاحتضنه وقبّله بين عينيه وقال يلومونني على طويس . . . ثم قال لهُ من أسنّ أنا أو أنت قال وعيشك لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى إبيك الطيب اه — أقول — وقد ولد طويس يوم مات رسول الله وفُطم يوم مات أبو بكر وبلغ الحلم يوم قُتل عمر وتزوج يوم اغتيل عثمن وَوَلد يوم قتل عليّ ولذلك ضربت العرب بهِ المثل في الشؤم فقالت (أشأم من طويس) وهو أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق وأول صوت غنى بهِ

قد براني الشوق حتى كدت من شوقي أذوب

ولما حجّ معاوية بن أبي سفيان وبيده صولجان الملك نزل المدينة المنورة لزيارة رسول الله وصحابته فمر ليلة بدار عبد الله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول أستغفر الله أستغفر الله !! فلما انصرف من آخر الليلة مرّ بداره أيضاً فإذا عبد الله بن جعفر قائم يصلي فوقف ليستمع قراءته فقال الحمد لله ثم نهض وهو يتلو الآية « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » !! فلمّا بلغ ابن جعفر ذلك أعدّ لهُ طعاماً ودعاه إلى منزله وأحضر ابن صيّاد المغني ثم تقدّم إليهِ « أي أمرهُ » يقول إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام فحرّك أوتارك وغنِّ فلما وضع معاوية يده في الطعام حرّك ابن صيّاد أوتاره وغنى بشعر عديّ بن زيد وكان معاوية يعجب به

يالُبَينَى أوقدي النارا إن من تَهوَين قد جارا
ربّ نارٍ بتّ أرمقها[١٠] تقضم الهندي[١١] والغارا
ولها ظبيٌ يؤججها عاقد في الخصر زنارا[١٢]

قال فأعجب معاوية غناؤهُ حتى قبض يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الأرض طرباً فقال لهُ عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين إنما هو مختار الشعر يركب عليهِ مختار الالحان فهل ترى بهِ بأساً قال لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان

وقد حضر حسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ ﻫ في عهد معاوية الأول مأدبة لرجل

(٩) خزر بضم فسكون جمع خزراء للانثى أو أخزر للمذكر من النظر بمؤخر العين (بسكون الهمزة وفتح الخاء) فيضيق الجفن وهذا النظر لازدراء او استنكار كما هنا أو لتحديد النظر ليرى الانسان اكثر (١٠) أرمقها ألحظها لحظاً خفيفاً أو أطيل النظر اليها (١١) تقضم تكسر وتقطع. والهندي السيف (١٢) زناراً بضم الزاي وفتح النون المشددة ما يشد على الوسط وتراه حتى الآن على أوساط القساوسة والراهبات فوق الملابس وعقدته فوق الخصر

من الأنصار بالمدينة المنورة وقد كف بصره (وكان كفه فى آخر عمره) ومعهُ ابنه عبد الرحمن فكلما قُدّم شيء من الطعام قال حسان لابنه عبد الرحمن أطعامُ يد أم طعام يدين؟ فيقول لهُ طعام يدٍ حتى قدّم الشواء فقال لهُ هذا طعام يدين فقبض الشيخ يده فلما رفع الطعام اندفعت قينة تغنى لهم بشعر حسان فى آل غسان مما قالهُ فى الجاهلية

انظر خليلى بباب جلق هل تبصر دون البلقاء[13] من أحد
جمال شعثاء[14] إذ هبطن من المحبس[15] دون الكثبان فالسند

قال فجعل حسان يبكى وعبد الرحمن يومئ إلى القينة أن تردده قال الأصمعى راوية الأدب عن العرب لا أدرى ما الذى أعجب عبد الرحمن من بكاء أبيه اهـ أقول لم يكن إيماء عبد الرحمن إلى القينة أن تردد الغناء بالبيتين إعجاباً بكثرة بكاء أبيه كما وهم الأصمعى إذ لا وجه للعجب فما كان عبد الرحمن بالعاقّ أباه ولا ساخراً منهُ ولا مازحاً ولاذا غفلة ولكنهُ أراد أن يروّح عن والده بالبكاء لأن حسان بن ثابت كان قد برّح به الحزن على آل غسان وما فتيء ذكرهم فى باله وحبهم فى فؤاده لأنهُ كان شاعرهم فى صباه والحكم فى أموالهم والمقرب منهم فى جلق «دمشق» حاضرة ملكهم وما أكثر منادمتهم إياهُ كما يستفاد ذلك كله من الرجوع إلى ديوانه وفى استعادة البيتين انظر خليلى بباب جلق الخ إهاجة للذكرى . وهى محمودة العاقبة وإن أبكت

والدمع مروحة الحزين وراحة المتململ

وهذا عبد الله بن عباس كان اذا آلمتهُ مصيبة دخل حجرة فيغلق بابها عليه ويبكى ولا أحد معه ثم ينشد بيتى ذى الرمة الشاعر الأموى

خليلىّ عوجا[16] من صدور الرواحل[17] بجمهور حُزوى[18] فابكيا فى المنازل
لعلّ انحدار الدمع يُعقب راحةً من الوجد أو يشفى نجىّ البلابل[19]

ويقول رضى الله عنهُ قاتل الله ذا الرمة ما كان أعلمهُ بدواء المحزون! ثم يخرج من الحجرة وقد جفّت دموعه فيذهب إلى حيث شاء لما شاء

عبد الرحيم محمود
المدرس فى السعيدية الثانوية بالجيزة

---

(١٣) بلقاء مدينة فى الشام بفتح الباء وسكون اللام قريبة من دمشق (١٤) شعثاء اسم امرأة (١٥) المحبس مكان (١٦) عوجا أقيما (١٧) الرواحل المراكب من الابل ذكوراً كانت أو اناثاً والمفرد راحلة (١٨) حزوى بالضم اسم لجمة من لجم الدهناء وهى رملة لها جمهور عظيم تعلو تلك الجماهير والجمهور هنا بضم الجيم بمعنى الرملة المشرفة على ما حولها والمعنى يا خليلى أقيما برملة الدهناء المعروفة بجمهور حزوى (١٩) البلابل هنا الهموم والمفرد البلبلة والبلبال بفتح البائين ونجيها كثيرها المتزايد

جزائر صناعية ضخمة في المحيط

لنزول الطيارات وقيامها

لقد ثبت من طيران الكوك وبرون ولندبرغ وتشمبرلين وبرد ومن سار في أثرهم من الشجعان ان اجتياز المحيط الاتلنتيكي بالطيارة امر مستطاع اذا كان الجوّ مصافياً للطائر كما انهُ حافل بالمخاطر اذا كان الجوّ مضطرباً والعواصف ثائرة والبحر قائماً قاعداً

ولكن الطيران التجاري لا يتقدم الاّ اذا استطاع القائمون بهِ ان يجنوا ربحاً مهما يكن قليلاً منهُ . فالركاب هم الذين يقومون بنفقات الخط الجويّ لا ماتحملهُ الطيارة من البنزين. فاذا كان اعتمادنا على الركاب لتسديد نفقات الطيران وجني بعض الربح وجب ان نستنبط طريقة نقلل بها ما تحملهُ الطيارة من البنزين الى أقل حدّ مستطاع حتى نتمكن من زيادة عدد الركاب . وتقليل البنزين يتم اذا قطعت المسافة بين اوربا واميركا في عدة مراحل ، بدلاً من محاولة اجتيازها في مرحلة واحدة . لانهُ اذا حاولنا اجتيازها في مرحلة واحدة وجب ان نحمل في الطيارة بنزيناً كافياً لهذه المسافة الطويلة فيتعذر حينئذ نقل الركاب

لذلك اقترح طائفة من المهندسين ان يبنوا في المحيط بين اميركا واوربا جزائر صناعية تنزل عليها الطيارات لتتمون بالبنزين ثم تستأنف طيرانها الى الجزيرة التالية

وواضح ان انشاء هذه الجزائر حتى تفي بالمرام من أعقد المشاكل التي تحول دون انتظام الطيران التجاري بين اميركا واوربا لانها يجب ان تكون ضخمة متسعة حتى تستطيع الطيارات ان تنزل على سطحها وان تحتوي على اسباب الراحة والرفاهة الحديثة لكي يأوي اليها الركاب . والصعوبة الكبرى في انشائها هي بناؤها حتى تقوم بهذا العمل قياماً منتظماً في أشدّ العواصف التي تثور فوق عباب المحيط فتقيمهُ وتقعدهُ

وقد ظلت الرسوم التي يعرضها المشتغلون بهذا الموضوع أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة حتى قام مؤخراً مهندس اميركي يدعى ادرود ارمسترنغ فوضع تصميماً لجزائر تفي بهذا الغرض وكاد ينجز تأليف شركة مالية لبنائها واقامتها في الاتلنتيكي على مسافة ٤٠٠ ميل بين الجزيرة والاخرى . فاذا فاز في ذلك تمَّ بناء هذه الجزائر سنة ١٩٣٠ فتنتظم حينئذ خطوط الطيران بين اميركا واوربا

كان المستر ارمسترنغ مستشاراً هندسيًّا لاحدى الشركات الاميركية فدُعي ذات يوم
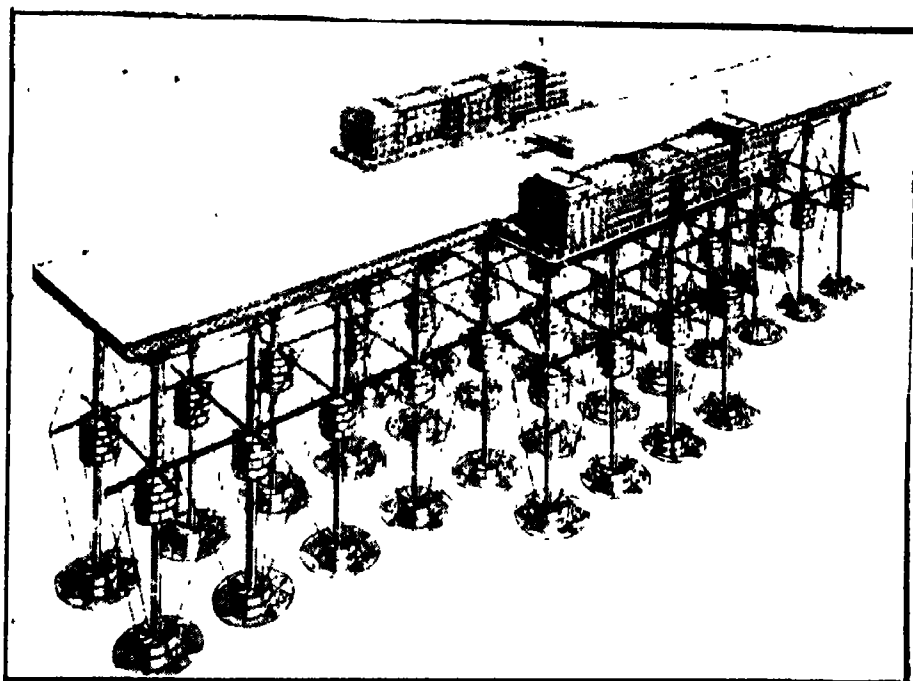
رسم المطار والنزلان على جانبيه
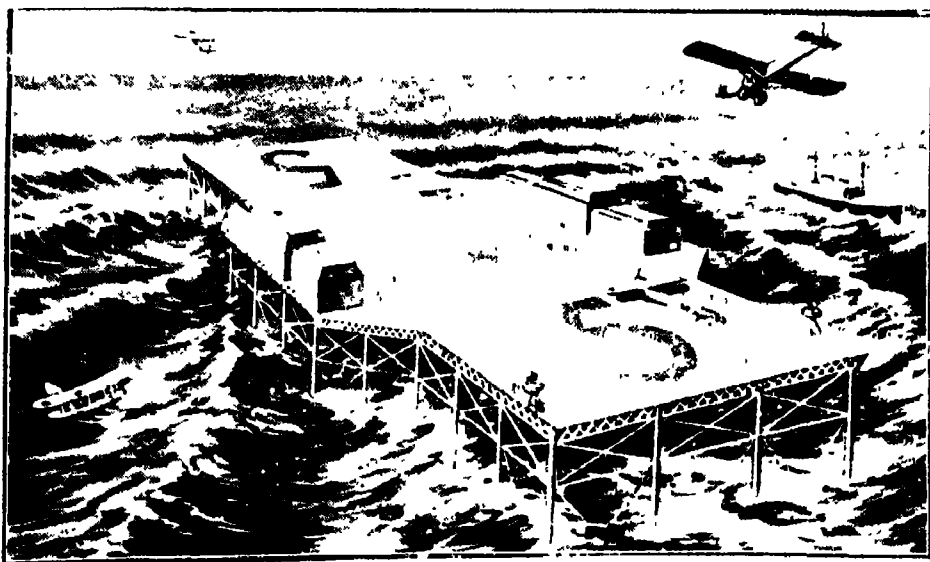
رسمه كما يكون في الماء والطيارات محوّمة حوله وحاطة على سطحه

لبناء معمل طاف لاستخراج عنصر البروم من ماء البحر . فكان انهماكهُ في هذا العمل الكبير منبهاً لفكرهِ الى الاهتمام بخاطر قديم كان قد خطر لهُ وهو بناء جزائر صناعية في الاتلنتيكي تستعمل كل جزيرة منها محطاً للطيارات . ولكنهُ لم يتفرغ لمسألة المطير البحري ومقتضياتها الهندسية الا سنة ١٩٢٦ فبنى مثالاً مصغراً له . ولكن الفكرة بقيت موضع نظر حتى فاز لندبرغ سنة ١٩٢٧ باجتياز الاتلنتيكي فبنى حينئذٍ مثالاً جديداً وقرّر مع بعض المتمولين الذين يشدون ازره ان يبنوا مطيراً كبيراً يوضع على ٤٠٠ ميل من نيويورك لكي يمتحن في اشد الاحوال الجوية والبحرية اضطراباً

وقد عني المستر ارمسترنغ منذ البدء ببناء المطير حتى لا تفعل بهِ امواج المحيط عند طغيانها فلا تزيحهُ ولا تقلقلهُ . ففاز بذلك لانهُ بنى مطيرهُ على المبدإ العلمي القائل ان اكبر الامواج التي تثور في المحيط الاتلنتيكي لا يزيد ارتفاعها على ٤٢ قدماً وان البحر متى ثار ثائرهُ لا تضطرب اعماقهُ مطلقاً تحت مستوى معين . فقال المهندس اذا بنينا هيكلاً قائماً على اعمدة ارتفاع سطحهِ عن سطح البحر ٤٥ قدماً او اكثر وعمق مركز الثقل فيهِ تحت المستوى الذي يضطرب فوقهُ ماء البحر حين هياجهِ ، تمكنا من صنع مطير طاف لا يؤثر فيهِ اضطراب البحر ولا العواصف الهوجاء

وفي الحال بدأ يمتحن فكرهُ هذا . فبنى امثلة مصغرة للمطير ووضعها في حوض كبير من الماء ثم بنى مثالاً مصغراً لاضخم البواخر المعروفة على النسبة ذاتها ووضعها في الحوض ايضاً . ثم احدث في الحوض امواجاً نسبتها الى المثالين المصغرين نسبة امواج ارتفاعها ١٤٢ قدماً الى المطير والباخرة في حجمهما الحقيقي . فلم تقلقل الامواج مثال المطير مع انها عبثت بمثال الباخرة حتى كادت تقلبها . فثبت من ذلك ان بناء المطير على اعمدة ترتفع فوق اعلى الامواج وتهبط حتى تبعد عن مستوى اضطرابها يجعله في مأمن من طغيانها والمنتظر ان يكون سطح هذا المطير ٩٠٠ قدم طولاً و ٢٤٠ قدماً عرضاً وثقلهُ نحو ٥٠ الف طن ونفقاتهُ نحو ٣٠٠ الف جنيه . ويبنى على جانبيهِ من وسطهِ نزلان كبيران يحتويان على أحدث وسائل الراحة والرفاهة لنزول المسافرين وفيهما متسع لمائتين وخمسين مسافراً عدا الموظفين الذين يجعلون مقامهم هناك وعددهم لا يقل عن ١٥٠ موظفاً . وسيبنى تحت السطح الاعلى سطح آخر يستعمل لاصلاح كل ما يلزم اصلاحهُ في الطيارات

ويرى المهندسون ان التفاصيل التي أعدها المستر ارمسترنغ لتحقيق فكرتهِ لا غبار عليها من الوجهة العملية ولذلك ننتظر الاخبار عن امتحان مطيرهِ الاول بفارغ صبر

التجسس والجواسيس

صفحة مطوية من مقدمات الحرب الكبرى

لوليم لوكيو

[ولد وليم لوكيو في لندن سنة ١٨٦٤ من اب فرنسيّ وامٍّ انكليزية وتوفي في السنة الماضية . قضى معظم حياتهِ في مزاولة الصحافة وكتابة القصص . (لهُ ما ينيف على ١٣٠ قصة ومنها قصة « رسبوتين الراهب المحتال » التي ترجمها كاتب هذه السطور وعنيت بطبعها مكتبة العرب) وكان جواب آفاق وعبر اسفار كانهُ هو المعني بقول ابن زريق البغداديّ :—

« ما آب من سفرٍ الأَ وأزعجهُ عزمٍ الى سفرٍ بالرغم يزمعهُ
كأنما هو في حلٍّ ومرتحلٍ موكّلٌ بفضاء الله يذرعهُ »

فقد شخص الى فرنسا والمانيا وايطاليا ماشياً وسافر الى شرق اوربا وشمال افريقية وجوّل في روسيا وسيبيريا وزار مصر والسودان. وفي اول عهدهِ بالصحافة تعيّن مكاتباً خارجيًّا خصوصاً لجريدة التيمس . ومكاتباً لجريدة الديلي ميل في عدة عواصم ومكاتباً حربيًّا لها في حرب البلقان . وهو مشهور لدى قرّاء اللغة الانكليزية . ومعروف بانهُ أوتي علاوة على ذلك قوة خارقة في الزكن والفراسة وتسقّط الاخبار وكشف الخفيّ المستور وانتزاع الاسرار من اعماق الصدور . فاحاط علماً بما عند الدول من المنابآت (المخابرات) السرية ، على رغم مبالغتها في التكتم .وكثيراً ما كانت حكومة انكلترة تستشيرهُ في هذه الامور . ولشدة تضلّعهِ من معرفة هذه الخفايا كان اول من سبق فانذر بوقوع الحرب الكبرى كما يتضح من مقالتهِ الآتية]

* * *

أدّعي ولا يصعب عليَّ تأييد دعواي باني اوّل من انذر بريطانيا العظمى بانَّ امبراطور المانيا يكيد لها في الخفاءِ ليصليها حرباً زبوناً تشيب لهولها الاطفال

فمنذ سنة ١٩٠٥ علمتُ ان ادارة التجسّس في المانيا بثّت في انكلترة ومستعمراتها جيشاً من العيون والأرصاد. وهذا السرّ وقفتُ عليهِ من صديق لي في برلين كان حينئذٍ

مساعداً لمدير مكتب التجسُّس القيصريّ. وكان قد تزوج سيدة انكليزية ظن جميع معارفه واصدقائه انها المانية

ولما رجعتُ من المانيا الى لندن شرعتُ من فوري في تنبيه الرأي العامّ الى هذا الخطر المظيم. ولكن لسوء الحظ ذهب انذاري صرخةً في واد ونفخةً في رماد. جواسيس! ولماذا تروم المانيا تجسس أخبارنا؟ أو لسنا معها على ما يرام من حيث الرفاه والوئام، أولم يصرّح قيصرها للورد هالدن بان السلم ضالتهُ المنشودة؟ لا. ليس لهين الرقباء والجواسيس من اثر الا في مخيلة وليم لوكو القصصيّ!

بهذه العبارات وامثالها قابل الجمهور إنذاري وضربوا بهِ عرض الحائط. والصحف كلها رفضت مقالاتي التي طلبت نشرها. وكان عذر اصحابها انهم لا يرومون إلقاء الذعر في قلوب القرّاء بلا أقلّ مسوّغ

فذهبتُ الى صديقي اللورد روبرتس واطلعتهُ على ما علمتهُ. فاعارني اذناً صاغية وقال لي انهُ مثلي موجس خوفاً شديداً من مقاصد المانيا. ثم جمعتهُ باللورد نورثكلف وبحثنا نحن الثلاثة بحثاً مليًّا في هذا الخطر الواقف لنا بالمرصاد

وأفضيت بسرّي الى الكولونل لوكود العضو في مجلس النواب — وهو الآن لورد لبورن. ولما اقتنع بصحة كلامي عرض الامر على المجلس فقوبل كلامهُ بالهزء والازدراء. وقيل لهُ ان الجواسيس من مخترعات الاوهام المنيخة على صدر وليم لوكو!

ولقيت البرنس لويس اوف باتنبرغ واللورد تشارلس برسفورد واطلعتهما على ما عندي من الادلة التي انفقت من مالي على جمعها. فوافقاني كلاهما على وجود خطر كبير ينذر بشرّ مستطير

وكانت ادارة المنابآت [قلم المخابرات] في كلّ من وزارتي البحرية والحربية على غير ما يرام من الضبط والاحكام. وادارة سكتلند يارد [البوليس السريّ] قاصرة اهتمامها على الارلنديين الثائرين والسياسيين المشاغبين، وناظرة الى مسألة الجواسيس بين الاحتقار والاستخفاف. وعلى هذا المنوال كانت اعظم امبراطورية في العالم تملى ارتشاف شراب مسكن، تديرهُ عليها الصحافة المصافية لالمانيا وتحكم عليّ وعلى اللورد روبرتس واللورد نورثكلف بالعتهِ والوسوسة

فزرت صديقي القديم المستر طمسن صاحب جريدة «دندي كورير» وعدة جرائد أخرى واسعة الانتشار في سكوتلند وانكلترة وبحت لهُ بمكنونات صدري. وبعد البحث

والتأمل ارتأى ان انشر في هذا الموضوع مقالات متوالية مبنيَّة على ما عندي من الحقائق المؤيدة بالادلة والبراهين . فدبجتُ اول قصة كُتِبَتْ عن الجواسيس بعنوان « جواسيس القيصر » . ونشرها المستر طمسن في « الاخبار الاسبوعية » التي هي من اوسع الصحف انتشاراً . ثم طبعت بعد ذلك على حدة . ولما سقط الغشاءُ عن عيون الجمهور شرع كثيرون من الكُتَّاب يقتدون بي وينشرون مقالات بمعنى ما كتبتهُ فاصابوا بذلك ربحاً جزيلاً

ولكن الحكومة ظلت غير راضية عن اقدامي على هـذا العمل ولم تستصوب اطلاع الشعب على حقيقة الواقع . فان اصابع التجسّس في المانيا كانت ممتدَّة الى كلّ جهة من جهات بريطانيا العظمى تنشب فيها اظفارها وتتسقَّط أخبارها وتمزّق عن اسرارها أستارها وكنت قد اصبحت معروفاً عندها ومستهدفاً لخطر ايقاعها بي لدى سنوح اول فرصة

زرتُ بعد ذلك اللورد روبرتس وقلتُ لهُ :

« لقد بذلتُ كل ما استطيعهُ ولكنَّ الذين يهمهم الامر لا يبرحون يعيرون كلامي اذناً صماء وينظرون الى إنذاري بعين الاستهزاء وقد أسرفوا في تهكمهم عليَّ وكدتُ أعد مجنوناً وفي هـذا ما فيهِ من العبث بشهرتي ككاتب . واني مضطرّ كغيري من الكتبة الى التماس عيشي من شقّ القصبة ! » فمدَّ يدهُ نحوي واجابني بلهجة الاب الحنون

« ياعزيزي لوكو . اني أنا ايضاً معدود مجنوناً لاني بعد خدمة اربعين سنة في الهند جئت الى لندن وتجاسرت ان اقول لانكلترة انها غير مستعدة للحرب . ولست اجهل خوفك على ضياع شهرتك ان واصلت المسير في هذا السبيل . ولكن قف بجانبي — اتبعني فانا وتشارلس برسفورد نتجدك من كل وجه . وسنحاول إقناع الذين لا يهمهم سوى جمع المال بالخطر العظيم المحدق بهم »

فقبضتُ يدهُ الممدودة وهززتها موافقاً على ما قالهُ لي

ثم تعين اللورد روبرتس قائداً عاماً للجيش البريطاني . وكان اول شيءٍ فعله أنهُ أنشأ لجنة شحنة او شرطة (بوليس) سريَّة ، مستقلّة استقلالاً تاماً عن ادارة سكتلند يارد الرسمية . وقد تألف اعضاؤها بالتطوّع الاختياري . وكنتُ انا واحداً منهم . هؤلاءِ الاعضاء تطوّعوا لخدمة الوطن وتبرَّع كلٌّ منهم بالإنفاقِ على نفسهِ من مالهِ وشرعوا يطوفون في المانيا وغيرها يتسقطون من الاخبار ما تنتفع بهِ حكومة بلادهم عند الحاجة . إما انا فتعين لي التجول في ايطاليا والشرق الادنى . ثم وسعتُ نطاق اسفاري فشمل روسيا والمانيا والنمسا . وكنتُ من وقتٍ الى آخر اعود الى لندن واطلع اللورد روبرتس

على ما عندي من الانباء السرية فيزداد اقتناعاً بان امبراطور المانيا يتأهب للحرب تأهباً بطيئاً ولكنهُ ثابت اكيد

وعلى حين غفلة جاءتني بطاقة ، بطريقة خفية ، من صديقي الالماني — يسألني فيها هل يمكنني ان اوافيهُ الى سويسرى لانهُ يروم ان يجدد علاقات المعروف والصداقة وعين لي وقت وجوده في زوريخ . فعلمت انهُ يبتغي ان يفضي اليَّ بامر ذي شأن . ومن فوري ذهبت الى فندق دولدر في زوريخ حيث لقيتهُ وتسلمت منهُ صكاً رجعت بهِ الى لندن فأثارت محتوياتهُ اهتماماً عظيماً في بعض الاندية والمجالس . لانهُ تضمن تفصيلاً مدققاً لوقائع مجلس سريٍّ انعقد منذ شهر في بوتسدام برآسة الامبراطور وحضور اخيهِ الامير هنري ونواب الامبراطورية الالمانية وقادة الجيش والبحرية وبينهم صديقي المشار اليهِ

في هذا المجلس السريّ بدا القيصر في حلتهِ البحرية الرسمية مصفرّ الوجه ثابت العزم متهيج الاعصاب والقى خطبة استغرقت ساعتين او اكثر ، موضحاً كلامهُ بكثير من الخرائط والرسوم والاشكال الهندسية ونماذج الاسطول الهوائيّ والمدافع الضخمة البعيدة المرمى وغيرها مما يراد استخدامهُ في الحرب القادمة

وكان صوتهُ بادىء ذي بدء خافتاً خفيًّا وعلى وجههِ سمات الشحوب والنفور ولكن كلماتهِ كانت واضحة فلم يصعب استيعاؤها واستيعاب معناها وفيها جاهر علانية بانهُ عقد عزمهُ على خوض غمار الوغى

خطبة الامبراطور غليوم

قال الامبراطور :

« دعوتكم الليلة الى هذا الاجتماع اطاعة للامر الالهي فان الله القادر على كل شيء كان على الدوام حليفاً كبيراً ونصيراً قديراً لبيت هوهنزلرن . ومنهُ عزَّ وجلَّ استمدُّ كما استمدَّ اسلافي العظام —الالهام والارشاد عند استحكام حلقات الازمات والشدائد. وبعد ما قضيت عدة ساعات في الضراعة والابتهال اشرق عليَّ نور من السماء ساطع الضياء لم يبقِ حولي اثراً للظلماء . وانتم يا مستشاريّ واصدقائي، الذين لا يخفى عليهم شيء من اموري ، تعلمون اني منذ تبوّأت العرش بذلت جهدي في توطيد السلام العامّ وتوثيق عرى الصداقة مع جميع امم العالم . ولم اجهل ان الخطة التي انتهجتها لم تقع دائماً عندكم موقع الرضى والاستحسان. وطالما وددتم لو اني استخدم كفاً مصفحة بالحديد بدل القفاز الحريري الذي اخترتُ استعمالهُ في اثناء المفاوضات الجارية بيني وبين

بعض الامم الاخرى . وكنتُ ارتمض جدّ الارتماض عندما ارى مقاصدي الحسنى يُساء فهمها وتحمل على غير محملها وينعكس الغرض المراد منها . لكنني تلقيت سهام الانتقادات التي صوّبها الجمهور اليّ بدرع الصبر وسعة الصدر ، لثقتي الاكيدة باني مسؤول عن اعمالي لله فقط . ولم انفكّ مواظباً على اتمام ما اعدّهُ واجباً مقدساً عليَّ للوطن المحبوب . ولكوني بملء الإخلاص احتفظ بتقاليد بروسيا وبيت هوهنزلرن ارى ان اعظم ضمان للسلم انما هو إعداد جيش كبير واسطول قويٍ . ولشدّة رغبتنا في تأييد السلام أضطررنا ان نجاري جيراننا في المباراة على زيادة التسليح حتى بلغنا اقصى حدوده او كدنا نبلغها

« وبتنا الآن واقفين في اشدّ ازمة عرضت لنا في تاريخ امبراطوريتنا الجديدة . فان ثقل المكوس والضرائب امسى فادحاً يبهظ الظهور وغلاء نفقات المعيشة بات فاحشاً يحرج الصدور ويستفزّ العامة على المناداة بالويل والثبور . وقد يتسع نطاق التبرم من سوء الحالة الحاضرة حتى يتناول اهل الطبقتين الوسطى والعليا الذين هم عماد الدولة وحجر زاويتها . وشرٌّ من هذا وذاك توافر الادلة على تفشي داء التذمر بين الجيوش والسعي في تأليف جمعية سرية لبثّ روح كراهة التجنيد بين العساكر والبحارة وحملهم على التمرُّد والعصيان

« وهذا السعي غير محصور في بلادنا بل لهُ اثر كبير في اكثر البلدان الاوربية . فكيف يمكن تدارك الخطب قبل تفاقمهِ واستفحالهِ ؟ والجواب عن هذا السؤال كان موضوع عنايتي واهتمامي في الاشهر الاخيرة . فالموقف حرج جدًّا ولكن لا يليق بنا ان نجعل للجزع واليأس سبيلاً الى قلوبنا . لانّ الله حليفنا الاعظم قد جعل في أيدينا وسائل انقاذ الامبراطورية من الاخطار التي تهدّدها

« ومرادي بوسائل الانقاذ ذلك الاختراع العظيم الذي وفَّق الله الكونت تسبلن اليهِ لوقاية وطننا المحبوب والدفاع عنهُ . اجل ! بهذا الاختراع مهد الله لي السبيل لكي انتشل المانيا من وهدة الخطر واقودها الى ساحة الفوز والظفر ، مصداقاً لقول شاعرنا : — المانيا المانيا فوق الجميع ! . نعم ايها السادة الاجلاء . المانيا فوق كل شيء في العالم واعظم قوة على الارض في السلم والحرب

« هذا حكمي الذي لا سبيل الى نقضهِ . ونحن ، بفضل مناطدنا (بلوناتنا) وطياراتنا ومدافعنا البعيدة المرمى ، اصحاب الحول والطول وفي استطاعتنا ان نصلي اعداءنا حرباً عواناً تشيب الولدان وتقشعرّ لهولها الابدان

« وسنشرع في شنّ هذه الغارة الشعواء عندما احرز اسطولاً كبيراً من مناطد تسبلن

حينئذٍ نحمل بهِ على اساطيل انكلترة وندمّرها فيخلو لنا الجوّ لنقل جيوشنا الى السواحل البريطانية والزحف بها الى لندن والاستيلاء على اكبر عواصم العالم

« ولعلكم ترومون ان تعرفوا كيف يتمّ شهر الحرب او ماذا تذرّع لشبّ نارها وخوض غمارها فاقول انهُ لن يصعب علينا انتحال الاسباب او تمحلها لان لي جيشاً لجباً من الجواسيس المتفرقين تحت كل كوكب — في بريطانيا العظمى وفرنسا واميركا الشمالية والجنوبية وسائر انحاء العالم ، حيث لالمانيا مصالح تتعرّض ، بسعي اولئك الجواسيس ، للاصطدام والاحتكاك بدولة اخرى . ومنذ وقت غير بعيد اصدرتُ بعض الاوامر السرية بهذا الصدد ليتمّ كلُّ شيء طبق المراد ! »

فعرضتُ هذا الصكّ على اللورد روبرتس واريتهُ للورد تشارلس برسفورد واللورد نورثكلف وامير البحر هـ . و . «ولكن» وبعض كبار القادة والضباط . ولما عرض على مجلس الوزراء نظروا اليهِ بعين الازدراء . ولكن بعد ستّ سنوات نفذ القيصر هذا البرنامج بحرفهِ وكاد يدرك الغرض الذي وضعهُ لاجلهِ

ولما اعطاني صديقي الالماني صورة خطبة القيصر هذه قال لي : —

« ان الحرب واقعة لا محالة وهي قاب قوسين او ادنى . اما انا فمع كوني المانيًا أكره الحرب لاعتقادي انها مجلبة الخراب والدمار على الغالب والمغلوب على حدّ سواء . فعلى اصدقائك والحالة هذه ان يكونوا على حذر ويعلموا ان وراء الاكمة ما وراءها . وبناء عليهِ اعطيتك صورة الخطبة وهي طبق الاصل في كل كلمة نطق بها صاحب الجلالة . ولي الثقة التامة بان اسمي يظلّ محفوظاً عندك في طيّ الكتمان كواحد من الاسرار التي لا يباح بها لانسان »

وعلى هذا عاهدتهُ وظل سرُّ اسمهِ مودعاً اعماق صدري

قلتُ ان هذه الخطبة ، لما جئت بصورتها إلى لندن احدثت إهتماماً عظيماً عند الذين اطلعوا عليها . ولا يخفى ان بعض الوزراء شكوا في صحتها . وبذل جميع الموظفين في سكتلنديارد (البوليس السري) جهدهم في تفنيدها

واخبرتُ عدداً ليس بقليل من الذين يعنون بطبع الكتب ونشرها اني عازم على تأليف كتاب اميط فيهِ حجاب الخفاء عن مقاصد القيصر الحربية . فثبّطوا كلهم عزمي قائلين ان كتاباً كهذا لن يلقى اقلّ رواج عند القرّاء

وبطريقة لا اعلمها تمكّنت الحكومة الالمانية من معرفة حصولي على صورة خطبة

القيصر السرية ونشأ عن ذلك اغربُ حادثةٍ . ففي شهر سبتمبر ١٩٠٩ عزمت على نشر كتاب أُبيّن فيهِ بالادلة البالغة تعمد المانيا اضرام نار الحرب . فزرت المستر ناش في مكتبهِ وعرضتُ عليهِ فصول الكتاب الاولية ومعها صورة الخطبة السرية . وبحضوري وضعها كلها في درج مائدة الكتّاب واقفلهُ . وبعد يومين فتح الدرج واذا بالفصول وصورة الخطبة مسروقة منهُ ! وهذه السرقة لم يقدم عليها الاّ جواسيس المانيا في لندن. وبعد بضعة ايام علمت ان هذه الفصول وصورة الخطبة باتت في سجلات إدارة الشحنة السرية في برلين ولحسن الحظ كان عندي صورة اخرى من الخطبة لم انشرها الاّ بعد نشوب الحرب

وحدث بعد ذلك اني زرتُ اللورد روبرتس واليأس مالىءٌ قلبي واخبرتهُ بانَّ جميع مساعيَّ ذهبت ادراج الرياح ولم تقترن قطّ بشيء من النجاح . ومعظم الذين كلمتهم في هذا الموضوع الخطير سخروا مني وعدّوني رجلاً مصاباً بعقلهِ. وقلتُ لهُ اني قصصيٌّ . فسأقتصر على تعاطي مهنتي هذه واهتم بكتابة القصص لا غير

فقال لي الفيلد مارشال :

« اذا كان الناس يفضلون مطالعة القصص الوهمية الخرافية على مطالعة الاشياء الحقيقية فلماذا لا تدمج في القصة الموضوعة وصف ما يحدث اذا شبت حرب كبيرة وهاجم الاعداء بريطانيا العظمى ؟ »

فاجبتهُ اني لستُ رجلاً عسكريًّا واخاف ان ارتكب في قصة كهذه كثيراً من الغلطات الفنية فقال :

« اني مثلك يهمني جدًّا ان احمي ذمار الوطن واذود عن سلامتهِ . فإن بنيتَ قصتك على هذا الموضوع فانا ارسم لك خطة الهجوم والدفاع وما يتعلق بهما »

ولما سألتهُ : — «من ينفق على طبعها ؟ » اجاب : —

« عليك باللورد نورثكلف »

فذهبت اليهِ في اليوم التالي وعرضت عليهِ رأي اللورد روبرتس فاستصوبهُ وفوّض اليّ تأليف هذه القصة ليدرجها في جريدتهِ « الديلي ميل » واعداً بدفع النفقات وبجائزة كبيرة لي

ومن فوري شمرت عن ساعد الجد والاجتهاد وقضيت اربعة اشهر في التأهب والاستعداد لهذا الامر الخطير . فطفت في سواحل انكلترة وشواطىء البحار وبمساعدة الفيلدمارشال روبرتس وغيرهِ من كبار القادة والضباط وضعت ما تمس الحاجة اليهِ من

الخرائط والرسوم والاشكال وانفقت في هـذا السبيل اربعة آلاف جنيه دفعها اللورد نورثكلف بملء الارتياح . ثم شرعت في تأليف القصة

وكان تأليفها عملاً شاقاً الى الغاية ، استغرق وقتاً طويلاً وكلفني عرق القربة . وعلاوة على مشقة التأليف ووعورة مسالكه اعترضتني عقبة كؤود لم يدر قط في خلدي انها تتصدّى لي

فبعد ما قضيت سنة في تأليفها وطالعها اللورد روبرتس بتدبّر وترو لامزيد عليهما وأصلح ما عثر عليه فيها من الغلطات ، ظهرت في صباح يوم — سوف يبقى مأثوراً مذكوراً — صحف التيمس والديلي تلغراف والديلي ميل والمورنن بوست والديلي كرونيكل وكثير من صحف الاقاليم والمديريات وفي الصفحة الاولى من كلّ منها خريطة انكلترة ، مدلولاً فيها على الاماكن المعرضة لغزو الجيش الالماني وغارته عليها والاشارة الى قصة « الغزوة » التي ستنشر تباعاً في جريدة الديلي ميل ابتداء من صباح اليوم التالي فختمت وزارة كمبل بانرمان بوجوب تفنيد كلّ ما اقوله في هذه القصة وتعريضه للهزء والازدراء

وبدأت حملة الوزارة عليّ بعد ظهر ذلك اليوم حين وجّه بعضهم سؤالاً الى رئيسها في مجلس النواب عن اعلانات الصحف السابق ذكرها . فاجاب السر هـ . كمبل بانرمان عن السؤال بانهُ رأى هذه الاعلانات ورماني بالعته والوسوسة ، عاداً عملي مدعاة الضرر ومجلبة الفساد وانهُ يراد بهِ هياج الخواطر في الخارج وازعاج البسطاء والجهلاء في الداخل

فكتبت اليهِ أسألهُ كيف ساغ لهُ ان ينتقد كتاباً لم يقرأهُ قط وباي حقّ يعدّ عامّة الشعب البريطاني الذين انتخبوه اجهل من جيرانهم في عبر المانش. وكان مرادي بهذا السؤال ان اسومهُ ولو شيئاً قليلاً من الحيرة والارتباك . ولكن خدع السياسة وشموذاتها بحر لا قرار لهُ . فقد بعث اليّ في اليوم التالي مع رسول مخصوص ببطاقة بخط يده يعتذر عمّا بدر منهُ امس في مجلس النواب ، بقولهِ انهُ اراد بالجهلاء اجهل طبقة بين العامّة ويأمل اني لا أحمل كل كلمة تضطرهُ السياسة الى قولها على محمل التعريض بي والاساءة اليّ وطلب ان ازورهُ في دونن ستريت في اول فرصة تسنح لي لىزيدني ايضاحاً !

وفي صباح اليوم التالي صدرت جريدة الديلي ميل وفيها الفصل الاول من قصة « الغزوة » . فاقبل القراء على مطالعتهِ اقبالاً يفوق الوصف وجميع الذين لقيتهم في الاندية او زرتهم في بيوتهم كانوا يتسابقون الى اطرائي وتهنئتي بالنجاح الباهر الذي احرزتهُ ملقبين اياي بالرجل الذي لم يخش في قول الحق لومة لائم

(البقية في الجزء التالي) ترجمة : اسعد خليل داغر

نظرة الى العام الماضي

١٩٢٨

بماذا يخلد في التاريخ ؟ بميثاق كلوج ام بكتاب برنارد شو ام بتقدم المخاطبات اللاسلكية ام بانتهاء الثورة في الصين ام بتهاوت المهل والمتمولين في ايطاليا على يد الحكومة ام بانتصارات الطيارين الباهرة

لاميل لدفج الكاتب الالماني الكبير

ملخصة بتصرف قليل عن مجلة السفير الانكليزية

كان الناس في العصور الغابرة ينسبون تفشي الاوبئة او ثوران البراكين الى غضب الآلهة. وما زالوا في هذا العصر ، عصر النور والعلم ، ينظرون الى ثوران بركان اتنا مثلاً وتدفق حممه المدمرة على شواطئ صقلية الجميلة ، نظرهم الى انذار خفي تخطه يد القدر ، لتحذير الانسان من العبث بانظمة الطبيعة وآيات الحضارة . فاذا كنا قد تعودنا ان ننظر هذا النظر الى كارثات الطبيعة حقَّ لنا ان نرى في الزلازل وثوران البراكين ونكبات البواخر التي حدثت في السنة الماضية اشارة بليغة تحذر الانسان من محاولة العبث بقوى الطبيعة واصلاء نيران الحرب وتدمير مآتي العمران

ميثاق كلوج

وقد انتهت السنة الماضية من غير نشوب حرب وهذه الحقيقة من اهم ما تذكر به. يضاف الى ذلك أن اميركا بعثت الى اوربا برسول محبة ووئام يحاول ان يبدع وسيلة لضمان السلام . فبعدما انقضت عشر سنوات على نشوب اعظم الحروب اجتمع ممثلو الدول الكبيرة والدول الصغيرة في باريس للتوقيع على ميثاق يحرّم الحرب . ومع ان هذا الميثاق ناقص نرى انهُ على الاقل اطار توضع فيهِ صورة . بل هو اشارة نبيلة ولا بدَّ لنا من الترحيب بهِ . لانهُ اذا وقفت امم الارض مرة اخرى موقفاً حرجاً في مأزق سياسي خطير وباتت على شفا حرب طاحنة ، وساعد هذا الميثاق على تحريك ضمائر الشعوب مذكراً رجال السياسة الثائرين اليائسين، بتلك اللحظة الرهيبة في ردهة الساعة في الكاي دورساي (وزارة خارجية فرنسا) كفى بميثاق كلوج فائدة وحقَّ لهُ ان يحسب اعظم عمل تمَّ في عام ١٩٢٨ لتوطيد اركان الطمأنينة والسلام

الصين جمهورية

ولا بدَّ من القول ان اعظم الحوادث الدولية في العام الماضي وقع في الصين . ففي تلك البلاد المترامية الاطراف التي يكاد الباحث يغرى باطلاق لفظة قارة عليها ، انتقل اربعمائة مليون من البشر من حالة اضطراب وفوضى الى ظل الوحدة الذي انتشر بعد انتصار الفريق الجنوبي وافتتاحه باكين عنوة . فبعد انقضاء عقد كامل من النزاع والنضال والثورة والقلق فاز رجال الجنوب ، الذين يتجهون في تفكيرهم اتجاهاً عصريًّا ، على ابناء الشمال الذين يتمسكون بالملكية ويستميتون في سبيلها . وهكذا اصبحت اقدم الممالك في التاريخ جمهورية وقضي فيها على سلطة الملوك

ولكن سلطان الطغاة لم ينقضِ بعد . فرئيس الجمهورية الصينية الجديد قائد حربي وعليهِ فالدولة الصينية في خطر من مطامع قائد اذا لبث في دست الرآسة اكثر مما يقتضيهِ دور الانتقال من العهد القديم المضطرب الى العهد الحديث المنتظم . وقد كتبت المواد الاساسية في دستور البلاد باحرف ضخمة على الاسوار التي تحيط بمدن الصين المقدسة . ولكن الباحث لا يسعهُ في هذا المقام ان ينظر الى انقلاب خطير كهذا الانقلاب من غير شعور بالحسرة والاسف على زوال عمران اقدم من عمران اوربا ولعلهُ أثمن وانفس . على ان عصرنا لا يعنى بنظم المراثي ، لان قوى عظيمة تتضافر على الرقي بهِ رقيًّا سريعاً وهي مستمدة من جماهير الامم ، فلا اقف هنا موقف المتحسر

المال والعمل في ايطاليا

ولما كانت جيوش الصينيين الجنوبية تتقدم الى الشمال لتحدق بباكين وتقضي على تنين الملكية فيها هبَّ طاغية ايطاليا للنزال مع تنين اجتماعي كاد يقوّض اركان الامم العصرية ، فوقف في ستة آلاف من رجال الصناعة يعلن لهم الخطة التي قرّر ان ينتهجها في ربط المتمولين والعمال برابطة التعاون فقال : « في النظام الفاشستي الاقتصادي لم يبقَ العمال مستخدمين لا يكافأون مكافأة وافية على اعمالهم . بل هم شركاء في العمل ومستواهم الاقتصادي والروحي يجب ان يرتفع . فاذا اشتدت الازمات كان من مصلحة العامل ان يقبل التخفيض في اجورهِ ولكن متى زالت الازمة صار من مصلحة المتمول ان يزيد اجور عمالهِ . على اننا في ايطاليا لا نستطيع ان نتبع فورد وندفع اجوراً عالية جدًّا للعمال . ولكن تخفيض الاجور كثيراً ضارٌّ أيضاً لان الصناعة تسيء الى نفسها اذا اضعفت مقدرة الجماهير على الشراء بتخفيض اجور العمال »

ولا نعلم الآن ما يبلغهُ موسوليني من النجاح في تطبيق اقوالهِ هذه على وقائع الحال ،

ذا افلح في التقريب بين المتمولين والعمال تقريباً اساسهُ التعاون كان عملهُ هذا أعظم
بدًا من كل المساعي التي يبذلها توسيع ايطاليا وتقوية أسطولها وجيشها لان اوربا لا
يهمها توسع امة من اممها قدر ما يهمها القضاء على « حرب الطبقات »

حرب الطبقات

واعضل مرض أصاب عمراننا الحاضر هو «حرب الطبقات» هذا .وعلاجهُ لم يوجد
لى الآن الاّ في عالم العلم والاستنباط . لانهُ كلما ازداد التناحر بين الطبقات على السيطرة
كثرت المستنبطات التي تغني عن عمل الانسان اليدوي وترخص الممتلكات وتزيد السرعة
ي توزيع البضائع وتعميمها . وهذا الطريق العلمي أصلح الطرق لتوزيع مقومات الرخاء
لبشري كما كان استنباط المطبعة خير سبيل لنشر الآراء والحقائق . وكما كانت
لكنوز الروحية والفكرية في العصور الوسطى في متناول الملوك والامراء والكهنة فقط
كذلك كانت وسائل الرفاهة والرخاء في القرن الماضي في متناول الاغنياء فقط .
فجاءت المطبعة ونشرت المعارف في كل انحاء الارض وكل طبقات الناس ثم جاءت المستنبطات
لحديثة فجملت الاغنياء ومتوسطي الحال سواءً في كل ما يلزم للعيش الهني والحياة الرغدة

المستنبطات والمكتشفات

وأكثر المستنبطات والمكتشفات العلمية في العام الماضي تمَّ على يد الاميركيين والالمان.
فالالماني اوبرث اشتغل سنة ١٩٢٣ بوضع القواعد العلمية لطيارات وسيارات تسير بقوة
الصواريخ المتفجرة وتناول هذا البحث نفسهُ الاستاذ غودرد الاميركيُّ مستقلاً عن
الباحث الالماني . على ان الالمان كانوا أسبق الى بناء سيّارة تسير بهذا المبدإ الجديد في
يونيو سنة ١٩٢٨ . وسواء فشلت التجربة الاولى او نجحت ، فاليوم الذي جرّب فيهِ
هذا النوع الجديد من السّيارات سيبقى خالداً في التاريخ لانهُ فاتحة عصر جديد في
وسائل الانتقال. اما متى يتم الطيران الى النجوم على ما يحلم بهِ المشتغلون بهذا البحث الخلاَّب
فلا يزال طيَّ الكتمان . ولنذكر ان نبوليون قال « لا أعرف كلمة المستحيل »

وفي الصيف الماضي نجح الطيّار الاسباني ده لاشيرفا بالطيران من لندن الى باريس
بطيارتهِ « الاوتوجيرو » التي ترتفع من الارض ارتفاعاً عموديًّا من غير ان تجري مسافة
طويلة كما تفعل الطيارات الآن . وتستطيع كذلك ان تنزل الى الارض نزولاً عموديًّا
من غير ان تحوّم فوق المطير ثم تقف حيث تحطُّ . وتلا ذلك في الخريف فوز البلون
الالماني غراف زبلين بالطيران من المانيا الى اميركا وعودتهُ منها . ونحن لا نقول ان
هذا البلون هو اول بلون اجتاز المسافة بين اوربا واميركا لان أحد الانكليز نجح في

ذلك منذ تسع سنوات . ولكنهُ اول بلون اجتاز هذه المسافة حاملاً في مركبتهِ الركاب وأكياس البريد . وشهرة الدكتور اكنر صانعهِ وربانهِ ، تقوم في رأيي على اعترافهِ بأن البلون « غراف زبلين » ليس من المعدات الكاملة من حيث هووسيلة لنقل الناس وانهُ ينوي ان يبني بلوناً آخر يكون أوفر راحة وأضمن سلامة للمسافرين . كذلك كان طيران الطيارين الالمانيين من ارلندا الى اميركا من حوادث العام الماضي التي لا بدَّ ان يكون لها أثر معنوي كبير في تثقيف الناس وتمهيد الطريق الذي شعهُ لندبرغ لتقدم الطيران

قرأت منذ اسابيع ان أحد الاميركيين صنع سلكاً تلفونياً ضخماً اذا استعمل بالاشتراك مع شركات المخاطبات اللاسلكية جعل ربط القارات المختلفة بالمخاطبات التلفونية (سلكية ولاسلكية) في الامكان . ومع ذلك لم تنشأ مخاطبات تلفونية لاسلكية بين اميركا وقارة اوربا الا في العام الماضي . وكنت ذات يوم في داري في حرج قرب برلين فخاطبني صديق لي من شيكاغو ، ولما سمعت نبرات صوتهِ محمولة بالامواج اللاسلكية مسافة ٥٠٠٠ ميل تفصل بيننا ، شعرت بروعة العمل وجلالهِ . ولم احسَّ اننا على الارض الا حينما اخبرني صديقي انهُ ينوي ان يطلق امرأتهُ

فهذا الارتقاء وما تمَّ من التقدم في نقل الصور مسافات شاسعة على ايدي ميهالي المجري وكورن الالماني وغيرهما من المستنبطين الاميركيين نراها ابعد أثراً في العمران من كل الغازات السامة والسيارات السابحة والغواصات الفتاكة التي اتقنت في العام الماضي

وعندي ان هذا التقدم العلمي اعظم من كل الصور التي صوّرت والروايات التمثيلية وغيرها من الكتب الادبية التي ظهرت . لان هذا العصر عصر العلم ولا يثير رجال الفن عليهِ الا عماهم عن حسناتهِ

لم يكشف في العام الماضي عن حقيقة بيولوجية خطيرة ، ولكن يجب ان نذكر ان المكتشفات الخطيرة في علم من العلوم تقتضي بحثاً مستفيضاً وتحقيقاً دقيقاً يستغرق سنين طوالاً فلا نستطيع ان نقيدها بتاريخ محدود

نظر العلماء قبلاً نظر الريبة الى قول العالم النباتي الروسي غورفتش الذي قال منذ بضع سنوات ان جذراً نباتياً دبَّ فيهِ الانحلال ، وزالت منهُ آثار الحياة يعود الى النمو اذا وضع قرب جذر حيٍّ ملامس لهُ ، وان النمو في الجذر الميت يحدث في الجهة التي يلامس عندها الجذر الحيّ . ولكن هذه الحقيقة الغريبة تأيدت في الصيف الماضي بتجارب مختلفة جربت بثلاثة انواع من الميكروبات . وفي نوفمبر الماضي اثبتت مباحث الاستاذين سوَربروخ وشومان ان اشعة تصدر من الاجسام الحيَّة وتتصل بالاجسام التي حوالها . والجديد في

هذه النتيجة ان التغير في كهربائية الجسم يؤثر في الاجسام التي تحيط بهِ . ولعلَّ البحث في هذه الناحية يؤدي بنا الى معرفة طبيعة الميل والنفور وما اليهما من الانفعالات النفسية

الطب

الى هنا تنتهي اعظم وجوه الارتقاء العمراني ، نعني الارتقاء الطبي والصحي. لانهُ ماذا نستفيد من اتقان وسائل التخاطب والانتقال ان لم نتمكن من اطالة العمر وقهر اعداء الحياة للتمتع باسباب الراحة ووسائل الهناءة والرغد

وقد اجتمع في الصيف الماضي مؤتمر السرطان الدولي بلندن فحضرهُ اكبر علماء الطب من ثمانية عشر بلداً واجمع المؤتمر تقريباً مع اختلاف اعضائهِ في اصل السرطان واسبابهِ على انهُ داء قابل للشفاء وان استعمال الراديوم واشعة رنتجن والرصاص مفيد في معالجتهِ. وتقدم البحث في انواع الفيتامين فكُشف عن نوعين جديدين منهُ كشف عنهما فندوس الاستاذ الالماني الذي فاز بجائزة نوبل مكافأة لهُ . وارتقت المباحث في طبيعة الغدد الصماء وفعلها فاثبت الاستاذ الانز الاميركي مقدرتهُ على تحويل الذكور الى اناث .وفي الربيع الماضي نجح الاستاذ ارنست لكيور الالماني في معالجة ذكور الماعز بامستردام حتى صارت تدرُّ لبناً ، ولكنهُ لم ينجح في جعلها ولودة

الادب والفن

ولدى مراجعة الحوادث والمكتشفات التي تمت في العام الماضي يرى المتأمل ثلاثة امور (اولاً) ان العام الماضي لن يخلد بصورة عظيمة صوّرت فيهِ .ولو سئلت ما هو اعظم كتاب ظهر من حيث فائدته للبشر لا استطيع ان اسمي رواية من الروايات بل اذكر كتاب برنارد شو المسمى « دليل الى الرأسمالية والاشتراكية » . (ثانياً) يرى القارئ ان كل الامم اشتركت في ترقية العلم والعمران مع اقتصاري على امثلة قليلة في كل فرع من فروعها . وذلك لان مسائل العلم تسمو عن مسائل القومية . وانا كالماني ، افخر بان المانيا الحديثة تنظر الى اعمال علمائها فخورة بهم من غير ان يُحفظ افتخارها صدور جاراتها. (ثالثاً) ان البشر تقدموا في العام الماضي هذا التقدم لانهم اتقنوا طرق التخليد والتجديد تخليد العلم والعلماء ، وتجديد ذكرهم ولا بدَّ ان يجيء يوم يكفُّ فيهِ الناس عن رفع التماثيل للقواد فيعنون برفعها للاطباء والمستنبطين . ان « ردهة الشهرة » في نيويورك تحتوي على ستة وستين مثالاً للاميركيين الخالدين ، القواد بينهم ثلاثة فقط . ان هذا فخر لاميركا ودرس بليغ لاوربا .واعظم ما اتمناهُ للبشر ان يضم العام الجديد تحت جناحيهِ العالم القديم والعالم الجديد وقد نقص فيها القواد وزاد المستنبطون

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطولة .

الجرائم في مصر
وتقرير القيسي باشا

نشر صاحب السعادة محمود فهمي القيسي باشا مدير الامن العام تقريراً ضافياً عن حالة الامن العام في القطر المصري في سنة ١٩٢٨ جمع فيه شتى احصاءات مفصلة يستدل منها ان عدد الجنايات في العام المذكور قلت عن مثلها في العام السابق ٣٨١ جناية واكثر الفرق بين الجرائم الخطيرة فعني حضرة الاستاذ حسن حبيب بكتابة هذه الكلمة توطئة لدرس موضوع الجرائم في مصر ووسائل مكافحتها

كانت الحياة تمشي على مهل وتسير سيرة السذاجة والبساطة حيث كان الانسان على فطرته الاولى يعيش مع السذاجة والبساطة ، ولقد تبدلت الحال غير حال ، وسار الانسان مع سنة التطوُّر ،وقانون التحول — فانفرجت زاوية العلم ، واتسعت دائرة المعارف ، واصبح انسان اليوم غير انسان امس الغابر

ومصر الناهضة الفتية تسير الآن الى جانب غيرها من الامم الحية الراقية قدماً بقدم وتعمل على رفع شأنها يوماً بعد يوم ، ولا ادلَّ على ذلك مما نراه ونقرأه العام بعد العام ، من التقارير والاحصاءات الدالة على مقدار يقظة الحكومة ،ومبلغ نزوع الامة الى الرقي الحق : ان مسألة التقارير والاحصاءات من اهم واعظم ما تشتغل بهِ دول الغرب في تعرف حالتها للعمل على تلافي الخطر ودرء الشرور الاجتماعية قبل استفحالها والحق — ان مسألة الاحصاء قد اصبحت علماً مستقلاً يدرس في كليات الحقوق والتجارة وان مسألة المقابلة قد صارت من اهم المسائل في تعرف الادواء الاجتماعية ووصف الدواء لها. آية ذلك اننا لا يمكننا ان نعالج مسألة هامة في حياة امة من الامم — كمسألة الأمن العام مثلاً الا

اذا تعرفنا بالاحصاء عدد ما وقع من الجرائم في يوم او اسبوع او شهر او عام او نسبة هذه الجرائم بالمائة الى السكان ثم مقابلة ذلك بمثل اليوم او الاسبوع او الشهر او العام في السنة السابقة مثلاً . هنالك نتعرف الفرق بين حالة في زمن ما - ونفس هذه الحالة في زمن آخر -- وهنالك نستطيع من بعد ذلك ان نصف الدواء بعد تعرف الداء

ولقد كانت الجرائم في مصر سنة ١٩٢٧ كثيرة زائدة عما كانت في عام آخر -- فارتفعت الاصوات من كل جانب بالضجيج والشكوى -- وتبارت الاقلام تعالج مسألة الامن العام -- وزيادة الجرائم وتبحث في اسباب هذه الزيادة - وما يلزم للعمل على هبوطها وكان سعادة مدير الامن العام يدبر الامر في تريث ورشد ويعالج مسألة زيادة الجرائم مع الخلود الى السكون بهمة الشباب وحكمة الشيوخ . ثم هو من بعد ذلك ما لبث ان اصدر تقريره لسنة ١٩٢٧ فكان آية في الاحكام وتعليل الاشياء وقدر الامور حق قدرها . اما وقد صدر الآن تقرير سنة ١٩٢٨ عن حالة الأمن العام في المملكة المصرية -- فانا نحاول ان ندلي بآراء عسى ان تجد قبولاً لدى القائمين بالامر -- فيستخلص منها ما يتفق وحالة البلاد ، ويتلاءم مع طبائعنا وعاداتنا ، وجونا ، ونحن نعلم ان لكل امة عادات ولكل شعب حالات ، وان ما يتسق مع خلق لا يوافق ولا ينفع خلقاً آخر وان للعوامل الطبيعية والاجتماعية والسياسية حكماً واثراً فعالاً وانما الحكمة تحتم والواجب يقضي بوضع الشيء في ما هو لائق به -- في محله

ولئن كان سعادة مدير الامن العام موفقاً في تقريره سنة ١٩٢٧ فانه الآن وفي تقريره لسنة ١٩٢٨ كان اكثر توفيقاً -- آية ذلك ما نراه في هذا التقرير من احصاءات قيمة - وبيانات دقيقة -- للجرائم التي وقعت في المملكة المصرية سنة ١٩٢٨ على تباين انواعها ، واختلاف درجاتها -- في كل بلد وقرية ومركز ومديرية -- ثم مقابلة ذلك بسنوات اخرى -- للبرهنة على ان حالة الامن في هذا العام احسن مما كانت عليه في السنين الماضية . فهو يصف الداء وصفاً حكيماً ثم يدل على الدواء -- في تريث ورشد

ولم يكن فوت قدرته ان يشير الى اسباب الاجرام في مصر ، ويلوح بما يراه هو من العوامل الفعالة في اقصار نسبة الاجرام في هذه البلاد -- مثل ذلك ما قاله من وجوب زيادة رجال البوليس الساهرين ونشر لواء التعليم في ربوع البلاد والسعي المتواصل لحصر تجارة المخدرات على اختلافها ، والتوفيق بين العمال واصحاب الاعمال والتضييق في منح الرخص لاصحاب المحال الخطرة والمقلقة للراحة وتنظيم شؤون المراهنات والمقامرة على اختلافها وتعديل اللائحة الخاصة بالتراحمة وغير ذلك من المقترحات العملية المفيدة

نظرة في تاريخ التمدن الاسلامي

١ — قال المرحوم «جورجي زيدان» في الجزء الاول من «تاريخ التمدن الاسلامي» في ص ١٨ من الطبعة الثانية «وكان الانباط واسطة عقد التجارة بين الشرق والغرب. وقد عاصروا الرومان في إبان مجدهم. وكثيراً ما كانوا عوناً لبعض قوادهم في الحروب حتى تأتّى لاحدهم الملك الحارث الثالث ان يتولى دمشق برهة قصيرة في القرن الاول للميلاد قبل عهد الغساسنة بأجيال» ا . هـ

وقال في الجزء الخامس في ص ١١ من الطبعة الثانية متكلماً على الانباط «ونبغ منهم في القرن الاول قبل الميلاد ملك يسميه ليو ايون أريتاس «الحارس» حارب عامل دمشق وغلبهُ على مدينته واستولى عليها وعلى ماحقاتها تحت رعاية الرومانيين نيفاً واربعين سنة» ا . هـ

وإنّا لنرى تناقضاً بيّناً في اقواله لا منتدح لنا عن الاشارة إلى فروعه. فأولها جَعْلُهُ زمان تولي الحارث في الجزء الاول «بعد الميلاد» وفي الجزء الخامس «قبل الميلاد» وثانيها استبداله «الحارس» بالحارث مع ان السين الاخيرة في الاسماء الرومانية ومتبعَاتها هو «سين الترويم». وثالثها اعتباره النيف والاربعين سنة «برهة قصيرة» وانما هي مدة طويلة اذا عورضت بوسط عمر الانسان او أعدله، ومما هو حريّ أن يذكر اني استدفعت العلامة الاب أنستاس ماري الكرملي هذا التناقض وطلبت اليه أن يستنبط لي من كتب الفرنج بعض ما ذكروهُ عن «الحارث» النبطي الذي استولى على دمشق قبل الميلاد. وهذا ما نقلهُ لي الاب عن «معلمة لاروس الوسطى» الفرنسية: «الحارث: اسم سمي بهِ عدة ملوك كانوا في سلع «بترا» واشهرهم الحارث الثاني الذي استولى على البقاع أي «سورية المجوفة» في قراب سنة «٨٤» ق . م ولقب «ملك دمشق» ومالأ «هرقانوس» ليحارب «اريستوبولوس» وتهدّد اورشليم والذي صده عن الامعان في طريقهِ «نائب لبومبيوس» الا انهُ قصر حكمه على دمشق على شريطة أن يرضخ للرومان رضيخة او ضريبة» ا . هـ

وقد نشأ بين ما ذكرهُ المرحوم «جورجي زيدان» وما ذكرتهُ «معلمة لاروس» تناقض أيضاً فالاول ادعى أنهُ «الحارث الثالث» والثانية نصت حكمها على انهُ «الحارث الثاني» لا الثالث، ولا شك في ان جورجي زيدان قد عزا اليهِ «الثالث» مستنداً الى مساند ومستنبطاً من منابط. فما حكم المؤرخين في ذلك الامر العويص؟

٢ — وقال في الجزء الاول أيضاً في ص ٢٢٢ « وكان للبريد طرق تتشعب من مركز الخلافة الى اطراف المملكة حتى تصل بطرق الممالك الاخرى . وتنقسم كل طريق إلى محطات او مواقف فيها أفراس او هُجُنٌ فيستبدل عمال البريد أفراسهم [كذا] بأفراس مستريحة في كل موقف التماساً للسرعة . وكان الغالب في العرب ان يتخذوا الجمال لبريدهم وأما الفرس فكانوا يستخدمون الخيل » . اه قلت المشهور أن نواقل البريد في الدول الاسلامية كانت من البغال وغيرها وقد ذكر ذلك الفرزدق حينما هجا « قيساً » في أمر « قتيبة بن مسلم الباهليّ » في قصيدته قوله :

أتغضب إنْ اذنا قتيبة حُزّتا جهاراً ولم تغضب لقتل ابن خازم
وما منهما الاّ نقلنا دماغهُ الى الشام «فوق الشاحجات» الرواسم
تذبذب في المخلاة تحت بطونها محذّفة الآذان جُلح المقادم

قال ابو العباس المبرد في الكامل ص ٦٨ من الجزء الثاني بالمطبعة الازهرية : «وقوله: فوق الشاحجات . يعني البغال والرسيم ضرب من السير وانما عنى ههنا « بغال البريد » لقولهِ : محذّفة الآذان « جلح المقادم » فالبغال اذن كانت من نواقل البريد الاصلية وذلك مما يستدرك على جورجي زيدان. أما ادعاؤهُ ان الغالب في العرب أن يتخذوا الجمال لبريدهم فرجوح لان الخيل كانت تنقل البريد غالباً . قال امرؤ القيس :

على كلّ مقصوص الذنابى معاودٍ بريد السرى بالليل من « خيل » بربرا

وقال ابو العباس بعد ذلك « وكانت بُرُدُ ملوك العرب في الجاهلية الخيلَ » فاختصّ الخيلَ وحدها بالبريد ولم يذكر للجمال اثراً ولكننا لا ننكر استخدامها بل نريد ان نظهر الاشهر والاحق . فالعرب قد كانوا كالفرس في استخدامهم الخيل للبريد زمن الجاهلية

٣ وقال عن العرب في الجزء الخامس في ص ٣٣ « ولا يظهر انهم كانوا يعرفون غير الدفّ والمزمار وما يتفرع عنهما من آلات النفخ والقرع » وعندي ان العرب كانوا يعرفون غير الدف والمزمار آلاتٍ موسيقية أخرى كالاوتار . قال الاعشى :

وشاهدُنا الجُلُّ والياسمو ن والمسمعاتُ بقُصّابها

والقصاب هي الاوتار والاوتار ليست من فروع آلات النفخ ولا القرع . وليس ذلك بعيداً عن العرب ورباح الجزيرة اوتار واناشيد

٤ — وقال في ص ٦٢ من الجزء الخامس « ومن لطيف ما يحكى من هذا القبيل ان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت شبب بابنة معاوية وهو خليفه في إبان مجده وبلغ ذلك ابنهُ

يزيد فغضب ودخل على ابيه وقال « يا امير المؤمنين : اقتل عبد الرحمن بن حسان » .
واليك معارضة هذه الرواية برواية المبرد

رواية جورجي زيدان عن الاغاني

يا امير المؤمنين اقتل عبد الرحمن بن
حسان (قالهُ يزيد)
قال معاوية « ولِمَ ؟ »
قال يزيد « شبب باختي »
قال معاوية « وما قال ؟ »
قال يزيد قال
« طال ليلي وبتّ كالمحزون
وملت الثواء في جيرون »
قال معاوية « يا بنيّ وما علينا من
طول ليلهِ وحزنهِ أبعده الله » قال انهُ يقول :
فلذاك اغتربت بالشام حتى
ظنّ أهلي مرجمات الظنون
وفي الكامل
« صاح حيا الاله اهلاً وداراً
عند اصل القناة من جيرون »
« فبتلك ارتهنت بالشام حتى
ظن اهلي مرجمات الظنون »

روايتي عن الكامل للمبرد

أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان
في ابنتك ؟ (قاله يزيد)
قال معاوية « وما الذي قال ؟ »
قال يزيد . قال
« وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا
ص ميزت من جوهر مكنون
قال معاوية « صدق » فقال يزيد وقال :
واذا ما نسبتها لم تجدها
في سناء من المكارم دون
قال معاوية « صدق » فقال يزيد انهُ قال :
ثم خاصرتها الى القبة الخضرا
ء تمشي في مرمر مسنون
قال معاوية كذب (ا . ه)

فقال يا بنيَّ وما علينا من ظن اهله ! قال انهُ يقول :

« هي زهراء مثل لؤلؤة الغو اص ميزت من جوهر مكنون »

قال صدق يا بنيّ . قال انهُ يقول :

« واذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون »

قال صدق يا بنيَّ هي هكذا . قال انهُ يقول « ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون » قال « ولا كل هذا يا بنيَّ » . هذا هو الاختلاف العظيم بين الروايتين في القصيدتين والاسئلة والاجوبة بين يزيد ومعاوية . ثم قال جورجي زيدان

« وشبب ابو دهبل الجمحيّ ايضاً بابنة معاوية فعاملهُ باللين وقطع لسانه بالعطاء » قلت ان المرحوم نقلها عن الاغاني غير ان القصيدة التي ذكرناها وعارضناها ،يرويها بعض الناس لابي دهبل الجمحيّ حتى ان ابا العباس المبرد قال « قال ابو دهبل واكثر الناس يرويهِ لعبد الرحمن بن حسان :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الـ ... غواص ميزت من جوهر مكنون

وهذه القصيدة إلى دهبل اقرب منها الى عبد الرحمن بن حسان لانّ المبرد قال « وروى بعض الرواة ان ابا دهبل الجمحيّ كان تقيًّا وكان جميلاً فقفل من الغزو ذات مرة فمرَّ بدمشق فدعتهُ امرأة الى ان يقرأ لها كتاباً وقالت بان صاحبتهُ في هـذا القصر وهي تحب ان تسمع ما فيهِ فلما دخلت بهِ برزت لهُ امرأة جميلة وقالت لهُ انما احتلتُ لك بالكتاب حتى ادخلتك فقال لها : اما الحرام فلا سبيل اليه . قالت فلست تراد حراماً فتزوجتهُ واقام عندها دهراً حتى نعي بالمدينة ففي ذلك يقول ا [1] وقد استأذنها ليـلمّ باهله ثم يعود فجاء وقد اقتسم ميراثهُ فلماهمَّ بالعود اليها نعيت لهُ »

٤ - وقال جورجي زيدان في ص ٣٤ من الجزء الخامس « وكان معاوية بن أبي سفيان يعيب على الراعين في الغناء ولاسيما اهل الوجاهة والشرف ولهُ مع عبدالله بن جعفر حكاية تدلّ على ما عابه عليهِ من استماع الغناء » قلت قال المبرد « ص ١٩٧ ج ٢ » : وحدثت انَّ معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء أعجبهُ فلما اصبح قال ليزيد من كان ملهيكَ البارحة فقال لهُ يزيد « ذاك سائب خاثر » قال إذن فاخثر لهُ من العطاء. وقال ابو العباس : وحدثت ان معاوية قال لعمرو أمضِ بنا الى هذا الذي تشاغل باللهو وسعى في هدم مروءتهِ حتى نعى عليهِ « اي نعيب عليه فعله » يريد عبدالله بن جعفر بن ابي طالب فدخلا اليهِ وعندهُ سائب خاثر وهو يلقي على جوارٍ لعبدالله فامر عبدالله بتنحية الجواري لدخول معاوية وثبت سائب خاثر مكانهُ وتنحى عبدالله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمراً فاجلسهُ الى جانبهِ ثم قال لعبدالله اعد ما كنت فيهِ (كذا) !!! فأمر بالكراسيّ فأُلقيت واخرج الجواري فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم :

ديار التي كادت ونحن على منًى ... تحلُّ بنا لولا نجاء الركائب

ومثلك قد أحببتُ ليست بكنّةٍ ... ولا جارة ولا حليلة صاحب

وردده الجواري عليهِ فحرّك معاوية يديه وتحرك في مجلسهِ ثم مدّ رجليهِ فجعل يضرب

---

(١) اراد ابو العباس قوله « فبينا ارتهنت بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون » لانه دال على انه جبر على الاقامة عند أهل القناة من جيرون

بهما وجه السرير (كذا) قال عمرو : اتّئد يا امير المؤمنين فان الذي جئت لتلحاهُ احسن منك حالاً واقل حركةً . فقال معاوية « اسكت لا أبا لك فان كل كريم طروب» اه . فهذا دليل على ان معاوية كان يحب الغناء وتستفزهُ الالحان فتثيره وتطربهُ وهو القائل « فان كل كريم طروب » . والغريب ان جورجي زيدان ينفي حب الغناء عن معاوية من غير دليل اللهم الا الاقوال . وقد رآهُ القارئ كيف دخل على اهل الغناء لاحياً ثم جلس واستمع طروباً راضياً

٥ — ونقل جورج زيدان عن الكامل في ص ٥ من الجزء الخامس أنّ سليمان بن عبد الملك قال لمغنٍ « أعد ما غنيت » فتغنى واحتفل فقال سليمان « والله لكأنها جرجرة الفحل في الشول وما أحسب أنثى تسمع هذا إلا صبت اليه » ثم أمر بهِ فخصي. وفي النسخة التي عندنا أي المطبوعة بالمطبعة الازهرية « أعد ما تغنيت » لا « أعد ما غنيت » و « صبت » لا « صبت اليهِ » كما ذكر جورج زيدان فهذا إما خطأ نقل واما تحريف في النسخ المتعددة

٦ — وقال في الصفحة الآنفة عن الغناء ولم يكن أهل الغيرة على العرض يصبرون على سماعه ومن أقوالهم «المغنّون رسل الغرام » ا . ه قلت ويسمونهم «رسل الزور» فقد قال الأحوص يُعرض بمعبد المغني :

لابن اللعين الذي يخبا الدخان له — وللمغنيّ « رسول الزور » قوّاد

أما قوله أو نقله « لم يكن أهل الغيرة على العرض يصبرون على سماعهِ » فافراط في الحكم وتفريط في الحقيقة التاريخية فقد مرّ بك أمرُ معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب. أما سليمان بن عبد الملك فانما فعل ذلك لأنهُ كان مفرط الغيرة لامعتدلها ولا قليلها

هذا ما تمكنا من تسطيره ونحن لم نقرأ إلا صفحات من تاريخ التمدن الاسلامي فعسى أن نقرأه فنطلع على ما فيهِ من فوائد عذبة وقد يغص الشارب بالعذب وليس مجهولاً قول الشاعر

«فساغ لي الشراب وكنت قبلاً — أكاد أغص بالماء الفرات »

من غصصنا بما ذكره جورجي زيدان ولوكان عذباً طريفاً . ولعلنا نعثر على فوائد أخرى فنرقها حبّاً لافادة أنفسنا والقراء وفقنا الله لما يحب ويرضى إنه الرحمن الرحيم

مصطفى جواد

المدرس في المدرسة الحكومية في الكاظمية من العراق

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء ومحاربة المسكرات

بقلم الآنسة اغنيس سلاك
كتبت خصيصاً للمقتطف

زارت القطر المصري في خلال يناير الماضي الآنسة اغنيس سلاك البريطانية والسكرتيرة الفخرية لاتحاد النساء المسيحيات العالمي لمحاربة المسكرات . فاحتفت بها جمعية منع المسكرات المصرية وراعيها صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون . فاقامت الجمعية عدة حفلات هيأت فيها الفرصة للزائرة الكريمة ان تلقي محاضرات على المصريين في مزايا التحريم ومضار الخمور كما خطب الاستاذ احمد افندي غلوش رئيس الجمعية

وقد سر السيدة سلاك ان تعلم ان مجلة المقتطف تخدم حركة منع المسكرات وانها لا تنشر الاعلانات عن الخمور فتفضلت علينا بالرسالة الآتية ارسلتها بواسطة صديقنا الاستاذ جبرائيل حسين بك . ويرأس الاتحاد النسوي المذكور الآنسة انا جوردون من الولايات المتحدة ووكيلته الآنسة سولومون من مدينة الرأس بجنوب افريقية . وللاتحاد لجنة ادارية مؤلفة من سبع عضوات يمثلن ممالك مختلفة . ومما يسر ذكره أن لليابان نائبة في هذا المجلس وشعاره « الرباط الابيض » ومثله الاعلى خدمة « الرب والمنزل وكل الارض »

رسالة الآنسة سلاك

يضم الاتحاد النسوي لمحاربة المسكرات اكثر من مليون سيدة تمثل خمسين امة مختلفة الجنس والعقيدة ولكنهن وان اختلفن لغة ومذهباً ووطناً تجمع بينهنَّ رابطة محاربة المسكرات

ففي مؤتمرنا الاخير — وهذا المؤتمر يعقد مرة في كل ثلاث سنوات وكان في المرة الاخيرة منعقداً في لوزان — حضره مندوبات من اوربا وآسيا وافريقا واميركا الشمالية

ومقر الاتحاد في الولايات المتحدة في بناء فخم فسيح الارجاء . وقد اشترينا في بريطانيا داراً كبيرة لتكون تذكاراً لرئيستنا السابقة الكونتس كارليل . اما المقر الرئيسي في اسكتلندا وارلندا فهو جميل. ويُسمح بايواء عدد كبير من الفتيات في دور الجمعية بكندا

وللجمعية فرع في كل من ولايات استراليا والهند والصين واليابان وكلها تعمل لخدمة الغرض الاسمى وهو تحريم الخمور

رمل الاسكندرية عن قصر آل ويصا اغنيس سلاك

امرأة فوق المحيط — اللايدي درمند هاي

اول امرأة عبرت الاتلنتيكي طيراناً من اوربا الى اميركا والمرأة الوحدة بين ركاب المراف زبلن الستين تصف رحلتها من الوجهة النسائية

ان عبور الاتلنتيكي بالبلون طريقة من طرق المواصلات التي لا بدَّ ان تتقدم كثيراً وسيكون للنساء فضل كبير في تقدمها كما كان لهن فضل كبير في نجاح المواصلات الجوية بين لندن وباريس . وعندي ان الهواء احنى على النساء من البحر . فباخرة من البواخر التي تمخر سطح اليمّ تتقلب بين عنصرين مضطربين هما الماء والهواء . ولكن سفن الجوّ — البلونات — اقلّ تقلباً لانها تسبح في عنصر واحد يحيط بها من كل الجهات فيقلُّ بذلك اضطرابها وما ينشأ عن الاضطراب من دوار وتعب . وزد على ذلك ان الهواء على ارتفاع بضع مئات من الامتار نقيٌّ طاق ينعش النفس ويرهف القابلية . ثم ان البلون نفسهُ خالٍ من كل رائحة كريهة كثيراً ما نرغَم على شمها اياماً متوالية في باخرة من البواخر

لقد كان طيران البلون المراف زبلين تجربة كبيرة . فهو اول سفينة هوائية اجتازت الاتلنتيكي حاملة على متنها الركاب واكياس البريد وفي مركبها كنت ترى ستين انساناً ينامون ويأكلون ويروحون ويجيئون ويتحدثون — وبكلمة واحدة يعيشون عيشة طبيعية مدة خمسة أيام، معلقين بكيس ضخم ممتلئ غازاً لطيفاً وتدفعهم في الجوّ قوة محركات قوية هازئة بالعناصر . واعتقد اعتقاداً راسخاً ان الناس سينظرون الى هذا البلون بعد انقضاء خمس سنوات نظرهم الآن الى الطيارة الاولى وما كان فيها من مواطن النقص في اسباب الرفاهة ووسائل السلامة في الجوّ وعند النزول الى الارض

ولا ريب ان الرحال القائمين على صنع البلون قد تعلموا اموراً فنية كثيرة في اثناء رحلتهم الى اميركا لا بدَّ ان يستفيدوا منها لدى بناء بلون آخر. وهذا امر فنيٌّ لا اتناولهُ ولكن من

جانب من الردهة « الصالون » في البلون غراف زبلين

اللايدي درمند هاي تتناول الطعام في البلون غراف زبلين وهو فوق الاتلنتيكي

مقتطف فبراير ١٩٢٩

أمام الصفحة ٢١٣

الواضح ان ادخال كثير من وسائل الراحة والرفاهة التي كانت تنقصهُ امر قريب التحقيق

واكبر وجوه النقص في نظر المرأة كان الاستغناء عن وسائل التدفئة . فلقد كان من حظنا ان اجتزنا الاتلنتيكي من اسبانيا الى جزائر مديرا الى جزائر برميودا الى اميركا وهو طريق دافئ لانهُ جنوبيٌّ على انهُ طريق طويل وطرق المستقبل لا بدَّ ان تكون فوق شمال الاتلنتيكي لقصرها . والجوّ هناك بارد فوسائل التدفئة لا بدَّ منها . فانك اذ ضربت خيمة في الصحراء لم تأمن مجاري الهواء تخفق فيها . ولكن ارفع هذه الخيمة الف قدم في الهواء وسيّرها بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة يكن لك مثال مصغر لبلون في الجوّ . ان درجة البرد قد تبلغ حينئذٍ مبلغاً لا يحتمل . وقد بلغني ان البلونين الانكليزيين يحتويان على وسائل التدفئة . والمرجح ان الزبلين القادم يسير في اثرهما

وغرف النوم صغيرة ولكنها ليست ضيقة والفرش لينة مريحة وكتانها من النوع الجيد ولكن اغطيتها غير كافية فيجب ان يضاف عليها غطاء خفيف محشو بالريش حتى يدفأ النائم. والفراغ الذي في خزائن الغرف لتعليق الثياب كافٍ ولكن الخزائن خالية من مرآة وهذا امرٌ صعب على امرأة ؟

اما غرف الغسيل فشبيهة بغرف الغسيل بمركبات النوم في سكك الحديد التي تصنعها شركة بولمان ففي كل من طرفي المركبة غرفة غسيل احداها للنساء والاخرى للرجال وفيهما ماء جارٍ باردٌ وسخنٌ ومرآتان ولكن عدم وجود مرايا في غرف النوم وضيق غرف الغسيل عن ان تسع اكثر من عشرة اشخاص جعل مسألة الغسل واللبس كلَّ صباحٍ معقدة كلّ التعقيد

وليس في غرف النوم اجراس كهربائية لدعوة الخدم . ولا مصابيح فوق الاسرة للقراءة في الليل ولا يسمح بفتح النوافذ لادخال الهواء النقي لانهُ اذا سمح بفتحها قذف بعض المسافرين باشياء منها قد تعلق بالمحركات وتعرض البلون وركابه لخطر عظيم

والتدخين ممنوع في كل ناحية من نواحي البلون مما حمل بعض مدمني التدخين من الرجال على التذمر. وقد علمت ان في البلونين الانكليزيين ستبنى غرفة خاصة بالمدخنين . والالمان سيفعلون ذلك وسيفردون غرفة خاصة لزينة النساء « بودوار »

وقد كانت غرفة الجلوس وغرفة الطعام في الغراف زبلين واحدة فكانت غرفة الجلوس تحوّل في اوقات الطعام الى غرفة مائدة وعندي ان هذا كافٍ لان اكثر المسافرين كانوا يقضون اكثر اوقاتهم في غرفهم يقرأون او يتأملون مناظر الجوّ والبحر

اما المطبخ الكهربائي الصغير فلم يكن متسعاً لاعداد الطعام لستين شخصاً ثلاث مرات كلَّ يوم. والظاهر ان اكبر صعوبة عرضت للقائمين بهِ عجزهم عن تسخين مقادير كافية من الماء اللازم للطبخ والشاي في الصباح وبعد الظهر

وليس في البلون حمامات ولا حمامات «الدوش البارد» اذ ليس في امكان البلون ان يدفق الماء جزافاً لان وزنهُ يجب ان يبقى حول حدّ معين وان لا يخفف وزنهُ الا في احوال خاصة لذلك يقاس مقدار ما يحملهُ من الماء قياساً دقيقاً قبل قيامهِ ويحسب حساب لكل ما قد يستعملهُ فاذا استعمل في الغسيل الاعتيادي مثلاً جُمع وحفظ في حوض حتى لا يرمى وينقص وزن البلون مقدار ما يرمى من الماء

فاذا قام هذا البلون برحلات جوية منتظمة بين اوربا واميركا لا ارى مانعاً يمنع النساء من السفر بهِ انما اشير على كل مسافرة ان تأخذ معها غطاء صوفياً ثقيلا «حراماً» وثياباً صوفيّة، وجوارب مدفئة للنوم وزجاجة ماء سخن ومناشف لتقوم مقام مناشف الورق التي في البلون، وحذاءً عالياً ليقي الكاحلين من مجاري الهواء

طريقنا الصحي — حقائق صحية في اسلوب سهل

المشروبات الروحية ومضارها

تناولنا في الجزء الماضي مسألة التدخين والصحة. ونحن اليوم نتناول مسألة المشروبات الروحية ومضارها على ذكر المقالة التي اتحفتنا بها المس سلاك عما تبذلهُ النساء من الجهد في مكافحة شرور المسكرات

﴿الكحول يقصر الحياة﴾ لقد ثبت من مباحث مستفيضه في انكلترا ان متوسط الوفيات بين مدمني المسكرات اعلى منهُ في الشعب كلهِ. ويؤخذ من سجلات شركات التأمين على الحياة في انكلترا واسكتلندا والولايات المتحدة الاميركية ان متوسط الوفيات بين المعتدلين في تناول المسكرات يزيد من ٤٠ في المائة الى خمسين في المائة عنهُ بين الذين لا يتناولونها مطلقاً. وشركات التأمين على الحياة اما ترفض ان تؤمن على حياة المدمنين او تتقاضى منهم اقساطاً سنوية عالية لان الادمان يقصر الحياة

﴿الكحول يسبب الامراض﴾ كل الاعضاء الداخلية معرضة لان تصاب باحد الامراض من جرّاء التمادي في تناول المسكرات. وقد ثبت ذلك من فحص هذه الاعضاء

بعد وفاة المدمنين . فكل من المعدة والكبد والكليتين والقلب والعروق تصاب بامراض خطرة تنشأ عن ادمان الكحول

﴿ الكحول يضعف القوة على مقاومة الامراض ﴾ معلوم لدى القراء ان كريات الدم البيضاء هي خط دفاعنا الاول ضد هجمات المكروبات . ويساعد هذه الكريات مفرزات خاصة من الغدة الدرقية والغدد الكلوية (ادرينال) فالكحول يضعف فعل هاتين الغدتين فتقل مفرزاتهما وتضعف مقدرة الجسم على مقاومة المكروبات . فمدمنو المسكرات معرضون اكثر من غيرهم للاصابة بامراض خطرة واحتمال شفائهم منها اقل من احتمال شفاء غيرهم

﴿ الكحول يخدر الاعضاء ﴾ للكحول فعل في اجهزة الجسم كفعل الايثر الا ان فعل الكحول بطيء وفعل الايثر سريع . وكلاهما يخدر الاعصاب . ولما كان الانسان يتناول المشروبات الكحولية بيده فالمرجح انهُ لا يصل مطلقاً الى حالة التخدير التام . وينتج عن فعل الكحول في الاعصاب ضعف النظر والنظر المزدوج احياناً وتلعثم اللسان واضطراب اليدين وضعف الذاكرة واضطراب الافكار وفقد قوة التفكير والحكم . اي ان السكران يصاب بالعته موقتاً . وبعد زوال فعل الكحول يشعر بانحطاط في الجهاز العصبي وينظر الى الحياة من وجهها الاسود

﴿ تكرار السكر يورث المرض ﴾ وهذا المرض الخاص بالجهاز العصبي يدعى هذيان السكارى (دليريوم ترمنز) وهو مثل هذيان الحمى الا انهُ ناتج عن فعل الكحول

﴿ الكحول يسبب العته والاجرام ﴾ السكر والعته والاجرام ثلاثة افعال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً فالسكر كما قدمنا عتهٌ موقت . وتكرر السكر يحدث في الدماغ ما يجعل العته الموقت عتهاً دائماً . والبرهان على ذلك ان عدداً كبيراً من المتوهين في البيمارستانات اصلهم اصحاء ولكنهم كانوا من مدمني المسكرات . وقد وجد في بعض البيمارستانات ان من ٤٠ الى ٦٠ في المائة من المتوهين فيها اصلهم كذلك ولا يعلم على وجه التدقيق عدد الجرائم التي يسببها تناول الالكحول . ولكن نفراً كبيراً من الثقات يؤكدون ان اكثر من نصف الجرائم يقترفها اناس سكارى

﴿ الكحول والوراثة ﴾ ولو ان آثار الكحول تقتصر على جسم المدمن لقلنا شرٌّ ويزول . ولكن المباحث في الوراثة اثبتت ان اولاد المدمنين يكونون غالباً بلهاء اومتشردين او متسوّلين او من مدمني المسكرات او مجرمين او مصابين بامراض القلب

هذه هي بعض المضار التي تنشأ عن ادمان المشروبات الروحية فتدبرها ايها القارئ

باب الزراعة والاقتصاد

الارز المصري في الاسواق الاجنبية

يلاقي الارز المصري في البلدان الاجنبية سوقاً رائجة لا بأس بها وينافسهُ ارز ايطاليا واسبانيا كما ان الارز الوارد من بلاد الهند الشرقية يزاحمهُ حتى في مصر نفسها

وسبب منافسة الارز الهندي انهُ ارخص سعراً في غالب الاحيان ولكن ارز مصر يمتاز عنهُ من جهة النوع بمراحل واية تجربة بسيطة يحاولها الانسان بنفسهِ تسفر دائماً عن تفوق الارز المصري على ارز رانجون وسايجون . واحسن الاسواق للارز المصري هي بلدان الشرق الادنى كسوريا وفلسطين وما جاورها

وقد تأثرت تجارة الارز مع الخارج في الاعوام الاخيرة وكانت هذه المسألة موضع عناية الحكومة المصرية وتولى بحثها الممثلون التجاريون في خارج القطر المصري وتتلخص نتيجة الابحاث في ان التجار يشكون من انحطاط نوع الارز وخلطه كما انهم مستاؤون جداً من سوء المعاملة التجارية . ولما كان القصد من هذا المقال هو درس احسن الوسائل لتنشيط تجارة هذا المحصول الرئيسي من محاصيل البلاد المصرية وجب علينا ان ندرس العيوب التي يشكو منها المستهلكون في الاسواق الخارجية ونتعرف اسبابها ووسائل تلافيها

الشكاوي المتعلقة بشؤون الزراعة والصناعة

تتلخص شكاوى الاسواق من هذه الوجهة فيما يأتي :

اولاً — وجود حبات رفيعة وغريبة بالارز وارتفاع نسبة الحب الاصفر والمعطوب فيهِ

ثانياً — كثرة الحصى والاحجار الصغيرة — ثالثاً — زياده كمية الارز الكسر

اما العيب الاول فيتعلق بالزراعة وما يتبعها من الدراسة والتخزين

ان انحطاط نوع الارز ووجود حبات رفيعة وغريبة بهِ يرجع في الواقع الى التقاوي فان البزور المستعملة في البلاد لم تتغير منذ زمن طويل كما ان الزراع اعتادوا اخذ التقاوي اللازمة للزراعة المقبلة من محصول اراضيهم نفسها ومما لا جدال فيهِ ان هذا يؤدي الى انحطاط النوع في الارز وفي كل المخلوقات الحية اذا سارت عليهِ. واغلب التقاوي الموجودة مخلوط رديء النوع فيؤدي هذا الى رداءة الناتج فضلاً عن ضعف المحصول وقلتهِ

والمزارعون يضعون الارز عادة على المياه قبل جفاف الارض وذلك بقصد زيادة الاوزان فعند ما ينقل الارز الى المخازن والاجران يصيب حبوبهُ العطب والاصفرار بسبب ما يعلق بها من الرطوبة

وتزداد الحالة سوءاً عند نقل الارز من المزارع الى المصانع . فان الارز باعتباره محصولاً صيفيـاً كالقطن تتفق مواعيد شحنهما الى المصانع معاً ولما كانت مصلحة سكك حديد الحكومة تضع عرباتها تحت تصرف القطن ينتج من ذلك تأخير شحن الارز وبقاؤهُ في مخازن المحطات وعلى ارصفتها معرضاً لتقلبات الجو وامطار الشتاء وهذا ايضاً من عوامل العطب والفساد . والحال على هذا المنوال ايضاً عند الشحن بطريق النيل

فالعيوب المتعلقة بالزراعة اذن تسبب مما يأتي : —

١ — رداءة التقاوي وخلطها وتكرار زراعتها في المنطقة نفسها . ٢ — عدم العناية بالدراس والتخزين سواء في المزارع او المضارب . ٣ — تعرض الارز لتقلبات الجوية

اما كثرة الحصى والاحجار والارز الكسر فرجعه في الغالب الى مضارب الارز والمصدرين فقد اتضح ان اكثر هذا الخلط ناتج من سوء نية. فإن الكسر الناتج من عملية الضرب يباع على حدة دائماً ولكن بعض التجار يضيفونهُ عمداً الى الرسائل الصحيحة

وبهذا الصدد نورد هنا حادثة ظريفة ذكرت في تقرير أحد القناصل وهي ان محلاً من اكبر المحال التجارية التي تشتغل بتجارة الارز المصري صرّح لهُ بانهم يرغبون بشدة في استيراد الارز المصري «ولكنهم يأسفون لانهم لا يريدون مشترى حجارة من الاهرام»

اما طريقة الصناعة نفسها فنحن نعتقد ان تغييرها يحتاج الى زمن طويل وان الآلات الحديثة المستعملة في بعض المصانع لا يمكن ان تعم الجميع الاّ اذا تحسنت تجارة الارز وشعر القائمون بهِ بمزايا الاتفاق في سبيل تغيير آلاتهم . على اننا شخصيًّا نميل الى الاعتقاد ان هذه الآلات القديمة هي التي اكسبت الارز المصري سمعته الاولى الطيبة في الاسواق ولكن الخطر كله هو من الخلط وسوء النية اللذين اضرّا بسمعة هذه التجارة واخّرا تقدمها تأخيراً كبيراً .ولعلاج هذه العيوب جميعاً نشير باتباع الوسائل الآتية

(ا) التقاوي

عبء هذه المسألة واقع على الحكومة المصرية اولاً ثم على الجمعيات المنظمة الكبرى كالجمعية الزراعية والنقابة الزراعية العامة . فالبلاد في حاجة الى بزور جديدة صالحة . والحكومة تجرّب في اراضيها من اعوام عديدة اصنافاً مختلفة من المحاصيل فيتعين ان تعمل الحكومة او هذه الهيئات الكبرى على ان تسهل للفلاح الحصول على ما يلزم من التقاوي الطيبة بايسر السبل

لقد استورد محل تجاري كبير في الاعوام الاخيرة بزوراً من الارز الياباني ولكنهُ شكا من ارتفاع سعرها فقد بلغ ثمن الطن في اواخر سنة ١٩٢٥ ما يوازي ٣٨ ½ جنيه . وقد خشي هذا المحل ان لا يجد وسيلة لتوزيع هذه التقاوي . ويجب ان تعطي الحكومة هذه البزور بالاجل او بتسلم مقدار مماثل من البزرة بقصد الاكثار منها وبشرط مراقبة الزراعة كما فعلت ذلك في بعض تقاوي القطن السكلاريدس . وليست هذه المهمة من واجبات الافراد بل من شأن الحكومة او الهيئات التعاونية

أما الافراد فيجب ان يفهموا — وان يفهَّموا — ان تكرار الزراعة في المنطقة الواحدة مضر جداً بمحصولهم وانهُ يجب جلب ما يحتاجون اليه من التقاوي من منطقة اخرى

(ب) العناية بالدراس والتخزين

اذا صح ان مهمة وزارة الزراعة هي الارشاد وكان عبء هذه المهمة ايضاً واقعاً عليها وعلى النقابات الزراعية فان استمرار الفلاحين على ضم الارز على المياه قبل جفاف الارض تماماً وعدم تهوية المخازن ونظافة الاجران امور يجب التنبيه اليها دائماً ومراقبتها بواسطة عمال الوزارة الذين يجوبون بلاد الارياف . والصحافة تؤدي نفس المهمة فان المزارع المصري مع شدة تمسكه بالقديم مستعد دائماً للاخذ بالوسائل التي تنفعه وتفيده وليس هناك خير من تنظيف المحصول لتحسين سعره فارشاده ضروري اذا أُريد اي اصلاح لحالة البلاد الزراعية

(ج) شحن الارز وتخزينه في المضارب

ان مناطق الارز معروفة محصورة واهم مضاربه قائمة في جهات معينة وكل ما يطلب من مصلحة سكك حديد الحكومة ان توفر العربات اللازمة للشحن في مدة الموسم فلا يبقى الارز على الارصفة زمناً طويلاً كما ان اصحاب الارز يجب ان يعنوا باستعمال مشمعات واقية من الامطار سواء في عربات سكك الحديد او في المراكب حفظاً له من التقلبات الجوية . وهذه المشمعات ليست سريعة الاستهلاك كما انها ليست غالية الثمن

ومراقبة المخازن في مضارب الارز من اختصاص مفتشي الصحة والداخلية . وكما ان الحكومة تشترط اوصافاً خاصة للمصانع فمسألة تهوية المخازن يجب ان تكون في مقدمة المسائل التي يعنى بها لان عدم التهوية ضار بالارز لانهُ متى تطرق الاصفرار والعطب الى حبة من الحبات فلا سبيل لعلاجه على الاطلاق وقيراط وقاية افضل من فدان علاج . ومن مصلحة اصحاب المضارب انفسهم ملاحظة ذلك من غير اشتراطات الحكومة

(د) مراقبة الصادر

حق المراقبة على الصادر ومنعه في يد الحكومة المصرية بغير حاجة الى استئذان او

نترات الصودا الشيلي تنشر في الاوعية حتى تنشف قبل وضعها في الاكياس
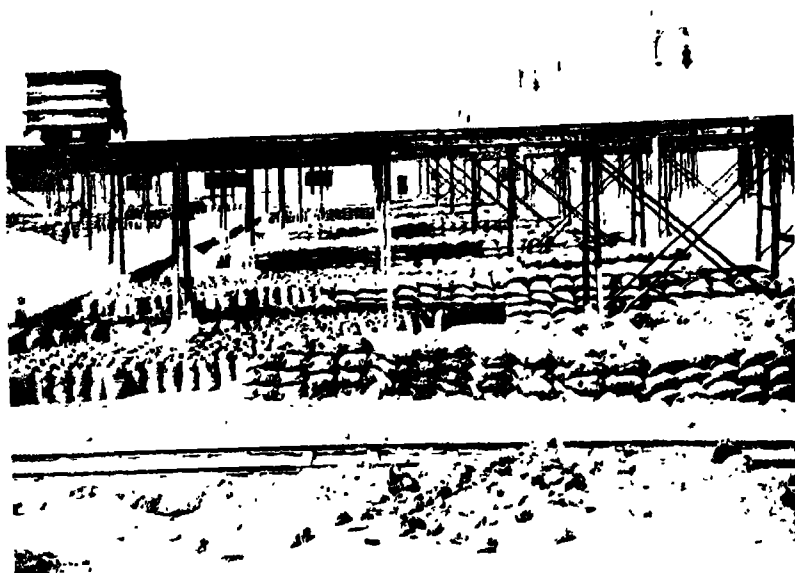
نترات الصودا الشيلي في الاكياس حاضرة للتصدير

مقتطف فبراير ١٩٢٩
امام الصفحة ٢١٩

تدخل من الدول صاحبة الامتيازات فالواجب على الحكومة حرصاً على سمعة التجارة ان تراقب الصادر من الارز وتمنع التصريح باي بضاعة تبلغ نسبة الكسر فيها والحبات الصفراء درجة معينة . ولا يلزم لهذا نفقات جديدة او وظائف جديدة فهناك قسم لوقاية النباتات تابع لوزارة الزراعة له مكاتب في كل الجمارك تراقب الفاكهة الواردة ومن السهل جداً ان يتولى عماله هذه المهمة السهلة

هذا هو مجمل ما يمكن عمله لاصلاح العيوب الصناعية والزراعية. على ان ادخال آلات ال Silos الحديثة الى القطر المصري للارز بل ولغيره من الغلال والحبوب هو خير سبيل لتنظيم اسواقها وترقية نوعها وهذه الآلات الزراعية تتولى تنظيم الحبوب جميعاً وفرزها وتبويبها اسوة بالقطن ولها مزايا جمة . وربما قمنا ببحث قريب عن هذه الآلات وما تؤديه من خدمات في البلدان الاخرى جلال حسين

وفي الشهر القادم يتناول البحث الشكاوى المتعلقة بتجارة الارز المصري وملافاتها

سماد نترات الصودا الشيلي

مصدره . طريقة استخراجه . تجارته في انحاء العالم

اتجهت انظار الزراع المصريين في الاعوام الثلاثين الاخيرة الى استعمال الاسمدة الكيماوية وذلك لضرورة تعويض الارض عن الغذاء الذي تستنفده الزراعة من جهة ولتغذية النباتات نفسها من جهة اخرى ومساعدتها على النمو والاثمار . وقد اصبح السماد الكيماوي الآن المقام الاول في سدّ حاجات الفلاح المصري مع انهُ لم يكن يعرف من قبل سوى السباخ البلدي الذي لا يمكن انتاجه بكميات كبيرة تكفي حاجات الزراعة

ولقد كانت واردات مصر من السماد في عام ١٩٠٢ الفي طن فبلغت في عام ١٩٢٧ ما مقداره ٤٣٠ ٢٢٥ طناً وهذه الارقام تدل دلالة واضحة على شدة اقبال الفلاح المصري على الاسمدة الكيماوية . واكثر الاسمدة ذيوعاً في مصر هو نترات الصودا وهو السماد الازوتي الطبيعي الوحيد فقد بلغت وارداته في عام ١٩٢٦ ما مقداره ١٨٢٬٨٤٩ طناً وفي سنة ١٩٢٧ نحو ١٤١٬٣٠٠ طن او ما يعادل ٧٠ ٪ من جملة واردات الاسمدة

ولسنا نرغب هنا ان نبحث في خواص نترات الصودا او مزاياهُ للارض . وانما نريد ان نشرح للقراء مصدره وكيفية استخراجه وتجارته في العالم. فالقليلون جداً من مستعملي هذا السماد يعلمون اين يستخرج وكيف ذلك والادوار التي يمر بها حتى يصل الى ايديهم . فهم يستعملونهُ في زراعاتهم وينتفعون بهِ في تخصيب التربة والاكثار من المحصول لاغير

مصدر النترات

يعرف هذا السماد الطبيعي باسم « نترات الصودا الشيلي » نسبة للبلاد التي يستخرج منها وهي جمهورية الشيلي في امريكا الجنوبية . وهذه الجمهورية كما هو معروف عبارة عن مساحة ضيقة مستطيلة من الارض تنحصر بين المحيط الهادئ وسلسلة جبال الاندس . جنوبها خصب ومناخه معتدل مأهول بالسكان يتكلم اهله اللغة الاسبانية . والجزء الشمالي منها متصل بجمهورية البيرو وهو صحراء قاحلة

غير ان تلك المنطقة الجرداء الواقعة بين خطي عرض ١٩° و٢٦° جنوبي خط الاستواء تحوي ثروة طائلة مصدرها « الذهب الابيض » او نترات الصودا

وقد يلوح غريباً ان تكون هذه البقعة الجرداء من الارض مصدر اكبر مخصّب معروف للآن . ولكن العلماء لم يتمكنوا للآن من تعليل وجود هذه الطبقات المتراكمة من النترات في تلك الصحراء القاحلة مع اهتمام الكثيرين بذلك مثل العلامة ستوكلازا وغيره . ولكن اقرب التعليلات المعقول ما ابداهُ بعضهم من ان شمال بلاد الشيلي كان في العصر الجيولوجي مغموراً ببحيرات كبيرة مالحة . وقد تبخرت مياه هذه البحيرات فنشأ عن ذلك راسب ملحي تفاعل على اثر الانقلابات البركانية مع بعض الاعشاب المعروف باسم Varech واختلط برمل ابيض فجرى التحول الى المادة النتروجينية تحت تأثير العوامل الجوية . وقد ساعد انحباس الامطار على احتفاظ هذه المناجم بحالتها حتى فطن الناس الى مزاياها وعملوا على استخراجها في اوائل القرن التاسع عشر

وقد ادى اكتشاف هذا الكنز الثمين الى امتداد العمران الى تلك الصحارى فانشئت المدن والموانئ ومدت الخطوط الحديدية الى غير ذلك من وسائل المدنية . وتشتغل باستغلال هذه الثروة حكومة شيلي نفسها وبعض الشركات المالية ولكن المساحة التي يستثمرونها اليوم لا تتجاوز ستة آلاف كيلو متر مربع من الارض وهو ما لا يزيد عن ثلاثة في المائة من مساحة المنطقة التي فيها هذه الرواسب

البحث عن النترات واستخراجه

يوجد المنجم الذي يحتوي على نترات الصودا على اعماق قريبة من سطح الارض لا تزيد سمك طبقاته عن متر ونصف الى مترين ويطلق عليه اسم كاليش Caliche. مظهره صخري ولونه يميل الى السمرة غالباً . وفيه نتوءات حجرية متلاصقة ببلورات من الاملاح القابلة للذوبان . وتوجد فيه مادة النترات متحدة مع كبريتات الصوديوم والكلسيوم والمانيزيوم ومع يودات الصوديوم وعلى الاخص مع كلورور الصوديوم . وقد توجد

النترات مبلوره حتى تكاد تكون نقيّة . ويبحثون عن هذا المعدن بالمسبار حتى اذا ظهرت منطقة غنية (بالكاليش) عمدوا الى نسف الصخر بالبارود . وتؤخذ القطع الناتجة من عملية الانفجار وتزال عنها المواد الغريبة اللاصقة بها وتنقل الى المصانع لمعالجتها

وعملية استخراج النترات من هذا المعدن الخام عملية شاقة فهو يعالج بالماء البارد ثم بتسخين المحلول وتصفية السائل الذي عند ما يبرد يتحول الى نترات لا تقل نقاوتها عن ٩٥ في المائة وتحتوي على ١٥،٦ في المائة من الازوت . وبعد التجفيف توضع النترات في جوالات وتشحن الى بلاد العالم . على ان عملية التعدين آخذة في التحسين عاماً بعد عام وبعد ان كانت العملية كلها يدوية ادخلت الآلات الحديثة عليها وجربت طرق عديدة منها طريقة معروفة باسم (جوجنهيم) وهذه من شأنها معالجة المعدن الخام بحرارة منخفضة وبلورة النترات بواسطة مواد لها خاصية التثبيت وكل مجهودات الماليين والحكومة الشيلية منصرفة لاحداث اكبر اقتصاد مستطاع في الوقود والايدي العاملة مما يؤدي الى انقاص كمية النفقة

تجارة النترات

ويبلغ ما يستخرج من النترات في السنة في الوقت الحاضر ثلاثة ملايين طن . وقد كان ما استخرج في سنة ١٩٠٠ مالم يزد مقداره عن ١٥٠٠ طن فقط . ولكن مجهود قرن كامل لم يؤثر على تلك الثروة الطبيعية التي لا تنتهي ولا يمكن تقدير المستخرج للآن باكثر من وشل من بحر. واهم المواني التي تصدر النترات انطوفاغستا ايكيك طالتال توكو بيلا

واولى الممالك التي تستهلك النترات الولايات المتحدة ثم فرنسا ويعتبر القطر المصري ثالث بلاد العالم التي تستهلك هـذا السماد الطبيعي وتبذل حكومة الشيلي والشركات التي تستثمر هـذا « الذهب الابيض » مجهوداً عظيما في نشر الدعوة لاستعمال هـذا السماد وملاحظة جودة نوعه ومراقبة تأثيره في الاراضي الزراعية. ولهذا الغرض انشأت مكاتب علمية في اغلب الممالك ويبلغ عدد هذه المكاتب اربعين منها واحد في مصر انشئ منذ عام ١٩١١ مهمتها ان تقوم بالابحاث الفنية المتعلقة باستخدام النترات في تسميد الارض كما تتولى ارشاد المزارعين الى كل ما يخص السماد ويؤدي الى تحسين نتائجه وتقوم بعمل تحاليل في معامل فنية خاصة بها وتقوم بتجارب زراعية تعلن نتائجها في نشرات مجانية

ولا تقوم هذه المكاتب باي عمل من أعمال التجارة او البيع والشراء على الاطلاق وهكذا تحافظ الشيلي على أهم مصادر ثروتها وهي نترات الصودا او « الذهب الابيض »

جلال حسين

مكتبة المقتطف

معجم انجليزي عربي
في العلوم الطبية والطبيعية

تأليف الدكتور محمد شرف بك — الجراح بمستشفى الملك بمصر — وعضو كلية الجراحين الملكية
صفحاته نحو الف صفحة من حجم المقتطف — طبع بالمطبعة الاميرية بمصر — ثمنه ١٥٠ غرشاً

هذا عمل مجمعٍ اضطلع باعبائهِ فرد نابغ حملهُ حبهُ للغة وكلفهُ بترقيتها وزيادة ثروتها على قضاء ساعات الفراغ من عمل شاق كالجراحة في عمل اشقّ منهُ وهو تصنيف معجم لغوي دون تصنيفهِ خرط القتاد حقيقةً

وكفى بالقارئ أن يعرف ان هذا المعجم يشتمل على مصطلحات ومفردات مستعملة في الطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء والجراحة والقبالة والمادة الطبية وامراض النساء والاطفال والعيون والاعصاب والجلد والطب الشرعي وعلوم النبات والحيوان والكيمياء والطبيعة والكهربائية وحفظ الصحة والصيدلة وما اليها ليدرك ان الرجل الذي يقدم على عمل كهذا يجب ان يكون اولاً متبحراً في هذه العلوم ، اذ لا يكفي الالمام بمبادئها في هذا المقام ، وان يكون ثانياً ذا صبر دونهُ صبر ايوب يمكنهُ من مطالعة كل ما كتب في تحديد المواد المختلفة وتحقيق ما ذكرهُ العرب في كتبهم ترجمة او تعريباً لها ، وقراءة كتب الصيد والقنص والرحلات ودواوين الشعر لتحري اسماء الحيوانات والنباتات ومعرفة اسمائها كما تعرف في اوطانها ، وان يكون فوق ذلك بصيراً بمواطن الخطإ لاجتنابها ألمعيًّا في تخير الالفاظ الصحيحة واستنباطها كلفاً بمهمتهِ تهون عليهِ كل مشقة في سبيل انجازها

وفي ذلك قال في مقدمة الطبعة الثانية : « ولكن مما هوّن عليَّ التعب وشق النفس وساعد على عدم تسرُّب الملل والقنوط الى نفسي ، لكثرة ما يستلزمهُ هذا العمل من الجهد والنفقات في اقتناء كتب نادرة واستئجار كتبةٍ ، التشوُّق لقراءة مختلف الكتب العلمية والتاريخية وكتب الاسفار والارتياد ، واني كلما امعنت في المطالعة وزدت غوراً في قراءة العربية زاد اعجابي بها لما فيها من الثروة اللفظية وقابليتها للنمو المستمرّ — ولما فيها من البلاغة والمعاني الباهرة . وكلما ازدادت معرفتي بكلام العرب وادراكي لحسن بيانهِ جرى في جسمي مجرى السحر ، وذلك ما رغبني في استيعاب اكثر دواوين الشعر وكتب

اللغة التي كتبت في موضوعات مخصوصة »

وكل من يرمي نظرة عجلى على مقدمة المؤلف والطرق التي اتبعها في الترجمة والتعريف وايراد الوصف ادرك ان الدكتور شرف خير من يضطلع بعمل كهذا . فقد قضى نحو ١٤ سنة يتصفح ويقتطف ويدوّن ويبوب حتى تهيأ له اصدار الطبعة الاولى من معجمهِ سنة ١٩٢٦ فقوبلت بآيات الاعجاب والثناء . واكبر دليل على حاجتنا الى معجم من هذا القبيل ان طبعتهُ الاولى نفدت في اقل من سنتين والنسخة التي امامنا الآن من نسخ الطبعة الثانية بعد التنقيح والاضافة

ولما كان اشتغال الدكتور شرف في وضع هذا المعجم يجعل لرأيهِ في موضوع الترجمة والتعريب اعلى مقام بين المفكرين رأينا ان نستوضحهُ رأيهُ هذا فكتبهُ لنا في مقالة بليغة مسهبة نشرنا جانباً منها في مكانٍ آخر من هذا الجزء وابقينا الجانب الثاني الى الجزء التالي. فنهنئ صديقنا الفضال بهذا السفر الجليل ونهنئ كتاب العربية وابناءها المتعلمين بهِ وبمعجمهِ

كتاب العشر مقالات في العين

المنسوب لحنين بن اسحق (١٩٤ — ٢٦٤ هـ)

الدكتور ماكس مايرهوف طبيب من ابرع اطباء العيون في مصر . ومستشرق محقق عني بتاريخ الطب عند العرب ولهُ في ذلك آيات تشهد بفضلهِ وعلمهِ. وقد انتهز فرصة اجتماع المؤتمر الطبي الدولي في القاهرة فطبع في المطبعة الاميرية كتاباً طبيًّا نفيساً هو كتاب المقالات العشر في العين المنسوب لحنين بن اسحاق واهداهُ الى كلية الطب في الجامعة المصرية . فاسدى بذلك خدمة جليلة للمستشرقين عامةً وللمشتغلين منهم خاصة بتاريخ العلوم الطبية عند العرب

وهــذا الكتاب كما يقول الدكتور مايرهوف فيهِ اقدم كتاب في طب العيون أُلف على الطريقة العلمية ونصّهُ العربي منقول عن النسختين الوحدتين المعروفتين ، احداهما في خزانة احمد تيمور باشا والثانية في خزانة لننغراد وقــد جاء الدكتور ماير هوف بصورة فتوغرافية منها ليقابلها على النسخة التيمورية

وقد قدّم الدكتور مايرهوف لهذه الطبعة مقدمة مسهبة تناول فيها مباحث العلامة الالماني هيشبرج استاذ طب العيون بجامعة برلين سابقاً وعنايتهُ بتدوين تاريخ طب العيون عند العرب والشعوب الاسلامية الاخرى. . . . « فكشف عملهُ هذا عن بلوغ طب العيون عند العرب في القرنين الرابع والخامس من الهجرة مرتبة سامية تدعو الى الدهشة حقًّا»

واثبت انهُ « لا مندوحة لنا عن التسليم بان المؤلفات العربية في طب العيون حتى ما جاء منها في عصر الانحطاط تفوق بدرجة عظيمة الكتب التي ظهرت في اوربا قبيل سنة ١١٠٠ هجرية اي سنة ١٧٠٠ ميلادية »

ثم ذكر الدكتور مايرهوف قائمة بالمصنفات العربية الاولى التي تناولت طب العيون واثبت في كلامهِ على كتاب البصر والبصيرة الذي ينسب تصنيفهُ الى الطبيب والفلكي والمترجم الذائع الصيت ثابت بن قرة الحراني (العراق ٢١١ — ٢٨٨ هـ) ان هذا منتحل بصورة مخجلة من كتاب عمار بن علي الموصلي (مصر حوالي سنة ٤٠٠ هـ). وبرهانهُ على ذلك ان اسم الرازي ورد فيهِ « وعلى هذا لا بدَّ ان يكون قد صنف بعد سنة ٣٢٠هـ ولا يمتُّ بصلة الى العالم الصابئ ثابت بن قرة الذي عاش في العراق ومات ٢٨٨هـ ». وقال في كلامهِ على كتاب « تركيب العين واشكالها ومداواة عللها لعلي ابن بختيشوع الكفرطابي » « انهُ مجهول ولم يذكرهُ احد سواي. وتوجد منهُ نسختان خطيتان كاملتان في خزانة لننغراد والخزانة التيمورية »

ويلي ذلك بحث مسهب في سيرة حنين بن اسحق واسلوبهِ في التأليف ومقالاتهِ العشر في العين وتشريحها وادوائها ومعالجتها وترجمة ذلك كلهِ بالانكليزية . والكتاب مخدوم بفهارس وجداول ومعاجم تضاعف فائدتهُ لتسهيلها تناولهُ. ومجموع صفحاتهِ بجزئيهِ العربي والانكليزي ٥٠٠ صفحة من قطع المقتطف

الدليل

مجلة شهرية جامعة تعنى بالشؤون الاقتصادية والعمرانية يصدرها بسان باولو (البرازيل) الكاتب الاديب توفيق افندي ضعون ويساعدهُ في انشائها نفر من صفوة الادباء والمفكرين

تصفحنا اعدادها فوجدناها من ارقى المجلات العربية التي اطلعنا عليها من صحف المهجر. فهي تصدر كلَّ شهر في نحو اربعين صفحة كبيرة من قطع اللطائف المصورة حاوية لطائفة مختارة من المباحث التي تهم قرَّاء العربية في اميركا الجنوبية وغيرها من الاقطار. اخذنا اتفاقاً الجزء السابع الذي صدر منها فاذا هو يحتوي على سيرة اسطفان رادتش النائب اليوغوسلافي الذي قتل حديثاً مترجمة عما كتبهُ بقلمهِ . ومقالة علمية في الحشرات آيتها « لكل شيء آفة من جنسهِ » واخرى في « السفن الهوائية » ورحلة الغراف زبلين من المانيا الى اميركا وعودتهِ منها . وفيها عدا ذلك ابواب لنقد الكتب وللزراعة وللصناعة والتجارة وللادب . وهذا الباب الاخير يحتوي على خلاصة لرواية شكسبير التي عنوانها « تاجر البندقية »

ابحاث في المواد المخدرة في مصر

رسالة في ٤٦ صفحة وضعها الدكتور عبد الوهاب محمود وقدمت الى المؤتمر الطبي الدولي الذي التأم في القاهرة في شهر دسمبر الماضي. وقد بحث فيها بحثاً استقرائيًّا مفيداً عن انتشار المخدرات في مصر ننقل منهُ ما يأتي :

نسبة الانتشار بين الف من مدمني المخدرات

١٥	موظفاً
٥٠	تاجراً
٤٩	فلاحاً
٤٥٥	عاملا
٤٣١	صانعاً

٥٥١	المتزوجون
٤٤٩	العزّاب

النسبة بحسب السن

٦٤٩	بين ٢٠ سنة و٣٠ سنة
٢٥٤	« ٣١ « و٤٥ «
٩٧	« ٤٦ « و٦٠ «

النسبة بحسب التعلم

٣٦٣	يعرفون القراءة والكتابة
٧٣٧	من غير المتعلمين

نسبة الانتشار بين ٤٣١ صانعاً من المدمنين الالف

١٠٧	نجارين
٩٨	قهوجيًّا
١٧	رساماً
٢٣	ساعاتيًّا
٧٠	استورجيًّا ومبيضاً
٢٧	حدّاداً
٣	صوّاغ
٥٢	سائق سيارات
٣٤	صنائع مختلفة

الانتشار بين النساء

النسبة بين ٢٣٨ امرأة حكم عليهن سنة ١٩٢٨

١٥٣	امرأة بين ٢٠ سنة و٣٠ سنة
٥٩	« « ٣١ « و٤٥ «
٥٦	« « ٤٦ وما فوقها

والرسالة طافحة بالاحصائيات المفيدة والاقوال الرشيدة فيصح ان تجعل هذه الرسالة اساساً لمكافحة انتشار المخدرات في مصر

السوريون في مصر

بقلم الخوري بولس القرألي — صاحب المجلة السورية ومحررها صفحاته ١٣٤ قطع المقتطف

الجزء الذي بين يدينا يتناول علاقات سورية ومصر من اول التاريخ الى عصر محمد علي وقد لخص الاب المحترم هذه العلاقات في صفحة ٩٣ : حيث قال

« فانت ترى مما سبق ان مصر وسوريا من اول عهد التاريخ حتى محمد علي لم تنفصل الواحدة عن اختها الاَّ نادراً وفي فترات قصيرة . فقد جاء الملوك الرعاة السوريون الى مصر مع مئات الالوف من مواطنيهم وحكموها ستمائة سنة . ولما عاد الملوك الى بلادهم لم يلحقهم مواطنوهم بل تبعهم الفراعنة واستولوا على سوريا مدة اربعمائة سنة . ثم طغى سيل الاشوريين على القطرين فاتحدا عليهم ، ولما ظهر اليونان واستولوا عليهما اخذ ملوكهم يتنازعون الشقيقتين الجميلتين .وقد بقيت سوريا اكثر ايامها في حوزة بطالسة الاسكندرية ثم جاءت النصرانية فدانتا بها ولحقتها الاسلامية فخضعتا لها . واصبحت مصر في اول امر العرب من اعمال دولة دمشق او بغداد او السامرة حتى استقل بها آل طولون فضموا اليها سوريا . ولما جاء المماليك فقدوا سوريا وقتاً قصيراً ثم استعادوها . وخلفهم العثمانيون فجعلوا الشقيقتين عبدتين وولوا امرهما الى باشاوات اساؤوا معاملتهما .فاتحد علي بك الكبير صاحب مصر مع الشيخ ضاهر صاحب عكا والامير منصور شهاب اللبناني على تحريرهما وجمع شملهما فلم يساعدها الحظ طويلاً وظهر بونابرت واحب امتلاكهما فكان اقل حظ منهم وقام محمد علي فضمهما مدة عشر سنين »

وسيلي هذا الجزء جزءان آخران اولهما يحتوي على جداول الاسر السورية في القاهرة والاسكندرية من سنة ١٦١٨ حتى سنة ١٨٠٥ والثاني يتناول حالة السوريين في عهد المماليك

الحالة المالية والتطور الحكومي

والاجتماعي في عهدي الحملة الفرنساوية ومحمد علي

وضع هذا الكتاب الاستاذ ابرهيم زكي بك وكيل مصلحة الاموال المقررة بالمالية. وقد قسمهُ الى بابين كبيرين الاول يبحث في حالة مصر المالية في عهد الحملة الفرنسية فذكر اولاً العناصر التي كانت تتألف منها الحكومة المصرية والموظفين الذين عُهد اليهم في جبي الرسوم والضرائب. ثم قسم هذا الباب الى قسمين عامين تناول في اولهما الضرائب والرسوم العمومية مثل الضرائب على الاطيان والضرائب على الوظائف وضرائب البضائع والضرائب الشخصية ففصَّل كلاًّ منها تفصيلاً وافياً وفي القسم الثاني بحث في النفقات العمومية مثل نفقات الجيش والمعاشات واعمال الخير ونفقات ركب المحمل الشريف والخزانة التي كانت ترسل الى السلطان سنويًّا

والباب الثاني من الكتاب قسمهُ كذلك الى قسمين يشتمل الاول على بعض رسائل

محمد علي واوامره والثاني على تفاصيل التطور الاجتماعي والحكومي في عهده وأثرهما في تاريخ مصر بعد ذلك. ومما قاله في رسائل محمد علي في التعليم :

« والرسائل حافلة بالبحث في موضوع التعليم فكان يطلب بياناً يومياً عن الدروس التي تلقاها الطلبة في القلعة ويذكر انهُ يشعر بارتياح تام عندما يقف على درجة ما نالوهُ من التقدم وعلى حسن سلوكهم . ويشير بجلد طلبة لم يقبلوا على الدرس خمساً وعشرين جلدة

« وكان يطلب بذل العناية في الزام طلبة الطب بأن يترجموا الى العربية الكتب الطبية التي درسوها فاذا لم يكونوا قد خوطبوا في ذلك وجب أن يخاطبوا باللغة العربية للوطنيين والتركية للاتراك وأن يطلعوا سمو الوالي على نص هذه الخطابات

« وفرض على كل تلميذ من تلاميذ قصر العيني أن يكتب سطرين بخط يده ويذكر فيهما اسمهُ وعمره وترسل هذه المخطوطات الى سمو الوالى ليتبين درجة تقدمهم

« وقد عاد طالب صناعة المراكب في انجلترا فأمر بتعيينهِ مساعداً ثانياً في اول الامر ثم يعين لهُ الراتب الذي يتناسب مع درجتهِ

« وقد أشار الى ان الحاجة لا تستلزم أن يعين لمدارس الاقاليم نظار ومساعدون بل يكلف شيخ البلد التي تنشأ فيها المدرسة بادارتها مقابل جُعل يسير على أن يتولى نظافتها خدامه الخصوصيون وعليهم مراقبة الطلبة مراقبة جدية ولفتهم الى ضرورة النظافة

« وأمر بانشاء مدرسة للتمدين وتوطيد دعائمها وأن يخصص لها مكان في حي الأزبكية

« وعاد ثلاثة طلاب تعلموا الزراعة في أوروبا فاشار بانتخاب ثلاثين شخصاً من أبناء مشايخ القرى الموسرين وبناء مساكن لهم في شبرا وبأن يتولوا زراعة المحصولات الاوربية مع تمرين الثلاثين شخصاً المشار اليهم تمهيداً لنشر هذه النظرية في الاوساط الزراعية المحضة

« وابتهاجاً بالطلبة أمر بان من لم يتم ختانه من تلاميذ المدارس في الاقاليم يجب على المديرين القيام بأتمام هـذا العمل مع دق الطبول والمزمار أثناء ذلك مبالغة في ادخال الفرح عليهم »

حقـاً ان من يراجع كتابات محمد علي التي تدل على عنايتهِ بكل كبيرة وصغيرة من شؤون الدولة يقول مع لورد كرومر « فقد توفرت في محمد علي مواهب فائقة تستحق الاعجاب » ومع السر شارلس مري « لئن وضعهُ التاريخ بصفتهِ قائداً في صف طارق وصلاح الدين فلا جرم ان ينيلهُ بصفتهِ مصلحاً قسطاً من ذلك الاحترام الذي يشعر بهِ الانكليز لقائدهم كرومويل والذي يخالج افئدة الفرنسويين تلقاء واضع القانون الجليل »

فلسفة الفارابي

واثره في المذهب المدرسي

وضعه بالانكليزية الاب روبرت حموي — صفحاته ٨٦ قطع وسط — طبع بمطبعة بلنربني وشركاه بسدني اوستراليا

الاب حموي مؤلف هذا الكتاب وُلد في حلب سنة ١٨٩٥ وانتظم في سلك الرهبنة الفرنسيسكانية في فلسطين فاظهر تفوقاً ونبوغاً في الدروس التي تلقاها حتى اذن لهُ رؤساؤهُ وهو في السنة الرابعة والعشرين ان يذهب الى رومية ليتم دروسهُ الفلسفية في جامعتها ولما تقدّم للامتحان بعد سنتين تفوّق على كل الطلاب الذين تقدموا معهُ . وعاد الى فلسطين سنة ١٩٢١ فبقي فيها يدرّس الفلسفة الى سنة ١٩٢٧ حين عزم ان يسافر الى استراليا ليخدم ابناء العربية المقيمين في ربوعها . وفي هذا الكتاب يبين الاب حموي ما في الفلسفة الفارابية من العناصر التي تتفق مع مبادئ المذهب المدرسي واخرى تختلف عنها. ومن تحليلهِ يظهر لك كيف انتقلت الفلسفة اليونانية اليهِ فصقل المذاهب القديمة وتوسع في المذاهب الجديدة ثم كيف نقل عنهُ فلاسفة العصور الوسطى آراء حسبها كثيرون فيما بعد من مبتكراتهم . ومن اقوال الاب حموي في ديباجتهِ : لقد حان الزمن للفلسفة المسيحية ان تعترف بما هي مدينة بهِ للفارابي وغيرهِ من كتاب العرب

العلم والطب

مجلة علمية طبية لصاحب امتيازها توفيق مفرج بك ورئيس تحريرها المسؤول الدكتور اسماعيل مرتضى بك تصدر كل شهر في ٣٢ صفحة من القطع الكبير نصفها عربي والنصف الآخر فرنسي. واليك بعض المباحث التي اشتمل عليها العدد الثاني في القسم العربي. الكبد وخلاصة السرطان . وليم هارفي ابو الطب الحديث . وصف المعرض الطبي . الالم وتشخيص الامراض الباطنية . ونبذ مختلفة علمية وطبية مفيدة. اما القسم الفرنسي فيحتوي على مقالة في مضار المشروبات الروحية للدكتور كاسنجينا والنقابة الطبية للدكتور سركيس وتشخيص القيء للدكتور بيز . وفي القسمين قدر كبير من الاعلانات عن اشهر المستحضرات الطبية وفوائدها

لم يتسع هذا الجزء من المقتطف للبحث في طائفة من الكتب النفيسة مثل كتاب «فجر الاسلام» للاستاذ احمد امين و « الحركات الاجتماعية في الاسلام» للاستاذ بندلي جوزي و« تاريخ الحركة الوطنية» لعبدالرحمن بك الرافعي فوعدنا بها الجزء القادم ان شاء الله

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) كأس شنيدر

الاسكندرية . تردّد في التلغرافات العمومية في أوائل هذا الشهر اسم كاس شنيدر ومباراة شنيدر . فمن هو شنيدر هذا وما هي كأسهُ

ج. شنيدر من رجال الطيران والالعاب الرياضية المشهورين في فرنسا صنع سنة ١٩١٢ كأساً من الذهب والفضة والبرونز قيمتها نحو الف جنيه وجعلها جائزة دولية يفوز بها السابق في سباق للطيارات المائية يقام كلّ سنة او كلّ سنتين . والغاية منهُ ترقية الطيارات البحرية وزيادة سرعتها باذكاء نار المزاحمة بين أبناء الامم المختلفة . وقد تحققت غايتهُ كما ترون من الجدول التالي وفيهِ أسماء الفائزين بهذه الجائزة النفيسة والامة التي ينتمون اليها وسرعتهم في السباق الذي تفوقوا فيهِ والسنة التي تفوقوا فيها

سنة	الاسم والمملكة	السرعة بالميل بالساعة
١٩١٣	بروفو فرنسي	٤٥،٢٥
١٩١٤	بكستن انكليزي	٨٦،٠٠
١٩٢٠	بولونا ايطالي	١٠٦،٧
١٩٢١	ده بريفانتي ايطالي	١١٠،٩
١٩٢٢	بيارد انكليزي	١٤٥،٧
١٩٢٣	رتنهوس اميركي	١٧٧،٣٨
١٩٢٥	دولتل اميركي	٢٣٢،٥٧
١٩٢٦	ده برناردي ايطالي	٢٤٦،٤٩
١٩٢٧	وبستر انكليزي	٢٨١،٥٤

ولم تقم المباراة في اثناء الحرب ثم اقيمت سنة ١٩١٩ في انكلترا فكان الضباب كثيفاً فلم يتمكن الطيارون من الطيران فوق الخط المعين ولما كان اقربهم الى ذلك الطيار الايطالي اقيمت المباراة في السنة التالية في ايطاليا اذ من شروط هذه المباراة ان تقام في البلاد التي فازت بها في السنة السابقة . ولم تقم المباراة سنة ١٩٢٤ لان الطيارة الانكليزية تحطمت قبل شحنها الى اميركا والطيارة الايطالية لم ترسل

وبعد ما اقيمت المباراة في ايطاليا سنة

١٩٢٧ طار الطيار الايطالي ده برناردي فتفوق على اسرع ما بلغهُ وبستر الانكليزي اذ بلغت سرعتهُ ٣١٧ ميلاً في الساعة . ثم حاول دارسي كريج الانكليزي ان يتفوق عليهِ ففاز بذلك اذ بلغت سرعتهُ ٣١٨ ميلا في الساعة ولما كان من شروط المباراة ان المتفوق يجب ان يتفوق على من سبقهُ بخمسة اميال في الساعة على الاقل فقصب السبق لا يزال اذن باسم دي برنادي الايطالي

(٢) الابيغرافيا

الاقصر . ذكرتنا أنباء قدوم المستر ركفلر والاستاذ برستد بعثة في الاقصر لجامعة شيكاغو الاميركية تقوم بعمل اثري جليل . فما علاقة الاستاذ برستد والمستر ركفلر بها وما هو عملها

ج. الاستاذ برستد رئيس الدائرة الشرقية واستاذ التاريخ المصري في جامعة شيكاغو والمستر ركفلر من أكبر المحسنين اليها . والعمل الذي تقوم به بعثة جامعة شيكاغو بالاقصر في هيكل رعمسيس الثاني المعروف بمدينة حبو مديرهُ الدكتور نلسن استاذ التاريخ القديم سابقاً في جامعة بيروت الاميركية وتلميذ الدكتور برستد وهو يختلف عن عمال البعثات الاخرى فقد اقتصر على ما صار لهُ شأن كبير في المباحث التاريخية ونعني تصوير الكتابات الهيروغليفية المنقوشة على اعمدة الهياكل وجدرانها لتحفظ في المتاحف وخزائن الجامعات . وهذا عمل يحتاج القائم بهِ الى الصبر الجميل وطول الاناة لما يقتضيهِ من الدقة في التصوير الفتوغرافي وما يتبعهُ من الرسم بالحبر الصيني والمقابلة على الاصل المنقوش في الحجر وما نشرهُ علماء الآثار من قبل اذا كان قد اتيح لهُ النشر . ومدير البعثة يرسل نسخاً من الصور التي يصورها بالفوتغراف ثم يرسمها بالحبر الى بعض الاثريين المشهورين في اوربا واميركا ليروا رأيهم فيها ويبدوا ما عندهم من الملاحظات وبعد هذا كلهِ يعتمد لنسخة واحدة تكون اقرب ما يمكن ان تكون الى الاصل . وقد لا يتم تصوير الكتابات المنقوشة على جدران مدينة حبو واعمدتها في اقل من ثلاث سنوات وقد مضى على البعثة هناك نحو اربع سنوات الآن . ولكن متى تمَّ العمل صار لعلماء التاريخ بيان تام دقيق لتلك الكتابات يرجع اليها الباحثون الذين لا يستطيعون المجيء الى مصر للوقوف على الاصل

(٣) مبلغ مبرات ركفلر

ومنهُ . اختلفت الناس في مقدار ما انفقهُ ركفلر الكبير وابنهُ في مبراتهما الكثيرة . فما هو المبلغ الحقيقي

ج . يتعذر تقدير ذلك تقديراً مدققاً ففي احصاء نشر سنة ١٩٢٥ ان مبرات ركفلر بلغت ٥٧٥ مليوناً من الريالات اي ١١٥ مليوناً من الجنيهات ولكنهما وهبا

مبالغ طائلة من اول سنة ١٩٢٥ الى الآن لذلك قدرنا مبالغ هباتهما بمائة وثلاثين مليوناً من الجنيهات في صدر المقال المنشور في صفحة ١٣٣ من هذا الجزء. وقد اطلعنا في كتاب « ملوك التجارة » على ان مبراتهما بلغت ١٥٠ مليوناً من الجنيهات. ولعل هذا التقدير مبالغ فيهِ قليلاً. وهذا المبلغ هو الرأسمال الذي وهباهُ واما الربع الذي ينفق في الاعمال المختلفة فيساوي المبلغ الاساسي الآن او يفوقهُ، واذا قدرنا ان هذا الرأسمال يبقى كما هو من غير ان يزيد لارتفاع اسعار السندات فريعهُ السنوي نحو خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات كلَّ سنة باعتبار الربع نحو ٤ في المائة فقط. فكأن ركفلر يهب الآن خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات كلَّ سنة

(٤) كيف انفق

ومنهُ. وفي اي سبيل انفق هذا المبلغ الضخم

ج. اشهر مبرات ركفلر اربع. (١) « مؤسسة ركفلر » وقد وهبها الى آخر سنة ١٩٢٥ نحو ٣٧ مليوناً من الجنيهات. وغايتها محصورة الآن في نشر التعليم الطبي والصحي ومكافحة الاوبئة. وفي كل سنة تقريباً تنشر خلاصة تقريرها فاذا هو ينبئ عن اشتراكها مع طائفة كبيرة من الحكومات في اوربا واسيا وافريقيا واميركا الجنوبية على مكافحة الحمى الصفراء والملاريا والسل الرئوي والانكلستوما وغيرها. ومن منشآتها « المجلس الصحي الدولي » و « مجلس الصين الطبي » الذي اسس كلية باكين الطبية وما يتصل بها من مدارس التمريض والمستشفيات و (٢) « مجلس التعليم العام » وقد وهبهُ الى آخر دسمبر سنة ١٩٢٤ نحو ٢٦ مليوناً من الجنيهات. وغايتهُ ترقية التعليم في الولايات المتحدة الاميركية من غير نظر الى الجنس او المذهب. وكان هذا المجلس قد وزع من ريع مالهِ ٢١ مليوناً من الجنيهات على مختلف الكليات والجامعات الاميركية بينها هارفرد وجونز هبكنز وشيكاغو (ومنها الاستاذ برستد) وبايل وكولمبيا. وسنة ١٩١٩ وهب المستر ركفلر هذا المجلس ١٠ ملايين من الجنيهات ليهبها الى الجامعات والكليات لترفع رواتب أساتذتها منعاً لاستقالتهم واقبالهم على اعمالٍ مالية مكاسبهم منها تفوق الرواتب التي ينالونها من المدارس والكليات. (٣) « معهد ركفلر الطبي » وقد وهبهُ حتى الآن نحو عشرة ملايين جنيه وغايتهُ ضمّ أكبر علماءِ الطب اليهِ حتى يتفرغوا للبحث عن اسباب الامراض وطرق مكافحتها والوقاية منها ومن أشهر رجالهِ العالِم نوغوشي الياباني الذي توفي في السنة الماضية في افريقية وهو يبحث عن حقائق جديدة تتعلق بالمكروب الذي

بسبب الحمى الصفراء . (٤) وقف « لورا سبلمن ركفلر التذكاري» وقد وهبهُ حتى آخر ١٩٢٤ نحو ١٥ مليوناً من الجنيهات لينفق ريعها في اعمال الخير النسائية التي كانت زوجتهُ (واسمها قبل الزواج لورا سبلمن) تعنى بتنشيطها قبل وفاتها سنة ١٩١٥

وعدا هذه الهبات تبرع بنحو اربعة ملايين من الجنيهات للكنائس ونحو تسعة ملايين جنيه لجامعة شيكاغو . واما هباتهُ الاخرى فيتعذر حصرها الآن

(٥) نفق المانش

مصر . نشرت التلغرافات العمومية منذ ايام نبأ عن الاهتمام باعادة النظر في مشروع نفق تحت المانش يصل بين انكلترا وفرنسا فما هي الحقائق العلمية التي ترتبط بهذا الموضوع

ج . اذا تمَّ الاتفاق على تنفيذ المشروع حُفر نفق مزدوج تحت بحر المانش احدهما للقطارات الذاهبة من دوفر (بانكلترا) والآخر للقطارات الآتية اليها من كاليه (فرنسا) والظاهر ان طائفة كبيرة من المهندسين البارعين قد نظروا في الامر من الوجهة الهندسية ورأيهم انهُ لا توجد صعوبة ما تحول دون حفر النفق بآلة صنعت لهذا العمل خاصة . فقعر بحر المانش فيهِ مادة ٧٥ في المائة منها طباشيري و٢٥ في المائة دلغاني وهي مادة لا يخترقها الماء . ويكون النفق عميقاً يبعد ١٣٠ قدماً عن قعر المانش او اكثر وينتظر ان يستغرق حفرهُ وبناؤهُ من الداخل بالسمنت المسلّح نحو ثلاث سنوات ونصف سنة وتقدَّر نفقاتهُ بنحو ٣٠ مليوناً من الجنيهات . اما الاعتراضات الحربية التي توجَّه اليهِ فقد نأتي عليها وعلى ما يدحضها في مكان آخر لان هذا الباب لا يتسع لها

(٦) منع النزلة الصدرية

الاسكندرية . شفيت منذ اسبوعين او ثلاثة من النزلة الصدرية التي اصبت بها على اثر اصابتي بالانفلونزا فما هي افضل الطرق لتوقي الاصابة بها ثانية

ج . لا يعرف حتى الآن لقاح او مصل يقي من النزلة الصدرية . وبعض الاطباء يعتقد ان الاصابة بها تقي منها مدة قصيرة جدًّا . والبعض الآخر يقول ان الاصابة بها تعرض المصاب لاصابة اخرى

والنزلة الصدرية مرض معدٍ لذلك يجب عزل المصابين بها عن سائر افراد الاسرة ويجب على من اصيب بها سابقاً ان يتقي الاختلاط بالمصابين كل الاتقاء . وعليهِ ترون ان الواقي الوحيد لكم هو الاحتفاظ بصحة حسنة وعناية خاصة بمسألة الغذاء والرياضة البدنية والنوم الكافي والنظافة الجسمية والدفء وعدم التعرض لمجاري الهواء . ولما كانت مكروبات هذا المرض تكثر في الفم والحلق فمن الوسائل لوقاية الجسم العناية بصحة الاسنان والحلق وتنظيفهما كل صباح وكل مساء

باب الأخبار العلمية

إنقار . الَنـڨار . بلاتنيت

منح مجلس الجمعية الطبيعية بلندن وسام ددل التذكاري عن سنة ١٩٢٨ للدكتور شارل ادوار غيّوم مدير المكتب الدولي للموازين والمقاييس بسيڤر . وهذا الوسام يمنح كلَّ سنة لمن يوسع آفاق العلوم باستنباط آلات علمية جديدة او ابتداع مواد جديدة لبناء الآلات العلمية

والدكتور غيّوم مشهور في عالم العلم بانهُ استنبط ثلاثة معادن جديدة كل منها مزيج من معادن اخرى وهذه المعادن هي « الانقار » و « الالنقار » و « البلاتينيت » والاخير اهمها من الوجهة الصناعية فهو مزيج من النكل والحديد يتمدد عند درجة الحرارة التي يتمدد عندها الزجاج ولذلك يسهل صهره مع الزجاج ويستعمل في صناعة المصابيح الكهربائية . ولما كانت مصانع المصابيح الكهربائية تصنع كلَّ سنة نحو الف مليون مصباح فاستعمال هذا المعدن مكان سلك البلاتين يوفر على المصانع مليون جنيه في السنة

والمعدن الثاني هو الانقار وهو مزيج من النكل والصلب لايكاد يتمدد بفعل الحرارة فاذا صنعت منهُ شريطة من الشرائط التي تستعمل للقياس في مسح الاراضي لم تتأثر بفعل الجو فلا تطول ولا تقصر . واعمدة الرقاص في كل الساعات المتقنة الصنع تصنع منهُ الآن لوقاية الرقاص من فعل الحرارة . والمعدن الثالث هو الالنقار وهو شبيه بسابقهِ ولكن لا يتأثر مطلقاً بتغير حرارة الجوّ فلا يتمدد بارتفاعها ولا يتقلص بانخفاضها وقد استنبطهُ خاصة لتصنع منهُ اجزاء الساعات الدقيقة وخصوصاً الزنبلك ويقدَّر الآن ان خمسة ملايين ساعة تصنع كلَّ سنة ويدخل هذا المعدن في صنع اجزائها

تكريم السر جاغاديس بوز

احتفل في اول دسمبر الماضي بالهند بتكريم العالم الهندي السر جاغاديس بوز لبلوغهِ سن السبعين فارسل مهارجا نيبال وحكام الهند ورؤساء الجامعات فيها مندوبيهم لحضور هذا الاحتفال الفخم ونظم الشاعر ربندرانات طاغور قصيدة خاصة لتتلى فيهِ. ووردت على المحتفل بهِ رسائل التهنئة من مختلف البلدان . فأرسل رومان رولان الكاتب الفرنسي المشهور تلغرافاً قال فيهِ لقد : « أدمجت في امبراطورية الروح

عالم الحياة الذي كان يحسب حتى الامس ميتاً ولا وجدان لهُ » وهو طبعاً يشير بذلك الى مباحث بوز التي أثبت بها ان النباتات تحسُّ وتشعر كالحيوانات. وأرسل معهد البحث الوطني بنانكنغ رسالة جاء فيها: « العالم ينظر اليك لترفع العلم الى مقام الحقيقة الروحية . وكل اسيا تشترك معك في مجدك». فأجاب بوز بخطبة قال فيها: « لقد مضى عليَّ اربعون سنة وانا أشتغل لأفوز للهند بمكانة معترف بها بين دول الارض بما تقدمهُ من ثمار القرائح لتوسيع نطاق العلم . والعالم اليوم منقسم الى فرق مستعدة للحرب مهددة بذلك كيان الحضارة. وهناك طريقة واحدة لانقاذ العالم من دمار شامل وهي التعاون الفكري لمصلحة الناس العامة » . ولما اجتمع مجلس (سنا) جامعة كلكتا في ٨ دسمبر أصدر قراراً بتهنئته

موتمر للغة العربية

في مساء يوم الجمعة ١١ يناير سنة ١٩٢٩ دعي جمهور من اهل الفضل والادب من المصريين والشرقيين الى دار ميرزا مهدي رفيع مشكي بك رئيس الغرفة التجارية الايرانية فتذاكروا في سمرهم الحفلات التي أقيمت بالقاهرة لتكريم امير الشعراء شوقي بك وما كان في عزم المحتفلين بهِ من اقامة مؤتمر للغة العربية ثم ذكروا اشتداد الحاجة في الوقت الحاضر الى السير في تنفيذ هذه الفكرة بعقد مؤتمر دوري يتنقل بين حواضر البلاد العربية ويحضرهُ مندوبون من اقطارها للبحث في وسائل ترقية اللغة العربية رسماً ولفظاً حتى تأخذ المكان الجدير بها بين اللغات الحية وتصبح كفيلة بكفاية التعبير عما استحدث من مقتضيات الحياة الحاضرة. وتنفيذاً لهذه الفكرة أَلفوا من بينهم لجنة مؤقتة تتولى تنظيم الاعمال التمهيدية لعقد لجنة تأسيسية لتنظيم المؤتمر

وقد اجتمعت هذه اللجنة الموقتة مساء يوم الثلاثاء ١٥ يناير الجاري بدار الرابطة الشرقية وبحثت في اسماء من عرفوا بالعناية بشؤون اللغة العربية من الادباء والعلماء بالقطر المصري لتدعوهم للاستنارة بآرائهم في موضوع المؤتمر . فنرجو لها النجاح في عملها

وعندنا انهُ لا محيص عن اشتراك حكومات البلدان العربية في تنظيم هذا المؤتمر والانفاق عليهِ لأنهُ اذا لم يكن عملهُ مستمراً ، واذا لم يقف طائفة من العلماءِ كلَّ وقتهم عليهِ بحثاً وتنقيباً وتأليفاً فلا ترجى من عقدهِ في فترات بعيدة فائدة عملية كبيرة . وهؤلاءِ العلماءِ يجب ان يكفوا همَّ العناية برزقهم اذا تفرغوا لهذا العمل الجليل ومن يكفل لهم ذلك غير الحكومات المختلفة في البلدان العربية ؟

وقد استوضحنا آراء طائفة من كبار العلماء

في هـذا الموضوع وما يتصل بهِ وأخذنا ننشر آراءهم تباعاً في المقتطف

الفيتامين ايضاً

في مكان آخر من هـذا الجزء مقال مسهب عن الفيتامين . ولكن العلم سريع الارتقاء لتعدد الباحثين وتعاونهم واتقان وسائل البحث واشتراكها . فباحث في فعل غاز من الغازات قد يوفق الى طريقة يستعملها باحث في الفيتامين فيكشف بها عن حقائق جديدة لم يكن الكشف عنها ممكناً لولا تعاون العلماء في البحث عن الحقائق . وقد قرأنا في السينتفك اميركان مثلاً بليغاً على ما تقدم . ذلك ان غاز الاثيلين من الغازات التي تستعمل في انضاج الاثمار قبل اوانها وهو كذلك من الغازات التي شاع استعمالها في الجراحة للتخدير وقد حلَّ بين الجراحين الاميركيين محلَّ جانب كبير من الايثر والكلوروفورم والاكسيد النتروس. نخطر على بال بعض الباحثين السؤال التالي : هل الخضراوات والاثمار التي تنضج انضاجاً صناعيًّا بفعل غاز الاثيلين تحتوي على الفيتامين الذي تحتوي عليهِ عادة متى نضجت نضجاً طبيعيًّا؟ فاذا لم تكن كذلك فانضاجها بغاز الاثيلين مهما يكن مفيداً من الوجهة المالية للشركات التي تقوم بهِ مضرٌّ بالجمهور الذي يأكلها ، فاخذ الدكتور باب Babb احد اساتذة جامعة ماين الكرفس الذي انضج بفعل الاثيلين والكرفس الذي نضج نضجاً طبيعيًّا وامتحن فعلها في طائفة من الجرذان فثبت لهُ من تجاربهِ هذه، التي جرى فيها مجرى السر غولندهبكنز المفصلة في مقالتنا ص ١٤٦ من هذا الجزء ، ان انضاج الكرفس بغاز الاثيلين لا يقلل مقدار ما فيهِ من فيتامين (ب). ولكن هذا الحكم لا يصحُّ اطلاقهُ على ما بقي من الخضراوات والاثمار . فيجب امتحان البرتقال والطماطم وغيرهما من الاثمار التي تنضج بالاثيلين كما امتحن الكرفس ليعرف هل هذا الغاز يقلل ما فيها من الفيتامين او لا

في القطب الجنوبي

في القطب الجنوبي الآن بعثتان علميتان الاولى بعثة برد الاميركي وقد اشرنا اليها في مقتطف نوفمبر الماضي ونشرنا معها صورة للاصقاع المتجمدة الجنوبية. والثانية بعثة السر جورج هوبرت ولكنز الرائد الاسترالي الذي طار مرتين فوق القارة المتجمدة الجنوبية فاثبت ان غراهاملند (ارض غراهام) ليست شبه جزيرة متصلة بالقارة المتجمدة كما كانت تحسب قبلاً بل جزيرة يفصلها عن القارة مضيق متجمد . وكشف كذلك ست جزائر جديدة لم تذكر قبلاً . وسنعود الى تفصيل اعمال البعثتين بالصور في الجزء التالي مبينين وجوه

الفرق بين ارتياد الاصقاع المتجمدة الشمالية وارتياد الاصقاع المتجمدة الجنوبية

ومهما تكن النتائج العلمية التي تسفر عنها اعمال هاتين البعثتين فاذا اسفرت عن الاجابة عن سؤال واحد كفاها فخراً . وهذا السؤال الخطير هو : هل جليد القارة المتجمدة الجنوبية آخذ في الذوبان . فاذا كان الجواب بالايجاب فعلى كل المدن الكبيرة القائمة على شواطئ البحار ان تشرع في نقل خزائنها ومتاحفها ومعاملها ودورها ومدارسها الى الداخلية ، لانهُ متى ذاب هذا الجليد ارتفع مستوى البحار نحو خمسين قدماً وطغى ماؤُها على الشواطىء فغمرها. وهذا القول ليس من بنات الخيال بل هو رأي عالم استرالي من مشهوري علماء الجيولوجيا وهو السر ادجورث داڤيد

اطالة العمر واختلاف العلماء

نشر المقطم من مراسله في الفيوم ان في ضواحيها شيخاً معمراً اسمهُ ابراهيم البطران بلغ من العمر ١٥٣ سنة وانهُ لذلك اكبر الاحياء سنًّا على ما يعلَم . وقد اطلعنا على رأي للدكتور ارثر ربس من اساتذة جامعة بنسلفانيا ذهب فيهِ الى ان المعمرين سيصبحون في سنة ١٩٥٠ كثاراً حتى لا يعود يعبأ بهم احد ، وهو لا يرى سبباً ما يمنع اطالة الحياة حتى تصير مائة سنة بدلاً من ان تحدَّ بستين او سبعين . والتقدم في علوم الطب والغذاء وما اليها يجعل ذلك منتظراً . والدكتور جورج روكر من اساتذة جامعة جونز هبكنز يذهب الى ان بلوغ سن المائة من غير يوم واحد من المرض في حيز المستطاع وعندهُ ان اطالة العمر تتوقف في مقدمة ما تتوقف عليهِ من الامور ، على التغذية الصحيحة

اما الدكتور دبلن وهو من الاطباء المتصلين بشركة المتروبوليتان للتأمين على الحياة فيرى اننا لم نتقدم مطلقاً في القرن الاخير في اطالة الحياة . وكل ما فعلهُ علماء الطب وموظفو المجالس الصحية هو زيادة متوسط عمر الانسان بتقليل الوفيات بين الاطفال . والدكتور الفرد كون من علماء الحياة في معهد ركفلر الصحي يؤكد ان الشيخوخة مرتبة طبيعية من مراتب الحياة لا مندوحة عنها وكل ما فعلهُ الطب انهُ جعلها اكثر رفاهة ورخاء

اصول الحضارة الهندية

جاء في ناتشر ان السيد بودب موكرجي اصدر رسالة صغيرة موضوعها « قدم الحضارة الهندية » جاء فيها على ان اصل الحضارة الهندية يرجع الى ١٩٥٠ مليون سنة . ولما كان السر جيمز جينز أشهر علماء الفلك المعاصرين يذهب الى ان عمر الارض نفسها يرجع الى الفي مليون سنة حُتِم علينا

ان نصدّق قول المستر موكرجي حيث يقول « وأكثر الناس لا يصدقون قولي هذا ». ولكن الفصل الذي أفردهُ لتاريخ الكيمياء الهندية لا بأس بهِ وهو جدير بأن ينظر فيهِ مؤرخو هذا العلم. ومن اقواله في هذا الفصل ان الرازي مدين للهنود بما تعلمهُ عن كيمياءِ المعادن. ومما لا يقرّهُ عليهِ العلماءُ قولهُ « ان مذهب دارون قد رفضهُ الآن أشهر علماءِ العصر وفلاسفتهِ ». ثم تشير ناشر على المؤلف ان يشترك مع أحد العلماءِ الذين رسخت قدمهم في موضوع النقد التاريخي على الاسلوب العلمي الحديث فينتج عن هذا الاشتراك فائدة علمية كبيرة

عملية عجيبة في العين

جاء في مجلة العلم العام نبأ عملية جراحية في العين اذا صحّ بحذافيره كان من عجائب الدقة وآيات الابداع. ذلك ان طبيباً اميركيًّا في مستشفى العين والاذن بنيويورك شاهد فيهِ مريضاً فقد احد عينيه وعوّض عنها بعين زجاجية ثم اصيبت الثانية بالكتركتا وهو اظلام العدسة البلورية فرأى ان ينقل من عين رجل آخر قرنيتها ويزرعها على عين هذا المصاب بعد ازالة قرنيتها المريضة. وفعلاً قام بذلك فنجح وصار الرجل يرى الاشباح على بعد عشر اقدام بعد ما كان مهدداً بالعمى. وكانت عين الرجل التي تبرع بقرنيتها مصابة بخرّاج خبيث ولهُ عين اخرى يرى بها فتبرع بجانب من عينهِ المريضة التي لا ترجى لتصلح بها عين اخيهِ

المناعة ضد السل الرئوي

في اجتماع لجمعية الطبيعيين والاطباء الالمان خطب الاستاذ لوفنشتين النمسوي مبيناً انهُ في الامكان احداث مناعة ضدّ السلّ الرئوي باستعمال دهن يحتوي على مكروبات السل الميتة. واسم هذا الدهن « درموتيوبن » وقد استعمل في السنوات الاربع الاخيرة لوقاية تلاميذ المدارس بفينا من السل واستعماله يكون ثلاث مرات متوالية بين المرة والاخرى شهر وقد احدث مناعة فعالة في ثلث الاطفال الذين عولجوا بهِ. فعسى ان يعنى احد طلبة الطب المصريين في فينا بتفصيل هذا العلاج اذا كان ما ينسب اليهِ صحيحاً

انباء موجزة

* بنت شركة اللفت هنسا الالمانية التي تسيّر كل خطوط الطيران التجاري في المانيا طيارة مائية ضخمة لتستعملها في نقل الركاب والبريد بين اسبانيا واميركا الجنوبية. وقد جهزتها بثلاثة محركات مجموع قوتها ٢١٦٠ حصاناً وبكل الآلات الدقيقة التي لا مندوحة عنها لقيادة الطيارات وسلامة الركاب. وفيها متسع لاثني عشر راكباً

وخمسة طيارين وخدم . وتستطيع ان تطير مسافة ٢٤٠٠ ميل من غير ان تحطّ على الارض بسرعة ١٣٠ ميلاً في الساعة

*كان بين زوّار القاهرة في شهر يناير الماضي السر دنيسُن رُس المستشرق الشهير ومدير مدرسة العلوم الشرقية بلندن وقد القى يوم ١٦ يناير خطبة نفيسة في «الادب الفارسي» على جمهور كبير من العلماء والادباء والممثلين السياسيين في ردهة الخطب بجامعة القاهرة الاميركية. واتيح لنا الاجتماع به قبيل الخطبة فالفيناهُ من قرّاءِ المقتطف وقد شجعنا على المضي في خطتنا العلمية

* فازت الطيارة الاميركية «علامة الاستفهام» بقصب السبق في طول البقاء بالجوّ اذ بقيت ستة ايام ونصف يوم محلقة من غير ان تحطَّ على الارض وكانت تملأ احواضها بالبنزين بانبوبٍ من طيارة تحلق فوقها . وقُدِّر طول المسافة التي اجتازتها في اثناء طيرانها بثمانية آلاف ميل ونيف

*احتفل في ١١ يناير الماضي بتكريم الطبيبين المصريين الدكتور شاهين باشا وكيل الداخلية للصحة وعلي ابراهيم بك الجراح الشهير لما ناله اولهما من تقدير المعهد الصحي الملكي البريطاني والثاني من فوزه بلقب رفيق شرف بكلية الجراحين الملكية بلندن

* وصلت الى لندن في ١٧ يناير الماضي اللايدي بايلي بعدما اجتازت وحدها المسافة بين مدينة الراس بجنوب افريقية ولندن على متن طيّارة صغيرة. وقد منحت لقب أبرع امرأة طيارة في سنة ١٩٢٨ لفوزها هذا

* جاء في انباء المانيا ان الدكتور اكنر الذي صدرنا هذا الجزء بصورتهِ ينوي ان يجيء مصر في اوائل مارس القادم على متن بلونهِ الشهير «الغراف زبلن» وقد عُرض عليهِ ان يربط بلونهُ حين نزولهِ بمصر بالسارية التي اقيمت لغرض كهذا في الاسماعيلية

* لو صح المذهب القائل ان المقدرة العقلية تتوقف على وزن الدماغ لكان حوت واحد يفوق اربعة او خمسة من النوابغ . فقد بحث احد العلماء الالمان في ذلك ووجد ان في دماغ حوت واحد ٢٤٧ اوقية من المادة السنجابية مع ان متوسط وزن الدماغ في الانسان قلما يزيد عن خمسين اوقية

* عرض في دور الصور المتحركة بانكلترا في الشهور التسعة الاولى من السنة الماضية ٥٥٠ شريطاً جديداً ٤١١ شريطاً منها من اميركا و٦٢ شريطاً من المانيا و٥٣ من انكلترا نفسها و١٧ من فرنسا و٤ من ايطاليا و٢ من روسيا وشريط واحد من الدنمارك

* اثبتت المباحث في قسم الالبان بوزارة الزراعة الاميركية ان وضع اللبن في مكان معرض لنور الشمس يكسبهُ طعماً شبيهاً برائحة بزر الكتان وذلك لان النور يساعد على اكسدة اللبن . وثبت ايضاً ان وضعهُ في مكان مظلم يقيهِ من ذلك

* دعت سيدة مريضة ببونس ايرس طبيباً المانيًّا بالمانيا على التلفون اللاسلكي ووصفت لهُ الاعراض التي تصيبها فشخص لها مرضها ثم ارسل وصفة الدواء بالتلغراف ودامت المحادثة اللاسلكية ثلث ساعة كان الحديث فيها واضحاً كل الوضوح

* يعنى الدكتور بوپ العالم الالماني واحد اساتذة كلية الزراعة في براندنبرغ بتأصيل نبات تبغ جديد يستطيع كل واحد ان يدخنهُ من غير ان يصاب بالسعال . ويأمل ان يولد تبغاً زكي الرائحة خالياً من النكوتين

* الالوان الصفراء والبيضاء والسوداء هي الالوان التي يسهل على الطيارين تمييزها وهم طائرون لان اللونين الاولين يعكسان النور والثالث يمتصهُ لذلك قرّر ان تدهن كل المعالم التي يمكن ان يهتدي بها الطيارون بهذه الالوان

* تضاعفت معاهد التعليم العالي الخاصة بالزنوج في اميركا في السنوات العشر الاخيرة . وزاد عدد الطلاب فيها ستة اضعاف

* لقد انشىء قسم خاص في جامعة باريس دعي معهد البحث الصوتي (فونتيك) وأُلحق بهِ معمل للبحث العلمي ومعرض لاصوات الرجال المشهورين واغاني المغنين والمغنيات

* صُوّر المشتري صوراً فتوغرافية متتابعة في مرصد جبل ولسن ثم صنع من هذه الصور شريط سينماتوغرافي متى عرض عليك رأيت حركة دوران المشتري وأحد اقماره حولهُ

* قررت حكومة ايطاليا ان تراقب الاعلانات الطبية . ولا يؤذن لاية جريدة او مجلة ان تنشر اعلانات طبية لم يرخص بنشرها من الحكومة

* انفق السياح الاميركيون في البلدان التي زاروها في سنة ١٩٢٨ نحو مائة وثمانين مليوناً من الجنيهات

* اخذ الجدري بالزوال من تركيا على اثر سن قانون يقضي بالتطعيم الاجباري العام

* ينتظر ان يجيء مصر في اواسط فبراير المستر رديرد كبلنغ الروائي والشاعر البريطاني الشهير

* في الولايات المتحدة ٦٩٨٩ مستشفى تسع ٨٧٠ ٩٩٣ سريراً

* ان معامل فكّر للطيارات قد بنت حتى الآن ١٦ الف طيارة

الجزء الثاني من المجلد الرابع والسبعين

صفحة

اديصن في الثانية والثمانين

في شخصية اديصن وسيرتهِ ومستنبطاتهِ ابلغ مثال على روحانية الحضارة الغربية في صناعتها وعلمها

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٤١

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الثالث من المجلد الرابع والسبعين
١ مارس سنة ١٩٢٩ — ١٩ رمضان سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

مستقبل بلاد الفينيقيين

يظن البعض ان الشرقيين عاجزون عن ادارة امورهم بايديهم لانهم يرون ما في بلدانهم المختلفة من الضعف والوهن وتضعضع القوى . ولكننا اذا بحثنا في تاريخهم القديم وجدنا ان هذا الضعف طارىء عليهم وانهم لم يكونوا كذلك في غابر الازمان . واذا قسناهم بغيرهم من امم الارض وعلمنا ان الاسباب المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ترجح لنا انهُ لا يتعذر عليهم ان يلموا شعثهم ويستردّوا مجدهم السابق . فان الامم التي نحسبها الآن متسنمة غارب المجد وراقية ذرى الفلاح لم تكن كذلك منذ بضع مئات من السنين . فامّة اليابان مثلاً لم تكن ارقى من مجاوريها سكان الهند والصين منذ مائة سنة وهي الآن مثل امم اوربا العظمى. ودول اوربا لم يكن لها شأن كبير منذ الف سنة وهي الآن في اوج مجدها

والامة التي استطاعت ان تنشىء مثل صور وصيداء وقرطاجنة في غابر الازمان وتحكم نفسها بنفسها على اسلوب استحق اعجاب ارسطوطاليس كبير الفلاسفة السياسيين وامتدت تجارتها الى اقاصي البلدان الى الهند والصين شرقاً والى اسبانيا وبلاد الانكليز غرباً وشمالاً ودارت سفنها حول افريقية واستخرج رجالها الذهب من مناجم الترنسفال والنحاس من مناجم اسبانيا والقصدير من مناجم انكلترا وحاربت رومية سنين عديدة — الا يحتمل ان يستطيع ابناؤها الآن الاستقلال بادارة امورهم اذا شاؤا ولم يتعرَّض لهم من يقاومهم قبل ان يشتدَّ ساعدهم

هل الحضارة الغربية حضارة مادية ؟

روحانية الحضارة الغربية في صناعتها وعلمها

من جوامع الكلم التي تنسب الى كنفوشيوس حكيم الصين ان كل ادوات الحضارة لها اصل روحي لان الفكرَ مصدرها كلها . فهو يقول : « متى تصوّرت هذه الادوات كان تصوّرها في عقلك « افكاراً » . ومتى جسمتها في شكلٍ من اشكال المادة دعوتها « ادوات » ومتى نشرتها بين جمهور الناس لاستعمالها لبست شكلاً من اشكال الحياة ونسبوها الى الآلهة . ومثّل كنفوشيوس على قولهِ بامثلة كثيرة فقال ان الانسان رأى الخشب طافياً على وجه الماءِ قبلما صنع المراكب والسفن . ورآهُ كذلك مغموراً بالماءِ فصنع التوابيت لحفظ اجسام آبائهِ واجدادهِ . ورأى المطر هاطلاً من السماءِ فخاف ان يمحو كلَّ آثار الانسان فاستنبط الكتابة

ومن العبث التدليل على ان رأي كنفوشيوس هذا قد أُخذ بهِ ارسطوطاليس وافلاطون . فكل ادوات العمران ومنشآتهِ اصلها « افكار » او « صور فكرية » في عقول مبدعيها . وقد كانت العصور التي عاش فيها كنفوشيوس وافلاطون وارسطوطاليس سابقة للعصور التي اضطرب العقل البشري فيها بمسألة الجسد والروح وانفصال احدهما عن الآخر فاعترفوا جميعهم بان اساس العمران المادي والمستنبطات المادية اساس روحي

روحانية الصناعة

والحق يقال انهُ لا يوجد في التاريخ ما يسمونهُ « حضارة مادية » مجردة . فكل اداة من ادوات الحضارة يبدعها الذكاءُ البشري متصرفاً بالمادة والقوة لتحقيق حاجة من حاجات المعاش او تلبية لدافع يدفعهُ الى تمثيل الجمال الاسمى او لاكفاءِ ميلهِ الى البحث والتنقيب وحب الاستطلاع . وانا لا أرى ان قطعة من الخزف فيها من المادية اكثر مما نجدهُ في قصيدة بليغة من قصائد الحب . كما اني لا ارى ان كاتدرائية القديس بولس اقل مادية من بناية ولورث ناطحة السحاب . واذا رجعنا الى التاريخ وجدنا ان الانسان الاول لما فاز بابداعِ النار من حك الخشب حُسب ابداعهُ هذا عملاً روحيًّا سامياً يجب ان ينسب الى اعظم الآلهة . وفي الصين ترى ان كل ملوك الخرافات فيها لم يكونوا

كهاناً ولا فلاسفة بل كانوا مستنبطين مثل سويجن مكتشف النار ويوتساو اول باني للبيوت وشن نونغ اول معلم للزراعة والطب.

> نشرنا في مقتطف يناير الماضي مقالة موضوعها « هل الحضارة الغربية على جرف هار » اثبت فيها كاتبها ان الحضارة الغربية تقوم على العلم والصناعة وانه لا خوف عليها من الانحلال والاندثار لان العلم يتقدم تقدماً حثيثاً وارتباط الصناعة بالعلم يزداد كل سنة احكاماً . وانه اذا ثارت حرب طاحنة بين الامم التي بلغت فيها الحضارة الغربية ارقى مراتبها وقضت على كل مآثر العمران امكن تجديدها في اميركا واليابان . وفي مكان آخر من هذا الجزء يرى القارىء مقالا موجزاً لخص فيه الكاتب رأي الفيلسوف الالماني سبنغلر الذي يذهب الى ان ظل العمران الغربي آخذ في التقلص . ومن اقوى الادلة التي يسوقها لتأييد رأيه ان الحضارة الغربية مادية تفسد الاخلاق وتغري بالتزاحم والتناحر . فهل الحضارة الغربية حضارة مادية فقط ؟ هذا هو السؤال الذي نريد ان نجيب عنه في ما يلي بتلخيص مقال مسهب للحكيم الصيني الدكتور هو شه

واجدادنا احسنوا فعلا بتأليه المستنبطين لان الانسان مهما وصف لا يخرج عن انهُ حيوان يحسن صنع الآلات ، وصنع الآلات هذا هو اساس العمران. فالكشف عن النار كان فاتحة عصر جديد في تاريخ البشر . كذلك كان الكشف عن مبادىء الزراعة الاولى ، واستنباط الكتابة ، واستنباط الطباعة . أوَ ليس استنباط التلسكوب والآلة البخارية واكتشاف الكهربائية وتطبيقها اساس العمران الحاضر ؟ واذا حق للعصور الوسطى ان تجعل كهنتها في مرتبة القديسين وجب ان نؤله غليليو ووط وستيفنسن ومورس وبل واديصن وماركوني وفورد كما ألَّه الاقدمون بروميتوس مكتشف النار وقدموس مستنبط الكتابة . ان كلَّ هؤلاء يمثلون تلك الشعلة الالهية في الانسان ـ العقل المبدع الذي يستنبط الآلات ويبني بها العمران وحضارة كل امة هو ما تعمله لتكيُّف وفق مقتضيات بيئتها والنجاح في هذا التكيُّف او الفشل فيهِ يتوقفان على مقدرة ابناء هذه الامة في استخدام ذكائهم لاستنباط الآلات اللازمة الفعالة . والتقدم في العمران متوقف اولاً وآخراً على البراعة في ابداع الآلات واتقانها . ان اسماء العصور المتغلغلة في التاريخ تدلك دلالة واضحة على ما تقدم. لماذا نقول العصر الحجري والعصر البرونزي وعصر الحديد وعصر البخار وعصر الكهربائية ؟ ذلك لان كل مادة او

قوة من المواد او القوى المذكورة كان الصبغة الغالبة التي اصطبغت بها ادوات ذلك العصر وكانت مرقاة لابنائهِ الى ذرى العمران

***

وما يصح على تقدم الحضارة التاريخي يصحُّ كذلك على وجوهِ الاختلاف بين حضارات الشرق وحضارات الغرب . فالفرق بين حضارة الشرق وحضارة الغرب انما هو في الدرجة الاولى فرق بين ادوات العمران المستعملة في كلتيهما . فامم الغرب تقدمت امم الشرق في القرنين الاخيرين في ميدان الحضارة لان ابناء الامم الغربية تمكنوا من استنباط ادوات جديدة واستعمالها فمكّنتهم من تفهم اسرار الطبيعة والسيطرة على قواها وزيادة مقدرتهم على العمل والانتاج. اما الامم الشرقية التي كانت بلدانها مهداً لاقدم ادوات العمران واشهرها، فتأخرت عن مجاراة الغرب في هذا الميدان والسير على نهج أبنائها الأُول، فظلت تعمل باليد ما سخّر لهُ ابناء الغرب البخارَ والكهرباء

هنا اذاً نرى الفرق الاساسي بين حضارة الشرق وحضارة الغرب. ان الحضارة الشرقية قائمة اصلاً على عمل اليد ، وهو مصدر كل القوة التي تستعملها في انتاج ما يلزم لها من مقومات العمران . اما حضارة الغرب فقائمة على قوة الآلات . وقد قال لي احد اصدقائي الاميركيين « كل رجل وامرأة وولد في اميركا يملك من ٢٥ الى ثلاثين عبداً ميكانيكيًّا مع ان كلَّ رجل وامرأة وطفل في الصين لا يملك سوى جزء من اربعين جزءاً من ذلك».
وقد وضح احد المهندسين الاميركيين ذلك بصورة ابلغ اذ قال : « لكل انسان في الولايات المتحدة الاميركية ٣٥ عبداً فنيًّا يقومون باعماله .والعامل الاميركي ليس مستعبداً بل رئيساً لهذه العمال الميكانيكية سواء عرف ذلك ام لم يعرفهُ » . هذا هو الفرق بين الحضارتين . هو فرق في الدرجة ولكنهُ بلغ مبلغاً عظيما حتى كاد يصير فرقاً في النوع

***

في يوليو سنة ١٩٢٦ وصلت الى مدينة هاربن بشمال منشوريا في طريقي الى اوربا . وهي مركز تجاري يدعى الآن « شنغاي الصين الشمالية » وقد كانت قبلاً دائرة نفوذ للروس فنشأ على بعد بضعة اميالٍ منها بلدة صغيرة كانت قبل ذلك قرية حقيرة . جلت في شوارع المدينة ثم انتقلت الى البلدة الصغيرة فلاحظت امراً ادهشني وحملني على التأمل لانهُ كان ابلغ مثل يبين الفرق بين روحانية الحضارة الغربية وروحانية الحضارة الشرقية . ذلك ان كل وسائل الانتقال في مدينة هاربن كانت عربات يجرّها الناس فكأنهم حلُّوا فيها محلَّ

الحيوانات . ولما انتقلت الى بلدة « هاربن » لم ار شيئاً من هذا . لان الروس كانوا قد منعوا ذلك في ايام سيطرتهم فاحتفظ السكان بهذه العادة حتى بعد خروج الروس منها والانتقال الى سيطرة الصينيين

هنا وقفت على الحد الفاصل بين حضارة الجركشا وحضارة السيارة . حضارة الانسان المستعبَد كالحيوان وحضارة الانسان السيّد

دع الفلاسفة الذين يقولون بروحانية الحضارة الشرقية يتأملوا هذا . اية روحانية تجدها في هذه العبودية الفظيعة وامثالها ؟ انعتقد حقاً ان في هؤلاء العبيد، المستعبدين كالحيوان حياة روحية سامية ، مع انهم يشقون في قيود العبودية الخرساء . انعتقد حقاً ان حياة هذا المستعبد الروحية اسمى من حياة عامل اميركي يملك سيارة فيستقلها مع افراد اسرته بعد انقضاء ساعات العمل فيطوف بها الارجاء الفسيحة والحدائق الغناء او يذهب الى دور الصور المتحركة يتلقى على ستارتها ما يزيد حياته الفكرية والروحية سعة وعمقاً او يجلس في داره يصغي لاسلكياً الى كبار الكتاب والعلماء والوعاظ والموسيقيين ويستطيع ان يعلم اولاده في مدارس عامة مجهزة باحدث ادوات العلم ومجموعة صالحة من كتب المتقدمين والمتأخرين

لن يستطيع القارئ ان يدرك الفرق الذي احاول ان اصوّره الاَّ اذا رأى ما يكابده هؤلاء المساكين من التعب والشقاء واثر ذلك في صحتهم وعمرهم . حينئذٍ يبارك هارغريف وكارتريت وفلتن ووط وستيفنسن وفورد الذين ابدعوا الآلات المختلفة لتنقي من عمل الانسان ذلك الذي يساويه بالحيوانات والذي لا يزال ابن الحضارة الشرقية القديمة مستعبَداً به

هنا روحانية التقدم المادي والميكانيكي في الحضارة الغربية . فالتقدم الميكانيكي يعني استعمال العقل البشري لابتداع الادوات والآلات حتى يضاعف بها قوة الانسان على العمل والانتاج فيتمكن من التخلي عن استعمال يديهِ ورجليهِ وظهره في عمل لاجدوى منهُ ، حتى يستعمل ما يتسع امامهُ من ساعات الفراغ للتمتع بكل اسباب الحضارة والتثقيف واللذة العقلية والروحية . لانهُ اذا قضي على الانسان ان يقضي كل نهارهِ وجانباً من ليلهِ يقطّر دمهُ في عملهِ الشاق لم يبق لديهِ نشاط للاقبال على تلك الامور الروحية والعقلية التي يتمتع بها ابن الغرب

فعندي ان كل حضارة تستحق ان تدعى كذلك يجب ان تبنى على اساس الرقي المادي وقد قال في ذلك احد ساسة الصين منذ ستة وعشرين قرناً : متى كثر الطعام واللباس امكن التفريق بين الشرف والخسة ، ومتى امتلات المخازن تعلم الناس الآداب السامية

روحانية العلم

مهما يختلف المفكرون في تحديد المقصود من « حياة الروح » او « الحياة الروحية » لا يختلف اثنان في ان حب المعرفة واستطلاع المجهول من المطالب الروحية العليا التي تدفع الانسان الى البحث والاستقصاء . ومع ذلك نرى ان اكثر الحضارات القديمة حاولت ان تطمس في الانسان هذه النزعة الروحية النبيلة . ففي سفر التكوين يعلل سقوط الانسان بطلب المعرفة . واكثر الديانات الشرقية علمتنا: « لا علم لا شهوة » و « اجهل كلَّ شيء واتبع نظام الرب » و « اجتنب الحكمة » . وقد قال احد حكماء الشرق العظام « الحياة محدودة والمعرفة غير محدودة . فما اصعب السعي للحصول على غير المحدود بشيء محدود » لذلك أعرض هؤلاء الحكماء عن الطريق العلمي طريق البحث عن الحقيقة بالاستقصاء والاستقراء والبحث والتنقيب وانصرفوا الى التأمل والبحث في النفس سعياً وراء ما سموه الحكمة العميقة . ودعى بعضهم الى الاتصال بالله عزَّ وجلَّ حتى من غير تأمل في اعماق النفس . وغيرهم عيَّن المراتب التي يجب ان تمرَّ النفس فيها قبل الحصول على قوى الاله الست

في يناير سنة ١٩٢٧ كنت في بلدة بنيوجرزي باميركا فشاهدت فقيراً شرقيًّا يحاول ان يقنع الجمهور الاميركي انهُ يستطيع ان يثبت تفوق الحضارة الروحية الشرقية بدفن نفسهِ ساعتين و٥٢ دقيقة خمس اقدام تحت الارض يعود من بعدها فينتفض حيًّا. وهو عمل سبقهُ اليهِ هوديني المشعوذ المشهور الذي لا يدعي قوة خارقة ، فبقي مطموراً كذلك نحو ساعة ونصف ساعة

وعندي انهُ من الجهل القول بان روحانية الحضارة قائمة على هذه الاخاديع . أوَ لا تستطيع طائفة كبيرة من الحيوانات الدنيا والعليا ان تنكمش وتقضي فصل الشتاء مستكنة كأنها ميتة فتنقطع عن الحركة والاكل ثم تعود الى الحركة والحياة حين تصلح بيئتها لذلك

ولكن ألستَ تجد روحانية حيَّة في اكباب العلماء على استقصاء المجهول من اسرار الطبيعة والحياة بطريقتهم العلمية الدقيقة الخاضعة للامتحان

الحق خفيٌّ لا يكشف القناع عن وجههِ للخادعين من امثال الفقير الشرقي المذكور او زملائهِ من الوسطاء الغربيين ، الذين يقتربون من قدسهِ بايدٍ غير متمرنة على البحث وعقولٍ غير مثقفة باساليبهِ ونفوس لا ترى الحقَّ فوق كل حطام من حطام الدنيا

العلم يثقف العقول فيدنيها من القدس الاعلى لانهُ يجهزها بطرق واساليب وادوات للبحث عن الحق الخفيّ . وهو كذلك يعلمنا ان لا نقنط حين تكتنفنا المصاعب والعقبات في

سعينا للكشف عن الحقيقة لان العلم لا يتقدم الاَّ بالبحث الدقيق والتغلب على المصاعب التي تحول بين الباحثين وضالتهم المنشودة. وكل حقيقة جديدة يثبتها العلماء هي فتح جديد للعلم مهما تكن تافهة في ظاهرها وعدم علاقتها بغيرها من الحقائق . لان جسم العلم الحيّ النامي انما هو مجموعة من هذه الحقائق ، وكل خطوة يخطوها الباحث الى الامام توقظ في نفسهِ ذلك الحبور الروحي الذي كان ينسب الى الحكماء الاقدمين حين تجلّى الالهة لهم . كذلك شعر ارخميدس حين كان في حمامه وعقلهُ غارق في بحث مسألةٍ علمية عويصة . فانهُ حين اهتدى الى حلها قفز من حمامهِ وخرج عارياً في الشوارع ينادي « وجدتها وجدتها» لان جذلاً روحيًّا تملكهُ وسدَّ عليهِ منافذ العقل الخاضع للتقاليد الاجتماعية . وهذا هو الحبور الذي كان يشعر بهِ كلٌّ من المكتشفين العظام مثل غليليو ونيوتن وباستور واديصن ومن هم على شاكلتهم — فرح روحي لم يشعر بمثلهِ انصاف الانبياء من ابناء الحضارات القديمة الذين كانوا يبحثون عن الحقيقة الكلية بالتأمل والاستهواء

واكبر عناصر العلم الحديث روحانيةً هو هذه الريبة في كل شيء قبل تصديقهِ ، هذه الشجاعة الادبية على الشك في كل امر لم تقم على تأييدهِ الادلة الوافية . وهذا الموقف ازاء الحقيقة ليس موقفاً سلبيًّا كما يدعي كثيرون بل هو موقف يؤدي بالباحثين الذين يقفونهُ الى الابداع والبناء . لان الشك هو الطريق الى الاقتناع او كما قيل الشك اول مراتب اليقين. وغايتهُ انما هي التغلب على الشكوك والريب باقامة المعتقد على دُعُم راسخة. فان العلماء الذين يقفون هذا الموقف لم يكتفوا بمحاربة المعتقدات القديمة بآلة «الشك» الهدامة بل كان موقفهم باعثاً على كشف كثير من المكتشفات العظيمة ما كانت تكشف لولا تشددهم في اقامة الدليل . هو هذا الروح ، روح « الشك المبدع » الذي كان العنصر الاساسي في سيَر رجالهم في مقدمة المحسنين الى الانسانية امثال داروين وهكسلي وباستور وكوخ

وماذا نقول بنظرة الاعجاب والاجلال التي تبعثها في النفس المباحث العلمية الجديدة حين تكشف لنا عن عظمة الكون وبناء المادة واسرار الخلق والتكوين والوراثة والنشوء وما اليها ؟

ومغزى هذا الحديث جليٌّ لذي عينين. بدأ الانسان حياتهُ على سطح الكرة كحيوان صانع للادوات وبنى حضارتهُ باستنباط ادوات جديدة قرناً بعد قرن مكّنتهُ من السيطرة على قوى الطبيعة التي تحيط بهِ . وهبطت هـذه الحضارة الى دركها الاسفل حين سئمَ الانسان هذا العراك مع القوى الطبيعية فاخلد الى التأمل في حياة الروح . ولكن العلم الحديث وما بني عليهِ من اساليب الصناعة اعاد للانسان ثقتهُ بنفسهِ ومقدرتهِ فابدع حضارة الغرب

ارتقاء سفن الهواء

والبلونان الانكليزيان الجديدان

نخط هذه الكلمات والعمل قائم في المانيا لاعداد الغراف زبلين لزيارته الى مصر وما يجاورها من بلدان الشرق الادنى. ولا يخفى ان سفره من المانيا الى اميركا وعودته منها حاملا على متنه المسافرين واكياس البريد كان فاتحة عصر جديد في النقل الجوي. وقد تصور رسامنا البلون وهو احدث مستحدثات العمران فوق الاهرام ومسجد القلعة فوضع الصورة البديعة التي طبعناها على غلاف المقتطف هذا الشهر

ارتقاء البلون

ان تاريخ ارتقاء الطيارة لا يمكن فصلهُ عن حديث السابحات في الهواء التي حاول بها بعض القدماء تقليد الطيور. كذلك تاريخ البلون المسيَّر من امثال الغراف زبلن لا يستطاع فصلهُ عن تاريخ البلون الذي كان في ايدي بعض الباحثين من ابناء القرن الثامن عشر لعبة يلهون بها لادهاش الناس

ولا ريب في ان هذين الاسلوبين من اساليب الطيران — الطيارة والبلون — دُرسا درساً نظريًّا من اقدم العصور لان التحليق في الجو ومجاراة الطيور في مملكتها كان غاية يصبو اليها الانسان من فجر العمران . وقد جاء في الخرافات القديمة ان ارخيتس احد ابناء ترنتوم استنبط « طيارة تشبه حمامة فصنعها من الخشب وصنع آلة تمكنها من الطيران وكانت اجزاؤها متوازنة ثم دفعها الى الحركة بهواء سخن مخفي » وكذلك ديدالس حاول الطيران مع ابنهِ ايكاروس من جزيرة اقريطش الى صقلية ففاز بذلك ولكن ابنهُ سقط في البحر . ثم جاء ارخميدس العالم الصقلي فكشف عن المبدإ القائل انهُ اذا حلَّ جسم من الاجسام محل مقدار من الماء او الهواء وزنهُ اكبر من وزن الجسم طفا ذلك الجسم في الماء او ارتفع في الهواء . فارخميدس بكشفهِ عن هذا المبدإ يصح ان يدعى « ابو البلون »

ولكن فرنسا من امم الحضارة الحديثة كانت اولى الامم التي عنيت بالبلون وترقيتهِ فاهتم اثنان من ابنائها يوسف مونغولفيه واتين منغولفيه اخوه وهما ابنا صانع ورق من قرب ليون ببناء بلون يرتفع بالجو حين ملئهِ بالهواء السخن فكان ذلك اول بلون بني في التاريخ على ما يعرف

البلون الذي بناهُ ده روزيه ليجتاز بهِ المانش فسبقهُ الى ذلك بلانشار
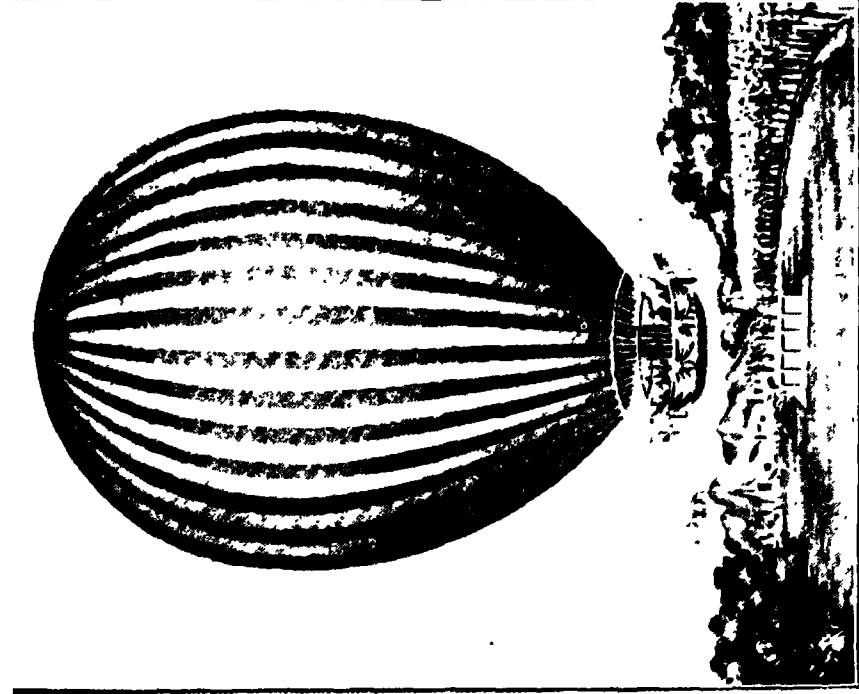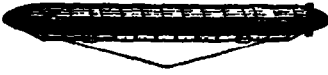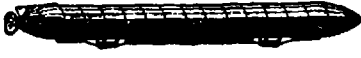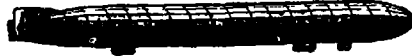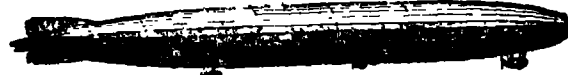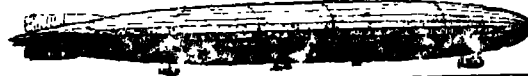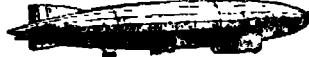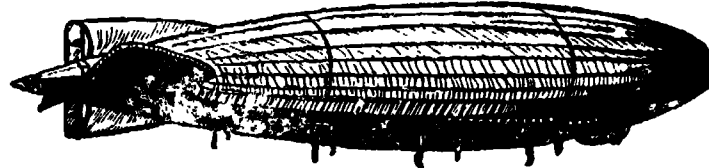
احد البلونات التي بناها الاخوان مونغولفيه

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٤٨

تقدم البلونات المسيرة

هذا الرسم يبين تقدم البلونات التي صنعها الكونت زبلين الالماني وعليها يعلق الآن شأن كبير في ترقية المواصلات الجوية
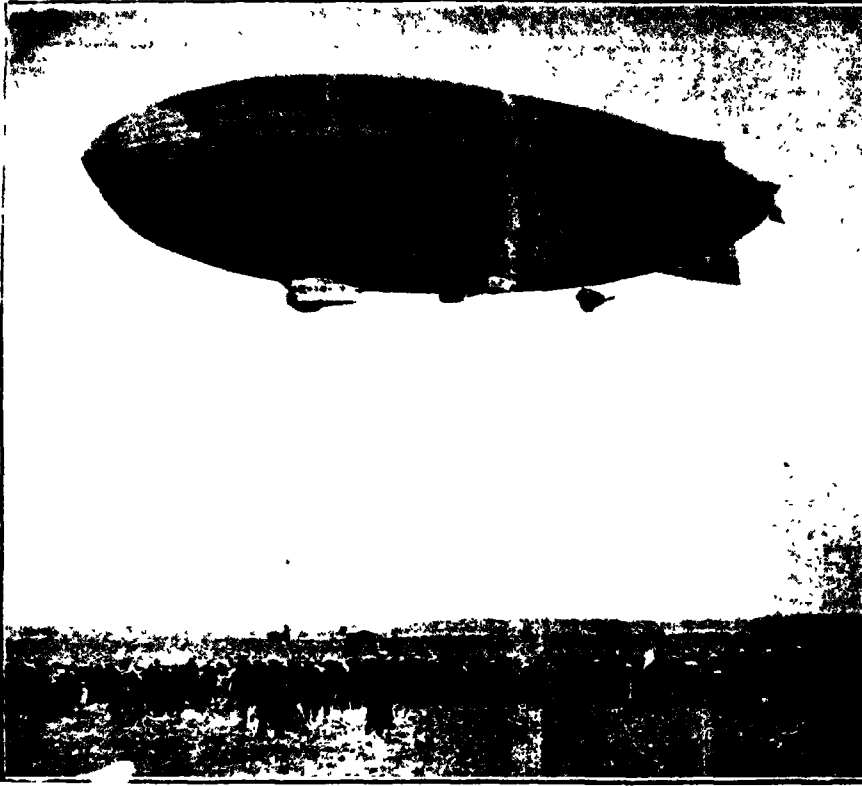
فوق — البلون نورج الذي طار به امندسن ونوبيل الى القطب الشمالي ومنه الى الاسكا
تحت — البلون الاميركي الضخم الذي يبنى الآن مرسوم على مقربة من بارجة حتى ترى النسبة بينهما
طوله ٧٨٠ قدما وقطره ١٣٢ وقوة محركاته الثمانية نحو ٥ آلاف حصان

ردهة الجلوس في البلون غراف زبلين

ردهة الجلوس في احد البلونين الانكليزيين

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٤٩

وفي ٥ يونيو سنة ١٧٨٣ اطارا بلوناً كرويّ الشكل محيطهُ ١٠٥ اقدام فارتفع ال
ستة آلاف قدم وبعد ما لبث في الجو عشر دقائق قطع في اثنائها ميلاً ونصف ميل فة
توازنهُ وسقط الى الارض. فاثار عملهما هذا اهتمام الشعب الفرنسي وملكهُ لويس السادس
عشر فدعي الاخوان الى بلاط الملك وفي جمهور من النبلاء يتقدمهُ الملك والملكة مار
انطوانت اطارا بلوناً آخر بعدما علّقا بهِ سلة وضعا فيها خروفاً وديكاً واوزة . ورأ
ذلك الطبيعي شارل فادرك للحال الفائدة العظيمة من استبدال الهواء السخن بالهدروج
بعد ما اثبت الكيماوي الانكليزي كافندش ان الهدروجين اخف من الهواء سبعة اضعاف
وانقضت برهة من الزمن بعد ذلك كان صنع البلونات واطارتها مدار حديث القوم واعما

ولكن الانسان لا يكتفي بالتفرج على البلون محلقاً في الجوّ من غير ان يحاو
استخدامهُ لقضاء مآربهِ في حرب ونقل واتصال. وادرك الباحثون ان استعمالهُ لا يستط
اذا لم تستنبط طريقة لامتطائهِ وتسييرهِ بحسب ارادة ممتطيهِ فحاول بعضهم ان يعلق بالبلو
زورقاً وان يصنع لهُ شراعاً ومقاذيف تستعمل لتوجيه البلون في الجهة المرومة . ثم ذه
احد القواد الفرنسيين المدعو مونيه Meusnier الى ان شكل البلون يجب ان يكون بيضو
حتى يسهل تسييرهُ فوضع بذلك المبدأ الحديث في بناء البلونات المسيَّرة . وحاو
الراهبان ميولان وجانينه ان يدفعا البلون في الجوّ بثقب مؤخره حتى ينطلق الهو
السخن منهُ بقوة فيدفع البلون في الجهة المقابلة وهو المبدأ الذي بنيت عليهِ سيّا
الصاروخة الحديثة

واول رجل صعد ببلون هو فرنسوى ده روزيه (١٧٥٦ — ١٧٨٥) احد سكا
متز . فانهُ صعد في ١٥ اكتوبر سنة ١٧٨٣ والايام التي تليهِ مراراً في بلون مقيَّد ا
مربوط بحبل الى عمود في الارض واثبت انهُ لا يجد صعوبة ما في ان يستقلّ معهُ ما
يوقدها لتسخين الهواء في البلون وحفظهِ محلقاً في الجوّ . فلما اثبت ذلك تقدم اليهِ مركي
دارلاند فصعدا معاً في بلون مطلق في ٢١ نوفمبر سنة ١٧٨٣ فحلّقا الى علو ٥٠٠ قد
ومرّا فوق الانفاليد والمدرسة الحربية ونزلا على ٩٠٠٠ يرد من المكان الذي قاما منهُ

وبعد انقضاء عشرة ايام على ذلك اي في اول دسمبر سنة ١٧٨٣ صعد الطبيعي الفرنس
شارل في بلون يحتوي على غاز الهدروجين ومعهُ احد الاخوين روبرت اللذين بنيا ا
البلون وكان قطرهُ ٢٧ قدماً وعلقت بهِ مركبة تدلت من وسط البلون برباط كالشبكة كا
يحيط بهِ . فحلق الى علو ٢٠٠٠ قدم ولبث في الجوّ نحو ساعتين نزل بعدها على ٢٧ ميلا
من المكان الذي صعد منهُ

وفي ٧ يناير سنة ١٧٨٥ تمكن بلانشار الفرنسي والطبيب جفريز الاميركي من اجتياز بحر المانش من دوفر الى بولون بيلون فلما صارا فوق البحر رأيا البلون آخذاً في الهبوط فرميا كلَّ الاثقال التي كانت معهما فخفَّ البلون قليلاً وارتفع ولكنهُ لم يلبث حتى اخذ في الهبوط ثانياً قبيل وصولهما الى الشاطئ الفرنسي فرميا الحبال التي كانت معهما وتجردا من بعض ثيابهما ورمياها فخفَّ البلون ثانية وارتفع وظلَّ مرتفعاً حتى وصلا الى فرنسا ونزلا في حرج غِن فيها على مقربة من بولون

وفي ١٥ يونيه سنة ١٧٨٥ حاول ده روزيه ورومان ان يعيدا الكرة بعبور المانش من فرنسا الى انكلترا فصنعا لذلك بلوناً خاصاً مزدوجاً ولكن البلون احترق بعد ما قضيا في الجوّ نحو نصف ساعة فقتل روزيه للحال وتبعهُ رفيقهُ رومان بعد عشر دقائق

وهكذا ظلَّ تاريخ البلون يتقدم تقدماً بطيئاً حتى اواسط القرن التاسع عشر . ومن اكبر الباحثين اثراً في ترقيتهِ هنري جيفار الذي كان قد ساعد احد صناع الساعات السويسريين في بناء مثال مصغَّر لبلون يمكن تسييره في ريح متوسطة الهبوب. وفي سنة ١٨٥٠ استدان جيفار نقوداً من اصدقائهِ وبنى بلوناً كبيراً جرى في بنائهِ على مبدإ مونيه فجعلهُ بيضويًّا مستطيلاً وعلى اقتراح المهندس هكنسن الاميركي فبنى لهُ محرّكا. وكان طول هذا البلون ١٤٣ قدماً وقطرهُ عند وسطهِ ٣٩ قدماً واحاطهُ من الخارج بشبكة من الحبال جُمعت عند اسفل وسطهِ وربط بها البلون بسارية . ووضع لهُ في مؤخرهِ اجنحة كزعانف السمك لحفظ موازنتهِ في الهواء وكان المحرك آلة بخارية تولد قوة حصان لكل ١١٠ ارطال من الوزن . واتخذ كل اسباب الوقاية ضد الحريق . فلما تم استعدادهُ ارتفع بهِ في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٥٢ . فتمكن من الارتفاع بهِ في الجوّ وسيّرهُ بسرعة خمسة اميال في الساعة ولكن لما كانت الريح التي تهبُّ في وجههِ قوية وسرعتها اكبر من سرعة البلون تقهقر البلون الى الوراء بدلاً من ان يتقدم الى الامام

ثم صنع بلونات اخرى صغيرة فاقتنع في اثناء مزاولتهِ لصنعها انهُ يجب ان يفوز بآلة قوية حتى يستطيع تسيير البلون بسرعة كبيرة ولذلك عكف على وضع الرسوم اللازمة لصنع بلون كبير طولهُ ٢٠٠٠ قدم وسرعتهُ ٤٤ ميلاً في الساعة . ولكن اعتلال صحتهِ حال دون اتمام العمل وتوفي سنة ١٨٨٢

والخطوة الكبيرة التالية في ارتقاء البالون جاءت سنة ١٨٨٥ حين بنى الكابتن شارل رنار الفرنسي البلون المشهور « لافرانس » بعدما منحهُ غمبتا اعانة مالية من الحكومة . وكان طول هذا البلون ١٦٥ قدماً وقطرهُ $27\frac{1}{2}$ قدم وشكلهُ بيضويّ مستطيل جدًّا « كالسيجار »

ووضع فيهِ محركاً كهربائيًا وطار بهِ مراراً فكان متوسط سرعتهِ ١٤ ميلاً في الساعة وفي خمس من سبع رحلات قام بها كان البلون يسير ويعود الى المكان الذي قام منهُ طبقاً لارادة الذين فيهِ

***

الى هنا كانت فرنسا وابناؤها في مقدمة الامم عناية بالبلون واتقانهِ. ولكن في اواخر القرن التاسع عشر بدأت المانيا تهتم بأمره فصار بنائها وعناية فون زبلن خصوصاً ما صار اليهِ الآن من الارتقاء. فصنع اولاً ولفرت الالماني سنة ١٨٩٧ بلوناً تسيّرهُ آلة تحرق الغازولين وتبعهُ شوارتز النمساوي فصنع آخر تدفعهُ في الهواء آلة تحرق البنزين. وكانت اكثر البلونات التي صنعت قبل زبلن اما مرنة او نصف مرنة اي ان الكيس الذي يحتوي على الغاز كان لا يحتوي على اي هيكل صلب او على هيكل مرن. فلما جاء الكونت زبلن عني ببناء هيكل صلب من معدن خفيف كالالومنيوم ثم كساهُ بالنسيج الذي يريده حتى لا تعبث بهِ العواصف والرياح

وعني الكونت زبلين في سنة ١٨٩٧ بصنع بلون لهُ هيكل من معدن الالومنيوم يسع ١٦ كيساً من الغاز سعتها ٤٠٠ الف قدم مكعبة. وعلّق بهِ مركبتين في كل منهما محرك قوتهُ ١٦ حصاناً وامتحنهُ في يونيو سنة ١٩٠٠ فبلغت سرعتهُ ١٨ ميلاً في الساعة. وسار ثلاثة اميال ونصف ميل فلما عُطّلت آلة ادارتهِ. وسنة ١٩٠٥ انهى الكونت زبلين بلونهُ الثاني وكانت سعتهُ من الغاز اقل من سعة سابقهِ ولكن قوة محركيهِ بلغت ٨٥ حصاناً اي نحو خمسة اضعاف قوة المحركين في سابقهِ. وما زال الكونت زبلين يتقدم في تكبير حجم البلون المعروف باسمهِ وزيادة قوة محركاتهِ واتقان وسائل ادارتهِ واستعمالهِ في الحرب والنقل الى حين وفاتهِ في اثناء الحرب الكبرى على ما ترى في الصور المرافقة هذه المقالة. وكان الدكتور اكنر صانع الغراف زبلين وربّانهُ من مساعدي الكونت زبلين فلما توفي وقع العبء في اتمام العمل عليهِ ويظهر انهُ خير خالف لخير سالف

البلونات الانكليزية

تبني الحكومة الانكليزية الآن بلونين متى تمَّ بناؤهما كانا اكبر البلونات التي صنعت حتى الآن. فسعة البلون غراف زبلين من الغاز كانت ٣٧٥٠٠٠٠ قدم مكعبة من الغاز ومن الركاب ستين راكباً مع امتعتهم الخفيفة واكياس البريد. ولكن ينتظر ان تكون سعة كلٍّ من هذين خمسة ملايين قدم مكعبة من الغاز ومائة مسافر مع امتعتهم ومقداراً كبيراً

من رسائل البريد . فطول البلون منها ٧٢٠ قدماً وقطره ١٣٢ قدماً ومقدار ما يرفعهُ في الجوّ ١٥٦ طناً منها ٢٤ طناً ونصف طن يُتقاضى عليها اجرة كركاب وبريد . وقوة محركاته اربعة آلاف حصان وسرعتهُ ٧٠ ميلاً في الساعة ويستطيع ان يسير ٣٥٠٠ ميلاً بحملٍ كامل من الركاب والبريد من غير ان يحطّ على الارض

وسنذهب بالقارئ الآن الى احد هذين البلونين لنصف لهُ ما أُنشئ فيهِ من المعدات لراحة الركاب ورفاهتهم

اذا وصلنا الى السارية الضخمة التي ربط البلون باعلاها دخلنا بابها وامتطينا آلة رافعة تصعد بنا الى اعلى السارية حيث نجد غرفة معدة لاستقبال الركاب فنخرج منها على ممرّ مغطى من كل جوانبهِ الى داخل البلون فاذا وصلنا الى وسطهِ انفتح امامنا باب يكشف عن ردهة متسعة تنتشر منها الطرق المؤدية الى الغرف المختلفة منها مطبخ مجهز باحدث وسائل الطبخ الكهربائية يستطيع الطباخون ان يجهزوا فيهِ طعاماً يكفي مائة واربعين شخصاً والمطبخ متصل بغرفة الطعام فوقهُ بآلة رافعة تمكن الخدم فيها من تلقي اطباق الطعام سخنة من المطبخ رأساً

وعلى مقربة من المطبخ غرف صغيرة للغسل ومراحيض . ثم غرفة التلغراف اللاسلكي ثم غرفة يوزَّع منها الهواء النقي على الغرف العامة والخاصة لتهويتها . فاذا كان الجوُّ بارداً حمي هذا الهواء قليلاً بامراره فوق وجاق يسخن ببخار يتصل بهِ من آلتي البلون . ووراء غرفة التهوية غرف القبطان ورجاله والغرفة التي فيها كل الآلات والادوات اللازمة للملاحة الجوية . هذه هي الدكة السفلى

اما الدكة العليا فيصعد اليها من الردهة الكبيرة التي في وسط الدكة السفلى وقد بني عليها خمسون غرفة نوم كل غرفة تحتوي على سريرين ومرآة وخزانة الى آخر ما يلزم المسافر . اما غرفة الطعام فمفروشة فرشاً متقناً وفيها متسع لخمسين مسافراً يتناولون الطعام معاً . وفي مقدمة هذه الدكة غرفة للجلوس فيها كراسي مريحة يسهل نقلها من الغرفة واعدادها للرقص في دقائق قليلة . اما موسيقى الرقص فيسهل التقاطها لاسلكيًّا من المحطات القريبة من مكان البلون . وعلى كل من جانبي هذه الغرف ممر طويل متسع للمشي يحيط بهِ (درابزين) وامامهُ فتحات كبيرة في هيكل البلون كالنوافذ يرى منها المسافر مشاهد البرّ والبحر والدكتان بما فيهما من الغرف مبنيتان في هيكل البلون وليستا مركبة معلقة بهِ كما كانت الحال في البلون ايطاليا والغراف زبلين . وليس في اسفل البلون الا غرفة الملاحة الخاصة بالقبطان

تنضيد حروف الطباعة تلغرافيا

احدث المستنبطات الصحافية (١)

... ولما كانت الصحافة ركناً من اركان العمران الحديث كان لا بدَّ لها من ان تجاريهُ وتتخذ من المستنبطات الحديثة عيناً لقضاء اوطارها. فانا بفضل هذه المستنبطات اصبحنا ولا صبر لنا على البطء في شأن من الشؤون. فالمسافات الشاسعة نريد ان نجتازها باقصى سرعة مستطاعة ولا نحجم عن ركوب الطيارات لذلك. والانباء من البلدان النائية نريد ان نتلقاها بالتلغراف او التلفون ونؤثر اللاسلكي منها على السلكي. والفتى يريد ان يتعجل الوقت الذي يصبح فيه رجلاً والفتاة تستبق الساعة التي تمكنها من ان تصير لامها اختاً. والامم تقطع الاوصال التي تربطها بالماضي لتجاري الامم السابقة في ميدان الرقي. ولما كانت الصحافة مرآة الحضارة في بلد من البلدان. بل مرآة الحضارة في كل البلدان وجب ان تدخل اسباب السرعة الى مخادع كتابها ومراسليها. والى الغرف التي تجمع فيها الحروف والمطابع التي تطبع بها

من منا يطيق ان يقرأ صحيفة لا تحتوي فيما تحتوي عليهِ من الاخبار على «اخبار اليوم» من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ومن اقصى الشمال الى اقصى الجنوب سواء كانت انباءً من عالم السياسة او عالم التجارة او عالم الريادة او عالم الصناعة او عالم العلم او عالم الاجتماع. والجريدة التي لا تستطيع ان تحمل السرعة والدقة نيدها في كل اعمالها مقضي عليها بالتقهقر والفناء في تيار الحضارة السريع الجارف

لذلك اذا دخلت بناية من البنايات الحديثة التي اقيمت لصحيفة من الصحف رأيتها متصلة مع كل انحاءِ العالم بالتلغراف والتلفون السلكيين واللاسلكيين ومراسلوها منتشرون في كل انحاءِ الارض يتسقطون الاخبار من مصادرها. ورأيت الغرف التي تنضّد فيها حروف الطباعة تحتوي على آلات اللينوتيب (في بناية التيمس النيويوركية ٧٩ آلة منها) وهي شبيهة بالآلة الكاتبة (التيب رَيتر) فاذا قرع الكاتب على المفتاح الخاص احد الحروف صبّت لهُ

---

(١) من محاضرة للاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير هذه المجلة موضوعها « المستنبطات الحديثة في الصحافة » القاها في نادي نقابة موظفي الحكومة المصرية بمصر في ٢١ فبراير الماضي

آلة اللينوتيب في مسبكٍ بباطنها حرفاً جديداً من مزيج الرصاص والقصدير والانتيمون . ثم اذا قرع على مفتاح الحرف الثاني صبّت لهُ حرفاً كذلك . فاذا انتهى الكاتب من قرع حروف سطر كامل على مفاتيح المكتاب كانت هذه الحروف قد صبَّت في المسبك وُصفت احدها الى جنب الآخر . ولما كان الكاتب البارع من الكاتبين على المكتاب يستطيع ان يكتب اكثر من مائة كلمة في الدقيقة فتصوّر السرعة العظيمة التي تنضّد بها حروف الصحف الاميركية والانكليزيه وغيرها . ويقدّر الآن في دور الصحف الاميركية ان الكاتب على الآلة المنضدة يحل محلَّ اربعة او خمسة من منضدي الحروف باليد . فاذا دفعت بمقالة الى عامل ينضّد الحروف باليد واستغرق في تنضيد حروفها ساعة تمكن العامل على المنضّدة من ان يفرغ من ذلك في اقل من ربع ساعة

اما الماكنات الطابعة في ادارة كل جريدة كبيرة خمس عشرة او عشرون او اكثر منها تطبع الواحدة اكثر من عشرين الف نسخة كل ساعة ويتراوح عدد الصفحات في النسخة بين ست عشرة صفحة واثنتين وثلاثين صفحة بصورها واخبارها واعلاناتها

***

ومن اغرب الآلات التلغرافية التي رأيناها في الدوائر الصحافية هي آلة تلغرافية شاهدناها في السنة الماضية في ادارة المانشستر غارديان الانكليزية . ذلك ان لادارة الغارديان مكتباً خاصاً في مدينة لندن . ويصل بين ادارة الجريدة بمانشستر ومكتبها بلندن خط تلغرافي خاص يستطيع ان ينقل عدة رسائل تلغرافية بين المكانين في آن واحد سواء كانت ذاهبة من مانشستر الى لندن او آتية من لندن الى مانشستر او آتية وذاهبة معاً . وفي غرفة الاستقبال في مكتب مانشستر خمس آلات كاتبة تراها تكتب الانباء المرسلة من مكتب لندن كتابة آلية اي من تلقاء نفسها . وتفسير ذلك ان في مكتب لندن خمس آلات مثلها يكتب بها الكتّاب الانباء التي يجمعها المخبرون او المقالات التي ينشئها المحررون . فاذا ضرب الكاتب على مفتاح حرف في آلة كاتبة بلندن انتقل هذا الحرف على السلك التلغرافي واتصل باحدى الآلات الكاتبة في مكتب مانشستر وطبع عليها طبعاً آليًّا . وكثيراً ما يحدُثُ ان الآلات الكاتبة الخمس في مكتب لندن تستعمل كلها في آنٍ واحد فترسل رسائلها على السلك التلغرافي فاذا وصلت الى مكتب مانشستر دخلت آلة كهربائية دقيقة تفرزها احداها عن الاخرى وتوزعها على الآلات الكاتبة فتطبعها كل آلة رسالة واحدة منها . وبينما كان مدير هذا المكتب في مانشستر يشرح لنا عمل هذا الجهاز المدهش قال لنسأل عن حالة الجوّ في لندن . وتحوّل الى آلة تلغرافية صغيرة على الطاولة فقرع عليها رسالة

برقية موجزة بشفرة مورس .ؤداها كيف حالة الجوّ عندكم وفي اقلّ من دقيقة كانت احدى الآلات الكاتبة تطبع الكلام التالي « الجوّ صافٍ الشمس مشرقة الهواء دافئ » ولا نزال محتفظين بهذه الورقة تذكاراً لهذه الزيارة المفيدة . فالرسالة التلغرافية التي ارسلها محدثنا ذهبت الى لندن على السلك الخاص مع ان رسالة اخرى كانت آتية من لندن عليهِ ثم جاء جوابها عليهِ مع رسائل اخرى كذلك فطبعت على هذه طبعاً آليّاً كما تقدم وهو من العجائب

واغرب من هذا وابعث على الدهشة استنباط جديد يجمع بين مبدإي الآلة المنضدة (اللينوتيب) والجهاز التلغرافي المذكور آنفاً . ذلك ان مستنبطاً اميركيّاً صنع آلة تمكن الصحافي من ان يشاهد مشهداً من المشاهد ويصفهُ بطبع وصفهِ على الآلة الكاتبة. وفيما هو يطبع وصفهُ هذا تنضّد الحروف في مسبك اللينوتيب تنضيداً آليّاً توطئة لطبعها. فكان آلة اللينوتيب قد شطرت شطرين الشطر الاول هو الذي يحتوي على مفاتيح الحروف والشطر الثاني على المسبك الذي تصبّ فيهِ الحروف قبل طبعها . ثم وُصل بين الشطرين بسلك تلغرافي — قد يكون طوله مائة قدم او مائة ميل— فاذا نقر الكاتب على مفتاح حرف في الشطر الذي امامهُ احدث ثقوباً في شريط عرضهُ ½ البوصة وكل حرف او رقم له مجموعة من الثقوب خاصة بهِ . هذا الشريط المثقوب متصل بآلة تلغرافية فيحركها حتى تحدث في السلك التلغرافي نبضات كهربائية تجعل الطرف الثاني من الآلة الكهربائية يحدث ثقوباً في شريط مثل الثقوب التي في الشريط الاول . وهذا الشريط الثاني المثقوب يحرك الشطر الثاني من اللينوتيب فتصبُّ الحروف كما لو كان الكاتب ينقر عليها وشطراها متصلان

وفائدة هذه الآلة هي زيادة السرعة في نقل الاخبار واعدادها للطبع

فقد حدث منذ خمس سنوات ان كنّا في مسرح من مسارح برودواي بنيويورك وكانت في الوقت نفسهِ حفلة ملاكمة كبيرة في نيوجرزي (على مقربة من نيويورك) بين اثنين من اشهر الملاكمين . انتهت حفلة الملاكمة في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين وخرجنا نحن من المسرح المذكور فرأينا جريدة النيويورك هرلد تباع في الشوارع وفيها وصف الملاكمة دوراً دوراً حتى آخر ضربة فيها . وقد استغرق الوصف عموداً ونصف عمود على الصفحة الاولى . فكيف تسنى لهذه الجريدة ان تفوز بهذا الوصف الدقيق وتنضد حروفهُ وتطبعها وتبيعها بهذه السرعة

لذلك طريقتان . الاولى ان بعض الشركات اللاسلكية تقيم على مكانٍ عالٍ يشرف على مكان المباراة رجلاً خبيراً يشاهدها ويذيع وصفها لاسلكيّاً فيلتقط هذا الوصف

كلُّ من يملك آلة لاسلكية يعرف طول الموجة التي يذاع بها . واصحاب هذه الجريدة يستطيعون ان يفعلوا ذلك . ويدونوا الوصف كما يجيء على متن الامواج اللاسلكية وينضدوهُ ويعدّوا كلَّ شيء للطبع حتى اذا انتهت المباراة وصدر الحكم دارت المطابع تلتهم الورق والحبر تطبع عشرين الفاً من النسخ في الساعة . ولكن الجرائد الكبيرة لا ترضى ان تنشر في صفحاتها وصفاً اصبح ملكا عامًّا للجمهور لذلك ترسل مكاتبها الرياضي الاول الى حفلة كبيرة كهذه وتمدُّ سلكا تلغرافيًّا خاصاً بين ادارتها ومكان المباراة . ويصحب المكاتبَ عاملٌ تلغرافي فيصف المكاتب سير الحفلة والعامل التلغرافي يبعث بهذا الوصف الى ادارة الجريدة تلغرافيًّا فيتلقاها عامل تلغرافي آخر ويحول شفرة مورس الى كلام عادية ويدفع بها الى الكاتب على اللينوتيب فينضّد حروفها . وهذا العمل شغل اربعة من رجال الجريدة ولا بدَّ ان يستغرق غير قليل من الوقت بين الوصف والارسال والاستقبال والكتابة والتنضيد

فالآلة الجديدة (التلتيبستر اي منضدة الحروف تلغرافيًّا) تزيل ثلاثة من الرجال من هذا العمل وتحذف ما قد يضيع من الوقت في اتمامهِ . ذلك ان المكاتب نفسهُ يحمل في حقيبتهِ شطر الآلة المنضدة وما يتصل بها بعد ما يصل بين ادارة الجريدة والمكان الذي يجلس فيهِ بسلك تلغرافي . فاذا بدأت الملاكمة اخذ المكاتب ينقر وصفها على حروف مكتابهِ فتنصبُّ الحروف وتنضد لدقيقتها في ادارة الجريدة . وساعة انتهاء الملاكمة يكون كل الوصف جاهزاً للطبع . هذا ولا نرى ما يمنع ان يجعل الاتصال بين المكاتب والادارة لاسلكيًّا . فقد اثبتت المستنبطات الحديثة ان النبضات الكهربائية التي ترسل على الاسلاك يستطاع تحويلها الى امواج لاسلكية تنتقل في الفضاء . وكل آتٍ قريب

***

ما من حادث يقع في ناحية من انحاء الارض الدانية او النائية او في اعلى طبقات الجوّ او في سفينة تتقاذفها الامواج الاّ وتنقل اخبارهُ وصورهُ على متن الاسلاك البرقية والتلفونية او على اجنحة الامواج اللاسلكية . واسباب المخاطبات الحديثة قد محت آية البُعد وصغّرت الكرة الارضية حتى اصبحت امما قريبة متدانية . وللصحافة في ذلك ابعد اثر لان رُسلها يجمعون الاخبار ورسلونها فتنضد وتطبع وتذاع بعد حدوثها بساعات بل بدقائق فيقرأها الجمهور حيثما كان ويشعر كأن الحادث وقع ببابهِ . وعندي ان هذا العمل الصحافي من اجلّ الاعمال العمرانية شأناً لانهُ يخرج الناس عن حدود ذاتياتهم الضيقة فيوسّع افق نظرهم الى الحياة ويطلق افكارهم من اغلال التحزب الوطني والتاريخي والاجتماعي وهذا الانطلاق امتن دعامة من دعائم السلام والوئام

جئتُ بمعنىً من معانيها

يا ليلُ هَيَّجتَ أشواقاً أداريها فسلْ بها البدرَ إنَّ البدر يَدْريها
رأى حقيقةَ هذا الحسنِ غامضةً فجاء يُظهِرُها للناس تشبيها
في صورةٍ من جمالِ البدرِ تنظرُها ومنظرِ البدرِ يبدو صورةً فيها

***

يأتي بملْءِ سماءٍ من محاسنِهِ لمهجتي وأراهُ ليس يكفيها
وراحةُ الخُلْدِ تأتي في أشعَّتِهِ تبغي على الأرضِ مَن في الارضِ يَبْغيها
وكم رسائلَ تُلْقيها السماءُ بهِ للعاشقين فيأتيهم ويُلْقيها

***

يقولُ للعاشقِ المهجورِ مبتسماً خذني خيالاً أتى ممن تُسمّيها
وللذي أبعدَتْهُ في مَطارِحِها يدُ النّوى : أنا من عينيك أدنيها
وللذي مَضَّهُ يأسُ الهوى فسلا أنظرْ اليَّ ولا تترك تمنّيها

***

اما أنا فأتاني البدرُ مُزْدَهِياً وقال : جئتُ بمعنىً من معانيها
فقلتُ من خدّها ؟ أم من لواحظِها ؟ أم من تدَلُّلِها ؟ أم من تأبّيها ؟
أم من مَعاطِفِها ؟ أم من عواطفِها ؟ أم من تلفّتِها ؟ أم من تثنّيها ؟
كن مِثْلَها ليَ جَذْباً في دمي وهوًى أو كن دلالاً وكن سحراً وكن تيها
فقال وهو حزينٌ ، ما استطعتُ سوى أني خطفتُ ابتساماً لاحَ من فيها

مصطفى صادق الرافعي

دور الآثار في الشام [1]

للاستاذ محمد كرد علي

وزير المعارف السورية ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

المتاحف والعرب

المتاحف العامة على الصورة التي نراها في بلاد الغرب اليوم ليست اليوم مما يعهد في بلاد هذا الشرق . فان آثينة منذ الزمن الأطول كان لها متحف دعته رواق الصور . وعرضت رومية أجمل ما اخذته من الصور من آثينة . ولم يكن حتى في القرون الوسطى في اوربا متاحف . وكانت بدائع الصنائع البشرية تحفظ في دور الملوك وفي قاعات البيع والاديار . حتى اذا كانت القرون الحديثة ونشأ كبار المصورين في ايطاليا وغيرها كثرت المتاحف التي تعرض فيها التصاوير العجيبة ومبدعات العقول والانامل بحيث كاد يكون لكل مدينة معرض منها . واخذت تغص بما يهديه اليها الكبراء والملوك ،ولما كثر الاخصاء عمّ المتاحف ايضاً . فصار للامم العظمى متحف لغرائب الصناعة في النقش ، وآخر في الرسم ، وغيرها في ادوات الحرب، وآخر في ادوات الزينة وغيره في ادوات الموسيقى الى غير ذلك

ولا نعلم انه كانت تعهد للعرب متاحف ايام مدنيتهم على الصورة التي هي اليوم في كل بلد تذوّق الحضارة بل كانت متاحفهم في جوامعهم وقصورهم التي اختاروا لنقشها وتزويقها أمهر صناع أيامهم على نحو ماكان في جامع بني امية في دمشق والمسجد الاقصى في القدس وبعض جوامع بغداد والقاهرة وفي الحمراء والزهراء في الاندلس وفي قصور الخلفاء ببغداد وقصورهم في الاندلس وقصور الفاطميين في القاهرة . وكانت دور العظماء في الشرق كما كانت في الغرب تتنافس في بدائع الصناعة وتجملها بحيث يراها من يختلفون الى قصورهم ، ولا تزال البيوت القديمة الى اليوم في الشام تفاخر بما عندها من مجموعات الصيني والقاشاني والسلاح القديم والحلي بالاواني الفضية والذهبية القديمة على كثرة ما طرأ على البلاد من الحوادث التي عزت فيها الحاجيات دع الرغبة في الكماليات . وكان اقتناء هذه البدائع في هذه الديار من دلائل الظرف وآيات التعين والرياسة كما كان اقتناء الكتب في قرطبة بل

---

(١) من فصل في الجزء السادس من خطط الشام تأليف العلامة الاستاذ كردعلي وهوتحت الطبع

في حلب ودمشق الى عهد قريب

وكان الفاتحون يأخذون في القرون الوسطى في جملة ما يغنمون الطرائف البديعة وأدوات الزينة والابداع . هكذا فعل تيمورلنك في القرون الوسطى ،فحمل معهُ من دمشق صنّاع هذه البدائع وما أبدعوهُ،وهكذا فعل السلطان سليم العثماني فاتح مصر فنهب منها اجمل آثارها التي استطاع حملها وزين بها قصره وقصور جماعته في القسطنطينية . وذكر المؤرخون ان بعض ملوك الاندلس من العرب كانوا يعرضون في قصورهم التماثيل الجميلة من غير نكير ، وفيها صور الآدميين وغيرهم . وكان اهل القرون الوسطى في اوربا زمن الحرب الصليبية وبعدها يتنافسون فيما يجلبونهُ من الاقمشة والبسط وأدوات الزينة من الشام ، ولما جاء القرن الاخير أخذوا ينقلون الى متاحفهم ما أبقتهُ صنع الايدي من اهل المدنيات القديمة من تماثيل ونصب وأحجار زُبر عليها كتابة ، وفي بعض متاحف اوربا ولاسيما في متحف اللوفر في باريز والمتحف البريطاني في لندرا ومتحف برلين ومتاحف ايطاليا وغيرها كثير مما عثر عليهِ الباحثون من العاديات الحجرية في اليمن والشام ومصر ولاسيما من البلاد الشامية . وقد اخذت عادياتنا تسافر من بلادنا منذ اخذ علماء الآثار يبحثون في ارضنا سهولها وجبالها وما كتبهُ كثير من علماء المشرقيات والعاديات في القرن التاسع عشر دليل عظيم على ذلك، وقد نشروا ابحاثهم في كتب خاصة ومقالات لهم في المجلات الاثرية والعادية والعلمية ومجلات المجامع العلمية

اما نحن سكان هذه الديار فلم تكن لنا عناية بهذا الشأن بل قلّ جدًّا من اهتدى الى الاحتفاظ بما خبأتهُ الايام في بطون هذا الصقع وكنا أزهد الناس فيها حتى نقلت آثارنا ونفائسنا امام اعيننا كما نقلت كتبنا ونحن ضاحكون مستبشرون ، وانتفع بها القوم هناك وأكلوا بها تاريخ المدنية . ولما وقع الانتباه في الحكومة العثمانية اخذت تمانع بعض الشيء في نقل هذه التحف والطرف ، ونقلت بعض ما عثر عليهِ من المصانع في خرائب صيدا وتدمر وغيرها فزيّنت بها متحف الاستانة . وقد ندب بعض علماء الآثار من الانكليز وحفروا بطرق عجيبة مغارة الصخرة في المسجد الاقصى فذهب ما فيها ولم يعلم عنهُ شيء

وكم من بعثة أثرية قامت بحفريات في بلادنا واخذت ما عثرت عليهِ ولم تأخذ الدولة العثمانية حقها منهُ ولسان حال الباحثين ماورد في الأمثال العربية « لا يحزنك دم ضيّعهُ اهله » . وقد طلب منها في مؤتمر الصلح بباريز إعادة ما اخذتهُ هي والمانيا خلال الحرب العامة من هذه الديار من الآثار والعاديات

ولقد كنا نزين للحكومة التركية منذ ست وعشرين سنة ان تنشيء لدمشق متحفاً صغيراً

تجعل فيهِ العاديات وبدائع الصنائع فكان عمالها يتشاغلون عن ذلك لانهم يحبون ان يكون كل فضل في الاستانة وان تكون سائر الولايات قرى ومزارع للاستعمار على طريقتهم حتى اذا نادت سورية بالحكومة العربية تحت عزيمة هذه على إنشاء متحف فاتخذت له سنة ١٣٣٧ — ١٩١٩ دار المدرسة العدلية من أجمل قصور الفيحاء ومصانع العرب الباقية من القرون الوسطى ، واخذت تجمع بهمة المجمع العلمي ما بقي من الآثار النفيسة . فهو اول متحف عربي في هذه الديار ، سار القائمون بهِ على قدم الغربيين في انظامهِ . وعسى ان لا يمضي بضع سنين أخرى حتى يكون غنيًّا بكل أنواع الابداع الذي تم في هذا القطر منذ اربعين قرناً الى اليوم . وحياة المتحف العربي بمعاضدة الامة لهُ . ولم يقصّر بعض من لديهم مثل هذه التحف والطرف في اهدائها لتجعل في دار آثار الامة عنوان ارتقائها ونموذجاً على معرفتها بتاريخها لاجرم ان هذا المتحف هو البزرة الاولى التي أُلقيت في هذه التربة الخصبة المهيأة لأنواع النماء والاثراء يستفيد منهُ اهل الاجيال الخالفة ما يغني غناءه في تربية عقولهم وعيونهم وأناملهم ويعتبرون بماضي الصناعة عند الاقدمين ، وماكان لاجدادنا من الايادي البيضاء في الفنون الجميلة بين المحدثين

البعثات الاثرية الغربية اوفدت اكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتنقيب عن آثار الشام نخص منها بالذكر البعثة الافرنسية التي رافقت حملتها في سنة ١٨٦٠ م والجمعية الانكليزية للبحث عن آثار فلسطين . ثم تضاعفت الهمم فجاء من الافرنسيين رنان والدوق دولون ودوساسي ودوفوكون وكارمون غانو ودوسو وفازان وغيران ، ومن الانكليز روبنسون ومادن وسايس وويلسون وفارين ، ومن الالمان اوتوتينيوس ، ومن السويسريين ماكس فان برشم . واهم الامكنة التي نقبوا فيها هي تل الحسي وتل زكريا وتل الصافي وتل الجديدة وتل الجزر وتل تعناك وتل المتسلم وعكا ويافا والقدس وصيدا وصور وجبيل وعمريت وجزيرة ارواد وبعلبك وفي عدة اصقاع في الشام الشمالية

وبينما كانت هذه البعثات مجدة في عملها ، كانت الدولة العثمانية في سبات عميق لا تبدي حراكاً مكتفية بمراقبة هذه البعثات لاقتسام الغنيمة وايداعها متحف الاستانة الوحيد . ولم تفكر قط بعمل حفريات ، كما انها كانت تمانع بانشاء فروع لمتحفها في الشام او في غيرها من البلاد العثمانية ، وحجتها في ذلك ان آثار البلاد اذا جمعت في مركز واحد ، وضم بعضها الى بعض نتجت من ذلك فوائد علمية وعملية لا ترجى من تعدد دور الآثار ، وذلك اسوة بمتاحف اكثر الامم الغربية ، وعملاً برأي اكثر علماء الآثار . ولكنها تجاهلت

متحف الآثار العربية في القاهرة

دار الآثار المصرية في القاهرة

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٦١

أن ما يصلح لبلاد لها وحدة تاريخية لا يعمل بهِ في بلاد ضمت تحت لوائها شعوباً مختلفة ومدنيات متباينة كالامبراطورية العثمانية

ولذلك كان جل همّ الدولة العثمانية انماء متحف الاستانة فاهملت امر الآثار القديمة في بلادها ، فلم تعهد الى أناس يتعهدونها او يراقبون سيرها ، ولذلك درس كثير من البنايات الاثرية البديعة ، واقبل الاهلون في كل ناحية ينقبون عن الآثار القديمة بغية الاتجار بها ، فأصبحت هذه التجارة ذات شأن في البلاد ، وغصت متاحف اوربا بآثار الشام ، واقتنى غواة العاديات الاجانب كثيراً منها . وبهذه الصورة وبفضل الامتيازات الاجنبية تمكنت الجامعة الاميركية والكلية اليسوعية في بيروت وغيرها من المعاهد من إنشاءِ كل منها متحفاً خاصًّا بها ، وجمع الدكتور فورد في صيدا وغيرهُ في حلب من الاجانب مجاميع مهمة من آثار الشام . ولم يعرف من الشاميين من اشتهر بجمع الآثار القديمة بل كانوا لا يعبأُون بها ، ولا يقيمون لها وزناً . ومن كان منهم يملك طرفةً او اثراً يتنازل عنها مقابل دريهمات معدودة على ايسر صورة ، حتى تجردت اكثر البيوت والأُسر من نفائسها

آثارنا وآثار جيراننا

ولقد تبين من الحفريات التي أجريت في الشام ومن الآثار التي اكتشفت فيها ان آثارها تختلف كثيراً عما وجد من نوعها في البلاد المجاورة لها ، ولا يرجى ان نعثر في هذه البلاد على آثار تثير بجسامتها اعجاب العامة قبل الخاصة ، كما هو شأن آثار مصر واشور وفارس . والسذاجة في الصناعات تغلب على الشاميين منذ القديم ، وهذا ناشئٌ عن طبائعهم ومعتقداتهم . فالشامي في جميع أدوارهِ التاريخية يميل الى الساذج وهـذا يظهر في صناعاتهِ وفلسفتهِ الدينية ، وتتجلى في هذه البساطة مواهب الشامي الفنية ، فقد جمع بين الساذج والجميل فأحسن الصنع وأبدع . وتقلّ الآثار المنقولة النفيسة التي اكتشفت في الشام بالنسبة لما وجد في غيرها من البلدان المجاورة ، وهـذا القليل يشهد ببراعة الصانع الشامي وذوقهِ السليم ، وهو ذو مكانة بين اقرانهِ من متفنني بقية الشعوب

وليس معنى قلة العـاديات عدم انتشارها في البلاد بل لانها لم تصل الينا لأسـباب وعوامل شتى . اولاً لأن تربة الشام رطبة لا تحفظ ما يودع فيها . وثانياً لأن الشاميين قلما يجعلون في مدافن موتاهم نفائسهم ، كما هو شأن المصريين وغيرهم من الامم القديمة . بل يكتفون بالاشياء الساذجة المنوعة . فاذا أضفنا الى خلو القبور من الاعلاق ، وما قد كتبهُ اشمونزار ملك صـيدا على تابوتهِ مخاطباً بهِ نابشي القبور ، ناصحاً لهم ان لا يهتكوا

حرمتهُ ، مؤكداً ان لا ذهب ولا فضة في قبرهِ — ندرك من هذا كل سرّ ندرتها بين أيدينا . فاذا كان هذا حال ملوكهم فما بالك بالرعية . وخلو القبور منها هو حجة للشام لا عليها ، ودليل على سمو عقيدة سكانها ، ونضج فكرتهم منذ القديم ، لان الشامي كبقية الشعوب السامية يغلب عليهِ الاعتقاد بأن الجسم مادة تتلاشى مع الزمن ليست جديرة بالاكرام الذي يبالغ بهِ غيرهم من الشعوب . ومع هذا فقد انتشرت في الشام عادة وضع بعض اشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية ، واقتباس عادات الغالب ، لان الشام كانت في أكثر أدوار تاريخها خاضعة لسلطان اجنبي

الشام معهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر . وهذه الديانات لم تكن ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لها السبيل مدة قرون عديدة قبل ظهورها . ولذلك يهم كل منا معرفة تطورها قبل نشوئها . وهذا ما يزيد في مكانة آثار الشام ويجعل اقبال العلماء عليها أكثر من سواها لعلاقتها الكبيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد أدركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت لهُ خوفاً من المزاحمة او استئثار دولة بهذه الآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة (١٤) من صك الانتداب ان القانون الذي سيسن لحماية العاديات يجب ان يستمد روحهُ مما يدعو الى التنشيط أكثر منهُ الى التثبيط ، كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها اجازات بالحفر ان لا تتصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء اي شعب كان تلك الاجازات دون اسباب موجبة وهكذا أصبح الباب مفتحاً لجميع الامم

تأسيس دور الآثار

وقد تضاعف نشاط البعثات الاثرية الاجنبية عقب الهدنة في سنة ١٩١٨ ، وأظهرت قيادة جيوش الحلفاء في الشرق عناية كبرى بآثار الشام ، وعهدت للاخصائيين في جيوشها بدرس الآثار في هذه الديار ورفع التقارير عنها ، وشددت النكير على العابثين بها . ومن جملة مقررات المؤتمر الافرنسي الذي عقد في مرسيليا سنة ١٩١٩ للبحث بشؤون الشام العامة اقتراح على الحكومة الافرنسية بانشاء ديوان للآثار القديمة ، والتشبث باسترجاع ما أخذتهُ الحكومة العثمانية من آثار البلاد ، وقد حققت المفوضية الافرنسية في الشام الاقتراح الاول ، فانشأت لها ديواناً للآثار القديمة وحذت المفوضية الانكليزية حذوها في فلسطين وشرق الاردن

ولم تكن الشام في عهد الملك فيصل أقل عناية من تينك الدولتين . فقد اغتنم هذه الفرصة بعض مفكري البلاد وفي مقدمتهم الاستاذ مؤلف « خطط الشام » فاقترحوا على الملك انشاء متحف في دمشق ، فقوبل هذا الاقتراح بارتياح عظيم . وما لبث الملك ان أصدر امرهُ بذلك الى الاستاذ بأمر تحقيقهِ على ان يكون فرعاً للمجمع العلمي العربي الذي

أسسهُ الرئيس ايضاً . وفي عهد الانتداب الافرنسي أنشأت الحكومة السورية متحفاً آخر في حلب وأنشأت حكومة لبنان وجبل الدروز والعلويين متاحف في بيروت والسويداء وطرطوس وكذلك أنشأت كل من حكومتي فلسطين والشرق العربي متحفاً جماتهُ الاولى في القدس والثانية في عمان . وجميع هذه المتاحف نمت بسرعة عظيمة بفضل ما اشترتهُ واستهدتهُ من الآثار ، وما نالها مما اكتشفتهُ البعثات الاثرية في مناطقها . وبمقتضى تشجيع الحكومات المحلية والسلطات المنتدبة أصبحت الشام ساحة عمل دولي كبير

ولقد قامت البعثات الافرنسية بالبحث عن الآثار في صيدا وام العواميد وكفر الجرة وبيروت وجبيل والقرية ولبيا في منطقة الحكومة اللبنانية، وفي السويداء وقنوات والشهباء في جبل الدروز ، وفي طرطوس من أعمال حكومة العلويين ، وفي تل النبي مند (قدش القديمة) وفي المشرفة (قطنا القديمة) والنيرب وارسلان طاش والقصر الاحمر من اعمال دولة سورية ، وقامت بعثتان مختلطتان بأعمال التنقيب في قلعة الصالحية (دوراسا وروبوس القديمة) على شاطئ الفرات وفي مدينة تدمر وتحرت البعثة التشكوسلوفاكية آثار الشيخ سعد وتل ارفاد ، ونقبت بعثة المانية في رأس العين شمالي الشام من عمل حكومة سورية . وحصرت البعثات الانكليزية والاميركية أعمالها في منطقة فلسطين والشرق العربي، فنقبوا عن الآثار في تل المتسلم (مجدو القديمة) وبيسان وسبسطية (سمرة القديمة) وسيشم وبيت جبرين والقدس والتابغة وجرش

متحف دمشق تختلف مجموعة دار الآثار في دمشق عن مجاميع متحف الشام للعناية التي بذلتها بآثار القطر الشامي على اختلاف أدواره التاريخية وخاصة العهد الاسلامي . وحريٌّ بدمشق عاصمة الأمويين ، ومهد الحضارة العربية ، أن يكون لها متحف يحيي ذكرى هذا الماضي المجيد . ورغم ندرة العاديات الاسلامية المنقولة في ربوع الشام وأسعارها الباهظة ، تمكنت دار الآثار من جمع أعلاق قيمة . منها مجموعة نقود اسلامية ، ومجموعة خزف عربي ، ومجموعة مصاحف مخطوطة ومذهبة . ومجموعة خشبية أخص بالذكر منها جانباً من سدة جامع من خشب الحور الرومي آية في جمال الصنع وحسن الذوق ، مزينة بنقوش عربية بديعة ، وكتابات قرآنية كوفية مزهرة متناسقة جميلة جدًّا . وتابوت مزين بمجموع بشكل حشوات صغيرة منقوشة نقشاً بديعاً . وبين مجموعة الكتابات الحجرية لوحتان سلجوقيتان كتب عليهما تاريخ ترميم جانب من جامع بني امية في شهور سنة ٤٧٥ واخرى ايوبية تاريخها سنة ٥٧٥ ومجموعة وافرة من شواهد قبور امراء الشام وعلمائها في القرن السابع والثامن هـ . ومما يلفت النظر اليه جرة

من رخام ابيض وعلى القسم الاسفل منها نقوش عربية وعهدها من القرن الثامن للهجرة . واخرى من الفخار عليها نقوش اشخاص وحيوانات وطيور وازهار محكمة الصنع وهذه الجرة فريدة في بابها وهي من صنع العراق في القرن الثالث عشر م

ومن اهم الآثار غير الاسلامية مجموعة زجاجية وهي أجمل مجموعات العالم ، ومجموعة مهمة من الآثار التدمرية وهناك رأس تمثال أحد عظماء الحثيين يرجع عهده للالف الثانية قبل الميلاد . ونصب الفرعون سيتي الاول وعليهِ ذكر انتصاره على الحثيين وطائفة من الآثار الرومانية واليونانية

متاحف بيروت والسويداء وحلب والفرس وعمان وجمع في متحف بيروت كثير من الآثار الفينيقية وغيرها وأهمها الاواني والحلي التي عثر عليها في مدافن جبيل وفي اقبية معبدها . ويرجع عهد بعضها الى الالف الثالثة وبعضها الى ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد . منها ناووس الملك احيرام المتوفى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وقد نقشت على جوانبهِ صورة الملك يتناول القرابين من اتباعهِ وبعض الشعائر الدينية وهو قائم على اربعة اسود . ومما يزيد في شأن هذا الاثر الكتابة الفينيقية التي زُبرت عليهِ وهي أقدم كتابة عرفت من نوعها حتى اليوم . بين هذه الآثار آنية خزفية نقش عليها اسم الفرعون امنمحمت الثالث (١٨٥٠ — ١٨٠٠) قبل المسيح . وآنيتان عليهما امنمحمت الرابع وآنية من الرخام جميلة الصنع مع غطائها وكتب عليها بالهيروغليفية ما يأتي : « خدام الاله ابن الشمس فليعش امنمحمت الى الابد » . وصندوق صغير للحلي من حجر كريم اسود محلى بالذهب وشكله على طراز الناووس وعلى الغطاء كتابة هيروغليفية . وجمعت في هذا المتحف كمية كبيرة من الفخار أهمها الاواني التي عثر عليها في كفر الجرة ويرجع تاريخ صنعها الى الالف الثانية قبل الميلاد. ولآثار جبيل مكانة تاريخية عظيمة وهي من اهم ما عثر عليهِ حتى الآن في بلاد الشام

وكان في متحف السويداء عاصمة جبل الدروز مجموعة حجرية نفيسة اكثرها من العهد اليوناني والروماني ولكن ضاع معظمها مع الاسف إبان الثورة السورية : ومتحف طرطوس في حكومة العلويين حديث العهد وليس فيهِ الا مجموعة صغيرة ليست ذات شأن كبير . وأما متحف حلب فلم يخصص لهُ مكان بعد ، ولكن مجاميعه جاهزة ستحفظ فيهِ متى هيء المكان . واكثر هذه الآثار حثية واشورية من التي استخرجت في حفريات أرسلان طاش وتل الاحمر وتل ارفاد والنيرب

وفي متحف القدس مجاميع خزفية ومعدنية تبين تطور نهضة فلسطين والادوار التي مرت عليها في أهم عصورها التاريخية كما انهُ يحتوي على عدد من النواويس من العهد اليوناني والروماني وأجملها ما نقش عليهِ صورة معركة بين اليونان والنساء المترجلات (امازون) وطائفة آثار من الحجر البركاني من عهد الفرعون سيتي الاول ورعمسيس الثالث التي وجدت في بيسان . وقد حفظت قطع الجمجمة التي وجدت في النابغة ويرجع عهدها الا ما قبل التاريخ . واما مجموعة متحف عمان فاكثرها مما يرجع تاريخهُ الى العهد الروماني والبيزنطي

وبعد فقد عرفنا مما تقدم مقدار العناية التي بذلتها البعثات الاجنبية بآثار الشام غير الاسلامية وإعراضهم عن هذه الاخيرة. ولا جرم ان معظم الآثار الاسلامية في بلاد الشام محفوظة في الجوامع والمساجد والمدارس مع محتوياتها وهي تحت تصرف الاوقاف ولذلك يتحاشى الاجانب ما امكن ان يثيروا عواطف عوام المسلمين حتى ان السلطات المنتدبة تركت لدوائر اوقاف البلاد حرية التصرف بهذه الاماكن المقدسة . وقد اكتفت بان تسدي اليها من حين الى آخر النصائح لبذل العناية بهذه الآثار . ولكن اكثر هذه الدوائر في شغل شاغل عنها . فكل يوم نسمع بضياع اثر او تشويههِ لا عن قصد منهم بل لانهم لا يقدرون قيمة ما هو تحت تصرفهم ، حتى اصبحت اكثر هذه الامكنة الاثرية في حالة يخشى عليها من الاندراس ، وبذلك تفقد البلاد هذه المفاخر التي تشهد بمدنية السلف العظيمة في أزهى عصور البلاد الشامية . فعسى ان تحذو البلاد حذو شقيقتها مصر وتؤلف لجنة للآثار الاسلامية تعنى بجمعها وتتفقد شؤون الابنية منها

وقد انشأت الجمهورية الافرنسية في دمشق معهداً افرنسيًّا لدرس الآثار وخاصة منها الاسلامية على منوال المعهد الافرنسي في القاهرة . وقد سبق للبعثات الاجنبية ان اسست في القدس معاهد لدرس الآثار مثل المدرسة الاثرية الافرنسية والمدرسة الاثرية الانكليزية والمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ، ولهذه المعاهد فضل كبير بكشف غوامض التاريخ ببلاد الشام القديم. ولم تدع السلطتان الافرنسية والانكليزية في منطقتي سورية وفلسطين باباً الا طرقتاهُ لنشر الدعاية في البلاد الاجنبية عن آثار بلاد الشام ومكانتها . وقد تجلى ذلك في دعوتهم لمؤتمر الآثار الدولي الذي عقد في سورية وفلسطين في شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٦ فكانت نتائجه مرضية. وبفضل هذه الدعاية نرى عدد السياح بازدياد في كل سنة . ولا شك ان الشام اذا صرفت العناية بفنادقها وطرق مواصلاتها تصبح مقصد السياح من اهل الارض وتجني من ذلك فوائد مادية وادبية لا تقدر

التركيب العلمي يفوق الطبيعة

بعد ما نجح الكيماوي الكبير مرسلان برتلو الفرنسي في التجارب الاولى التي جربها في تركيب المواد الآلية كتب ما يأتي : «ان تركيب الاجسام الدهنية المتعادلة لا يقتصر على تأليف خمسة عشر او عشرين جسماً طبيعيًا من الاجسام المعروفة حتى الآن بل يساعد على تأليف مئات الملايين من الاجسام الدهنية المماثلة لها . وقد اصبح من السهل الحصول عليها في المستقبل من كل شيء بموجب الناموس العام المتسلط على بنائها » فلم يدل بهذا الكلام على اتجاه الصناعة الكيماوية الحديثة وطرق سيرها سنين طويلة فقط بل بدأ عصراً جديداً في تاريخ العلم والتمدن . لكل عصر ميزاته والعلم في هذا العصر لم يبقَ محصوراً في المختبرات العلمية بل تجاوزها وتمرّس بمايش الانسان على اختلاف انواعها فنشأت عن هذا التمرس فكرةٌ صناعية جديدة سارت على طريق البساطة وانتهت الى غاية الانتاج المخصب وهذا ما يجعلنا نؤكد في هذه المجالة الحافلة بالصور الغريبة انهُ كلما تقدم العلم تقهقرت الطبيعة

التركيب ومرماه الاجتماعي

لما كان النظام الطبيعي قد هوى عن عرش سيادتهِ والنظام الفني قد انقلبت اركانهُ لم يسع النظام الاجتماعي ان يظلّ مغلول اليدين ازاء هذا التغيير فان تقدم كل صناعة من صناعات التركيب يوقظ في كل عمل نشاطاً واضطراباً محسوسين . وكلما اتسع نطاق تطبيقهِ اثار الجهة الاقتصادية من العمران او الجهة المالية او كلتيهما معاً ، وتصحبهُ اضطرابات في العلاقات التجارية والوطنية بين الدول فيحوّل مجاري التعادل بينها ان هو لم يهدمها ويحرّر ما كان مقيّداً ويفقر من كان غنيًا

او ليس في اكتشاف النتروجين (الازوت) المركّب واستثمارهِ الصناعي ما يدرُّ على المانيا ثروة سنوية تقدّر بمليار مارك تستفيد منها موازنتها التجارية . واذا نظرنا الى جهة ثانية افلا نرى ان اتساع دائرة هذا الاكتشاف الصناعي اتساعاً كبيراً يهدّد الآن بلاد شيلي بالدمار؟ فقد بارت فيها صناعة النترات او كادت ونجم عن ذلك قلق الحكومة الشيلية من تناقص الرسوم التي كانت تستوفيها من تصدير هذا الصنف وهذا ما جرَّ الى فقد التوازن في ميزانيتها وهي توجس خيفة من تفاقم الخطب في المستقبل . واذا قضي

عليها بان تشتدّ فيها الازمة ويستفحل امرها كان على غير منتجي النترات ان ينهضوا باعباء الضرائب . وقد حدث ذلك لانهُ من نحو عشرين سنة كان احد العلماء الالمان يشتغل في مختبرهِ بكل سكينة بعيداً عن انظار الناس في مصانع الانيلين فاكتشف طريقة لاتحاد النتروجين بالهدروجين بتأثير جسم ثالث يلامسها (كتاليسس)

واليك مثالاً آخر وهو انهُ قبل اضرام نار الحرب العالمية بمدة قصيرة لم يكن مجهولاً في المختبرات الكيماوية امكان تحضير الحامض النتريك بطريقة التركيب ولكن لم يكن مختبر من المختبرات قد تمكن من تحضير مقدار كبير من هذا الحامض لان الطرق المتبعة حينئذٍ لم تكن تمكن الصناع من تحضير أكثر من عشر غرام . ولذلك صرف الكيماويون — ما عدا الالمان — النظر عن معالجة تحضير مقدار وافر منهُ فبقي الالمان وحدهم يوالون تجاربهم سرًّا على ما هو مشهور عنهم . ولما أعلنت الحرب وعرف الالمان ان أعداءهم سيضيقون عليهم الخناق ويسدون جميع المنافذ البرية والبحرية في وجوههم أُسقط في يدهم وخافوا ان يتعذر عليهم جلب النترات من الخارج وكانوا يعلقون شأناً كبيراً عليها لانهم لا يستطيعون بدونها ان يصنعوا شيئاً من المواد المتفجرة ، فاذاعت الحكومة في شهر اغسطس نشرة سكّنت بها خواطر الناس في بلادها ومما جاء في هذه النشرة انهُ مهما كان الامر فلن يعوزهم شيء مما يحتاجون اليهِ من المواد المتفجرة. فان كلمة « مهما كان الامر » كان يراد بها ان للصناعة الالمانية طريقة كيماوية تمكن المصانع من تحضير الحامض النتريك المركب . ولا يخفى انهُ لو لم يتيسر للحكومة الالمانية الحصول على هذا الحامض بطريق التركيب لما استطاعت المانيا ان تواصل الحرب مدة طويلة

فيستنتج مما بسطناهُ ان للتركيب الكيماوي اثراً كبيراً في الوجهة الاجتماعية فان موت الملايين من الناس وحياتهم كانا متوقفين عليهِ وهذا الاكتشاف تمّ بعد وفاة برتلو بسبع سنوات وقد استطاعت المانيا ان تصيب بهِ مئات الالوف من الاطنان المركبة اللازمة لحياتها الوطنية

المركبات الكبيرة الصناعية

ولننظر الآن الى الوسائل الكبيرة — الوسائل الكيماوية الاساسية — التي اتسع نطاق استعمالها حتى كاد يعمّ العالم . فاولها من جهة التاريخ والنوع طريقة صنع النشادر على ماوضعها هابر وهي معروفة. فانها تتألف من الهدروجين والازوت المتحدين بواسطة جسم يؤثر بالملامسة وهذا الجسم على ما وصفهُ المسيو ماتينيون من الحديد المتحد بقليل من الالومنيوم. فهذه الطريقة غير متغيرة بالنظر الى مبدأها انما تتغير بتغير مصدر الهدروجين

والجسم المؤثر بالملامسة او باختلاف درجة الضغط . وجاء كلود وكازال بعد هابر وحيث كان بدء العمل الكيماوي عندهم جميعهم متماثلاً كانت الخاتمة الصناعية متماثلة ايضاً وهذه الخاتمة تعتبر في الدرجة الاولى النشادر المركب ثم تركيب سلفات النشادر الصناعي الذي هبطت قيمتهُ التجارية لقلة استعماله . وقد سهل الانتقال من النشادر الى الحامض النتريك وكان من نتيجة ذلك تأكسد غاز النشادر في الهواء مع البلاتين الذي يكون بمثابة الجسم المؤثر بالملامسة . ولا بدّ من لفت النظر الى بساطة الطرق والتماثل في ابداعها وتطبيقها من بعض الوجوه ولا بدَّ فيها كلها من مبدإٍ مشترك هو تدخل الاجسام المؤثرة بالملامسة (الكتاليسس)

وعمَّ صنع الحامض النتريك المركب في ابان الحرب الكبرى فسهل بواسطته على الشعوب المتحاربة تحضير جميع انوع المواد المتفجرة . ولو نضبت موارد نترات شيلي لما وقفت المصانع عن العمل لافتقارها الى هذه النترات

وكان الاكثار من انشاء مصانع التركيب يزيد عن انتاج ما تحتاج اليهِ الامم في آونة السلم . وعلاوة على ذلك كان هنالك الوف من العوامل لم يكن القائمون بالدفاع الوطني يكترثون لها ومن جملة هذه العوامل ما يقتضيهِ العمل من النفقة . فكان من الواجب بعد الحرب ان ينظر في مسألة الاختراع من وجهتها المالية وما تدرُّه على اصحابها وهذه كانت تقتضي التجديد التام . وكان هذا التجديد يسير جنباً الى جنب مع الاتقان الفني وهو اتقانٌ سريع باهرٌ لم يقتضِ اكثر من عشر سنوات — ولذلك تعتبر هذه المدة عهد وضع الشيء في محلهِ وانشاء المصانع الصناعية لصنع الحامض النتريك المركب وما يتفرع عليهِ من المواد للاستعمال . وألف أصحاب مناجم الفحم برنامجاً مسهباً يمكنهم من الوصول الى صنع مقادير كبيرة من نترات النشادر . وحين يتم هذا الامر يكثر الاقبال على السماد الازوتي الصناعي فيتفوق بجميع اشكالهِ — النترات اولاً ثم السلفات . ويحسن بنا ان نتذكر ان الازوت المركب لم يكن لهُ وجود في سنة ١٩١٣ وانهُ لم يبرز الى الوجود في عالم التجارة الا سنة ١٩١٨ فكانت السنوات السبع التي تلتها كافية لان يجد الناس في الاسواق التجارية ٥٨٥٠٠٠ طن من بضاعة جديدة صارت تستعمل في آونة السلم . هو وايم الحق ثورانٌ في الافكار لم يكن يحلم بهِ كبار العلماء

واذا طبقت الوسائل العلمية واتسع نطاقها في المعامل الصناعية أصبح العلماء ينظرون اليها نظرهم الى الحوادث الماضية ثم يتجهون الى المستقبل . ولكن ما يكنُّ لنا المستقبل من هذا القبيل؟ اسمان فتانان يظهران في طليعة الاسماء هما البترول المركب والسليك المركب

البترول المركب

مهما تكن الحوائل التي تحول دون صنع البترول المركّب فالغاية عظيمة جديرة بالعناية والبذل . وليس من غرضنا ان يحلّ البترول الصناعي محلّ الزيت الخام الطبيعي بل نقصد ايجاد مادة تخفض من تفوق هذا الزيت وسيطرتهِ وحصر مجال امتداده واقحام مزاحم لهُ في سوقهِ يكون ايضاً عند بعضهم عنصراً للاستقلال

واذا نظرنا الى المسألة من الجهة الفنية على ما ثبت في المختبرات العلمية وجدنا انها حُلّت على صور متعددة. فبعضهم يقوم بمعالجة الفحم الحجري بالهدروجين والبعض الآخر بكربنة الفحم الاخضر على درجة حرارة وطيئة .اما من الجهة الصناعية فلم يبقَ الا استنباط الطرق الميكانيكية للكربنة بدرجة حرارة منخفضة . وينحلّ هذا الفعل الى درجات :

١ — كربنة اللجنيت والفحم في افران كهربائية خاصة بهذا العمل على درجة من الحرارة متوسطها ٦٠٠ درجة بميزان سنتغراد فينشأ من هذه العملية قطران اصلي وفحم الكوك وفنول ونشادر وغير ذلك

٢ — معالجة انواع القطران الاصلي للوصول الى تجزئتها. وتؤخذ هذه الانواع من القطران بحسب مناهج تحضيرها اما قبل التعقيد واما بعدهُ . والعملية الثانية اكثر تعقداً من الاولى الا انهم في المانيا يحضرونها بعد التعقيد بحسب منهاج « فاربنندستري » وفي فرنسا قبل التعقيد بحسب مذهب هودري برودوم

ولكن الجهة الفنية في الاعمال الصناعية لا تعتبر كل شيء . ولما كانت الغاية من كل عملٍ فني صناعي هي اخراج بضاعة ، فالغاية من صنع هذه البضاعة هي وجود سوقٍ لها وبيعها والربح منها . وبالتالي تطبّق على كل طريقة فنيّة ضرورة النظر في نفقاتها واسعار البضاعة التي تصنع بها . وهم يستعملون لهذا الغرض اللجنيت وهو أقل قيمة في حالتهِ الخام ونتيجة من الفحم الحجري وميسورٌ عند جميع الشعوب .ولكن كثيراً ما يكون ان الذي يصيب طريقة فنية للتركيب لا تتيسر لهُ الوسائل الاقتصادية لاستغلالها . ففي فرنسا مثلا مناجم غنية بهذا النوع من الفحم ولكن المصاعب دون تعدينها كبيرة . أما المانيا فهي بعكس ذلك فانها تستخرج ما يزيد على ١٣٠ مليون طن من أفضل انواع اللجنيت من احشاء ارضها في كل سنة ولا تنفق مالاً كثيراً على استخراجهِ . ويكون سعر البترول المركب من جراء قلة النفقة التي يقتضيها رخيصاً. وبناءً عليهِ يمكننا ان نقول ان قضية البترول المركب تدور على المحور الآتي : ان ارباب الفن عالجوها واصحاب التجارة سيّروها على هواهم واصبحت شركة « الفاربنندستري » الالمانية قادرة على انتاج مقدار من البترول المركب لا يقل عن

الفي برميل في اليوم (يسع البرميل ١٥٨ لتراً) . غير ان هذا الانتاج لا يرتقي الاً اذا منحت الحكومة الالمانية اصحابهُ امتيازات خاصة في الجمارك وسكك الحديد . ويستنتج من ذلك انهُ اذا كان التركيب قد تقدم تقدماً عظيماً في صنع البترول المركّب في السنين الاخيرة فانهُ تأخر في تطبيق الوصفات الكبيرة المتعلقة بالنشادر المركب والحامض النتريك المركب. وهذا التأخر منشأهُ ان العملية المتعلقة بالنشادر والحامض النتريك تقوم على أبسط الاجسام المنتشرة في كل البلدان. اما تركيب البترول على ماهو معروف في الوقت الحاضر فيرمي الى تركيب مادة موزعة توزيعاً غير متساوٍ بين الامم ، فالامم التي حُرِمت من مصادرها ترمي الى تركيبها تركيباً صناعيًّا

الاستيك المركب

نحن الآن في حالة انتظار فيما يتعلق بالستيك ولكنهُ ليس انتظاراً وهميًّا او علميًّا وانما هو انتظار لابداع طرق صناعية تصنع الستيك المركّب . واذا نظرنا الى الستيك المركب من الجهة الكيماوية وجدنا انهم نجحوا في تركيبهِ تركيباً صناعيًّا ينطبق على تركيبهِ الطبيعي . اما من جهة خواصهِ الطبيعية فانهم لم ينجحوا فيهِ لأن خواص الستيك الصناعي أدنى من خواص الستيك الطبيعي ولا يخفى ان هذه الخواص هي التي تجعل للستيك قيمتهُ التي ينتفعون بها . وليست هذه المسألة من المسائل التي تستعصي على الحل في الظاهر فان شركة « فاربنند ستري » لما عزلت في احوال اقتصادية موافقة « الايزوبرين » وهو المادة الاساسية في الستيك اهتمت باكتشاف اكثر الاحوال موافقة لصنع الستيك حتى تظهر فيهِ كل خواصهِ الطبيعية . وسيتم هذا التطبيق ولا شك في اجل قريب او اجل بعيد . وتبدو لنا ملاحظة في هذا الشأن وهو ان الحصول على «الايزوبرين» سهلٌ فجميع انواع القطران تحتوي عليهِ وهي أكثر انتشاراً من الخشب المفحّم (اللجنيت)

وعلاوة على ذلك نلقى فرقاً عظيماً بين انتاج الستيك وانتاج البترول في العالم فان ستمائة الف طن من الستيك تقابل ١٥٥ مليون طن من البترول وحيث لا يستطيع البترول الصناعي الذي يصنَع بالطرق الفنية بشكلهِ الحاضر ان يؤثر في سوق البترول الطبيعي فان الستيك المركب الذي يصنع بالطرق الفنية لا بدَّ ان يقتحم سوق الستيك الطبيعي . هذا ولا يخفى ان البترول يخرج من احشاءِ الارض بحفر بئر يظل البترول يسيل منها اكثر من سنة . اما الستيك فيسيل من شجرة يقتضي نضجها سبع سنوات. وسيأتي يوم يشعر فيهِ غارسو اشجار الستيك في سيلان وجزائر ملقا والهند الهولندية بالمعضلة التي يواجهها الآن المشتغلون بالنترات الشيلية (مترجمة)

* * *

اصول الترجمة والتعريب

رأي الاستاذ انيس المقدسي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

﴿ تمهيد ﴾ يراد بالترجمة نقل الافكار من لغة الى لغة . او هي تفسير الكلام بما يقابله في لسان آخر . فنقول مثلاً في هاتين العبارتين —

L'Etat est moi. Human virtue was created out of the Family

الدولة انا (او انا الدولة) — والفضيلة نشأت من العائلة (او عن الحياة العائلية

ونترجم الالفاظ التالية: Parliament, Hospital, University, Constitution

Langues. مجلس نيابي — مستشفى — جامعة — دستور — لغات

ويراد بالتعريب ان يتفوه العرب باللفظ الاعجمي على مناهجهم كقولك بوتقة (يذيب بهِ الصائغ المعادن) ومغناطيس ومهرجان (عيد كبير)ودينار وقيصر وطاولة وتلغرا ويوبيل ودرفس (العلم الفارسي القديم) وامثالها ولا يكون ذلك عادة الا في المفردات

مناطق البحث

لهذا الموضوع الحيوي منطقتان رئيسيتان منطقة الآداب ومنطقة العلوم

فالمنطقة الاولى تضمّ الشعر والخطابة والرسائل والمحاضرات او كل كلام نفيس يصا ان تحفظهُ الاجيال لجمالهِ او لتأثيرهِ. ولما كان المنهاج الادبيّ العالي لا يتسع للمصطلحا والاوضاع الغريبة كانت الاولوية في هذه المنطقة للترجمة دون التعريب . وذلك بديهي فان الادب يتناول جمال المؤثرات في النفس وتدوين اثرها بطريقة شائقة او هو كما قا بعضهم تجسيم الجمال المطلق بالالفاظ . ومصادر الجمال لا تنحصر في جيل او قطر ولك اثرها النفسي يختلف باختلاف الافراد والجماعات وبالتالي يظهر في كلّ امّة على منهاج الخاصّ . خذ مثالاً لذلك هذه العبارة المشهورة للشاعر الانكليزي تنسون

Men rise on stepping stones of their dead souls.

فلو اتبعت فيها الوضع الاعجمي لقلت « ان الناس يصعدون على درجات من نفوس البالية او الميتة » وفي ذلك ما فيهِ من الغموض وقد تُرجمت هذه العبارة نظماً باستخلاء الفكر الحقيقي فجاءت

انما المرء يرتقي للمعالي سلَّماً من مرارة الاختبارِ

واليك عبارةً اخرى من مجلة اميركية : For generations the scourge of tropical epidemics preyed upon America وترجمتها — « مرّت اجيال على اميركا تجتاحها او تفتالها الاوبئة الاستوائية » ولو روعي فيها الحرف الانكليزي لقيل «لاجيال كانت ضربة الاوبئة الاستوائية تفترس اميركا (او تغتذي بافتراسها) »والفرق بين العبارتين فرق بين الاسلوبين الانكليزي والعربي. ومراعاة الاسلوب اللغوي هو الذي يعتمده كبار الكتاب فيما ينقلونهُ عن اللغات الاجنبية ويشترط فيهِ ان لا يتنطس الناقل الى درجة تذهب بروح الفكر الذي يحاول نقلهُ . كان يخلط بين الاساليب الكتابية فينقل الرواية المؤثرة مثلاً الى عبارة المترسلين القدماء او اصحاب المقامات ويستعمل للوصف الخيالي اوضاعاً ضخمة لا تصلح الاَّ في الملاحم او المساجلات.ولا يلتبسنَّ عليك هنا الفرق بين الاوضاع والافكار . فقد نقتبس افكاراً اوصوراً بيانية من لغات اخرى ونصوغها في قالب عربيّ بليغ فتزيد ثروتنا اللغوية .كقول المحدثين من اهل الادب — وضعهُ على بساط البحث — ذرّ في عينه الرماد — تمَّ النصاب — انتخب باكثرية ساحقة — نفض يدهُ من ذلك . وامثال ذلك من المجازات التي اقتبسناها عن الحضارة الحديثة والبسناها لباساً عربيًّا قشيباً فجرت على الالسنة والاقلام

***

ويساوق التنكّب عن الاوضاع الدخيلة في الادب العربي التنكّب عن كل مبتذل وسخيف ولوكان من صميم اللغة . الادب يتناول جمال المبنى كما يتناول جمال المعنى واذا كان السخيف وهو من اصل اللغة ممنوعاً فاحرِ بكلّ ما يشتمُّ منهُ رائحة العجمة اللهمَّ الاَّ ما سبق اليهِ الاقدمون وصقلتهُ الالسنة على ممرّ العصور فاصبح من تراث اللغة ككثير من دخيل القرآن والادب القديم. مثاله كرسي ، منبر ،حواريّ، دمقس،ديوان،سرادق، جريال ، ترياق ، سجيل ، زنار ،صكّ ، صولجان ، قسطاس ، كافور ، ناي. وغير ذلك مما يعدّ في طبقة الفصيح

فالمبدأُ الاساسي في منطقة الادب اذن ان يعمد الكاتب الى الكلام الاعجميّ فيترجمهُ بكلام عربي فصيح يسوقهُ على مناهج العرب . ويتناول الفصيح هنا من غير العربي الصميم ما عرّبهُ الاقدمون واستعملهُ كبار كتّابهم وشعرائهم ولا نعدل عن ذلك الاّ اضطراراً

منطقة العلوم

وتتناول ما حقّق ونظّم من المعلومات الطبيعية والاجتماعية كاصول الكيمياء والفلك والطبيعيات والطب والاقتصاد والآثار وعلوم النفس والاحياء وسواها . وغاية العلم التوصل الى الحقيقة المثبتة ولذلك ترى اربابه يتوخّون في ما ينقلونهُ الدقة او اداء المعنى خالياً من التعقيد والالتباس . على ان ما ينقلونهُ لا يتعدّى احد امرين — مجرّد Abstract وهو (الاسم المعنوي) ومحسوس Concrete او اسم الذات . فان كان الاول فعندنا انهُ لا مندوحة في الاغلب عن الترجمة لان اسماء المعاني الغربية تضيق حوصلة اللغة عنها . مثالهُ الالفاظ التالية :

condensation — erosion — force — efficiency — radiation — evolution — personality — culture — elasticity — characteristics vaccination — La Renaissance — asphyxie des racines — monopoly

فنقول بالعربية — تكاثف — تأكّل - قوّة — كفاءة — اشعاع — نشوء (او تطور) شخصية — ثقافة — مرونة — خواص — تلقيح (تطعيم) — دور النهضة — اختناق الجذور (اي جذور الزرع لكثرة المطر) — احتكار

ومثل الموصوفات المجرّدة الصفات على انواعها فانها تعتبر هنا من باب المعنويّات لا المحسوسات. فنقول مثلاً — عصبيّ - موصل جيّد - فعّال — آلي (اوعضوي) - اساسي — هلامي — لاسلكي — دستوري — جامد وجماد — حسّاس — اولي — علمي —

nervous — good conductor — active — organic — basic — jelly — like — wireless — constitutional — solid — sensitive — primary— scientific.

ومن ذلك قولهم التبنيج الايصالي Conductive Anesthesia. الثقل النوعي specific gravity. التقلقل الجاذبي Gravitational instability . المادة الكونية Cosmic matter . الرأي السديمي Nebular theory . وقس عليهِ العشرات بل المئات من هذه الاوضاع العلمية . ويستثنى من ذلك مالا يمكن ترجمتهُ ترجمة تحفظ المعنى الاصلي او تجري بسهولة على الاقلام وكذلك الصفات الناشئة من النسبة الى اسماء أُلف تعريبها فان الوضوح العلمي يقتضي بقاءها على لفظ تلك الاسماء المعرَّبة كقولنا — انباء تلفونية . دروس سيكولوجية . تجارب ميكانيكية . امر امبراطوري . مناظر سينمائية . حزب ديموقراطي . اعصر جيولوجية . وما شاكل مما لا يترجم الا بتكلّف شديد قد تضيع معهُ الفائدة

اما اذا كان المنقول من باب المحسوسات او اسماء الذوات (Concrete) فلهُ احكام ومبادىء نلخصها فيما يلي :

١ — ما لهُ مرادف قديم في العربية (اصيلا كان ذلك المرادف او دخيلاً) فاستعمال مرادفهِ اولى من تعريبهِ . ككثير من الاوضاع النباتية والحيوانية والطبية والفلكية التي وضعها من سبقنا من علماء العرب

٢ — كلُّ ما يستطاع نقله الى اللغة فسهل عليها هضمهُ وتمثيلهُ بحيث يدلُّ تماماً على ما كان يدلُّ عليـهِ قبلاً فترجمتهُ اولى مثاله — طيارة (Aeroplane) معهد موسيقي (Conservatoire) دبّابات (tanks) مجلس الشيوخ (senate) سفير (Ambasador) مدمّرة (destroyer) الجهـاز الافرازي (excretory system) مضاد للفساد (Antiseptic) وفد (delegation) كتلة (Mass) مسهّلات (laxatives) ناطحات السحاب (sky-scrapers) مؤتمر (Conference) عصبة الامم (League of nations) ومثلها مئات الالفاظ التي ترجمت قديماً وحديثاً . وهذه عادةً اما لها صورة في حضارة الامة او هي من قبيل الصفات

٣ — كل ما أُلفت ترجمتهُ وجرى في مجاري اللغة فيجب المحافظة عليهِ لانهُ اصبح من مادة اللغة ومن الخطإ استبدال ترجمة جديدة بهِ الاَّ اذا كانت اوضح دلالة وأسهل استعمالاً . من ذلك : الجوهر الفرد (atom) الدقيقة (molecule) نواة (nucleus) العمود الفقاري (vertebral column) قائم (perpendicular) خرّيج او متخرّج (alumnus) مذهب النشوء (evolution) كهرب (electron) رشاش (للتروليوزم) برماني (amphibian) القواضم (rodents) شقائق البحر (sea anemones) المجاسّ (antennae) حليّة (parasite) والبعض يقول طفيلية. ميزانية (budget) تضخم مالي (inflation) . وما الى ذلك في كتب العلم القديمة والحديثة مما لا يمكن احصاؤهُ هنا

٤ — كل ما ليس لهُ صورة او مثال في العربية او كل ما يسهل ادخاله في نصاب اللغة ولاسيما اذا كان في ترجمتهِ تكلّف ومشقة قد تضيع بهما الحقيقة المنشودة فتعريبه اولى . وعلى هذا جرى الاقدمون وتاريخ كل لغة شاهد بصحتهِ . خذ الالفاظ التالية :

Oxygen — Hydrogen — Radio — Bourse — Cinema — Geology
Manometer — Gorilla — Vitamine — Film — Bacteria — Battery
mperator — Manœuvre — Sodium— Balloon.

فاذا اعتبرت الغاية من المباحث العلمية واعتبرت نشوء العشرات بل المئات من الاوضاع الجديدة كل سنة وكيف تعنى اللغات الحية الراقية بتبنـيها رأيت انهُ لا مندوحة لنا عن ان نعرّب هذه الالفاظ وامثالها فنقول — اوكسجين — هيدروجين — راديو — بورص سينما — جيولوجيا — مانومتر — غورلا — فيتامين — فلم — بكتريا — بطارية — امبراطور — مناورة — صوديوم — بالون . ولا نتحرج في النقل العلمي الى قول من يقول بدل ذلك — مولد الحموضة — مولد الماء — الهاتف اللاسلكي — المصفق — النديّ او الهاتف — الحاكي — علم طبقات الارض — الى آخر ما حاولهُ بعض المتحمسين من ذلك

والذي يراجع ما قام بهِ علماء العصر العباسي من هذا القبيل والذين نسجوا على منوالهم في بدء نهضتنا الحديثة يجد انهم جروا طبقاً للمبادئ الكلية التي حاولنا بسطها لم يشذّوا عنها الاّ قليلا . وليس يشك احد اليوم انّ اللغة العربية ملأى من هذه المعربات وبعضها قديم جداً وانما ثبتت مع الايام ودخلت في نصاب اللغة اما لتعذّر ترجمتها ترجمة تمنع الالتباس والغموض او لنبوّ ما تُرجمت بهِ عن الصيغ الصرفية من جمع وتثنية وتصغير ونسبة

***

وهنا لا بدّ لنا من القول ان بين العربية واخواتها من الارومة السامية علاقة حيوية وشبهاً كبيراً فما تشابه لفظهُ ومعناه منها (سواء كان ذلك في المجردات او المحسوسات استوى فيهِ التعريب والترجمة لان اللفظ مأخوذ عن احدى هذه اللغات اوهو من الارومة المشتركة بينهن . والقاعدة هنا ان يجري الناقل تماماً على منهاج اللغة المنقول اليها — فتقول في مدبحو (السريانية) وكوهن (العبرانية) ومتصهف (الحبشية) مذبح وكاهن ومصحف وكذلك : حكيمو — حكيم . ونبيو — نبي . وسفنتو — سفينة. وطالو — طلّ . ويامو — يمّ . وقس عليهِ ما لا يحصى من هذه الالفاظ المشتركة . اما اذا بعد اللفظ والمعنى بين الاخوات السامية فحكمه حكم ما تقدم معنا في منطقتي الادب والعلم

منطقة الاعمال

اي المعاملات التجارية والصناعية والزراعية وما الى ذلك من ضروب العلاقات بين الناس . وهذه لا تخرج عند التحقيق عن منطقة العلوم بيد أنه يتوخى فيهـا الاقتصاد والسهولة والبعد عن التأنق او التنطس الادبي . ولذلك قد يتسع فيها باب التعريب . فلا يشترط في الالفاظ التالية : كرتون — سكرتير — اوبرا — بنك — افندي — بسكوت — ركت — ان يقال مقوّى — ناموس — مغناة — مصرف — السيّد — فرنيّه — طبطابة.

فذلك ما لا تقوى عليهِ المعاملات ومن العبث حمل الجمهور على هذا التكلف والاسراف . ولا يطبق قانون الترجمة عليها الاَّ تحت شروط — منها

١ — ان تكون الالفاظ الاعجمية مما يعسر التلفظ بهِ اوما ينبو عن المنهاج العربي

٢ — ان يكون لهُ مقابل في العربية ككاتب بدل سكرتير

٣ — ان تكون من باب المجرّدات والصفات كقولنا شركة ضمانة الحياة المحدودة وكل ذلك مرّ معنا في منطقة العلوم

﴿ خطأ المعاهد المستقلة ﴾ نشأ في بعض الاقطار العربية معاهد لغوية خدم بعضها الادب العربي خدمة تذكر . وقد عالجت مشكلة التعريب والترجمة فخبطت فيها خبط عشواء ولم تسفر جهودها عن نتيجة مرضية وذلك لاسباب اهمها

١ — انهم خلطوا بين هذه المناطق الآنفة الذكر ولم يراعوا المبادىء الاساسية فيها

٢ — تطرّف بعضهم فجعلوا اللغة العربية وحدة قائمة بذاتها لا يجوز ان تأخذ من سائر اللغات او تعطيها فاندفعوا يترجمون دون روية او بحث وزاد الطين بلة ما نشأ بعد الحرب الكبرى من بواعث النعرات القومية المتطرّفة حتى صرت ترى طائفة من الكتاب يأنفون من كل اعجميّ الصبغة ويحسبون التعريب مغايراً للروح القومية

٣ — لم يراعِ البعض منهم ما أتي من سبقهم ولم يدققوا النظر فيهِ فاغفلوهُ كما فعلت طائفة من المترجمين في مصر وغيرها وابتدعوا اسماء جديدة لمسمّيات كانت قد ترجمت قبل عهدهم وجرت على اقلام الكتاب . فزادت بذلك الفوضى والبلبلة . قابل الاوضاع العلمية في الكتب المصرية الحديثة بالاوضاع التي كانت مستعملة قبلاً ترَ ما نقصد اليهِ

٤ — اصبحت هذه المعاهد اللغوية اقليميّـة [١] واصبح للغة بواسطتهـا مراجع متضاربة فظهر في الشام ومصر والعراق (واخيراً في لبنان) لجان علمية باسم مجامع كلّ منها يدّعي « وصلاً بليلى » ومعاهد العلم الكبرى في البلاد تجري مجراها المعتاد تنقل وتترجم وتصنّـف غافلة عن عمل تلك المجامع او وجودها ولم يقف الامر عند هذا الحدّ بل زادت روح الاستقلال اللغوي في الافراد ايضاً فاخذ المشتغلون بالعلم يعمل كلّ منهم كما يريد وتطرّف بعضهم وتنطّـس فتهجّم على بعض الاوضاع العربية السائرة محاولاً أن يستبدل بها ما يسميهِ « فصيحاً » يحضرني من ذلك الآن ما يلي :

---

(١) وهي ايضاً غير قائمة على مبدأ التمثيل العلمي فعضاؤها تنتخبهم لجنة انشئت اعتباطاً لا هيئات علمية منظمة

الالفاظ السائرة	فصيحها في زعمهم	الالفاظ السائرة	فصيحها في زعمهم
وصل (ايصال)	قَبض	خادم البيعة (قندلفت)	الجلاذي
كاتب	ناموس	متخصِّص	حفيّ جمعها حفو
دفّة السفينة	خيزرانتها او خيفوجها او سُكّانها	رسالة	اطروحة
		التقاعد	الايداع
ربطة الرقبة	الأُبن	الشيخ senator	البلّيت
الربّان	الناخذات	السائق الحاذق	المعقب
الكبريت	الثقاب	المنبه (الجرس المنبه)	الجلجل
تصاوير	تهاويل	السترة	الفرّوج

وقس على ذلك كثيراً غيره . قد تقول ولكن بعض ما ذكر من الاوضاع السائر من غير اصل في العربية فأجيب ولكنهُ اصبح كذلك بعد ان قبلتهُ اللغة واصبح سها على ألسنة اهلها

مجمع عربي عام

نحن من الذين يعتقدون بناموس النشوء والارتقاء وان الاصلح يبقى مع الزما وما التضارب في الآراء وكثرة المنازع الا محكّ يظهر بهِ الصحيح ويثبت . وعلى هـ الناموس جرت اللغة العربية منذ القدم فلو تحريت الالفاظ الجاهلية وما تلاها في الاسلا وقابلت ما بقي منها الى اليوم وما اندثر لتحققت فعل الزمان في الانتخاب اللغوي . ع اننا في عصر غريب . عصر خطت فيهِ العلوم العصرية خطوات واسعة الى الامام ولعا لا نبالغ اذا قلنا ان ما ظهر من المكتشفات والمخترعات العلمية في المائة السنة الاخيرة يربا على اضعاف ما ظهر من ذلك في كل القرون الماضية ومعظم ذلك في القرن العشرين وسيطرد هذا التقدم وتتضاعف سرعته وبالتالي ستزدحم اللغات الحيّة بكثير من الاوضا العلمية الجديدة ازدحاماً لم يعهد لهُ مثيل . وعليهِ فسيكون عمل الانتخاب الطبيعي بطي بالنسبة الى حاجة الانسان وفي ذلك ما يحدونا الى القول بوجوب التفاهم بين الاقط العربية لئلا تزيد الفوضى ويغلب التهويش على المنطق . واذا كان هـذا التفاهم لا يتم ا بانشاء مجمع عربي فليكن مجمعاً عاماً يمثل اعضاؤه الهيئات العلمية الكبرى في البلدان العر الراقية . واني على سبيل المثال اقترح انشاءهُ في القاهرة على النمط التالي

(١) — يقوم بالدعوة اليهِ وزير المعارف المصرية

(٢) — ترسل الدعوة الى (١) ادارات المعارف الرسمية في الممالك والاقطار العربية المنظّمة (٢) الى المعاهد العلمية من رتبة جامعة (٣) الى المجامع العربية المنظّمة

(٣) — تنتخب كلّ من هذه الهيئات ممثلين او ثلاثة بحيث يكون عدد اعضاء المجمع العام نحواً من خمسين

(٤) — يجتمع هذا المجمع مرة كل سنة (مدة اسبوعين) في القاهرة برئاسة وزير المعارف ويخصص الاجتماع الاول للتعارف وتأليف اللجان وتعيين مناطق البحث

(٥) — ومتى تمّ ذلك انفضّ المجمع وانصرفت اللجان في اثناء السنة الى درس مباحثها الخاصة وتمحيصها والى تهيئة قراراتها لتعرض على المجمع في دورتهِ التالية . فاذا قررها نشرت في الجرائد والمجلات ليطلع عليها الخاص والعام

لا انكر ان هنالك تفاصيل كثيرة لا بدّ من النظر فيها وليس ما اعرضهُ الاَّ خطة عامة الفت اليها نظر اهل الرأي واقلّ فوائدها انها تربط البلدان العربية برابطة ادبية واحدة وتحول دون الفوضى اللغوية التي نرى طلائعها في كلّ مكان

رأي الدكتور محمد شرف وخلاصة مقترحاتهِ

اللغة العربية والمصطلحات العلمية

(تتمة مقاله المنشور في مقتطف فبراير الماضي)

المقابلة بين القديم والحديث

يتّصف التعريب في عهد العرب بحسن الاسلوب وتأدية المعاني بوجه التقريب ، ويتصف التعريب الحديث بكونه تضميناً اومسخاً باسلوب مضطرب لا يسوغهُ الذوق العربي. ولم يكن عجباً امام هذا القصور والاضطراب ان يقوم بعض الجاهلين بثروة العربية وحسن معداتها للتعبير ، او فريق المتهوّسين للغات الفرنجية ،فيقول بعدم صلاح العربية لتأدية العلوم الطبيعية والطبية ، ويرميها بالقصور والجمود . ولا ريب في انهُ يعسر على الطالب فهم هذه المعرّبات المشوَّهة ،وانهُ اسهل لهُ أن يدرس علومهُ باللغة الفرنجية من ان يقرأ كتاباً معرَّباً بهذا الاسلوب ، لانهُ لا يستلذّ قراءتهُ لعدم انسجام تراكيبهِ ، وخلوه من التثبّت وحسن التأدية والبيان ، ووضعه الكلمات في غير مواضعها . فلم يكن عجباً ان زهد أبناء العربية في لغتهم القومية ، حتى اصبحت في نظر الكثيرين ممن تعلموا في بلاد الغرب كأنها لغة قوم آخرين ، ولا غرابة اذا بارت سوق الكتب العلمية المعربة . ولذلك انقسم

المنشئون من المتكلمين بالعربية من اهل القلم والعلم الى ثلاث شيع يدلي كلٌّ بحججهِ ويفيل آراء خصمهِ :

(١) قسم درس اللغات الفرنجية وقصر جهدهُ عليها فلم يقف على ألفاظ العربية ومبلغ ثروتها وسعتها ، يرى اتخاذ الالفاظ الفرنجية الجديدة وأساليب صوغها ، وادخالها كما هي على حالها في لغتنا . وأصحاب هـذا الرأي أكثرهم مصريون وقد بالغوا في تصوير قصور اللغة عن مجاراة اللغات الحية

(٢) وقسم حنبلي لا يرى شيئاً من ذلك ، ويوجب علينا ان نكون متبعين للسلف لا مبتدعين ، ويزهد كل الزهد في ايّة استعارة من اللغات الاجنبية . ويعزّ على هذا الفريق ان تشوّه لغة القرآن او تشوبها أدنى شائبة من لغو او لكنة ، ويربأ بها ان يتنازع اسلوبها او قوامها اي فساد او انحطاط . وأنصار هـذا الرأي بعض ادباء مصر والشام والعراق وفلسطين الذين تضلّعوا من اللغة وتمكنوا منها وتدرّبوا فيها حتى استبطنوا خفاياها ، وعرفوا أصولها ومواردها وأسرارها ولكنهم غير متصلين بالحركة العلمية العالمية

(٣) قسم ثالث بين هذين الرأيين ، ويقول بأن خير الامور الوسط ، وان الاصوب اتخاذ ما لا يمكن ان تحققهُ في العربية من الاوضاع المستحدثة ، ولا يوجد فيها ما تؤدّي معناهُ ، وإلباسهُ حلّة عربية .واما ما عدا ذلك ففيها ما يقوم مقامهُ، وصاحب هذا المقال من أنصار هذا الفريق . فأصحاب الرأي الاول لا ينبغي لهم ان يغتروا بوجود أنصار أقوياء ،لان مآل مذهبهم ان نستبدل باللغة الفصحى السامية لغة تكاد العامية تكون أحسن اسلوباً وأصحّ تعبيراً منها ، وتشترك معها في عدم تقيُّد الكاتب بقواعد النحو وأحكام الاعراب وأصول البيان او نظر الى البلاغة

أما القسم الثاني الموسوم بشدّة التحفظ والاستمساك بالقديم فانهُ يزداد ضعفاً بازدياد تمسكه لان مآل مذهبهِ زيادة تشوّه اللغة بما يدخلها من الألفاظ رغماً منه لجموده ووقوفهُ باللغة .وكيف تقوى حجتهُ على مواجهة الحقائق الآتية

(١) لم تخلق اللغة مرة واحدة ، ولم توضع في وقت واحد وانما وضعت شيئاً فشيئاً بالتدرُّج بحسب الحاجة الى التعبير عما يتجدّد من الأحوال التي تتقلّب وتحوّل على الدوام ولا بد من نمو اللغة والزيادة فيها للابانة عن كل جديد يمرّ بالخواطر او يقع تحت الحواس وما اللغة الا كسائر الاجسام الحية التي تنمو ، وكل محاولة لمنعها من النمو سعي الى تشويهها

بالتزيّد الحادث قهراً من دخول ما لا بد معرفتهُ من أسماء المستحدثات

(٢) وليس من المعقول أن يريد هذا الفريق باللغة أن تبقى دائماً كما كانت في الجاهلية أو صدر الاسلام . ولو نُشر أكتَب كتّابها قديماً وطلب منهُ تأدية المعاني الحديثة لأشكل عليهِ التعبير واضطربت عبارتهُ . ولا يخفى على كل من وقف على كلام العرب واخبارهم ان العربية استحالت كثيراً في كل عصر من عصورها عما كانت عليهِ في الجاهلية أو صدر الاسلام ، باتصّال العرب بالفرس والسريانيين والكلدانيين والاحباش والروم واللاتين والقبط واتساع تصوراتهم وتغير أحوالهم ، فوضعوا اسماءً وافعالاً لكل ما استحدث لديهم ، وجارتهم اللغة في النموّ وتحوُّل الاسلوب الى اللين والسهولة . ومن ألقى نظرة على معجم قديم او حديث وجد آلافاً من الالفاظ الدخيلة التي استعارها العرب من سائر لغات هؤلاءِ الاقوام،لاحتياجهم اليها لخلوّ لغتهم منها واستعانتهم بها على تأدية المعاني المستحدثة ، واعتبروها من الفصيح

(٣) ولقد كانت العربية في عصر نهوض الاسلام كسائر اللغات الحية الآن ، الانجليزية والفرنسية والالمانية والطليانية ، مستوفية لخواص الحياة والمرونة قابلة للنموّ والزيادة . فالذين يريدون الرجوع باللغة الى الازمان الاولى ، ويوجبون علينا الوقوف بها يقفلون باب الاجتهاد والابتداع ويعملون على موت اللغة وزهد الناس بها ، بتضييق السبل على المنشئين والمعرّبين

النهضة الحديثة ومستقبل اللغة

لم تبق الحاجة الى العلم والشعور بشدة لزومهِ خفيَّة على سواد الناس . يُستدلُّ على ذلك بالاندفاع المتزايد الى المدارس الثانوية والعالية،وبانتشار الجرائد والمجلات والمعرَّبات وتكاثرها ، وميل عدد كبير الى احراز ثقافة صحيحة باقتباس علوم الغربيين ، وتزايد الذين يسعون في الارض شمالاً وغرباً لتحصيل علوم الفرنجة بمختلف لغاتهم . ومن مظاهر هذه النهضة تجدُّد العناية بالعربية وازدياد عدد المتوفّرين على خدمتها وإحياء شأنها والرغبة في ردّ العجمة والرَّطانة عنها ، ورفعها لمجاراة اللغات الحية بالسير بأوضاعها على السنن التي تلقيناها عن السلف أو التي نبتدعها ونتواضع عليها تواضعاً يحسن أن تقرّه سائر المجامع اللغوية التي أنشئت والتي ستنشأ وإيثار الالفاظ العذبة السهلة على الخشنة ، وفقاً لروح الحضارة العصرية التي تتطلب الحسن والجميل وتطوّر الاساليب لاقتباس الكتاب بعض أساليب اللغات الغربية التي تعلموها .ونرى مما يكتب في الجرائد بالحاف في طلب تأسيس مجمع للغة في مصر يتصل بمجامع الشام والعراق ومن السعي الى وضع كتب نحوية جديدة متقنة القواعد،

تلائم العقول الحديثة وتسهّل الإحاطة بالعربية ، ومن الرجوع الى تعليم مبادئ العلوم العالية بالعربية في المدارس الثانوية دليلاً على رغبة اكيدة في إحياء العربية ، وبرهاناً على ان ابناءها بدأوا يشعرون أن حياتهم بحياة لغتهم وأنهم مكلفون بحماية ذمارها . ولو تابعت التآليف العلمية التي ظهرت في عهد محمدعلي واسماعيل ولم تحرم مصر من مواصلة تدريس العلوم العالية بالعربية لما أعوزنا اليوم تعبير في علم منها . ومهما بلغت درجة تحصيل العلم بلسان غريب فهضمهُ وإساغتهُ لا يتمّان الاّ بالاستعانة على فهمه باللسان القومي

ونعتقد أن المعجم الذي وضعناه ،وهو أبسط المعاجم الانجليزية العربية وأوسعها ، قد ألقى نوراً ساطعاً أمام الناهضين بالعربية والراغبين في تحرير الفاظها المتعلقة بالعلوم الطبيعية والطبية ، وان لم يكن ذلّل لهم أكثر العقبات فقد كشف لهم عن الثُّغَر التي تقف في طريقهم. وقد اعتمدت وزارة المعارف المصرية الاصطلاحات التي جاء بها فخطَوْنا بهخُطىً واسعة في سبيل توحد الأوضاع العربية المتعلقة بهذه العلوم ودفع الفوضى اللفظية التي كنا نعانيها . وليس لي في هذا المقام متسع للافاضة في شرح اسلوبنا في التعريب والقواعد التي عوّلنا عليها في صوْغ الأوضاع الحديثة ورأيناها جديرة بالاتباع ، وحسْب الشادي الاطلاع عليها مشروحة شرحاً وافياً في مقدمة الطبعة الثانية من المعجم

لذلك نرى

انهُ لا مندوحة عن انشاء مجمع لغوي علمي يضمُّ خيرة أهل الفضل من العلماء ويتّصل اتصالاً وثيقاً بمنتديات اللغة في الشام والعراق والمغرب وفلسطين . ولا بدّ من ان ننبّه أولي الأمر الى الامور التي نجملها بعدُ اذا أريد من المجمع أن يكون مثمراً

(أولاً) يقوم المجمع بوضع معجم حديث وافر للغة العربية ، يكون نبراساً لكتاب العربية يهتدون بهديه فتهمل الالفاظ التي تقادم العهد على نبذها والتي لم يستعملها سوى الأعراب الحوشيين المتوغلين في البداوة والألفاظ التي عدلنا عنها الى أخرى أسهلَ وأخف وتذكر الألفاظ التي استحدثت منذ وضع المعاجم القديمة ويُصْلَح النقص البين في المعاجم القديمة لأنها لا تحتوي الا الألفاظ الفصحى القديمة دون المستحدثة أو التي عرّبت منذ وضع هذه المعاجم وتشرح الألفاظ المبهمة أو غير الصريحة التأدية شرحاً وافياً وتعرّف تعريفاً مطابقاً للعلم الحديث ، مع ذكر الفوارق بين المترادفات واشباه المترادفات وتخصيصها ويصلح ماكان مصحفاً وأغلق فهمه ويخرج على وجههِ الصحيح ، ويكتفى من اللغات المتعددة في الكلمة بما هو أفصح وأعلى ، وتذكر الجموع القياسية فقط والتصغير ، وتحيا

بعض الألفاظ التي يظنها البعض مهجورة أو ميتة وما هي كذلك بل يجدر بنا بعثها واذاعتها ويعاد شرح الالفاظ التي تغيرت معانيها المشروحة قديماً بتغير الزمن أو الاصقاع او ضاقت بالمعاني الحديثة بفعل الحضارة ، كل ذلك مع تخير الالفاظ السهلة المأخذ والتلقي وايثار العذب المسمع على المستثقل وتفضيل ما كان موافقاً للذوق العصري المصقول ورفض استعمال ما شنع تآلفه او تطلب الكلفة في النطق بهِ ويستشهد بآيات مألوفة من القرآن أو الحديث والشعر القديم فقط . بذلك تتوحّد الالفاظ المستعملة في الاقطار المختلفة الناطقة بالعربية وتندفع الفوضى اللفظية التي نعانيها

(ثانياً) وضع معجم فرنجي عربي لمصطلحات العلوم والفنون يكون دليلاً يركن اليهِ العلماء وسفراً جامعاً لما يخفف بهِ عنهم ما يلاقونهُ من العيّ في التعبير والتأدية الحسنة وذلك بالبحث في المعاجم الحديثة العهد بالوضع وفي كتب العلوم التي نقلها العرب واتخاذ ما يكون موافقاً

وباشتقاق الفاظ جديدة من اصول عربية ، تؤدي المعنى تأدية مميزة ، جرياً على اصول الاشتقاق العربية ولو لم تذكر هذه الالفاظ في المعاجم القديمة

وبتعريب الالفاظ التي يكون لساننا خلواً منها ولا مقابل لها فيهِ حتى تجري على الاوزان العربية

(ثالثاً) ينبغي أن تكون أكثرية أعضاء المجمع من المختصين بالعلوم الطبيعية المتوفرين على مباحثها وأن يساعدهم في ضبط الالفاظ التي يختارونها طائفة من رجال اللغة الذين يحفظون فقهها وأسانيدها وأن يضمّ المجمع بعضاً من رجال الصحافة وخيرة الشعراء المشهود لهم بسعة العلم والكفاءة لأنهم عليهم المعوّل في اذاعة الألفاظ التي يتخيرها

(رابعاً) تنشيط المؤلفين والمعربين بالاعلانات والجوائز على وضع الكتب في العلوم المختلفة مستعملين فيها الألفاظ التي يتفق عليها لأن الألفاظ في المعجم ميتة لا تتقد شعلة الحياة فيها الا في سطور المؤلفين

والعلامة لطفي السيد بك الجالس على كرسي المعارف هو الآن قبلة أنظار المهتمين بالعربية وقد سبق لهِ في خدمتها كثير من المآثر والمحامد فان نجح في انشاء المجمع ووفق الى الغرض منهُ خلد لهُ فخراً مبيناً والسلام

العين اللاسلكية الساحرة

مصباح صغير من الزجاج ، مفرغ من الهواء او قريب من المفرغ ، زجاجهُ مطليّ من داخله بمعدن البوتاسيوم ولا يحتوي في فراغهِ على شيءٍ سوى حلقة دقيقة من معدن البلاتين أُستنبط من خمس سنوات فقط فصار يستعمل الآن في قياس قوة النور الذي يصل الارض من الكواكب على بُعدها ، وتبنى عليهِ عدّادات دقيقة تحصي ما يمرُّ في الشوارع من السيارات ، ويوضع في آلة تدخلها لفائف التبغ (السيجار) من احد طرفيها فيفرّق بين هذه اللفائف بحسب لونها ، ويستعمَل في الآلات التي تصنع بها الصور المتحركة الناطقة فيحوّل النور الى نبضات صوتية اذا اصابت سمّاعة تلفون صارت كلاماً مفهوماً ، ويدخل في التلفزة وادواتها فيجعل اشعة النور المنعكسة عن الاجسام تغيّرات في قوة التيار الكهربائي تنقل لاسلكيًا الى اقصى اقاصي الارض

هذه هي العين اللاسلكية العجيبة التي اطلق العلماء عليها اسم البطرية النورية الكهربائية. فما هو سرُّ فعلها العجيب على بساطة تركيبها ؟

***

لتعليل ذلك يجب ان نعود الى المذهب الطبيعي القائل بان كل الاجسام المادية مؤلفة من دقائق وان كل دقيقة منها مؤلفة من جواهر وان كل جوهر مؤلف من بروتون تدور الكهارب حولهُ كأنها السيارات في النظام الشمسي . وان عدد الكهارب في عنصر من العناصر واحد في كل جواهر ذلك العنصر في احوال عادية . فاذا كان الجوهر في حالةٍ طبيعية كانت كهربائيتهُ متعادلة اي كانت كهربائيتهُ الايجابية معادلة لكهربائيتهِ السلبية

ولكن اذا حدث للجوهر ما حملهُ على انهُ يفقد احدكهاربهِ سعى الى اجتذاب كهرب جوهرٍ آخر اليهِ لذلك يقال ان شحنة هذا الجوهر الكهربائية شحنة ايجابية. اما اذا حدث للجوهر ما جعل بين كهاربهِ كهرباً زائداً عن العدد الطبيعي كان ميل هذا الجوهر الى اطلاق كهربهِ الزائد . فالجوهر الذي بين كهاربهِ كهرب زائد يوصف بانهُ جوهر سلبي اي ان شحنتهُ الكهربائية شحنة سلبية

ومن الصفات الخاصة التي تتصف بها بعض العناصر كالبوتاسيوم والروبيديوم ان جواهرها تطلق بعض كهاربها اذا وقع عليها نور الشمس. فانك اذا عرّضت لوحاً من البوتاسيوم لنور

الشمس تطايرت من سطحهِ كهارب عديدة. فاذا استطعنا ان نسيطر على هذه الكهارب المنطلقة وان نسيّرها في دورة كهربائية احدثت حركتها تياراً كهربائيًا . ولما كان عدد الكهارب التي تتطاير من سطح البوتاسيوم يزيد او ينقص بزيادة النور ونقصانهِ كان التيار الكهربائي الذي تحدثهُ هذه الكهارب خاضعاً في قوتهِ وضعفهِ لقوة النور وضعفهِ

والعين الكهربائية : او البطرية النورية الكهربائية ، كما قدمنا انبوب مفرغ او يكاد يكون كذلك بعض زجاجهِ مغطى من داخله بطبقة من معدن البوتاسيوم الذي يتأثر بالنور وفي وسط الانبوب حلقة دقيقة من معدن البلاتين غالباً متصلة بقطب البطرية الايجابي بسلك دقيق . وغشاء الانبوب الذي من معدن البوتاسيوم متصل بقطب البطرية السلبي

فاذا وضع هذا الانبوب في مكان مظلم لم تتمكن البطرية من توليد تيارٍ كهربائي فيهِ لانهُ لا يوجد اتصال بين قطبيها السلبي والايجابي ولكن متى وقع النور على الانبوب تأثر غشاء البوتاسيوم فتطايرت من سطحهِ الكهارب فتجذبها الحلقة اليها لان كهربائيتها ايجابية فتسري في الحلقة والسلك المتصل بها تياراً كهربائيًا. ولما كانت جواهر البوتاسيوم قد اخذت تفقد كهاربها بفعل النور تأتيها كهارب اخرى تحلُّ محلها من طرف البطرية السلبي وهكذا يحدث التيار الكهربائي في الانبوب وما يتصل بهِ من جرّاء وقع النور على ظاهره . فاذا زاد مقدار النور الواقع على خارج الانبوب زاد عدد الكهارب التي تنطلق من غشائهِ الداخلي وزادت قوة التيار الكهربائي الذي يولَّد على الطريقة المتقدمة. واذا ضؤل النور قلَّ عدد الكهارب المتطايرة وضعف التيار الكهربائي

***

ويجب التفريق بين بطرية السلينيوم والبطرية النورية الكهربائية. فالسلينيوم معدن او شبهُ معدنٍ موصل للكهربائية يتأثر بفعل النور فتقلُّ مقاومتهُ للكهربائية اذا وقع عليهِ ثم تزيد اذا حُجب عنهُ . لذلك استعمل اولاً في نقل الصور الفتوغرافية سلكيًا ولاسلكيًا . ولكنهُ بطيء التحول بين القوة والضعف لا يصلح للتغيرات السريعة التي تستلزمها وسائل النقل اللاسلكية . فخلت محلَّهُ البطرية النورية الكهربائية حين استنبطت منذ خمس سنوات لانها اسرع فعلاً وادقّ صنعاً . وهي فوق ذلك تولّد التيار الكهربائي بتطاير الكهارب من سطح البوتاسيوم كما تقدم

وقد استعمل بعض المستنبطين هذه البطرية في آلات مختلفة غير ما تقدم . منها ما يدق

الاستاذ ادغار طويل السوري الفرنسي المقيم بباريس وامامهُ تلفازهُ وهو يحسب من اكبر المشتغلين بالتلفزة (الرؤية عن بعد)

مقتطف مارس ١٩٠٩

امام الصفحة ٢٨٤

العين اللاسلكية العجيبة

هذه الصورة توضح الحقائق التي ذكرناها في المقالة المقابلة . في الزاوية اليمنى من اسفل الصورة رسم يبين العين اللاسلكية التي اطلق عليها العلماء اسم البطرية النورية الكهربائية وهي كرة مفرغة جانب منها مبطن بمعدن البوتاسيوم وفيها حلقة من البلاتين يصلها بقطب البطرية الايجابي سلك معدني . وفي الزاوية اليسرى بطرية كهربائية نورية شديدة الاحساس حتى اذا مرّت غيمة لطيفة وحجبت الشمس دوّنت ذلك بتحريك ابرة تخطّ خطوطاً على لوح

من الواح الظواهر الجوية . وتستعمل كذلك في المعامل لتقيس كثافة الدخان الذي فيها . فاذا زادت الكثافة عن الحدّ المعين قرعت جرساً . اما الرسم الذي في اعلى الصورة فمصباح من الزجاج غير شفاف امثال المصابيح الكهربائية التي تستعمل للزينة في القصور وفي انارة الشوارع وقد أُنير ووضع امام البطرية المذكورة لتقيس شفوف هذا الزجاج اي لتفيس مقدار النور الذي ينفذهُ . وقد استعملت هذه البطرية في ادوات لاسلكية مختلفة هي من اعجب العجائب كما ترى

جرساً كهربائيًّا اذا حال ظل خفيف بين البطرية ومصدر النور الذي يقع عليها. لذلك تستعمل هذه الآلة في حفظ خزائن البنوك. فتوضع البطريات في اماكن خفية حول الخزائن فاذا اقترب السارق وحال بين البطرية ومصدر النور قرع جرس قرعاً عالياً ينبه الحراس او اذا شئت ان تضع مكان الجرس جهازاً ينفث غازاً خانقاً او يطلق رصاصاً مردياً كان لك ذلك. وصنعت بها آلات اخرى توضع في المعامل فتدق اجراساً تنبه المديرين الى ان كثافة الدخان في المعامل زادت عما تقضي بهِ قوانين المجالس الصحية العامة. وصنع علماء الفلك الطبيعي آلات دقيقة لقياس حرارة الشمس وسائر الكواكب والسيارات. وبنت الشركة الكهربائية العامة بالولايات المتحدة الاميركية مقاييس دقيقة على هذه البطرية يقاس بها مقدار النور الذي ينفذ انواعاً مختلفة من الزجاج الذي يستعمل في مصابيح الزينة كما ترى في الصورة ويقاس بها شفوف الورق والانسجة وطيوف الالوان المختلفة في صناعة الاصباغ ونضوج الأثمار اذا كان لونها دليلاً على نضوجها. ويقول الدكتور ايفس انهُ لا يبعد ان نتمكن يوماً ما من استخدام قوة الشمس المنتشرة في فضاء مولدات كهربائية مبنية على مبدإ البطرية النورية الكهربائية. واهم من ذلك الآن ما شرع بعضهم في تحقيقهِ وهو استعمال هذه البطرية الساحرة لتحويل النور المعكوس عن الحروف المختلفة في كتاب او مجلة الى اصوات معينة فيستطيع العميان ان يقرأوها عن طريق الأذنين. فاذا لم يكن للبطرية النورية الكهربائية التي تقدم وصفها الا الفائدتين الاخيرتين لكفى مستنبطها ومتقنيها فخراً وخدمة للعلم والعمران

> **المستنبطات اللاسلكية**
>
> التي حققت او ينتظر تحقيقها
>
> ١ ـ التلغراف اللاسلكي * ٢ ـ التلفون اللاسلكي واذاعة الاخبار والخطب والموسيقى وما اليها * ٣ ـ استنباط نظام البيم (الامواج القصيرة الموجهة) وربط القارات المختلفة بالمحادثات التلفونية اللاسلكية * ٤ ـ نقل الصور الفوتغرافية لاسلكيًّا * ٥ ـ التلفزة (الرؤية عن بعد) والنكتوفيزيون (اي الرؤية في الليل) *٦ـ النور اللاسلكي * ٧ ـ القوة اللاسلكية *٨ـ الصور الناطقة اللاسلكية

فحم حجري من الكرنب (الملفوف)

عجائب الكيمياء الصناعية

غذاء من نشارة الخشب — ليمونادة من قشور الفول السوداني — خشب من القش
قطن من سوق الموز — المستنبطات الكيماوية الحديثة تفوق الخرافات غرابة

منذ بضعة اسابيع رقي منبر الخطابة في نادي معهد كارنيجي الفني بمدينة بتسبرج الاميركية عالم من مدينة هيدلبرج الالمانية المشهورة بمدرستها الجامعة، فأعلن بصيغة التوكيد تمكنهُ (بعد ان قضى اثنتين وعشرين سنة مكبًّا على التجارب الكيماوية) من صناعة الفحم الحجري صنعاً كيماويًّا، وذلك من الخشب والكرنب وحطب الذرة!

وكان ذلك الخطيب يلقي خطابه، بصوت خافت غير مؤثر، من تقرير فني عويص كان في يدهِ، وماكاد يفرغ من القائه حتى دوت ارجاء النادي بتصفيق السامعين تصفيقاً حادًّا وكانوا من صفوة علماءِ الحاذقين أصغوا الى الخطيب وكأن على رؤوسهم الطير، وهم الذين ديدنهم التروي في الحكم، ودأبهم مقت التظاهر لغير سبب خطير، ونبذ كل رأي فطير هؤلاءِ العلماءُ الذين شهدوا المؤتمر الدولي الثاني الخاص بالفحم الحجري اللين (١)

والخطيب الذي اعلن الاختراع هو الدكتور فردريك برجيوس — إذ تناول احد عشر رطلاً من مادة السليولوز وهي المادة الخشبية في كل النباتات — فمزجها مزجاً تامًّا بالماء ثم وضع المزيج في وعاءِ محكم الغلق حتى لا يصل اليهِ الهواء ثم سخنهُ الى درجة ٦٤٠ بمقياس فارنهيت وبعدئذٍ وضع الوعاءَ في رصاص مصهور حيث ترك أربعاً وعشرين ساعة ومحتوياته تطبخ بحرارة الرصاص ثم قطع تلك الحرارة الهائلة عنهُ وجعل يطلق الغاز الذي تولد في الوعاءِ وتراكم في اثناءِ الطبخ وترك السائل حتى برد وتجمد فكان الناتج أحد عشر رطلاً من الفحم الحجري الصناعي!

ولو أردنا التوسع في المعنى لصح لنا القول: إن الدكتور برجيوس خطيب الحفلة التي نحن بصددها قد ظفر بأكثر من ذلك، وطفر طفرة تخطى بها عصوراً طويلة إذ أتيح لهُ في مدى ٢٤ ساعة فقط إنتاج مادة لا غنى للناس عنها، مادة تقضي الطبيعة في

(١) هو اكثر انواع الفحم الحجري شيوعاً ويحتوي من الكربون مقداراً يتراوح بين ٦٠ و٧٠ في المائة — وهو ذو اصناف شتى ومنه تستخرج مئات من المواد الكيماوية الحديثة

خلقها ٢٤٠٠ قرن — فاصبح هذا المخترع وفي وسعه تحدى الطبيعة في نهار وليلة ، وذلك باختراعه الذي سيفضي حتماً الى منع كارثة عامة تقع عند نفاد الوقود من العالم وهي المجاعة الوقودية التي ما فتىء العالم مهدداً بها في مستقبله

وقد أذاع في المؤتمر نفسه الدكتور كارل كروتش مدير نقابة معامل الاصباغ الالمانية نبأ لفت أنظار مندوبي الدول في ذلك المؤتمر الحافل ، بأن وصف طريقة لصنع الغازولين « البترول النقي المستعمل في الوقود » الصناعي ورواج سوقه ، وهو الذي ينتج من الفحم الحجري الاين — وقرر انهُ في السنة الماضية كان الناتج من الغازولين الصناعي في مصنع النقابة بمدينة ليونا بالمانيا ٧٠٠٠٠ طن وفي هذا العام قد ينتج ٢٥٠٠٠٠ طن

واليك تفصيل ما سبق في هــذا السبيل من وجهة النظر العملية والعلمية . قلّ زيت النفط (البترول) فارتفعت اسعار الوقود ارتفاعاً فاحشاً أوجس لهُ الالمان خيفة فلم يسع علماء الكيمياء منهم السكوت على تلك الحالة السيئة بل شمروا عن ساعد الجد ولم يفتروا عن العمل حتى تسنى لهم تحويل الفحم الحجري الطبيعي الى زيت معدني وذلك بطرق شتى . فكان عملهم هذا نموذجاً ثانياً لما فعلتهُ المانيا في اثناء الحرب الكونية حينما انقطعت عنها النترات بسبب الحصر البحري الذي ضربتهُ عليها حلقة من مدرعات الحلفاء فلجأ علماء الكيمياء الالمان الى الجو فاستخلصوا منهُ النشادر الصناعي وكانوا قبلئذٍ يستوردونهُ من بلاد شيلي في نترات الصودا الشيلية المشهورة

ولو تأملنا خطورة استنباط الزيت الصناعي وبحثنا في مقدار تأثيره في علاقات الدول بعضها ببعض وتفحصنا عن مدى أثره في السلام العام ورخاء العالم لذهلنا وادركنا عظم الفوائد التي يحبونا بها علماء الكيمياء

والواقع أن الذي قام بهِ علماء الكيمياء في معامل التحليل الكيماوية هو تناولهم جراثيم حرب كونية عتيدة ووضعها في أنابيب الاختبار الكيماوي ثم إذابتها حتى تفنى من الوجود ! لان كثيرين من الباحثين يرون انهُ لا مناص من اشتباك الدول في حرب أخرى زبون لاجل الاستئثار بمنابع النفط

وماكاد الدكتور كروتش يختم خطبتهُ حتى اعتلى المستر زر ندين سكرتير لجنة الوقود في المجلس الوطني بمدينة برلين فأماط اللثام عن المنافع الاقتصادية العظيمة التي يجنيها الناس من استعمال الفحم الحجري السائل الذي تمكنوا من إسالتهِ بطريقة التقطير فقال إن هذه الطريقة لا تفيد فقط في منع الاهتمام بتلاشي المدّخر من الفحم الحجري

الارضي تلاشياً بطيئاً بل يستطاع بواسطتها الاستغناء عن ثقله المتعب وضغط التراب والرطوبة الملازمين لذلك الوقود في حالته الراهنة

ثم اعلن عالم الماني آخر وهو الدكتور فرتز هوفمان أنهُ استنبط صمغاً مرناً «كاوتشوك او لستيك» من الفحم الحجري وذلك في معمله الكيماوي ، غير أنهُ يرى ذلك الصنف الصناعي من الصمغ المرن يحتاج الى نفقات باهظة في تحضيره فتفوق أسعاره أثمان الصمغ المرن الطبيعي ولكنهُ وطيد الأمل في نيل بغيته يوماً ما بتجاربه المتواصلة حتى يتسنى لهُ تقليل النفقات ما أمكن وعرض مصنوعاته في السوق بمقادير وافرة وأثمان منخفضة

***

إذن قد قام المؤتمر بعرض طائفة من المستحدثات التي تدل على تحقق أحلام العلماء وهذا مما سيفضي الى احداث انقلاب خطير في طبيعة الاشغال والصناعات ويجعل منافعها محسوسة في دور الملايين من الخلق وفي معيشتهم اليومية في أنحاء المسكونة بأسرها

وما اقتصر العلماء على استنباط الزيت من الفحم الحجري ولا استحداث الفحم الحجري من الكرنب بل انتجوا كذلك غازاً مشتعلاً من الماء وكحولا خشبيًّا وصابوناً وادهاناً صالحة للغذاء — ولعلَّ اليوم الذي يتمكنون فيهِ من انتاج لحم خنزير مملح صناعي ليس بعيداً ! وهذه كلها أشياء عتيدة أي يرجى اتمامها في القريب العاجل بما يبذله العلماء من الجهد العظيم كما ثبت ذلك في المؤتمر المذكور

وقد أُتيح بواسطة تلك الصناعة انتاج فحم كوك انفع من الفحم الحجري النيء نفسهُ وأصباغاً أبهى من الوان قوس قزح وعطوراً ازكى أريجاً من الازهار، وغيرها من الاشياء الصناعية التي تفوق ما أبدعتهُ الطبيعة مما توفر للناس وسائل الرفاهية والسرور

وقبيل انعقاد المؤتمر في مدينة بتسبرج اذاع الدكتور بايغر الكيماوي الاميركي أنهُ وفق لطريقتين حديثتين لتنقية الانثراسين [١] وهـذا مما ينجم عنهُ ثروة طائلة لصناعة الصباغة في الولايات المتحدة — تلك الثروة الكامنة في المواد الأولية المدخرة في فحم كوك وقطران الفحم الحجري

وحوالي ذلك الوقت نفسهُ أعلن المستر ماكدويل رئيس شركة السماد بمدينة شيكاغو اختراعهُ طريقة لاستخلاص السماد من الفحم الحجري ولا بدَّ ان ينشأ منها نفع عميم للزراع في تسميد الذرة والشعير والحنطة الشتوية والقطن. وقد اكتشفت هذه الطريقة عرضاً في

(١) الانثراسين مادة هيدركربونية تنتج من تقطير قطران الفحم الحجري وهي مصدر الاليزارين الصناعي — والاليزارين مادة حمراء ملونة كانت تستخرج سابقاً من الفوة

اثناء استخلاص النشادر من غاز الانارة للتخلص من رائحتهِ الخبيثة

وقبل ذلك ببضعة اسابيع أذاع عالمان المانيان من علماء الكيمياء على الملأ نجاحهم في صنع غذاء من الخشب أو بمعنى أوضح صنع السكر من نشارة الخشب وما لبثنا ان جاءنا نبأ مدهش من فرنسا هو في الحقيقة أغرب مما تقدمهُ وهو ان عالماً من علمائها حوَّل الفحم الحجري الى ماس[1] وقد لا يمضي زمن طويل حتى تزدان بهِ نحور غانيات امريكا وتتحلى بهِ سواعدهن البضة

إذن هذه سلسلة من الحوادث العلمية قد ألقت في رُوعنا مرة اخرى ان الكيماوي العصري لم يقصر همتهُ على وراثة صناعة الكيمياء القديمة كما كانت في العصور الوسطى بل قد اتقنها وبلغ فيها شأواً بعيداً

فالكيماوي الحديث على عكس الكيماوي في الازمنة المظلمة — حين كان يسمى الساحر الاسود — يأتي بالعجائب لا ليدهش شهوده ويربكهم بل لينير أذهانهم ويوضح لهم القوى الغامضة التي تحيط بهم من كل جهة من جهات الطبيعة ثم تسخير تلك القوى لاجل زيادة الهناءة والرخاء . وقد أزف اليوم بل حلَّ فعلاً الوقت الذي فيهِ يقوم العالم الكيماوي بتغذيتنا وكسائنا وتدفئة بيوتنا وانارتها وامدادنا بالوقود الضروري للآلات التي نستخدمها في انتقالنا والتي تقوم بحاجاتنا اليومية الضرورية

وقد جاءنا النبأ الذي فحواهُ ان العلماء قد افلحوا في تحويل نشارة الخشب الى غذاء في الوقت الذي ورد فيهِ تقرير من المانيا يؤخذ منهُ ان معمل تحليل كيماوي شرع في صنع ملابس من صفائح رقيقة من معدن الاليومنيوم لتحلَّ محل الصوف والقطن

وابلغ الدكتور ورن إملي احد علماءِ مصلحة المقاييس بالولايات المتحدة فريقاً من أعضاءِ الجمعية الامريكية الكيماوية ان ليمونادة مصنوعة من قشور الفول السوداني والنخالة ستظهر في السوق قريباً ، ولا يحول دون ظهورها حالاً سوى ضرورة وضع اسم مختصرلها بدل الاسم الذي سموها وقتيًّا بهِ وهو xylotrihydroxglutaric acid وقد صنع الدكتور لنش الموظف بمصلحة الانتفاع بالمواد المهملة بالولايات المتحدة حريراً صناعيًّا من قشور الفول السوداني

وهناك مئات من علماءِ الكيمياءِ في العالم يشتغلون في تحويل المواد العاطلة المهملة الى

(١) هو جيمس باسيت الكيماوي الفرنسوي والمقصود هنا صنع حجارة كبيرة من الماس لان الكيماوي الفرنسي مواسان كان اول من حقق المبدأ الذي يصنع به الماس من الفحم ولكن الالماس الذي صنعه كان ذريرات دقيقة

اشياء نافعة للجنس البشري . فجدير بنا ان نسميهم « سحرة العلم الحديث » ومنهم شاب من جزائر الفيلبيين اسمهُ باليناو اخترع منذ زمن غير بعيد مادة تحل محل القطن وقد استخرجهُ من سوق شجر الموز بطريقة تشبه تلميع القطن بالصودا الكاوية حتى يماثل الحرير في لمعانهِ وتقوم الطريقة المشار اليها بتقشير السليولوز المحيط بالالياف فتصير بيضاء ناصعة صالحة للنسج من غير غزل سابق. ثم ان مقادير عظيمة من سوق النباتات في الاقاليم التي تزرع فيها الحبوب في الولايات الوسطى الغربية من جمهورية الولايات المتحدة حيث لا توجد غابات تحوَّل الآن الى خشب صناعي بها وذلك بلصق الالياف بعضها ببعض حتى يتكوَّن منها الياف طويلة

وفي معمل التحليل الكيماوي الخاص بمصلحة مناجم الولايات المتحدة بمدينة بتسبرج قد استخلصوا ثلاثة جالونات ونيفاً من الشمع الخام وذلك من طن واحد من الفحم الحجري المستخرج من مناجم ولاية يوتاه. وكانوا في بدءِ الامر قد استغلُّوا اثنين وثلاثين جالوناً من القطران من الفحم الحجري ثم اسفرت التجارب التالية عن استخراج احد عشر في المائة من الشمع الخام . وقد اعلن العلماء الكيماويون الذين اكتشفوا ذلك أن مقادير كبيرة من الشمع الخام لا تقل جودة عن المادة التي تستعمل الآن في شمع الاضاءة يمكن استخراجها من القطران بقليل من التعب

ومن غريب ما روي ان عصفوراً غريباً قد علَّم الصناع الانكليز في غويانا البريطانية كيفية الحصول على مادة تستعمل بدل القطن ،وذلك من نبات عديم النفع اذ كانوا يرون الطائر وهو يبنى عُشَّهُ بمواد اشبه بالقطن فثبت بالفحص ان الطائر اخذها من نبات آخر وعالجها طبق المرام

وجاء الباحثون ببذور ذلك النبات وجذورهِ الى انكلترا منذ ثماني سنين فأصبح الآن ما ينتج منهُ يتراوح بين ثلاثة ملايين رطل واربعة ملايين رطل من هذا القطن الصناعي الذي يزرع في ولايتي اسكس وصسكس وهما الولايتان اللتان لم تصلح فيها زراعة الخضراوات على الاطلاق قبلاً . ولم يكتفِ ولاة الامور بالانتفاع باراضي تينك الولايتين على ذلك الاسلوب بل يقال ان القطن الصناعي الذي يستغلُّ منهما جيد كالقطن الطبيعي وارخص منهُ ١٦ مليماً في كل رطل انكليزي

اما مسألة تحويل نشارة الخشب الى طعام وهي من اغرب الامثلة الكيماوية على الانتفاع بالمواد المهملة فقد تمت بطريقة هينة تقوم باضافة ذرة واحدة من الماء الى ذرة واحدة من السليولوز. وهذه باضافتها الى الالياف الخشبية تؤلف منها المادة الاصلية المكونة للخشب

وقد عرف العلماء هذا التفاعل الكيماوي من قرن ونيف ولكن لم تحقق الفكرة حتى قيض الله لها عالمين المانيين . ومقدار الخشب في النشارة قد يبلغ ٤٠ في المائة منها تذهب هدراً فيتسنى تحويله الى علف المواشي وربما الى غذاء للناس — على ان هذه الفكرة لم تخطر ببال أحد قبلهما

ولم يفقه علماء الكيمياء الحديثة الا اخيراً ان أعشاب البحر التي تنبت على سواحله يستطاع تحويلها الى تبر وذلك بطريقة غير مباشرة طبعاً

وقد أنشئت حديثاً في اميركا صناعة كبيرة للانتفاع بتلك الاعشاب البحرية لأنهُ قد ظهر للعلماء احتواؤها على خواص تشبه خواص النشاء والصمغ العربي . وفي الواقع أن خواصها الغروية تفوق النشاء جودة لانها الصق من النشاء اربع عشرة مرة والزق من الصمغ العربي سبعاً وثلاثين مرة — وقد تصلح لتصميغ الفرش اكثر من النشاء فيصير القماش بواسطتها اصفق منهُ اذا نشي بالنشاء واشد منهُ مرونة بدل تخشبه من النشاء العادي

ويتكهن علماء الكيمياء أنها ستصلح للصباغة وطبع الالوان وربما تلخالط ببعض الاغذية وبناء على ما تقدم ترى علماء الكيمياء لا يكفون عن التجارب في معامل التحاليل التي تعدُّ بالمئات للانتفاع بالمواد المهملة التي لا ينتفع منها الخلق بتاتاً . ورب معترض يقول انا ما برحنا نرى ركام الفضلات كثيرة في انحاء العالم فنجيب المعترض أن المسألة خطيرة فانها تتطلب نقل المواد الى المصانع ثم نقلها من المصانع الى الاسواق وربما لا يستفيد الناس الفائدة المرجوة من الفضلات الا اذا تحولت الى اشياء نافعة تروج في الاسواق وينتج منها ربح للمصانع التي تنتجها

مثال ذلك الخشب الصناعي الذي يتخذ من سوق النباتات في الولايات الغربية الوسطى من الولايات المتحدة فانهُ يستعمل في الجهات الخالية من الشجر والتي تزرع فيها الحنطة حيث كان السكان مضطرين الى جلب الخشب الطبيعي من بلدان قاصية بنفقات باهظة — فاستغنوا عنهُ بذلك الخشب الصناعي . وبالاخص اذا انخفضت اسعاره حتى تصبح كاثمان الخشب الطبيعي في بلدانه التي يقطع منها

والعلماء من وجهة اخرى ليسوا تجاراً وانما هم لحسن الحظ يشتغلون لاجل الانسانية فيواصلون مباحثهم وتجاربهم الكيماوية غاضين النظر عن الصعاب التجارية التي قد تصادفهم فيبنون كذلك قنطرة تصل بين المعمل العلمي والمعمل الصناعي الذي يخرج للناس ما يحتاجون اليه في حياتهم اليومية . آه عن مجلة العلم العام الاميركية

اشعة من الماضي السحيق

تاريخ البشرية المادي

في عهد الطفولة

يصعب على العامة عندنا وانصاف المستنيرين ادراك أبعد مما يقع عليهِ ابصارهم كل يوم في هذا العالم . فهم يحسبون الكون موجوداً على حالتهِ الراهنة منذ البداية . وللعامة عذرها ، ولانصاف المستنيرين عذرهم . فقد يكون لاستغلاق عبارات العلم على الافهام عند الآخرين عذر مقبول ، كما قد يكون «للبروباجنده» التي تذيعها طائفة خاصة عند الاولين عذر كذلك . وسواء أصح ان يقوم هذا او ذاك عذراً ام لم يصح فالعذر كل العذر في ان العقول لم تحرر بعدُ من الخرافات القديمة التي يرجع ميراثها الى عشرات آلاف السنين ، والتي لا يزال أثرها مسيطراً حتى على عقول بعض المستنيرين ممن يؤمنون «بنظرية التطور» ولا يقوون على الجهر بها والدعوة اليها

وليست الصعوبة في نشر « نظرية التطور » وتفهّمها او بعبارة أبلغ ليست « رسالة التطور » قاصرة على مصر وحدها بل تتناول بلاداً ارقى مدنية من بلادنا بكثير . ففي امريكا مثلاً تقوم العقبات في سبيل تبليغ هذه الرسالة حيث قد حرمت بعض ولاياتها تلقينها في مدارسها وجامعاتها (وان كانت المحكمة العليا قد قضت ببطلان حكم الولاية في هذا الشان) . وكذلك العامة في كل مكان لا تكاد تقيم وزناً لها . ورغم كل ذلك فالدلائل كلها تدلُّ على ان البشر لا بدَّ ان يعتنقوا هذه الرسالة في زمن قصير

وما دامت القوى التي كوّنت هذا العالم دائبة على عملها بدون انقطاع ولا التفات الى رغبات المتمنتين فلا بدَّ ان يأتي يوم قريب يؤمن فيهِ كل الناس بما أثبتتهُ المباحث العلمية منذ زمن طويل من ان العالم لم يصغ في هذا القالب الذي نشاهدهُ عليهِ اليوم . فالحياة قد اتخذت على الارض مثلاً عدة اشكال مختلفة نتيجة لتعاقب التفاعلات الكيماوية . وبذلك تطورت حياة الكائنات البشرية في انظمتها الاجتماعية طبقاً لرقابة الانسان التي بسطها على انتاج الطعام واللباس والمسكن

واول من حمل رسالة التطور الى شعوب الارض هم دارون ، وباشوفن ، ومورغان .

والاخير اول من ادخل الترتيب المنطقي في تاريخ البشرية الاولى اي تاريخ العصور التي تقدمت التاريخ فقد قسمهُ الى ثلاثة عصور «عصر الهمجية» و« عصر البربرية» و« عصر المدنية». وجعل عصري «الهمجية » و« البربرية » و«عهد الانتقال من البربرية الى عصر المدنية» موضع عنايتهِ . فجاء أكمل تاريخ ، واضبط مرجع . ثم عاد فقسم كل عصر من هذه العصور الى ثلاث مراحل . المرحلة السفلى ، والمرحلة الوسطى ، والمرحلة العليا ، وذلك طبقاً للتقدم في انتاج وسائل القوت. وعند مورغان ان درجة تسلط الانسان على الطبيعة يتوقف على مقدرتهِ الانتاجية لوسائل الحياة . اذ الانسان وحدهُ هو الذي حصل من بين الكائنات الحية على حق الرقابة المطلقة على انتاج الطعام . وان تقدم الانسانية وعصورها الزاهية لتعرف بازمنة الرخاء واليسر في سبل الحياة .وحرياً على تقسيم مورغان لتاريخ البشرية في عهد الطفولة نشرحهُ كالآتي

(١) عصر الهمجية

﴿ المرحلة السفلى ﴾ كانت فيها البشرية في عهد الطفولة . فكان الانسان لا يزال يعيش في محلات اقامتهِ الاصلية : في الغابات الحارة ونصف الحارة حيث عاش زمناً طويلاً فوق الاشجار اذ بهذه الوسيلة وحدها كان يمكنهُ ان يتقي هجمات الحيوانات المفترسة الكبيرة .وكان طعامهُ الفاكهة والبندق والجذور .ومن آثار نتائج هذا العهد المهمة تكوين الكلمات المنطوقة. ولا تعرف امة واحدة من الامم المعروفة في التاريخ يتصل تاريخها بهذا العهد

وحيث ان نظرية تسلسل الانسان من المملكة الحيوانية قد اصبحت مقبولة ولاغبار عليها ، فلا مفرَّ بعد ذلك من قبول هذا الرأي وانهُ امتدَّ الى آلاف السنين

﴿ المرحلة الوسطى ﴾ وتبتدىء بابتداء الانسان بالانتفاع بالاسماك ، واستعمال النار وكلاهما يتصل بالآخر لأن السمك لا يساغ اكله بغير استعمال النار . وبهـذا النوع من الأطعمة استقلَّ الانسان تمام الاستقلال عن الطقس ومحل الاقامة . حيث اخذ في اتباع مجاري الانهار وشواطئها ، وبذلك انتشر في مساحات متسعةٍ من الارض رغم همجيته . وان انتشاره الواسع في كل القارات ليدلُّ على مدى تغلغله كما ان ميله المستمر للاستكشاف مع حصوله على النار (نتيجة الاحتكاك) خلق نتاجاً جديداً في المناطق التي احتلها في النهاية فاخذ يطبخ الجذور ويخبز في التراب السخن او في افران الارض

وترجع ادوات العصر الحجري الاول Palaeolithic المصنوعة من الحجارة غير المهذبة ولا المحددة الى ذلك العهد . ولما اكتشف السلاحين الاولين الحربة والنبوت

أضيف القنص الى قائمة طعامهم. (ويظن ان اكل اللحوم البشرية يبتدىء في هذه المرحلة)

﴿ المرحلة العليا ﴾ ابتدأ البشر في هذا العهد باختراع القوس والسهم ولما كان السهم والوتر والقوس ادوات معقدة استلزم اختراعها عدة تجارب وقوى عقلية متفوقة. اذ الوصول الى اختراع هذه الأدوات يتطلب الوقوف على اختراعات أخرى . وهذا الاختراع جعل الصيد في هذه المرحلة حرفة عادية كما جعل القنص جزءًا منظماً من اعمال الانسان اليومية

والمقابلة بين الأمم التي تعرف استعمال القوس والسهم والتي لم تعرف فن الفخار بعد (وهو العهد الذي يبدأ بهِ مورغان تاريخ الانتقال الى البربرية) نجدها تشترك في ابتداء سكنى القرى ، ومراقبة الطعام ، والأوعية الخشبية ، ونسج لحاء الاشجار باليد ، وعمل السلال من قصب الغاب واللحاء ، وتحديد الادوات الحجرية . وعلى العموم فأن النار والفأس الحجرية كانتا أداتين للحفر فوجد الانسان هنا وهناك اخشاباً والواحاً لبناء البيوت . وامثال هذه الحسنات وجدت بين هنود امريكا الذين يستعملون السهم والقوس ولا يعمون شيئاً عن الفخار بعد . والسهم والقوس في العصر الهمجي بمثابة السيف الحديدي عند البرابرة ، والسلاح الناري عند المتمدنين اذ كان سلاح السيادة يومئذ

(٢) عصر البربرية

﴿ المرحلة السفلى ﴾ وتؤرخ هـذه المرحلة منذ عهد ادخال فن الفخار . ويرجع اكتشافه لعادة تغطية الخشب او الأوعية بالطين لحفظها من النار . ولم يمض زمن كبير حتى اكتشف ان الطين وحده بدون تغطيتهِ بمادة اخرى يصلح بالنار أن يكون وعاء

والى هذه المرحلة يمكننا أن نعتبر سير التطور على العموم في كل الامم لعصر ما بدون الرجوع الى محل اقامتها . ولكننا ابتداء من البربرية نصل الى مرحلة تتأثر بالاختلاف في موارد الارض الطبيعية . ولا يمكن بعدها للتطور أن يطرد مع كل الامم التي تسكن البقاع المختلفة على السواء . والعلامات الظاهرة في مرحلة البربرية هي تدجين الحيوانات وتحسينها وزراعة النباتات. فقد كان جزء الارض الشرقي المسمى بالدنيا القديمة يحتوي تقريباً على كل الحيوانات الأليفة وعلى كل انواع الحبوب الزراعية لمّا كانت القارة الغربية امريكا لا تعرف الاّ حيوان اللاما الأليف ونبات القمح وهو احسن انواع الحبوب . ومنذ ذلك الحين صيّر اختلاف الطبيعة اهالي كل منطقة مختلفين عن اهالي المنطقة الاخرى. وبذلك اختلفت العلامات المميزة لكل مرحلة من المراحل التي جاءت بعد

﴿ المرحلة الوسطى ﴾ وقد ابتدأت في الشرق بتدجين الحيوانات ، وفي الغرب

بزراعة نباتات الطعام وريّها ، وكذا باستعمال الطوب المجفف في الشمس والحجارة للبناء (وحتى غزو اوربا للقارة الغربية لم تكن امريكا قد خرجت بعد من هذه المرحلة) فقد كان الهنود الذين يسكنون شرق المسيسبي في مرحلة البربرية السفلى يزرعون على مساحات صغيرة في حدائق القمح والبطيخ وبعض نباتات الجنائن . وكانوا يعيشون في بيوت خشبية وعزب مسيّجة. اما قبائل الشمال الغربي وعلى الخصوص أولئك الذين كانوا في المنطقة التي على طول نهر كولومبيا فقد كانوا لايزالون في مرحلة الهمجية العليا . يجهلون الفخار وزراعة اي نبات على الاطلاق وكان هنود البوبلو Pueblo في المكسيك الجديدة والمكسيكيون وامريكيو اميركا الوسطى والبروفيون Peruvians في مرحلة البربرية الوسطى . فقد كانوا يعيشون في بيوت اشبه بالحصون مصنوعة من الحجارة . ويزرعون الحنطة ونباتات اخرى تتفق مع الطقس والمكان وتروون الحدائق ريًّا صناعيًّا ويحتفظون ببعض الحيوانات ألاليفة فقد وجد عندهم الديك الرومي وبعض الطيور الأخرى وكذا حيوان اللاما . وكانوا يستعملون المعادن — ما عدا الحديد . ولذا لم يكن في مقدورهم السير بدون اسلحة وادوات من الحجارة

واما في الشرق فتبدأ مرحلة البربرية الوسطى بتدجين الحيوانات اللبونة وذات اللحم بينما يظهر أن زراعة النباتات بقيت مجهولة مدة طويلة في هذه المرحلة كما يظهر أن تدجين الحيوانات وتحسينها وتكوين قطعان كبيرة منها هو الذي فصل الآريين والساميين عن باقي البرابرة فلم تزل اسماء الحيوانات مشتركة بين لغات الاورويين ولغات الآريين الاسيويين بينما لايوجد هذا في اسماء النباتات

وقد دعا تكوين القطعان في البلدان الغنية الى الحياة البدوية كما كانت الحال مع الساميين في سهول الفرات والدجلة ومع الآريين في سهول الهند والدن والدنيبر والمفروض ان تدجين الحيوانات قد تمّ مبدئياً على ضفاف انهر مثل اراضي هذه المراعي

وربما يرجع تقدم الآريين والساميين الى طعام اللبن واللحم. وبالاخص الى تأثير مثل هذا الطعام في نمو الاطفال . ومما يستوقف النظر ان هنود البوبلو الذين يسكنون المكسيك الجديدة كانوا يعيشون في الغالب على الأغذية النباتية وكان لهم دماغ اصغر من دماغ الهنود في المرحلة السفلى للبربرية ممن يأكلون اللحم والاسماك . وعلى اي حال فان اكل اللحوم البشرية ابتدأ يختفي تدريجيًّا في هذه المرحلة (وبالطبع لن يسلم بهذا جماعة النباتيين . ونحن لنسلم بأن الغذاء ليس هو العامل الجوهري الوحيد في تقدم الاجناس . بل ان للوسط كذلك اثراً كبيراً في هذا التقدم)

﴿ المرحلة العليا ﴾ وتبدأ بصهر معدن الحديد والخروج الى المدنية باختراع حروف الكتابة والانتفاع بها في التحرير والتدوين. وهذه المرحلة مرحلة ابطال الاغريق والقبائل الايطالية قبل انشاء روما بقليل

وفيها نرى لاول مرة المحراث الحديدي تجرُّهُ الحيوانات مما جعل الزراعة ممكنة على مساحات واسعة في الحقول . ونتج عن ذلك كشف الغابات وجعلها ارضاً زراعيَّة ومراعي — ومثل هذه العملية لا يمكن ان تقوم على مساحات واسعة بدون مساعدة الفأس والشفرة الحديديتين—وطبيعي ان امثال هذه التحسينات قد انتجت زيادة سريعة في عدد السكان اذ احتشد عدد كبير منهم في مساحات ضيقة . وقبل زمن زراعة الحقول كان في الامكان الجمع بين نصف مليون من الناس تحت ادارة واحدة مركزية بشرط صلاحية الاحوال . وهذا لم يكن ميسوراً في كثير من الحالات

وأبلغ وصف للمرحلة العليا البربرية موجود في اشعار هوميروس وعلى الخصوص في الالياذة . فانت تقرأ فيها عن الادوات الحديدية الحسنة ، والمنفاخ ، وطاحونة اليد ، والعجلة ، وتجهيز الزيت والخمر ، والعربة ، وبناء السفن ذات الالواح والدسر ، والشروع في البناء الفني ، والمدن المسيَّجة بالاسوار وذات القلاع الخ . مما نقل الاغريق من البربرية الى المدنية . وبمقارنة هذا بالوصف الذي اعطاهُ « قيصر » و « تاسيتس » وقد كانا في ابتداء عهد التطور الذي كان يستعد فيهِ الاغريق لمغادرتهِ الى عهد اسمى ، ندرك مقدار ثروة التقدم الانتاجية في مرحلة البربرية العليا

(٣) عصر المدنية

اما عصر المدنية ومراحلها فليس موضوعهُ هذا المقال وهو منشور بين ايدي الطلبة في كل مكان . ويمكن تلخيص العصور المتقدمة كما يأتي :

﴿ عصر الهمجية ﴾ عصر سيادة الملكية للانتاجات الطبيعية حيث ابتدع الانسان الادوات الرئيسية النافعة والمسهلة لهذه الملكية

﴿ عصر البربرية ﴾ عصر تدجين الحيوانات وترقيتها ، ومعرفة الزراعة ، والاستزادة في تعرّف الاساليب الجديدة لزيادة الانتاج الطبعي

﴿ عصر المدنية ﴾ عصر الانتفاع الواسع بالمحصولات الطبيعية ، والصناعة ، والفن ولعل في هذا الشرح الكفاية

محمود حسني العرابي

المجمع اللغوي المصري

قد لا يصدر هذا الجزء من المقتطف وتتداوله ايدي قرائه حتى تكون الوزارة المصرية قد خطت خطوة علمية كبيرة بانشاء المجمع اللغوي المصري . فلدى معالي وزير المعارف المصرية الهمام الاستاذ احمد لطفي السيد بك مشروع كامل لانشاء هذا المجمع لا ينقصهُ الاَّ موافقة الوزارة عليهِ وصدور المرسوم العالي بهِ . فيصبح المجمع حينئذٍ دائرة من دوائر الحكومة المصرية تشرف عليهِ وزارة المعارف مع استقلاله في ادارة العمل الذي يتفرغ لهُ . ويصير عملهُ مستمرًّا تنتظر منهُ الفائدة التي ترجى من عمل جدي مستمرّ ، فلا يكون نصيبهُ بعد ذلك ما كان نصيب سابقيهِ — هجعة وهبّة . ويقيننا ان الحكومة لا بدَّ ان تعنى بجعلهِ بعيداً عن منازع السياسة حتى لا تعبث بهِ اهواؤها

واول عمل يباشرهُ هـذا المجمع هو اقرار النهج الذي ينهجهُ في نقل المصطلحات المستحدثة في فروع المعرفة وابواب العمران على اختلافها . وليس لنا ان نتكهن بذلك قبل اقرارهِ . ولكننا نرى ان القواعد العامة التي وضعها منشيء هذه المجلة المرحوم الدكتور صروف في مقالتهِ « اسلوبنا في الترجمة والتعريب » المنشورة في مقتطف مايو سنة ١٩٢٧ وهي قريبة من المذكرة التي رفعها الى المجمع اللغوي الذي انشيء في اثناء الحرب الكبرى وظل يوالي اجتماعاتهِ في دار الكتب المصرية الى سنة ١٩١٩ واقرها ذلك المجمع بعد مناقشة دامت نحو سنةٍ تقريباً ، والقواعد التي يشير اليها الاستاذ انيس الخوري المقدسي استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية في مقالهِ المنشور في صفحة ٢٧٠ وما يليها من هذا الجزء ، والمبادىء التي سار عليهـا الدكتور محمد شرف في وضع معجمهِ العلمي الانكليزي العربي ، هي الاصول التي ينتظر ان يتخذها المجمع اساساً للنهج الذي يقرّهُ

والغاية الاولى من تأليفهِ هي وضع معجم عربي حديث مرتب على مناهج المعاجم الغربية محتوياً على اوضاع عربية لمستحدثات العلم والصناعة والاجتماع

ولما كان انشاء المجمع من اعمال الحكومة المصرية فاننا لا نرى سبيلاً الى اشتراك علماء سورية والعراق والمغرب في اعمالهِ اشتراكاً فعليًّا لاسباب كثيرة اهمها تعذر حضورهم كل جلسات المجمع وتحملهم تبعة قراراتهِ لان المجمع كما قلنا ينتظر ان يكون مصلحة دائمة من

مصالح الحكومة المصرية فلا بدَّ من ان تكون اجتماعاتهُ متوالية وقد لا يخلو اجتماع منها من قرار لغوي خطير. واذا قيل لا بدَّ من الاشتراك في وضع المصطلحات المستحدثة حتى تعمَّ كل الاقطار العربية قلنا ان ذلك متعذرٌ وافضل منهُ ان يترك المجمع المصري يضع المصطلحات كما يرى وضعها فاذا كانت صالحة للبقاءِ واذا كان الكتَّاب الذين تنجبهم الامة المصرية والنازلين بين ظهرانيها اعلاماً بين الكتَّاب ، وصحفها زعيمة بين الصحف العربية سارت مصطلحات المجمع المصري في مشارق الاقطار العربية ومغاربها وقبسها اهل الشام وفلسطين والعراق والحجاز واليمن والمغرب الاقصى والمهاجر الاميركية وسواها. كذلك كان تنازع البقاء من قبل ولا يزال. فقد كانت اللهجات العربية في الجزيرة العربية قبل الاسلام تختلف احداها عن الاخرى اختلافاً كبيراً فلما ظهرت قبيلة قريش على سواها من القبائل. فلما نزل القرآن الكريم عليها سادت لهجتُها العربية سائر اللهجات. وقديماً قال فيلسوف العرب الاجتماعي ابن خلدون « الامم المغلوبة تتبع الامم الغالبة » وليس المراد هنا الغالبة بالسيف بل الغالبة بالحضارة والثقافة

ولما كان المجمع مصريًّا فالمرجَّح بل المؤكد ان تستعمَل كل المصطلحات التي يقرّها في المدارس المصرية والصحف المصرية ونشرات الحكومة المصرية فتكون هذه المنشآت سبيل المجمع لنشر مقرّراتهِ بين ابناءِ الضاد

وهذا الاستقلال بانشاءِ المجمع اللغوي المصري لا ينفي تعاون اعضائهِ مع علماءِ البلدان العربية واساتيذ المعاهد العلمية على اختيار اصح الالفاظ واقرب الاوضاع الى اساليب العرب وخصوصاً علماءِ البلدان التي شاعت فيها قديماً اللغات الساميّة المختلفة وهي تمتُّ بصلة القربى الى اللغة العربية فتصحُّ استعارة بعض الالفاظ او الاصول اللغوية منها لتعريب بعض الاوضاع العلمية الحديثة كما استعيرت الاصول اليونانية واللاتينية في تكوين اللغة العلمية الشائعة في اكثر لغات الافرنجة

ولا ندري ما يستغرقهُ المجمع من الوقت في وضع هذا المعجم ولكننا نأمل بعد ذلك ان يباشر وضع معجم افرنجي عربي من قبيل المعجم الذي عني بوضعهِ الدكتور شرف او ان يتخذ معجم الدكتور شرف اساساً يدخل التعديل والتصحيح عليهِ ويعتمدهُ

هذا ونرجو ان تكون حياة هذا المجمع حياة حافلة بجليل الاعمال ولا غرو فجلالة مليك البلاد يحوطهُ بعطفهِ السامي ومعالي وزير المعارف يكلؤه بعنايتهِ ويوفر لهُ كل اسباب التقدم والنماء وحاجة البلاد الى عملهِ كبيرة

جبران خليل جبران

مقتطف مارس ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٩٩

مقام جبران في الادب العصري

للدكتور فيليب حتي

وكيل الدائرة الشرقية بجامعة برنستن الاميركية

احتفلت الجالية السورية في نيويورك مساء السبت في الخامس من يناير الماضي بتكريم نابغة الادب والتصوير الدائم الصيت جبران خليل جبران وذلك على اثر صدور كتابه الانكليزي الجديد « يسوع ابن الانسان » (راجع مقالة الآنسة مي في مقتطف يناير صفحة ٩) واحتفاء بانقضاء خمس وعشرين سنة منذ شرع في عمله الادبي

للمتكلم ، في مختلف دروسهِ العلمية التاريخية غاية واحدة هي الحقيقة . وفي سعيهِ وراء الحقيقة يجرد نفسهُ على قدر المستطاع من كل غرض نفسي ومن كل هوى وشعور ويحاول ان يتحقق الحقيقة كما هي عن طريق العقل المجرد . ومتى ظفر بالحقيقة يعبر عنها وينقلها الى اذهان الاخرين بابسط الطرق واسهلها واخصرها . فالغاية التي ينشدها هي الحقيقة المجردة والطريقة التي يجري عليها عقلية عمومية لا نفسية شخصية . اما اسلوبهُ فالنثر الناشف

غير ان ذلك كلهُ لا يعميهِ عن الواقع وهو ان الانسان لا يحيا بالحقيقة العلمية فقط وان له طبيعة ثانية هي « الطبيعة الشعورية » التي تطلب غاية اخرى هي الجمال والتي لا تكتفي بشيء يسدُّ حاجتها سوى الجمال

وها نحن الليلة اجتمعنا لنكرم مواطناً اتخذ الجمال . غرضاً اسمى في حياتهِ وابدع الجميل برسومهِ وكتاباتهِ وتحلى هو نفسهُ باجمل الاخلاق والصفات

ان جبران فنان وشاعر . مثلهُ الاعلى الجمال وطريقتهُ في البحث نفسية شخصية واسلوبهُ رمزي خيالي شعري . اسلوب كهذا لا بدَّ من ان يجيء في بعض الاحيان غامضاً فكتابات جبران ومولَّداتهُ بلا شك مصدر نور وحرارة وسعادة وبهجة للقلوب والنفوس وان لم يكن القصد الرئيسي منها تغذية العقول الجائعة . بيد ان التباين بين هذين المثالين العاليين — الحقيقة والجمال — انما هو سطحي خارجي اكثر منهُ داخلي واقعي . اذ ان كليهما وجهٌ وقفاً لمسكوكةٍ واحدة بل مظهران لكائن مفرد هو الكائن الآلهي . فالله حق والله محبة وجمال

ولجبران الكاتب أثر في الآداب العربية الحديثة لا يقاس فقط بالعدد الغفير من الذين يقرأونهُ وينتفعون بهِ . بل بذلك الجيل الجديد من المنشئين الذين يحاولون ان يقلدوهُ ويتحدّوا طريقتهُ وينسجوا على مثاله . جيل نشأ وازدهر كالفطر في وقت قصير وعمَّ انحاء البلدان العربية حتى انك لا تكاد تفتح صحيفة عربية صادرة عن بيروت او القاهرة او بغداد او سانبولو او بونس ايرس الا وترى منشئاً جديداً يحاول الكتابة على الطريقة الجبرانية

نعم ان الاسلوب الباطني الخيالي بما فيهِ من التعابير البيانية البديعة والسجع المنمق هو قديم في تاريخ الآداب العربية يرجع الى المتصوفة في صدر الاسلام الذين اقتبسوه من مصادر فارسية هندية . ولكن رجل يوبيلنا بفضل تسيطره على احكام هذا الفن وبداعي قوة تصورهِ وصفاء تخيلهِ النادر المثيل وبسبب دقة شعورهِ وسمو تفكيره ونبالتهِ اصبح أباً لطريقة جديدة في الانشاء العربي والانكليزي يصحُّ تسميتها الطريقة الجبرانية . سوى جبران يرصف الكلام الفارغ رصفاً ويمسح عبارتهُ بمسحة الاصطناع والتقليد والتكلف . اما جبران فهو دائماً يستنبط اللآلئ الفكرية وابداً يصوغها في قالب طبيعي بديع

ولجبران فضلاً عن المنشئين المقلدين لهُ ، جيش من المحبين المريدين الذين يجلّون اسمهُ اعظم اجلال . وفي ذلك مقياس آخر لمكانتهِ الادبية واثرهِ في الادب العربي . وربما كان بين هؤلاء من يكاد يعتبره نبيّاً وينزل كتاباتهُ منزلة الكتب الموحى بها . وربما كان جبران نبيّاً بمعنى. فكل من عالج مبادئ الفضيلة والبرّ والصلاح وقرّب فهمها للاذهان بعبارات جديدة منطبقة على روح العصر وحبب قبولها وغرس اصولها في قلوب الناس انما هو بذلك المعنى نبيّ . بل لنا ان نقول ان الواحد منا على قدر ما يخدم مقاصد الله هنا على الارض وينفذ خطتهُ الآلهية لترقية بني البشر وتقدمهم — على قدر ما يعضد قوى الخير لتتمكن من قوى الشر وينصر عوامل النور لتتغلب على عوامل الظلمة — يكون ذلك الواحد شبيهاً بالله مخلوقاً على مثاله . وعلى هذا المبدإ يكون عريس الحفلة نبيّاً من اعظم الانبياء . ومما لاريب فيهِ ان لنا في سلامة ذوقهِ وحسن تواضعهِ ما يكفل انهُ سيبقى بشريّاً بين البشر وانساناً بين الناس مقتنعاً بان الفرق بين المصلح والمعلم والنبي من جهة واحدة وبين الرجل العادي من جهة اخرى انما هو فرق في الكم لا في النوع

وفيما نحن مواطنيك نهلل الليلة ونفاخر بحقٍّ بمآتيك الادبية والفنية ترانا واثقين بان المستقبل سينجلي عن مآتٍ اكثر عدداً واتى عظمة تعود على ذكرك بالفخر وعلى الاسم السوري الذي نتسم جميعاً بهِ بالمجد [عن السائح]

التجسس والجواسيس

صفحة مطوية من مقدمات الحرب الكبرى

لوليم لوكيو

(بقية المنشور في الجزء السابق)

والذين لم يتح لهم ان يلاقوني في ذلك اليوم ليعبّروا عن شكرهم لي شفاهاً عبّروا عنهُ كتابة . وكان بين الكتب التي جاءتني كتاب من اللورد روبرتس هذه ترجمتهُ : —

« قصر بورتلند رقم ٤٧ ، لندن « في ٢٢ اغسطس ١٩٠٦

« عزيزي المستر لوكيو

« أعيد اليك بمزيد الشكر الاوراق الملحقة بكتابك المؤرّخ في ٢ اغسطس الجاري

« يظهر لي ان الخطّة الخيالية قد استوفت قسطها من التدبُّر والتأمّل فجاءت قرينة الصواب وغاية في الاتقان والإحكام . لانها تمثّل الخطر العظيم الذي نستهدف لهُ ، اذا انتهزت احدى دول اوربا (يريد المانيا) فرصة غياب اسطولنا او ضعفهُ الموقت وانزلت جيشها على سواحل بلادنا

« ان الاحتفاظ بعدد كاف من الجنود الحسنة التدريب والتنظيم والجيش الاحتياطي يطلق للاسطول عنان الهجوم وحماية تجارتنا البحرية ويمكّننا من ارسال النجدات الى مستعمراتنا والذود عن بيضة الامبراطورية البريطانية وصيانة مصالحها

« فأتمنى لك والحالة هذه نجاحاً تامّاً في سعيك المتواصل لإقناع اهل هذه البلاد بان حراسة امبراطورية لا تغيب الشمس عن املاكها تقتضي قوة دفاع مطابقة لعظمتها وسعتها وغزارة منافعها على اختلاف انواعها . وانهم إن لم يبذلوا ما عزَّ وهان في هذا السبيل خسروا ما ربحهُ اجدادهم « المخلص روبرتس »

ولم يقلّ مجموع كُتُب التهنئة التي وردت عليَّ من اعاظم الامة واكابرها عن الثلثين حتى خيّل اليَّ ان انكلترة كادت تستيقظ من سبات الغفلة والاهمال !

ولم البث بعد ذلك ان دُعيتُ مع اللورد روبرتس لحضور اجتماع انعقد بسعي غرفة لندن التجارية للنظر في الدفاع الوطني وقد رأسهُ محافظ لندن . وكان الفيلد ماوشال

روبرتس قد صرّح في مجلس الاعيان بأنّ وسائل الدفاع عندنا ، من جيوش واساطيل هي الآن ، كما كانت سنة ١٨٩٦ ، ناقصة وغير مستوفية شروط التأهب والاستعداد. قال:—

« قصارى ما تبتغيه الامة عموماً والذين يضعون مصالحها نصب اعينهم خصوصاً ، السلم والامان ، لا من حرب فعلية فقط بل من المخاوف والاراجيف . وبملء الاسف اقول ان اماناً كهذا لا يمكن تحقيقهُ بسياسة الموادعة والمسالمة كما يزعم بعضنا ويحاولون حملنا على تصديق زعمهم هذا . فالوقاية الحقيقية تتم بان يكون جيشنا المسلح دائماً على قدم الاستعداد لدفع الطوارىء حتى لا يكون في مصلحة احدى الدول ان تغامر بشهر الحرب علينا »

وبهذه الخطبة البليغة المفعمة بروح الحماسة والحمية حثهم على وجوب ايقاظ الامة من غفلتها لتتدارك الخطر المحدق بها . واصابت الديلي ميل بنشر قصة « الغزوة » نجاحاً كبيراً من حيث زيادة سعة الانتشار وسرعة الرواج . واعانت مطالعتها على هياج الخواطر وتنبيه الافكار . وتعرَّض لها غير واحد من جهابذة النقد فكدموا كلهم في غير مكدم اذ لم يجدوا لانتقاد خطة الهجوم الخيالية من مطمع ولا مغنم لانها مرسومة بيد ابرع رجل في وضع الخطط الحربية . وذاع صيتها خارج انكلترة واستطارت شهرتها في كل مكان حتى انها ترجمت الى سبع وعشرين لغة . وسرَّني جدًّا اني نلتُ مرادي من تنبيه الامة البريطانية وغيرها من الامم الى الصداقة المزيفة التي يدّعيها القيصر زوراً وبهتاناً

ورأى اصدقائي اننا منساقون الى الحرب وان النجاح الذي نلتهُ في تصنيف القصة بلغ اقصى مداهُ لكنَّ نتيجتها جاءت على خلاف المراد

فقد طالعها اهل العالم كافة والموا غاية الالمام بمشاهد غزو سواحلنا والمعارك الدموية التي دارت رحاها في اسكس ولانكاشير ويوركشير وزحف العدوّ على لندن . وكانوا عند الفراغ من المطالعة يطوون الكتاب ويضعونهُ جانباً ومع تسليمهم بان القصة ابتكار خياليّ يهيج الخواطر ويستفزّ الافكار ، ويعدّونني جول فرن الثاني !

واتفق بعد ذلك اني بينما كنتُ في نابولي اخذت كتاباً من وكيلي في لندن يقول فيه ان رجلاً المانيًّا زارهُ وعرض ان يشتري حق ترجمة القصة الى اللغة الالمانية . فاجبتهُ تلغرافيًّا بالقبول مهنئاً نفسي بان اعداءنا انفسهم سوف يتحققون ان هجومهم علينا لن يقترن بسوى الخيبة والخسارة

وماكان اعظم ارتماضي واضطرابي عند ما اطلعت ، بعد ستة اشهر ، على ترجمة قصة « الغزوة » باللغة الالمانية ، مزدانة بالرسوم والاشكال ومختومة بنتيجة تضمن لالمانيا نجاح هجومها علينا وفيها صور غزو الجيش الالماني للندن وامعانه في السلب والنهب !

وشرٌ من هذا وذاك انهم عُنوا بتجليد هـذه النسخة وتذهيبها وتوزيعها جوائز على تلاميذ مدارسهم !

فأخذ مني الغيظ والحنق كلَّ مأخذ ومن فوري ذهبت الى مكتب جريدة الديلي ميل ودخلتُ على اللورد نورثكلف وقلتُ لهُ وشرر الاستياء والامتعاض يتطاير من عينيَّ : —

« إني بموجب الشريعة الانكليزية انكليزي واحبُّ انكلترة ولكنيّ من ابٍ فرنسيٍّ فانا فرنسيٌّ أيضاً واشكر الله على ذلك ! »

وكان مفطوراً على الحلم وطول الاناة فغضَّ النظر عن هذه الكلمات الفظَّة الجافَّة وتلقاني بالصبر وسعة الصدر ودعاني لقضاءِ يوم الاحد معهُ في قصرهِ خارج لندن

واتضح لي بعد التأمل انا لم نحرز تقدماً جديداً في سبيل استفزاز الجمهور . ولولا اللورد روبرتس واللورد نورثكلف والمستر لويد جورج واللورد تشارلس برسفورد وغيرهم من اصدقائي الاوفياء لكدت اعدل عما عقدت عزمي عليهِ ووجهت كل التفاتي اليهِ ولكن بعد ما أُشمّر عن ساعد الجد في سبيل غرضٍ إيًّا كان واضع ادراكهُ نصب عينيَّ لا يسهل عليَّ ان اتخلى عنهُ وارضى من الغنيمة بالاياب . والمبلغ الباهظ الذي تناولتهُ على تأليف قصة « الغزوة » لم البث ان انفقتهُ على اسفاري في اوربا كجاسوس او مخبر سريٍّ لانكلترة

انفقت مالي بسمة وسرور غير مكترث لشيء سوى تسقط الأخبار التي يهمُّ بريطانيا العظمى الوقوف عليها . فكنتُ الرجل الانكليزيَّ الوحيد الذي تمكن من الدخول الى مصنع « ارارودت » في « دسلدورف » حيث كانوا يصنعون المدافع الضخمة البعيدة المرمى . دخلتهُ متنكراً وقد خفيت معرفتي عليهم لاني بسطتُ يدي في الرشوة التي تعمي العيون وتقطع الالسنة

وجميع الأنباءِ السرية التي تسقطتها في سفراتي ومغامراتي أودعت سجلات وزارة الحربية ولم تلقَ من يأبهُ لها او يعنى بشأنها لأن اللورد روبرتس كان قد استقال وباستقالتهِ أُهملت الحكومة هذا الموضوع الخطير وضربت عنهُ صفحاً

او ليس من الغرابة بمكان — كما جاء في مقالة نشرتها الديلي ميل مؤخراً لبعض الكتَّاب — ان قصة « الغزوة » المكتوبة قبل الحرب الكبرى بخمس سنين ، لم تقتصر على تقديرِ معركة جوتلند البحرية بل وصفت كثيراً من المدرَّعات التي غرقت فيها وانبأت بغرقها وكذلك قدرت إطلاق المدافع على سكاربورو وذكرت بعض البيوت التي اصابتها قذائف المدافع باسمائها !

وفي ذات يوم من شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ جاءتني بطاقة من الجنرال السر الفرد ترنر يقول فيها انهُ شديد الاعجاب بمحبتي لوطني ويدعوني لتناول العشاءِ عنده . فقبلت الدعوة وذهبت ولما وصلت دهشت اذ وجدت بين المدعوين سفير المانيا ومستشار السفارة والملحق العسكريَّ والملحق البحريَّ فيها وعقائلهم . وبعد تناول العشاء جاست لمسامرة الملحق العسكري فوجه الحديث نحو حملتي القلمية على المانيا وبدعوة منهُ وافيتهُ الى ناديهِ في اليوم التالي لتناول الغداءِ معهُ فاكرم وفادتي وبالغ في الاحتفاءِ بي.وفي اثناء الحديث اشار الى مساعيَّ المبذولة في سبيل الانذار والتحذير وقال ضاحكا : « لن تقع حرب بين بلادي وبلادك . فمن الحماقة ان تحاول يا عزيزي المستر لوكيو تحذير شعبك من خطر ليس لعين وجوده من اثر .وبهذه الترهات والاراجيف أسأتَ الى نفسك وسودت صحيفة شهرتك. فلماذا لاتقلع عن هذا الغي ؟ لا نروم مخاصمة امتك ولسنا نجهل انك تعمل ما تظنهُ واجباً عليك »

« لستُ اظنُّهُ بل اراهُ بعين اليقين واجباً عليَّ »

« إنك ككاتب يهمُّك ان تنشر ما يصبو القرَّاء الى مطالعتهِ وهـذا الغرض يسهل عليك ادراكه بنشر مايكون في مصلحة المانيا . ونحن ان فعلت ذلك نعرف لك هذا الجميل العظيم ونحسن جزاءك » . فكدتُ اتميَّز من شدَّة الاستياءِ واسمعتُهُ كلاماً احدَّ من طعن السنان وقفلتُ راجعاً على الأثر . وقد ذكرتُ هذا مثالاً للطرق التي كانت ادارة الشرطة السريَّة في المانيا تستخدمها بواسطة جواسيسها لكمّ فمي وكسر قلمي

ومن امثلة ذلك ان شركة نور دتشلر لويد في برمن عرضت عليَّ السفر حول الارض في احدى بواخرها مجاناً فازور المستعمرات الالمانية واصف كل ما اراهُ فيها . ومنها ان اقطاب السياسة الالمانيين في الاستانة وبلغراد وغيرها من عواصم ممالك البلقان كانوا على الدوام يبالغون في تملقي وملاطفتي ويلمحون الى رغبتهم في شراءِ سكوتي بايِّ ثمن كان

هكذا كانوا في يقظة تامة . واما نحن فكنا في اسفل دركات الغفلة والتهاون

ومن ادلة غفلتنا اني كنتُ ذات يوم من شهر اغسطس سنة ١٩١٣ — قبل الحرب بسنة — اجوّل في شارع قرية في سوثبورو ومعي آلة لتصوير ما يعنُّ لي من المناظر والمشاهد . واذا بخمسة وعشرين ضابطاً المانيًّا في ملابس غير رسمية يخترقون سوثبورو راكبين ويتكلمون جهاراً باللغة الالمانية ، باذلين جهدهم في الاستطلاع والاستشراف لمعرفة المواقع ومستعينين بالصور الفوتوغرافية على تعيين الاماكن التي ينصبون فيها المدافع

اي يستعدّون لغارة شعواء يشنونها على انكلترة . وفي تلك الليلة عادوا ادراجهم الى لندن حيث أُدب لهم السفير الالماني مأدبة فاخرة في «كارلتن هوس»

ولا يخفى ما في عملهم هذا من التعدي علينا والانتهاك لحرمة بلادنا. وكنتُ قد تمكّنتُ من اخذ صورهم وهم يستشرفون ويستطلعون. ومن فوري ذهبتُ بها الى اللورد روبرتس وأريتهُ اياها فثار ثائر غيظهِ واستيائهِ من هذا العمل الفظيع والحَّ عليَّ ان اكتب عنهُ في الصحف. فكتبتُ ولكنَّ الصحف على بكرة ابيها ابت ان تنشر شيئاً عن هذا الموضوع وكتب اليَّ واحدٌ من اربابها يقول لي اني مأفون مجنون !

وقد تبين بالادلة المقنعة ان الالمان تعمدوا غزو تخومنا الشرقية والجنوبية على حين غفلة . وحاولتُ غير مرة ، انا واللورد روبرتس واللورد نورثكلف تحذير الجمهور فلم يعرنا احد اذناً صاغية . وبعد طول التقصّي والتحرّي اتّضح لي ان معظم الفنادق والمنازل على الساحل الشرقي من هَلّ الى فوكستون ، مديروها او اصحابها رجال المانيون . وكلما عرضت حانة للاجار تقدم لها طالب المانيٌّ واعلن استعدادهُ لقبول اية شروط يشترطها المالك . وقلما خلا مكتب تلغراف مهم من وجود الماني مقيم في جوارهِ ليقتحمهُ في الوقت المعيّن ويعطّل آلاتهِ

واني أُعيد ما سبقت فقلتهُ من قبل ان جميع الامور التي ذكرتها حقائق راهنة واني اتحدَّى كلَّ من تحدّثهُ نفسهُ ان يتعرض لها بطعنٍ او تفنيد ولم آسف على شيء من المشقات والنفقات الباهظة التي كابدتها وتكلفتها في سبيل الحصول عليها لأني بذلت هذا كلهُ بملء الرضى والمسرة منساقاً اليهِ بالمحبة الوطنية للبلاد التي فيها وُلدتُ وتحت سمائها دببت وشببت

ومع اننا الآن راتعون في سلام يرفرف علينا بذيولهِ وحواشيهِ ارى في الجو علامات تنذر بنشوب حرب اخرى في مستقبل قريب غير بعيد والكتابة على الحائط ظاهرة امام الذين لهم عيون تبصر ويستطيعون قراءة الكلام وفهم معناهُ ! وفي العالم كلهِ سعي حثيث باشدّ القوَى واوسع الخطى لإيقاد حرب اعظم تنكيلاً وتدميراً من الحرب الكبرى الاخيرة — بمركبات هوائية تمطر العباد والبلاد بقذائف التقتيل وغازات سامة وقنابل محشوة بجراثيم الامراض الفتاكة والاوبئة الوبيلة ومواد سريعة الانفجار تفاجيء الارض وسكانها بما لم يسبق لهُ قط نظير من دواهي الاجتياح والاستئصال . وعلى من تشهر هذه الحرب ؟ على بريطانيا العظمى بلا اقل ارتياب

نعم اننا كنّا اقصينا العدو عن بلادنا ولكنهُ عاد اليها راسخ العزم شديد الحول .

وادارة الشحنة السرية او التجسس في المانيا واسعة الانتشار ولها فروع في سائر الاقطار ولاحدَّ لمكايدها وطرق ختلها وخداعها. وهي لا تعف ولا تتورع من تحليل محرم او تدنيس مقدس. وجميع الاحتياطات التي نتخذها سراً لدفع الطوارىء والتأهبات التي نجريها في الخفاء لاتقاء المفاجآت من سفن هوائية وبحرية على اختلاف انواعها واشكالها هذه كلها يقف الالمان في برلين على تفاصيلها وصورها في اقل من اسبوع وتراهم على الدوام يسخرون من فتورنا وغفلتنا ويباهون بانهم يعرفون عن احوالنا السياسية والعسكرية والاجتماعية اكثر جداً مما نعرفهُ نحن. وفي سجلات ادارة الشرطة السرية في برلين الوف من التقارير المطولة المجموعة في اثناء السنين العشرة الاخيرة عن حياة عظماء انكلترا واحوالهم ووصف دورهم وقصورهم التي يعللون انفسهم بنزول جيوشهم فيها يوماً من الايام. وعلاوة على العيون والرقباء الموفدين من قبل ادارة التجسس لهم بيننا طائفة كبيرة من المستوطنين الضاربين باكبر سهمٍ من المكر والدهاء. وهم يدأبون في التدرّب على تسقّط الاخبار واستراق الاسرار ونقلها الى المانيا بطرق خفية مختلفة

وللامة الالمانية في الوقت الحاضر امل كبير بانها تتمكن من مفاجأة لندن والسواحل بضربة قاضية، لا بالهجوم البحريّ، بل بجيش لجب يقتحم سواحلنا بعد ما تكون سفن الهواء قد امطرتنا ناراً ذات شرر لا تبقي على اساطيلنا وجيوشنا ولا تذر. وهذا اقولهُ عن علم صحيح واختبار اكيد فلا سبيل على الاطلاق، لحملي على العدول عنهُ باحدى الطرق. لاني لم انسَ قول المستر مكّنا لنا ان جميع الجواسيس الالمانيين في بلادنا «مُقفَل عليهم» وبعد اسبوع قبضوا على عدد كبير منهم وكان نصيب اثنين منهم الموت شنقاً. ولن انسى ما لقيتهُ من العنت على اثر تصريحي بهذه الحقيقة في خطبة القيتها في بوكستن. وبعد هذه الخطبة صدر الامر الى جميع صحف لندن الصباحية والمسائية بعدم الاشارة اليها! ولما زرت المستر تشارلس بالمر صاحب جريدة «الغلوب» اراني هذا الامر وقال ضاحكاً:

«أليس هذا الامر بنفسه يؤيد ادّعاءنا ان بعض جهات الاختصاص الواقعة تحت سلطة يد المانيا الخفية تخاف اشدّ الخوف من هتكك لاستار اسرارها بلا شفقة ولا رحمة؟»

وفي الختام اقول اني عملت بما املتهُ عليَّ محبة الوطن وبذلتُ جهدي متفانياً في خدمة بلادي وان تكن هذه الخدمة لم تأتِ لسوءِ الحظ بالفائدة المبتغاة

ترجمة: اسعد خليل داغر

على اجنحة الريح الى القطبين

موازنة بين ارتياد القطب الشمالي والقطب الجنوبي

بعثتا برد وولكنز واساليب الارتياد الحديثة

لا تكمل سيطرة الانسان على الارض حتى تعنو لهُ القارة المتجمدة الجنوبية وتبيح لهُ اسرارها . وهذا هو الغرض الاسمى الذي من اجلهِ يغامر الروَّاد بحياتهم غير عابئين بالمخاطر التي تحيق بهم والعقبات التي تعترض سبيلهم

في ناحية منزوية من احدى الصحف الاوربية قرأْنا النبأ اللاسلكي التالي : « تمكن امس الرائدان ولكنز وايلسن من الطيران ٦٥٠ ميلاً في ست ساعات فوق القارة المتجمدة الجنوبية فاثبتا في اثناءِ طيرانهما هذا ان ارض غراهام (وهي اقرب انحاءِ هذه القارة الى طرف اميركا الجنوبية الجنوبي) ليست شبه جزيرة كما كان يظن بل هي جزيرة يفصلها عن القارة المتجمدة الجنوبية مضيق متجمد» .وزادت مجلة ناتشر على ما تقدم ان ما كشفا عنهُ من الحقائق الجيولوجية المتعلقة بتكوين هذه الجزيرة اجلُّ شأْناً من الحقيقة الجغرافية التي تقدم ذكرها.ففي ست ساعات تمكن رائدان من روَّاد القرن العشرين ان يحققا اموراً عجز عن تحقيقها جماعات الروَّاد التي سبقتهم الى استكشاف تلك البلدان النائية

وهذا النبأُ على ايجازهِ يبين لنا كيف انقلبت اساليب الارتياد في هذا العصر . فقد قضى الكومندر بيري الاميركي خمساً وعشرين سنة يستعدُّ ويحاول الوصول الى القطب الشمالي . ولما بلغهُ سنة ١٩٠٩ واراد الرجوع قضى شهوراً عديدة قبلما اتصل بالبلدان العامرة وقبلما اتيح للامم ان تقف على انباءِ رحلتهِ في الصحف والكتب .ذلك لان الرائد في العهد السابق كان يعتمد على قوتهِ وقوة بعض رفاقهِ الشجعان فيتجه الى هدفهِ اما سيراً على الاقدام او في مزالق تجرها الكلاب ،معانياً هو ورفاقهُ اهوال الثلج والجليد والزمهرير والجوع ليفوزوا بايضاح حقيقة جغرافية غامضة او ليكشفوا نوعاً جديداً من الحيوان او النبات . وقد مضت خمسة قرون على الارتياد الجغرافي بمعناهُ الحديث لم يبلغ قطبي الارض في اثنائها الا ثلاثة هم بيري الاميركي وامندسن النروجي وسكوت الانكليزي لذلك تحيط باسمائهم هالة من المجد لا يفوز بها كثيرون من العلماء

ولكن المشهد في ميدان الارتياد لا يلبث أن يتغير قليلاً . فتحلُّ الطيارة والبلون

محلّ المزالج والاقدام . ويصبح في مستطاع الرائد ان يتصل بالعالم المتمدن اتصالاً دائماً مهما يكن مقامهُ نائياً في صحراء قاحلة او على مفازة من الجليد . فالطيارات والبلونات والآلات اللاسلكية غيّرت اساليب الطيران كلّ التغيير ولكنها لم تجعلها اقلّ خطراً ولا المصاعب التي يتعرض لها الروّاد اسهل مراساً، ولا الصفات التي يجب ان يتصف بها الرائد كالشجاعة والاقدام وضبط النفس والصبر على الشدائد ادنى من صفات سلفهِ

واول رائد مشهور حاول ان يبلغ احد القطبين بالطيارة هو امندصن النروجي (سنة ١٩٢٥)فعجز عن ذلك وهو على ١٦٣ ميلاً جغرافيًّا من القطب الشمالي .وتلاهُ الكومندر برد ففاز بالوصول اليهِ من سبتسبرجن في ٩ مايو سنة ١٩٢٦ على الطيارة جوزفين فورد مع رفيقهِ فلويد بنت . ثم فاز امندصن ونوبلي وصحبهما بالطيران على متن البلون نورج من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب الشمالي في ١٠ مايو سنة ١٩٢٦ وتلاهم ولكنز وايلسن فطارا بطيارة صغيرة من الاسكا الى سبتسبرجن مارين الى جنوب القطب في ابريل سنة ١٩٢٨ وقبيل وقوع فاجعة البلون «ايطاليا» في السنة الماضية تمكن نوبلي ورفاقهُ من الوصول بهِ الى القطب الشمالي. فترى مما تقدم ان تقدم الطيران مكّن نحو ثلاثين شخصاً من الوصول الى القطب الشمالي في سنتين مع انهُ انقضت قرون لم يبلغهُ في اثنائها الاّ رائد واحد

***

ذكرنا في مفتتح هذا المقال بعثة الكبتن ولكنز الاسترالي وما فازت بهِ من المكتشفات الجغرافية والجيولوجية. ولكن في الطرف المقابل للمكان الذي نزلت فيهِ بعثة ولكنز من القارة المتجمدة الجنوبية نزلت بعثة اخرى يقودها الكومندر برد الاميركي بطل الطيران الى القطب الشمالي واجتياز الاتلنتيكي بطيارة ضخمة تحمل اربعة رجال .ومع الكومندر برد نحو ثمانين رجلاً من العلماء والروّاد وقد انشأوا في خليج الحيتان ببحر رُس بلدة صغيرة ضربوا فيها خيامهم واودعوا فيها طعامهم ومؤونتهم لانهم ينوون ان يبقوا هناك ما يزيد على سنة ليحققوا الغاية من رحلتهم على الوجه العلمي الاتمّ .وقد اخذوا ينشئون مستودعات خمسة بين محطهم الكبير على شاطىء بحر روس والقطب الجنوبي ليضعوا فيها طعاماً ووقوداً وادوية وادوات ميكانيكية حتى اذا اضطرت احدى طياراتهم ان تنزل على الجليد وجدوا على مقربة من مكان نزولها ما يأكلون وما يصطلون بهِ وما يمكنهم من اصلاح الطيارة . ومعهم اربع طيارات احداها كبيرة ضخمة لها ثلاثة محركات مثل الطيارة التي استقلها برد الى اوربا قوة محركاتها الف حصان وفي امكانها ان تنهض بحمل ثقلهُ ستة اطنان الى ١٢ الف قدم. واثنتان خفيفتان مثل الطيارة التي طار بها لندبرغ من نيويورك الى باريس قوة محركات

فوق المنطقة الي محيط بالقطب الشمالي تمرُّ اقصر الخطوط التي تصل
بين طائفة من اكبر مدن الارض
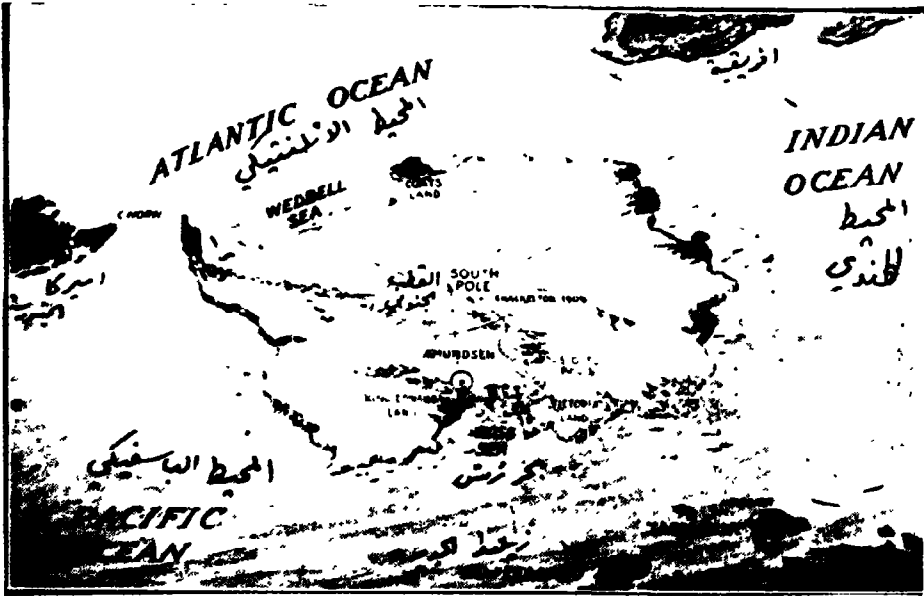
القارة المتجمدة الجنوبية وما حولها

مقتطف مارس ١٩٢٩
امام الصفحة ٣٠٨
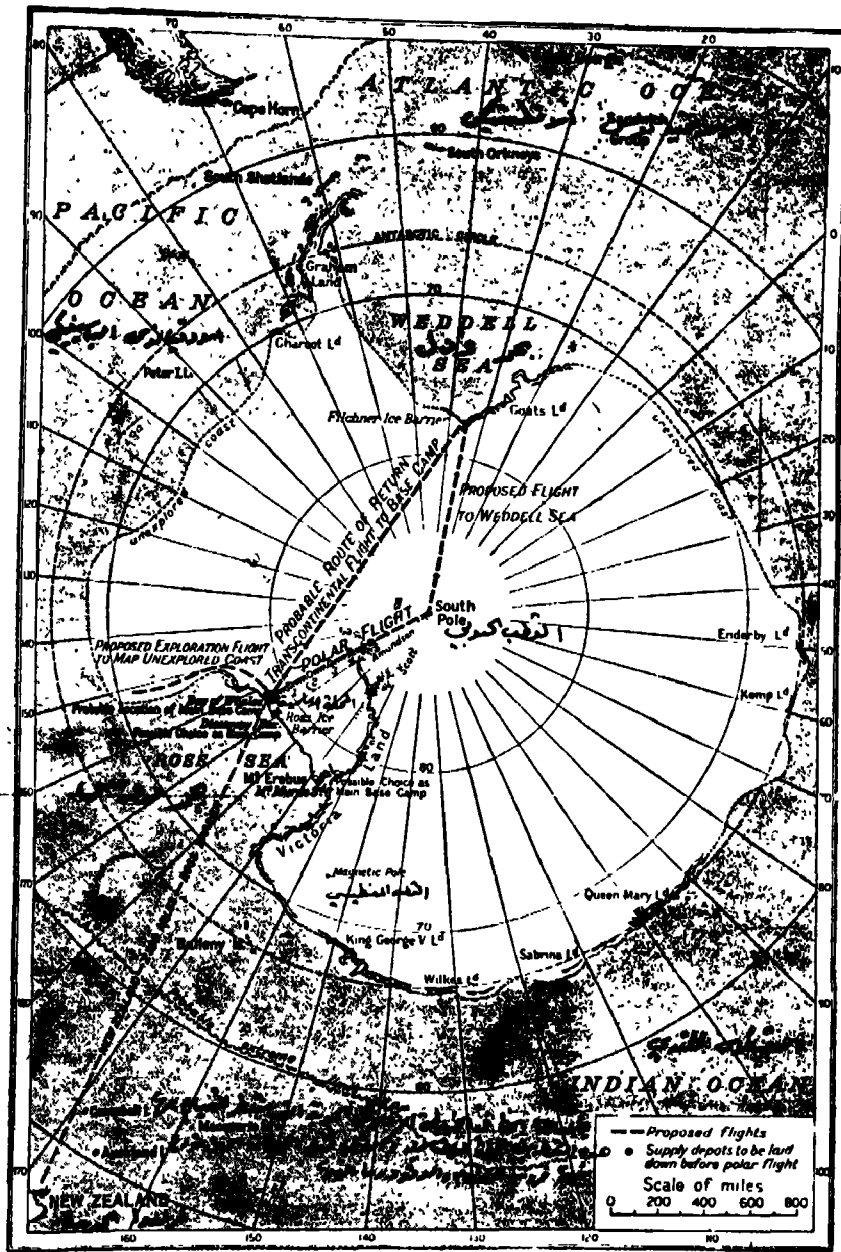
خريطة للاصقاع المتجمدة الجنوبية يرى فيها القارىء بعض التفاصيل عن رحلة الكومندر برد . وفي اعلاها يرى بحر ودل والى يساره شبه جزيرة هي ارض غراهام الذي اثبت ولكنز بطيرانه انها جزيرة يفصلها عن القارة مضيق متجمد

كلّ منها ٤٠٠ حصان ورابعة صغيرة قوة محركها ١١٠ احصنة وغايتهم ان يجعلوا اماكن هذه المستودعات مراكز يطيرون منها بالطيارتين الصغيرتين الى مجاهل الاصقاع المتجمدة ومتى سنحت لهم الفرصة طار بعضهم بالطيارة الكبيرة الى القطب واذا تمكنوا من النزول نزلوا عليه لتدوين الارصاد الجوية. فاذا تمّ هذا الوجه من وجوه الرحلة على ما يرام حاول بعضهم ان يخترقوا القارة المتجمدة الجنوبية من بحر روس الى بحر ودل . كما ترى في الخارطة

وقد صنعت لهم آلات لاسلكية متقنة تمكنهم من ان يبقوا متصلين بها بالعالم المتمدن فيذيعون بها اخبارهم ويتلقون بجهازها المستقبل انباء العمران فعرضهم كما يتبين ليس الوصول الى القطب الجنوبي فقط بل البحث العلمي الذي يوسع نطاق العلوم الفلكية الجغرافية والجيولوجية والنباتية والحيوانية

***

يتشابه القطبان الشمالي والجنوبي في احوالها الجغرافية . فالشمس تشرق على كلّ منهما نحو ستة اشهر كل سنة . على ان الظلام بعد غروبها ليس دامساً . والجو يكون غالباً صافي الاديم تلمع من ورائه النجوم في الفضاء . وفي ليلة قمراء غير غائمة تستطيع ان ترى شبح رجلٍ مرتدٍ ثوباً اسود وهو على بعد نصف ميل منك واذا كان القمر بين الربع الاول والربع الثالث امكنك ان تراهُ نقطة سوداء وهو على ثلاثة اميال منك او اكثر. فالطيران الليلي في مناطق القطبين اسهل منهُ في اي مكان آخر على سطح الكرة حيث يتعرض الطيّار للاصطدام بالجبال والآكام واعمدة التلغراف وما اليها

وبرد الجوّ ليس عائقاً من عوائق الطيران ما زالت الطيارة في الجوّ . لان البرد يكثف الهواء قليلاً فيسهل على الطيارة ان تنهض بحمل اكبر من حملها حين تكون طائرة في هواء لطيف . ولكن اذا اصيبت بعطل جعل النزول الى الارض لا مندوحة عنهُ صار البرد من اكبر المصاعب التي يتعرض لها الطيار . لان من يحاول اصلاح طيارة عليه ان يتناول اجزاءها الدقيقة باصابعهِ العارية وهذا متعذر على الطيار لانهُ اذا اخرج يديهِ من كفوفهما الكثيفة هرأهما البرد . والمرجح لدى علماء الظواهر الجوية ان حرارة الجوّ في القطب الجنوبي اقل من حرارة الجوّ في القطب الشمالي ثلاثين درجة بميزان سنتغراد. ولكن هذا الفرق نظري فقط لان الطيارين الذي يرودون القطب الشمالي يجب ان يرودوهُ في اشد شهورهِ برداً والطيارين الذين يرودون القطب الجنوبي يرودونهُ في اقلّ شهورهِ برداً فتتعادل الكفتان من هذا القبيل

وكل من القطبين المغناطيسيين يبعد عن القطبين الجغرافيين نحو الف ميل وصعوبة استعمال

البوصلة المغناطيسية في الملاحة البحرية والجوية انما هي ناتجة عن فعل القطب المغناطيسي بالبوصلة فيحرف ابرتها ولا فعل للقطب الجغرافي بها. ولما كان كثير من خطوط الملاحة في المنطقة المعتدلة الشمالية قريب من القطب المغناطيسي الشمالي وتستطيع البواخر ان تضبط مواقعها واتجاه سيرها من غير ان تعبأ بفعل القطب المغناطيسي بالبوصلة فالمعقول كذلك ان الطيران في المناطق القطبية يمكن ان يتمّ من غير نظر الى فعل القطب المغناطيسي بالبوصلة. وقد اثبت طيران برد الى القطب الشمالي وعودته منهُ وطيران ولكنز وايلسن من الاسكا الى سبتسبرجن في السنة الماضية ان الملاحة الجوية يستطاع ضبطها الى اقصى حدود الضبط ولو على مقربة من القطب المغناطيسي. ولذلك ادوات لا محل للتبسط بشرحها هنا

كذلك ترى ان الجليد دائم على القطبين ولكن القطب الشمالي نقطة على سطح البحر والرحلات الجوية الحديثة اثبتت ان لا يابسة تحيط بهِ او على مقربة منهُ. واما القطب الجنوبي ففي مرتفع من الارض والجليد المتراكم يعلو نحو ميلين عن سطح البحر فالهواء هناك لطيف تحتاج معهُ الطيارة الى قوة كبيرة للصعود في الجوّ بعد نزولها الى الارض

هذه بعض وجوه الشبهِ والاختلاف بين القطبين. على ان هناك وجهاً آخر من وجوه الاختلاف هو اهمها وابعدها اثراً في مستقبل الريادة القطبية

ذلك ان الاصقاع المتجمدة الجنوبية قارة اكبر من استراليا او اوربا. ولكن الاصقاع المتجمدة الشمالية محيط يعرَف بالمحيط المتجمد الشمالي. وتسميتهُ بالمحيط ليس الاَّ تجوُّزاً لانهُ في الحقيقة خليج كبير او بحر متوسط بين قارات اميركا واوربا وآسيا كما ترى في الصورة. فالاصقاع المتجمدة الجنوبية اذاً قارة تحيط بها الاوقيانوسات. والاصقاع المتجمدة الشمالية بحر تحيط بهِ القارات. فريادة الاصقاع الشمالية ومعرفة احوال الجوّ فيها ابعد اثراً في العمران لان فوق هذه الاصقاع تمرُّ اقصر الخطوط التي تصل بين اكبر مدن الارض. ولكن اذا اخذت الكرة الارضية ورسمت على سطحها اقصر الخطوط بين استراليا من جهة وجنوب افريقية وجنوب اميركا من جهة اخرى (هذه البلدان هي اقرب البلدان الى القارة المتجمدة الجنوبية) وجدت ان هذه الخطوط لا تمس القارة المتجمدة الجنوبية بل تمرُّ في البحار التي تحيط بها. لذلك ترى ان ريادة هذه القارة لا شأن لهُ من حيث الملاحة بين القارات المختلفة. فاذا اصبحت الاصقاع المتجمدة الشمالية ممرًّا لخطوط الطيران تمكنت البلونات المسيرة من اختراق الجوّ في خطوط مستقيمة ترسمها بين المدن التي تطير منها واليها. اما الطيارات فتضطر ان تتبع خطوطاً اقلّ استقامة من البلونات لانها لا تستطيع الآن ان تطير مسافات طويلة من غير ان تنزل الى الارض ولذلك يجب ان تقام محاط

مختلفة لها تنزل فيها وهذه المحاط تكون عادة على يابسة لذلك يتعذر ان تكون في خط مستقيم

تثور العواصف في الاصقاع المتجمدة الشمالية والجنوبية حيث تلتقي اليابسة بالبحر لذلك ترى الجوّ حول القطب الشمالي ساكناً في الغالب لان لايابسة على مقربة منهُ . واما شواطئ القارة المتجمدة الجنوبية فاكثر الاماكن على سطح الارض تعرضاً للعواصف والزوابع . ولكن امندصن اول من وصل الى القطب الجنوبي يقول ان حول القطب يسود سكون تام والمرجح لدى علماء الجغرافية والظواهر الجوية ان بقعة حول القطب الجنوبي لا تقل مساحتها عن الف ميل مربع قلما تعصف فيها ريح صرصر

لذلك يظن ان العمل الذي تقدم لهُ ولكنز وهو ارتياد شواطىء القارة المتجمدة الجنوبية حول بحر ودل من اعظم اعمال الريادة خطراً لشدة العواصف وهياج البحر . ولكنهُ اقدم على ذلك ليثبت رأياً عنّ لهُ وهو ان شاطيء القارة المتجمدة هناك منخفض عن سائر شاطئها ولذلك فالرياح فيهِ قليلة . فاذا صحّ رأيهُ وتمكن من اتمام عملهِ على ما يروم ملأ فراغاً كبيراً فيما يعرف عن جغرافية تلك النواحي وجيولوجيتها

ولكنّ القارة المتجمدة الجنوبية لن تكون ماتتي لسبل المواصلات كما تقدم معنا فالمرجح ان جلّ النتائج التي تسفر عنها مباحث ولكنز وبرد وصحبهما تبقى مطوية في كتب العلم النظرية وقد لا تتعداها الى منطقة العلم العملي. ولكن يجب ان لا تهمل العناية بها لذلك . فالحكومات والجامعات تنفق الوفاً من الجنيهات كلّ سنة للبحث عن السدم اللولبية التي تبعد عنا مئات الالوف من سني النور . مع انهُ لا ينتظر منها نفع عملي مباشر

على اننا لدى التدقيق نجد ان ريادة القارة المتجمدة الجنوبية قد تنجم عنها قواعد عملية جمة . ذلك ان القارات المتفرعة من القارة المتجمدة الجنوبية اي اميركا الجنوبية وافريقية واستراليا فيها حقول فسيحة ومراعٍ واسعة وقطعان كثيرة ولكنها كلها تعيش على اقل مقدارٍ من الماءِ يمكنها من المعيشة. فاذا قلّ هطل المطر في سنة من السنين جفت الارض ومات الزرع والضرع وبات السكان في جوع ومرض. فاذا كان في امكان العلماء ان يقولوا لهؤلاءِ الزرّاع والفلاحين «السنة القادمة سنة جفاف» اعدّ هؤلاءِ عدتهم لها . والمنتظر ان يصبح علماء الظواهر الجوية قادرين على ذلك . ولكنهم لا يستطيعون ان يحققوا شيئاً من هذا في نصف الكرة الجنوبي الاّ اذا عرفوا معرفة دقيقة احوال الجوّ وتقلباتهِ فوق القارة المتجمدة الجنوبية . هنا نجد الفائدة الاولى من بعثتي برد وولكنز . ولعل ما تجمعانهِ من الحقائق تمكن العلماء من بناء محط للظواهر الجوية في تلك الاصقاع النائية يذيع على متن الامواج اللاسلكية انباء الجوّ وتقلباتهِ

تحدُّر الفلسفة

ومكانة افلاطون

اورد هذا الرسم توطئة « لجمهورية افلاطون » وقد نقلته عن « تاريخ الفلسفة » للعلامة « دورانت » الاميركي . فلا فضل لي في حسنانه ، ولا ملام عليَّ في مساويه . هذا عذري لدى من ينكر على واضعهِ اغفالهُ اسماء بعض الفلاسفة الذين يحسبونهم جديرين بالذكر. ولو ان الامر راجع اليَّ لآثرت ذكر فيثاغورس على ذكر ديوجينس ، واوغسطينوس على الاكويني

على انهُ لا يراد بهذا الرسم الموازنة بين الفلاسفة ، واثبات التفاضل بين اعلامهم بل يراد بهِ بيانٌ جلي لتحدُّر الفلسفة من اقدم العصور الى الآن ، والحلقات التي تؤلف سلسلة الفلسفة الجميلة في التاريخ ، مع تبيان النسب الفلسفي وعلاقة الخلف بالسلف ، والاتصال بين نوابغ الادهار

وقد اخترت ان اربط ذلك بكتاب « الجمهورية » ، لانهُ خريطة ، وان تكن غير كاملة لتاريخ الفلسفة والفلاسفة في كل العصور. فانهُ يساعد متصفحهُ على تصوُّر النسبة — كليًّا او جزئيًّا — الكائنة بين الفلاسفة باعتبار المذاهب والآراء المقترنة باسمائهم ، والمنتسبة اليهم

يبدأ هذا الرسم في القرن السادس قبل التاريخ المسيحي ، وبعض اسمائهِ قبيل ذلك العهد ، وينتهي في العصر الحاضر . ففي اعلى الرسم خمسة مستطيلات تحتوي على اسماء اربعة من زعماء الفلاسفة ، وهم لوسيبوس وانا كسوغوراس الى اليمين ، وبارمنيدس وهيرقليطس الى اليسار . اما الخامس وهو الاوسط فيحمل بدل اسم الشخص اسم السفسطائيين ، ولم يخص بالذكر منهم غورغياس او غيره من زعمائهم . كما انهُ لم يذكر فيثاغورس امام المذهب الرياضي ، ولاطاليس المليطي جد الفلسفة العظيم

والذي الفت الانظار اليهِ بنوع خاص هو وضع سقراط في عمود السفسطائيين ، كتسلسل منهم ، على انهُ لو صحَّ ذلك لما كان في الامر من غرابة ، فان لهُ مثلاً في التاريخ كتسلسل بوذه من البراهمة ، والمسيح من اليهود ، ولوثر من الكاثوليك وغيرهم من غيرهم . وجميع الفلاسفة ، بلاخلاف ، يحسبون سقراط بدء سلسلة جديدة من الفلسفة. ومن حلقات تلك

تحدرات الفلسفة
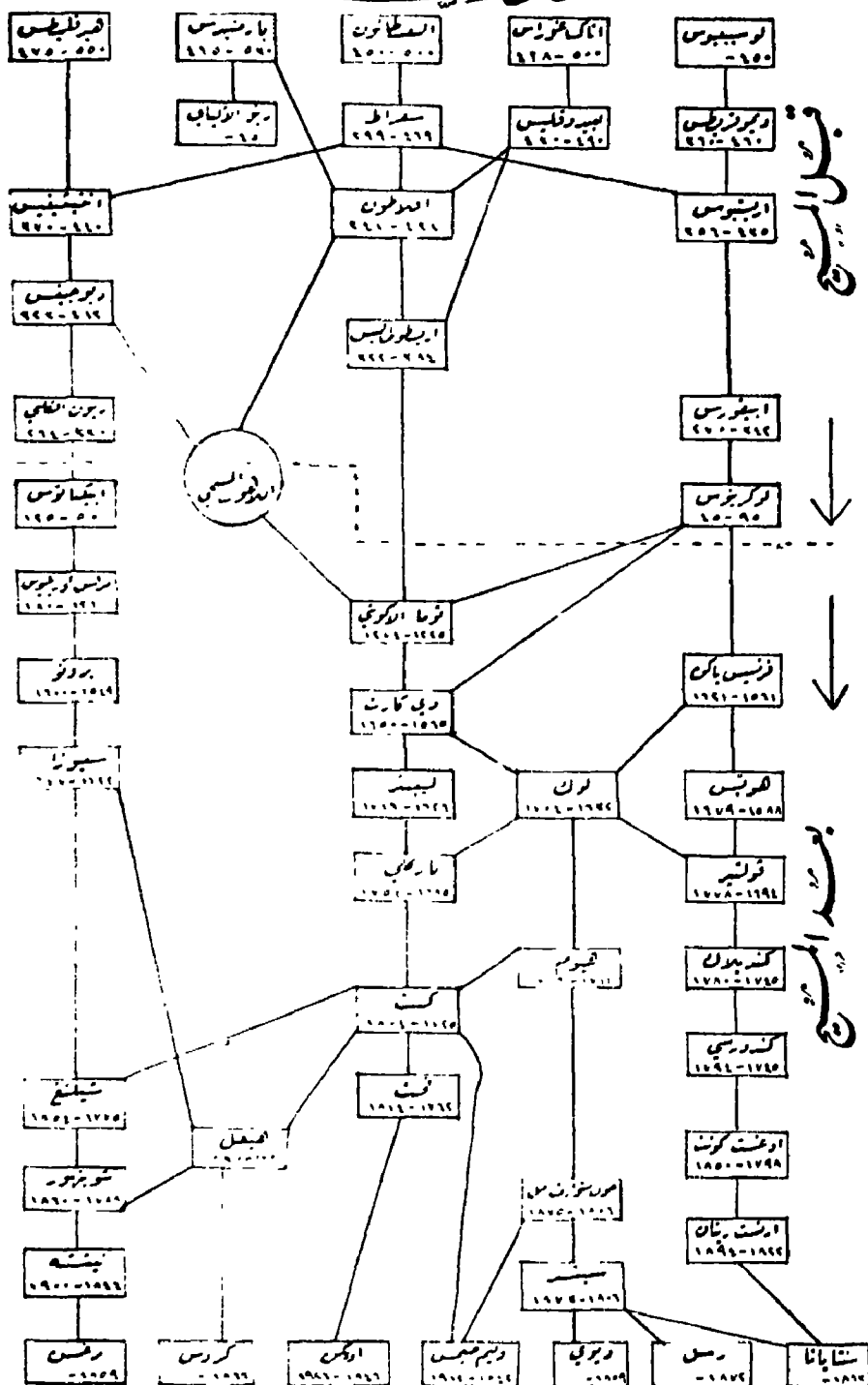
السلسلة افلاطون واربسطوطاليس . وهؤلاء الثلاثة اشهر الفلاسفة الاقدمين في كل العصور ان لم اقل اكثر من ذلك

ولكن افلاطون ليس الوحيد الذي اخذ عن سقراط بل اخذ عنهُ ايضاً اريستيبوس وانتيثينيس ، على ان هذين ليسا خلف سقراط بالمعنى الخاص . بل هما خلف ديمقريطس وهيرقليطس مع اخذهما بعض فلسفتهما عن سقراط . فخلف سقراط الخاص هو افلاطون على ان افلاطون لم ينحصر في التراث الذي تركه لهُ سقراط بل اخذ ايضاً ، كثيراً او قليلاً عن فيثاغورس وامبيدوقليس وبارمنيدس ، واخذ عن غير هؤلاء الاساطين . وعلاوة على كل ذلك فقد اضاف ، ولا بدّ ، الى ما ورثهُ شيئاً عظيماً . كما هو واضح لمن ارسل نظرة صائبة في تاريخ هؤلاء الاقطاب والمذاهب التي خلفوها . على ان سقراط لم يترك اثراً خاصًّا ، بقلمهِ . ولا نعرف عنهُ الاّ ما ورد باقلام افلاطون واربسطوطاليس واضرابهما . واعظم الرواة عن سقراط هو افلاطون ، وقد استمار اسمهُ كانتكلم في كل مؤلفاتهِ ، على النحو الذي اتبعهُ مؤلفو المقامات في الادب العربي . فهل افلاطون خالق سقراط ، او مجرّد راوٍ يملي علينا ما عرف عن سقراط؟ تلك مسألة لست بالذي يتصدّى للاجابة عنها ، او الدخول في شعاب مباحثها ولكني اقول استناداً الى ما هو مأثور عنهم انهُ لولا افلاطون لكان ما نعرفهُ عن سقراط ضئيلاً جدًّا . وبهذا الاعتبار يأخذ افلاطون المقام الاول بين الرواة عن سقراط يليهِ اريسطوطاليس وزينون الشهير في العمود الاوسط تستقر الفلسفة

الالهية ، وعنها اخذ اللاهوت المسيحي . وفيها من الحلقات المتبرة جدًّا اريسطوطاليس ودي كارت وكانت وارباب الشأن في ميدان الفلسفة يقدرون هؤلاء الافذاذ . فليرفع القارئ نظرهُ الى رأس العمود ، فانهُ يرى في رأسهِ — تحت اسم السفسطائيين واسم سقراط — اسم افلاطون العظيم ، كرأس العمود والحلقة الاولى في السلسلة . اما السفسطائيون فلا شأن لنا معهم . واما سقراط ، فمع اننا لم نحسبهُ شخصاً وهميًّا ، ليس ذا اثر كتابي ، ولا فلسفة مركبة

فافلاطون هو الزعيم . وقد مرَّ عليهِ ٢٤ قرناً لم يزحزحهُ احد عن عرش الزعامة

واذا راجعنا جمهورية افلاطون ، وهي اشهر المؤلفات التي وصلت الينا من قلمهِ ، فاننا نجد فيها رياضية فيثاغورس، وكونية اميدوقليس ،والهية بارمنيدس، وادب سقراط ، وسياسة افلاطون . فهي صورة واضحة لنظام التفكير القديم ، واثر ، بل حجة لامعة ، لمكانة السلف الكريم ، ولاسيما مؤلفها العظيم افلاطون

لا فيلسوف في الدنيا مستقل عن السلف والخلف . اليك الفيلسوف لوك الانكليزي فانهُ متصل باربعة اطراف ، اثنين في عصر السلف وهما « باكن » و« دي كارت » واثنين في عصر الخلف وهما ڤولتير وباركلي. كذلك « كانت » بل هو اكثر من ذلك لانهُ يتصل بالزملاء بستة اطراف منها باركلي وهيوم في جانب السلف، وفخت وهيغل وشيلنغ وجيمس في جانب الخلف . كذلك هيغل وسبنسر وغيرها . فالفلاسفة مترابطون ، والمذاهب الفلسفية متداخلة متقاطعة متماسة متسلسلة ، قل ما شئت ، بعضها ببعض

في اسفل الرسم سبعة فلاسفة ، خمسة منهم لا يزالون في قيد الحياة على ما نعلم . اما وليم جيمس الاميركي فقد مات سنة ١٩١٢ . واشهر الفلاسفة الذين يعيشون اليوم هم هنري برغسن وبرتران رسل . اما انشطين فلم يدرج بعد في عداد الفلاسفة ، لان عملهُ جديد، لا يزال في دائرة النقد والتمحيص ،وهو يختص بالكون الطبيعي ،او في الجانب المادي منهُ

وهذا الجانب مع جلالة قدره في التمدين الحاضر ، لا يحسب عند الفلاسفة بالجانب الخطير وكان اللورد هالدين قد شرع يؤلف فلسفة لنظرية النسبية التي ابتدعها، ويذود عنها انشتين ، حتى يكون لانشتين ما كان هربرت سبنسر لشارلس داروِن ولكن دهمتهُ المنية في الصيف الماضي ولا نعلم هل اتمها او لا

بقي ان الموضوع يحتمل كثيراً من الشروح والايضاحات ، ولاسيما ما اختص منهُ بافلاطون وجمهوريتهِ ، وقد اعود الى معالجتهِ في المستقبل القريب حنا خباز

كبلنغ : شاعر الامبراطورية

مكانته الادبية وفلسفته

صاحب القول الدائع « الشرق شرق والغرب غرب »

بين ظهرانينا الآن رديرد كبلنغ الشاعر والمؤلف القصصي الانكليزي الطائر الصيت. وهو ملك من ملوك الكلام المنثور والمنظوم، ينشىء القصص الطويلة والقصيرة وينظم القصائد فيسمع لهُ ملايين من الناس — يسمعون مختارين مسرورين دهشين . يسمع لهُ كل من يقرأ الانكليزية في مشارق الارض ومغاربها لا لبلاغة في اقوالهِ تجري مجرى الاساليب المدرسية البليغة في الادب الانكليزي بل لانهُ يقول لهم ما يودون سماعهُ ويصف لهم طباع الناس واحوال الزمان والمكان وصفاً منطبقاً على الحقيقة كلَّ الانطباق . فانهُ كان يقول لهم في بدء حياتهِ الادبية ان الشعوب البيضاء ارباب الشعوب الصفراء والسوداء فعليهم ان يتسلطوا على تلك الشعوب ويعتنوا بها كما يتسلط الله على عبادهِ ويعتني بهم . وكان يقول لهم ولا يزال ، بعد رحلتهِ حول الارض ،ان الكون لا ينتظم بالحرية والاباحة بل بالقانون والطاعة . واي ملك لا يرضيهِ هذا القول . واي متسلط لا يودُّ نشر هذه المبادئ . يخاطبهم بذلك نثراً ونظماً لا يتوخى غريب الالفاظ ومهجور التراكيب بل اللغة المحكية المتعارفة .فاذا ادخل في قصةٍ من قصصهِ كنّاساً انطقهُ بما ينطق الكنّاسون واذا ادخل فيها بحريًّا انطقهُ كما ينطق البحارة واذا ادخل فيها فقيهاً انطقهُ كما ينطق الفقهاء . وهذا من الامور التي يمتاز بها ويجعل ترجمة كتاباتهِ متعذراً . فيشعر القارئ مع ذلك كانهُ يرى هؤلاء الناس امامهُ ويسمع كلامهم الذي يتكلمون بهِ عادة ولا يسمع منهُ كلمة يستغرب تكلمهم بها .واذا وصف مدينة في اميركا او قرية في بلاد الهند او غابة من الغابات الملتفة في المناطق الاستوائية او سفينة في عرض البحر حسبتهُ مصوّراً يصوّر لك ما يريد وصفهُ بالوانهِ الطبيعية وينفخ فيهِ نسمة الحياة

كاتب مثل هذا تسكر اقوالهُ الامة الانكليزية التي تملك ربع المسكونة بحجة تمدينها وتثقيفها ونشر راية العدل فيها . وقد اشار كبلنغ الى ذلك في قصيدتهِ المشهورة التي عنوانها « حمل الرجل الابيض » اي الامور التي تطلب من الشعوب البيضاء للشعوب السوداء والصفراء حيث يقول : « احملوا حمل الرجل الابيض واضرموا حروب السلام

الطاحنة . اشبعوا فم الجوع وضعوا حدًّا للامراض . فاذا اقتربتم من محجتكم اغمدوا سيف القناعة والجهل لئلا يقضي على ما املتموهُ

« احملوا حمل الرجل الابيض ولا ترضوا بما هو دون ذلك . ولا تملّوا عملكم وتحاولوا سترهُ بستار الحرية (تمنحوهُ للشعوب التي تحكمونها) اذ بكل ما تروموهُ او تهمسون بهِ او تعملونهُ او تهملون عملهُ ستضعكم هذه الشعوب الصامتة انتم وربكم في ميزان الحكم »

وقد زاد اعجاب الشعوب الانكليزية بهِ لما وقف تجاهها موقف صاحب المزامير تجاه بني اسرائيل بعد الاحتفال بيوبيل الملكة فكتوريا وخاطبها كأنها شعب الله المختار بقصيدة من اشهر قصائدهِ عنوانها « لئلا ننسى » قال في مطلعها : يا آله آبائنا — المعروف منذ القدم . يا رب اجنادنا المنتشرين في مشارق الارض ومغاربها الذي تملك تحت يدهِ القوية على النخيل والصنوبر . يا اله الاجناد ابق معنا لئلا ننسى — لئلا ننسى

ترجمته

ولد كبلنغ في مدينة بمباي ببلاد الهند سنة ١٨٦٥ فهو الآن في الرابعة والستين من عمرهِ وقد طبّقت شهرتهُ المسكونة وهو شاب . وكان ابوهُ رئيس مدرسة الفنون في لاهور وهو من اعلم اهل زمانهِ باخبار الهنود وآثارهم وامهُ من عائلة مكدونلد الشهيرة وهي خالة المستر بلدوين رئيس وزارة انكلترا الحالية كانت من نوابغ النساء في التصوير وسرعة الخاطر . فابوهُ انكليزي وامهُ اسكتلندية ارلندية واصل عائلة كبلنغ من هولندا وقد هاجرت منها الى البلاد الانكليزية منذ اربعمائة سنة

وتعلم كبلنغ الهندستانية منذ نعومة اظفارهِ كما تعلم الانكليزية ومارس جميع الشعائر الدينية الشائعة في آسيا فدخل كنائس النصارى ومساجد المسلمين وهياكل البراهمة . وأُرسل الى البلاد الانكليزية وهو فتى ليتعلم فيها وعاد منها الى الهند وهو في السابعة عشرة من عمره . وجعل محرراً ثانياً في الصحيفة الملكية والحربية بلاهور فالصحافة اول حرفة اشتغل بها وهي الحرفة التي يشتغل بها الآن لان كل ما ينشئهُ نثراً ونظماً انما هو من قبيل الكتابة في الصحف حتى يأخذ عليهِ بعض النقاد ان الصحافة افسدت فنهُ في جانبٍ مما كتبهُ قبيل الحرب لانهُ كان يكتب ما يقصد منهُ الرواج

قال محرّر تلك الصحيفة الاولى في وصفهِ « انهُ كان يلبس سراويل من القطن الابيض فلا يمضي عليهِ يوم حتى يتلطخ بالحبر فيمسي كأنهُ من كلاب دلماطيا الرقطاء ذلك انهُ كان يغط قلمهُ في الدواة مراراً كثيرة قبلما يكتب كلمة وكانت حركاتهُ سريعة متقطعة

كبلنغ الشاعر والمؤلف البريطاني وزوجتهُ

مقتطف مارس ١٩٢٩

امام الصفحة ٣١٧

فيتطاير الحبر من قلمهِ على ما حولهُ. واذا دخل مكتبي كما كان يفعل مراراً كنت التفت اليهِ وآمرهُ ان يقف بعيداً عني مخافة ان يدنو مني بقلمهِ وهو مملوء حبراً فيطير الحبر منهُ عليَّ حين وضعهِ المسودَّة امامي لسرعة حركتهِ ورعشتهِ »

وحرَّر ايضاً في صحيفة الله اباد المعروفة برائد الله اباد وكاتب جرائد اخرى وبقي سبع سنوات يطوف في بلاد الهند ويدرس احوال اهاليها من اعلاهم الى ادناهم ويطبع صورهم في ذهنهِ. وقوَّة الاستحضار فيهِ غريبة فيستحضر الصورة التي يريدها ويصفها لك كما لو رأيتها بعين المنتقد البصير . ولقد قال فيهِ كاتب في مجلة بلاكوُد الشهيرة « انهُ اذا ارادت ملكة الانكليز ان تعرف معرفة تامة كيف تُساس سلطنتها الهندية وكيف تحمَى وكيف يدافَع عنها توسلنا الى وزير الهند ان لا يعرض عليها احمال المحرَّرات الرسمية بل كتب رديرد كبلنغ فان فيهـا اتم وصف لبلاد الهند — لأعجب مملكة تسلطعليها المخلوق واعظم بلاد فتحت لاجل الخالق »

وعاد كبلنغ الى انكلترا سنة ١٨٨٩ بطريق الصين واميركا فوجد شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وجعل ينشىء القصص القصيرة والطويلة فتنتشر في الاقطار بسرعة البرق . وتزوج سنة ١٨٩٢ وانتقل بزوجتهِ الى اميركا واقام فيهـا ثلاث سنوات ثم عاد الى بلاد الانكليز وطاف حول المسكونة وهو يكاتب جريدة التيمس وينشىء الروايات وينظم القصائد ولا يتحاشى ذكر الذنوب والفظائع مما لا يروق لكثيرين الى ان اتى يوبيل الملكة الاخير فنظم القصيدة التي ذكرناها آنفاً وارى الامة الانكليزية الشديدة التدين والورع ان من يتفنن في المجون على الرباب قد يرتل المزامير على القيثارة فصفحت عما مضى واحلتهُ من صدر ادبها محلاً رفيعاً

لكن مَن الّف فقد استهدف ولا يخلو المرء من ضد ولاسيما اذا سبق غيرهُ من الذين قصَّروا عن مداهُ وهم يحسبون انهُ دونهم علماً وفهماً . فلما نشر قصيدتهُ المعنونة « بحمْل الرجل الابيض » انتقدها كثيرون وقال احدهم انها قصيدة رياء وعارضهـا بقصيدة يخاطب بها البيض باسان السود يتذمرون فيها من فتح بلادهم للسموم والخمور وغيرها من ملابسات المدنية التي تنزل بالنفوس الى الدرك الاسفل

وقد منح كبلنغ جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٠٧ وعيّن بعد الحرب مديراً لجامعة سانت اندروز الاسكتلندية بعد ما نال القاب شرف مختلفة من جامعات انكلترا

فلسفته وعقيدته

انهُ ينظر الى العالم نظرة الرجل العملي فيقبلهُ كما هو بما فيهِ من مساوىء وحسنات

وحقائق واوهام تتقاذف الانسان في تيارها المصطخب وتبتلعهُ في غالب الاحيان . ومن العبث في رأيهِ ان يحاول الانسان تغيير المجرى الذي تجري فيهِ صروف الاقدار . فهو من هذه الناحية شبيهٌ بهاردي. ولكنهُ على طرف نقيض منهُ في ان كبلنغ يأخذ الارض كلها مسرحاً لابطال رواياتهِ وبطلاتها ومصدراً لاشعة فكرهِ وخيالهِ في حين ان هاردي يقتنع بان يدرس منطقة ضيقة من مناطق الريف الانكليزي فيصف دقائقها ويخاص منها الى النتيجة نفسها . وكبلنغ يرى انهُ اذا كان في امكان انسان من الناس ان يزيد الثروة الانسانية برأيٍ او مذهبٍ او استنباط وحاول ان يفعل ذلك في غير الزمن المعدّ لهُ ذهب عملهُ ادراج الرياح . لذلك رسم في كتابهِ « دبتس وكردنس » صورة كاهن من كهنة العصور الوسطى حطّم مكرسكوبهُ لانهُ جاء قبل اوانهِ . وقصَّ في كتابهِ « ربوردز آند فاريز » حكاية بحّار في عصر الملكة اليصابات تخلّى عن فكر خطر لهُ وهو انشاء سفن مدرعة بالحديد لان زمن المدرّعات لم يكن قد جاء بعد . ولكن الانسان يجب الاَّ يتذمر . لذلك يُنطق احد ابطالهِ بقول مأثور « حقي ! انا است لاذهب باكياً حقي امام هذا او امام ذاك كاني لا استطيع ان اطالب بحقوقي . حقوقي ! بحق الله العظيم انا رجل ! » فهذه السمة التي يتسم بها ابطال كبلنغ ، هذه الشخصية الانوفة المترفعة في حصنها هي اساس الارستقراطية التي يعدّها اهم العناصر في لعبة الحياة

وقد وقف قصيدتهُ المشهورة « اذا » على وصف الصفات التي يجب ان يتصف بها الرجل الرجل، واليك بعضاً مما جاء فيها : « اذا كنت قادراً ان تحتفظ برباطة جأشك حين يضطرب كل من حولك. اذا كنت تثق بنفسك حين يرتاب فيك الناس . اذا كنت قادراً ان تحلم والاَّ تكون عبداً للاحلام وان تفكر من غير ان تجعل الافكار غايتك . اذا كنت تستطيع ان تواجه الفوز والفشل وتعامل هذين على السواء. اذا كنت تستطيع ان تجمع كلَّ ما كسبتهُ وتغامر بهِ مستعدًّا ان تخسرهُ وتبدأ من جديد من غير ان تنبس بكلمة واحدة عن خسارتك . اذا كنت قادراً ان تماشي الجماهير من غير ان تتخلى عن فضيلتك وان تمشي مع الملوك من غير ان تفقد اتصالك بالجمهور . اذا كنت تستطيع ان تملاَ كل دقيقة ستين ثانية من العمل . فالارض لك وكل ما فيها . وما هو اكثر من ذلك. كنت رجلاً يا ابني»

فالارستقراطي في رأيهِ مهما يكن جنسهُ او عقيدتهُ رجل كامل . فهبدن الفلاح ارستقراطي صميم وهو يبسم بسمتهُ التي تنمُّ على معرفة وازدراء حين يرى المُلاك يتغيرون والارض ثابتة لا تحول . هذا وغيرهُ من ابطال كبلنغ ارستقراطيون في رأيهِ لانهم لا يعنون باشخاصهم قدر عنايتهم بالمبادئ التي تمثلها اشخاصهم ، لانهم كرماء يقبلون على لعبة الحياة

وملءُ افواههم الابتسام ، لا يطلبون مساعدة احد فيها ولا ينتظرون جزاء احدٍ حين تكلّل اعمالهم بالفوز . « فالانسان يجب ان يتألم اولاً ثم يجب ان يتعلم عمله ثم يجب ان يتعود تلك الكرامة التي تجلبها المعرفة » هكذا يقول كبلنغ

وكبلنغ ليس رجلا يتعلق باهداب المذهب المحدود والعقيدة الخاصة . فهو القائل اذا خلا الانسان في محراب الليل اصبحت كل العقائد في نظرهِ سواء . انهُ لا يجلُّ مذهباً الا بقدر ما يخلق في صدور معتنقيهِ من الفضائل التي يجلها ويعليها . وهو يقول « ان الايمان الذي يحمل الانسان على التعلق بهِ ولو خسر نفسهُ لهو الايمان الجدير بالاعتناق »

ورأيهُ في المسيحية ليس مما يعلي شأنها لانهُ يزعم انها لم تمزل من عقول المسيحيين « الخوف من النهاية » وان العالم الغربي يتمسك بالخوف من الموت اكثر من تمسكهِ بالرجاء من الحياة ! ولكنهُ يعطف على عقيدة كل انسان اذ يرى ان لا بدَّ في هذه الحياة من رادع او وازع لذلك تراهُ يكتب في وصف هيكل من هياكل برما « كن عطوفاً حين يصلي الوثنيُّ لبوذا في كاما كورا »

وهـذا يعود بنا الى ما قدمنا عليهِ الكلام في مفتتح هـذا المقال من علاقة كبلنغ بالامبراطورية البريطانية . لانا حين نذكر دين كبلنغ نذكر دين الامبراطورية البريطانية اذ يتعذر فصل كبلنغ الشاعر والمؤلف عن الامبراطورية البريطانية . فكان رسالتهُ في الحياة كانت ربط اجزاء هذه الامبراطورية برابط متين من الاخوة . كذلك لا نستطيع الا ان نقول ان مشهد الامبراطورية يهزه ببلدانها المترامية الاطراف في كل انحاء المعمور واساطيلها الضخمة البحرية والتجارية تربط هذه الاجزاء بروابط المصلحة والثقافة . على ان رأيهُ في الامبراطورية ونظرهُ اليها ليس نظر رجل سياسي كلّ همهِ ان يرى بقعة حمراء قد اضيفت على خريطة العالم . ولكن بريطانيا في نظرهِ الآهة ، يجلها ويعتبرها كرجل متفنن لانها تحتم على اتباعها ان يتصفوا بصفات العمل والصبر وانكار الذات والامانة والكرامة التي يطلبها هو في الرجل الارستقراطي ويلبسها اعظم ابطالهِ في رواياتهِ واشعارهِ . لذلك يدعو الى تأييد الامبراطورية ليس لان بناءها عمل عظيم بل لانها اداة فعّالة في حشد قوى الانسان لمغالبة الكون وترسيخ قدمهِ في فضائهِ . ولما كانت فعالة في توحيد هـذه المساعي فالامبراطورية في نظر كبلنغ كالكنيسة الكاثوليكية في نظر كل كاثوليكي

الى هنا نقف بالقارئ عن متابعة البحث وهو كثير الشعاب يتناول اسلوب كبلنغ الفني ومقابلتهُ باساليب معاصريهِ من الانكليز كولز وبرناردشو وما قد يكون نصيبهُ من الخلود . ولكن المقام لا يتسع لكل ذلك الآن

تقلص ظل المدنية الاوربية

ظهر اخيراً في عالم الادب والفلسفة كتاب ترجع خطورتهُ الى غرابة موضوعهِ وطرافة بحثهِ ولما اثارهُ الباحثون من الضجة حولهُ في العالم الاوربي. ذلك ان مؤلفاً المانيّاً معروفاً في عالم الادب والفلسفة يدعى (اوزوالد سبنغلر) أخرج كتاباً سمّاهُ « تقلص ظل المدنية الاوربية » بسط فيهِ رأيهُ في أن هذه المدنية الاوربية قد بلغت ذروة مجدها وانها آخذة في الانحدار منها وانهُ عما قريب ستندثر آثارها وتندرس معالمها !

قد يكون غريباً ان يقوم عالم وباحث من كبار الباحثين مثل سبنغلر يبحث بحثاً غريباً في بابهِ ومثيراً لمناقشات حادة حولهُ مما يدعو الكتاب لوضع مؤلفات متعددة تدور حول هذا البحث المثار بين ناقد مسفه لرأيهِ وبين محبّذ عاضدٍ لهُ لكن على كل حال للرجل رأيهُ وحجتهُ وللرأي وجاهتهُ وأنا لننقل رأي الرجل أمناء في نقلهِ كما ساقهُ الينا :

يقول سبنغلر ان لكل مدنية حياتها واجَلها كما هي الحال في الجسم الحيّ : تظهر ثمَّ تمرُّ في ادوار الطفولة والشباب حتى تبلغ اوج مجدها وقوتها ثم تهزل وتضعف ثم تموت

وهذا قانون طبيعي تخضع لهُ المدنيات جميعاً . وهكذا كان شأن المدنيات العالمية التي روى لنا التاريخ ادوارها التي مرّت بها ووضحت لنا معالمها على ضوء تمهيداتها ومقدماتها ونتائجها وآثارها . وقد بحث سبنغلر في تاريخ المدنيّات العظيمة التي ظهرت على سطح الارض وقدّر لكل مدنية ان تعمر حياة لا تزيد على الف وخمسمائة عام تمرّ فيها بادوارها المختلفة من نشوء الى نماء فازدهار فذبول واندثار

ولقد نشأت المدنية الاوربية الحديثة منذ عام ٩٠٠ وعليهِ فانها ستعمّر حتى عام ٢٤٠٠ ميلادية اي ٤٧٥ عاماً اخرى . حقّا لقد ازهر غصن المدنية الاوربية فبهر الابصار وتدانت ثمارهُ فاقتطفها المستثمرون اما اليوم فهو في دور الانحلال والزوال ! هكذا يقول سبنغلر وتلك نظريتهُ التي يؤيدها بالبرهان التاريخي ويسوق للدلالة على صحتها الحجج الدامغة !

قد يكون رجماً بالغيب من مثل المؤلف أن يتكهن بالتاريخ المستقبل وان يقول بسقوط مدنية يعتقد البعض انها في ابان عظمتها وسيطرتها على العالم وانها لا زالت في عنفوان قوتها وسيادتها وانها قائمة على اركان يذهب البعض الى انها اركان قوية لن تتداعى. وان العقل لا يستطيع ان يسلم بتصديق مثل هذه الآراء المتطرفة التي تبدى في جرأة مدهشة مع انها

تعد في نظر البعض بعيدة التحقيق جداً بل من قبيل التنبوء بالمستقبل البعيد . ولو انهُ جاز لرجل من المشتغلين بالفلك التنبؤ بحدوث ظاهرة جوية لقلنا انهُ درس علمهُ وتوغل في ميدانه حتى اصبح من مجرد الوقوف على علامات خاصة يمكنهُ ان يخبرك عما يخبئهُ المستقبل القريب للجو من تقلبات مستنداً الى ما لديهِ من مقدمات هي ستؤدي حتماً الى هذه النتائج

الا أن سبنغلر يقول لك في الرد على هذا اني قد درست التاريخ درساً دقيقاً وتعمقت في مباحثي التاريخية ورأيي أن لا شيء يحول بيني وبين التنبؤ بالمستقبل وحوادثهِ التي سيؤدي اليها حتماً التاريخ الماضي والحاضر وحوادثهما فاني أرى الحاضر بناظري وأزن حوادثهُ بعقلي واستخلص من ذلك كلهِ مقدمات اجعلها اساساً لتنبؤاتي عن المستقبل وأن نظري في هذا لا يخطىء وانما هو صائب كنظر الفلكي فيما يتعلق بالفلك وان التاريخ ليعيد نفسهُ كل يوم كما رأينا وسمعنا وكما سنرى وسنسمع !

ويسمي سبنغلر بحثه هذا بالعلاقة الوصفية وهو درس الماضي بقصد ترتيب النتائج المستقبلة على ضوء ما يعرف عن الاول . فأنك اذا درست مدنية من المدنيات وجب عليك ان تدرسها من مختلف نواحيها السياسية والعلمية والادبية والفلسفية والفنية ومن حيث رقيها المادي والصناعي والتجاري والخلقي. ومن هذا الدرس وبعد التمحيص والمقارنة بالمدنيات الأخرى يمكنك ان تستخلص فكرة عما سيؤول اليهِ أمر هذه المدنية من عمر طويل أو فشل وزوال . وقد كان الزوال نصيب المدنيات اليونانية والرومانية والاسلامية فلم لا يكون نصيب المدنية الاوربية كذلك

قد يكون سبنغلر صادقاً في نظريتهِ كما قد يكون خاطئاً فيها الا أنها نظرية على كل حال لها قيمتها التي تستحق من أجلها البحث وفعلاً قد تناولها في اوروبا كثير من العلماء وكتبوا عنها كثيراً من الكتب والمقالات

(١) ولد الفيلسوف سبنغلر في بلانكنبرغ من اعمال المانيا في [illegible] مايو سنة ١٨٨٠ وتلقى العلوم الرياضية والطبيعية في جامعات المانية مختلفة ولكنه كان في الوقت نفسه معنياً بدرس التاريخ والفن. فكان الجمع بين هذه المباحث المختلفة منشأ ما نرى في كتاباته من الاستشهاد بالعلوم الطبيعية آناً والمباحث التاريخية والفنية آناً آخر . ولما نال لقب دكتور في الفلسفة كان موضوع رسالته سنة ١٩٠٤ « فكرة ما وراء الطبيعة في فلسفة هيراقليطس » ثم قضى اربع سنوات (١٩٠٧ — ١٩١١) يدرس الفلسفة الطبيعية في مدرسة بهمبرج وضع في اثنائها اركان فكره الفلسفي الذي يدعو اليه واستقال سنة ١٩١١ من التدريس واكب على وضع كتابه المشهور الذي ترجم الى الانكليزية ونشر بها سنة ١٩٢٦ بعنوان « انحطاط الغرب » وهو الكتاب الذي يشار اليه في هذا المقال

بين ساخر يدعي أن القصد من الكتاب سياسي ليحمل الحلفاء على الرفق بالمانيا لئلا يكون اندثارها مقدمة لاندثار الحضارة نفسها. وجاد مؤيد لها يستند الى الأدلة التاريخية كما يستند الى الواقع في المدنية الاوربية اليوم. فاوربا تتناحر وهذا التناحر لا شك من اسس انحدار المدنية. والافكار في مختلف بلدان اوربا متجهة اتجاهاً ماديًّا صرفاً حتى ان المادية قد استولت على عقول القوم واحساسهم ومشاعرهم فهم لا يعون الا المادة ولا يفكرون الا بها ولا يسعون الا في سبيل الحصول عليها حتى لقد صار التزاحم عليها عظيماً ومن أجلها ترى التنافس في سبيل الاستعمار الذي قد ضاق نطاقهُ اليوم فمن الوجهة الاقتصادية تعتبر الحالة المتسلطة اليوم اسوأ ما وصلت اليهِ اوربا

أما مايدعيهِ الساسة من مكنة القضاءِ على نزعة الحروب فهذا ما لا يمكن التسليم بهِ لمن يزن الأمور بعيارها الصحيح. فالدول جميعاً تعمل على تقوية جيوشها وتزويدها بأحدث وسائل الدفاع. وعقول المخترعين والمفكرين تعمل ليل نهار على اختراع الوسائل الفتاكة كالمفرقعات وغازات السموم وها هي ذي الاختراعات تحتفظ بها وزارات الحربية في مختلف الدول. حتى المانيا تلك التي يقولون عنها أنها قد سرحت جيوشها وحرمت عليها التعبئة لديها اقوى الجيوش فهي تعمل اليوم على تكوين جيوش هي مثال الشجاعة والقوة تملأ نفوس رجالها الذين هم شباب اليوم وعدة المستقبل روح الحمية والحماسة وحب الانتقام. فهؤلاءِ الفتيان الالمان لا يكفون عن التمرن على الالعاب الرياضية حتى الفتيات منهم بشكل اقرب الى الحركات العسكرية منهُ الى الالعاب الرياضية العادية. وبعد هذا التطاحن والتنافس في سبيل المحافظة على الجيش الاقوى والوصول الى اشد الاختراعات فتكاً واعظمها هولاً يقول ساسة اوربا نحن نسعى لنزع السلاح ولما فيهِ ضمان السلام العالمي!

اما الحالة الخلقية المصرية فسواء كانت في اوربا او غير اوربا فانها وان لم تكن قد بلغت الحد الاقصى من التدهور والانحطاط فانها بالغة اياهُ عما قريب. وحينئذٍ تحقُّ على اوربا كلها سبنغلر ويتحقق نظرهُ فان الانحلال الخلقي سيكون ولا شك عاملاً قويًّا في اندثار المدنية الاوربية وتقويض اركانها ان قريباً او بعيداً

قد يذهب مدى الفكر البعيد بالانسان الى ان يفكر في تلك المدنية التي ستقوم على انقاض المدنية الاوربية حينذاك. هذا الذي يكون رجماً بالغيب حقّاً. لكنها قد تكون مدنية امريكية تقوم في ذلك العالم الجديد — والعوامل التي تساعد على ترجيح ذلك كثيرة — اهمها أن ذلك العالم يعمل في هدوء وسكينة لما فيهِ خير المدنية والانسانية!

عبد الفتاح حبيشه المحامي

خمسة في سيارة

١٠

اذا كان القارىء قد ملَّ الحديث الذي اتينا عليهِ في ما تقدم هذا الجزء من اجزاء المقتطف فليس اللوم على الراوي بل على طبيعة الاشياء . فالحديث الذي مرَّ كان حديثاً في قطار سكة حديدية داخل عربة ضمت اصحابنا الخمسة ضمًّا محكماً فلم يكن لهم مندوحة عن ان يتكلموا سواء اصابوا ام ضلّوا الصواب . وكان القطار هذا يسير بهم بين « برن » و « انترلاكن » وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب وبدأ برد الجبل ينعش اجساماً اضناها الحرّ

واقترب الركب من انترلاكن فصمتوا واخذوا ينظرون الى جبال سويسرا وبحيراتها فان هذه البلاد مشهورة كما يعلم الناس بما فيها من بحيرات وما يرتفع فيها من جبال

وحاذى القطار البحيرة الاولى التي الى يمين انترلاكن وهي تكاد تكون سوداء على خلاف البحيرة الثانية التي الى شمالها فانها زرقاء الى شيء من الاخضرار

وانترلاكن هذه جميلة لا نزاع في الامر ولكنها صغيرة لا تعدو ان تكون سوقاً واحدة مكتظة بالفنادق المكتظة هي الاخرى بمتكلمي الانكليزية والالمانية فهم عماد هذه الناحية من سويسرا وركن معاشها المكين

اما نكتة البلد ففي موقع في جبل بعيد لا يزال مكسوًّا بالثلوج صيفاً وشتاء يذهب اليهِ الراغب في سكة حديدية تخترق الثلوج ثم يصعد في سكة جبلية هي نفق شُقَّ من علٍ في الثلج فيسير يحيط بهِ الثلج من الجهات الاربع فاذا انتهى الى آخر المحطات اذا بهِ بآلة رافعة تصعده الى القمة حيث مطعم يأكل فيهِ ويشرب وميزان الحرارة هابط الى ما تحت الصفر . واسم هذا الجبل في لغتهم « الامرأة الشابة » (Jungfrau) . اما صاحبنا المصري فخالف اصول المجاملة الشرقية وقال لرهطه اذهبوا انتم الى هذه الثلوج اما انا فباقٍ في انترلاكن

وانك لا تدري ما الذي دعاهُ الى التخلف عن القوم . أَتعبٌ اضناهُ ام خوف البرد ام رغبة في مشاهدة انترلاكن كما يشاء ام اقتصاد لنفقة السكة الحديدية فانها باهظة لا معنى

لها ام هي كل هذه الاسباب ضمٌ بعضها الى البعض الآخر . ولكنهُ بقي فرأى من جمال انترلاكن ما لم يستطع صحبهُ ان يروهُ . ذلك انك اذا وقفت اين ما شئت منها ونظرت الى الجبال امامك رأيت منظراً يأخذ بمجامع القلوب . هذه الى اليمين جبال خضراء مما كستها الحراج والغابات وتلك الى الشمال جبال سوداء قاتمة مما تلبد عليها من الغيوم وفي الوسط « الامرأة الشابة » بيضاء لا بياض بعده . تحسبها في الوسط وهي بعيدة عما حولها بعداً شاسعاً اما الجبال الاخرى فقريبة منك كل القرب

فلما عاد الصحب من رحلتهم وقصّوا عليهِ حكاية الثلوج في « المرأة الشابة » واراهم هو ما تمتع بهِ نهاره قالوا انك كنت من الكاسبين .وعلم انهُ كان احكم منهم واعقل ولكنهُ اسرّها في نفسه ولم يبدها لهم

ومن اجمل ما في هذا البلد ايضاً بناء فخم يدعونهُ الكورسال وفي فرنسا كازينو. عمارته جميلة في وسط حديقة غناء ترى في ارضها ساعة كبيرة صنعت كلها من الازهار تدور عقاربها دوراناً كما تدور ادق الساعات السويسرية صنعة

وتساءل القوم هل يقيمون في انترلاكن يوماً آخر او يذهبون الى لوسرن

قال المصري بل نعجل الى لوسرن

الانكليزي — انك متبرم بسويسرا ولا تحلو لك الاقامة الا في فرنسا

المصري — لا ولكنني اعجب لقوم يتخذون لعاصمتهم اسماً هو « الدب » ويطلقون على جبل مكسوٍ بالثلج اسم « المرأة الشابة » ولله في خلقهِ شؤون

الافرنسية — اين هذا من جبال شاموني فهناك العظمة يتخللها اللطف. وهنا العظمة يسودها العنف

وعادوا الى القطار وقطارات السكك الحديدية في سويسرا خير قطارات العالم - ميممين لوسرن . فجاؤها والسماء تطش طشًّا خفيفاً والشمس لا يعلم لها وجه واليوم يوم احد يوم خرج بهِ كل من هبَّ ودب في لوسرن يتنزهون في بحيرتها . فضاقت مقاليد صاحبنا المصري وكان قد شبع من النظر الى البحيرات حتى ارتوى وكان قد ملَّ المطر حتى ابتلّ واشتاقت نفسهُ الشمسَ حتى الحرقة ، فكيف وهو سيمكث اسبوعاً متوالي الايام في بلدِ الشمس فيها منفيَّة والمغرب لا يحول

فاحفظتهُ هذه الحال فلبث نزر الحديث والقوم من حولهُ يضحكون مرحين

***

اما شهرة بحيرة لوسرن فقد طبق ذكرها الخافقين فهي بحيرة جميلة حقًّا. جميلة بنفسها

ان صحَّ هذا التعبير وجميلة بالجبال التي تحيط بها وهي جبال تكاد تكون سوداء ترتفع وتنحدر فجأة فتراها كأنها قدت الى جانب الماء قداً منتصباً وترى في اعاليها الفنادق تصل اليها بجميع اسباب المواصلات

ولكنها ليست بالبحيرة الضاحكة او الباسمة مثل البحيرات في فرنسا فلا تدري أكسبت العبوسة من سكانها ام اكتسبوها هم منها . ولم يكن من المقبول ان يزور القوم لوسرن ولا يطوفون ببحيرتها فركبوا فلكاً من هذه الافلاك التي تمخر دائرة حولها والناس يتزاحمون عليها بالمناكب ولكنك لا تكاد تسمع لهم صوتاً وهذا خير ما في خلق هؤلاء الناس . وجلسوا كما شاءت مقادير الازدحام متباعدين وانتبذ المصري مكاناً في مقدم السفينة اضاعهُ عن الرفاق وحانت منهُ التفاتة الى اليمين فاذا بجانبهِ رجل مديد القامة خلاسي اللون كهل كاد يطرق ابواب الشيخوخة يجيل نظره في الناس ثم يخرج من جيبهِ اشياء يتلمظ بها

فولاه صاحبنا ظهره وقال بعداً للقوم المجاورين. ولكنهُ ما لبث ان احس بيد ربّتت على كتفهِ وقائلٍ يقول اوحيداً انت هنا ؟ الا تشعر بشيء من الحنق على هؤلاء النصارى يمرحون ويسرحون في ايام احادهم ونحن تضيق بنا السبوت

فاجفل صاحبنا ونظر نظرة لو تجسمت لاردتهُ احتقاراً فتجاهلها الرجل . الست يهوديًّا . انا يهودي

المصري (في ضميره) قاتل الله الرجل . ما الذي جعله يهوّدني . اقبيح انا منظراً الى مثل هذا المقدار . وهل يُعدُّ اليهود بشعين ؟ لا . وماذا على ثيابي من آثار الذل ؟ واليهود قوم ذوو يسار يتفننون هندامهم . ومالي نفرت لهذه الشبهة وانا رجل افاخر بابتعادي عن التعصب جنسيًّا كان ام دينيًّا. حقاً لقد اخطأت الى الرجل فلأكفرنَّ عن ذنبي (متكلماً) عفواً ايها السيد فقد كنت ضايع الفكر متبرماً بهذا الطقس البارد. انا ابن عم لك من ارض الفراعنة وكل الناس عندي واحد من حيث الدين . وكأن اليهودي ارتاب في الجواب المبهم ولكنهُ يحب الكلام مهما ابتعد عنهُ المخاطب فاخذ يسرد تاريخ ابيهِ وامرأتهِ وتاريخ تجارتهِ الواسعة بين العراق واوربا ويقصُّ احاديث سياحاتهِ ونفقاتهِ الكثيرة في الفنادق وفي مسارح اللهو ومواطن السرور ثم يعرّج على ما اشتراه من حلي لامرأتهِ وما دفع ثمناً لبذلتهِ ولحذائهِ حتى ضاق صدر المصري ولا حيلة بهِ بالابتعاد عنهُ ولا طاقة لهُ ان يلقي بهِ في اعماق اليم .وقدر الله ووقفت الفلك في ميناء من موانئ البحيرة فتظاهر المصري بالنزول

اليهودي — هل من حاجة اصير فيها الى محبتك

المصري - شكراً والف شكر فاني ذاهب لملاقاة اصدقاء لي اضمهم واضاعوني

اليهودي — انا رهن اشارتك. تعال زرني في الفندق في لوسرن امتعك بما لا تعرفهُ فيها

فهرول صاحبنا غير مجيب ولجأ بعد لأي الى اصدقائهِ يقص عليهم حكاية ابن اسرائيل

ولما دار الفلك دورتهُ عادوا الى لوسرن ويمموا فندقهم وما لبثوا ان قرع لهم جرس العشاء فجلسوا الى مائدة اعدت لهم وما كادوا يهمّون بالطعام حتى لفت نظرهم حسناء تدخل القاعة بيضاء فتنة للناظرين يتبعها رجل تفرس بهِ صاحبنا المصري فاذا بهِ صاحب حديث الفلك ابن عمهِ الاسرائيلي

ولا تسل عما ساورهُ وقتئذٍ من شتى الافكار . فكم لعن نفسهُ ولام خالقهُ . كيف يضيق صدرهُ لرجل اسلفهُ الود فردّهُ ردًّا غليظاً ؟ وكم شفع سحر هذه الحسناء بسماجة ذلك البليد

وادار الاسرائيلي نظره محملقاً بالجالسين فلما رأى صاحبنا المصري هشَّ وبشَّ مسلّماً فسُرّي عن صاحبنا وغفر لصاحبهِ وقومهِ ذنوبهم

ولما تعشى القوم نهض الاسرائيلي عن مائدتهِ وتقدم الى اصحابنا فقام لهُ المصري مسلّماً وقدمهُ الى الرفاق فسبقهُ الرجل وسمى نفسهُ اسماً لم يلتقطوا من فتاته الا كلة ابراهيم . فكانوا اذا خاطبوهُ قالوا مسيو ابراهام اما صاحبنا المصري فدعاهُ ابا اسحاق . وجاءت السيدة وتعارف القوم فاذا بها زوجهُ ولم يكن اسمها ساره

واحتكر ابو اسحاق الحديث فكان اذا ذكر اللباس فكَّ ازرار صدارته واراك حرير قميصهِ مطنباً بالصنف وبالصنعة او اخرج ربط عنقه ومدها فرجةً للجالسين اما زوجهُ الصالحة فكانت رزينة صامتة لا تخرج بالصمت الى لا ولا الى نعم

ونهضت السيدتان الانكليزية والافرنسية معتذرتين بالتعب قاصدتين الى النوم اما فراراً من ثرثرة الرجل او حسداً من جمال المرأة وانفضَّ المجلس

حتى اذا كان النهار من اليوم التالي واجتمع الرفاق اعادوا ذكر ابي اسحاق حديثاً عريضاً للتندر وامتازت بهِ من بينهم السيدتان

سامي الجريديني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

ابالمقتطف تُقَيَّدُ العربية

الحاجة سبب الاشتقاق

الى حضرة المدير لمجلة المقتطف المحترم

تحية اياكم وتسليماً عليكم ، إني قرأت النقد الذي كتبهُ « عبد الرحيم محمود » الاستاذ حول كتاب « نظم العقيان» في الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين من مجلة المقتطف فوجدتهُ قد قيّد العربية بقيود الجمود في هـذا العصر عصر التطور والحرية . ولو لم يكن تقييده بمجلة المقتطف المشهورة بالتطور وخدمة العلم والعربية لما استوجب التفاتي هذا ، فالمؤمل من حضرتكم ان تنشروا ما يلي تحيتي وتقدمتي خدمةً للعربية وتمحيصاً للحق ولكم شكري :

١ — ان الاستاذ الناقد قد انكر ورود « المشاهير » جمعاً لهُ « مشهور » وليس ذلك صواباً لانهُ مسموع ومقيس .اما دليل السماع فما في قاموس « الاب انستاس ماري الكرملي » المستدرك على علماء اللغة وهو « ان المشاهير وردت جمعاً لمشهور فقد قال صاحب تاج العروس في مادة ق ب ب : ارباب الدواوين المشاهير .وقال في مادة : ع ش ا ما نصهُ « الاعشى : السبعة المشاهير » وذكر هو نفسهُ في نحو الآخر من شرح خطبة القاموس ما قال ابو زيد ونقله المجد الفيروزبادي ونصهُ « إذا جاوزت المشاهير من الافعال » ففسره بقوله« المشاهير جمع مشهور » وقال صاحب القاموس في شرحه« جذل الطعان » ما نصهُ « وجذل الطعان بالكسر لقب علقمة بن فراس من مشاهير العرب » وقال ابن سيده في المخصّص « ج ٦ ص ١٩٣ » ما نصهُ « من مشاهير فحول الخيل »

وقال الزمخشري « لم تستند إلى علماء نحارير ولا الى اعلام مشاهير » في « ارشاد الاريب لياقوت الحموي ج ٧ ص ١٥٠ » هذا ما نقلناهُ عن الاب المحترم بتصرف في التعبير. ونزيد عليهِ ما قالهُ ابن الطقطقي في كتابهِ « الفخري » ونصهُ « والفصل الثاني تكلمت فيهِ على دولةٍ دولة من مشاهير الدول » ص ٨ بالمطبعة الرحمانية بمصر » وهذا من بلغاء القرن السابع الهجريّ . والقارئ يرى ان الادلة التي قدمناها لا يمكن نقضها ولا يعروها شك ولا لبس

امّا الدليل القياسيّ فهو « ان كل اسم رابعهُ حرف مدّ يجمع كعصفور » أي بزيادة « الف » بعد الحرف الثاني وقلب حرف المدّ ياءً مثل « عصافير ومشاهير وحذافير ومحاضير ومصابيح » ولماذا تطبق القاعدة على « مفعال ومفعيل » ولا تطبق على « مفعول »؟ فمثل « ميثاق وميعاد ومخراق ومسكين ومحضير وملعون وميمون » لا تباين مثل « مشهور ومصروف ومسجون » لان الاعتداد بحرف المد الرابع لا غير ، قلت ذلك فضلاً عن كونهما مشتركة في ان اوائلهما ميمات فلم نقتل العربية وهي واسعة هذه السعة ؟

٢ — وفي ص ٤٥٧ قال الاستاذ « وفي الصفحة خ : مواضيع جمع موضوع والصواب: موضوعات لأنَّ مفردهُ خماسيّ لم يسمع لهُ جمع تكسير » وهذا القول خارج عن الصواب ايضاً لان هذا الجمع مسموع ولا يشذّ عن القاعدة التي اسسها العلماء . وفي قاموس الاب أنستاس « جاءت المواضيع مجموعة في مادة دور من التاج قال مؤلفه في شرح دارة مواضيع: كأنهُ جمع موضوع » وكاني بالاستاذ يريد ان يكون كل لفظ مسموعاً مع انهُ عالم بان اللفظ لا يسمع الاّ اذا قيل ولا يقال الاّ اذا احتيج اليهِ . فكيف نباح ان نريد من اسلافنا قولهم « ما لم يحتاجوا اليهِ » ؟ حتى يكون لنا سماعيًّا ؟ فما يؤثر « عن رؤبة بن العجاج » الشاعر المتوفى سنة ١٤٥ للهجرة انهُ « كان يبتدع من الكلم ما لم تقلهُ العرب ويوسع العربية بتصرف قياسيّ وكذلك كان ابوهُ » فتطوير اللغة واجب ومحيٍ لها

٣ — وقال في ص ٤٥٣ « ومقياس حروف عناوينهِ » و « مقياس حروف حواشيهِ » وفي ص ٤٥٦ « في فهرس دار كتب ليدن »

وفي قوله تتابع اضافات وهو من مرديات الفصاحة العربية فالصواب « ومقياس الحروف لعناوينهِ » و « مقياس الحروف لحواشيهِ » و « في فهرس دار الكتب لليدن » . قلت ذلك لان تتابع اضافات ثلاث على غرار قول الشاعر « حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي » ممنوع

٤ — وقال في ص ٤٥٣ ايضاً « فالفهرس الاول يتضمن التراجم حسب الشهرة » والفصيح المشهور ادخال الباء على حسب فتكون « بحسب »

٥ — وقال فيها « وغير خاف علينا ما لاقى واضع هذين الفهرسين من المتاعب الجمة لولا يد الصبر الجميل » وهذه الجملة سرّ من الاسرار لا يدرك معناهُ لان قولهُ « لولا يد الصبر الجميل » ينفي بمعناهُ « ما لاقاهُ واضع الفهرسين » وقوله « لاقى » يثبت المكابدة والمقاساة فقد يقال « كدت أتيه لولا محمود » والمعنى ظاهر لانني لم اته لوجود محمود ، و « لولا » حرف امتناع لوجود يوجب امتناع « ملاقاة الاتعاب الجمة » لوجود « يد الصبر الجميل » فما هذا التناقض ؟ فالصواب « ولولا يد الصبر الجميل لما نال بغيتهُ »

٦ — وقال في ص ٤٥٥ « ليلاحظها العلماء والادباء فيعملوا على اجتنابها » والملاحظة إن جازت في غير هذا الموضع فانها ههنا لا تجوز ، ذلك بانها خاصة بالامر المحبوب اذا كانت بمعنى « المراعاة » وقد تكون مفاعلة من اللحظ وذلك غير مقصود لان الاشياء المذكورة يلحظها الانسان ولا تلحظهُ . فكيف يقال « ليراعيها العلماء والادباء فيعملوا على اجتنابها » ؟ وما معنى المراعاة ؟ فالصواب « ليتنبّه عليها العلماء والادباء فيعملوا على اجتنابها »

٧ — وقال فيها أيضاً « لأنها منقولة من النسخة التيمورية بغير دقة تامة » مريداً بقولهِ « بدقة غير تامة » وهو مخطئ لأن قولهُ « بغير دقة تامة » جحد للدقة كلها فلا فائدة في اضافة « تامة » أو « ناقصة » . قلت ذلك لان « غيراً » إذا أُضيفت إلى نكرة جحدتها كلها لان النكرة تخص كل جنسها ولكنها اذا اضيفت الى معرفة « كان المجحود معيَّناً » فاذا قلت « خاطبني غير واحد » جحدت الواحد كله فما الفائدة في إضافتك على « غير واحد » لفظة « عاقل » فتكون الجملة « خاطبني غير واحد عاقل » والجحد شامل العموم ؟ ألا ترى قولهُ تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » جحد كل باغ وعادٍ لأن معنى غير « لا » وتقديره « لا باغياً ولا عادياً »

٨ — وقال في ص ٤٥٥ « والصواب أنني بدل أنيّ » فاقول ! والصواب « . . . أنني بدلاً من أنيّ » لان « بدلاً » حال لا يجوز أن تكون معرفة وهي ههنا معرفة أما ورودها شذوذاً فلم يجعله العلماء مقيساً لأفساده العربية واشتباه الحال بالبدل

٩ — وقال « أما الأصلاح بتغيير بعض كلماتهِ بغيرها تتفق هي والوزن مع المحافظة على المعنى ذاته فغير جائز » قلت أراد بالتغيير ههنا « التبديل » فلزمهُ أن يعدّى « التغيير » كتعدّي « التبديل » وذلك بأن يدخل الباء على المبدل منه وينصب المبدل كما قال تعالى

« وبدلنام بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمطٍ » فالصواب « بتغييره ببعض كلماته غيرها »
ولولا هذا لفسد قوله أما تأكيده المعنى بـ « ذات » فليس فصيحاً . فالصواب « على المعنى
بعينه أو عينه أو بنفسه أو نفسه »

١٠ — وقال في ص ٤٥٦ « وربما سرى الى ذهن الناسخ » والصواب « ربما تبادر
ذهن الناسخ » . . أنّ الباء » أو « ربما سار الى ذهن الناسخ . . » لأن « السرى »
خاص بالليل وهو القائل في ص ٣٧٨ « السرى السير بالليل » و « سرى » من السرى
لا من السير

١١ — وقال وفي الصفحة لفظة « يستنتج » وهو خطأ لان صيغة استفعل ليست
قياسيّـة فورود نتج في اللغة وأنتج لا يقتضي صحة « استنتج » والصواب : يستنبط بدل يستنتج
وما ادري من أين نقل صاحب المنجد « استنتج » وكذلك يستلفت التي في الصفحة ط والصواب
« يلفت أو يوجّه » اهـ . قلت ان انكاره ورود « استنتج » وتخطئتهُ من قالها واستجهاله
صاحب المنجد خطأ منهُ لان الاب انستاس قد استدرك على العلماء « استنتج » ووجدها
في قول الحريري في المقامة السادسة عشرة المغربية « فتداعينا الى ان نستنتج لهُ الافكار
ونفترح منهُ الابكار » وهذا دليل ناطق . أما قوله « لان صيغة استفعل ليست قياسيّـة »
فغير مقبول ومرغوب عنهُ لانها مقيسة في مالم يسمع له « استفعل » بحكم التطور والحاجة
فكيف صاغ قدماؤنا الكثير ونحن لا نصوغ ؟ ولعل ازلت اللغة وحياً مرة واحدة حتى
يمنع القياس « انهم احتاجوا فصاغوا ونحن نصوغ عند الاحتياج » وليس ما ذكره العلماء
في كتب اللغة حاصراً للغة كلها حتى يثق الانسان ثقة الاستاذ بتخطئتهُ لصاحب الدكتوراه
والغريب انهُ أصلح « يستلفت » بـ « يلفت ويوجه » فارتكب غلطين اولهما استعماله « أو »
في موضع « أي » المفسرة بالترادف اللفظيّ مرةً والمعنويّ آونة فالصواب « يلفت أي
يوجه » والآخر جعلهُ « يلفت » بمعنى « يستلفت » وشتان ماهما لان الهمزة والسين
والتاء في يستلفت تدل على الطلب وقولهم « يطلب الالتفات » ليس معناه « الالتفات »
ولا « اللفت » فالعربية محتاجة الى « استلفت » كل الاحتياج كما احتاجت الى « استجوب »
و « تضامن » و « تزاعم » و « تنجلز » و « تفرنسَ » فتعاورتها الالسن واليراع

١٢ — وقال « وفي الصفحة س وتطورها في رأس السيوطي خطأ لان العرب لم تشتق
من الطور « تطوّر » والصواب ان يقال « وانتقالها من طور الى طور » قلت ان المولدين
احتاجوا إلى التطوير والتطوُّر فاشتقوهما من الاسم ومن ذلك قول الشعراني في الطبقات
« كان الشيخ حسين من كمّـل العارفين واصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطوّرات »

اه . وكيف جاز لأسلافنا ان اشتقوا « استنوق » من الناقة « واستجمل » من الجمل ولا نصوغ « تطور » من الطور و « استحمر » من الحمار وهل سبب الاشتقاق إلا الحاجة ؟

١٣ — وقال « الاصولي في الصفحة العاشرة خطأ والصواب : الاصلي ، لانك تنسب للواحد اذا اردت النسب الى الجمع » قلت ان الصواب « الاصولي » لا الاصلي لان هذا الجمع « مسمى بهِ » وليس المراد النسبة الى كل اصل في الدنيا . وما سمي بهِ فينسب اليهِ على لفظه لئلا يخفى الاسم فقد قالوا « ثوب معافري » و « رجل انماري وكلابي واوزاعيّ واصوليّ واخباريّ » والجمع هنا يجري مجرى المفرد . وكيف خفي ذلك على الاستاذ ؟ فقد ذكره العلماء . قال ابن عقيل في شرحهِ « اذا نسب جمع باق على جمعيتهِ جيء بواحدة ونسب اليهِ ..... هذا ان لم يكن جارياً مجرى العلم فان جرى مجراهُ كانصار نسب اليهِ على لفظهِ فتقول في انصار انصاريّ وان كان علماً فتقول في انمار انماري » اه

١٤ — وقال الاستاذ « وفي الصفحة ٦٤ : وقال في مليحة لابسة ثوب خمري . والصواب : لابسة ثوباً خمرياً » ولم يذكر دليلاً على تصويبه

والحقيقة ان ما قالهُ المنقود صواب لان « اسم الفاعل » المجرد من ال والاضافة قد أعملوهُ لملابستهِ الفعل المضارع فيعمل « لابسة » اذا كان بمعنى « تلبس » في الحال والاستقبال . ولكون المرأة قد « لبست » ثوبها في الماضي وصح اسناد اللبس اليها أضاف الدكتور اسم الفاعل الى معمولهِ وذلك صريح الفصيح ورأي الجمهور فما دليل الاستاذ على صواب تصويبهِ ؟

١٥ — وقال « فالواجب ذكرها مثل ما فعل المؤلف والناشر كما هي » والصواب كما هي عليهِ » لان هي تحتاج إلى خبر هو الجار والمجرور أو متعلقهما

١٦ — وقال في ص ٣٨٦ « ومروج الاندلس الخضراء . في أيامها البيضاء » والصواب « مروج الاندلس الخضر في أيامها البيض » لان السلف لا ينعتون بأفعل وفعلاء المفردين اذا كان المنعوت جمعاً بل يجمعون النعت جمعاً مطرداً فكما لا يقال « المؤمنون الابيض كذلك لا يقال « المؤمنات البيضاء » وكل من خالف هذا فقد أخطأ . قال ابو العباس المبرد في الكامل « ج ١ ص ٣٩ » ما نصه « فان اردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سودٍ وبخيل دهم وكل ما اشبه هذا فهذا مجراهُ » ا ه

١٧ — وقال في ص ٣٨٧ حول قول لبيد « بصبوح صافيةٍ وجوب كرينة تأتاله

ابهامها» ما نصه «الصبوح بفتح الصاد المشدّدة شرب الخمر في الصباح» فقوله «المشددة» حشو لا فائدة فيهِ لان الصاد لا يجوز ههنا تخفيفها فضلاً عن انهُ غير ممكن لان الصاد حرف شمسيّ وقوله «شرب الخمر» يدل على انهُ مصدر وليس كذلك لانهُ اسم لما يشرب في الصباح ألم يرَ قول الشاعر «صافية» فكيف يصف المصدر بصافية ؟

١٨ — وقال في ص ٤٥٦ «وربما سرى الى ذهن الناسخ أو الطابع أن الياء يجب ان تحذف من «تستغن» لانهُ مجزوم في جواب الامر . وهذا وهم فان المضارع يقع مجزوماً في جواب الامر جوازاً لا وجوباً» قلت ان الظاهر «ان الجزم واجب لاجائز» ومنهُ: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قال المبرد في الكامل «ج ا ص ٢٠١» ما نصه وقوله: فيا قوم هل من حيلة تعرفونها. موضع تعرفونها «خفض» لانه نعت للحيلة وليس بجواب ولو كان ههنا شرط يوجب جواباً «لانجزم[1]» تقول ائتني بدابةٍ اركبها أي بدابة مركوبة فاذا أردت معنى «فانك ان اتيتني بدابة ركبتها» قلت «اركبها[2]» لأنهُ جواب الامر كما ان الاول جواب الاستفهام وفي القرآن «خذ . . .» وفي الجواب «فذرهم يخوضوا ويلعبوا» أي «ان تركوا خاضوا ولعبوا» فالجزم بالطلب واجب على ما ذكرهُ المبرد وكل فعل لم يجزم بجواب الامر فليس المراد بهِ الجواب بل إما الوصف وإما الحال فالوصف مثل «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» أي مطهرة لهم وكذلك «انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً» أي كائنة لنا عيداً والحال مثل «فذرهم في خوضهم يلعبون» . فهذا ما استوجب الحق ذكره والله الموفق للصواب

العراق — الكاظمية

مصطفى جواد

المعلّم في وزارة المعارف العراقية

[المقتطف] نحن معكم على ان اللغة العربية يجب الاَّ تتقيّد بما ذكر في معاجمها التي وضعت قديماً وبما ورد على السنة العرب فقط في القرون الاولى وان سنة الارتقاء تقضي باشتقاق الفاظ جديدة للاعراب عن المسمّيات الجديدة والمعاني الجديدة وان الحاجة سبب الاشتقاق. وهذه هي الخطة التي جرى عليها المرحوم الدكتور صروف منشيء المقتطف وحبّذنا اقرار مبدئها في الكلام على المجمع اللغوي المصري الذي ينتظر انشاؤهُ قريباً

---

(١) قوله «لانجزم» يفيد القارئ وجوب الجزم أبداً (٢) أراد «جزم الفعل»

باب الزراعة والاقتصاد

الدكتور صروف وفن الزراعة

منذ بضع وخمسين سنة كانت الزراعة عندنا كقواعد تقليدية يتوارثها الخلف عن السلف بما يغشاها من الابهام والاوهام — والزعم منتشر بين الناس انها ليست من الفنون التي تستدعي سعة في العلم والادراك والعاملون لها وفيها هم جمهور اهل الريف بوسائلهم المحدودة بفقرهم وجهلهم وَضَعَتِهِمْ . وكان لفظ الفلاحة مِهِنتهم من الفاظ التحقير — وكان الخاصة ومن اليهم لا يرون الفضل الا في وظيفة تُقلد او مقامة تجبُر وما أشبه

حينذاك ظهر المقتطف فأخذ المرحوم الدكتور صروف يبين أهمية الزراعة لحياة الامم ورقيها ورخائها وما تقتضيهِ من علم وجهد وذكاء ويذيع أصح مسائلها ووسائلها بما يترجمهُ عن الكتب والمجلات الاوروبية وما يتفق عليهِ بنفسهِ اثناء اشرافهِ على مزارعهِ ومباحثاتهِ لخاصة الزراع وما يعرفهُ ذوو النباهة والانتباه منهم ويدونونه اجابة في الاكثر لطلبهِ منهم وبذلك صار باب الزراعة في المقتطف خير مرجع يرجع اليهِ في استقصاء حقائقها ودقائقها العلمية والعملية ومعرفة تطوراتها منذ كانت هذه التطورات مبنية في الاكثر على الابحاث الكيمائية منذ عهده الاول حيث لا كتب عربية فيها (الاَّ ما جاء في الجزء الاول من كتاب ندى بك) ثم على الابحاث البكتيرية بعدُ حتى ان اول كتاب عربي في هذه نشر اولاً في المقتطف

خذ اي عدد من اعداد المقتطف منذ صدوره تجد « الاَّ في الاقل الاندر » باب الزراعة حافلاً بالابحاث الزراعية على اختلاف فنونها ومتعلقاتها حتى صار ما نشر فيهِ الى الآن خير موسوعة تفي بحاجة الزراع من كل وجه ومنذ بضعة عشر عاماً اقتبس المرحوم راجي بك مفتش الخاصة الخديوية حينذاك من بعض مجلدات المقتطف كتاباً أسماهُ الارشادات كان قسم الزراعة من اكبر اقسامهِ

كان لي حظ الاستفادة من قراءة المقتطف بنظام واستمرار وكتابة بعض الابحاث الزراعية فيهِ والاتصال بفقيدنا المرحوم ، منذ ١٩ عاماً كما كان لي حظ الاطلاع على بعض مجلدات منشورة من قبل فلم استفد مثل استفادتي من ابحاثهِ معرفة واسلوباً ولو جمع ما اطلعت عليهِ فيهِ لكان خير كتاب في — انواع الارض ومراتبها وطباقها وتركيبها الميكانيكي

والكيماوي والحيوي ودورتها الزراعية — انواع الاسمدة والمقادير المناسبة منها لانواع الارض والزراعات — قواعد الفلاحة الاساسية كالري والصرف والحرث والعزق والحصد الخ — التقاوي بانواعها وصفاتها الجيدة والرديئة وانتخابها وتأصيلها الخ فلاحة المزروعات من أهمها واكثرها شيوعاً كالقطن والقمح والذرة الى ادناها في ذلك كالتيل والدنيبة — فلاحة بساتين الخضروات والفاكهة والازهار وزراعة الاشجار (والنباتات) الآلات الزراعية — الحشرات — الحيوانات والطيور الزراعية — صناعة اللبن — المعارض الزراعية — نتائج الاختبارات والتجارب في الغيطان والمعامل المصرية والاجنبية خلاصات منتخبة من المحاضرات والمباحث والتقارير الفنية — الانتاج الزراعي واحصاؤُهُ في مصر وممالك اوربا المختلفة الخ الخ الخ

وقد كان المرحوم لا ينشر شيئاً من كل ذلك الا بعد أن يتفهم ويتبين الفائدة من نشره ويصوغهُ باسلوبهِ الفصيح ويبسطهُ بطريقتهِ البديعة

ان شيوع هذه الابحاث في كل مجلدات المقتطف بل في كل اعداده لا في باب الزراعة وحده بل وفي المقالات الرئيسية وباب المراسلة والمناظرة وباب المسائل ايضاً يُغنيني عن الاشارة الى نمر المجلدات والاعداد والصفحات فليتناول القارىء بعضها فيجد فيهِ شواهد ما اقول ماثلة بابلغ بيان وأصدقه ومع ذلك فسآتي على امثلة مختصرة فيها وان هي الاّ قطرة من بحر

قال من مقالة بعنوان التجارب الزراعية : وصل ارباب الزراعة بالاختبار الى قواعد عمومية عرفوا ان الجري عليها يفيد الزراعة ويجيد المحصول وأنَّ الحيد عنها لا يفيد فعرفوا مثلاً ان محصول الارض المحروثة او المسمدة اكثر من محصول الارض التي لم تحرث او لم تسمد ولكنهم لم يعرفوا للآن كل الاسباب التي تجيد المحصول او تضعفهُ فالارض الواحدة يبلغ محصول الفدان فيها في سنة ٧ قناطير قطناً مثلاً ولا يبلغ في غيرها ٤ قناطير . وطينان متماثلان في كل شيء حسب الظاهر ومحصول الفدان من احدهما قد يكون ١٥ اردبًّا من الذرة ولا يبلغ من الآخر ٥ ارادب

ومعلوم ان الاسباب الواحدة تنتج نتائج واحدة دائماً فاذا اختلفت النتائج فلا بد من اختلاف في الاسباب ولا يعرف هذا الاختلاف الاَّ بالتجارب الدقيقة المتوالية والفلاح الواحد لا يستطيع وحده عمل هذه التجارب ولا هو دقيق النظر والمراقبة حتى يحفظ نتائج سنة واسبابها ويقارنها بنتائج اخرى واسبابها ولا هو متعلم حتى يعلّق النتائج باسبابها الحقيقية لا باسباب وهمية ولكن الحكومة هي التي يمكنها عمل التجارب الخ

ومن مقالة بعنوان الاسلوب العرفي والاسلوب العلمي

الاسلوب العرفي وهو مبني على الاختبار الزراعي وهذا الاسلوب ليس وقتيًا ولا ينتظر ان تكون نتائجهُ واحدة دائماً ويكفي فيهِ ان تأتي النتائج متقاربة او ان تماثل اكثر مما تماثل بالمصادفة — وعليهِ اعتماد الزراع المصريين وغيرهم و نتائجهُ كبيرة جداً فان الفلاح الذي استفاد أحسن من هذا العرف يستغل من ارضهِ ضعف من لم يستفد منهُ استفادتهُ ونفذه تنفيذه

والاسلوب العلمي يجب ان يكون ادق وانفع من الاسلوب العرفي ولكن لا يزال الاعتماد على الاسلوب العرفي فالفلاحون عمليون يجرون على طُرُق ألفوها فصارت فيهم من البديهيات التي لا يعرفون سببها وتراهم يقدرون نتيجة عملهم قبلما يصلون اليها فتجيء النتيجة قريبة مما قدروا وهذا لا يستطيعهُ رجال العلم والامل بالنجاح في المستقبل يتوقف على الجمع بين هذين الاسلوبين معاً ولذلك ترى المباحث العلمية في الزراعة قد انبثت في كل التجارب الزراعية فزادت قيمتها العملية الخ

ومن آرائهِ في توزيع ماء الري

اما القطر المصري فاعتماده كله على ماء الري واطيانهُ ضيقة يخص النفس من سكانهِ اقل من نصف فدان فاذا اخطأ مقسمو ماء الري حتى زاد على بعض الاطيان او قل عن حاجتها قلَّ بهِ محصولها وساءت حال اصحابها لانهُ ليس لهم مورد رزق آخر يعتمدون عليهِ

ويخطىء من يظن ان ماء الري يعطى لاصحاب الاطيان مجاناً كأنهُ هبة من الحكومة لهم تتصرف فيها كيفما تشاء وانما هو بضاعة مشتراة بثمن غال لان متوسط مال الفدان في القطر المصري مائة قرش في السنة وهذه الضريبة الفاحشة التي لا مثيل لها في بلد آخر اكثرها ثمن ماء الري الذي يروى بهِ ذلك الفدان . وكان الواجب ان توزع مياه الري على الاطيان حسب الضرائب ولكن اذا كان الماء الذي يصل الى اطيان مربوط الفدان منها ١٥٠ قرشاً في السنة كافياً لتلك الاطيان فلا داعي لزيادتهِ . واذا كان الماء كافياً لري الاطيان الزراعية والاطيان البور واصلاحها فلا موجب لمنع هذه الزيادة عن هذه الاطيان لاصلاحها لان الاطيان الزراعية في غنى عنها . ولكن ان كان ماء ترعة لا يكفي لري الاطيان المربوطة بالمال ولري الاطيان البور المعفاة من الضرائب فالعدل يقضي بان تروى الاطيان المزروعة اولاً ولا تروى الاطيان البور الاَّ مما يفيض عن الاطيان المزروعة وهذا ما يفعلهُ كل مالك في هذا القطر باطيانه ولكن لا يفعلهُ رجال الري الذين لا يريدون ان يتعبوا انفسهم او يعكروا مزاجهم او يغيروا كلمة قالوها الخ

لها بقية — احمد الالفي

الاسمدة الكماوية الصناعية

ومقامها اليوم في الزراعة العالمية

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

نشرتم في عدد شهر فبراير الماضي من مقتطفكم الأغر فصلاً في باب الزراعة والاقتصاد عن نترات الصودا الشيلية . وهي نوع من انواع الاسمدة كان اكثر استعمالها في تسميد الزراعات ولكنها ليست الوحدة الآن بل ان ما ظهر من الاسمدة الصناعية وخصوصاً في الجيل الاخير اوجد لها متسعاً في الزراعة العالمية رأيت للالمام بهِ ولاتمام مقالة نترات الصودا ان اوافي المقتطف الاغر بسلسلة من المقالات أتكلم فيها عن تاريخ الاسمدة الصناعية وانتشارها مع بيان عن مقادير انتاجها ومحلات انفاقها فتجيء مكملة لبحث علمي يشتاق الكثيرون للاطلاع عليهِ . وبالاخص في هذا القطر السعيد الذي عمد زرّاعهُ الى استعمال الاسمدة عامة في تسميد زراعاتهم ووجدوا منها الفائدة المرغوبة

انما نذكر ما استهدف العالم اليهِ من مخاوف على أثر نمو سكانهِ عاماً بعد عام مما اهاب بالمشتغلين في البحث بالامور المعاشية اذ خافوا ان يأتي يوم خصوصاً على بعض الاصقاع الآهلة المزدحمة بالسكان فلا يفي انتاجها الزراعي بحاجة اهلها من الغذاء والطعام فوجهوا اهتمامهم الى تلافي ما يمكن وقوعهُ من علة الانتاج مما يؤدي الى قحط تحل بعدهُ مجاعة عالمية تكون القاضية على عمرانهِ او دافعة الى الثورة والفوضى بين سكانهِ فتفتك بالهيئة الاجتماعية وتهدم ما قام من مدنيات .فلم يجدوا وسيلة اوفى من البحث في زيادة الانتاج ليكون نسبيًّا مع زيادة السكان خصوصاً في البلاد التي ضاقت ارضها عن حاجة سكانها ولم يعد في الامكان اتباع نظم الزراعة القديمة في زراعتها من اراحة الأرض لتعوض العناصر التي فقدتها من الاجهاد في الزراعة المتوالية

ثم ان الفلاح لم تفتهُ معرفة وجوب تموين الأرض بالمواد التي تعوض عناصرها المفقودة بعد كل زراعة فكان يستعمل في تسميدها مخلفات المواد العضوية كالسماد الطبيعي المؤلف من روث البهائم . لكن لما كانت هذه لا تكفي وحدها بعد الذي قلناه عن تكاثر السكان — لسد الحاجة الماسة— عمد كثيرون الى البحث عن مواد أخرى تساعد مساعدتها وتأتي بفائدتها . وقد كان في مقدمة الباحثين في هذا الموضوع الهام في منتصف القرن الماضي الاساتذه ليبج ولاوز وجلبرت Liebig, Lawes, Gilbert فقرروا بعد البحث والتدقيق مبادىء تغذية النبات اصطناعيًّا من الوجهة العامة واثبتوا

أن التسميد لا ينتج نتائجهُ المفيدة الاَّ اذا جمع العناصر المغذية الثلاثة الاصلية اي الآزوت (النتروجين) والحامض الفصفوريك والبوتاس وان يكون استعمالها على نسب صالحة وبشرط توافر الكلس (اي الجير) في الارض

ولكن ما قررهُ العلماء المذكورون بصورة علمية واضحة ماكان ليفوت المشتغلين بالزراعة علمه. فالفلاحون منذ القديم عمدوا الى استعمال الاسمدة الطبيعية المؤلفة من روث البهائم أو من المخلفات العضوية حتى أنهم استعملوا الجوانو الذي يحتوي بخلاف الآزوت على الحامض الفصفوريك ثم استعملوا أخيراً نترات الصودا الشيلية كسماد آزوتي بالنظر الى أهمية الآزوت في التسميد بين العناصر المذكورة . ولكن لم يطل المطال طويلا حتى بوغت العالم في أواخر الجيل الماضي أيضاً بتركيب غاز النوشادر المستخرج من رجيع الفحم الحجري مع الحامض الكبريتيك واستعماله في سماد ملح (سلفات) النوشادر حتى بلغت المقطوعية منهُ مقادير كبيرة استعملوها سماداً في اواخر الجيل المنصرم فنافس نترات الصودا منافسة كبيرة

الاَّ ان الهمة المنصرفة الى ايجاد الاسمدة للحاجة اليها كما أوضحنا لم تقف عند حد صنع ملح النوشادر المتقدم الذكر بل ان العالم فوجيء في عام سنة ١٩٠٣ باكتشاف اهم جاء عن اختراع بركلند — وايدى — بصنع اول سماد آزوتي اي نترات الجير النروجي المحتوي على الآزوت بشكل نترات الكلسيوم وعقبهُ بعد قليل اكتشاف فرانك وكارو لطريقة تثبيت الآزوت من الهواء في كاربور الكلسيوم با نتاج السياناميد الذي يحتوي على الآزوت بشكل السياناميدي

ولكن كل ما تقدم من اكتشاف واختراع لم ينل ما نالتهُ طريقة هابر — وبوش من التفوق والنجاح في ترقية صنع الاسمدة الكيماوية لانهم وصلوا بها الى تركيب الآزوت الجوي مع الهيدروجين وما يستخرج عنها من النوشادر فكانت الرابطة لصنع سلفات النوشادر والاسمدة الكثيرة الاخرى التي تحتوي على الآزوت بشكل نوشادري فرنيركي او اميديكي فكان الفضل في هذا الرقي الصناعي لطريقة العالمين المذكورين . وكان احدهما الاستاذ هابر ضيف مصر في هذا الشتاء . فالآن وقد اجملنا تاريخ الاسمدة من وجهة الاستعمال وطريقة الانتاج لانرى بدًّا من التحدث عن انتشار هذه الاسمدة الآزوتية الكيماوية التي تنافس نترات الصودا منافسة شديدة . وان نبين بذلك مقادير ما يستهلك منها في كل عام لنؤيد بالارقام ما صادفت من اقبال وما عادت بهِ من فوائد على العالم اجمع ولاستيفائها حقها من الايضاح سنعود الى تبيانها بالعدد التالي من المقتطف الاغر

ثابت ثابت

الشكاوى المتعلقة بتجارة الارز المصري

اجمع التجار في كل الاسواق الخارجية على سوء معاملة المصدرين المصريين

اولا — من حيث عدم مطابقة العينات للبضاعة فالعينات دائماً منتقاة خالية من العيوب اما البضاعة فملوءة بالاقذار منحطة النوع

ثانياً — عدم وصول البضاعة في المواعيد المتفق عليها وهذا من اسوأ ما يضر بمصالح التجار فقد جرت العادة ان يحدد التاجر موعد وصول البضاعة في انسب الاوقات لتصريفها واذا تأخرت عن موعدها اصبحت عديمة الفائدة

وقد يكون من السهل في كلتا الحالتين ان يلجأ التاجر الى القضاء او التحكيم وهو يجد من غير شك انصافاً ولكن هذا لا يهمهُ بجانب اعتصاب زبائنه ومعامليهِ الذين يكون قد ارتبط معهم بناء على الموعد الذي حدده مع التاجر المصري او العينة التي اتفق معهُ عليها

والمسؤول عن هذا في الغالب عناصر غير مصرية

فسوق التصدير مع الاسعار في الارز وغيرهِ — في ايدي الاجانب ومنهم الذين لا يهمهم مصلحة مصر او حاصلاتها بقدر ما تهمهم مصالحهم الخاصة . وما دام الربح ميسوراً ولو من غير طريقهِ الشرعي فهم يرحبون بهِ . وسواء اغضب المستورد ام رضي فكل ما يريدهُ هو قبض ثمن الصفقة

ولا سبيل لمعالجة هذه الحالة الا بان يتقدم اصحاب مضارب الارز انفسهم الى ميدان التجارة الخارجية وان يعملوا على عرض عيناتهم على التجار هناك مباشرة وان يبذلوا اقصى جهدهم في ايجاد سوق للارز الذي يصنعونهُ بانفسهم

ان صناع الارز هنا هم تجار ولست ادري ما الذي يمنعهم من الاشتغال بالتصدير سوى عدم الاقدام والجرأة . ووجود قناصل لمصر في الخارج من اكبر المشجعات

ومن الغريب ان تتفق شكاوى جميع مستوردي الارز في كل الاقطار على سوء المعاملة مع تجار مصر وان تكون كلمتهم واحدة فبينما يذكر تاجر في هل « Hull » في بريطانيا هذه الحقائق المفجعة اذا بآخر في هامبورج يعدد وقائع معينة من النوع نفسهِ تتردد صداها حتى في تركيا وسورية . على انهُ اذا اهتمت الحكومة بمراقبة الصادرات ومنعت الارز ذا الحبات المعطوبة والكسر خفَّت الشكوى من رداءة الصنف وبقيت مسألة المواعيد وهذه لاعلاج لها الا بتعليم الناس قصيري النظر الذين يخسرون تجارة رابحة بسبب اهمال في الموعد

وهم يعتذرون بعدم انتظام الشحن في سكك الحديد ولكن هـذا العذر واه جداً في

نظرنا لان التاجر ما دام مرتبطاً بعقود فيجب ان يفكر فيها قبل حلولها بزمن كاف

عدم انتظام معدلات وزن الارز في مصر

يكون بحثنا هـذا غير واف اذا لم نشر الى مسألة فريدة في بابها فان كل المحاصيل المصرية الآن لها وزن ثابت مقرر ما عدا الارز فان اوزانه تختلف في كل مديرية عن غيرها . وانهُ لمن اكبر عيوب التجارة ان تشتري الاردب فيصلك من رشيد زنة ٢٩٣ كيلو جراماً بينما تشتري اردباً من دمياط فيصلك ١١٦ كيلو جراماً

ولبيان هذه الفوضى نورد هنا البيان الآتي

الوحدة	المديريات المستعملة بها	نسبتها للوحدات الاخرى	الوزن بالكيلو
الارز الشعير			
الضربية	جميع المديريات	٣٫٢ اردب رشيدي ٨ « صغير	٩٣٤٫٥٠
الاردب الكبير	البحيرة والغربية في المناطق المجاورة لرشيد	٢٫٥ « « ٣٠ كيلة	٢٩٢٫٥٠
الاردب الصغير	الدقهلية والشرقية والفيوم	٤ر. من الاردب الكبير ١٢ كيلة	١١٦٫٨٠
الارز الابيض			
الاردب		١٥٦ اقة	١٩٥
الفرد			٤٨٫٥

ويلاحظ ان الاردب الابيض في رشيد يزن ١٦٢ اقة

فاي شخص يمكن ان يتصور مثل هذه الفوضى في المعاملات الخاصة بمحصول واحد !!

ان الاردب محدد بقانون نمرة ٩ لسنة ١٩١٤ بانهُ كيل يعادل ١٩٨ لتراً وهـذا لا يمكن ان يزيد من الارز الا من ١٠٥ — ١١٥ كيلو فقط حسب الصنف وهو قريب من الاردب الصغير

اما الاردب الرشيدي فلا يمكن ان يطلق عليه اسم اردب الا تساهلاً لان هذا يخرق القانون الذي يحدد المقاييس وهو الذي يجب اتباعهُ واحترامهُ في مصر

ولا سبيل لاصلاح هذه الحالة الاَّ بتحديد معدَّل واحد لمقاييس الارز واجب الاتباع في القطر كلهِ

وقد رأت احدى اللجان الرسمية التي تعرَّضت للموضوع جعل الضريبة اساساً للمعاملات على ان يكون وزنها معادلاً للطن وما دامت الضريبة كلة اصطلاحية وليست محددة لاي قانون فان المقاييس التي يمكن ان تكون اكثر ملاءمة هي

الضريبة = طن = ٨٠٠ اقة = ١٠٠٠ كيلو = ٢٢٠٠ رطل

والضريبة الآن ثمانية ارادب صغيرة فيكون وزن الاردب ١٢٥ كيلو او ١٠٠ اقة وهو يوازي (الكنتال) المستعمل في اوربا

اما اصرار رشيد على اتباع نظام الاردب الكبير فالطريقة للتوفيق بينهُ وبين هذه الحالة هو ان يكون الاردب الكبير ضعفي الاردب الصغير على نظام ضعف (الكنتال) ٢٥٠ كيلو او ٢٠٠ اقة

اما الارز الابيض فيباع بالفرد الذي يساوي ٥٠ اقة على ان يكون الجوال ١٠٠ اقة وهو النظام الحالي . وهذا يحتاج الى قانون ولكن التعجيل بهِ ضروري جدًّا

مكافأة المصدرين

بقيت مسألة رأينا ان نذكرها هنا اتماماً للبحث وهي ان الحكومات جرت على سنة تشجيع المصدرين بمكافآت مالية معروفة باسم Primes d'Exportation وهذه المكافآت المالية تساعد المصدر على تخفيض السعر وبالتالي على مزاحمة الاصناف الاخرى في الاسواق الاجنبية . وقد اشير في مصر بمنح نياشين !! ومع اننا لا نرى ضرراً منها الا انها تدل على ميل الشرقيين عامة الى الزهو والخيلاء دون التمسك بحقائق الامور

تلك هي خير الوسائل لتحسين تجارة صنفٍ هام هو الارز وعندي ان الوقت حان كي تفكر مصر تفكيراً جديًّا في زيادة انتاجها الزراعي لان العالم يسير الى الامام ولكن من المؤلم والمدهش ان محصول اراضينا لم يزل كما كان عليهِ منذ قرن من الزمان

لقد اثيرت مسألة الارز بمناسبة حضور الخبير البريطاني المستر دجلاس الذي استقدمتهُ حكومة مصر لدرس هذه الصناعة الهامة ولقد اشار الخبير باتباع قرار اللجنة التي تشكلت في عام ١٩٢٦ ودرست هذه المسألة

وقد بحثنا هذه المسألة على صفحات المقتطف في ضوء ابحاث لجنة ١٩٢٦ التي تشرفنا بعضويتها وكتابة محاضر جلساتها وتقريرها . فلعلَّ التفكير والحديث في هذه المسألة ينتهي بعمل نافع فقد طال عهد الكلام

جلال حسين

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللادي بايلي
ابرع امرأة طيّارة في العالم

انعم اتحاد الطيران الدولي على اللادي بايلي الطيارة الانكليزية الجريئة بلقب « ابرع امرأة طيارة في العالم للعام الماضي » وذلك على اثر تحليقها بطيارة صغيرة الى علو لم يسبقها احد اليهِ بطيارة من هذا الوزن . ويقيننا انهُ لو لم تقم اللادي بايلي برحلتها العظيمة من لندن الى مدينة الكاب ثم عودتها منها الى لندن وحدها لما أُنعم عليها بهذا اللقب

طارت وحدها بطيارة صغيرة من طراز « مُثْ » من لندن الى القاهرة . فلما وصلتها قيل لها ان ولاة الامر في السودان لا يسمحون لها ان تطير وحدها فوق بلدانهِ المترامية الاطراف. وطال الاخذ والردُّ بينها وبينهم حتى سئمتها فجاء الطيّار بنتلي اخيراً ورافقها فوق البلاد المذكورة . وفي عودتها الى انكلترا ارسلت تطلب الاذن بالطيران فوق السودان قبل قيامها من جنوب افريقية فلم تفز بهِ فعزمت ان لا تطير فوق البلدان المشمولة بالنفوذ الانكليزي فطارت فوق البلدان المشمولة بالنفوذ البلجيكي والبرتغالي والفرنسي والاسباني معتمدة على محرك طيارتها مع ان طياري البلجيك في الكنغو البلجيكية الذين يستعملون طيارات لكل منها ثلاثة محركات يرون ان نزول طيارة في تلك البلدان يعرض ركابها لخطر عظيم . ولا يعرف احد ما تعرضت لهُ من المخاطر في رحلتها هذه ولما كانت امرأة وديعة لا تحب المباهاة بنفسها فالمرجح اننا لن نعرف ذلك

وصلت لوانده في مقاطعة بانغولة البرتغالية في الخامس من اكتوبر الماضي فالتقت هناك بالطيارين البرتغاليين اللذين كانا يحاولان الطيران من لشبونة الى بلاد موزمبيق في شرق افريقية .ولما غادرت لوانده سارت محاذية للشاطئ حتى وصلت الى بوما فاتجهت الى

بحيرة تشادفي داخلية افريقية عند زاوية نيجيريا الشمالية الشرقية ومنها اتجهت غرباً الى غاو في افريقية الفرنسية وهي على مقربة من تمبكتو . هناك طلبت اذناً من الفرنسيين ليسمحوا لها ان تطير فوق الصحراء الكبرى فلم يأذنوا لها في ذلك فاتمت طيرانها الى الشاطئ الغربي وطارت محاذية لهُ حتى وصلت الى الدار البيضاء في مراكش ومنها الى اسبانية ففرنسا فوصلت باريس في ٦ يناير . ولبثت فيها بضعة أيام حتى صحا الجوّ قليلاً فاستأنفت سفرها الى لندن فوصلتها في ١٧ يناير

ليس الجمال كلّ ما هنالك

بقلم اليصابات سيمون الفتاة المجرية
التي فازت بجائزة الجمال الاولى في اوربا

آمالي آمال امرأة من العهد القديم . اريد ان اكون زوجة صالحة واماً محبّة محبوبة وفي ذلك ليس الجمال كلّ ما يلزم الفتاة

بعد ما فزت بجائزة الجمال الاولى اخيراً في اوربا انهالت عليَّ الطلبات لاعقد اتفاقات اظهر فيها على المسارح او في الصور المتحركة على الستارة الفضية ولكني عازمة ان ارفض كل ما هو من هذا القبيل . ومما يحملني على الدهشة والاستغراب ان الناس يسلمون باني لابدَّ ان اصير ممثلة بعد الفوز بالجائزة المذكورة . ولو كنت ميّالة الى التمثيل لكنت حاولت الظهور في ميدانهِ قبل الآن . وسأشترك في مباراة الجمال التي تقام في مدينة جالفستن باميركا وبعد ذلك اعود الى المجر لاعيش العيشة التي كنت اعيشها قبلما اشتهرت . وأملي مثل كل فتاة معقود على ان اتزوّج يوماً ما رجلاً اجد فيهِ الصفات التي ارى وجوب توافرها في كل زوج

اما الزوج الامثل في رأيي فلا يجب ان يكونَ بهيَّ الطلعة لاني اكرهُ ان اتزوّج رجلاً يحقّ لهُ الدخول في مباراة للجمال . ولكني اطلب فيهِ ان يكون رضي الاخلاق لان هذه الصفة بمثابة الزيت في آلة الحياة يسهّل على اجزائها الدوران من غير احتكاكٍ . كذلك يجب ان يكون ممن يشعرون بالتبعة ويدرك معنى الشرف كما يجب ان يكون محبوباً من رفاقهِ وموضعاً لثقتهم بهِ . فثقة الرجال برجل من اكبر الادلّة على متانة خلقهِ . لا يهمني مطلقاً هل هو اشقر او اسمر ، متأنق في ملابسهِ او غير ذلك . بل كل ما يهمني ان يكون متحلّياً بالصفات المتقدمة

ومنذ اشتهرت بالجائزة التي فزت بها اخذ الناس يسألونني رأيي في « الفتاة المصرية » كأني اعرف عنها كل شيء . ولكني ارى انه اذا قسنا « الفتاة المصرية » بالفتيات اللواتي يطالع القارئ اوصافهن في ثنايا الروايات وجدنا الفتاة المصرية متفوقة على اخواتها. فهي اسرع خطوة واذكى عقلاً واكثر استقلالاً ومعرفة للتبعة الناجمة عن هذا الاستقلال . وهي كذلك تعرف كيف تبدو جميلة فتانة وكيف تعتمد على قواها الاخرى في الافادة والاستفادة . فالجمال ليس الآن صفة يمتاز بها النفر القليل من السيدات بل هي صفة تكاد تكون عامة بين الفتيات المصريات وجمالهن عادة لا يتوقف على جمال الوجه بل على رشاقة القد وخفة الحركة وامارات الصحة والنشاط التي تبدو عليهن . كان الناس قبل هذا العصر يقفون في الشوارع حين تمر سيدة جميلة لكي يشاهدوا جمالها ولكنهم لا يفعلون ذلك الآن لان في شخص كل فتاة شيئاً من الجمال هو بهجة البيت او المكتب او المعمل

اشعة الشمس واثرها في الاطفال

ملخص مقالة للدكتور كالب صليبي

الدكتور كالب صليبي أشهر من ان يعرف فهو علاوة على معارفه الطبية من ائمة علماء الانكليز في علم الاجتماع وزعيم المبشرين بالعلاج باشعة الشمس في انكلترا وقد عثرنا على مقالته هذه في مجلة الاطفال الدولية فحاولنا تلخيصها فيما يلي : —

العلاج باشعة الشمس علاج قديم استعمل منذ عدة قرون مضت ولكنهُ نُسِيَ مع غيره بمرور الزمن وتطور الانسان في رقيهِ المدني. وهنا استشهد الكاتب برسالة جليسون Glisson (١٦٥٠) المشهورة في تأثير اشعة الشمس وكذلك بمقالة الدكتور بام Balm الذي ابان فيها ان الدخان المتكاثف فوق المدن هو أهم العوامل في انتاج الكساح بين الاطفال . ثم اشار الكاتب الى محاولة بونيه Bonnet معالجة تدرن العظام باشعة الشمس وكذلك بمجهودات روليه وهلدتشنسكي وغيرهم في هذه الناحية. ثم استطرد الحديث فقال ان الشمس الد اعداء الكساح والسل وابان ان الاطفال في احتياج الى اشعتها منذ ولادتهم ان لم يكن من قبل الولادة ونصح للحامل بالتعرض لها يومياً بدلاً من ان تختفي بين جدران بيتها لانها بتعرضها للشمس تأخذ حاجتها وحاجة طفلها منها لان الاشعة الشمسية تولد في جلد الام الفيتامين (D) المضاد للكساح الذي يمتصهُ من الجلد في الدورة الدموية عند الاحتياج اليهِ . ثم أبان ان الاشعة التي فوق البنفسجي هي الاشعة المضادة للكساح وهي هي الاشعة التي يحجبها الدخان المتكاثف فوق المدن ويجب علينا ان تتذكر

ذلك دائماً كلما حاولنا اتخاذ اي اجراءات لمقاومة الكساح

ثم تحول الكاتب الى بيان الاجراءات العملية التي اتخذت الى الآن في مقاومة السل والكساح وعلاجها بهذه الطريقة فاستشهد بالمدارس التي اسسها روليه في ليزن وفي شارولتبرج في المانيا . ومع ان هذه المدارس معدة في الوقت الحاضر للاطفال ضعاف البنية الا انهُ يجب ان تكون جميع مدارس الاطفال مثلها حيث يجب ان يتلقى التلاميذ دروسهم واجسامهم معرضة لاشعة الشمس دائماً. فان الصغار في هذه المدارس يلبسون حين تلقي دروسهم لباس الحمام الخفيف ولكنهم يغطون رؤوسهم بقبعات مناسبة وعيونهم بنظارات سوداء وعند اشتداد هبوب الريح يحاط محل الدرس بحواجز للوقاية من الريح

العناية بالاطفال

فصول صحية في شكل حديث بين طبيب ورجل وزوجته

كانت الساعة الواحدة والنصف من صباح الجمعة حيث كان السكون مخيماً على اسرة صغيرة مؤلفة من رجل وزوجة وخادم نائمين في منزل صغير قائم على ضفة النيل الشرقية في ضاحية العاصمة الجنوبية. وكان قد مضى على هذه الاسرة في هذا المنزل نحو تسعة اشهر اي من يوم عُقد لكريم على وردة. وكان كريم من الشبان النبهاء وعلى جانب كبير من الذكاء والفطنة يشتغل في تحرير احدى جرائد الصباح الكبرى وغيرها من المجلات الاسبوعية وكانت وردة متعلمة تعلماً حسناً وعلى قسط وافر من التهذيب . في هذه الساعة المتأخرة من الليل استيقظت وردة من نومها العميق وجلست في سريرها مذعورة من الم حاد احست بهِ في ظهرها و بطنها ولكنها ما كادت تستوي على سريرها الا والالم قد زال بالسرعة التي جاء بها وشعرت كأنهُ لم يكن بها الم وكأنها لم تحس بشيء غير عادي وهذا ما ادهشها وضاعف ذعرها وهمت ان توقظ شريك حياتها

وانها لكذلك احست بالالم وقد عاودها كالسهم اصاب هدفهُ ونفذ منهُ فما وجدت نفسها الا صائحة باعلى صوتها يا كريم يا كريم . فقام كريم على ندائها مروّع الفكر والقلب ولما قصت عليهِ ما شعرت بهِ هدأ باله وسكن اضطرابهُ وادرك في الحال ان وردتهُ في بضع ساعات تصبح امًّا. فاخذ يشجعها ويبعد عنها مخاوفها وحضر لذهنهِ ما يطلب في هذه الساعة الحرجة من الصبر والجلد وابتدأ يهيء لها كل لوازمها واحضر ما احضر من الادوات ودعا من دعا من المعارف ليستأنس بولائهم وبعد حين وضعت وردة غلاماً تامَّ الخلق جميل الصورة وقد عاد وردة الوالدة الدكتور امين وجرى لهُ معها ومع صديقهِ كريم الحوار الآتي

وردة — انت تعلم يا دكتور مقدار محبة الوالدة لطفلها فعلمني كيف اعتني بممدوح صغيري . انا احببتهُ قبل ان يقع بصري عليهِ وانعم بلمس جسمهِ الطري فكيف بي وقد اكتحلت عيناي بجمال وجههِ وسمعت اذناي صوت بكائهِ العذب وامتلأت نفسي وجوارحي عطفاً عليهِ . اكاد لا اصدق من عظم فرحي وشدة اغتباطي انهُ نائم بالقرب مني احس بعبير انفاسهِ الزكية تدخل الى اعماق قلبي فيخفق لها طرباً . ارشدني بالله عليك يا دكتور كيف اعتني بسعادة ولدي وتربيتهِ تربية صالحة تعود عليهِ وعليَّ بالهناء فقال الدكتور وعلى الامة التي هو منها بالخير والفلاح . وقال كريم وعلى والدهِ ايضاً الذي يسرهُ ان يرى ولدهُ عضواً نافعاً في الهيئة الاجتماعية وعاملاً كبيراً في اصلاح ما فيها من فساد شأنَ كل والد تطيب لهُ الحياة على امل ان تتحقق اقصى امانيهِ في ولدهِ. ولا يكون شيء من هذا اذا لم ينشأ جسمهُ على القواعد الصحية والاصول الهيجينية ولذلك اضم صوتي الى صوت زوجتي واطلب منك ان تمدها بما هي في حاجة اليهِ من ارشادات ونصائح ولك مني ومنها جزيل الشكر والثواب

الدكتور— انها لسعادة حقاً ان يطلب من طبيب ان يقوم بعمل هو مكلف بهِ ومسئول عنهُ وانها لسعادة حقاً ان يطمئن الطبيب الى ان قولهُ معمول بهِ وارشاداتهِ نافذة. وايُّ حظ من النجاح يسعد بهِ الطبيب اوفر من هذا النجاح . فلا المال مهما بلغت اقداره ولا الشهرة مهما امتدت اطرافها واتسعت ارجاؤها تعادل نجاحهُ في الاصغاء الى قولهِ والعمل بهِ . لان الفائدة المادية التي تأتيهِ من المال والشهرة الواسعة انما تأتيهِ من ناحية واحدة لاثاني لها اي من الاصغاء الى قوله والعمل بهذا القول . واذا كان كل طبيب يملك معرفة القول السديد في ميدان اعمالهِ الفنية فليس كل طبيب يملك السلطة في تنفيذ ما يريدهُ ويقصده بقولهِ. وعلى قدر ما يلاقي الطبيب من الاصغاء لقوله وتنفيذ ما اراده من الارشادات يكون نجاحهُ في تأدية مهمتهِ .وهو يرجو ان يكون نجاحهُ في بث علم الوقاية من الامراض على يد صديقهِ كريم وزوجتهِ الفاضلة وردة عظيما ومحققاً لاقصى امانيهما.والقارئ الذي يتتبع هذا الحوار الذي يدور بين الطبيب وبين وردة حيناً وبينهُ وبين كريم حيناً آخر يعلم جد العلم بان الطبيب كان على صواب في حسن ظنهِ بصديقهِ وزوجتهِ وباستعدادهما الصادق لمشاطرتهِ العمل في نشر اصول هذا العلم النافع ويقدر معهُ شأن المساعدة التي حصل عليها منهما في تثبيت هذه الاصول وتأييدها بالبراهين القاطعة والاعمال الناطقة التي يقومان بها في تربية ولدهما ممدوح تربية صحيحة تنشدها كل والدة وتتمناها كل والد

الدكتور شخاشيري

مكتبة المقتطف

الشفق الباكي

نظم من شؤون وعواطف — بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي — طبع بالمطبعة السلفية صفحاته ١٣٣٤ من القطع الصغير

يحار من يلقي نظرة على هذا الديوان الحافل في تعليل ما يبدو في كل صفحة من صفحاتهِ من آثار القريحة الفيّاضة والعقل الجامع لشوارد العلم والتاريخ والنفس الفنية الحساسة بطيوف الالوان والاصوات والشعور ، فيقف من هذه الآثار موقف الدهشة اولاً حتى يكاد يُغرى بالقول ان صاحبها يفكر شعراً ويتكلم شعراً « فاذا تصفحها وتفهَّم مغازيها تحوّلت دهشتهُ اعجاباً . فبين تراهُ يصف «حديقة النحل » ويجيد وصفها اذا هو ينتقل الى عالم المكرسكوب والاحياء الدقيقة فيصف ما في معمل البكتريولوجي من الغرائب التي تفتن لبَّ الشاعر كما يفتنهُ الربيع او كما تسحرهُ الانغام . وعندنا ان هذه القصيدة هي فريدة الديوان. ولو لم يكن الدكتور ابو شادي قد تربّى تربية علمية وحذق البكتيريولوجية وقرن الى ذلك نظراً شعريًّا وشاعرية فيّاضة لما اتيح لنا ان نقرأ هذه القصيدة . ومن اقوالهِ فيها ردًّا على فقيهٍ يعترض عليهِ بان علم الجراثيم لا يتفق مع الشعر والفن « فدعني اذن والعلمَ فالفنُّ طيِّبهُ » وعندنا ان هذه نظرة صحيحة الى علاقة الشعر بالعلم فان العلماء كشفوا لنا عن عجائب وغرائب اذا اتخذ منها الشاعر مصدراً للوحي اتانا بالمعجزات. العلم لا يناقض الشعر بل هو معوان لهُ لانهُ يوسع الخيال ويزيد ثروتهُ ويجعل الشعر اوثق اتصالاً بالحياة العصرية التي تقوم على ركنين من العلم النظري والعلم العملي

ومن كان هـذا طبعُهُ وشعورُهُ	فلا حِسُّه يخبو ، ولا عَيْنُه تكرى
تحرَّر من قيد الجسوم ورُوحُهُ	ترى الشعر فيما انت تحسبُهُ قفرا
ويا ربما هذي الجراثيمُ قـد حكتْ	بروعتها الرَّوْض الجمَّلَ لا القفْرا
ولولا حجى الفنَّان ما كان فارقٌ	وساوى رهيفُ السَّمع مَن يَشتكي الوقرا
وما رجحت الاَّ المظاهرُ وحدَها	ولم ندْرِ من خافي بدائعها أمرا ! »

وقد ختم الشاعر قصيدتهُ هذه ببيتين في نهايتها تشبيه مبتكر . قال يصف عقل الذي كان يناقشهُ في موضوع المكروبات والشعر وهو يُعرض عن كل حجة وبرهان

ومن نكد الدنيا اناس تصدروا لفلسفة في النقد تركبهم وعرا
نواظرهم شبه الزجاج ومثلها عقول لهم ان نوقشت محقت كسرا

اما قصيدتهُ في « حديقة النحل » فلا يستطيع نظمها الاَّ من كان مثلهُ قد عني بدرس حياة النحل نظراً وعملاً وعرف ما في تلك المملكة من اسرار الجمال والنظام . واليك بعض ابياتها وهي طويلة :

لا تصغرنَّ اذا حكمت صغيرها فلربما ملكت مآل كبار
خلقت من الاتقان في تكوينها وتسلَّطت بجهادها الجبَّار
هي كلها للجمع تدأب لاتني لا سخرة للسيِّد الامَّار
قل للمصغِّر قدرها لغروره من انت في الاقدار والاوطار
البأس والجبروت من اعوانها ولو انَّ للشورى سنيَّ منار

ومنها وصف ملكة النحل

يحرسنها في هالةٍ فكأنَّها في عزّها قمرٌ من الاقمار
وهي الاسيرة لو بحثت محققاً ولربما شعرت بطوق اسار
وقفٌ عليهنَّ الغذاء وانهُ من روحهنَّ لها بغير حذار
فتكافئ المجموعَ من اذعانها وتبيض مسرفة بلا استعبار

ولا يستطيع الصحافي ان يفي هذا الديوان حقهُ من البحث والتحليل في نظرة عجلى كالتي تقدمت ولكننا نظنها كافية لان تبين للقارئ ان وراءهُ شاعراً « يرى الشعر في القفر » ولذلك فهو جدير بالعناية والدرس

مواقف حاسمة في الاسلام

تأليف محمد عبدالله عنان — صفحاته ١٩٧ قطع المقتطف — طبع بمطبعة الجديد بمصر

للاستاذ محمد عبدالله عنان اسلوب شائق في معالجة المباحث التاريخية يجمع فيهِ الى فن المؤرخ فن القصصي وفن الصحافي . فانك تجد في مباحثهِ التي من هذا القبيل تدقيقاً تاريخيًّا ثم تجد هذا التدقيق التاريخي مسوقاً اليك في اسلوب قصصي يغريك بالمطالعة بقلم رجل يدرك ان اهم عناصر الكتابة الصحافية في هذا العصر هي السرعة والايجاز . لذلك قلما تجد بين الفصول التي يحتوي عليها هذا الكتاب فصلاً يشغل اكثر من ثماني صفحات لو جمعت كل صفحة منها بحرف المقتطف لبلغت ثلثي صفحة بهِ على الاكثر . وهكذا ينتقل القارئ بينها يثيرهُ الموضوع واسلوبهُ ولا يقعدهُ عن المطالعة طول البحث والملل من طولهِ

اما الغاية من هـذا الكتاب فهي في مقدمة المؤلف بسط « ناحية من التاريخ الاسلامي هي اتصال الشرق بالغرب والاسلام بالنصرانية . وربما كانت هـذه الناحية من بين نواحي التاريخ الاسلامي ازهرها واغناها بشائق الحوادث والسيَر وربما كانت فوق ذلك اعمقها اثراً في مصاير الاسلام . فلقاء الاسلام ودوله بالنصرانية سواء في ميادين الحرب او السلام هو الذي اخترتهُ مادة لهذه الفصول . . . . »

ومن فصولهِ الدبلوماسية في الاسلام . الفروسية الاسلامية يوم مصرع غرناطة . تراث الاندلس الفكري في مكتبة الاسكوريال . رحلات ابن بطوطة ومكانتها من التاريخ الاسيوي. رحلات ماركو بولو البندقي. حصار العرب للقسطنطينية. فكرة الحروب الصليبية

المشعال

المشعال او « لوفلامبو » مجلة فرنسية مصرية اسبوعية يرأس تحريرها الاستاذ احمد رشاد وقد جعلتها جماعة « المصباح الخافت » لسان حالها . تصفحنا الجزء الاول الصادر في ١٥ فبراير الماضي فاذا هو في ٣٨ صفحة من القطع الكبير متقن الطبع يحتوي على طائفة مختارة من المقالات منها تحية الى « جورج دوهامل » بقلم رئيس التحرير . وحديث مع « السر دنيسن رس » الاستاذ بول ڤندر بورث المدرس بمدرسة التجارة العليا والكاتب البلجيكي الذي يدير اعمال « المصباح الخافت » بمصر. ثم مقالة للاستاذ الدكتور احمد ضيف في « الشعر الجاهلي » . وهكذا تحسُّ وانت تتنقل بين مباحثها الطليّة الباعثة على التأمل كأنك في روضٍ أغنّ تتنقل من زهرة الى زهرة — ادب وفن وفن وادب

وغاية هـذه المجلة خدمة الحركة الفكرية والفنية والادبية في مصر الناهضة بجعل صفحاتها مجلى للروح المصري باقلام اكبر ادبائهِ ومفكريهِ ومتفننيهِ . هذا من جهة ومن جهة اخرى ترمي هذه المجلة الى غاية اخرى هي تعريف المبادئ التي تقوم عليها حضارة الغرب لابناء الشرق على السنة العلماء والمفكرين المشهورين الذين يزورون القطر المصري . فغايتها اذاً تتفق كل الاتفاق مع غاية « المصباح الخافت » وهو اسم الجماعة التي انشأها الاستاذ فندربورث في نوفبر الماضي . وقد اتيح لنا حضور بعض اجتماعاتها كالاجتماع الذي قُدّم فيهِ الاستاذان العقاد والمازني والاجتماع الذي قدم فيهِ الاستاذ احمد ضيف والاستاذ محمود تيمور فرأينا فيها ما تثلج له صدورنا من سعي للتقريب بين الشرق والغرب تقريباً معنويًّا اساسهُ الفهم المتبادل والارتفاع بالفكر عن كل صلة دينية او جنسية او سياسية . فنتمنى « للمصباح الخافت » وللسان حالهِ « المشعال » كل نجاح

بلاد العرب : نظرة مجردة

هذا موضوع الخطبة النفيسة التي خطبها امين الريحاني في جمعية آسيا الوسطى في جلسة عقدت خاصة لذلك برآسة السر جلبرت كلايتون مندوب بريطانيا السامي في العراق . وقد نشرت الخطبة مجلة جمعية آسيا الوسطى في عددها الصادر في اواخر يناير الماضي واهدى الينا محررها نسخة منها فطالعناها فاذا الاستاذ الريحاني قد بسط الحالة كما يراها بسطاً وافياً من غير تحزب لابن السعود او لخصومه ووضع كثيراً من اللوم في ذلك على الانكليز انفسهم وخصوصاً في جنوب الجزيرة وقد اشار الى ذلك بقوله

« اريد ان اقول كلمة للذين يغضبهم تعرضي بالانتقاد للموظفين البريطانيين والسياسة البريطانية في بلاد العرب . فاذا نظرتم الى الامر بعد ما قدمتهُ لكم من علاقتي بالثقافة الانجلوسكسونية رأيتم ان الاقوال التي اقولها لا اقف فيها موقف العربي وان كانت وجهة النظرين متفقة احياناً ولكني اقف فيها موقف المؤلف الذي يفاخر بالتراث الفكري المجيد الذي يجعل صلتهُ بالحق اعلى من كل صلة جنسية او دينية او سياسية »

وقد اشار بحلول سياسية وجغرافية معقولة للمشاكل القائمة الآن حبذا الحال لو نظر فيها ولاة الامر . فعسى ان يقرأ هذه الخطبة من تهمهم متابعة الاحوال في الجزيرة العربية وعسى ان تعنى احدى الجرائد العربية في العراق بترجمتها ترجمة حرفية لانها تحتوي على فوائد كثيرة يجب ان يضنّ بها فلا تبقى محجوبة عن قرّاء البلدان التي تعرض لشؤونها

أسرار المراهقة في الفتاة

تأليف الدكتور شخاشيري

يعجبني ان لا يعالج التأليف في موضوع ما غيرُ المتخصص لهُ العارف باصول التأليف، ولكن يعجبني اكثر من ذلك ان يكون نتاج التأليف تامّ الدلالة على نفس مطبوعةٍ على موضوعهِ ، قد تذوّقتهُ بلذّةٍ فعبّرت عنهُ تعبيراً حيًّا جمّ الحرارة صادق الشعور

من اجل ذلك استمرئ كتابة طه حسين عن أبي العلاء، والآنسة ميّ عن باحثة البادية وورده اليازجي، والامير شكيب ارسلان عن المجد العربي، والكرملي عن فقه اللغة العربية وفلسفتها ، كما استمتع بكتابة غيرهم من اعلام ادبائنا في المباحث التي اشعر أنها ذاتُ المحلّ الاسمى في نفوسهم وقد اندمجت ارواحهم فيها . ومن بين هؤلاء الفضلاء البارزين العالم العامل الدكتور شخاشيري صاحب كتاب (اسرار المراهقة في الفتاة) الذي طلع على ابناء العربية في اشدّ اوقات الحاجة الى امثالهِ، فانّ الدكتور الفاضل يشتغل بالطبّ والجراحة

في المستشفى الانكليزي بمصر القديمة ، فموضوع الكتاب إذن غيرُ غريبٍ عنهُ ، وهو الى جانب ذلك اديبٌ اشتغل بالكتابة والتأليف ردحاً من الزمن ويعرف حقّ المعرفة كيف يصرّف قلمه، ثم هو فوق ذلك والدٌ حنونٌ يشعر بمسؤولية الابوّة ادقّ الشعور. وهذه كلها عوامل ومناسبات تدفعهُ الى التأليف في هذا الموضوع الخطير بغيرة واهتمام وبعطف وحرارة

يقعُ هذا الكتاب النفيس في ثمانين صفحة من القطع الصغير مطبوعاً طبعاً أنيقاً يكاد يخلو من الاخطاء المطبعية وقد اختار لهُ حروفاً كبيرة ، وجعلهُ في اسلوب قصصي أخاذ فضمن بذلك نجاحهُ الاوفى مظهراً ومخبراً . وحسناً فعل الاستاذ المؤلف في معالجته هذا الموضوع الحرج باختيار أسلوب القصة والحوار معاً ، مع مراعاة السهولة التامة في التعبير والصراحة المقبولة حيثما استدعى المقام ذلك

اما ملاحظاتي النقدية على هذا التأليف الذي لا يحتمل التلخيص (ويجب ان يُقتنى ويقرأ ويدَّخر في كل بيت) فأهمها ما يأتي :

(١) تورط المؤلف في حديث تشريحيّ طويل لا موجب للتفصيل فيه سيما وفيه من أسماء العظام ما لا يذكره أكثر الاطباء ، فكان جافاً على خلاف عادته . وكان الاولى به الاجمال بدل ذلك البيان الممل والاكثار من التحدث عن عجائب وظائف الاعضاء ونحو ذلك من الفوائد التي لها صلة كبرى بموضوعه مستعيناً بأسلوبه الادبي الجميل

(٢) لم تعجبني مفاجأتهُ الصريحة بذكر التلقيح دون تمهيد بحديث أو أكثر مدلياً بمقارنات مناسبة مستمدة من حياة النبات أو من حياة الحشرات ، فكان يلطف ذلك البيان الشعري وتلك المقارنة من وقع الصدمة عن حقيقة الحياة الجنسية ، ولعلَّ رغبتهُ الشديدة في الاختصار هي التي أدت الى ذلك الاقتصاد الكثير (٣) قَدْحُهُ في عادة قصّ الشعر (التي هي طبيًّا صحية) مما نقلهُ من مؤلف طبيٍّ اجتماعيٍّ الى ما هو ابعد من ذلك ، متناسياً انَّ بين قارئاته الكثيرات المتعلمات من أرقى الأسر مَنْ ينظرْن الى هذه العادة نظرةً ذوقيةً فقط . وكان بودّي ان يكون كالحكم المستقلّ بل كالحايد في مسألة كهذه لا علاقة لها باسرار الراهقة في الفتاة . وحينئذٍ ماكان اولاهُ باغفالها من مباحثه

(٤) خلوّ الكتاب من الصور التوضيحيَّة التي قد تزيد من تأثيره ونفعه اذا ماكانت فنيّة متقنة . وهذا مما يستطاع تداركهُ في الطبعات التالية

ولا يسعني أخيراً الاَّ أن أهنئ حضرة الزميل الفاضل بشجاعته الادبية وبتأليفه الجم الفوائد الذي يستحق من أجله شكر جميع الاسر التي تعرف قدره ، وشكر العربية التي كثيراً ما بذل لها مواهبهُ بالقلم واللسان

أحمد زكي أبو شادي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اعظم عظماء القرن العشرين

مصر . من هو اعظم رجل خدم العالم في القرن العشرين

ج . اذا اريد بالعظمة العظمة القومية فالنظر يختلف باختلاف البلدان. فالمصريون يحسبون زغلول باشا وثروت باشا في مقدمة من خدم بلادهم . والفرنسيون يحسبون جوفر وفوش من اعظم عظمائهم لان اولهما صدَّ الالمان في بداءة الحرب عن اقتحام الخطوط الفرنسية واحتلال باريس ولان الثاني احرز النصر النهائي على الالمان . والبلشفيون يحسبون لنين في مقام فوق مقام البشر والايطاليون يرفعون موسوليني الى مصاف اعظم العظماء في كل عصور التاريخ. واذ اريد بالعظمة النفع المادي فالمستنبطون وعلى رأسهم اديصن والاطباء الباحثون في الطب من وجهٍ علمي اعظم عظماء العصر. واذا اريد بالعظمة التفوق العقلي واثرهُ في اساليب العلوم واتجاهها فاينشطين ومدام كوري والسر جوزف طمسن والاستاذ ملكان وامثالهم . واذا اريد السعي لتأييد السلام فاللورد روبرت سسل . واذا اريد اغاثة الجائع والعريان فهربرت هوفر المنتخب لرآسة الولايات المتحدة الاميركية

لذلك ترون انهُ يتعذر علينا اجابة سؤالكم اذا لم تحدّدوا لنا نوع الخدمة التي تعنونها .ومع ذلك تظل المفاضلة بين العظماء متعذرة على حدّ قول احد الكتّاب « في ميدان التفوق تتعذر المفاضلة »

(٢) نقل الصور لا سلكياً

الانقصر . طالعنا في الصحف اليومية ان صورة تحويل مالي نقلت لا سلكيًا لاول مرة في التاريخ . ونحن نذكر اننا طالعنا في المقتطف منذ سنوات ان ذلك كان قد تمَّ للمستنبطين من قبل ورأينا فيه صورة تحويل نقلت كذلك

ج. ما قرأتموهُ هو الصواب فنقل الصور سلكيًا ولاسلكيًا ومنها صور التحاويل

المالية قد اتقن واستعمل قبل الآن . والمرجح لدينا ان المقصود من التلغراف هو نقل صور التحاويل بنظام ماركوني المعروف بنظام البيم اي النظام الذي يعتمد على الاشعة اللاسلكية القصيرة الموجَّهة في شعاعه الى جهة خاصة. راجعوا مقالة ماركوني في جزء يناير الماضي صفحة ١٥

(٣) اصل الحياة

اولفيرا برازيل . في كتابكم اعلام المقتطف صفحة ١٧٢ قلتم في كلامكم على حياة باستور ما يأتي : لما شرع باستور يبحث في الاختمار وضع لبحثهِ مقدمتين الاولى ان الاختمار من ملابسات الحياة والثاني ان الحيَّ لا يتولد الاَّ من الحيّ . فجاءت نتائج بحثهِ مطابقة لهاتين المقدمتين . فكيف اذاً وجد هذا الكون وهذه الخلائق من العدم الى الوجود وكيف نشأت الحياة اولاً

ج . اما مقدمة باستور الثانية فكانت ولا تزال تنطبق على الحياة في حالتها الحاضرة كما هي معروفة على سطح الارض الآن. فالحيُّ لا يولد الاَّ من الحيّ. وكل مباحث العلماء المدققين الذين تلوا باستور ايدوا رأيهُ ونتائج مباحثهِ . ولم يتعرض باستور مطلقاً الى اصل نشوءِ الحياة ولا أبدى رأياً في ذلك . اما الشق الثاني من سؤالكم فراجعوا في الردّ عليهِ صفحتي ٤٦٤ ٤٦٥ من مقتطف دیسمبر سنة ١٩٢٨

وسنعود الى هذا البحث في عدد تالٍ

(٤) التطعيم ضد الجدري

صافيتا سوريا . مَ يستخرج الاطباء المادة التي يلقحون بها الناس لوقايتهم من الاصابة بالجدري . وهل هذا التلقيح يكفل الوقاية من الجدري . فقد علمنا ان البعض يأخذون الآن قليلاً من سائل حبوب (الطفح) المصاب بهِ ويلقحون بها الاصحاءِ طلباً للوقاية ويزعمون ان هذا التلقيح يكفي لوقاية الجسم طول الحياة . فما رأيكم في هذا النوع من التلقيح وهل تؤمن عواقبهُ؟

ج. تلقح البقر او الخيل بمكروبات الجدري فتصاب بهِ فيؤخذ سائلها اللمفاوي وفيهِ مكروبات مرضها ويعقم ويحفظ في انابيب دقيقة هي الانابيب التي تباع في الصيدليات وتستعمل في تطعيم الاصحاءِ لوقايتهم . ولما كان جدري البقر او الخيل اخف وطأة من جدري البشر فاذا عُدي بهِ الانسان كما تعدى الخلايات اصيب بجدري خفيف يقيهِ من الاصابة بجدري ثقيل . والتطعيم اذا تمَّ على يد طبيب بلقاح جديد يكفل الوقاية من الجدري . اما التطعيم بسائل يؤخذ من طفح المصابين بالجدري فامر شديد الخطر ويجب ان يمنع

(٥) هل السل وراثي

ومنها . هل مرض السل وراثي وما اجدُ رأي طبي في ذلك

ج . كلاَّ ليس السلُّ وراثيًّا وكل

ما هنالك ان الوالد المسلول يورث ابنهُ بنية ضعيفة واستعداداً للمرض. ثم ان الطفل يتعرض للاصابة بهِ بعيد ولادتهِ لان اباهُ قد لا يحجم عن حملهِ وتقبيلهِ وهو لا يكفُّ عن الحبو على الارض او على السرير في غرفة المريض فيتعرض كذلك لمكروبات السل المنتشرة في الغرفة. والثابت لدى الاطباء انهُ اذا ولد طفل ابوهُ مسلول وأُخذ حال ولادتهِ ليعيش في مكان صحيّ نشأ صحيح البنية سليم الجسم

(٦) تطهير غرفة مسلول

ومنهُ . ما انجع الوسائط لتطهير غرفة من السل الرئوي

ج . اولاً تسدُّ النوافذ والكوى ثم تقاس الغرفة حتى يعرف مكعبها ثم توضع فيها نار وعلى النار وعاء فيهِ ماء ويضاف الى الماء مادة الفورمول او الفورمالين بنسبة لتر لكل عشرة امتار مكعبة من الغرفة ثم تقفل الغرفة وتترك كذلك من ٢٤ ساعة الى ٤٨ ساعة بما فيها من الاثاث والامتعة . ثم تغسل الجدران والارض بمحلول كلورينات الكلس (الجير) بنسبة اوقية ونصف اوقية في كل جالون من الماء . اما الامتعة والملابس والستائر فيحرق منها ما لا قيمة كبيرة لهُ كالمناديل والباقي يغلى في الماء مدة ساعتين ثم يغسل بالصابون بعدها ويغسل بماء اذيب فيهِ محلول الفينيك ٣٠ غراماً في كل لتر من الماء

(٧) الزوابع

واشنطون. اميركا. ما الفرق بين الكلمات الآتية وما معناها Cyclone Typhoon Tornado فان ذكرها يرد كثيراً في الصحف في هذه الايام ايام الاعاصير والزوابع الشديدة

ج . السيكلون والهركين Cyclone Huricane اسمان لمسمَّى واحد هو الزوبعة اي الريح التي تدور في هبوبها وتلتف كاللولب وحدوثها كثير في جوار جزائر الهند الغربية وفي البحر الصيني والاوقيانوس الهندي على جانبي خط الاستواء. اما التيفون Typhoon فزوبعة تثور على شواطىء توكن والصين وجزائر اليابان ويرافقها عادة موجة تطفو على الشاطىء وتجتازهُ مخربة كل ما يكون في طريقها . واكثر حدوثها في يوليو واغسطس وسبتمبر . واللفظة الاخيرة هي التورنايدو Tornado وقد عرفت في كتاب الظواهر الجوية تأليف الاستاذ لومس وترجمة الدكتور فارس نمر « بالريح الهوجاء » وهي زوبعة عنيفة لا تستقر فوق مكان واحد بل تسير بسرعة ٢٠ ميلاً الى ٤٠ ميلاً في الساعة تقتلع الاشجار وتخرب البيوت . واذا مرت فوق بحر رفعت الماء عموديًّا في الهواء وتعرف حينئذٍ بالاعصار

باب الاخبار العلمية

خلاصة الغدّة النخمية

يجتمع مجمع تقدم العلوم الاميركي كلَّ سنة حوالي عيد الميلاد فتتلى فيهِ الرسائل العلمية وتمنح الرسالة التي تعدُّ ابعداثرًامن غيرها في ترقية فرعٍ من العلوم جائزة مالية قدرها مائتا جنيه . وقد نال هذه الجائزة في الاجتماع الاخير الاستاذ اولفركام مدير قسم البحث العلمي في معامل پارك آند دايڤس بدترويت . وموضوع رسالتهِ بحث في الغدة النخمية واثر مفرزاتها في الصحة والمرض

والغدّة النخمية هذه غدة صغيرة بحجم حبة من الحمص مركزها في منخفض من العظمة السفينية من عظام الجمجمة وتتصل بالدماغ قرب عصب البصر . وهي فصّان امامي وخلفي . فاذا كان الفصُّ الامامي قويًّا ومفرزاتهُ اكثر من المفرزات العادية نشأ صاحبها كبير الجثة كأَنهُ احد العمالقة. وقد حصر الدكتور كام بحثهُ في فصّها الخلفي فوجد في مفرزاتهِ هرمونين اطلق على احدهما هرمون الفا او اكسيتوسين وعلى الآخر هرمون بيتا او ڤازوپرسن. ولو كانت هذه الهرمونات للبيع وشاءَ احدٌ ان يبتاع رطلاً انكليزيًّا منها لكلفهُ ذلك مائتا الف من الجنيهات .والباحث المذكور لم يستطع ان يستخلص في مباحثهِ سوى جزء يسير من الاوقية مع انهُ استعمل الغدد النخمية في اكثر من خمسين الف رأسٍ من الماشية . وقد دلّت مباحثهُ على ان هرمون الفا قد يساعد النساء على التخلص من آلام الولادة والمخاض ويزيد ضغط الدم.وهرمون بيتا لهُ شأن كبير في السيطرة على استعمال الماءِ في مختلف اعضاءِ الجسم ويساعد على الاحتفاظ بضغط الدم الطبيعي في جراحة الدماغ . ولذلك قد يفيد استعمال هذا الهرمون في معالجة الحروق وفي العمليات الجراحية

وقال الدكتور آبل والدكتور جانسن من اساتذة جامعة جونز هبكنز الطبية انهما تمكنا من صنع بلورات الانسولين في المعمل الكيماوي ولا يخفى ان الانسولين هو خلاصة ما تفرزهُ البنكرياس ويستعمل في معالجة مرض البول السكري

اعجوبة علمية جديدة

برد من الطيارة فوق القطب يخاطب نيويورك

عند ما حلّق القومندر رتشرد برد

بطيارته « الخطوط والنجوم » الى علو ثلاثة آلاف قدم فوق مفاوز الجليد المحيطة بخليج الحيتان في القارة المتجمدة الجنوبية خاطب جريدة التيمس النيويوركية لاسلكيًا وتناول جوابها والمسافة بينهما نحو عشرة آلاف ميل

فعند الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ وقت نيويورك في ٢٥ يناير الماضي خاطب كارل بترسون عامل اللاسلكي في السفينة نيويورك الراسية في خليج الحيتان في القارة القطبية جريدة التيمس بجهاز طول امواجه ٣٤ متراً وقال لها ان مالكولم هانسون رئيس عمال اللاسلكي في البعثة القطبية سيطير في الطيارة الخطوط والنجوم في وقت كذا فوق الارض التي سماها برد « أمريكا الصغيرة » واشار على عامل اللاسلكي في التيمس ان يصغي ويسمع ما يصله من الطيارة فاعتد العامل آلتهُ على القياس الذي عينوهُ لهُ وكان الناس نياماً والمشتغلون باللاسلكي من موظفين وهواة قد لجأوا الى الراحة وكان كل شيء على ما يريدهُ العامل من الصفاء والسكينة لالتقاط الرسالة القطبية وبعد ان وصل الانذار الاول بالاستعداد لقبولها ارسل هانسون الرسالة التالية :

« تهانينا على اطول مخاطبة لاسلكية متبادلة مع طيارة في الفضاء . من الطيارة « النجوم والخطوط » الى القومندر س . هوبر مدير المواصلات البحرية في نظارة البحرية في واشنطون العاصمة تحيات خالصة لكم ولعامل البحرية الاختبارية ولكل نظارة البحرية بما قد تمَّ من نجاح

في الطول محادثةٍ مع الطيارات . نحن الآن طائرون على علو ثلاثة الاف قدم فوق اميركا الصغيرة خليج الحيتان في القطب. ليلة مشمسة جميلة»

وللحال اجاب ايفرسن عامل اللاسلكي في التيمس ان كل الكلمات وصلت مفهومة ولم يحتج الى اعادة احداها لان هانسن كان يعيد كل كلمة مرتين حين لفظها

مذهب اينشتين الجديد

شاع منذ مدة ان العلامة اينشتين يعدُّ العدة لينشر بحثاً عويصاً يعمّم به مذهب النسبية حتى يشمل ظاهرات المغنطيسية والكهربائية. وقد ذاع في اواخر يناير انهُ قدّم رسالة في هذا الموضوع الى اكادمية العلوم البروسية وحّد فيها النواميس التي تشمل الجاذبية والمغنطيسية الكهربائية . وقد بسط الاستاذ اينشتين موجز رأيهِ لمكاتب الديلي كرونكل في ما يأتي : « انقضت سنوات واعظم مطامح لي ان اقضي على «ثنائية» النواميس الطبيعية بتوحيدها . وهذه « الثنائية » ظاهرة في النواميس التي يقرّرها الطبيعيون . فطائفة منها خاصة بالجاذبية وطائفة اخرى خاصة بالكهربائية والمغنطيسية . وقد خطر لكثير من علماء ... طائفتين من النواميس ... على ناموس واحد عامّ . ولكن البحث النظري لم يؤدِ الى هذا الناموس العام ولا الامتحان كشف عنهُ فلم يستطع اقراره على وجهٍ من الوجوه. واعتقد اني وجدت الآن شكلاً علميًّا نستطيع اقرار هذا الناموس العام فيهِ . ان مذهب النسبية يشمل كل النواميس المسيطرة على الزمان والمكان والجاذبية وهذا المذهب الجديد يشمل ما تقدَّم مع النواميس المسيطرة على ظاهرات الكهربائية والمغنطيسية». وقد اشار الاستاذ ادنغتون في كتابهِ « طبيعة العالم الطبيعي » الى وجوب التوحيد بين هذه النواميس فحقّق اينشتين ذلك . ولكن التفاصيل لم تعرف بعدُ ومتى عرفت فالمرجح انها تكون عويصة لا يستطيع ادراكها الا كبار الرياضيين

٣٧٨ كيلو متر في الساعة

في بحيرة شتارنبرج بالمانيا التي اعتادت ذوات الشراع في الصيف ان تسير الهوينا فوق مياهها الصافية الزرقاء ، والتي طالما جاش ساحلها في ذلك الفصل بالحياة بضوضاء المستحمين المنبسطين . في تلك البحيرة يقف اليوم في بردها القارس آلاف من الناس في ثياب الشتاء الدفيئة ينتظرون ما تأتي بهِ الساعة من حادثٍ قيل لهم انهُ خطير ، ويتساءلون ترى ما هو هذا الحادث الخطير. وقد امّوا البحيرة من

كل مكان وبلغ جمعهم نيفاً وثلاثة آلاف ليعلموا بعد ذلك ان مكس فالير سينطلق على الثلج بزحافة « سهمية » كما انطلق فوق الارض من زمن بسيارته « السهمية » وكما يمكن ان ينطلق غداً الى حيث لا يعرف أحد كما يمضي البرق ولا يعرف منتهاه

ظهر مكس فالير بزحافته فما بدأت سهامها تنطلق حتى امتدت الاعناق وتطلعت الابصار ودفع الناس بعضهم بعضاً وارتفعت الاصوات بالدهشة والاعجاب. وزحافة فالير كسيارته المشهورة مجهزة من الخلف بطائفة من الاسهم لا يعلم تركيبها الا مخترعها ينطلق السهم الاول ويشتعل بانطلاقه السهم الثاني فيتبعه في اقل من ثانية وهكذا كلما انطلق او على الارجح انفجر سهم اندفعت الزحافة بقوة الانطلاق فطارت بسرعة البرق كانما مسها الشيطان واخذ الناس يسجلون السرعة « ١٥٠ » — « ٢٠٠ » « ٣٠٠ » — سرعة ثلاثمائة كيلو متر في الساعة . وهنا فقد النظارة صوابهم فكادوا يخطون منطقة سير الزحافة والزحافة في خلال ذلك تمرُّ بهم وكانها لم تمرَّ حتى اذا وقفت كان ما سجلته من سرعة قد بلغ ٣٧٨ كيلومتراً في الساعة

وبعد فمكس فالير هذا مهندس الماني يحاول ان ينهب الارض بسرعة آلاته نهباً. واذا كان قد سجل هذه السرعة الهائلة — سرعة ٣٧٨ كيلو متراً في الساعة — فقد يبلغ القمر بعد زمن يسير ! ومن يعش يرا

ورد هذا النبأ في رسالة المقطم في مكاتبه في برلين والقرّاء يذكرون الفصل المسهب الذي كتبناه في مقتطف نوفمبر الماضي في وصف « سيارة الصاروخة » التي جربت في المانيا وينتظر مستنبطوها ان يبلغوا بها حدًّا من السرعة لا يضاهى. وها هي ذي « زحافة الصاروخة » لا تزال في مهدها وقد بلغت سرعة اسرع الطيارات

البرد في اوربا

مضى على اوربا نحو شهر وهي في قبضة الجليد. فقد هبطت الحرارة في كثير من بلدانها الى درجات لم تبلغها في القرن الاخير . فقد هبطت في جوار موسكو الى ٦٧ درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت اي الى درجة ٥٥ تحت الصفر بميزان سنتغراد. وهبطت في قلنا ببولونيا الى درجة ٤٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي درجة ٤٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد. والى ٣١ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي نحو ٣٦ تحت الصفر بميزان سنتغراد في سيليسيا . والى درجة ١٤ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي نحو ٣١ تحت الصفر بميزان سنتغراد في بلغراد . والى ١٥ تحت الصفر بميزان فارنهيت اي الى درجة ٢٦ تحت الصفر بميزان سنتغراد في برلين وهي ادنى درجة حرارة عرفت

في براين منذ مائة سنة

وقد تجمد بحر البلطيق وحبست السفن فيهِ فشلت حركة الملاحة وتجلد نهر الطونة (الدانوب) مسافة ١٢٠٠ ميل من مسيلهِ وسدّت منافذ النفق الذي يسير فيهِ الاكسبرس الشرقي من باريس الى الاستانة ومنع تراكم الثلوج في تراقية ثلاثة قطارات من اكسبرس الشرق هذا عن الوصول الى الاستانة . واضطرت بعض مدارس فينا الى ان تقفل ابوابها لقلة الوقود الذي يستطيع الطلاب ان يصطلوا بهِ

المنافسة البحرية

اقرَّ مجلس الامة الاميركي (الكنغرس) المشروع الذي يقضي ببناء خمسة عشر طرّاداً في ثلاث سنوات . فعل ذلك بعد ما ابرم الانضمام لميثاق كلوج الذي يحرّم الحرب . وحجة الحزب الاميركي الذي يريد تقوية البحرية الاميركية ان ميثاق كلوج لا يمنع الحرب الدفاعية وانهم اذا لم يبنوا هذه الطرادات التي يبيحها لهم مؤتمر وشنطون البحري لم يتمكنوا ان يتفاوضوا مع بريطانيا واليابان وغيرها لانقاص التسليح البحري مفاوضة الند للند

ولا يخفى على القرّاء ان مؤتمر وشنطون البحري قرّر ان نسبة القوة البحرية بين بريطانيا والولايات المتحدة واليابان يجب ان تكون ٥ : ٥ : ٣ في في الطرادات . ولكن اميركا اهملت بناء ما يحق لها بناؤهُ فصار مقامها بعد اليابان بدلاً من ان يكون مساوياً لمقام بريطانيا كما ترى من الجدول التالي

الدولة		الطرادات القديمة	الطرادات الجديدة التي تم صنعها	الطرادات الحديثة التي تبنى الآن او ينتظر الشروع في بنائها
بريطانيا	العدد	—	٥٦	١٠
	المحمول	—	٣١٦٧٧٦ طناً	٩٣٠٠٠ طن
اميركا	العدد	٢٢	١٠	٨
	المحمول	١٦٤١٠٠ طن	٦٦٠٠٠ طن	٨٠٠٠٠ طن
اليابان	العدد	٩	٢٦	٧
	المحمول	٦٦٠٤٠ طناً	١٣٦٤١٥ طناً	٧٠٠٠٠ طن

فاذا اتمت الولايات المتحدة صنع ١٥ طراداً في سنة ١٩٣١ صار عدد طراداتها الحديثة ٣٣ محولها ٢٩٦٠٠٠ طن وكلها طرادات كبيرة يتراوح محمول الطراد منها

بين ٧٥٠٠ طن و١٠٠٠٠ طن وهو الحد الاعلى المعين في معاهدة وشنطن البحرية. وصار لبريطانيا ٦٦ طراداً محولها ٤١٠٠٠٠ طن ٢٦ منها طرادات كبيرة والباقية صغيرة. فالى اين يسوقنا هذا التنافس في التسليح ؟

نظام الكون وعظمتهُ

المجرة التي نظامنا الشمسي جزء منها طولها نحو الف وخمسمائة مليون سنة نورية والسنة النورية هي كما لا يخفى على قراء المقتطف المسافة التي يجتازها النور في سنة سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية . وكل مجرة نظامٌ مستقلٌ من الكواكب وما يدور حولها من السيارات والمذنبات. وفي مجرتنا نحو عشرة آلاف مليون نجم . ولكنك تجد في الفضاء خارج مجرتنا الوفاً من المجرات بعضها يرى سدماً لولبية كما في غيوم مجلان . على ان مجرتنا تفوق في حجمها كل المجرات التي تناولها البحث من خمسة اضعاف الى عشرين ضعفاً . وقد ثبت ان ابعد المجرَّات عنا التي كشفها التلسكوب تبعد نحو مائة مليون سنة نورية اي ٥٨٦ ٥٦٩ ٦٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل . هذه اراء الدكتور هارلو شابلي مدير مرصد كلية هارفرد كما بسطها في مجمع تقدم العلوم الاميركي

ويذهب الدكتور ولتر ادمز مدير مرصد جبل ولسن انهُ متى تمَّ صنع التلسكوب الكبير الذي قطرهُ مائتا بوصة تمكن علماء الفلك من ان يروا بهِ نجوماً من القدر الخامس والعشرين والنور الذي يصل الى الارض من احد هذه النجوم يساوي النور الذي يصل من شمعة عادية تبعد عنا ٤١ الفاً من الاميال

غراف زبلين

بعد ما كتبنا مقالتنا عن ارتقاء البلون وقدمنا لها بكلمة قلنا فيها ان غراف زبلين يعدّ عدتهُ لزيارة مصر والبلدان المجاورة لها جاءت الانباء بان زيارتهُ لمصر غير محققة وان اصحابهُ حتى كتابة هذه السطور لم يستأذنوا من وزارة الخارجية المصرية في الطيران فوقها

سبعة سيارات جديدة

جاء في مجلة العلم العام ان المسيو دلبورت من علماء الهيئة بالمرصد الملكي البلجيكي اكتشف سبعة سيارات جديدة صغيرة في جوار المشتري تدور حول الشمس

تصحيح خطأ

وقع خطأ في الخريطة المواجهة لصفحة ٣٠٨ اذ ذكر فيها ان سيتل بكندا والحقيقة انها في الولايات المتحدة الاميركية قريبة من حدود كندا

الجزء الثالث من المجلد الرابع والسبعين

صفحة

كلمات للدكتور صروف

التكلم بالعربية المعربة

ان العربية المعربة تمتاز على غير المعربة بحركات الاعراب في الكلمات المعربة وبحركات البناء في الكلمات المبنية . ويستدل من علم اللغات ان اصل هذه الحركات كلمات فاختصرت على تمادي الزمن وبقيت منها هـذه الحركات دلالة عليها ثم اهملت في الاستعمال ولم يفسد المعنى باهمالها . فكل ابناء العربية الآن يفهمون معنى زَيْدٌ سَافَرَ كما يفهمون زيْدْ سَافَرَ وبعضهم يرى فهم الجملة الاولى اسهل من فهم الجملة الثانية في التكلم وفي القراءة ايضاً . وكل الذين لقيناهم من ادباء اللغة واساطينها مثل الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب والمعلم بطرس البستاني من علماء بيروت وادبائها والشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان ومحمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري والشيخ علي يوسف من علماء مصر وادبائها كل هؤلاء لم تكن علامات الاعراب ولا حركات البناء الاخيرة تظهر في كلامهم وقلما تظهر في قراءتهم الا اذا قرأوا شعراً . ومنذ عهد غير بعيد لقينا رجلاً من اساتذة مدارس الحكومة تردد علينا مراراً في سنتين وكان يكلمنا بلغة معربة تماماً كأنهُ يقرأ شعراً فكان يتأنى في كلامهِ وكنا نجد صعوبة في ادراك معناهُ بالسرعة المعتادة لان جانباً من انتباهنا كان ينصرف الى النظر في حركات الاعراب والبناء التي كان يلحق بها كلماتهِ . ثم الفنا اسلوبهُ في الكلام ولكننا بقينا نشعر

بشيء من التعب واقتصد هو في بعض الحركات . ولا شبهة ان الكلام غير المعرب يفهم الآن كالكلام المعرب ان لم يكن اسهل فهماً من المعرب . ويبقى امر آخر على غاية الاهمية وهو ان اللفظة اذا تركت منها حركة الاعراب اذا كانت معربة وحركة البناء من آخرها اذا كانت مبنية يبقى منها اما مقطع واحد — مثل زَيْدْ وقامْ واما مقطعان مثل أحْمَدْ وضَرَبْ واما ثلاثة مثل مُسْتَفِيدْ وتَقَدَّمْ . واذا اعرب المعرب منها والحق المبني بحركة البناء صارت هذه الجمل هكذا زَيْدٌ قامَ أحْمَدُ ضَرَبَ ومُسْتَفِيدٌ تَقَدَّمَ فيكون المتوسط في الاولى مقطعين وفي الثانية ثلاثة . فاذا اغنى المقطعان عن الثلاثة ففي ذلك اقتصاد ثلث الوقت في التكلم وفي القراءة من غير اخلال في المعنى المراد . فاذا قضينا على ابناء العربية ان لا يتكلموا الاَّ كلاماً معرباً نكون قد اضعنا عليهم ثلث الوقت الذي يقضونهُ في التكلم من غير فائدة تجنى . . اما قراءة القرآن والشعر فلا بدَّ من النطق بكل الحركات فيها حيث يجب النطق بها

بقي هل في الامكان التكلم باللغة المعربة عموماً ؟ فرأينا فيهِ ان العامة لا تستطيع ذلك ولا ترغب فيهِ والخاصة تستطيعهُ وقلما ترغب فيهِ لانها تراهُ مضيعة للوقت

وهنا امر حري بالنظر وهو ان حركات الاعراب والبناء لم تكتب في كل ما وصل الينا من الكتابات القديمة واقدمها نقود كسروية نقشت عليها كلمات عربية في عهد الخلفاء الراشدين وقرطاس من البردي عليهِ كتابة عربية ويونانية وجد في مصر تاريخ كتابتهِ سنة ٨٧ للهجرة ويظهر منهما ان العرب كانوا يكتبون حينئذٍ كما نكتب من غير حركات مطلقاً . والاستغناء عن الحركات مزية للكتابة العربية يجب الاحتفاظ بها فانها من نوع الاختزال وفيهِ اقتصاد غير قليل

مطالعة النتف

النُتَفَة في اللغة «من ينتف العلم ولا يستقصيهِ» وقد شاعت في هذا العصر جرائد ومجلات تجمع نتفاً من العلم يتسلَّى بها القراء فيكتفون بها عن قراءة المقالات المسهبة التي تقتضي مطالعتها حصر الفكر في موضوعها . واما قارئ النتف او الخلاصات فانهُ يتسلَّى بها مهلة ما يقرأها ثم ينساها في الغالب واذا واظب على ذلك ضعفت ذاكرتهُ او خلطت بين الحقائق العلمية خلطاً معيباً الا اذا دئب على مطالعة المقالات العلمية القيمة وكانت هذه النتف او الخلاصات اخباراً علمية من مكتشفات او آراء جديدة تضيفها الذاكرة الى ما فيها من الحقائق العلمية فتحفظ فيها بالمجاورة

اينشتين ومذهبهُ الجديد

وحدة النواميس الكونية

كُتب حتى الآن ٣٧٧٥ كتاباً ورسالة في مذهب اينشتين المعروف بمذهب النسبية عدا ما كُتب في الصحف السيّارة لذلك لا ندعي ان في الامكان تلخيصهُ في ثلاث صفحات من المقتطف. وقد قضى صاحبهُ منذ حُقّق مذهب النسبية العام سنة ١٩١٩ عشر سنوات يتأمل ويحقق ويبحث حتى وفق الى الذهاب بمذهبهِ القديم درجة الى الامام يقال انهُ تمكن بها من توحيد النواميس التي تجري بمقتضاها افعال الجاذبية وافعال الكهربائية المغنطيسية في معادلة رياضية واحدة هي هذه التي ترى في وسط الصفحة. والرسالة التي بسط فيها الادلة على مذهبهِ الجديد لا تستغرق اكثر من خمس صفحات ولكنها خمس صفحات حافلات بالمعادلات الرياضية العالية تتلخص فيها عشر سنوات من البحث الدقيق والاستنباط الذي يحيّر الالباب.

ويرى الاستاذ فرويدلنخ مدير معهد اينشتين بمدينة بوتسدام ان العلماء الذين يدركون حقيقة ما يذهب اليهِ اينشتين من كل نواحيها قد لا يزيدون على اثني عشر عالماً

ومع ذلك ترى صحافيًّا اوربيًّا في برلين قد تلقى من ادارة الصحيفة التي يكاتبها ان يرسل على جناح البرق هذه الرسالة العلمية الرياضية المعقدة لان اسم اينشتين صار اشهر من نار على علم وقرّاء الصحف يتشوفون الى اخباره. فيذهب الصحافي ينتظر في جمهور كبير امام المطبعة التي توزع نسخاً من هذه الرسالة وحين يفوز بها يهرع الى مكتب التلغراف اللاسلكي ليرسلها لاسلكيًّا الى لندن كأنها صورة فوتغرافية اذ يتعذر ارسالها الفاظاً تعبر عن تلك الارقام الرياضية الساحرة المسحورة. ومن لندن ترسل كذلك الى نيويورك. اين ارخميدس وكوبرنيكس وغاليليو ونيوتن وكبلر

وديكارت يشهدون هذه العناية العامة بآراء العلماء ومذاهبهم ? اننا لا نفتح صحيفة افرنجية في هذه الايام الاَّ ونرى فيها شيئاً عن مذهب اينشتين الجديد من مجلة ناتشر العلمية الى جريدة نيويورك تيمس اليومية

***

في صدر الغرفة التي يشتغل فيها اينشتين اشغاله العقلية ببرلين عُلّقت ثلاث صور هي صور نيوتن وفراداي وكلارك مكسوِل . وكلهم انكليز . وما بقي من جدران الغرفة عاطل من الصور . ولعلهُ اختار هؤلاء الثلاثة لان مباحثهم الطبيعية والرياضية تمثل الخطوات الثلاثة التي خطتها الفلسفة الطبيعية قبل مذهب النسبية وكانت السبل المؤدية اليهِ

لما كانت الفلسفة الطبيعية سائرة في السبل التي اختطها لها نيوتن كان علماء الطبيعة يتصورون ان المادة حقيقية وان لا شيء يتغيَّر فيها الاَّ حركتها وان هذا التغيُّر (الحركة) لا يطرأ عليها الاَّ في فضاء . فالحركة والمكان والزمان كانت حقائق الطبيعة الاساسية

لذلك اسند نيوتن الى المكان او الفضاء صفة «المطلق» وفي النظام الذي ابتدعهُ اوجد حقيقة اخرى هي القوى المحركة التي ينحصر فعلها بين دقائق المادة وحسب ان هذه القوى متصلة اتصالاً لا انفصام لهُ بدقائق المادة وانها موزعة في الفضاء حسب ناموس لا يتغيَّر

اما علماء القرن التاسع عشر فحسبوا ان هنالك نوعين من هذه الدقائق الاول دقائق المادة المعروفة والثاني دقائق الكهربائية ، وحسبوا ان دقائق المادة يفعل بعضها ببعض بقوى الجاذبية على وفق الناموس الذي وضعهُ لها نيوتن وان دقائق الكهربائية يفعل كذلك بعضها ببعض بقوى تختلف كمكفوء مربع المسافة . وماكانوا يعترفون ان الفضاء الفضاء يمكن ان يكون ناقلاً للتغيرات والافعال الطبيعية . لذلك استنبط نيوتن مذهباً ذريًّا لانتقال النور قال فيهِ ان النور ذرات دقيقة تنطلق من الجسم المنير . فاضاف بذلك على نظامهِ الطبيعي دقيقة اخرى هي دقيقة النور هذه ولكن علماء القرن التاسع عشر عرفوا ان سرعة النور واحدة لا تتغير وهذا لا يتفق مع نواميس النظام النيوتوني لانهُ يقول ان سرعة الدقائق المتحركة تختلف باختلاف القوى التي تحركها فلماذا تشذُّ ذرات النور عن هذا النظام؟

فلا نعجبنَّ اذاً حين نرى مذهباً آخر في طبيعة النور يقلب نظام نيوتن ونريد بهِ المذهب التموجي . فبمقتضى هذا المذهب نقول ان كل حقيقة نستطيع ان نتصورها هي « حركة دقائق في الفضاءِ » وها هي ذي أمواج النور ليست الاَّ تموجات في الفضاءِ . فالفضاءِ قد عاد ينبض بالحياة بعد ما كان يحسب مسرحاً فقط للتغيرات الطبيعية . ثم أُستنبط الاثير على انهُ الجسم الذي يتموّج والذي يتخلل كلَّ شيء . وجاء فرادي فادرك بنبوغهِ خطورة الانقلاب

الذي وقع واحسَّ بذلك الشعور الدقيق الذي يكشف عن الحجُب انهُ يتعذَّر تصوُّر القوى الطبيعية تفعل فعلاً مباشراً بالاجسام البعيدة . فاذا دفع جسمٌ مكهرب جسماً مكهرباً على مسافة منهُ فهذا الدفع في نظره لم ينتج عن فعل الجسم الاول بالجسم الثاني مباشرة ولكنهُ حصل بواسطةٍ . فالجسم الاول يفعل بالفضاء حولهُ فعلاً يمتدُّ فيهِ الى كل الجهات . وحالة الفضاء هذه دعاها « الحقل الكهربائي »

وجاء بعدهُ كلارك مكسول فابتدع المعادلات الرياضية التي بنت الجسر بين مذهب « التموج في النور ومذهب التموج الكهربائي المغنطيسي » وصار العلماء ينظرون بعد ذلك الى النور نظرهم الى تموجات مغناطيسية كهربائية في حقل كهربائي وبعد ما جاء هرتز واثبت فعلاً وجود هذه الامواج الكهربائية المغناطيسية تعوّد الباحثون ان يعدّوا حالات الفضاء هي الحالات الطبيعية الاساسية .وفي اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اخذ العلماء يتململون قليلاً قليلاً من وجوب الاعتراف بحقيقتين طبيعيتين اساسيتين : الذرة الكهربائية والحقل الكهربائي . فحاول بعضهم ان يحسب الذرات الكهربائية اماكن من الحقل الكهربائي تتركز فيها قوة الكهربائية ولو امكن اثبات ذلك لكان عملاً عظيماً ولكننا لا نزال نرى الهوة بين الذرة الكهربائية والحقل الكهربائي كبيرة

نشر اينشتين « المذهب الخاص في النسبية » سنة ١٩٠٥ وابان فيهِ ان الكهربائية والمغناطيسية اللتين كانت تحسبان قبل ذلك قوتين متميزتين احداهما عن الاخرى هما في الحقيقة شيء واحد واثبت ايضاً ان في امكان جسم مادي ان يفقد من وزنهِ حين حركتهِ وان ما يفقدهُ يتحول الى كهربائية.وبكلمة اخرى اثبت ان المادة تتحول الى قوةٍ مناقضاً بذلك ان المادة لا تتلاشى ولكنها تتحول . وانقضى على هذا القول الاخير ٢٤ سنة قبلما جاء من يستعملهُ في تعليل ظاهرة طبيعية —جاء الاستاذ ملكن وقال ان الاشعة الكونية هي جانب من القوة التي تتولد من فناء شيء من المادة لدى تكوُّن العناصر في السدم البعيدة

وسنة ١٩١٥ نشر المذهب العام في النسبية وعرض فيهِ للجاذبية وذهب في تعليلها مذهباً يخالف مذهب نيوتن اذ قال ان الجاذبية صفة من صفات المكان او الفضاء اي ان الاجسام تنجذب بعضها الى بعض لا لقوة جاذبة فيها بل لان الفضاء منحنٍ تجري فيهِ الاجسام حسب انحائهِ . واقترح لذلك تجارب مختلفة لتأييد قوله او نفيهِ اشهرها ان النور يجب ان يخضع لهذا الانحناء وحسب مقدارهُ حساباً دقيقاً فايدت التجارب حسابهُ

ومذهبهُ الجديد وحّد فيهِ النواميس التي تشمل الجاذبية والمنطيسية الكهربائية وقد لخصناهُ في مقتطف مارس الماضي فقضي بذلك على « ثنائية النواميس الطبيعية »

اجسامنا : مقتذياتنا : نورنا

أمواج ام ذرّات

البروتون — الالكترون — الفوتون

نحن في اغسطس سنة ١٩٢٤ والمجمع العلمي البريطاني ملتئم في جامعة تورنتو الشهيرة التي كشف فيها بانتنغ ومكلود عن الانسولين الذي يستعمل في معالجة داء البول السكري. دخلنا مدرّج المحاضرات الطبيعية الرحب وكان رئيس قسم الطبيعيات السر وليم براغ احد كبار العلماء الانكليز الذي استعمل اشعة اكس لمعرفة ترتيب الدقائق في البلورات . وبين العلماء الحاضرين رأينا السر وليم باجت اشهر العلماء الباحثين في اصل النطق والاستاذ مكلنان استاذ الطبيعيات في جامعة تورنتو وهو ذائع الصيت لمباحثهِ في اسباب الشفق القطبي وتعليله بوجود بلورات النتروجين في طبقات الجوّ العليا

وبعد ما فرغ الرئيس من القاءِ خطابهِ اقبل السر وليم باجت يثبت لنا ان حناجرهُ الكرتونية تستطيع ان تخرج الحروف كالحناجر الطبيعية بعضلاتها واوتارها وغضاريفها . وذهب الى ابعد من ذلك فارانا حنجرتين صناعيتين ونفخ فيهما بمنفاخ فلفظت احداها حرف الراء كما يلفظهُ الانكليز لطيفاً خفيفاً ناعماً واخرى لفظتهُ كالاميركيين مضخماً في خنة كانهُ خارج من الانف . ثم تقدم الاستاذ مكلنان فارانا كيف يسبب وجود بلورات النتروجين في طبقات الجوّ العليا ذلك اللون الاخضر الذي يبهر الابصار في الشفق القطبي

وما إن اتمّ كل من هذين العالمين خطبتهُ حتى اخترق صفوف القاعدين شاب ربعة القوام متين البنية اسمر اللون اذا رأيتهُ في غير مجمع علمي وانت لا تعلم من هو ترجح لديك انهُ ملاكم من الوزن الثقيل .وهو حقّاً ملاكم من الوزن الثقيل الاّ ان ميدانهُ ذلك الفرع من الطبيعيات الذي يحاول ان يخترق ظواهر الاشياء ليكشف عن حقيقتها وادواتهُ في ذلك البحث، التجارب العلمية في المعمل الطبيعي والمعادلات الرياضية العالية

تقدم هذا الشاب الى منصة الخطابة فقدمهُ الرئيس بكلمة تنمُّ على احترام جزيل فاذا هو الاستاذ كُمتن احد اساتذة الطبيعيات في جامعة شيكاغو الاميركية التي نبغ من صفوف اساتيذها الاستاذان ميكلصن وملكان اشهر علماء الطبيعيات المعاصرين

ومن غير ورقة في يده اخذ الاستاذ كثن يسرد لنا الدليل العلمي في اثر الدليل العلمي مؤيداً اقواله بالمعادلات الرياضية على ان المذهب الذائع في ماهية النور يجب ان يناله تعديل كبير حتى يصير صالحاً لتعليل الحقائق الطبيعية الجديدة التي كشف عنها البحث العلمي

***

تعلمنا في كتب الطبيعة ان العلماء فريقان في نظرهم الى ماهية النور . فريق يرى (او كان لا يرى وعاد يرى الآن) ان النور مجارٍ من الذرات الصغيرة تنطلق بسرعة فائقة من الجسم المنير سواء كان شمعة او شمساً فتؤثر في شبكية العين وعصب البصر فنبصر النور . واكبر القائلين بهذا الرأي الفيلسوف اسحق نيوتن . والفريق الآخر يقول ان النور تموجات وفرضوا ان الوسط المتموج هو الاثير وزعيم هـذا الفريق العالم هوجنس . وقد جرب اتباعه تجارب مختلفة غايتها معرفة ماهية النور فاسفرت كلها عن تأييد القول بان النور امواج في الاثير . ثم جاء كلارك مكسول امير العلماء الطبيعيين الرياضيين في القرن التاسع عشر وقال إن امواج النور من نوع التموجات الكهربائية المغناطيسية فاخذ العلماء بقوله وما زالوا يعللون اشعة النور واشعة اكس والاشعة اللاسلكية بهذا الرأي

لكن بعض الباحثين في ظاهرات الاشعاع كشفوا عن كثير من الافعال النورية الكهربائية مما لم يوفقوا الى تعليله بالرأي التموجي بل سهل عليهم تعليله بمذهب نيوتن الذري بعد تعديله تعديلاً طفيفاً . واشهر هـذه الافعال فعل يدعى « الفعل النوري الكهربائي » . ذلك انهُ اذا وقع النور على بعض المعادن كالصوديوم او البوتاسيوم تطاير من سطح المعادن كهارب على نمط ما يحدث في سلك انبوب من انابيب التلفون اللاسلكي حين احمائه . هذا التطاير يدعى « الفعل النوري الكهربائي » وقد قضى اينشتين نحواً من عشرين سنة في درسه وصل في نهايتها الى اقتراحه بالعودة الى مذهب نيوتن

ويسهل تفسير هذا الفعل باتخاذ اشعة اكس مثلاً وهي كما لا يخفى لا تختلف عن اشعة النور الا في قصر امواجها وشدة نفوذها . فهي بذلك قادرة ان تطير الكهارب من اي مادة وقعت عليها

تتولد اشعة اكس حين يصطدم مجرى من الكهارب بلوحة من المعدن كما يحدث صوت فرقعة من وقوع رصاص متتابع منطلق من مدفع رشاش على درع من الدروع. فاذا فرضنا ان كهرباً انطلق من مصدر نور بسرعة مائة الف ميل في الثانية واصاب في انطلاقه لوحاً من البلاتين تولد من ذلك شعاعة من اشعة اكس تستطيع ان تنفذ لوحاً من الخشب من غير ان تفقد شيئاً من قوتها وهذا غريب لا ينطبق على قواعد العلوم الطبيعية

لو قيل لك ان احد البحارة في باخرة راسية في مرفإِ الاسكندرية قفز الى الماء من دكة باخرتهِ فاحدث موجة ما زالت دوائرها تتسع حتى خرجت من مرفإِ الاسكندرية وعبرت البحر الابيض المتوسط فدخل جانب منها مرفأ مرسيليا وفيهِ اصابت رجلاً يسبح فصدمتهُ صدمة عنيفة رفعتهُ الى دكة باخرة قريبة منهُ — لو قيل لك ذلك اتصدقهُ

لكن ذلك ليس اقلَّ غرابة مما يدعونا الى تصديقهِ القائلون بمذهب التموج. يريدون ان يجعلونا نصدق ان موجة من امواج اشعة اكس صدمت كهرباً في لوح من الخشب فانطلق بسرعتها العظيمة مع انها هي الاخرى موجة ناشئة عن اصطدام كهرب سريع بلوح من البلاتين. ولكنِ الواقع الذي لا مفرَّ منهُ ان اشعة اكس تفعل هذا الفعل فيجب اذاً ان نعللهُ تعليلاً آخر

لذلك استنبط مبدأ الكمّ الذي يتلخص في ان النور امواج بل هو مقادير دقيقة من القوة تسير سيراً موجيًّا. وكلُّ مقدارٍ من هذه المقادير يدعى الآن « فوتون » وبهِ يعلَّل الفعل المتقدم الذكر تعليلاً معقولاً. ذلك ان الكهرب الاول المنطلق بسرعة عظيمة اذا اصاب لوح البلاتين تحوَّلت قوة حركتهِ الى «فوتون» أي الى ذرة من اشعة اكس وهذه تنطلق بسرعة النور فاذا اصابت كهرباً في لوح الخشب اخذ الكهرب قوتها وانطلق بسرعة الكهرب الاول الذي اوجد الفوتون نفسهُ. ولكن مذهب الكمّ او مذهب «الفوتون» لا يتأيد الا اذا استطاع العلماء ان يعللوا بهِ مظاهر اخرى من مظاهر الطبيعة لم يستنبط خاصة لتعليلها. ومن ذلك مظهر يدعى « تفرق الاشعة » الذي عجز عنهُ اصحاب المذهب التموجي فتمكن علماء مذهب الكم من تعليلهِ وايدوا تعليلهم نظريًّا وعمليًّا. وفي مقدمة الباحثين الذين درسوا هذا المظهر وطبقوا عليهِ مذهب الكمّ هو هذا الاستاذ كمتن نفسهُ

وقد اعترف العالم العلمي لهذا العالم الشاب بدقة بحثهِ وبراعتهِ فمنح في السنة الماضية جائزة نوبل للطبيعيات عن سنة ١٩٢٧ وهو الاميركي الثالث الذي نالها سبقهُ اليها اداذاهُ وزميلاهُ ميكلصن وملكان

***

ينتقل المشهد الآن الى غلاسجو في سبتمبر سنة ١٩٢٨. المجمع العلمي البريطاني مجتمع كذلك في هذه المدينة برآسة السر وليم براغ رئيس قسم الطبيعيات في اجتماع تورنتو. ونحن في قسم الطبيعيات ايضاً. وقد تقدم اولاً الدكتور دافسن الاميركي فتكلم بصوت خافت وتلاه الاستاذ جورج طمسن ابن السر جوزف طمسن مكتشف الالكترون وهو شاب

تفيض من وجهه امارات النشاط والحياة والذكاء. فوصف تجارب تختلف كل الاختلاف عن التجارب التي وصفها دافسن . وجاء بعدهما امير فرنسي في غير حال الامراء واعتذر في بدء كلامه عما قد يقع في خطبته الانكليزية من الخطاء. هذا هو لوي ده برولي عالم من اشهر علماء الرياضيات في هذا العصر فتناول النتائج التي وصل اليها كل من العالمين اللذين سبقاه وبسحر الارقام والمعادلات جمع بينهما على صعيد واحد . وبعد ما انفضّ الاجتماع ذهب الثلاثة الى مدينة ابردين ليروا الادوات العلمية التي يستعملها الاستاذ طمسن الفتى في مباحثه التي حملته على الاعتقاد ان الكهرب يكون آناً ذرة وآناً موجة او هو ذرة تسير في اثره امواج

***

هذا البحث ليس الاّ وجهة اخرى من البحث الذي قدمنا عليه الكلام من «مذهب الفوتون» : كلاهما ناحية لاعظم المسائل العلمية التي تشغل اذهان العلماء ومعاملهم. ما هي حقيقتنا الثابتة ؟ هل نحن — اجسامنا ومقتنياتنا — امواج ؟ وهل غدا نورنا — الذي كان يحسب امواجاً — ذرات منطلقة في الفضاء

انك ايها القارىء تعرف ولا شك الجوهر الفرد . وقد سمعتَ ان الكهرب انما هو سيّار دقيق يطوف حول نواة صغيرة تدعى البروتون وان الجوهر الفرد يتألف من هذه النواة تدور حولها الكهارب. ما هو الكهرب ؟ قال بعضهم انهُ ذرة .ودعاهُ آخرون وحدة الكهربائية وقال آخرون انهُ ذرة — ذرة من اية مادة ؟ — تحمل شحنة كهربائية

نعلم ان الكهارب وحدات . وان الاشعة السلبية ليست سوى مجارٍ من هذه الوحدات. وقد عمد بعض العلماء الى قياس الكهرب ووزنهِ فوجدوا ان زنتهُ تبلغ ٩ اجزاء من مائة الف مليون مليون مليون مليون جزء من الغرام . وتصورهُ آخر كرويّ الشكل يبلغ قطرهُ ٣٧ جزءاً من مائة مليون مليون جزء من السنتمتر

ولكن ! ولكن الدكتور دافسن والدكتور جرمر الاميركيين اطلقا الكهارب حتى تخترق بعض البلورات والاستاذ طمسن والدكتور ريد اطلقاها حتى تخترق غشاء رقيقاً من المعدن فوجدوا كلهم من غير اتفاق بينهم ان فعل الكهارب في هذه الاحوال كفعل الامواج

فكيف تكون الكهارب ذرات وامواجاً في آنٍ واحد ؟ هذا هو السؤال الذي وجههُ العلماء عن حقيقة النور من ايام نيوتن الى الآن

ذهب نيوتن الى ان النور ذرات . وذهب هوجنس الى انهُ امواج فراجت سوق

الجدال بين العلماء . فاقترح احدهم ان يؤتى بصندوق اسود من داخله ويزنهُ اولاً ثم يوجه اليهِ شعاعة من النور ثم يزنهُ بعد ذلك . فاذا زاد وزنهُ بعد ذلك ثبت ان النور ذرات واذا بقي وزنهُ على ماكان عليهِ ثبت ان النور امواج . فجربت التجربة وبقي وزن الصندوق على حالهِ لان ادق المقاييس والموازين المستعملة الآن لا تستطيع ان تزن النور ولو كان ذرات لها وزن . فرجح المذهب التموجي حينئذٍ وبقي سائداً الى اوائل هذا القرن حين اخذت المباحث تثبت شيئاً فشيئاً ان النور ذرات وامواج او لدى التحقيق ذرات من القوة تسير سيراً موجيًّا وهو مذهب « الفوتون »

وما حدث للنور حادث للكهرب الآن . فان العلماء آخذون في النظر اليهِ نظرهم الى كتلة من الامواج كما يؤخذ من تجارب دافسن وطمسن على اختلاف وسائلهما وعدم اتصالهما قبل اجتماع غلاسجو ، وكما يستفاد من مباحث ده برولي الرياضية الدقيقة التي ايدتها التجارب في بعض المعامل العلمية

اخذ الدكتور دافسن الاميركي بلورة من النكل وصوّب الى وجهها تياراً من الكهارب فانحرفت بعض الكهارب عنها ولدى التدقيق وُجد ان هذا الانحراف يحصل في جهات معينة دون غيرها . وبعد البحث الرياضيّ الدقيق وجد انهُ لو كانت الكهارب امواجاً مصوّبة الى وجهِ هذه البلورة لانحرفت عنها الى الجهة التي انحرفت اليها الكهارب دون غيرها . ثم حسبت قوة هذه الامواج

واخذ الاستاذ جورج طمسن اغشية شفافة من المعادن آناً ومن السلولويد آناً آخر وامرّ فيها تياراً من الكهارب . ولما كانت اكثر المواد بلورية فكأن الاستاذ طمسن امرَّ تيار كهاربهِ في غشاء مكون من بلورات عديدة دقيقة بدلاً من ان يوجهها كالاستاذ دافسن الى وجهِ بلورة واحدة . وعلى ١٢ بوصة وراء الغشاء وضع لوحاً فتوغرافيًّا كانت تصيبهُ الكهارب بعد اختراقها للغشاء وتفرقها ببلوراتهِ وتترك فيهِ اثراً فتوغرافيًّا . ولما اخذ هذا اللوح الفتوغرافي وغسلهُ وثبتهُ وجد ان اثر هذه الكهارب ظاهر في حلقة او في نقطة منتظمة في شكل حلقي . وهذا الانتظام يشبهُ اثر اشعة اكس بعد اختراقها لطبقة رقيقة من بلورات الالومنيوم اي ان الكهارب فعلت كاشعة اكس . فالمسألة العظيمة التي تحيّر الباب العلماء هي هذه : هل النور امواج او ذرات . هل الكهارب امواج او ذرات . فالنور الذي نشأنا على حسبانهِ امواجاً لهُ احياناً صفات الامواج . والكهارب التي اتصفت بصفات الدقائق المادية ثبتت لها صفات واسندت اليها افعال تجعلها والامواج سواء .

الثورة المقبلة : اجتماعية اقتصادية

تنشأ عن اتساع الهوة بين التقدم العلمي والارتقاء الاجتماعي

خاصة للمقتطف بقلم المستر فيليب سنودن

وزير مالية بريطانيا في وزارة العمال

هل يزيد رغد العيش ورخاء الناس بازدياد المكتشفات العلمية وتكثر المستنبطات العجيبة واتقان الوسائل الصناعية على اختلافها ؟

ان نظرة عجلى الى دور الصناعة تكفي لان تقنع الناظر بان السيطرة على قوى الطبيعة واستخدامها في الآلات تخفف من عبء العمل الشاق عن كاهل الانسان ، وترفع مستوى معيشته . فاذا ذهب احد المفكرين مرتاباً في فائدة هذه المكتشفات والمستنبطات متسائلاً فيما بينهُ وبين نفسهِ « هل يستفيد العمران شيئاً ما من المكتشفات والمستنبطات التي ينتظر تحقيقها في قرن من الزمان » حسبهُ الناس متعنتاً ليس لهُ مسوغ فيما يذهب اليهِ

من الاقوال المأثورة عن الفيلسوف جون ستيورت مل قولهُ « اني ارتاب اذا كانت كل الآلات الصناعية قد خففت عبء العمل اليومي عن كاهل عامل واحد » . فاذا حذفنا ما في هذه العبارة من المبالغة المقصودة وجدنا فيهِ نصيباً كبيراً من الحقيقة

لقد زادت قوة الانتاج في كثير من الصناعات نحو خمسمائة ضعف في ١٥٠ سنة بادخال الآلات البخارية والكهربائية الى المعامل . فاذا حسبنا ان مائة عامل كانوا يستطيعون من مائة وخمسين سنة ان يصنعوا مقدار كذا من صنف ما في اسبوع اصبحوا الآن يستطيعون ان يصنعوا خمسمائة ضعف ذلك المقدار في الوقت عينهِ ولكن بمساعدة الآلات . ومع ذلك لا نرى نقصاً في ساعات العمل يوازي هذا التقدم في سرعة الانتاج ولا زيادة في اجور العمال تتناسب معهُ . على ان الانصاف يقضي علينا بان نقول ان الثورة الصناعية زادت الثروة العالمية فمهدت السبيل لسكان الارض المتزايدين عاماً بعد عام ان يعيشوا في مستوى من الرخاء اعلى من مستوى اسلافهم . واظهر الصفات التي يتصف بها تقدم علمي ميكانيكي كالتقدم الذي شهدناهُ منذ اواسط القرن الماضي صفتان : الاولى — تجمع الثروة في ايدي افراد قلائل من سكان البلدان الصناعية . والثانية — زيادة المشتغلين باعمال غير منتجة . لذلك يتعذر على اصحاب الصناعات ان يمنحوا العمال المنتجين ما يستحقونهُ من الاجور

ولا ريب في ان التقدم العلمي والصناعي افاد فائدة غير مباشرة جماعات السكان الذين لم يشتركوا في تحقيقه كمال . واشهر هذه الفوائد ارتقاء طرق المواصلات ورخصها وتمدد وسائل اللهو والمطالعة والتهذيب ورخص السيارات واتقان المخاطبات اللاسلكية وما اليها

والسبب في ان التقدم العلمي والصناعي لا يظهر لهُ اثر في رخاء الجمهور وهناءتهِ هو ان بلدان الارض لم تنتظم بعدُ انتظاماً يمكنها من استهلاك كل ما تقذف بهِ المصانع الى الاسواق . لذلك تكون النتيجة الاولى التي تنجم عن استنباط وسيلة ميكانيكية جديدة لترقية الصناعة ان يستغنى عن عدد من العمال لان اصحاب الصناعة اذا احتفظوا بجميع العمال واستخدموهم في ادارة الآلات الجديدة زاد ما تنتجهُ المعامل عن حاجة الاسواق اليهِ . لذلك يعمد اصحاب الصناعات الى الاستغناء عن بعض عمالهم لكي يحفظوا ما ينتجونهُ ضمن نطاق محدود لئلا يكثر المعروض وتهبط الاسعار

فماذا ينتظر ان يحدث اذا استمرَّ التقدم العلمي والصناعي سائراً سيراً حثيثاً الى الامام من غير ان يصحبهُ تقدم في مقدرة البلدان على استهلاك الانتاج الزائد الذي تمهد لهُ الوسائل الصناعية الجديدة سبيل الزيادة والسرعة ؟ ان مقدرة البلدان على استهلاك البضائع المختلفة يتوقف على مقدرة الطبقة المعروفة بطبقة العمال على الشراء . فاذا لم تزد مقدرتهم على الشراء لم يتسع نطاق الاسواق المختلفة لاستهلاك ما تنتجهُ المصانع وصرنا حينئذٍ نخشى ثورة صناعية اخرى . وكل الدلائل تدلُّ على اننا قريبون جدًّا من انقلاب خطير الشأن في وسائل الصناعة العلمية . اذ يظهر لي اننا على عتبة عصر جديد تستعمل فيهِ العلوم الكيماوية في الصناعة فتحدث ثورة أعظم اثراً وابعد مدى من الثورة الصناعية التي احدثها استنباط الآلة البخارية . وكيف اجلنا الطرف نجد ان العلوم مطردة التقدم لان كل اكتشاف جديد يثير العلماء على البحث والاستقصاء ويفضي الى اكتشافات كثيرة

وقد يكون في امكان الكيماويين ان يزيدوا خصب الارض في مدى قرن واحد زيادة تجعل الناس في غنى عن اربعة اخماس الاراضي المزروعة الآن . فيقضى على كثير من المواد الخام المستعملة الآن في الصناعة وتحلّ محلها مواد مركبة تركيباً كيماويًّا . ان تقدماً في هذه الناحية من نواحي العمران يقلب رأساً على عقب توزيع العمل بين الناس وتعود الزراعة لا تحسب الركن الاساسي في ثروة الامم

تجيء الثورات احياناً فجأة كما جاءت الثورة الصناعية منذ ١٥٠ سنة وفي بعض الاحيان تأتي ببطء كأنها تنتظر تضافر العوامل التي تمهد لها السبيل . فهل في العمران الحاضر عوامل تنهيأ وتتضافر لاحداث ثورة ما ؟

المستر فيليب سنودن

وزير مالية بريطانيا في وزارة العمال ومن اشهر الكتّاب الاقتصاديين المعاصرين
وهو هنا مرتدٍ ملابس وزير المالية الرسمية

مقتطف ابريل ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٧٣

انظر الى المستنبطات التي حققت في الخمسين السنة الاخيرة. التلفون — المصباح الكهربائي المولدات والمحركات الكهربائية — الاتومويل — المخاطبات اللاسلكية على اختلافها — السفن التي تحرق البترول — الحرير الصناعي — الآلات التي تبيع كالاحياء — هذه هي بعض المستنبطات التي قذف بها العلماء والمستنبطون والصناع الى ميادين الحياة اليومية

وقد اتقنت الوسائل الميكانيكية المختلفة اتقاناً جعلها كأنها مستنبطات جديدة . فقد نشر اتحاد العمال في اميركا نشرة اقتصادية يؤخذ منها ان مقدرة العامل على الانتاج زادت من اول القرن العشرين الى الآن خمسين في المائة وان هذه الزيادة سببها اتقان الوسائل الصناعية الميكانيكية

ومما يؤسف له وقد يكون له اثر شديد الخطر في العمران ان كثيراً من البلدان زادت قوة معاملها ومصانعها زيادة كبيرة لا تسوغها حالة الاسواق العالمية ولذلك ترى ان جانباً كبيراً من هذه المعامل واقف عن العمل لا يبدي حراكاً . ففي ١٧ سنة (١٩٠٧ — ١٩٢٤) زادت القوة المستعملة في مناجم بريطانيا ومعاملها من ٨ ملايين حصان الى ١٥ مليوناً ولكن ما تنتجهُ هذه المناجم والمعامل لم يزد قط . وهذا يعود بنا الى ما قدمنا الكلام عليهِ وهو اذا لم تنتظم بلدان العالم انتظاماً يمكنها من استهلاك ما تنتجهُ المعامل التي تكثر ويزداد انتاجها كلَّ سنة باتقان اساليب العلم ووسائل الصناعة لم يجدِ هذا التقدم العلمي الصناعي نفعاً ما

فالنتيجة العامة التي نصل اليها بعد البحث المتقدم هي هذه . ان التقدم العلمي والصناعي سريع لا تستطيع بلدان الارض ان تجاريهُ بزيادة مقدرتها على الاستهلاك والتكيف على ما تقتضيهِ الاحوال الصناعية الجديدة . وانهُ اذا استمرَّ كذلك وقف كثير من المصانع عن العمل ووقعت لا محالة ازمة خطيرة جدًّا بزيادة العمال العاطلين

ولو كان في الامكان لكان يحسن بنا ان نقف عقداً او عقدين من الزمان عن الاكتشاف والاستنباط لنعنى في اثناء ذلك بتنظيم ما اتقناه حتى الآن ومحاولة الوصول الى نقطة التوازن بين الانتاج والاستهلاك . بذلك فقط نتمكن من توزيع المنافع التي تنجم عن ارتقاءِ العلم وزيادة سيطرتهِ على اساليب الصناعة . وما لم نفعل ذلك بطريقة من الطرق لا بدَّ ان نفيق يوماً فنرى الصناعة في ركود وجماهير العمال العاطلين في فقر مدقع فاذا حصل ذلك صعب على نظام العالم المالي تحمل هذا العبء ان لم يتعذر عليهِ ذلك وحينئذٍ ينحني تحتهُ وينهار

ما اغرب النتيجة التي وصلنا اليها — كلما زادت مقدرتنا على الانتاج زادت المصاعب في الاستفادة منها وتوزيع المنتج على جميع طبقات الناس توزيعاً عادلاً ! لقد صدق قول الشاعر « مجيء المعرفة سريع ولكن مجيءَ الحكمة بطيء »

العوامل الجغرافية في عمران الشرق

خطبة نفيسة القيت في باريس

ايها الافاضل : الشرق هو مهد الحضارة باتفاق الباحثين المدققين ، من علماء التاريخ والجغرافية والاقوام . واقصد بالشرق الشرقَ الادنى وقسماً من الشرق الاوسط اللذين تمتد ارجاؤهما من بادية ليبية الى بوادي تركستان : واحسن من هذا البلاد التي منحتها الطبيعة اهمّ ينابيع الحياة التي ما فتىء يردد ذكرها التاريخ . أعني ينابيع الحياة هذه -- النيل والفراتَ ودجلة وقارون وسيحون وجيحون المنصبين في بحر آرال وبنجاب او الانهر الخمسةَ التي يتألف منها نهر السند العظيم . تجري هذه الانهر في منطقة ، لا تزيد درجة عرضها من الشمال على اربعين درجة ، ولا تتجاوز خط السرطان من الجنوب . تحيط بها البوادي من كل صوب ، وتنساب مياهها في هذه القفار ، انسياب العروق على ظاهر اليد ، فوق سواد من الطمي الذي ركَّدُ على جنباتها وعند مصباتها الفيضان . ومن هنا تشابه زائد في اقاليمها ، وتمارب في تربتها وخصبها . فالاقليم على درجة من الحرارة تساعد على نمو النبات ونضوجه ، بسرعة تسمح للانسان والحيوان أن يستفيدا منهُ ، قبل مداهمة الامطار او فيض الانهار . وتربتها من حيث المجموع في نجوة من ديم البلاد الاستوائية التي تجرد الارض ، باطراد انصبابها وغزارتها من المواد المخصبة المكنوزة فيها . فلذلك وقى بُعْدُ هذه البلاد عن خط الاستواء وعن البحار العظيمة ، تربتها من الفقر ، وحفظ بركتها بحفظ المواد العضوية التي حملتها اليها الانهر العظيمة ، وبما ادّخر في جوفها من المواد المنحلة كالكلس والبوتاس والمغنيزى التي سفتها اليها الرياح ، او جرها السيل

جذبت خصوبة هذه البلاد اليها ، منذ عهد يصعب تقديره ، شتى البطون والعشائر القديمة . واغناهم بركتها وتقارب مواسم النضوج والاثمار فيها ، عن النزوح الى بقعة اخرى من الارض ، طلباً للمرعى او القنص . فاعتادوا عادة المكوث والاقامة في دار واحدة ، ولجأوا الى استنزاف اكف الارض ، وخزن محصولها يقتاتون به ، ايام رقود الطبيعة وموات النبات . ودفعتهم الحاجة الى الحيطة والتدبير ، وسطعت في اذهانهم انوار التبصر والتفكير . هذه اول خطوة من خطى الحضارة في العالم : الحضر بعد البداوة . لازمها اصطفاء بعض النباتات البقلية والخضرية التي نأكلها اليوم ، وفلاحةُ الارض وتسميدها ، واستخدام

الحيوانات التي تعين هذا الزارع الجديد على حرث الارض والنقل والجرّ

ظلَّت المشارُ الاولية واقفة عندهذا الحد من الحضارة مدة طويلة من الزمن، قبل ان تصل الى ذلك المستوى من الرقي العقلي الذي استطاعت معهُ بناء الاقنية العظيمة والسدود، ورفع الهياكل المؤبدة والقصور، واتقان اساليب الصناعة والزراعة والموسيقى والشعر، وسنّ السنن القويمة والتفنن في طرق اللهو والمسرة والهناءة

لم تتحقق هذه الآثار الا بعد اجيال طويلة وحروب، بقيت في خلالها كل جماعة من الجماعات كالنوم في مصر والممالك الصغيرة في كلدانية وعيلام، آمرة ناهية على نفسها، مستقلة في قراها. لان تحقيق مثل هذا، منوط باتحاد الوف مؤلفة من الايدي، يبعثها الى العمل حسن التآزر والنفع العمم. يقول بهذا الصدد العلامة الجغرافي اليزه روكلوس Elisée Reclus في بحثهِ عن العراق: «إن سكان شواطىء النهرين، يرجعون بتاريخهم الخرافي الى عهد ذلك الفيض العظيم الذي دعوهُ بالطوفان، وينقل خبره عن اقاصيصهم في التوراة حرفاً بحرف. ويبدأ تاريخهم السنوي الاصلي قبل اربعة آلاف سنة من يومنا هذا. ولكن لسنا ندري كم مرت من آجال وقرون، قبل هذا الوقت الذي وسعهُ العد والحساب، على حراثة هذه الاراضي واستثمارها، من لدن تلك الطوائف المختلفة كالسيت والطورانيين اقدم البشر، والايرانيين والساميين، وسكان شبه جزيرة تلمون او البحرين! . ما فتئ يعملُ عامل التمازج والاحتكاك بهؤلاء الجماعات المختلفة، حتى اختلطت اديانهم، وعاداتهم واوضاعهم بعضها ببعض، فتألفت من مجموعها وحدةٌ قومية في العراق»

هذا مثال ايها الافاضل، ينطبق على كل بقعة من بقاع الشرق جذبت بهجتها الى حضنها شتى الاقوام المتبعثرة، كما يجذب الضياء في حلكة الليل الفراش. هذا نصيب مصر والعراق، والصغد وبقتريان، والهند والصين، من اختلاف جرثومة الاقوام التي سكنتها فيجدر بنا ان نصرح بعد هذا، بان الحضارة الشرقية ليست وليدة بقعة واحدة من الارض ولا هي حكرة قوم واحد، مستقل بلغتهِ وعنصرهِ ومزاياهُ. بل ازيد على ذلك واقول: يستحيل على قوم منفرد بذاتهِ ان يأتي بحضارة كاملة تظل خالدة على مرّ الايام. هذه اقوام جزر المحيط الكبير، لم يقفوا عند حدهم من التوحش والهمجية، الا لنأي بعضهم عن بعض وانزوائهم في جزرهم. وهذا مثال المدنية الاوربية الحديثة التي لم تتقدم بهذه السرعة الا لاحتكاك بعض اقوامها ببعض، وتكافؤ افكارهم ومخترعاتهم. يقول الجغرافي الشهير ڤيدال دولابلاش واضع اساس المذهب الجغرافي الحديث «لا نكرّم امة من الامم الكبرى اذا اعتبرناها مستقلة بحضارتها عن غيرها، منفردة بمزاياها. فقد تضمحلُّ هذه

المزايا ، اذا لم تنعشها من حين الى حين موارد جديدة من القوة والنشاط »

هنا اظنُّ أن قد لمسنا سر تقدم الحضارة الشرقية في العصور الغابرة ،وسرَّ تأخرها في آن واحد . بقي علينا ان نبين ما كان للعوامل الجغرافية من الاثر في احتكاك الشرقيين واختلاطهم بعضهم ببعض ، عن طريق التجارة والمهاجرة والحروب .ويحسن بنا قبل ان نخوض هذا البحث ان نحدّد دائرة موضوعهِ ونحصرها في اهم المناطق التي كان لها الاثر العظيم في سائر البلاد الشرقية . ومن اهم هذه البلاد مصر والشام والعراق .

***

تنكشف مصر شمالاً لتجارة البحر المتوسط ، ويصلها من الشرق ببلاد العرب وبالشام البحر الاحمر وشبه جزيرة سيناء ، ويفصلها عن القارة الافريقية من الغرب والجنوب بوادي ليبية والنوبة .فتصلها هذه البحارُ الضيقة لتداني سواحلها وقلة اخطارها بآسية : وتفصلها تلك البوادي الواسعة عن افريقية ، لجفافها وكثرة مخاوفها ، مع فقر البلاد التي وراءها او تأخر حضارتها . فلذلك اتجهت مصر من اقدم العصور نحو الشرق ، ودفعتها مصالحها الاقتصادية والسياسية الى التوسع في انحاء جزيرة العرب وسورية والعراق، كما انها كانت عرضة لغارات الامم الشرقية الآسيوية باكثر من الامم الافريقية . ولهذا نرى آثار الدم السامي والآري والمغولي غالبة على آثار الدم الحامي حتى في سكان القسم الجنوبي منها . اريد بذلك سكان مصر العليا فقط لان سكان السودان تغلب فيهم آثار الدم الحامي والزنجي

العراق يشرف على خليج البصرة المتجه الى بلاد الهند والبحرين . يربطهُ وادي الفرات بسهول آرام وبالبحر المتوسط : ويذلل وادي قارون على تجارته انجاد بلاد فارس ، ويصلهُ وادي دجلة بالجزيرة العليا وارمينية وكردستان . فكل من هذه الاودية، وخليج البصرة ، وسهول بادية الشام التي تكثر فيها مجامع الماء والآبار ، عروق للتجارة ومسارح لمراكب البر والبحر ، مصدرها ومآبها مدائن بابل وآشور ، تلك البوتقةُ التي انصهرت فيها ، عشراتٌ من سبائك المدنيات المختلفة ، ومئاتٌ من الاقوام

سورية هي اداة الوصل بين مصر والعراق . قبضت بيديها من الشمال ، على تعاريج نهر الفرات . وتشبثت قدماها من الجنوب ، بأضلاع ذلك المثلث المؤلف من شبه جزيرة سيناء التي تربطها بمصر . وفتحتْ صدرَها وفغرت فاها لتجارة البحر المتوسط ، وقلبت ظهرها للبادية تمرّضهُ لصدمات سكانها ، بينا هي تتصرف وتتحكم بموارد البحر . لذلك انصرفت الاقوام التي سكنت سواحلها الى الملاحة ، وتمسكت بطريق وادي الفرات ،ولم تقطع يوماً من الايام علائقها التجارية بمصر . وقد دعا توسط سورية بين العراق ومصر

إلى ان تكون مسرحاً لمعارك الامتين ، وممراً لجيوشهما ، وولاية تتناوب عليها سيادتاهما ، كما انها سادت على البلدين في بعض الاحيان

مصر والعراق ، قطبان استقرت فيهما قوتا الجذب والدفع ، وتواصلا فيما بينهما . فجذبا في ابان ضعفهما ، الى صدرهما ، اخلاط الامم المجاورة ، ودفعا في آوان قوتهما الى الفتح جيوشاً تخضع لحكمهما سكان البلاد المتاخمة مع تنازع بينهما واتصال . فترجح مرة كفة مصر وتهبط اخرى كفة العراق ، حتى وقعتا كلتاهما في قبضة الامم الآرية والمغولية التي انحدرت من اعالي انجاد فارس والاناضول . على ان نصيب مصر من غارات هـذه الامم لم يكن ليقضي على اهميتها ووحدتها العرقية التي تأسست منذ عهد السلالات الاولى فقد بقي فيها بقية من الثروة والمدنية على الرغم من توالي الجيوش المستولية وغارات الاقوام الصغيرة التي ليس لها غاية ما سوى النهب والسلب . فبوادي افريقية التي تحيط بها من الغرب والجنوب ، كفت عنها شر الامم البدوية والزنجية . وقد حماها البحر المتوسط في اثناء الشدائد من هجمات الامم الساحلية ، كما مهد لها وسائل التجارة في ابّان السلم . وحفظتها شواطئها على البحر الاحمر لصعوبتها وجردها ، وبعد وادي النيل عنها . فباب مصر الوحيد ، هو ذلك الساحل الضيق الذي يمتد بين دلتا النيل وفلسطين . فمن هـذا الدهليز تسربت اليها جيوش الفاتحين . على ان هذه الجيوش ، كثيراً ما تكون منهكة بما عانته من الشدائد ، في اجتياز سهول الشام وجبالها ، وفتح مدن سواحلها الحصينة التي حملها الغرور مراراً على رفض كل معاهدة لا تخدم مصالحها التجارية . فتكون اساطيلها ، على حالة سخطها ، مانعة لزحف تلك الجيوش بسهولة على مصر . فمقاومة صادقة يقوم بها المصريون في وجه عدوهم المنتهك تكفي لرد غارته وفلّ جيوشه

واما العراق فسهول ممتدة كالكف ، تشرف عليها من الشرق والشمال ، جبالُ فارس والجزيرة العليا التي تحفها جبال كردستان وارمينية واللكام (او طوروس) . وهي موكولة لرحمة البادية من الغرب والجنوب . لان بوادي الشام ونجد ، لا تشبه بوادي افريقية المحيطة بمصر . فهي بالاحرى سهولٌ على شيء من الخصب ، ينبت فيها العشب بعد مداهمة الامطار ، وتقطنها قبائل غنية بقطعانها ، كثير عديدها . زد على ذلك فقر العراق بالحجارة والصخور ، تلك المواد الابتدائية اللازمة لبناء الاسوار والقلاع والحصون في كل وقت . مع ان مدائن العراق ومعاقلها ، كانت تبنى بالآجر الذي يحتاج جبله وطبخه ، الى مدة من الوقت ومهارة في الصنع . وفوق هذا وذاك ، كان جريان دجلة والفرات ، ضمن بعض الشرائط الطبيعية ، مما يمهد للعدو وسائل الفتح : وهو بعد ان ينطلق دجلة والفرات

من احضان واديهما على مقربة من سامرا وهيت ، تحفهما من الجنبين سدود معرمة من التراب ، تحمي مياههما أن تتكفأ يمنةً او شمالاً ، لان سوية المياه ، تعلو سوية الاراضي المجاورة ، لارتفاع مجرى النهرين ، بما يرسب في قراريهما من الطين والنضار . فما هو الا خرق او فجوة صغيرة على حرف النهر ، حتى تتوسع شيئاً فشيئاً بتأثير ضغط الماء ، فيتسرب منها النهر برمته ، ويحيد عن مجراه القديم ، ويعمُّ فيضهُ السهول والبقاع. كل من قرأ التاريخ القديم يذكر الحيلة التي احتالها الفرس لفتح مدينة بابل . فقد امر كسرى بهدم سدود الفرات ، ففاضت مياههُ على الاراضي المجاورة ، وحادت عن مجراها الذي كان يخترق المدينة . فمنع عنها الماء ، وهدد الزرع بالفساد ، وباغتها بعد ذلك من الفجوة التي تركها ممر النهر من تحت السور . لم يكن كسرى الكبير الفاتح الوحيد الذي جرد هـذا السلاح في وجه العراق . فقد فعل فعله كل فاتح قبله ، وحذا حذوه كل فاتح وجه اليها الجيوش من بعدهِ فنهم من اعاد المياه الى مجاريها ،والزراعة الى زهوها فنمت وازدهرت في عهدهِ المدنية . ومنهم من اهملها ، فضلّت المياه في الجداول والشعاب ، وكثرت المستنقعات ، وفسدت بعض الارضين وجف البعض الآخر ، وتقهقرت الزراعة وخيم البؤس والفقر فجلا عنها الناس الى ديار اخرى دانية أو نائية طلباً للامن والمعاش

لمثل هذه الاسباب الطبيعية ، عاشت مصر الى يومنا واندرست آثار الحضارة والعمران في العراق

***

كانت الحروب التي اجتاحت مصر وسورية والعراق على نوعين . فنها ما يرمي الى النهب والسلب والفتح المجرّد لتوسيع الملك ونشر السيادة ، دون كثير من الاهتمام بشؤون هذه البلاد.ومنها ما كانت غايتها التوطن والاستقرار.فكل من غارات جنكيز وتيمورلنك، والقرامطة وبني هلال ، لا تكنُ وراءها غاية ما سوى النهب والسلب والقتل والتدمير . وكل من وقعة فرسال بين الاسكندر والفرس ، ووقعة القادسية بين سعد والفرس . ووقعة اليرموك بين خالد والروم ، كانت ترمي الى التوطن والاستقرار .لذلك ساد في عهد هؤلاء الامن،وزهت الحضارة وراجت سوق التجارة ، وتقدمت الصناعة والزراعة والعلوم

منذ الفي وخمسمائة عام . اي منذ اتحدت في الشرق شتى الاقوام السامية ، وممالكهم الصغيرة التي يمتُّ بعضها الى بعض بصلة من الصلات الاقتصادية والتجارية فالفت اُمماً كبيرة ودولاً عظمى ، الى يومنا هذا ، شهدت هذه البلاد (مصر وسورية والعراق) من المعارك الدامية ما ذهب بنفوس الملايين من الناس على ان الحروب التي ولـدها تنازع ابناء اشور ،

وكلدان ، وآرام ، ومصر على السيادة ومراكز التجارة ، لم تكن قاضية مميتة . فقد كان بينهم على الرغم من فظائعهم بالحرب شيء من التفاهم والتعاون آناء السلم على احياء الزراعة والصناعة وتسهيل اسباب التجارة ، اذ كانت غايتهم في الحياة واحدة وافكارهم ولغاتهم وعاداتهم ومعتقداتهم متقاربة متشابهة . ما زالت هذه الامم السامية في تطاحن وجدال بضعة عصور حتى اعيوا وتلاشت قواهم . فملوا الحروب وسئموا النضال ، فنبه ضعفهم طمع الشعوب الآرية وكان في لغات هؤلاء ومعتقداتهم وعاداتهم ما يفرقهم بعض التفريق عن الاقوام السامية فانكفأت جيوشهم من جبال فارس وارمنية يقودها الماديون مرة والفرس مرة، ومن جبال الكام وانجاد آسية الصغرى يقودها المكدونيون تارة والرومان تارة اخرى

لم يصرف الفرس كل جهودهم الى احياء البقاع الخصبة من الشرق . كلفوها من الفرائض فوق ما بذلوا لها من العناية ، فظلت تمل لهم الغلال بينما هم يشتغلون عنها بفتح البلاد الجبلية في آسية الصغرى، واوربة والهند ، لتعرفهم باحوالها ولصلتهم العرقية بسكانها

تلا الفرس المكدونيون ، وكان كبيرهم الاسكندر، على غاية من الدراية وسعة النظر . فأحب أن يرجع عهد بابل القديم ، وكان يجد في نفسه من القوة والكفاية ما يكفي لاحياء بابل وحمايتها وسط تلك السهول . فيجعل منها حصناً حصيناً ، ومن بقاعها وغيطانها جنةً فريدة على وجه الارض . عَرف الاسكندر ان مثل هذه البلاد التي حوت كل شرائط الثروة بخصبها ، وغزارة مياهها ، وبموقعها التجاري في ملتقى الطرق البرية والبحرية ، لا يمكن ان تزهو برونقها ، إلاّ اذا كانت مقراً لحكمِهِ ،وموضعاً لجدّهِ واهتمامه. فبدأ بتعمير السدود وبتنظيف مجرى الفرات تسهيلاً لسير السفن . وقد بنى لها ، قرب عاصمتهِ ، حوضاً واسعاً يلجأ اليه حينما تهبط مياه النهر

مات الاسكندر فتياً وماتت معهُ خطتهُ . وكلف خلفاؤُهُ السلوقيون بمناخ الشام ، وعصمة جبالها ، وعذوبة مياهها السلسالة . فهجروا العراق وحرّها ليقيموا في انطاكية والسويدية . فأزدهرت في عهدهم الشام ومصّرت فيها اجمل الامصار . ولكن اهملتْ العراق وظلت مدة ثلاثة اعصر ، ساحة جدال بينهم وبين قبائل خوارزم وخراسان من الترك والفرس . ولما خلف الرومان السلوقيين انفصلت العراق عن الشام فكانت في اغلب الاحيان تحت حكم الفرس . وقامت فيها دويلات صغيرة من العرب كالمناذرة لاتقوى على صد هجمات الفرس والرومان ، وظلت جيوش الطرفين تكتسحها حتى ظهور الاسلام

لما فاجأ العربُ الفرس في العراق ، والروم في الشام ، كانت قد انهكت الطرفين حربٌ شعواء اطردت وقائعها منذ سبعين عاماً . هُدّمت في خلالها اكثر المدن الشامية

والعراقية والفارسية ، ولم يبق من آثار الحضارتين الفارسية والبزنطية الاّ مظاهر البذخ ، على أُساس واهٍ من الفقر والاستبداد . افاق مع دولة العرب حظ مصر والشام والعراق برهة من الزمن . فأنتبهت الزراعة من غفلتها ، وهبّت التجارة والصناعة والعلوم من رقادها ، واسترجعت العراق خاصة في عهد بني العباس مجدها . حقّق المنصور أحلام الاسكندر : فبنى السدود الاشورية والكلدانية ، واصلح القنيّ ونظف مجاريها ، وجمل من بغداد بما شدّ ورفع حولها من الاسوار المنيعة والابراج ، مدينة السلام ، وبلغ عدد سكان العراق في عهد الرشيد اربعين مليوناً على التقريب

لم يطل عهد العرب في حكم البلاد الشرقية حتى بدأت حركة الاقوام الطورانية من شرق آسية الى غربها . فاجتازت قبائلهم انجاد فارس . وانصبت على آسية الصغرى والعراق ، وتغلغلت في احشاء الشام ومصر وجزيرة العرب . واقتفت في عهد العثمانيين آثار العرب في افريقية حتى حدود المغرب الاقصى . يُعرف هذا الدور باضطراب حبال الامن وركود التجارة وتوقف العلوم وتقهقر الزراعة والصناعة لاسباب كثيرة اهمها ان دلوف قبائل الترك والتتر الى هذه البلاد كان متقطعاً بطيئاً . فما يستقر منهم قوم في احد هذه البلاد حتى يفاجئهُ قوم آخرون ، ينازعونه سلطانه ويحاُّون مكانه . فمن آل بيراق الى قره قويون ، الى طولون الى اخشيد الى بويه الى سلجوق،ومن الاتابك الى المماليك البحرية والبرية الى بني عثمان . تخللت هذه الممالك بعض الحكومات العربية والكردية كالحمدانيين والفاطميين والايوبيين فتنفست في عهدهم البلاد ومصرت الامصار ونشطت الزراعة والصناعة من عقالها ورُدَّت غارات العدو المهاجم من الشمال تحت لواء الروم ، ومن البحر المتوسط باشارة رئيس الكنيسة الكاثوليكية،وبدافع التعصب والانتقام

هذه هي بعض الاسباب التي انضبت مناهل الثروة واعنتت النفوس في عهد المغول . على انهُ لا يجوز ان نعزو لهم كل اسباب تأخرنا ، ونحملهم اعباء هذا الجرم الكبير . نعم قد ظلم المغولُ واستبدوا ، واذهبوا النفوس وافقروا البلاد . غير انهم ليسوا كل السبب في ضعة الشرق الحالية . أرى ان السبب اعظمهُ يعود الى انتباه اوربة في عهد خمولنا . فلو انتبهت اوربة في عهد شباب الشرق يوم كانت حضارتهُ مضيئةً وهاجة ، لما تركها تفعل بدون علمه ومؤازرته . ولما خفيت عليهِ اسرارُ تفوقها ، ولما قصّر في طلب الوسائل التي تدرأ عنهُ خطر مراقبتها ، ولسعى الى موازاتها ومضاهاتها بكل ما لديهِ من قوة وحيلة وذكاء . ولولا ان قوضت الصناعة والتجارة الحديثان قواعد الصناعة والتجارة القديمتين لما كان اليوم ، على خمولنا ، بيننا وبينها فرق عظيم

نافذ غنام

صورة مبنية على الخيال تمثل قيام الطيارة المبنية على مبدإ الصاروخة

مقتطف ابريل ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٨١

هل نستطيع الطيران الى القمر ؟

للمسيو روبرت اينو بلتري

المهندس والعالِم الرياضي الفرنسي الشهير

[خاصة بالمقتطف]

هل يتاح للانسان يوماً ما ان يطير بين الاجرام السماوية ؟ هل يستطيع ان يخرج من جوّ الارض ويفلت من جاذبيتها ؟ ان اقصى ارتفاع حلـق اليهِ الانسان بطائرة لا يزيد على اثني عشر الف متر او ٣٦ الف قدم وكلما زاد ارتفاع الطيارة عن سطح الارض زادت لطافة الهواءِ وقلت مقاومتهُ لاجنحتها لذلك يتعذر على الانسان الطيران بطيارة خارج جوّ الارض لسببين

الاول : ان اجنحة الطيارة لا تستطيع ان تحفظها في الهواءِ لانها لا تجد مقاومة من الهواءِ نفسهِ للطافتهِ . وثانياً : لا يستطيع المحرك ان يسيّر الطيارة لعدم وجود هواء يدور فيهِ. فمحرك الباخرة اللولبي اذا دار في الهواءِ لم يستطع دفعها الى الامام ولكنهُ متى دار في الماءِ لقي من الماءِ مقاومة فتجري الباخرة الى الامام بفعل هذه المقاومة . لذلك اذا اردنا ان نطير خارج الجوّ الذي يحيط بالارض وجب علينا ان نجد وسيلة اخرى غير الطيارة

واول امر يجب ان ننظر فيهِ هو هل نستطيع بطريقة من الطرق ان [illegible] من جاذبية الارض ؟ . والواقع انهُ اذا سار جسم مادي من الارض بسرعة ضئيلة لا [illegible] بسرعة الارض العظيمة لا تلبث جاذبية الارض لهُ ان تسيطر عليهِ وتعيدهُ الى سطحها

لذلك يجب ان تزاد سرعة ذلك الجسم زيادة عظيمة حتى يستطيع الإفلات من فعل الجاذبية الارضية . وقد اثبتت الحسابات انهُ اذا استطعنا ان نسيّر جسماً مادياً بسرعة تفوق سرعة الارض ثلاثة اضعاف وسار ذلك الجسم متجهاً من الارض الى الفضاء تمكن من ان يبقى سائراً في الفضاءِ الى ماشاء الله . وطبيعي انهُ كلما زادت سرعة الجسم كان سيره في الفضاءِ اسرع ولكن اذا انخفضت سرعتهُ الاصلية بعد سيرهِ في الفضاء وكانت الارض اقرب الاجرام اليهِ فعلت بهِ جاذبيتها فتضعف سرعتهُ رويداً رويداً حتى تتلاشى وحينئذٍ يبدأ في الرجوع الى الوراء حتى يصل الى الارض

تصوّر جول فرن الروائي الفرنسي المشهور في روايتهِ التي عنوانها « اول رجل

الى القمر» مدفعاً ضخماً في استطاعة قذيفته ان تصل الى القمر . وهذا الرأي خطأ لان الحسابات الرياضية الدقيقة تدلُّ على انهُ اذا اردنا ان تقذف قذيفة الى القمر او الى اللانهاية ، وهما من حيث بحثنا واحد ، وجب ان نجعل سرعة انطلاق القذيفة حين انطلاقها ١١ الف متر او ٣٠ الف قدم في الثانية فاذا استعملنا مدفعاً لاطلاق هذه القذيفة وجب ان يكون فيهِ مادة متفجرة تستطيع ان تقذف الرصاصة بالسرعة المذكورة

على ان علماء الكيميا الحديثة اثبتوا انهُ لا يوجد حتى الآن مادة كيماوية تستطيع ان تقذف دقائقها بسرعة تفوق ثلاثة اميال في الثانية . ولكن اذا شئنا ان تصل مقذوفة الى القمر وجب ان تكون سرعة انطلاقها حين انطلاقها ستة اميال وثلثي الميل في الثانية ولدى التدقيق ٦٫٦٦٤ من الميل . فاذا كانت دقائق المواد الكيماوية نفسها لا تستطيع ان تحرك بتلك السرعة فمن المعقول انها لا تستطيع ان تقذف مادة اخرى بسرعة تفوق السرعة التي تنطلق بها هي . ولذلك نقول انهُ من المستحيل بناء مدفع يطلق قذيفتهُ بسرعة كافية تمكنها من الافلات من جاذبية الارض والوصول الى القمر . فعلينا اذاً ان ننظر في وسيلة اخرى للملاحة بين النجوم -- وهذه الوسيلة هي المبنية على مبدإ الصاروخة، الذي يختلف كل الاختلاف عن مبدإ المدفع وقذيفتهِ ، الذي صورهُ جول فرن . فوزن الصاروخة ينقص كلما تقدمت في الفضاء لان ما فيها من المادة المتفجرة ينقص وكلما تنقص خف وزنها وزادت سرعتها . ولذلك ترى ان سرعة الصاروخة تأخذ في الازدياد كلما بعدت عن الارض

واذا اطلقت صاروخة في الفضاء تبقى من الوجهة النظرية سائرة حتى تفنى آخر ذرة منها . ولكن هذا لا يتم من الوجهة العملية لانهُ ما من صاروخة صنعت او ينتظر صنعها من مادة متفجرة فقط . فالمادة المتفجرة يجب ان توضع في اسطوانة والاسطوانة تبنى عليها مركبة . وكلما يتفجر انما هو المادة المتفجرة التي في الاسطوانات وعليهِ فسألة الملاحة بين النجوم بطائرة مبنية على مبدإ الصاروخة انما هي قائمة على هذه الحقيقة الخطيرة — نسبة المادة المتفرقعة الى سائر جسم الصاروخة . ويقال ان الصاروخة تسير في الفضاء بقوة الدفع من الجو الذي يحيط بها وهذا القول ليس صحيحاً بحذافيرهِ اذ الواقع ان الصاروخة تفعل كالمدفع الرشاش . افرض ان مدفعاً رشاشاً اقيم على ثلاث عجلات . فقانون بسيط من القوانين الميكانيكية يدل على انهُ متى انطلقت منهُ رصاصة كانت سرعتها كمكفوء جرمها وجرم المدفع نفسهِ . فاذا كان وزن الرصاصة جزءاً من مائة جزء من وزن المدفع كانت سرعتها ٩٩ في المائة من السرعة التي تحدث بانطلاق المدفع وكانت سرعة المدفع $\frac{١}{١٠٠}$ جزء من هذه السرعة والصاروخة مدفع رشاش مستمر العمل يطلق تياراً مستمراً من

الغازات فاذا انطلقت الغازات في جهة من الجهات انطلقت الصاروخة في الجهة المقابلة

ولكن اذا انطلقت رصاصة من مدفع كان معظم سرعتها حين انطلاقها من فوهة المدفع ثم تبطئ رويداً رويداً. اي كانت على اعظم سرعتها في طبقات الهواء الكثيفة ثم تقل حين تصل الى طبقات الجوّ اللطيفة . ولكن الصاروخة تختلف عن ذلك في ان سرعتها تزيد كلما بعدت عن الارض ووصلت الى طبقات الجوّ اللطيفة لذلك نستطيع ان نجتنب في استعمال الصاروخة مقاومة طبقات الهواء الكثيفة لها

لذلك نرى ان الصاروخة هي الوسيلة التي لا بدَّ ان نعتمد عليها في استنباط اداة للطيران بين النجوم وذلك لانها تكسب نظريًّا ، سرعة في طبقات الجوّ العليا لا تستطيع ان تكسبها مقذوفات المدافع . وزد على ذلك ان سرعتها تتجمع وتتزايد كلما لطف الهواء

وقد تناول الالمان هذا البحث فكشفوا فيهِ عن كثير من الامور الجديدة . وهم يذهبون الى انهُ في الامكان صنع صاروخة تسير بسرعة اعظم جدًّا من صاروخة غودرد الاميركي وذلك باستعمال مادة متفجرة مركبة من عنصري الاكسجين والهدروجين ولكن النسبة التي يمزجان بها حين تركيب الماء

وقد وجدتُ في الصيف الماضي ان الحسابات الرياضية الدقيقة التي قمت بها تتفق مع النتائج التي وصلوا اليها وانَّنا نستطيع ان نصنع صاروخة تسير بسرعة اربعة آلاف متر في الثانية اي عشرة آلاف قدم الى ١٢ الف قدم وذلك باطلاق الغازات من مؤخرها

هنا نصل في بحثنا الى موضوع خطير . اذا وصلت الى القمر كيف تستطيع الرجوع منهُ الى الارض . اما الالمان فقد تناولوا هذه النقطة في مباحثهم ويرون ان حلها بسيط كل البساطة . ذلك انهم يملأُون اسطوانات الصاروخة بمادة متفجرة تطلقها بسرعة كافية حتى تخرج من جوّ القمر فاذا بلغت ذلك الحدَّ ولم يكن فيها مادة متفرقعة لتغيير اتجاهها والتملص من جذب الارض لها ، جذبتها الارض اليها .ولكي يمنعوا اصطدامها بالارض حين وصولها الى سطحها اقترح الالمان استعمال باراشوت قالوا ان استعمالهُ يفعل كفرامل السيارات فيبطئ سير الصاروخة حتى اذا صارت على سطح الارض نزلت عليها نزولاً بطيئاً فلا تصطدم ولا تتحطم . ذلك انهُ متى دخلت الصاروخة جوّ الارض في طبقاتهِ العليا اللطيفة لقيت من المقاومة ما يكفي لفتح الباراشوت فاذا فتح الباراشوت زادت المقاومة ضد الصاروخة فتخف سرعتها وكلما زادت كثافة الهواء زادت المقاومة التي تلاقيها الصاروخة والباراشوت معاً. ولكني ارى ان هذا الرأي مفلول بحقائق الحال . فقد ثبت من حساباتي الرياضية ان جوّ الارض على علو ١٦ ميلاً فوق

سطح البحر لطيف كل اللطف حتى يصح ان نقول انهُ غير موجود . وان كثافتهُ تزداد فجأة . لذلك ترى ان الباراشوت لا يلقى مقاومة كافية في الطبقة اللطيفة من طبقات الجو العليا التي يخترقها مع الصاروخة في بضع ثوان وذلك يمنع فتحهُ . فاذا وصلت الصاروخة والباراشوت الى طبقات الجوّ الكثيفة فجأة كان الباراشوت لا يزال مقفلاً . وكانت سرعة الصاروخة لاتزال عظيمة فتصطدم بالارض صدمة لا يستطيع جسم انساني ان يحملها

وزد على ذلك لقد ثبت لي بالحساب الرياضيّ ان جسماً يخترق الهواء بالسرعة التي ينتظر ان تخترقهُ بهِ الصاروخة ،وهي نحو ستة اميال في الثانية ، ترتفع حرارتهُ بالاحتكاك الى درجة ١٧٠٠ بميزان سنتغراد وهذه حرارة تصهر عندها كل انواع المعادن الاّ معدن البلاتين ، وعليهِ فالباراشوت يحترق في هذه الحرارة ولذلك ارى ان النزول الى الارض نزولاً سليماً يكون مستحيلاً اذا اعتمد على رأي الباحثين الالمان

فهل تعني هذه الاقتراحات اننا لن نجد وسيلة لتحقيق هذه الرحلة الجوية الى الفضاء. كلاّ اني اقترح للتغلب على هذه المصاعب ان نستعمل الصاروخة نفسها ، اي بقلب عملها حتى تقاوم سرعة انجذاب الصاروخة الى الارض فلا تزداد سرعتها حسب ناموس « الاجسام الساقطة » الذي كشف عنهُ غليليو

يعنى الالمان باعداد المعدات للطيران الى الزهرة والمريخ ولكن ذلك في رأيي حلم كاحلام الشعراءِ . وعندي ان الارتفاع الذي نستطيع ان نبلغهُ الآن هو ١٢٠ ميلاً فوق سطح البحر ويتم الوصول الى هذا العلو على الطريقة التالية : تظل الصاروخة تحرق من مادتها المتفجرة الى علو ٦٠ ميلاً فيقف المحرك عن الدوران حينئذٍ ولكن سرعة الصاروخة تكون قد بلغت ميلاً في الثانية فتسير في الفضاء كقذيفة مدفع مسافة ٦٠ ميلاً اخرى فتصل الى ارتفاع ١٢٠ ميلا . فاذا بلغت الصاروخة هذا العلو وكان فيها رجل او اكثر تحقق لاول مرة في التاريخ خروج انسان من جوّ الارض . وهذا عمل علمي كبير الشأن لاننا مثلاً لا نعلم الآن مقدار الحرارة والقوة التي تشع من الشمس كل دقيقة لان جوَّ الارض يحجب الجانب الاكبر من هذه القوة والحرارة . فمتى تسنّى للانسان ان يخرج خارج جوّ الارض استطاع ان يقيس مقدار القوة التي تصبها الشمس على كل متر مربع من سطح الارض كل دقيقة. واستطاع كذلك احصاء الكهارب التي تنطلق من الشمس وتصيب الارض كل ثانية وتمكن من تحليل جوّ المريخ والزهرة . هل يستطيع عالم من الاحياء ان يصف طريقة لتحقيق هذه المباحث العلمية ؟ حبذا الحال لو عُني العلماء بذلك لاني معتقد اننا في السنوات الخمس القادمة سنتمكن من الطيران الى علو ١٢٠ ميلاً

الاستاذ محمد كردعلي

وزير المعارف السورية ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

وقد خص حضرته المقتطف ببعض فصول من كتابه خطط الشام الجزء السادس

مقتطف ابريل ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٨٥

مصائب الكتب والمكاتب في الشام

للاستاذ محمد كرد علي

وزير المعارف السورية ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

ما برحت المكاتب تزيد على الزمن بازدياد الحضارة في الاسلام وتنتقل الكتب من مصر الى الشام ومن الشام الى العراق ومن الحجاز الى الشام مثلاً ويُعنى بها العلماء والادباء ، ويتنافس في اقتنائها الملوك والامراء ، ويضعف الغرام بها يوم تضعف الحركة العلمية ويفسد الزمان ويُرغب عن الفضائل ، ما برحت الحال على ذلك حتى دخل الروم حلب واحرقوها سنة ٣٥١ ثم احرقوا حمص وغيرها من مدن الساحل .ثم وقع الحريق الاعظم الذي اصيب بهِ الجامع الاموي بدمشق سنة ٤٦١ ودثرت فيهِ محاسنهُ وماكان فيهِ من الاعمال النفيسة والكتب والمصاحف من جملتها .وربما حرق فيهِ المصحف العثماني القديم . ومن اهم النكبات التي أُصيبت بها الكتب في الشام نكبة طرابلس لما فتحها الصليبيون واحراق صنجيل احد امرائهم كتب دار العلم فيها . واخذ الصليبيون بعض ما وصلت ايديهم اليهِ من دفاترها وكتب الخاصة في بيوتهم . واختلفت الروايات في عدد المجلدات التي كانت في خزانة بني عمار او دار حكمتهم في طرابلس. وعلى اصح الروايات انها ماكانت تقل عن مائة الف مجلد واوصلها بعضهم الى الف الف وبعضهم الى اكثر ، وقفها امين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار وجاء بعدهُ الامير علي بن محمد ابن عمار الذي جدد دار العلم سنة ٤٧٢ ثم فخر الملك عمار بن محمد حتى صارت طرابلس كما قال ابن الفرات في زمن آل عمار جميعها دار علمٍ ، وكان في تلك الدار مائة وثمانون ناسخاً ينسخون لها الكتب بالجراية والجامكية فضلاً عما يشترى لها من الكتب المنتخبة من البلاد . وابن الفرات هو ممن يقول بان عدد ماكان في دار العلم هذه من الكتب نحو ثلاثة ملايين كتاب عند ما احرقها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ .والغالب انهُ كان في طرابلس من الكتب الموقوفة غير دار العلم وقفت قبل بني عمار واراد ابن الفرات بهذه الثلاثة آلاف الالف عدد الكتب التي كانت في مكاتب طرابلس كلها

ولا ينبغي ان يذهب عن الخاطر ان ماكانوا يسمونهُ جزءاً او مجلداً او مجلدة لا

يتجاوز بضع كراريس من كراساتنا والكُراسة قد لا تكون اكثر من ثماني صحائف بمعنى ان الف المجلدة او المجلد لا تبلغ في مصطلحنا اكثر من خمسين كتاباً او ستين او سبعين كتاباً ، فكان المجلد في تلك العصور قليل الاوراق ، لان الورق او الرقّ غليظ فاذا جمع كل مجلد مائتين او ثلاثمائة او اربعمائة او خمسمائة ورقة صعب تناولهُ وحملهُ ونقلهُ ولا يصح ما قالهُ ابن الفرات من انهُ كان في دار العلم في طرابلس ثلاثة آلاف الف يوم نكبتها الا على هذه الصورة اي ان كتبها كانت بين المائتين وثلاثمائة الف ومنها اجزاء صغيرة ورسائل وقد يكون الجزء من كتاب لا تتجاوز سطوره سطور مقالة من مقالاتنا او املاءة من امالينا او محاضرة او مسامرة من محاضراتنا ومسامراتنا اليوم

فالمصيبة الاولى بل العظمى التي اصابت الكتب في الشام كانت على عهد الصليبيين والمصيبة الثانية ما حمله منها التتار في نوبة هولاكو وما احرق في مدارس دمشق وجوامعها من امهاتها. فقد ذكر المؤرخون انهُ امتلأت خزانة الكتب بمراغة بما نهبهُ هذا الطاغية من الشام والعراق وغيرها . وقدر ما حملهُ باربعمائة الف مجلد ومنها ما حرق في فتنة غازان سنة ٦٩٩ وفي واقعة التيمورلنك سنة ٨٠٣ فان النار ظلت تحرق دور دمشق ومدارسها وجوامعها في الفتنة التيمورية ثلاثة ايام فذهب في هذين الحريقين وغيرهما كتب المدرسة الضيائية والمدرسة العادلية وغيرها من المدارس

ومن الخزائن التي بلغنا خبر دمارها في الحروب الصليبية خزانة أُسامة بن منقذ احد اصحاب قلعة شيزر فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة ارسل بها بعد ان اخذ عهداً من الصليبيين من دمياط الى عكا في بطسة فنهبت ونهب معها ثلاثون الف دينار قال ان ذهابها ظل حزازة في قلبهِ ما عاش . ومن مصائب الكتب ما وقع من حريق في دار صاحب حماة سنة ٦٨٧ ذهب فيهِ من الكتب ما لا يحصى

ومنذ دخل الصليبيون بلاد الشام اخذوا على ما يظهر يقتنون الكتب العربية ولكن على صورة ضعيفة لان العلم بها كان معدوماً عندهم ، يبتاعونها على انها عاديات قديمة غريبة الوضع والشكل . ولما لمعت في القرن السادس عشر شعلة النهضة في ايطاليا اراد الباباوات اقتناء الكتب العربية فندبوا لذلك بعض العارفين من رهبان الموارنة وحملوا الى رومية من اديار لبنان ما كان محفوظاً فيها من كتب الدين والعلم مما كان مكتوباً بالعربية والسريانية. وحمل يوسف السمعاني من لبنان (١٧٦٨ م) كتباً في ثلاثة مراكب الى رومية ملأها بالمخطوطات العربية وغيرها فغرق منها مركبان ولا يقدَّر ما فيها باقل من عشرات الالوف من المجلدات

ومن المصائب التي أُصيبت بها الكتب ان بعض دول اوربا ومنها فرنسا وحكومات

جرمانيا وبريطانيا العظمى وهولاندة وروسيا اخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والاساقفة والمبشرين من رجال الدين، وكان القوم ولاسيما بعض من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع اليهم امر المدارس والجوامع بلغ بهم الجهل والزهد في الفضائل ان يفضلوا درهماً على انفس كتاب فخانوا الامانة واستحلوا بيع ما تحت ايديهم او سرقة ما عند غيرهم والتصرف بهِ كأنهُ ملكهم. حدثني الثقة ان احد سماسرة الكتب في القرن الماضي كان يغشى منازل بعض ارباب العمائم في دمشق، ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس والجوامع، فيبتاع منها ما طاب له من الكتب المخطوطة بأثمان زهيدة وكان يبيعها على الاغلب، واكثرها في غير علوم الفقه والحديث، من قنصل روسيا اذ ذاك بما يساوي ثمن ورقها ابيض، وبقي هذا سنين يبتاع الاسفار المخطوطة من أطراف الشام فاجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها الى بلاده فأخذتها حكومتهُ منهُ وكافأتهُ عليها. والغالب ان معظم الكتب العربية المحفوظة في خزانة الامة في برلين هي من بلاد الشام. وفهرس هذه الخزانة من الكتب العربية فقط في عشرة مجلدات ضخمة ما عدا الملحق. وتكون فهارس الكتب العربية في خزائن الغرب اليوم خزانة برأسها. وان بعيداً يحسن القيام على هذا التراث الوافر لاحرى بهِ من قريب يبدده جزافاً. وان امماً عرفتنا اكثر مما عرفنا انفسنا حتى قال احد علمائهم ان العرب وضعوا من المصنفات مالا يستطيع احدنا ان يقرأه طول عمره، لجديرون بارث الشرق في مادياتهِ ومعنوياتهُ كما قلنا من فصل في مجلة المقتطف منذ اربع وعشرين سنة. نعم ان كتباً تترك للارضة تعبث فيها، والعفن يعبث بجمال جسمها ورسمها، وتحرم النور ويعفي اثرها الغبار والاوساخ. ويحرم النظر فيها على من يحسن الاستفادة منها، او تُفَضَّل عليها دريهمات معدودة حرية بان تكون في ملك من يستفيد منها ويفيد.

ومن الخزائن المشهورة التي بعثرت في عهدنا ولم نعرف متى جمعت خزانة قبة صحن الجامع الاموي بدمشق وكانت مملوءة برقوق نفيسة ففتحت سنة ١٣١٧ هـ بامر السلطان عبد الحميد الثاني إجابة لمقترح الامبراطور غليوم الثاني الالماني فعثروا فيها على قطع من الرقوق كتبت فيها سور من القرآن الكريم بالخط الكوفي ومنها قطع مهمة من مصاحف وربعات وقطع من الاشعار المقدسة بالارامية الفلسطينية وكتابات دينية وأدبيات دينية وقصص رهبانية ومزامير عربية مكتوبة بالحرف اليوناني ومقاطيع شعرية لهوميرس، وكراريس واوراق بالقبطية والكرجية والارمنية في موضوعات دينية الا قليلا، وجذاذات عبرانية وسامرية فيها نسخ من التوراة وتقاويم أعياد السامريين وصلوات وصكوك للبيع

والاوقاف وعهود زواج وبينها مقاطيع لاتينية وافرنسية قديمة وقصائد شعرية يرتقي عهدها الى ايام الصليبيين ونسخ انجيل برقوق . فأهدى السلطان معظمها لعامل المانيا ووزع قسماً منها على بعض رجال الاستانة ورجال دمشق واستُخلصت بعض قطع منها حفظت الآن في دار الآثار في هذه المدينة واهمها تلك القطعة الكوفية المكتوبة على رق من ربعة شريفة وقفها عبد المنعم بن احمد سنة ٢٩٨ وعلى الوجه الثاني نقش مذهب باسم واقفها . ورأى شيخنا الامام طاهر الجزائري في تلك القبة جزءاً مكتوباً عليه انهُ حبس على مشهد زين العابدين صلوات الله عليهِ وعلى ابنائهِ الائمة سنة نيف وسبعين واربعمائة

وكانت في دير صيدنايا من جبل قلمون خزانة كتب حافلة بالمخطوطات النادرة ولاسيما السريانية فحاذر وكلاء الدير من كثرتها (المشرق ٢ ص ٥٨٨) ان تكون حجة بيد السريان يتقوون بها على اثبات حقوقهم في الدير فأجمع رأيهم على اخراجها واتلافها تخلصاً منها فجمعوها ومعظمها من النفائس المخطوطة على رق وبدأوا يحرقونها وقوداً للفرن خبزوا عليها خبزتين وكان هذا من نحو تسعين سنة . وهو عمل مثل الجهل المطبق والتعصب الممقوت . وكم وقع من حوادث افرادية من مثل هذه فضاعت فيها الكتب ولم تبلغنا تفاصيلها . ومما أعان على تشتت الكتب ان بعض من اولعوا في العهد العثماني بتسنم ذرى المناصب والقضاء ، وكان لهم مشاكل وقضايا يريدون حلها في المراجع العليا او لمجرد التقرب والتظرف كانوا يُمعنون في مهاداة من يتوقعون الخير منهم بالكتب وبذلك رحلت الى الاستانة وغيرها أحمال من المخطوطات على هذا الوجه ايضاً فعدت هذه الهدايا في جملة مصائب المكاتب

***

هذا وخير طريقة تحفظ بها ثمالة تركة السلف الصالح اليوم ان يعمد كل من حوت رفوفهم وقماطرهم كتباً الى كتبهم المخطوطة فيودعوها في الخزائن العامة لانها اقل عُرضة للحريق والتلف ولكارث وأوارث ، وان يستعاض عنها بالكتب المطبوعة في الخزائن الخاصة ، وتجعل المخطوطات ملك الجماعات يرجع اليها العلماء والباحثون ، وتسهَّل عليهم فتكون منهم على طرف الثمام ، وبذلك يزيد النفع منها ويحيا بالطبع والنشر مالم تساعده الحال ان يعرف حتى الآن ، وبذلك تجتمع فائدتان فائدة الانتفاع وفائدة الحفظ ، كما فعل المصريون وحفظوا بقايا كتبهم في داري الكتب المصرية والازهر والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة وخزانة المجلس البلدي في الاسكندرية والجامع الاحمدي في طنطا . والله يرث الارض ومن عليها

غاز الهليوم العجيب

سائلهُ يغلي على الجليد ويجمّد القصدير

تاريخ اغرب غاز في الوجود وكيفية العثور عليه في الشمس اولاً ثم استنباطه من منابع اخرى وطريقة استعماله في نفخ اكياس السفن الهوائية واستخدامه في المحادثات اللاسلكية وفي الغوص والاضاءة والتعدين واسباب رخص ثمنه بعد بهظه

حدث منذ بضعة اسابيع في الولايات المتحدة ان احد البلونات الصغيرة التي تستخدمها وزارة البحرية في الاستطلاع كان ينزل الى مطيره في بلدة ليكهرست بنيوجرسي فاشتبك في سارية من السواري المستعملة للاستدلال على اتجاه الريح فتمزّق غلافهُ فافلت غاز الهليوم من اكياسه وكان فيها ٢٥٠٠٠ قدم مكعبة منهُ واختلط بباقي عناصر الجو

ولو وقع هذا الحادث منذ عشرة اعوام لكانت خسارة وزارة البحرية بسبب تلفه زهاء سبعة ملايين من الجنيهات لان غاز الهليوم لم يكُ معروفاً وقتئذٍ في غير معامل التحليل الكيماوي الاَّ قليلاً . وبلغ من ندرتهِ ان ارتفع ثمنهُ ارتفاعاً فاحشاً . وكانت اذ ذاك كل البلونات التي اخف من الهواء سواء كانت ألمانية أو بريطانية أو فرنسية أو أيطالية أو امريكية تشحن بغاز الهيدروجين القابل للاشتعال . فتغيرت الحال في هذه الاعوام تغيُّراً كليًّا اذ غدت بضعة مليمات كافية لشراء برميل من غاز الهليوم لان ثمن القدم المكعبة الواحدة منهُ ٦ مليمات

وقد نجم رخص الهليوم في السنين الاخيرة عن اكتشاف ينابيع جديدة للغاز الطبيعي ينتج منها مقادير كبيرة من الهليوم ويضاف الى ذلك استنباط طرق حديثة اقل نفقة من الاساليب القديمة التي كانت مستعملة لاستخلاصهِ . مثال ذلك ان المصنع الجديد الذي أُنشئَ بجوار مدينة اماريلو بولاية تكساس في وسعهِ تمون الولايات المتحدة الامريكية بأسرها بما تحتاج اليهِ من الهليوم في اثناء سنين كثيرة

والولايات المتحدة هي الدولة الوحدة حتى الآن التي تملك مقداراً كبيراً من الهليوم وكله يستخرج من البلاد نفسها أو بالحري أن ما يستخرج فيها هو كل ما في العالم برمتهِ وتصديرهُ الى خارج بلادها محظور ، حظرهُ القانون حتى ولو طلبتهُ المدارس الجامعة نفسها بغية عرض نموذج منهُ على طلبتها . وقد تبين ذلك لاحدى الشركات الامريكية

حينما فاوضتها بشأنهِ جامعة من جامعات كندا وعالم من علماء تشيكوسلافكيا لمثل هذا السبب فلم تستطع الشركة تلبية الطلب . وهو يستنبط من منابع الغازات الطبيعية بولايات تكساس واكلاهوما وكنساس

***

وهليوم كلمة مشتقة من لفظ هليوس اليوناني ومعناهُ الشمس — وهو غاز لا لون لهُ ولا رائحة ولا طعم وهو كذلك غير قابل للاشتعال وقوتهُ في رفع الاثقال تكاد تعادل ٩٢٫٥ في المائة من قوة غاز الهيدروجين وهذا الاخير هو اخف غاز في العالم . وقد كُشف عن الهليوم في بدءِ الامر في الشمس بواسطة جهاز التحليل الطيفي وكان ذلك في عام ١٨٦٨ ثم كشف عنهُ على سطح الارض بمقادير ضئيلة جدًّا في سنة ١٨٩٥

وبسبب خفتهِ وكونهِ غير قابل للاشتعال غدت اعظم منافعهِ استعمالهُ في شحن اكياس الغاز في البلونات والسفن الجوية — فاذا ما امتلأت بهِ اكياس بلون مسيَّر اصبح غير معرض للالتهاب ولو استهدف لمقذوف ناري وصار لا خطر عليهِ من انفجار هائل من نار تتصل بغاز سواء كان مصدرها انبوب تفريغ المحرك او من شرارة الايقاد او عود ثقاب يلقى بغير اكتراث كما هي الحال في السفن الجوية التي تشحن اكياسها بغاز الهيدروجين والتي ما برحنا نذكر بعض حوادثها المشؤُومة

ولما قام البلون المسيَّر الضخم « غراف تسبلين » برحلتهِ الجوية الحديثة من المانيا الى الولايات المتحدة كان محظوراً على ركابه تدخين التبغ وكذا طبخ الطعام بغير الكهربائية فضلاً عما اتخذ من الاحتياطات التي تحول دون الحريق . ولما نزل ذلك البلون في مطير ليكهرست بولاية نيوجرسي وزع على الجمهور الذين غصَّ بهِ المكان اعلانات مطبوعة تحتم عليهم الامتناع عن التدخين حتى في الفضاء الطلق . وسبب ذلك ان البلون الالماني العظيم المشار اليهِ والمصنوع من الالومينيوم والحرير والصمغ المرن كانت اكياسهُ مملوءة بغاز الهدروجين وهو اشد المواد اشتعالاً . ولو تطايرت شرارة عن غير قصد لاحدثت فاجعة فظيعة

وقع ذلك كله على حين ان البلون المسمى « لوس انجلز » الاميركي جاثم في مطيره لا خوف عليهِ لان اكياسهُ مشحونة بغاز الهليوم غير القابل للالتهاب

***

ولغاز الهليوم منافع تجلَّت في العامين الماضيين ومنها استخدامه في منع التشنج الذي ينتاب الغواصين وكذا استخدامه في التعدين وفي ملء انابيب الراديو والمصابيح الوهَّاجة

كما يستعمل في بعض الاجهزة البحرية وغيرها من الآلات العلمية . ويستعمل ايضاً في تبريد الاجهزة الكهربائية المحوِّلة لقوة التيار الكهربائي والمولدات الكهربائية الشديدة السرعة . ويستعين بهِ الكيماويون في مصانع التجفيف الكيماوي كما ينتفعون بهِ في صنع عجائن التبرج وصابون الحلاقة

والهليوم اقل غازات الكون ذوباناً بالماء أو بغيرهِ من السوائل — وهو بهذه الميزة يختلف كل الاختلاف عن ثاني اوكسيد الكربون الذي يتحد اتحاداً شديداً بالماء . هذه الصفة تجعل الهليوم نعمة للغواصين وذلك لان الغواص اذا ما انتشل من الماء بغتة انتابه تشنج مُبرِّح ينجم عن فقاقيع غاز النيتروجين وهو بطبيعتهِ جزء من الهواء الذي يدخل في دمه بتأثير شدة الضغط فاذا ارتفع الضغط خرجت فقاقيع النتروجين فجأة فتسبب لهُ ألماً شديداً عند خروجها من بدنهِ حينما يصعد الى سطح الماء — ولما كان الهليوم لا يذوب في الدم كما لا يذوب في الماءِ استصوب علماء الكيمياء امداد الغواصين بهِ مخلوطاً بالاوكسيجين بدل تزويدهم بالهواءِ وهومزيج من الاوكسجين والنتروجين فاسفرت التجارب عن نجاح ذلك نجاحاً قضى على أدواء التشنج التي اعيت الاطباء

ولما كان الهليوم غير قابل للذوبان أيضاً في المعادن المصهورة كان خير معوان للمعدنين في استخراج الفلزات من مناجمها — ومع انهُ اخف من الهواءِ الا انهُ أشد لزوجة واكثر نفعاً منهُ في ملءِ الاجهزة البحرية وما شاكلها من الآلات العلمية — لان اجزاء هذه الاجهزة العلمية متزنة اتزاناً دقيقاً فتهتز مدة طويلة قبلما تبطىء حركتها الى درجة تمكن المراقبين من تدوين المعلومات اللازمة . فاذا ملئت الصناديق التي تحتوي على هذه الاجزاءِ الدقيقة بالهليوم عوضاً عن الهواءِ لم تلبث الاجزاء طويلاً حتى تبطىء اهتزازاتها فيسهل على الباحث تدوين ما يريد تدوينهُ من الحقائق التي تشير اليها اجزاء الآلة

وتشحن أنابيب الراديو والانابيب المتأججة كالتي تستعمل في أجهزة التلفزة (الرؤية عن بعد) بغاز الهليوم لاسباب وجيهة وهي اولاً كون هذا الغاز يساعد التيار الكهربائي على الاتجاه الى جهة واحدة دون الاخرى وثانياً شدة توهج الانبوب المتكهرب المملوء بالهليوم المضغوط ضغطاً خفيفاً . وهذا التوهج ليس مغايراً لتوهج غاز النيون المستعمل في اضاءة الاعلانات التجارية بأنوار حمراء قانية غير ان الضوء الذي يشع من الهليوم أبيض ضارب الى الصفرة

والهليوم موصل جيد للحرارة — وقوته من هذا القبيل تفوق قوة الهواء ستة أضعاف — ولذلك يشعر المرء برجفة شديدة اذا ما وجد في جو مشبع بالهليوم لانهُ يخلل الثياب فيسلب من الجسم حرارته في هنيهة — أضف الى ذلك انهُ ذو حرارة نوعية عظيمة أي انهُ يمتص مقداراً كبيراً ، دون ان ترتفع درجة حرارته ارتفاعاً يذكر . فكانت هذه المزايا فضلاً عن كونه موصلاً رديئاً للكهربائية وعدم تأثره من الدوائر الكهربائية القصيرة سبباً في اتخاذهِ غطاء لتبريد المولدات الكهربائية « الدينامو » العظيمة السرعة واستعماله بدل الزيت لوقف التماس الكهربائي في الاجهزة المحولة للتيار الكهربائي فتمنع الخطر

والهليوم يعجل عمليَّة التجفيف ومع ذلك لم يحن الوقت الذي يتسنى فيهِ للمرءِ تجفيف ثيابه المغسولة في آنيةٍ مشحونة بهِ

وسبب ذلك ان الماء وغيرهُ من السوائل المذيبة لغيرها من المواد تتبخر في الهليوم أسرع مما تتبخر في الهواءِ . وهذا أمر خطير في معامل التحليل الكيماوية حيث تعرض الاطباق وهي حاملة المواد الكيماوية لتجف تحت اغطية مفرغة من الهواءِ ومحتوية على الهليوم

وقد ثبت ان الهليوم نافع جدًّا في تركيب أدوات التزيّن مثل صابون الحلاقة وعجائن الوجه وذلك بسبب عدم قابليتهِ للذوبان (التي أشرنا اليها فيما تقدم) وبواسطة وجود الهليوم يصبح في وسع الصانع خلط الصابون بالعجائن من غير ان يلحقها الهواء

ولهُ خاصية اخرى غريبة لا بدَّ من الانتفاع بها في المستقبل القريب فانهُ اذا ما برد تغيَّر من الحالة الغازية الى حالة السيولة وكان اشد السوائل برودة . وهو يسيل عند الدرجة ٤٥٠ تحت الصفر بمقياس فارنهيت وقد بردهُ الى ذلك المدى الاستاذ كامرلنغ اونيس من علماءِ مدينة ليدن في هولاندا حتى بلغ درجة ٤٥٧ تحت الصفر وهي الدرجة التي لم يصل اليها انسان قبله والتي تبعد عن درجة الصفر المطلق درجتين فقط

اذا ما اسقطت مقداراً من الهليوم السائل في وسط جليد القطب الجنوبي حيث ذهب الرحالة برد ورفقاؤهُ للاستكشاف غلت غلياناً حقيقيًّا كما تغلي المياه اذا وقعت على موقد حام الى درجة الاحمرار لان حرارة الجليد اذا قيست بحرارة الهليوم السائل كحرارة النار اذا قيست بحرارة الماءِ مثلاً

وعند تلك الدرجة من البرودة برودة الهليوم السائل يصير فنجان من القصدير قصماً كالزجاج ويتجمد الزئبق حتى يستطاع جعلهُ رأس مطرقة تستعمل لدق المسامير

والهليوم عنصر مستقلٌ بنفسه لم يعرف حتى الآن انهُ اتحد بعنصر كيماوي آخر غير مرة واحدة وهي حينما تمكن الاستاذ كومتن المعلم بمدرسة برنستون الجامعة من الجمع بين الهليوم والزئبق في أنبوب واحد مفرغ من الهواء وذلك بتهييج الزئبق بالاشعة التي فوق البنفسجية وسيجيء الوقت الذي تتجلى فيهِ منافع هذه الخاصيات

***

في عام ١٩١٢ قبيل نشوب الحرب الكونية لم يكن في المسكونة اكثر من ١٥ قدماً مكعبة من غاز الهليوم وكانت في حيازة الاستاذ أونيس أحد علماءِ ليدن . وكان ثمنها يُقدَّر في ذلك الوقت بستة آلاف من الجنيهات ! لان غاز الهليوم كان وقتئذٍ ثميناً جدًّا كالاحجار الكريمة مثل الالماس واللؤلؤ الاسود والياقوت الوردي ، ونادر الوجود كالراديوم . ولم يكن يعلم عنهُ شيئاً الا القليلون من العلماءِ اي كانت القدم المكعبة منهُ تساوي ٤٠٠ جنيه فرخصت الآن حتى صارت تساوي ٦ ماليمات

ولكن وقع في غضون الحرب حادث عرضي يقال أنهُ سبَّب اهتمام الدول بغاز الهليوم وفحواه: أنَّ قائداً من فرقة الطيران الملكية الانكليزية اقتفى اثر أحد بلونات تسبلين وحمل عليهِ في الجو ذات يوم من أيام عام ١٩١٧ وبدأ مهاجمتهُ بالرصاص المحرق قاصداً اضرام النار فيهِ وكان متأكداً من نتيجة هجومهِ بتأثير القنابل المحرقة في غاز الهيدروجين المملوء بهِ ذلك البلون. ولكن خاب ظنهُ فلم يحترق البلون ولم يسقط رماداً تذروه الرياح ، كما كان يأمل ، بل ظل طائراً متجهاً الى الجهة التي كان يقصدها فدهش قائد الطيارة من تلك النتيجة وعاد الى قاعدتهِ الحربية بصفقة المغبون فافضى الى رفقائهِ بسره فقال ان عند الالمان بلونات مسيَّرة لا تحترق من الرصاص المحرق

فاستشار مركز رئاسة الجيش السير ريتشارد ترلفول وكان عالماً مشهوراً فأجاب عن ذلك بقوله : إنهُ لا شك أن البلون كان منفوخاً بغاز الهليوم . ثم لم يسمع أحد بعد ذلك بوجود بلونات المانية لا تؤثر فيها النيران فرجح العارفون أن ذلك البلون استنفد ما كان عند الالمان من غاز الهليوم

ومن ذلك الحين جعلت الامم والحكومات تهتمُّ اهتماماً عظيماً بذلك الغاز العجيب النفيس

وعند دخول الولايات المتحدة في الحرب طلبت قيادة جيشها وبحريتها الى مصلحة المناجم الحصول على جانب من غاز الهليوم بأي ثمن كان

وكان علماء طبقات الارض في تلك المصلحة قد عثروا على آثار غاز الهليوم في بعض

آبار الغاز الطبيعي بولاية تكساس فأنشأوا المصنع الاول لاستنباط الهليوم في مدينة (فورت ورث) حيث استنبطوا من ينابيعها ما يملأ ٧٥٠ اسطوانة أعدوها قبيل الهدنة لتصدَّر الى فرنسا كي تستخدمها بلونات المراقبة التابعة للجيش

ولكن غاز الهليوم لم يستعمل لنفخ اكياس البلونات في الولايات المتحدة الاَّ في عام ١٩٢٠

ثم أُنشيء مصنع آخر في مدينة دكستر بولاية كنساس حيث اكتشف الهليوم بطريقة عجيبة وقد ظل اهل دكستر عدة أعوام يئنون من تهكم جيرانهم عليهم لانهم لم يكونوا يدركون خطورة غاز الهليوم . ففي عام ١٩٠٣ كان عاملان يحفران الارض تنقيباً عن الزيت المعدني فصادفهم سيل عرم من الغاز في عمق يقل عن ٥٠٠ قدم وقد اطنبت الجرائد المحلية وقتئذ بمنافع ذلك الاكتشاف العرضي ثم أعدت المعدات للاحتفال بهِ ولكن حينما أرادوا اشعال الغاز لم يشتعل فهزئ الزوار الذين وفدوا لمشاهدة الاحتفال من منظميهِ وعادوا الى مدنهم مستائين فاخذت جرائدهم تلوم أهل دكستر

ثم وفّق الباحثون لطريقة مكنتهم من اشعال الغاز واستعماله في وقوداً ولكنهُ لم يصلح للاضاءة غير ان الاستاذ كايدي المعلم بجامعة كنساس امتحن ذلك الغاز فوجدهُ محتوياً على زهاء ٢ ٪ من الهليوم فانشئ مصنع لهُ ينتج يوميًّا ١٥٠٠٠ قدم مكعبة منهُ . ثم ثبت بالبحث والحفر في اعماق مختلفة وجود هليوم غزير . وفي نهاية عام ١٩١٧ كان المصنع دائراً ثم أنشئ مصنع آخر في كندا حيث اكتشف غاز الهليوم بمقادير قليلة ولكنَّ هذا المصنع اغلق في نهاية الحرب

ولما ذاعت الانباء ان منبع غاز بتروليا في تكساس الذي كان محتوياً على مصنع (فورت ورث) ومصنعين آخرين كانت على وشك النفاد بدأ البحث عن ينابيع جديدة حتى عثروا على منبع اماريلو في تكساس فاقاموا فيهِ مصنعاً جهزوهُ باحدث الآلات الخاصة باستنباط الهليوم من صنع مصلحة المناجم هناك

ويستخلص غاز الهليوم من الغاز الطبيعي بجرّ الغاز من منابعهِ في الانابيب بكباسات ضخمة حيث يضغط ضغطاً شديداً ثم يبرد الى درجة ٣٠٠ تحت الصفر . وعند هذه الدرجة من البرد يتحول كل شيء الى سائل الاَّ الهليوم فانهُ يظل غازياً فيجرُّ ثم يضغط في اسطوانات كي ينقل الى ميادين الطيران بينما الغاز الطبيعي الذي تحسَّن باستخراج الهليوم منهُ يُباع رخيصاً للانارة والوقود . آه ملخصاً عن مجلة العلم العام

الخلود

قصيدة للشاعر لامارتين

[الفونس دي لامرتين (١٨٦٩ — ١٧٩٠) شاعر فرنسي ، رقيق العاطفة ، دقيق الشعور ، تغلغل الى سويداء الفؤاد فابدى مكنوناته ، وتسلل الى اعماق النفس فاظهر خوالجها ، وقد نظم هذه القصيدة ، وقدمها الى فتاة مريضة ، يائسة من الحياة ، قانطة من رحمته تعالى ، لان آمالها بالخلود كانت محجوبة بغمامة احزانها الكثيفة

وكان هو وقتئذٍ غريقاً في لجج من دياجير النفس وآلامها ، ولكن الحزن والشك واليأس ، لم تكن لتأتي على مرونة قلبه ، الذي كان يستسلم للشك في بعض الاحيان ، لكنهُ لا يلبث ان يعاودهُ معتقدهُ ، فيسمو بآماله الى الخالق عزَّ وجلّ ، لان قبس التقوى الذي اشعلتهُ في فؤاده امّهُ الورعة ، وظلت تضرمهُ بانفاسها ايام الحداثة ، كان يخبو حيناً من تأثير عواصف الدهر، ويكاد يُطفأ تحت وابل الدموع التي تستدرها آلام الحياة ، ثم يعود الى الاشتعال حالما يخلو الشاعر الى نفسه ، لان الباري يتجلى لهُ عند ما يزول كل حائل بينهُ وبين افكارهِ

وهذا ما كان يحدو بهِ فجأةً الى نبذ الحزن العميق ، والانقياد والتسليم لما يأتي بهِ القدر ، لان الايمان هو الامل ، والامل اكبر معزٍ ، واعظم مخفف للآلام البشرية]

ترجمة القصيدة

كل ما في الوجود يسير بخطى واسعة الى العدم ، فالشمس لا تكاد تُشرق حتى يعتريها الزوال ، فتُلقي في فترتها القصيرة على وجوهنا الذابلة اشعتها الشاحبة المضطربة ، فيتلقفها الظلام بصفوفهِ القاتمة المنبثقة من كل صوب ، ويبتلعها في دياجيره السوداء الحالكة ، فيلفظ النهار انفاسه ، دون ان يترك من مرورهِ اثراً ، ويضمحلُّ كل موجود على وجه البسيطة ويزول ، كأن لم يكن ثم انيس ولا سامر

ولو وعى الانسان حقيقة حاله ، وتدبّر ما يقع تحت انظاره ، لاعتراهُ الهول والجزع ، وتقهقر مذعوراً عن حافة الهاوية الفاغرة فاها لابتلاعه ، اذ من ذا الذي لا يتصور تفاهة هذه الحياة وغرورها ، عند ما يطرق أذنيه نشيدُ الاموات يردِّد صداهُ

الفضاء ؟ او زَفَرات عاشقة تودّع امانيها في شخص حبيبها الميت ؟ او ام حنون تدفن آمالها ومُنى نفسها في صدر فلذة كَبِدها الراحل ؟ او رنين ناقوس الحزن ينوح بوَلَهٍ مُنْذراً الانام برحيل تَعِس منهم ، من دار التعب والشقاء ، الى دار الراحة والهناء ؟

سلاماً أيها الموت ! ما انت الاّ مُنْقذٌ سماوي ، تمسح يدك علينا فتبرئنا من آلامنا واسقامنا ، انك لا تبدو لي بمظهر مخيف مُفْزِع كما يتصورك البعض ، فذراعك ليست مساحة بنَصْل مخرّب لا يُبقي ولا يذر ، وعينك ليست عين غدر ولا خيانة ، ووجهك لا يحمل بين اساريره سِمات الصرامة والقساوة ، فانت رسول عُلْوي تخلّص وتُنقذ ؟ لا مُفْنٍ تلاشي وتُعدم ، ارسلك الله رؤوف رحيم ، حاملاً مشعل النجاة ، لتخفف آلام الانسانية ، وتُنقذ بني البشر

وعند ما أُعيننا التَعِبَة تُغْلَقُ عن نور هذه الحياة، تُفيض انت عليها نوراً ، اشد سطوعاً ، واكثر تلألؤاً ، فالامَلُ بقربك اذا ارْتكَزَ على دعامة الايمان ، يفتح لي دنيا ، اجمل من هذه الدنيا واسعد

فتعالَ اليَّ ، تعالَ لتنقذني من اصفادي الجسمية ، تعالَ لتخرجني من سجني الترابي . هَلُمّ اليَّ ، وارفعني الى من كل شيء امامهُ هباء وعفاء . . أعِرْني جناحيك لاطير بهما الى الكائن الأزلي ، الذي هو ملجأي واعتمادي ، وغاية املي في دنياي وآخرتي

من ذا الذي ابعدني عنهُ؟ ومَنْ انا ؟ وماذا سيحلُّ بي؟ . . اسئلة تُرَدّدُها نفسي الحائرة الوَجِلة ، دون ان تجد لها جواباً ، فسأموت ولا اعرف الحياة . . وانتَ ايها الروح ، ايها الضيف الغريب الحالُّ على غير معرفة ، لقد طالما سألتك فلم تُحرْ جواباً ، فهلا رغبت عن صمتك ، واطلعتني على مكنونات سرك . . أناشدك الله ان تخبرني عن السماء التي أتيت منها قبل ان تحلَّ فيَّ ، وعن القوة التي قذفتْ بك الى هذه الكرة السريعة العطب ، وعن اليد التي قيدتك في سجنك الصاصالي. وعن الرابطة الخفية العجيبة التي تربطك بالجسد الفاني

اي يوم ستنزح فيهِ عن هذه المادة ؟ ولاي مقرٍّ سماويٍّ ستغادر الارض ؟ وهل تعيش بعد القبر في النسيان الذي كنت فيهِ ؟ ام سترجع الى احضان الله مُبْدِئك ومُعيدك ، متخلصاً من قيودك الزائلة ، متمتعاً بحقوقك الابدية التي حباك الخالق بها كرماً منهُ ومِنَّةً ؟

أجل، هذا هو املي الوطيد ايتها الروح، يا من جملك الباري نصف حياتي : النصف الباقي الخالد ، فبهذا الامل تشتد عزيمتي ، وتتقوى نفسي ، وتسر ايما سرور ، عند ما تبصر على محياي الوسيم، اضمحلال الوان الربيع الزاهية ، وبهِ اتقبل بفرح لا يوصف ، الموتَ الذي طفق يدبُّ في غصن حياتي النضرّ ليهصره قبل أوانه

أمل ضائع ، ورجاء غير محقق ، يقول اتباع ابيفوروس ، فالحياة تمتّع ولذائذ ، وما وراء القبر غير العدم ، فلا ثواب ولا عقاب ، ومن التمس غير ذلك فقد اضاع دنياهُ ، دون ان يجني من زهده غير خيبة الامل ، فتأمل ايها المغرور فيما حولك ، فكل شيء لهُ بداية ونهاية ، كل شيء يولد ليموت وينقرض ، فالزهرة تذبل في المروج اذا ما دار الفلك دورته والارز يهوي في الغابات تحت عبء السنين ، والانهار تجفُّ في مجراها من فعل الايام ، والسماء تشحب من مرّ الغداة ، وكرّ العشي ، وكوكب النهار الذي اخفى الزمنُ عنا مولدهُ يسير الى محاقهِ ، وسيأتي يوم يتطلع فيهِ البشر الى السماء بخوف وذعر فيرونها خلواً منهُ

أفلا تجد في كل هذا ما ينقض آمالك ، ويهدُّ امانيك ؟ فالعصور في الطبيعة تتكدَّس تكدُّس التراب فوق التراب ، والزمن يطوي في ارماسهِ كل حيّ وجماد ، والانسان ، الانسان وحده في قعر جدثهِ ، وعميق حفرتهِ ، يحلم بالبعث ، ويأمل في الخلود ، بعد ما طوَّحت بهِ اعاصير الموت ، في لجج الفناء والاضمحلال

لكم منطقكم يامن تدَّعون العلم والمعرفة ، ولي منطقي ، فاذا كنتم ترمونني بالخطإ ، فدعوني اسعد في خطائي ، فاني احب ، والحب هو الامل ، بل هو الخلود ، فاذا استعنا بعقلنا في حل مُشكلة البقاء ، فالعقل يهنُ ويعجز ، وحيث يعي الادراك ، يحيي الشعور فغريزتنا الطبيعة ، تبدي لنا باحلى المظاهر ، ما ينتظر الانسان بعد الموت من البعث والخلود فلو تبدَّتْ لي اعظم لجينمة تصورتها مخيّلة امرئٍ ، فابصرت في السهول السماوية ، الكواكب تحيد عن سُبُلها ، وتتصادم بعضها ببعض، وتتناثر اجزاؤها ،وتتبعثر في الفضاء غير المحدود ، وسمعت باذني انين الارض ، وحشرجة نزعها ، ورأيتها سائرة على غير هدى ، في ظلام اللانهاية ، تبكي بنيها الذين لم يبق منهم عين ولا اثر . لو تمثّل لي خراب العوالم باجمعها ، ودمار الكواكب باسرها ، وتكدَّست الظلمات فوق الظلمات ، والاشلاء فوق الاشلاء ، وبدا الموت مهيمناً ، والفناء مسيطراً ، ولبثت وحيداً بين هذه المروعات لما تزعزع ايماني بالكائن الرحيم قيد شعرة ، بل لظللت جاثماً فوق هذه الاطلال ،

منتظراً بملءْ الثقة بزوغ فجر الابدية ، الذي لا يعتريه افول ، ولا يصيبه زوال

أتتذكرين عند ما كانت تجمعنا تلك الامكنة السعيدة ، حيث ولد من نظرة واحدة ، حبُّنا الأزلي ؟ فكنا نُـدلِّلهُ تارة فوق قنن الصخور الشماء ، وتارة على شواطئ البحيرات الهادئة ، فنسير معاً ، بعيدين عن العالم ، محمولين على اجنحة السعادة والهناء ، نغوص بانظارنا في دياجير الحلك ، التي اخفت عن ابصارنا مرأى الطبيعة الآخاذة بالالباب ولكن جوقة كواكب الليل ، لا تعتم ان تبدو ، سارّة بسكون واتضاع ، فتنير السهول والاودية ، بنور كامد لا وهج فيه ، لكنهُ يملأ القلب روعة وجمالا . . بنور اشبه بضوء المصباح ، الذي يشعُّ في معابدنا المقدسة ، حالما يسوِّد الظلام ، فيأخذ على القلوب مشاعرها ، ويملأ الافئدة ورعاً وخشوعاً

وكنت في الانخطاف الروحي الذي يعتريك ، تنقلين طرفي من السماء الى الارض، ومن الارض الى السماء ، وتجثين صائحةً بتدلُّهٍ : ايها الاله الخفي ، انا لنتأمل الطبيعة ، فنرى ذاتك العلية متجلية في كل دقائقها ، فالطبيعة هيكلك ومذبحك ، واذا رُمنا معرفة كمالك الالهي، فما علينا الاّ ان نتطلَّع فيما حولنا ،فالدنيا شعاع من محاسنك، والنهار نظرة من نظراتك ، والجمال ابتسامة من ابتساماتك ، فالقلب يعبدك في كل ما تراهُ العين ، والنفس تتنسَّمُك في كل ما يبدو ويبطن ، والعواطف تنجذب اليك منسحقة في حبك ، الذي يرفعها من مستوى الثرى الى مناط الثريَّا ، والروح الخالدة توَّاقة اليك ، لترتوي من ينبوعها السرمدي

وكان قلبانا يضمان تنهداتهما الصاعدة على اجنحة الشوق الى الكائن الاعظم ،فجثوتُ بجانبك ، لنعبدهُ في صنع يديهِ ، رافعاً واياكِ الى مقامهِ السامي،مع الفجر والشفق،والغروب والغسق . فروض العبادة ، الصادرة عن جوانح ملأى بالتقوى والخشوع ، وعيوننا الساجية تتطلع الى الارض دار منفانا ، والى السماء مقرِّنا ومثوانا

فيا حبذا ، لو استجاب الله في هذه البرهة ، دُعاء نفسيْنا الشاردتين ، اللتين تريدان تحطيم قيودهما والعودة اليهِ ، واصطفانا معاً ، اذن لطارت روحانا الى مصدرهما الازلي ، مجتازتين طبقات الاثير على جناحَي الحب ، وصعدتا الى بارئهما ، كما يصعد من الافق ، شعاع النهار عند انبثاق الفجر ، وامتزجتا باصلهما الابدي ، الذي هو مصدر كل حبٍّ ، لتمجداه ، وتسبحا بحمده ، في أزَلِـهِ الى أزَله

طنطا نصيف جورجي نيقولاوس

روح الصحافة ومطالب القراء

المحرّر بين الحقيقة والجمهور

طلب الاعلانات من اقوى العوامل الصحافية في هذا العصر [1]

أيها السادة : هذه الآلات الضخمة الطابعة وهذه الاسلاك التي تهتزُّ ليل نهار تنقل في اهتزازتها اخطر الانباء واحقرها، بل هذا الفضاء الفسيح الحافل بالاشارات اللاسلكية تحمل في طياتها الصور والانباء — كل هذا انما هو هيكل الصحافة فما هي روحها

ما هي الصفات التي يجب ان يتصف بها المشتغلون بهذا العمل العمراني الخطير. ما هي المقاييس العلمية والادبية التي يجب ان يقاسوا بها قبلما يؤذن لهم في الانتظام في سلك لهُ هذا المقام في تسيير الشؤون العامة وتصريفها . انهم لا يمتحنون امتحانات معينة ولا ينالون شهادات فنية ولا يطبعون بطابع خاص كما يطلب من رجال الصناعات الحرة كالاطباء والمعلمين والصيدليين وغيرهم ففي أي ميزان نزنهم ؟

هذه المسائل تكشف لنا عن المبادىء الاساسية التي يجب ان تقوم عليها صناعة الصحافيّ وفنهُ ، فعملهُ قبل كلّ شيء انما هو امانة في عنقهِ للجمهور الذي يقرأهُ ويصغي اليهِ . انهُ يقوم على عقد معنوي بينهُ وبين الجمهور تتلخص موادهُ في ان الصحافي يتعهد بان لا ينشر الاّ الصحيح من الاخبار على قدر ما يستطيع تحقيقها .ولا يذيع الاّ الرأي كما يبدو لهُ ناضجاً بعد التأمل والتمحيص . ان هذه الامانة شبيهة بالثقة التي يعقدها المريض على طبيبهِ ، والتلميذ على معلمهِ . وهي في حال الصحافي اخطر من كليهما لانهُ اذا أخطأ الطبيب فخطأهُ يتعلق بفرد واحد واذا اخلّ الصحافي بأمانتهِ وقعت نتائج اخلالهِ على جمهور كبير

هنا يعترضنا سؤال خطير . هل الصحافي الذي ينشر في جريدتهِ اخباراً يعرف انها كاذبة بقصد التضليل يختلف عن التاجر الذي يبيع للناس بضاعة مغشوشة ؟ هل الضرر الذي ينتج عن بثّ الآراء الفاسدة في الجمهور أقل من الضرر الذي ينتج عن بيع الاطعمة

---

(١) نشرنا في المقتطف الماضي جانباً من المحاضرة التي القاها الاستاذ فؤاد صروف محرر هذه المجلة في موضوع «المستنبطات الحديثة في الصحافة» وهذا جانب آخر من المحاضرة يعالج الموضوع من جهة اخرى

المغشوشة . نعم أيها السادة . ان الصحافي الذي يكتب او يذيع انباء كاذبة وهو يعلم بكذبها او آراء فاسدة وهو يدري ان منها ما هو خطر على الجمهور لهو كالتاجر الذي يبيع صابوناً مغشوشاً او سكراً غير نقي . بل اذهب الى ابعد من ذلك وأقول ان الصحافي الذي يخون الامانة التي تعهد ضمناً برعيها حين اقبل على الصحافة أجدر باللوم والعقاب من التاجر . فالصابون المغشوش قد يهيج حكة في الجلد ولكن الاخبار الكاذبة تقلق الجمهور والآراء الفاسدة تفسد العقول وتسمُّها

وماذا يقال في محرّر مسؤول يكتب مقالة رئيسية في صحيفة يعبّر فيها عن رأي يخالف رأيهُ . يقول بعض الباحثين ان المحرر كالمحامي أُجِر ليعرض وجهة نظر في مسألة أو قضية لانهُ بارع في عرضها . ولذلك فهو ليس مسؤولاً عن هذا الرأي لان المحامي انما يعبر عن رأي موكله والمحرر عن رأي جريدته فهو كعجلة في آلتها اذا لم يقبل الكتابة في هذا الموضوع على هذا النمط استغني عنهُ وجيء بمحرّر آخر يكتب ما رفض هو الكتابة فيه . وفي تاريخ الصحافيين حوادث كثيرة اختلف فيها المحرّر مع صاحب الجريدة في الرأي وفي اتجاه السياسة فتخلى المحرر عن منصبه ولم يتخلَّ عن آرائه

ولكن الصعوبة التي بسطناها انما هي في الغالب صعوبة نظرية لان المحرر الذي يكتب المقالات الرئيسية في جريدة من الجرائد الكبيرة لا يصل الى هذا المنصب الرفيع الاّ بعد ما يكون قد قضى سنين كثيرة اشتغل في اثنائها بمختلف ابواب التحرير فتشرَّب روح الجريدة والمبادىء التي تجري عليها في سياستها فاذا وصل الى منصب المحرر كانت الاصول الاساسية التي تقوم عليها آراؤهُ متفقة مع القواعد التي تبنى عليها سياسة الجريدة

الصحافة والجمهور

ولكن ! ولكن أيها السادة. يجب ألا ننسى الجمهور أيضاً .فكل جمهور يفوز بالصحف التي يستحقها . ان الصحافة صناعة والشركات التي تتولاها شركات مالية قبل كلّ شيء . فقد انقضى الزمن الذي كانت فيه الصحيفة نشرة رجل واحد يبثُّ بها آراءه وتعاليمهُ أو بوقاً لحزب ينفخ فيه قواعد سياسته . وصار اصدار الصحف التي تستطيع ان تجاري العمران على النمط الذي قدمناهُ يحتاج الى مبالغ طائلة من المال لشراء الدار والمعدات الميكانيكية على اختلافها واستئجار المحررين والمخبرين والمراسلين وابتياع الورق والحبر بالاطنان. وبعد كل ذلك تباع الصحيفة في السوق فلا يصيب صاحب الجريدة من ثمنها الاّ مبلغاً لا يكاد يفي بثمن ورقها . فكيف يستطيع ان ينفق سائر النفقات . وكيف يستطيع ان يجني ربحاً معقولاً من المال الذي قدَّمهُ للتثمير فيها

هنا المشكلة التي تعانيها الصحافة في كل انحاء المعمور . اذاً لاسبيل لصاحب جريدة يمكّنهُ من القيام بكل نفقاتها وهي طائلة وجني ربح معقول منها الاَّ بكثرة الاعلانات . واصحاب الشركات والمحال التجارية التي تعلن في الجرائد تجّارٌ لا يدفعون اجرة اعلان يعلنونهُ في جريدة من الجرائد الاَّ اذا كان يدرُّ عليهم فائدة معنوية ومادية . وهم غالباً يقيسون قيمة كل جريدة من حيث الاعلان فيها بعدد النسخ التي تطبع منها وتباع وبطبقة القرَّاءِ الذين يقرأونها

فاصحاب الجريدة ومحرروها مرغمون اذاً على اتخاذ كل الوسائل التي تمكنهم من زيادة المبيع من جرائدهم حتى يفوزوا بالاعلانات الكبيرة لانها في آخر الامر سندهم المالي الاكبر

فكل الحراج التي تقطع اشجارها وتحوَّل ورقاً وكل غدران الحبر التي تهدر في المطابع ومئات الالوف التي تنفق في جمع الاخبار واعدادها للنشر ومثلها مما ينفقهُ التجار للاعلان عن بضاعتهم يتوقف على علاقة الجمهور بالجريدة . أيقبل عليها لانها تسبق غيرها الى نشر الاخبار التي تثبت صحتها بعد ? أيقبل عليها لنشرها مقالات بسيفها الرأي العام لانها تثيرهُ او تخدّرهُ او ترشدهُ — ان الجريدة التي يقبل عليها الجمهور هي الجريدة السابقة الواسعة الانتشار المحترمة الجانب . وهي الجريدة التي تدرُّ على اصحابها ثروة طائلة

ومن نكد الدنيا ايها السادة ان بعض الصحف الغنية يحاول توسيع انتشارهِ بطرق اصطناعية ليس من شأن الصحف القيام بها . فاحدى الجرائد الانكليزية مثلاً تمنح كل اسبوع عشرين الفاً من الجنيهات لمن يفوز في مباراة تتعلق بلعبة الكرة وغيرها من الالعاب. فكان من اثر هذه الجوائز ان زاد المطبوع والمبيع من اعداد هذه الجريدة ولكن قراءها لم يزيدوا . ذلك ان بعض المتجرين صار يشتري اعداد هذه الجريدة بالالوف ويقطع منها كوبوناتها ويرمي الباقي . ثمَّ يبيع هذه الكوبونات بعد ما يملؤها بأجوبة لا يصيب المحجة منها اكثر من واحد في مليون . فهذه الزيادة في انتشار الجريدة زيادة وهمية تغرُّ المعلن ولا تفيدهُ . تغرُّهُ لانهُ يقدر ان اعلانهُ في هذه الجريدة ينتشر بين جمهور كبير من الناس ولا يفيدهُ لان جانباً كبيراً من اعدادها مصيرهُ الى الطرح جانباً كما تقدم فلا يقرأهُ احد من الناس

***

نعود الى علاقة الجمهور بالصحف . من هذه العلاقة المبهمة نشأ القول بسلطة الصحف

ومقامها في الرأي العام . على ان القول بأن الرأي العام ضعيف مرنٌ متردد سهل على الصحف قيادتهُ وتسيرهُ حسب مرادها قول فيهِ نصيب من الصحة ونصيب من الخطاء. اما نصيبهُ من الصحة فواضح في كلام قاض من اكبر القضاة الاميركيين حيث يقول «اعطوني الصحف ولا يهمني حينئذٍ من يسنُّ القوانين او يضع قواعد التصرف الادبي والديني». واما نصيبهُ من الخطاء فظاهر في درس الصحف الغربية اذ يرى الباحث فيها ان للجمهور او للرأي العام اكبر اثر في اتجاه الصحف وميلها . لان ذوق الجمهور ومطلبهُ انما هو في حقيقة الامر الحكم الفاصل في سعة انتشار جريدة وخيبة اخرى . وسعة الانتشار هي مدار النجاح الصحافي لان التجار لا يعلنون في جريدة ضيقة النطاق والاعلانات هي سند الصحافة المالي الاول والاخير . لذلك يميل الصحافيون الى ان يكتبوا للجمهور ما يطلبهُ الجمهور . ولذلك نقول ان كل امة تفوز بالصحف التي تستحقها .والصحافي الذي يستطيع ان يدرك بزكانتهِ وبعد نظره مطالب الجمهور هو الصحافي الذي يتسابق عليهِ اصحاب الصحف يمنونهُ بالسلطة العظيمة والراتب الكبير

ولكن ماذا يطلب الجمهور ؟

منذ ثلاثين سنة كانت الصحافة الانكليزية اليومية تكتب ما تقرأهُ طبقات خاصة من المتعلمين والاغنياء غير عابئة بطبقات العامة وهم سواد الشعب وبالنساء وهنَّ اكثر من نصفهِ. ولكنك ان سرت اليوم في عاصمة من عواصم اوربا رأيت كل رجل وامرأة تقريباً يحمل صحيفة يطالع اخبارها . كانت الصحف منذ ثلاثين سنة محدودة الانتشار لغلاء ثمنها من جهة ولضيق نطاقها من جهة اخرى فكانت المقالات التي ينشئها محرروها طويلة متلازّة العبارات يصحُّ ان تجمع في كتب يقرأها الرجل في اوقات فراغهِ . وكانت الاخبار يتلو بعضها بعضاً في العمود الواحد والصفحة الواحدة لا تكاد تفرّق بين الخبر الاهم والخبر المهم ، بل لا تكاد تفرق بين خبر وخبر لان عناوين الاخبار كانت غير ظاهرة فلا تسترعي النظر . ولكن رجل هذا العصر وفتاتهُ ايها السادة ليسوا الاّ دقائق مندفعة في تيار الحياة السريع . ولا صبر لاحدهم على ان يضيع الوقت بين داوهِ ومكتبهِ في مقالة يصحُّ ان يقرأها استاذ . انهُ يريد ان يلقي نظرة عامة على اخبار اليوم ليعرف ما هو جار في مختلف البلدان وآراء المفكرين في ذلك . لذلك يطلب الجمهور الاخبار اولاً ويفضل الاخبار التي تثير في صدرهِ معاني الاعجاب والاستغراب لانها خارجة عن المألوف . ويريدها كذلك موجزة السياق كثيرة العناوين واضحها حتى يستطيع ان يكتفي في كثير منها بقراءة العنوان ليستغني بهِ عن الخبر نفسه . اما المقالات التي يعبّر فيها عن آراء

المفكرين من اصحاب الصحيفة ومن يشدو شدوهم فيريدها كذلك موجزة تسير توًّا الى كبد الموضوع ولا تدور حولهُ من غير ان تمسَّهُ . فعمل الصحافي هو جهاد يومي ضد السآمة تبدو في سطور جريدته لانهُ متى ادركت السآمة الجمهور من جريدة ما فقل عليها السلام

ادرك هذه الحقيقة النفسية الفرد هارمزورث الذي صار لورد نورثكليف بعدئذٍ فاخرج جريدتهُ الديلي ميل على النمط الذي تصورهُ فلاقت نجاحاً عظيماً واقبالاً واسعاً فسارت في أثرها اكثر الصحف وصار هذا الوجه من الصحافة من اوسع الميادين للتفنن والابتكار حتى الصحف القديمة المحافظة كالتيمس الانكليزية والمورننغ بوست غيَّرت بعض التغيير في سياق اخبارها ووضع عناوين لها . وماذا كان الفرق ؟

كان انتشار الجريدة منذ ثلاثين سنة محدوداً بخمسين الفاً او بستين الفاً او بمائة الف اذا بلغتها . فجاءت الديلي ميل وقلبت كل ذلك رأساً على عقب فصار كل رجل يقرأها لانها تقدم لهُ ما يريد في القالب الذي يريدهُ فبلغ انتشارها الآن نحو مليوني نسخة . وانتشار الديلي اكسبرس لا يقل عن مليون و٣٠٠ الف وهي تصدر في لندن ومانشستر وغلاسجو في صباح كل يوم . او تعجبون أيها السادة اذا قلت لكم ان في اليابان صحيفة تضاهي الديلي ميل في سعة انتشارها بل تكاد تفوقها ؟ هي الحقيقة ما اقول

***

أما الصحف الاميركية فلا تضاهي كبريات الصحف الانكليزية من حيث سعة انتشارها. فلا اعرف جريدة اميركية يزيد انتشارها على مليون نسخة . وذلك لان انتشار الصحف الاميركية ينحصر في المدن التي تصدر فيها . فصحف نيويورك قلما تقرأ في غير نيويورك وما يجاورها . وذلك لاتساع البلاد وترامي أطرافها ولان في كل بلدة تقريباً صحيفة تتلقى اهم الانباء من جرائد المدن الكبيرة ومن شركات الاخبار . ولكن خذوا الصحف الاميركية الشهرية والاسبوعية تروا ان انتشارها يكاد يفوق التصور لانها تقرأ في طول البلاد وعرضها . فان جريدة ستردي ايفننغ بوست تطبع وتوزع كل اسبوع نحو مليوني نسخة ونصف مليون وكل نسخة منها غرش صاغ مع انها تكون احياناً ١٦٠ صفحة من حجم اللطائف المصورة او اكبر قليلاً . وخذوا المجلة الاميركية وهي شهرية فان انتشارها يبلغ مليونين وربع مليون كل شهر . كنت خالي الاعمال منذ ايام فاخذت اقلب عدداً منها فوجدت ان ثخن كل عدد من أعدادها نحو سنتمتر فاذا وُضعت كل الاعداد التي تطبع وتوزع في شهر واحد العدد فوق الآخر بلغ علوها ٢٢ كيلو متراً !

لقد أطلت عليكم الحديث أيها السادة ولكن الحديث ذو شجون، وهو كثير المناحي لا يمكن الاحاطة به في ساعة واحدة . انما قصدت ان ارسم لكم صورة مصغرة للصحافة اليومية الغربية ورقيها . وما للمخترعات الحديثة من الاثر الكبير في ذلك.حتى اذا أخذتم نسخة منها وطالعتموها عرفتم ما وراء كل عدد منها من السعي والعمل والبذل

قد تنفق الاموال الطائلة في ابتياع دار فخمة ومنضدات ومطابع هي أحدث واتقن ما ابدع العلم . وقد تستخدم الامواج اللاسلكية في جمع الاخبار والصور ، والسيارات والطيارات لنقل اعداد الجريدة وتوزيعها . ولكن وراء ذلك كله عمل الرجال

الرجال الذين لا يصدّهم صادٌّ عن تسقط الاخبار الصحيحة ، الرجال الذين يعلقون عليها بآراء ناضجة حصيفة صادرة عن علم واسع واخلاص جمّ ، عن بداهة مصقولة بالاختبار واستقلال قائم على السعي في سبيل النفع العام

قد تؤلف الشركات المالية الكبيرة للسيطرة على الجرائد والتحكم بها ولكن ما زال الصحافيون يتبعون حكم ضمائرهم في فهمهم للامانة المعلقة في اعناقهم للجمهور فالصحافة بخير

وما زالت الصحافة تغري رجالاً من مقام روزفلت وفنلي ومورلي وبركنهد وكولدج وغيرهم للانتظام في سلكها والمحاولة عن طريقها تعليم الرأي العام وتهذيبهُ فالصحافة بخير

قد تكون الصحافة تجارة رابحة أو غير رابحة . وقد تكون صناعة شريفة أو حقيرة . وقد تكون عملاً تجري في ميدانهِ اصحاب المواهب السامية واصحاب المواهب الضعيفة السقيمة . وقد تكون حرفة يحترفها المعلم والمجرم على السواء . وقد تكون أداة لتثقيف العقول ولتهذيب النفوس او وسيلة لافسادها . كل ذلك يتوقف على الرجال الذين ينتظمون في سلكها وادراكهم للامانة التي يتعهدون برعيها

لذلك اسمحوا لي في النهاية ان اقول انهُ مع عظيم احترامي لكل الطرق التي تبتدعها الدائرة المالية لجمع الاشتراكات وزيادة الانتشار اقول ان مركز الثقل في كل جريدة انما هو في ايدي محرريها — الذين اذا اقبلوا على عملهم مشبعين بتلك الروح السامية التي حاولت رسم بعض خطوطها في ما تقدم جعلوا الصحف منشآت عامة لا يضاهيها مُضاهٍ في تهذيب الجمهور ورفع مستواهُ العقلي والروحي

ابو القاسم في مستشفى قرطبة

الرازي في معمله

هارون الرشيد يستقبل اطباء بغداد

جابر بن حيان يلقي درساً في الكيمياء

تاريخ الطب عند العرب

صدر الاسلام

كان الاغريق منذ الفي عام حملة الطب القديم ، واما العرب فلم يتصل بهم فن الشفاء ويتم انتشاره الا في اواخر الجيل السابع للميلاد والثامن اي في صدر الدولة كما يقول صاحب الفهرست ، او في اواخر القرن الاول للهجرة . اجل كان بينهم قبل الاسلام ومن معاصري صاحب الشريعة اطباء مشهورون اذكر منهم الحارث ابن كلدة طبيب الجزيرة وحكيمها ، صاحب الوصايا الصحية المعروفة ، وهو على ما اعتقد من تلاميذ مدرسة جنديسابور في بلاد فارس

ولكنهم لم يقفوا على علوم الاوائل ولم يستخرجوا معارف الامم وعلومها من لغاتها الى لغتهم ، إلا بعد ان دانت لهم اطراف الجزيرة واذعن لاحكامهم فيها متاخموها من روم وفرس . فبينا القس هارون الاسكندري ينقل الى خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان علوم السريان والقبط والروم في شمالي الجزيرة ، كان جعفر الصادق من ائمة آل البيت العلوي الكبير ، وجابر بن حيان يشتغلان بنقل علوم الهند وفارس في جنوبي الجزيرة وعلى الاخص الكيمياء منها او علم هرمس ، ويضع ثانيهما فيها الكتب المؤلفة

قال الجاحظ في البيان والتبيين (المجلد الاول صفحة ١٧٨) : وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراً وفصيحاً جامعاً وجيه الرأي كثير الادب : وكان اول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء . وقال ابو الفرج الاصبهاني في كتابه الاوحد المدعو بالاغاني جزء ١٦ صفحة ٨٤ وكان خالد من رجالات قريش سخاءً وعارضةً وفصاحةً ، وكان قد شغل نفسهُ بطلب الكيمياء فافنى بذلك عمرهُ واسقط نفسهُ

لا تظنوا ايها الكرام ان ابا الفرج الاصبهاني يطعن في علم ابن عمه خالد بن يزيد عند قولهِ فيهِ « واسقط نفسهُ » . ان ابا الفرج اديب القرن الرابع للهجرة دون منازع ، يريد ان يقول : ان انصراف خالد الى المسائل العلمية واهتمامهُ بالرموز الكيماوية وانشغالهُ بالابعاد الفلكية وانصبابهُ على التكهنات والطوالع الجفرية كل هذه الشواغل صرفت ذهنهُ عن المعضلة الخلافية

فاما وقد عرفتم شطراً من شخصية خالد فاسمحوا لي ان اسرد عليكم من كتاب الاغاني

جزء ١٦ صفحة ٨٦ حادثاً اتفق لهُ مع الحجاج بن يوسف امير العراقين (الكوفة والبصرة) يزيل الغطاء عن شخصية العالم وضعف السياسي فتروا الفرق بين طول اناة الجد معاوية وضيق صدر الحفيد خالد بن يزيد

اننا نعجب اليوم ببلاغة الحجاج ونطرب لوقفاتهِ الخطابية الرائعة كما نأسف لافراطهِ في السياسة المتبعة يومئذٍ، ولو كنا مكان طبيبهِ تيادوق لما احرزنا الاَّ انتصاراً يسيراً على العلة التي مات بها ابن يوسف الثقفي . اقول هذا لانني اعتقد ان الحجاج كان من ضحايا باشلس كوخ . واليكم الحادث المذكور قال : قدم الحجاج على عبد الملك فمرَّ بخالد بن يزيد ابن معاوية ومعهُ بعض اهل الشام فقال الشامي لخالد من هذا؟ فقال كالمستهزيء : هذا عمرو بن العاص، فعدل اليهِ الحجاج فقال : اني والله ما انا بعمرو بن العاص ولا ولدت عمراً ولا ولدني ، ولكني ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش ، ولقد ضربت بسيفي هذا اكثر من مائة الف كلهم يشهد انك واباك من اهل النار. ثم لم اجد لذلك عندك اجراً ولا شكراً . وانصرف عنهُ وهو يقول : عمرو بن العاص « عمرو بن العاص »

لا اذكر اني عثرت على مؤلف في الكيمياء او سواها لخالد بن يزيد الاموي ولكني اقول لكم : ان الكتب الموجودة اليوم والتي تنسب لجابر بن حيَّان تتجاوز المائة بين مخطوط ومطبوع ،في الكيمياء والطب والمادة الطبية ، اقول تتجاوز المئة واعتقد اني لستُ مبالغاً لان المؤلف والمؤرخ الفرنسوي الدكتور غوستاف لوبون يوصلها في كتابهِ حضارة العرب صفحة ٥١١ الى ما فوق ذلك ويذكر ان احدها واسمهُ في العربية الاستتمام La somme de perfection ترجم الى الفرنسوية رأساً عام ١٦٧٢ عدا عشرات سواهُ ترجمت قبل ذلك باجيال الى اللاتينية ، ودرست احقاباً في جامعات اوربا كما بينت ذلك مفصلاً في اطروحتي الطبية . اما قائمة هذه المؤلفات فهي في كتاب الفهرست ، واما سردها والاشارة الى اماكن وجودها في مكاتب العالم قاطبة فيستغرق وقتاً طويلاً . ولم يقف الاهتمام بجابر بن حيان عند هذا الحد ، فاذا علمتم بان قسماً من كتبهِ نقل الى اللاتينية في الجيل الثاني عشر بقلم جيرار الكرماني وهو عصر النقل في الغرب كما كان عصر المأمون عهد النقل في الشرق وعلمتم بانهُ ترجم الى الفرنسوية في اواخر الجيل السابع عشر جيل شمس الملوك كما يقول خليل مطران ، وكما قدمت وعلمتم ان مرسلان برتيلو العالم الكيماوي الاشهر صاحب عملية وفكرة التركيب La synthesè اي عكس التحليل analyse يقول عن جابر في صدر كتابهِ « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى » ان اسمهُ ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطاطاليس في تاريخ علم المنطق ، ادركتم انهُ ما من رجل يتصدَّى

لدرس احد هذين العلمين المنطق والكيمياء ، ولو بعد مئات السنين إلاّ وهو مدين لارسطاطاليس وللجابر بن حيان ببعض الشيء

العصر العباسي

من حسنات العصر العباسي ان احزم خلفائهِ ابا جعفر المنصور اصيب بسوء هضمٍ مزمن ، فجيء بالطبيب الكبير ابن بختيشوع ، مدرس الطب في جنديسابور الى بغداد ليداوي الخليفة فكان بذلك بدء تأسيس مدرسة طبية في الزوراء عاصمة الملك

ومن حسناتهِ ان هارون الرشيد انتقل اليهِ داءُ جدهِ المنصور ، فجيء بحنين بن اسحاق ليعالج امير المؤمنين الرشيد ، غفر الله لهُ عداد ما شرب من الارطال، ولما اصبح لحنين من الزبائن امثال الرشيد وجعفر البرمكي،لم تحدثهُ نفسهُ بالجلاء عن بغداد وانتقلت هذه الفكرة الى ورثتهِ من بعدهِ والى رصيفهِ يوحنا بن ماسويه . ومن حسناتهِ ايضاً ، ان هذه المعودية اصيب بها المأمون ، ولكنهُ هذه المرة لم يكتفِ بطبيب من الاحياء ، بل ظهر لهُ ارسطو في النوم ، وقال صاحب الفهرست : ان هذا كان من اقوى الاسباب التي حملت الخليفة على استخراج مؤلفات المعلم الاول وسواها من اليونانية الى العربية . وهذا ايها السادة عصر النقل من الاغريقية وسواها الى لغة الكتاب ، هذا عصر المأمون الذي حمل رأسهُ ارفع عمامةٍ في الشرق والاسلام

جاء في الجزء الخامس من كتاب الاغاني صفحة ٥٠ اخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني علي بن يحيى المنجم قال : كنت عند اسحق بن ابراهيم بن مصعب فسأل اسحق الموصلي او سألهُ محمد بن الحسين بن مصعب بحضرتي فقال لهُ : يا ابا محمد ارأيت لو ان الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنغمة الحادة التي هي العاشرة على مذهبك اين كنت تخرج منهُ ؟ فبقي اسحق واجماً ساعةً طويلة مفكراً ، واحمرت اذناهُ وكانتا عظيمتين ، وكان اذا ورد عليهِ مثل هذا احمرتا ، وكثر ولوعهُ بهما ، فقال لمحمد بن الحسن الجواب في هذا لا يكون كلاماً ، انما يكون بالضرب ، فان كنت تضرب اريتك اين تخرج، فخجل وسكت عنهُ مغضباً لانهُ كان اميراً وقابلهُ من الجواب بما لا يحسن فلم عنهُ . قال عليّ بن يحيى ، فصار اليّ بهِ وقال : يا ابا الحسن ان هذا الرجل سألني عما سمعت ، ولم يبلغ علمهُ ان يستنبط مثلهُ بقريحتهِ ، وانما هو شيء قرأهُ من كتب الاوائل ، وقد بلغني ان التراجمة عندهم يترجمون كتب الموسيقى فاذا خرج اليك شيء منها فاعطنيهِ فوعدتهُ بذلك ومات قبل ان يخرج اليهِ شيء منها وانما ذكرت هذا بتمام اخبارهِ ومحاسنهِ وفضائلهِ لانهُ من اعجب شيء يؤثر عنهُ انهُ استخرج بطبعهِ علماً رسمتهُ الاوائل لا يوصل الى معرفتهِ ، إلا

بعد علم اقليدس الاول في الهندسة ثم ما بعدهُ من الكتب الموضوعة في الموسيقى ثم تعلّم ذلك وتوصل اليهِ واستنبطهُ بقريحتهِ فوافق ما رسمهُ اولئك ولم يشذ عنهُ شيء يحتاج اليهِ منهُ وهو لم يقرأهُ ولا لهُ مدخل اليهِ ولا عرفهُ

يؤخذ مما ذكرت دلالتان : اولاهما ان اسحق بن ابراهيم الموصلي الموسيقي الاكبر والضارب الاشهر والمنشد الفذّ قد توصل بحذقهِ الى استخراج النغمة الحادة التي هي العاشرة—وهذا بحث اجنبي عن المقام— وثانيتهما ان النقل كان يومئذٍ على قدمٍ وساق من اليونانية والسريانية والعبرية الى العربية حتى اصبحت هذه الاخيرة في اواخر الجيل التاسع وفي اوائل العاشر يجد فيها الطالب علوم المتقدمين والمتأخرين ومجموعة معارف المعمور

واذا اضفت الى هذه الثروة العلمية الضخمة ما زاد عليهِ العرب من عند انفسهم وما اوحتهُ اليهم الزرقاء والغبراء من قبةٍ فلكية وتربةٍ صالحة ، ومواد طبية جديدة ، وملكٍ ضخم يتناول القارات المعروفة يومئذٍ ، وما دلّهم عليهِ الاختبار بالتكرار والمراجعة ، وما قرأوهُ في تاريخ العصور الخالية ، وما ولدتهُ فيهم تلك القرائح السامية ، علمت انهم قاموا للانسانية بخدمات جليلة ، وكانوا حملة مصباح العلم اجيالاً ، وانهم اوجزوا في اوروبا دياجير القرون الوسطى كما ستراهُ

لا احب ان انتقل من هـذه النقطة الى بحث آخر قبل ان اقول ان عيون الانباء لابن ابي أصيبعة ، وكتاب الحكماء للقفطي والفهرست لابي يعقوب الوراق وكثيراً سواها قد وقفت عشرات الصفحات لذكر اسماء المؤلفين والمترجمين والكتب المؤلفة ، ولو اخذت بسرد المسميات والالقاب والانساب هذه مع ذكر الاسر الغنية القوية التي كانت تعضد المترجمين وتشجعهم لما كان لي متسع من الوقت لخوض بحث آخر فلتراجع في مظانها

ما كادت هذه الخمائر الجديدة تترك في تلك التربة الغنية حتى انقضى طور الحضانة دون طويل عناء وحتى ظهرت نتائج ذلك المستنبت الضخم العجيب الذي لم يكن بحر الروم إلاّ البركة الوسطى فيهِ

انجب الجيل العاشر قرائح طبية من الطراز الاول في آسيا على رأسها علي بن العباس المجوسي وابو بكر بن محمد بن ذكريا الرازي ، وفي افريقا ابن الجزار واسحاق بن سليمان الاسرائيلي ، وفي الاندلس ابو القاسم الزهراوي

وجاء اوروبا في اواسط القرن الحادي عشر وحل في سالرن بايطاليا شرقي يهودي دعوه بقسطنطين الافريقي، فهذا الرجل الذي كان يتكلم لغات عصره قاطبة، والذي اعتنق النصرانية في دير هناك ، نقل عن العربية الى اللاتينية كتاب العضدي لعلي بن العباس

المجوسي ، وقد كان اهداهُ مؤلفهُ الى عضد الدولة البويهي ملك بغداد وصاحب البيمارستان المدعو باسمهِ ، واغفل المترجم اسم المؤلف . ونقل عن ابن الجزار كتابهِ المرسوم « زاد المسافر » ودعاه بالاتينية (ڤيانيك) ومن هذه اللفظة اتت التسميات الحديثة للمؤلفات الطبية الموجزة المدعوة V aveine cum ولم يذكر اسم المؤلف، ونقل اسحاق بن سليمان الاسرائيلي كتابهُ في الحميات والبول وتكرم بذكر اسمهِ

فهذه المؤلفات وقد عرفت سرقات قسطنطين بعد جيل — كانت ركن التعليم الطبي في مدرسة سالرن خاصة وفي مدارس ايطاليا عامة احقاباً طوالاً . ولما نقل جيران الكرماني مؤلفات ابي العباس بن عياش الزهراوي الى اللاتينية عرف الجراح الكبير في ايطاليا اولا ومنها انتقلت شهرتهُ الى فرنسا عند هجرة الجراحين الايطاليين الى غاليا في القرن الثالث عشر ويقول تاريخ فرنسا الادبي : ان ابا القاسم الزهراوي اصبح في مدارسنا احد اركان الثالوث الطبي المؤلف منهُ ومن ابقراط وجالينوس ،وانزل منزلة ابوي الطب

يقول بوشو نائب الاستاذ في كلية الطب بباريس في كتابهِ المذاهب الطبية صفحة ٣٥٢ المطبوع عام ١٨٦٤ في حق ابي القاسم الزهراوي : ان الترجمة التي قام بها الدكتور ليكلير لجراحة ابي القاسم الزهراوي اثبتت ان الجراح العربي قد جعل في حيز الممكنات اليومية عمليات جراحية عديدة كانت مهملة ، وكان قد استخرج اللحميات من الانف ، واستعمل حجر جهنم وهو نترات الفضة واقدم في الكي على اشياء لم يجرؤ عليها احد قبلهُ فهو يشير بان لا تستعمل الكاويات الاَّ عند ذوي البنية الجافة والحارة وكل المعادن في عرفهِ صالحة ان تكوي اذا احميت ،ولكنهُ كان يفضل الحديد ،وقد ارتفعت حرارتهُ فاصبح احمراً قانياً ، وهو يشير بالكي في النفض المؤلم ، وفي الوثأة ، وفي البرص المعقد ، وفي القرحات السرطانية . . . . ومن اراد زيادة تفصيل فعليهِ بمراجعة اطروحتي الطبية في الفصل المختص بكلية باريس لان « التصريف » وهو مؤلف ابي القاسم الزهراوي قد دُرس عشرات السنين في طبية وادي السين ومونبليه كما درست كتب اسحاق بن سليمان الاسرائيلي وابن الجزار . وقد نشرت مجلة المدرسة الطبية بدمشق رسوماً عديدة لادوات جراحية حفظت في احدى المنسوخات وكلها من ابتكار ابي القاسم الزهراوي ، وهي تدل دلالة واضحة على علو كعبهِ في التشريح والجراحة ، وكفانا بشهادة نائب البروفسور بوشو المذكور دليلاً على صحة ما نقول .ولكني اقرأ الآن ما يجول في خواطركم انكم تقولون . قد علمنا بعض الشيء عمَّن ذكرت من المؤلفين ، ولكن ما فعلتَ بابي بكر بن محمد بن زكريا الرازي انك لم تخبرنا ببعض شأنهِ باريس الدكتور يوسف حرنز

امة تتعلم

الاتراك يهجرون الحروف العربية

نظام التعليم الجديد في تركيا

ليس في الانقلاب التركي الحديث ما هو ادعى الى الدهشة من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية واستحداث طراز من الكتابة لقطع آخر صلة تربط الاتراك بالعرب . ولا يستطيع القارىء ان يدرك الغرض من احداث هذا الانقلاب الا اذا تذكرنا ان اربعة اخماس الشعب التركي لا يزال حتى الآن هائماً في بيداء الامية يجهل القراءة والكتابة والخمس الباقي لم ينل ما نالهُ من يسير العلم الاَّ بعاماة عرق القربة . وسبب ذلك على ما زعم الغازي واعوانه ما يعانيه المرء من المشقة بتعلم القراءة والكتابة بالحروف العربية بسبب تعدد صور هذه الحروف واشكالها تبعاً لمواقعها من الكلمة حتى لقد زعموا ان تلك الصور لا تقل عن خمسمائة . وهبهم مبالغين في ذلك بعض الشيء فان تعدد تلك الصور عقبة في سبيل تعلم اللغة

يدلك على ذلك انك تجد الذين يحسنون اللغة التركية من الاجانب او الذين يلمون بها بعض الالمام اقل بكثير من الذين يحسنون اي لغة اخرى اجنبية . وقد ذكر بعض جماعة القسوس الاميركيين المقيمين بتركيا انهم سلخوا مرحلة من العمر في محاولة اتقان اللغة التركية فلم يظفروا بما يروي الغليل

وليس في تاريخ الامم ما يشبه الانقلاب الذي نحن حياله . فلم يسمع عن امة انها رجحت بجرة قلم كتابة آبائها واسلافها . وانت تعلم ان الكتابة مظهر من مظاهر القومية وانها تنشأ بمرور الزمن ولا تستحدث طفرة. ولذلك كان الكثيرون من منتقدي مصطفى كمال يتوقعون لهُ الفشل فيما يحاولهُ من هذا الوجه . ولعلهُ الشخص الوحيد الذي كان يستطيع احداث مثل هذا الامر بما لهُ من صفات الزعامة الحقة ومن عزم يفل الحديد . ولعمر الحق انك على اي الوجوه قلبت هذا الحدث المقرون بالجرأة ألفيتهُ دليل نهضة تدعو الى الدهشة والاعجاب . واعجب ما فيها استسلام الاتراك اليها مع علمهم بانها ترجع بالمتعلمين منهم الى الوراء وتجعلهم على مستوى الاميين وترغمهم على البدء بدرس اللغة من

امام ادارة البريد لوحة عليها الحروف الهجائية اللاتينية

صاحب حانوت يتعلم الحروف الجديدة في ساعات فراغه

مقتطف ابريل ١٩٢٩

امام الصفحة ٤١١

جديد . فكأن السنوات التي قضاها المتعلمون في طلب العلم عن طريق الكتابة العربية ذهبت سدًى واصبح حتماً عليهم ان يشرعوا — هم والاميون على حدٍّ سوى — في تعلم الكتابة الجديدة

ويقول انصار مصطفى كمال ان ما يخسرهُ المتعلمون (وعددهم لا يجاوز خمس عدد الامة) من جراء هذا الانقلاب لا يوازي شيئاً في جانب ما يربحهُ الاربعة الاخماس الباقون . فضلا عن ان ما يخسرهُ الفريق الاول لن يعسر استرداده في فترة من الزمن فلا ينقضي ردح من الزمن حتى يصبح السواد الاعظم من الامة يحسن القراءة والكتابة

ولا يزعمن القارىء ان فكرة استبدال الحروف اللاتينية بحروف عربية عرضت للغازي فجأة بل هي اختمرت في نفسه بعد ان قلبها على جميع وجوهها فتبين لهُ نفعها من ضرّها وأدرك بالبصيرة الثاقبة ما لا بد ان تسفر عنهُ من النتائج الباهرة . ولذلك اخذ يعدُّ لها العدة ويترقب الزمن حتى اذا استكملت شروطها اصدر امرهُ باستعمال الحروف الجديدة واضاف الى وجوه الاصلاح التي عالجها وجهاً آخر .لذلك سيظل اسمه رمزاً الى النهضة التجديدية في تركيا ويسجل لهُ التاريخ مفاخر سوف تبقى ما بقي الزمان

وانك لتمر اليوم باسواق انقرة وشوارعها فلا تجد من آثار الحروف العربية اكثر مما تجد من آثار السلف الراحل وغير ما تراهُ منقوشاً على ابواب الجوامع والنصب والتماثيل من آيات واحاديث سوف يحرص القوم عليها كما تحرص على الآثار في المتاحف. وقد يمر عابر السبيل في انقرة والاستانة بجماعات قد تألبوا على ابواب المكاتب والمخازن واخذوا يتحاورون في الحروف الجديدة المعروضة فيخيَّل اليهِ انهُ في وسط امة قد نهضت على بكرة أبيها لتتعلم القراءة والكتابة — لا فرق في ذلك بين الحدث والكهل او بين الرجل والمرأة

ولم يخل هذا الانقلاب من مشاكل كثيرة اشدها ما عانتهُ طائفة الموظفين وارباب الصحف وتلاميذ المدارس العالية.وطائفة الموظفين في تركيا تكاد تكون عالة على الحكومة فان جانباً غير يسير منها — ما عدا أصحاب المناصب العالية — هم ممن لا يحسنون شيئاً غير اليسير الذي يعرفونهُ من القراءة والكتابة بالحروف العربية . وقد عالج الغازي امرهم فلم يجد بدًّا من استحثاثهم على تعلم الحروف الجديدة والاَّ خسروا مناصبهم

اما ارباب الصحف فقد كانت مصيبتهم اعظم لان ابدال حروف الصحف العربية بين عشية وضحاها لم يكن بالامر الهين وقد كان لابد ان يؤدي الى نقص عدد القراء نقصاً كبيراً . فالصحيفة التي كانت تطبع بضعة آلاف نسخة بالحروف العربية وجدت

نفسها حيال مشاكل جمة اهمها انها لم تجد من يستطيع قراءتها اذا هي استعملت الحروف اللاتينية فتخسر بذلك مورد رزقها ورزق عمالها فضلاً عن ان الذين يشتغلون بجمع احرفها وترتيبها لن يستطيعوا شيئاً من ذلك بالحروف اللاتينية

ولم يكن مصطفى كمال ليجهل مدى خسارة الصحف من جراء هذا التغيير . فاختصها باعانة مالية لتفريج شدتها ومساعدتها على انتهاج الخطة الجديدة . ولولا ذلك لاحتجبت تلك الصحف عن قرائها

على ان مشكلة اعظم كانت تواجه مصطفى كمال . وهي مشكلة التعليم في المدارس وابدالها بالكتب القديمة كتباً جديدة مطبوعة بالحروف اللاتينية . وان المرء ليعجز عن ادراك مدى هذه الصعوبة وانما تتجلى لهُ ناحية منها متى تذكر مختلف العلوم التي يدرسها طلبة المدارس على اختلاف انواعها ولا سيما طلبة العلوم العالية كالطب والصيدلة والهندسة والحقوق وما اشبه . اضف الى ذلك مشكلة كتب الصرف والنحو . وليس وجه الاشكال ابدال طائفة من الحروف بغيرها بل وضع قواعد اساسية تقوم عليها اللغة

ومن العبث محاولة تصوير هـذه المشكلة بصورتها الحقيقية في مثل هـذه الفذلكة الموجزة . وانما نقول بوجه الاجمال ان المشكلة كانت جديرة بايهان العزائم لولا ان للغازي ارادة تفلّ الحديد . وقد عالجها بما هو مشهور عنهُ من الروية ومضاء العزيمة فاصبحت اليوم جميع الكتب المدرسية — من علمية وادبية وفنية وغيرها — مطبوعة بالاحرف اللاتينية وهي المعول عليها في برامج المدارس . فترى اذن ان القضاء على الحروف العربية في تركيا اصبح حقيقة واقعة . وقد قطع الغازي بهِ آخر صلة كانت تربط الطورانية بالعربية

***

وعلى ذكر المدارس وانتشار روح الرغبة في التعليم نورد فيما يلي خلاصة موجزة كتبتها السيدة جريس اليسون الانكليزية في هذا الشأن على اثر طوافها بانقرة وقونية وغيرها من مدن الاناضول فلقد كتبت السيدة تقول انهُ يجدر بمن يريد ان يحكم على تركيا ان يلقي نظرة على حالة التعليم فيها وعلى رغبة الشعب في انشاء المدارس . وقد كان مصطفى كمال منشأ هـذه النهضة كما كان منشأ ضروب كثيرة من ضروب الاصلاح. وكان شعار الاتراك في ذلك « ان طلب العلم من اقدس الفروض » وانك لتعجز عن ادراك مدى حماسة الشعب في نهضتهِ الجديدة لطلب العلم ولتشييد المدارس في جميع انحاء الدولة

وادهش ما في هذه النهضة سرعة انتشارها بين جميع طوائف الامة بل بين اصغر قرى الدولة.ولقد اتيح لكاتبة هذه السطور ان تطوف بمختلف الانحاء مع عامل (والي)

هذا الرجل الشيخ صناعتهُ صنع الاختام وعليهِ ان يتعلم الحروف الجديدة ليمارس صناعتهُ بها

صاحب حانوت حلاّق يغيّر الاسم على زجاج بابهِ

مقتطف ابريل ١٩٢٩

امام الصفحة ٤١٣

قونية وزوجه .وهذا العامل من اشد المجاهدين في سبيل نشر العلم وتشييد المدارس .وقد وقفت في اثناء طوافي معهُ ومع زوجهِ على آثار مساعيهِ الجليلة في هذا الشأن . فكنا كلما خطونا خطوة يشير بسبابتهِ الى دور العلم التي سعى في تشييدها . وهو في ذلك معجب بعمله مغتبط بمسعاه . وقد كان خروجهُ للطواف مع زوجهِ خروجاً على تقاليد قومه العتيقة ولم أر قط على وجه امرئٍ دلائل الغبطة التي رأيتها يومئذٍ على وجه ذلك الرجل . وفي الواقع انهُ قد بذل من الجهد ما تنوء بهِ راسيات الجبال حتى لقد أفرط بعض الشيء في اغتصابهِ طائفة من المنازل لتحويلها دوراً للتعليم

وقد جعل التعليم على ثلاث درجات وهو « ابتدائي » و « ثانوي » و « عالٍ » ومع ان لغة التعليم الرسمية هي التركية بالحروف اللاتينية الا ان الطلاب مرغمون على تعلم اللغة الفرنسوية ايضاً . ورجال التعليم يبذلون عناية خاصة بتعليم الكيمياء والحساب والفنون والآداب على اختلاف انواعها .ولكن اهم ما يعنى بهِ الغازي من العلوم هو التاريخ ولاسيما الامة التركية واسباب ما مرت بهِ من الاطوار المختلفة حتى طورها الحالي وانقلابها من سلطنة الى جمهورية

وليس اهتمام الغازي بعلم التاريخ بالامر المستغرب وهو يعلم ان حكم التاريخ قاس لا يعرف المحاباة وان عِبَر التاريخ هي خير ما يتعظ بهِ احداث الامة . ولقد بلغ من ولعهِ بهذا العلم ان يعي من اخبار الامم واسباب رقيها وانحطاطها مالا يعيه صدر غيره . وما علم التاريخ في نظره ان تسرد حوادث الماضي بحسب ترتيبها الزمني بل ان تبحث فيها عن العلة والمعلول وعما بينها من ربط لتستخرج منها العبر والعظات . فاما ان تقرأ الحوادث ولا تقرأ ما بين سطورها فعبث بالوقت كالعبث بمطالعة القصص والاساطير

ولذلك يشرف الغازي على برامج المدارس ويتولاها بعنايتهِ . ولا حاجة الى القول بان هذه البرامج لا بد ان تصاب بصدمة خفيفة من جراء استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ولكن اثر ذلك لا يمكن ان يظل طويلاً فما هي الاَّ ان ترسخ الحروف الجديدة في اذهان القوم حتى يواصلوا سيرهم في طرق العلم بنشاط اعظم

وقد اتفق لسيدة اخرى من سيدات الانكليز ان زارت تركيا بعد عهد قريب واستقصت احوال التعليم فيها . ولما وصلت الى ازمير زارت مع الوالي ذات ليلة احدى المدارس الليلية وهي جانب من جامع قديم فابصرت فيمن ابصرتهُ هنالك فلاحاً واسكافيًّا ونوتيًّا قد وخط الشيب رؤوسهم ومع ذلك اقبلوا على العلم بنفوس متلهفة . وكانوا يتلون « دستور حقوق الشعب » الذي يتعلمهُ اليوم جميع الاتراك كباراً وصغاراً ليعرف كل واحد

منهم ما لهُ من الحقوق وما عليهِ من الواجبات . ولاشك ان في هذا الدستور بزور ثورات كبيرة مقبلة فان التركي الذي ينشأ على معرفة حقوقهِ وواجباتهِ لن يستكين في المستقبل لمسلك اي حاكم يزوغ عن الواجب قيد انملة

ومما يجدر بالذكر ان اهتمام الاتراك بالتاريخ في الوقت الحاضر قد انشأ بينهم وبين مدارس الاجانب كثيراً من الخلاف . فهذه المدارس لاتزال تعول على كتب التاريخ التي تنظر الى الاتراك بعين اجنبية وتعتبرهم من الامم المتأخرة غير الجديرة بالحياة . وبعض تلك الكتب تشوه حقائق التاريخ بما يجرح عزة الاتراك ويؤذيهم في كرامتهم . ولذلك توفد وزارة المعارف التركية مندوبين من قبلها — من وقت الى آخر — ليفحصوا حالة التعليم في تلك المدارس ويشرفوا على برامج التدريس فيها. فاذا انسوا من اولياء اي مدرسة ميلاً الى تشويه الحقائق بما لا يتفق مع كرامة الاتراك لم يحجموا عن اغلاق ابواب تلك المدرسة غير عابئين باحتجاج القناصل ومندوبي الدول . وقد اتفق ان زار مرة احد « المفتشين » الاتراك مدرسة في ازمير وحضر درساً من دروس التاريخ فوجد في كتاب التدريس ان ازمير ولاية يونانية وان شرقي الاناضول وطن للارمن فغضب « المفتش » ورفع الامر الى الحكومة فما كان من هذه الاَّ ان امرت باقفال ابواب المدرسة

وفي الواقع ان الغازي لا يغتفر لمن يتعمد تشويه الحقائق بما ينتقص قدر التركي ويمتهن كرامتهِ . والاتراك يقولون انهم عانوا من تعسف الاجانب في الماضي ما لم يبق مجالاً للتسامح في الحاضر فهم لا يفرطون في عزتهم ولا يعذرون من يفرط فيها. وقد مضى الزمن الذي كان القناصل يتعرضون فيهِ لكل صغيرة وكبيرة من شؤون الاتراك ويكرهونهم على ما لا ترتاح اليهِ ضمائرهم

ولا ادل على انتشار روح الرغبة في العلم بين الاتراك من انك قد تزور اسرة فتجد معظم الخدم فيها غائبين. واذا سألت عنهم قيل لك انهم في المدرسة يتلقون دروسهم وليس لسادتهم ان يمنعوهم من ذلك او ان يقفوا دونهم لان الغازي يريد ان يكون جميع افراد الامة متعلمين

***

واذا نظرنا الى اثر الانقلاب التركي في أمم الشرق بوجه الاجمال وجدنا ذلك الاثر واضحاً كل الوضوح ولاسيما ما يتعلق منهُ باستبدال الازياء واستبدال الحروف . فاما استبدال الازياء فليس هو المقصود من هذه المقالة . واما استبدال الحروف فقد كان لهُ اثر بعيد في عدة امم شرقية كالصين واليابان وفارس وافغانستان . وقد صدق احد الكتاب الانكليز بقوله ان الشرق ملَّ احتجابه عن الغرب زماناً هذا مداهُ فعزم ان ينزع « قبع

الاخفاء » ويبرز للعالم اجمع . وما « قبح الاخفاء » في نظر هـذا الكاتب الا الحروف القديمة التي يصعب على الغرب استجلاؤها وتعلمها . وقد كانت حتى الآن اكبر عائق في سبيل الوصول الى حكمة الشرق وعلومهِ . وفي الواقع ان الجهد الذي يقتضيهِ تعلم الحروف العربية او الصينية او غيرها من حروف اللغات الشرقية هو اعظم بما لا يقاس من الجهد الذي يقتضيه تعلم الحروف اللاتينية وقد كانت هذه الحروف من اعظم اسباب الامية في البلاد الشرقية على اختلاف اجناسها

فلا عجب اذن ان يقدم المتعلمون في الصين والهند على الاستبدال بحروفهم حروفاً لاتينية كما فعل الاتراك . ويؤخذ من انباء الصحف ان في مقدمة طلاب هذا الاصلاح في بلاد اليابان طبيباً يدعى تانسوجي اينوى وهو ينشر المقالات في الصحف لتحريض قومهِ على الاقتداء بالاتراك لا لمكافحة الامية فقط بل لمكافحة الخفش اي قصر النظر المنتشر بين اليابانيين انتشاراً رائعاً . فهو يعتقد ان تعقيد الحروف اليابانية هو سبب ذلك المرض وفيهِ عبث كبير بالوقت لان الياباني ينفق في تعلم حروف لغتهِ اضعاف ما ينفقهُ من الوقت في تعلم الحروف اللاتينية . فضلاً عن ان قراءة الاسطر الافقية من اليسار الى اليمين (كما هي الحالة في اللغات الافرنجية) هي اسهل من قراءة الاسطر العمودية كما هي الحالة في اللغة اليابانية

اضف الى ذلك ان احرف الهجاء في اللغتين الصينية واليابانية تعد بالالوف . فهي في اللغة الصنية كما يأتي :

٦٠٨	احرف تسمى « الرموز التقليدية »
١٠٧	« تسمى « « الفكرية »
٧٤٠	حرفاً تسمى « رموز الافكار المركبة »
٢١٨١٠	احرف تسمى « الرموز الصوتية »
٥٩٨	حرفاً تسمى « الحروف الاضافية »
٢٣٨٦٣	مجموع الحروف الصينية

ولا يزال طلاب الاصلاح في الصين واليابان وبلاد فارس وغيرها من الاقطار الشرقية يسعون لتحقيق امنيتهم وادخال الاصلاح على لغاتهم . وهم بذلك انما يقتفون خطوات الاتراك ويتشبهون بهم . وليست الصعاب التي تعترضهم لتفتّ في عضدهم او تبعث اليأس الى قلوبهم لانهم واثقون بفوزهم عاجلاً او آجلاً

الدماغ والعقل كالشمعة ونورها

العقل والنفس في نظر العلم الحديث

بناء الدماغ — خلود الحياة — طبيعة الموت — الجسم الحي

للسر ارثر كيث

لقد عُني المشتغلون بالمباحث الطبية عناية خاصة بدماغ الانسان. فوجدوا تركيبهُ معقَّداً كل التعقيد وطرق تأديتهِ لوظيفتهِ مبهمة يصعب الكشف عنها . ومع ذلك ثبتت لهم حقيقة عامة ثبوت الشمس في رائعة النهار هي ان تعقيد تركيب الدماغ ومقدرتهُ على تأدية عملهِ يسيران جنباً الى جنب . فالعقل لهُ اساس مادي. راقب دماغ الطفل من ولادتهِ الى المراهقة ترَ دماغهُ يكبر حجماً ويزداد تركيبهُ تعقيداً وانهُ كلما نما كذلك اتسع نطاق عملهِ . فاذا اصيب الدماغ في مرتبة من مراتب النمو بعلّة اوقفتهُ عن النمو ظلت مقدرة صاحبهِ العقلية حيث هي لا تنمو ولا ترتقي . كذلك نرى ان مرضاً من الامراض يصيب هذا الجانب من الدماغ او ذاك فيعطل الملكة العقلية التي مركزها في ذلك الجانب المريض . فالتهاب الدماغ السحائي اذا اصاب دماغ طالب في المدرسة اوقف نموهُ العقلي وترك في خلقهِ اثراً باقياً هو دائماً اثر سيء ولن يكون اثراً صالحاً قط . فانتظام العقل لا يمكن ان يتمَّ الاَّ اذا كان الدماغ صحيحاً في بنائهِ سليما من الامراض والآفات . وفي امكان الاطباء ان يخدّروا الدماغ فيضعفوا عمل بعض اجزائهِ فتضعف الملكات المتصلة بها وان يحقنوا بعض الاجزاء الاخرى بمواد مختلفة فيغيروا بذلك عقل الرجل وتصرفهُ . وبكلام آخر ان الدماغ آلة حية تحرق الوقود وتحوّل القوة التي تنجم عن ذلك الى شعور وفكر وذاكرة وغيرها من الملكات العقلية والنفسية . فاذا امسكنا عن الدماغ مصادر الوقود الذي يحرقهُ — اي الاكسجين — وقف الدماغ عن العمل كما تخمد النار اذا حُبس عنها الهواء او نفد الوقود . ولذلك لا يرى المشتغلون بالمباحث الطبية سبيلاً الى الاعتقاد بان الدماغ عضو مزدوج التركيب مؤلف من مادة وروح. لان كل حقيقة تمكنوا من امتحانها واثباتها تحتم عليهم القول بان العقل والروح انما هما مظهران من مظاهر دماغ حيٍّ كما ان اللهب مظهر من مظاهر شمعة تحترق. فاذا اصاب الدماغ والشمعة ما حلّهما الى عناصرهما المستقلة بطل

وجود العقل واللهب وجوداً مستقلاً . ومهما تعارض هذا الرأي مع التقاليد والآراء المنقولة فرجال الطب لا يستطيعون ان يروا غير هذا الرأي اذا صدقوا ما تثبتهُ حواسهم. ولولا ذلك لما كان في امكانهم ان يشخصوا الامراض العقلية وغيرها المختلفة ويصفوا لها طرق العلاج والوقاية

فالروح اذاً في نظر رجال الطب تقيم في الدماغ والجهاز العصبي المعقد التركيب ولا يمكن فصلها عنهما . على ان هذا الرأي لا يسلّم بهِ طائفة من رجال العلم الذين اشتهروا ببراعتهم في الكشف عن اسرار المادة وبنائها وعلاقتها بالقوة . وفي مقدمة هؤلاء السر الفر لدج. ان نظره الى دماغ الانسان قائم على الاعتقاد بان الدماغ اداة مادية لوحدة غير مادية يسميها الروح والروح في رأيهِ متميزة عن الدماغ تميُّز الموسيقي عن القيثار الذي يعزف عليهِ . وهو مسوق الى هذا الاعتقاد لانهُ يستطيع ان يفسر بهِ اكثر المظاهر التي يعتقد بصحتها اصحاب المذهب الروحاني.

فالروحانيون يعتقدون ان العقل او الروح يجيءُ من الفضاء. فيأخذ بتلابيب البرتوبلازم الحيّ ويجعل منهُ جسداً حيًّا ثم يستعمل هذا الجسد اداة لمظاهره ثم لا يلبث ان يتجرد عن هيكلهِ المادي ويرجع الى الفضاء

والفرق بين الرأيين ان البيولوجي المصري يقدم الجسم والشمعة على الروح واللهب والروحاني يعكس الامر ويقدم الروح على الجسد واللهب على الشمعة.

> السر ارثر كيث من اشهر علماءِ الحياة في هذا العصر. التي في السنة الماضية خطاباً موضوعهُ « نتائج المذهب الداروني » طبَّق فيهِ مذهب النشوء على الغرائز والملكات العقلية ومما قالهُ فيهِ « ان رجال الطب لا يرون سبباً يحملهم على الاعتقاد بان العقل دماغ ثنائيّ البناء. اي مؤلف من مادة وروح » فاخذها احد الصحافيين وكبَّر بها وهوَّل فنشأت مناظرة بين رجال العلم الانكليز لخصنا منها هنا رأي الاستاذ كيث كما بسطهُ في كتاب لهُ موضوعهُ «معاني المذهب الداروني»

خلود الحياة

انا ارى ان الحياة نسيج خالد. وارى اني والسر الفر لدج وكل المخلوقات البشرية على الارض لسنا سوى دقائق لا ترى لصغرها في هذا النسيج الفسيح. فنسيج الحياة الذي

نراهُ الآن على نول الزمان انما هو القطعة الاخيرة من ثوبٍ سابق متصل الاجزاء بدأ في جوف الزمان المتغلغل في القدم وهو كذلك القطعة الاولى في ثوب لاحقٍ متصلٍ بهِ لا نستطيع ان نرى نهايتهُ . اقول هذا ولا اجهل ان علماء الهيئة الذي درسوا الشمس وعمرها يرون انهُ لا بدَّ ان يحلَّ زمن تصبح فيهِ هذه الارض داراً غير صالحة للاحياء امثالنا . ولما كانت هذه الضربة لن تحلَّ فيها قبل انقضاء ملايين من السنين لذلك يصحُّ القول ان خلود الحياة الانسانية عليها امرٌ مقرَّر بالنسبة الينا . انا اؤمن بالخلود . والسر اولفر لودج يؤمن بهِ كذلك . ولكني اؤمن بخلود الحياة الانسانية على المنوال الذي قدمت . فاذا خلدنا فانما نحن نخلد في ابنائنا واحفادنا . وكل انسان يولد وفي جسمهِ عناصر الخلود . ولكن السر اولفر لدج يؤمن بخلود الشخصية المستقلة

على ان السر اولفر لدج قائد مجرَّب لهُ مقام رفيع بين جنود العلم الطبيعي الذين يحاولون ان يسلبوا الطبيعة اسرارها ويسيطروا على قواها . وانا لست سوى جندي في جيش الاطباء الذي يحاول انهُ يسيطر على الامراض ويديل من سطوتها على حياة الانسان . ونحن نرى اننا لن نفلح في حربنا مع الجراثيم الاَّ اذا درسنا الحياة واساليبها في اعضاء الانسان على اختلافها ودماغهُ واحد منها . ولا ريب في انهُ فرض واجب علينا ان نستعين باخواننا علماءِ الطبيعة وما كشفوا عنهُ من اسرار المادة وتركيبها وخصوصاً بناء المادة الحية . الاَّ اننا نرى ان تأليف مجلسٍ علمي للنظر في حياة الانسان لا بدَّ انهُ يحتوي بين اعضائهِ على الاطباء ولا بدَّ ان يكون لهؤلاء كلمة مسموعة فيهِ

طبيعة الموت

اذا فحص طبيب قلب مريض ووجد انهُ وقف عن الضرب وان رئتيهِ توقفتا عن التنفس حتم بان الرجل قد مات. ولكن الحقيقة انهُ لم يمت في نظر العلم . لانهُ اذا استطاع الطبيب ان يبني اداة تمكنهُ من حقن شرايين هذا الرجل الميت بدمٍ جديد فيهِ عنصر الاكسجين لعاد الى الرجل رشدهُ وذاكرتهُ وعقلهُ وتمتع بهما ما زال هذا الدم الجديد يحقن في عروقهِ . ولكن اذا وقف الدم بما فيهِ من الاكسجين عن الدوران عشر دقائق انتقلت ملايين الخلايا التي يتألف منها الجسم الى هوة الموت السحيقة من غير امل في العودة منها

والقلب يبقى حيًّا بعد موت الدماغ — قد يبقى حيًّا ساعتين او اربع ساعات او اكثر من ذلك حتى بعد صدور الشهادة الشرعية بحصول الوفاة. وقد يؤخذ قلب من جسد ميت وتعاد اليهِ الحياة بوسائل صناعية فيعود ينبض كانهُ في صدر صاحبهِ الحيّ . كذلك تبقى

اغشية الشرايين تبدي دلائل الحياة اربعين ساعة بعد موت صاحبها .والجسم الحيّ مكوّن كما لا يخفى من الوف الخلايا الدقيقة التي لا ترى الاَّ بالمكرسكوب .وقد ازال علماء الطب بعض هذهِ الخلايا من فتى ميتٍ وحفظوها حيّة في معاملهم الطبية زمناً كان فيهِ الجسم الذي اخذت منهُ قد عاد الى التراب

فالموت لا يحدث في لحظة كخطف البرق . والجسم الميت يموت تدريجاً كما يفنى شعب من الجوع في مدينة محصورة الضعاف يموتون اولاً ثم يموت الباقون بحسب ضعفهم وقوتهم على مقاومة الجوع . فاذا كان سبب الموت ،كما يعتقد السر اولفر لدج ، خروج الروح من الجسد وجب ان يكون هذا الخروج في لحظة واحدة اي من كل اعضاء الجسد وخلاياهُ في آن واحد . ولكنهُ كما رأينا فعل تدريجي. واذا كان اساس الحياة في الانسان روح غير مادي فكيف يحتاج اذاً الى اشياء مادية كالهواء والماء والغذاء لحفظ الحياة . اذا دخل روح الى بيتي في الليل ووجدتُ في الصباح انهُ اكل طعامي وشرب خمري وسرق نقودي حكمت ان هذا الروح مادي لا اثيري . هذا هو المبدأ الذي يبني عليهِ البيولوجي نظرهُ الى روح الجسد البشري .انهُ يرى انها تحتاج الى غذاء مادي وانها يجب ان تنفق المادة وتحول القوة وان الوعي والشعور والذاكرة والارادة وكل المدارك التي تجملها لفظة العقل تزول من الدماغ الحيّ اذا حبسنا عنهُ الاكسجين.فالحياة كما نعرفها لها اساس مادي . والعالم الفسيولوجي لا يستطيع ان يتصوّر كيف يمكن وجود الحياة منفصلة عن المادة. فحياة العقل وخلودهُ لا يمكن ان يتما من غير حياة الجسد وخلودهِ

اسرار تركيب الجسم

الجسد الميت شمعة قد طفئت . فماذا نعرف عن الشمعة المشتعلة المضيئة — ماذا نعرف عن الجسم منيراً بشعلة الحياة ؟ اننا نعلم كيف تنار شمعة الجسم الحيّ اذ يلزم لها نور شمعة اخرى حتى تنيرها . ما اسرع تقدمنا في هذا الميدان من ميادين العلم . لقد مرَّ قرن واحد فقط منذ رأى الانسان للمرة الاولى في التاريخ دقيقة من البروتوبلازم تدعى البيضة التي منها تنشأ كل حياة انسانية . ونحن نستطيع الآن ان نتتبع كل درجة من الدرجات التي تمرُّ بها هذه البيضة حتى تصير رجلاً او امرأة . فقد تتبعنا في رحم المرأة كلَّ تغيير يطرأ على جسم الجنين من بنائهِ البسيط بعيد التلقيح الى هذه الاجسام التي تحير اللب في تعقيد بنائها وغموض الاسرار التي تحتجب وراء افعالها ووظائفها . كلٌّ منا يبدأ خلية من البروتوبلازم لا تكاد ترى بالمكرسكوب لصغرها . وكلٌّ منا ينتهي بجسم

مؤلف من الوف الوف الخلايا . وفي استطاعتنا ان نرى جماهير من هـذه الخلايا مسوقة لتقوم بعمل الجهاز العصبي وجماهير اخرى بنات عم لها تبنى منها الآلات العضلية الحية واخرى تبنى منها العظام واخرى يتركب منها الدم او الجلد او غير ذلك من انسجة الجسم واعضائه. كذلك نستطيع ان نراقب نشوء عضوي الحس الدقيقين في تركيبهما ووظيفتهما العين والاذن. حتى في ساعة الموت تكون بعض الخلايا قد اشرفت على الولادة والبعض قد اشرف على الموت والخلايا الاخرى فيما بين هذين الطرفين في مراحل مختلفة بين الولادة والموت . فكأن جسد الانسان يولد ويموت كلَّ يوم . وفي كل ساعة ترى روح الحياة او قوة الحياة تتحول اعمالاً صالحة او طالحة

فكيف نستطيع ان نعلل هذه التغيرات العجيبة التي تطرأ على خلية واحدة من المادة الحية فتحولها الى رجل عاقل ? اصحيح ما يذهب اليه السر الفر لدج من ان وحدة اثيرية ، او روحاً بشرية دخلت هـذه الذرة من البروتوبلازم وحركت دقائقها وجعلتها تمرُّ في ادوار النمو والنشوء المعقدة لكي تبتني لها داراً ارضية زائلة . انها لا تكاد تبدأ في تكوين هذه الدار حتى تدخل عناصر الانحلال تفسد عليها عملها عاجلاً او آجلاً . كلاَّ انهُ لاسهل ولا قرب للعقل ان نعلل الحقائق المعروفة عن الحياة بأنها افعال وتفاعلات حيوية مادية بدلاً من ان ننسبها الى فعل وحدة خفية غير مادية كالتي يذهب اليها السر الفر لدج

لماذا يبدأ كلٌّ من البشر حياتهُ في رحم امرأة فاذا صح ما يذهب اليهِ السر الفر لدج من ان الجسم ليس سوى دار للروح فاننا لا نستطيع ان نعلل التلقيح وتكوين الجنين في رحم الانثى . ولكن اذا قبلنا مذهب النشوء — والادلة على وجوب قبوله كثيرة — تمكنا من ان نعلل ابتداء حياة كل انسان في خلية الانثى بعد اتحادها بخلية الذكر وكيف ينمو جسم الجنين ويتطور لان مذهب النشوء يقتفي خطوات الانسان منذ ظهور الحياة على الارض . وتاريخ الانسان الجنيني يلخص هذا التاريخ المديد . فالبيولوجيون يحسبون نوع الانسان جزءا من نسيج الحياة الذي تغلغلت اوائله في جوف الزمان . فما يصحُّ على الانسان يجب ان يطبق على الاحياء الاخرى التي تكوَّن منها اجزاء هذا النسيج . فاذا قلنا بروح غير مادي لتعليل حياة الانسان لم نستطع ان نمسك عن تطبيق هذا التعليل على حياة الاميبا وهي ادنى الاحياء وابسطها تركيباً

كيف نعبر عن الحروف الافرنجية

E. G. O. P. V.

بحروف عربية لا ابهام فيها ولا اشكال

الى حضرات العلماء الاعلام رؤساء واعضاء المعاهد العلمية اللغوية في الشرق العربي

سادتي : انقدم باحترام لالفت انظاركم الى الفاظ لا يمكن ضبطها بالحروف العربية وهي الالفاظ التي لا تستغني عنها كتبنا وجرائدنا ومجلاتنا لاختلاطنا بالغربيين . وقد اصبحنا مرغمين على ان نأخذ عنهم ونقتبس منهم وان نكتب ونلفظ اسماءهم وكناهم ونعوتهم واسماء اعلامهم ونكرانهم دون تبديل وتحريف . ومن الضروري ان نكون امناء ونلفظها كما هي عندهم لتتم الفائدة ونفوز بالغرض المطلوب

ان الحروف الناقصة في حروف اللغة العربية والتي اصبح من الضروري اضافتها اليها هي هذه :

E — G — O -- P — V

١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥

فقد اصطلحت الجرائد والمجلات العربية ان تستبدل بالحرف اللاتيني المدلول عليهِ اعلاه فوق رقم ١ حرف ال (الف) او حرف ال (ياء) او تستغني عنهُ مثل اسم Frederick تكتبهُ فريدريك او فرادريك او فردريك . وتستبدل ايضاً بالحرف اللاتيني رقم ٢ حروفاً عربية مثل حرف ال (غ) او ال (ك) او ال (ج) مثلا Morgan تكتبهُ مورغان او مورغن او موركن ومنهم من يكتبهُ مورجن . وهكذا تستبدل بالحرف اللاتيني رقم ٣ حرف ال (واو) مثل Boston or Morel فتكتبهُ بوسطن او موريل . وهكذا الحرف اللاتيني المعبر عنهُ برقم ٤ كما في Paul or Paris تكتبهُ بالباء العربية هكذا — باريز — بول . وتستبدل بالحرف اللاتيني المدلول عليهِ برقم ٥ حرف الفاء فتكتب مثلاً لفظة Salvador سلفادور

وبموجب ما مرَّ تكتب Leonard Perig ليونارد بيريغ او لايونار باريك او باريغ او بريك وكذلك Elen Verite تكتبهُ الآن فيريتي او الآن فارائي او الن فرتي وهكذا Madelin Lobert يكتب مادالان لوبيرت او مادیلین لوبارت او لوبرت

ذكرت مؤخراً احدى الجرائد العربية اسم اخوين حديثي السن ساحا العالم هكذا جيمس وكرو دغنفتون — والله اعلم كيف يجب ان نلفظ اسمهما امام الغربي دون خطإٍ. وهكذا غليوم (امبراطور المانيا السابق) منهم من كان يلفظ اسمهُ كليوم ومنهم غليوم ومنهم غيـوم او جيوم حتى اصبحت العامة تسميه غليون

مئات الالوف من مثل هذه الاسماء بلغات العالم العديدة نضطر ان نكتبها بحروف لا يطابق لفظُـها العربي لفظهَـا الاصلي ولهذا يستنكر الغربي سماعها لانها تبدو له ثقيلة عدا انهُ لا يفهمها بسهولة

والذي يشعر ويتألم لمثل هذا النقص اكثر من غيره هو المهاجر الشرقي الذي لا يحسن المطالعة الاَّ في الجرائد العربية ولكنهُ لا يعرف الالفاظ على حقيقتها. فاذا حادث جارهُ الاميركي ولفظ الاسماء الغربية امامهُ كما قرأها يستعصي فهمها على الاميركي ويضطر المهاجر المسكين ان يكرر عليهِ لفظها مراراً تارة بالرفع واخرى بالخفض واخرى بتبديل الالفاظ . واذا قدر الله وفهمها منهُ يزدري بمعارفهِ وطبعا يدعوهُ بجملة اعتاد المهاجر الحديث سماعها وهي Green Horn «كرين هورن او غرين هورن ...او جرين هورن » واراني لا اعرف كيف يجب ان اكتبها لخلو طباعتنا من حرف خاص يقوم مقام الحرف اللاتيني رقم ٢ . وان هذا النعت — غرين هورن — يعني ان قرون هذا المهاجر مازالت خضراء اي انهُ ما زال غير متمدن او عديم الفهم حتى ولو كان المهاجر من اكبر العلماء

وبعبارة خيالية اقول — لقد يسأل الاميركيُّ الشرقيَّ المهاجر هكذا — (س) — هل انت الدغ اللسان . (ج) كلا (س) — لماذا اذن لفظك غير مستقيم (ج) — انا الفظ كما قرأت في الجرائد (س) - لا اصدق ان الجرائد تكتب خطأً (ج) - نعم ان الجرائد لا تنقل الاسماء خطأً وانما اللغة العربية غير متممة الالفاظ .(س) — عجيب اليس عندكم اكاديمي — (ج) — كيف، لا وعندنا معاهد مؤلفة من علماء اعلام (س) — لماذا اذن لم تصطلح هذه المعاهد على اشارات خصوصية لتقوم مقام الناقص من حروف لغتكم — كما هي العادة في جميع بلدان العالم (ج) — انهم في الشرق لا يعدون مثل هذا النقص ضروريًّا لان الحالة في الاقطار الشرقية لا تقتضي تلافيه كما تقتضيهِ حالة المهاجر . والغريب ان المهاجر نفسه هو الذي يتألم لعدم وجود الاحرف الملائمة ولا يطالب بها المعاهد . وعليهِ جئت باسطري هذه ملتمسا ان تتكرموا باصلاح هذا الخلل الذي اصبح النظر فيهِ ضروريًّـا اكثر من كل شيء آخر من نوعهِ

اجل ان اصلاح هذا النقص بسيط للغاية لا يضطرنا الى اضافة حروف جديدة على

اللغة سوى وضع علامات على خمسة حروف اصلية لتقوم مقام الاحرف الافرنجية ولا اريد ان اقترح اشكال هذه العلامات . فذلك بسيط يمكنكم الاتفاق عليه

ولما كان الشيء بالشيء يذكر اقول ان علماء اللغات اللاتينية والسكسونية قد اصطلحوا على وضع Kh.—Gh. الاولى تنوب عن حرف الغين والثانية تنوب عن حرف الخاء حتى يتم لهم اللفظ المضبوط . ولا بأس من ان نذكر ان اللغة العبرانية ناقصة حرفين الاول هو الحرف اللاتيني المعبر عنهُ بنمرة ١ والثاني « الجيم » ولهذا اصطلح يهود شرقي اوربا الذين يكتبون لغتهم المسماة « ييوديش » (او بيديش) باحرف عبرانية على وضع حرف ال(ع)— وهولا لزوم لهُ في لغتهم —عوضاً عن الحرف اللاتيني نمرة ١ مثلاً — Telephone or Ellen يكتبونهما هكذا - علمن تعلفون . واصطلحوا ايضاً ان يضعوا حرف ال (ر) امام الحرف العبراني الذي يلفظ مثل الحرف اللاتيني رقم ٢ حتى تكون لهم الجيم

ان المسابك العربية لا تتأخر عن سبك خمسة حروف مشكلة ومنقطة بالعلامات التي تعتمدونها والمهم ان توفقوا الى اصلاح هذا الخلل ومتى اوعزتم بالاصلاح الى المسابك العربية باشرت بالعمل . اؤمل ان تهبوا الى اصلاح هذا الخلل حفظاً لكرامة هذه اللغة وقرائها في نظر الغربيين واشكركم كما يشكركم كل مهاجر شرقي غيور على سمعته وسمعة لغته

والسلام عليكم من الداعي موسى ديوان

***

[المقتطف] بعث الينا حضرة الكاتب الفاضل هذه المقالة — وكان قد نشرها في السائح النيويوركية — حينما اطلع في صحف القطر المصري على نبأ الجوائز التي قدمها حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد لتمنح للذين يفوزون في وضع اجمل رسوم لحروف عربية كبيرة تستعمل في اول الجمل واسماء الاعلام . وعندنا ان الحاجة الى اصلاح من قبيل الاصلاح الذي ذكرهُ الكاتب لا مندوحة عنهُ اذا اردنا مجاراة العلم الغربي السائر بخطى واسعة الى الامام . ان مصيبة المهاجرين على كبرها تهون ازاء مصيبة الالوف من قراء الصحف والمجلات العربية الذين يعتمدون عليها في توسيع معارفهم لان هذا الاختلاف في نقل الاسماء الاعجمية الى العربية يشوش على طلاب العلم معارفهم ويعيق انتشار العلم الصحيح بين الجماهير

قصة وارث

لجوزيف اديسن

[ولد جوزيف اديسن سنة ١٦٧٢ في ولتشير، في جنوب انكلترة الغربي، من ابوين اشتهرا بالفضل والعلم والادب، وتخرّج في جامعة اكسفورد. وفي صباهُ زاول نظم الشعر في اللغة اللاتينية فاجادهُ. وسنة ١٦٩٩ ساح في اوربا وزار كثيرين من ملوكها وامرائها وباحثهم في الشؤون السياسية، توطئة للانتظام في سلك رجال السياسة بعد رجوعهِ الى بلادهِ. ولكنهُ عرض لهُ بعد موت الملك وليم سنة ١٧٠٣ ما ثناهُ عن عزمهِ. فطلّق السياسة ومال الى الادب فجلّى في مضماره ومن ذلك قصيدتهُ البليغة التي نظمها تنويهاً بانتصار دوق ملبرو في موقعة بلنهيم بعنوان « المعركة ». وفي سنة ١٧٠٩ شارك صديقهُ رتشرد ستيل في إصدار مجلة « تتلر » ثم « مجلة سبكتاتر » وفي كلتيهما نشر من المقالات والمباحث والقصص ما دلّ على رسوخ قدمهِ وعلوّ كعبهِ في صناعة اليراعة

القصة

خرجتُ امس انتزّه في ضواحي المدينة ومعي صديقي السر رودجر. فمرّ بنا شابٌ جميل الطلعة حسن البزّة يمتطي جواداً كريماً ووراءهُ اثنان من الخدم. ولما سألتُ السر رودجر عنهُ قال لي: « انهُ صاحب ضيعة كبيرة وقد ربّتهُ امٌّ رؤوم حنون كانت على جانب عظيم من التقوى والصلاح ولكنها لم تُرزَق نصيباً كبيراً من الرّكن وبعد النظر وقوّة الارادة ككثير من الامهات. فخالفت في تنشئة ابنها أحكام عقلها وجرت على مقتضيات عواطف قلبها. ووجهت معظم اهتمامها نحو تفنيقهِ وترفيههِ والعناية بصحتهِ الجسدية. فشبَّ صحيح الجسم وجميل الصورة كما رأيتهُ ولكنهُ غير مستوفرٍ قسطهُ من الفطنة والذكاء ويوشك أن يكون عاطلاً من حلية العلم والادب. لم تلحّ عليهِ في المطالعة مخافة ان تصاب عيناهُ بالرمد. وتراخت في حثّهِ على الكتابة لئلا يشكو صداعاً. ولما جاوز سنّ المراهقة واصبح قادراً ان يمتطي صهوة الجواد او يحمل البندقية القت حبلهُ على غاربهِ وتركتهُ يقضي ايامهُ في ركوب الخيل والصيد والقنص »

ومما قالهُ لي صديقي علمتُ ان هذا الشابّ متمتّع بأكمل صحة. فهو غنيٌّ جدًّا من

هذه الجهة فقط وافقر الفقراء من الجهات الاخرى . ولو اقتصر غرض الانسان في هذه الحياة الدنيا على ان يعيش — ان يأكل ويشرب وينام — لكان هذا الفتى اسعد الناس حظاً واسبقهم الى الحصول على الغرض المقصود

ومنذ اقامتي في هذه الانحاء طرق سمعي واستوقف نظري ما لا يحصى من الحوادث المتعلّقة بالوارثين امثال هذا الشابّ الذين لم يكونوا يصلحون لشيء سوى أن يبذروا ما تركهُ لهم آباؤهم على أشهى المآكل واغلى الملابس وافخر الرياش وافخم القصور وغير ذلك من ضروب التنعُّم والترفُّه ووجوه السرف والتبذير . ولم يُعْنَوا قطُّ بما يثقّف اذهانهم ويروّض افكارهم ويهذّب نفوسهم ويكسبهم طيب الذكر وحسن الاحدوثة . فعاشوا غير منظورين بعين الاحترام اليهم وماتوا غير مأسوف من احد عليهم . وهذا يخطر ببالي قصة سمعتها عن صديقين خالفا في معيشتهما هذا المسلك الذميم . أرويها في ما يلي كاتماً عن القارئ اسميهما الحقيقيين لان في مغزاها عظة بالغة وعبرة مفيدة لمن شاء الاتّعاظ والاعتبار

تعارف رتشرد وليوتين وتآلفا منذ الحداثة . وكانا كلاهما عنوان حسن السلوك ومثال الجد والاجتهاد . فطلبا العلم في مدرسة واحدة ووثّقا بينهما صداقة ظلّت محكمة العرى الى آخر حياتهما . ولما فرغا من تحصيل العلم عزم رتشرد ان يقتفي في عمله آثار رجال القضاء فتعين في محكمة كاتباً بسيطاً . وبواسطة مواهبه الطبيعية ومعارفه الاكتسابية اخذ في العروج والارتقاء حتى بلغ في وقت قصير منصباً رفيعاً وصار ربَّ ثروة كبيرة . اما ليوتين فانتهز كل فرصة سنحت لهُ لإنارة ذهنه بالمطالعة والمحادثة والسفر حتى ألمَّ بجميع العلوم واتّصل بمعرفة اكبر جهابذتها في اوربا . وعاشر الكبراء وجالس الامراء وأحاط علماً باخلاقهم وعاداتهم . فقلَّ ان يرد ذكر واحد منهم لم يعرفهُ او لم يرهُ . وبالاختصار اقول ان نطاق معرفته العلمية والاجتماعية اتسع اتساعاً عظيماً حتى صار من اشهر رجال عصره . وفي أثناء اشتغاله بالدروس والاسفار كان يواصل صديقهُ رتشرد بكتبه ويطلعهُ على خلاصة انباء عظماء اوربا وامرائها وبهذه الانباء كان رتشرد يتذرع الى الحصول على ما شاء من زيادة الحظوة عند كبار رجال القضاء

ولما قطع هذان الصديقان مرحلة الشباب واشرفا على الكهولة عملا بما كانا قد اتفقا عليه في ايام الصبا فاعتزلا العمل وسكنى المدن واعتزما ان يقضيا بقية ايامهما في الريف . فتزوّجا واشترى ليوتين ، بما كان عندهُ وعند زوجته من المال ، عقاراً تبلغ قيمة غلته في السنة ثلثمئة جنيه . وفي جواره ابتاع رتشرد ضيعة يزيد ريعها السنوي على ثلثة آلاف جنيه . وصارا كلاهما ابوين في وقت واحد تقريباً . فرزق رتشرد ابناً وليوتين بنتاً . ولكنهُ

فجع بوفاة زوجته — بعد ولادتها ببضعة ايام. فانقضَّت عليهِ هذه الرزيئة انقضاض الصاعقة. ولكن صديقهُ الحيم رتشرد كان يزوره كل يوم ويبذل جهده في مؤاساتهِ وتخفيف لوعتهِ

وحدث ذات يوم انهما اجتمعا حسب عادتهما وطفقا يتحدثان في شؤونهما . فأشار ليونتين الى ما يلقاهُ من الصعوبة في تربية ابنتهِ وتعليمها كما يجب في بيتهِ . واطلعهُ رتشرد على ما يوجسهُ من الخوف على مصير ابنهِ بعد ما يبلغ اشدَّهُ ويعلم انهُ الوارث الوحيد لثروة ابيهِ العظيمة فيشبُّ على البطالة والكسل وحبّ التبذير . وبعد الاستفاضة في هذا الموضوع اتفقا على مبادلة الولدين اي ان يربو الصبي مع ليونتين كأنهُ ابنهُ وتقيم البنت عند رتشرد كابنته حتى يبلغا رشدهما . اما زوجة رتشرد ، فلعلمها أنهُ من مصلحة ابنها وفائدتهِ أن يوكل امر تنشئتهِ وتربيتهِ الى ليونتيل، وانها في الوقت نفسهِ ستكون دائماً قريبة منهُ ، رضيت بما اتفق زوجها وصديقها عليهِ ولم تبدِ اقلَّ ممانعة . وما ابطأت ان اخذت البنت ليونيلي وعكفت على تعليمها وتهذيبها كانها ابنتها . ولم يألُ الصديقان جهداً في التوفر على تربية هذين الولدين وشمولهما بالعطف الابويّ والمحبة الوالديَّة حتى شعر كلٌّ منهما نحو مربيهِ بما يشعر بهِ الولد نحو ابيهِ الحقيقي. وتدرب فلوريو — ابن رتشرد — منذ طفولتهِ على ان ينظر بعين المسرة والابتهاج الى رتشرد الذي كان يزور صديقهُ من وقت الى آخر وتدرَّب هو ايضاً بالميل الطبيعيّ وسنَّة الحكمة على اكتساب محبة فلوريو واحترامهِ . ولما جاوز هذا الصبي طور الحداثة وعرف حالة الرجل الذي يظنهُ أباه رأى انهُ يجب عليهِ ان يحكَّ جلدهُ بظفرهِ ويبني بيده صرح المستقبل الذي تطمح نفسهُ مذ الآن اليهِ . وهذا الفكر أخذ يتأصل في ذهنهِ ويزداد رسوخاً وتمكيناً حتى نما وأزهر وجاء باطيب الثمار . وشرع يعير نصائح ليونتين واشاراتهِ اذنا صاغية ويبذل جهده في العمل بموجبها . وكان مفطوراً على الحصافة والذكاء وصحة الاستدلال وتوقد الذهن وسرعة الخاطر وقوة الملاحظة والحفظ . وهذه المواهب الطبيعية تعهدها مرشده الحكيم (ليونتين) بما أزكى غرسها ووسع مجال ظهورها ومكن صاحبها من ادراك نجاح سريع باهر في جميع العلوم التي عني بتحصيلها . وقبلما بلغ العشرين كان قد اكمل درسهُ في الجامعة ونال كثيراً من شهادات الامتياز بعدة علوم ولا سيما علم الحقوق الذي احرز فيهِ شهرة كبيرة ومقاماً رفيعاً

وقبل دخولهِ الجامعة وفي اثناء العطلات المدرسية كان يكثر التردد الى بيت رتشرد حيث يلقى ما شاء من الحفاوة والاعزاز . وهناك شبَّ على معاشرة ليونيلي . ومعرفتهُ لها تحولت على مرّ الايام الى حلاوة الفةٍ فمحبة . ولما كان من نخبة الشبان الذين غذيت

نفوسهم درّ الشرف والفضيلة صارت هذه المحبة في قلبهِ مدعاة قلق واضطراب . فلم يلمح اصغر بارقة لامل الظفر بهذه الفتاة المزمعة ان تكون ربة ثروة عظيمة . وفضل الموت على محاولة ذلك باحدى الطرق المعوجة التي تأباها عليهِ عزة نفسهِ . وكانت ليونيلي من اجمل الفتيات وافضلهن ادباً . وكان قلبها في الوقت نفسهِ متعلقاً بحب فلوريو ولكنها كتمت ذلك عنهُ كل الكتمان ولم تبد لهُ اقل تلميح من هذا القبيل متدرعة بدرع الصبر والحكمة ومتمتعة بحصن الخفر والحشمة

وكان فلوريو قد ارتقى الآن الى ذروة التقدم والنجاح واصبح في لندن من الشبان الذين يشار بالبنان الى نبوغهم وحسن صفاتهم . ولكنهُ ما انفك يعاني عذاباً صمداً من جرَّاء غرام كلما بالغ في كتمانه أمعن في ارماضهِ والتبريح بهِ . واذا بكتاب جاءهُ من ليونتين يدعوهُ الى موافاتهِ في اليوم التالي . لان رتشرد لما استطارت اليهِ انباء شهرة ابنهِ عاد لا يطيق صبراً على كتمان حقيقة امره عنهُ . وعندما جاء الى بيت مربيهِ عانقهُ ليونتين مستخرطاً في البكاءِ وقال لهُ ان رتشرد يروم ان يطلعهُ على خبر ذي شأن . ومن فورهِ اسرع في الذهاب الى بيت رتشرد . فخلا بهِ رتشرد على انفراد وباح لهُ بسرّ نسبهِ وتربيتهِ وختم كلامهُ بقولهِ لهُ :« اما صديقي الحميم ليونتين فان لساني عاجز كل العجز عن وصف شعوري العميق بما لهُ من الفضل العظيم في تنشئتك وتهذيبك ولا أرى لعرفان جميله هذا ابلغ من اقترانك بابنتهِ . وما أفضيت بهِ اليك الآن لا ينقص مثقال ذرَّةٍ من سرورهِ وافتخارهِ بادّعاءِ كونهِ اباك، لانك ستبقى لهُ ابناً وهكذا ستبقى ليونيلى بنتاً لي. وقد رأيت هذه السنين كلها من طاعتها ومحبتها وحسن سلوكها ما يجعلها جديرة باعظم مكافاة استطيعها .وسيسرّك علمك بانك وارث لثروة كبيرة لم يخطر قط ببالك انها مذخورة لك . ووصيتي الوحيدة لك بخصوصها ان تظلّ مواظباً على عمل ما يجعلك حريًّا بها ومستحقًّا لها ، كما كنت قبل حصولك عليها . وقد تركتُ والدتك في الغرفة المجاورة وفؤادها يذوب شوقاً وحنيناًاليك.وهي الآن تطلع ليونيلى على الامر الذي اعلنتهُ لك »

وليتصوَّر القارئ مبلغ السرور الذي شمل فلوريو في تلك الساعة فانهُ حبس لسانهُ عن الكلام وكاد يذهب برشدهِ وصوابهِ . فسقط عند قدمي ابيهِ وقبّل ركبتيهِ وأناب دموعهِ الغزيرة عن لسانهِ بابداء ما اراد بيانهُ من الحمد والشكران وكثيراً ما نال لسان الدمع قصب السبق في مضمار البيان . ثم تزوَّج فلوريو ليونيلى وعاشا راتعين في بحبوحة ثروة وافرة وناعمين في ظلال غبطة وافرة . واكمل ليونتين ورتشرد بقية ايامهما معاً متوادّين متصافيين ولقيا من برّ فلوريو وليونيلى ما كانا لاعينهما قرّة ولنفسيهما طيباً ومسرّة

تاريخ الغناء العربى

(٤) فى العهد الأموى من عهد يزيد الأول إلى عهد يزيد الثانى

أى من سنة ٦١ ﻫ الى سنة ١٠٥ ﻫ أو من سنة ٦٨٢ م الى سنة ٧٢٥ م

فى أربع وأربعين سنة عربية أى ثلاث وأربعين سنة ميلادية تداول صولجان الملك الأموىّ بعد معاوية ثمانية ملوك أمويين أولهم يزيد بن معاوية وقد نشأ كما ينشأ كل ولى عهد بالحكم فلم يحرمهُ والده الاستمتاع بالغناء بل كان يأمره أن يغدق بالعطاء على المغنىّ إذا أجاد الصنعة وحذقها . يروى أن معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال له من كان ماهيك البارحة ؟ قال سائب خاثر قال فأكثر له من العطاء . ولم نعثر على ذكر مجلس من مجالس الغناء ليزيد بن معاوية وهو ملك (٦٠ ﻫ — ٦٤ ﻫ) فى المصادر التى بأيدينا ولعل ذلك لقصر حكمه ولاشتغاله بإطفاء نيران الفتن والثورات والقلاقل التى أضرمها دعاة الخلافة وما هو منهم فى شىء لولا سيوف بنى أمية ورجالات الشام. ودخل الشعبىّ على بشر بن مروان وهو والى العراق لأخيه عبد الملك (٦٥ ﻫ — ٨٦ ﻫ) وعنده جارية فى حجرها عود فلما دخل الشعبى أمرها فوضعت العود فقال له الشعبى لا ينبغى للأمير أن يستحى من عبده قال صدقتم ثم قال للجارية هاتى ما عندك فاخذت العود وغنّت

ومما دهانى أنّها يوم ودّعت تولّت وماءُ العين فى الجفن حائرُ

فلمّا أعادت من بعيد بنظرة إلىّ التفاتا أسلمته المحاجرُ (١)

فقال الشعبى : الصغير أكيسهما يريد الزير ثم قال ياهذه أرخى من بمّك (٢) وشدّى من زيرك (٣) فقال له بشر وما علمك ؟ ! قال أظن العمل فيهما قال صدقت ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه . وقد عاش عبد الله بن جعفر (صاحب المجالس الغنائية التى مرّ ذكرها في عهد معاوية الأول)حتى أدرك عصر عبد الملك بن مروان وأقام فيه تخت الغناء. حدّث جعفر بن محمد قال لما وصف عبدُ الله بن جعفر لعبد الملك بن مروان ابنَ أبى عتيق وحدثه عن إقلاله وكثرة عياله أمره عبد الملك بن مروان أن يبعث به اليه فأتاه ابن جعفر

---

(١) المحجر من العين ما دار بها والجمع المحاجر (٢) البم من العود بفتح الباء وتشديد الميم اغلظ أوتاره واغلظ أصواته والزير بكسر الزاى الدقيق من الاوتار وأخف اصواته وارقها

(٣) الحجلة بفتح الحاء وكسر الجيم المتبخترة فى مشيتها تشبيهاً لها بالحجلة بفتح الحاء والجيم فى حسن المشى وهى طائر فى حجم الحمامة أحمر المنقار والرجلين وجمعها حجل بفتح ففتح

فأعلمه بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه فدخل ابن أبى عتيق على عبد الملك فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين عليهـما قميصان كفصى بان بيد كل جارية مروحة تروّح بها عليه ومكتوب بالذهب فى إحداها

إننى أجلب الريا ح وبى يلعب الحجل
وحجاب إذا الحبيـ ب ثنى الرأس للقبل
وغياث إذا الندي م تغنى أو ارتجل

وفى الأخرى : أنا فى الكف لطيفه مسكنى قصر الخليفه
أنا لا أصلح إلا لظريف أو ظريفه
أو وصيف حسن القد د شبيه بالوصيفه

قال ابن أبى عتيق فلما نظرت إلى الجاريتين هونتا الدنيا علىّ وأنستانى سوء حالى قلت إن كانتا من الإنس فما نساؤنا إلا من البهائم فكلما كررت بصرى فيهما تذكرت الجنة فإذا تذكرت امرأتى وكنت لها محبًّا تذكرت النار. قال فبدأ عبد الملك يتوجّع إلىّ مما حكى له ابن جعفر عنى ويخبرنى بما لى عنده من جميل الرأى فأكذبت له كل ما حكاه له ابن جعفر عنى ووصفت له نفسى بغاية الجدة(٤) فامتلأ عبد الملك سروراً بما ذكرت له وغمًّا بتكذيب ابن جعفر فلما عاد إليه ابن جعفر عاتبه عبد الملك على ما حكاه عنى وأخبره بما حليت به نفسى فقال كذب والله يا أمير المؤمنين وإنه أحوج أهل الحجاز إلى قليل فضلك فضلاً عن كثيره ثم خرج عبدالله فلقينى فقال ما حملك أن كذبتنى عند أمير المؤمنين ؟ ! قلت أفكنت ترانى تجلسنى بين شمس وقمر ثم أتفاقر عنده ؟ ! لا والله ما رأيت ذلك لنفسى وإن رأيته لى فلما أعلم بذلك عبدُ الله بن جعفر عبدَ الملك بن مروان قال فالجاريتان له قال فلما صارتا الىّ زرت عبد الله بن جعفر فوجدته قد امتلأ فرحاً وهو يشرب وبين يديه عُس(٥) فيه عسل ممزوج بمسك وكافور فقال مهيم(٦) قلت قد والله قبضت الجاريتين قال فاشرب فتناولت العس فجرعت منه جرعة فقال له زد فأبيت عليه فقال الجارية له عنده تغنيه إن هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين فخذى فى نعتها فإنهما كا فلكت(٧) صدورهما فحركت الجارية العود ثم غنت

عهدى بها فى الحىّ قد جرّدت صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الندى على نحرها فى مشرق ذى بهجة ناضر

(٤) الجدة الثروة (٥) العس بوزن القفل القدح يشرب فيه (٦) مهيم بفتح فسكون ففتح معنى ما وراءك (٧) فلكت صدورهما استدارت الأثداء بصدريهما

لو أسندت ميتاً الى صدرها قام ولم ينقــل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميّت الناشر

قال فلما سمعتُ الأبيات طربت ثم تناولت العُس فشربت عَلَلا بعد نَهَل ورفعت عقيرتي أغني

سقوني وقالوا لا تُغنّ ولو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنّت

وقد عرف عبد الملك بن مروان بالشجاعة والدهاء كما عرف بغزارة العلم ورجاحة العقل ولم يكن مولعاً باللهو والغناء كابنه يزيد وقد كان يتظاهر بذم الغناء والمغنين إذا ما حضر مجلسه بعض الاشراف من الهاشميين كما سبقهُ بهذا معاوية بن أبي سفيان ثم أجازه ورغب فيه. روى ابرهيم بن المنذر الجذامي عن أبيه أن عبد الله بن جعفر وفد على عبد الملك بن مروان فأقام عنده حيناً فبينا هو ذات ليلة في سمره إذ تذاكروا الغناء فقال عبد الملك قبح الله الغناء ما أوضعهُ للمروءة وأجرحهُ للعرض وأهدمه للشرف وأذهبه للبهاء (وعبد الله بن جعفر ساكت) وإنما عرض لعبد الله وأعانه عليه من حضر من أصحابه فقال عبد الملك ما لك أبا جعفر لا تتكلم !! قال ما أقول ولحمي يتمزع وعرضي يتمزق قال أما أني نبئت أنك تغني قال أجل يا أمير المؤمنين قال أفّ لك وتفّ قال لا أف ولا تف فقد تأتي أنت ما هو أعظم من ذلك قال وما هو قال يأتيك الاعرابي الجافّ يقول الزور ويقذف المحصنات فتأمر له بألف دينار وأشتري أنا الجارية الحسناء من مالي فأختار لها من الشعر أجوده ومن الكلام أحسنه ثم تردده عليّ بصوت حسن فهل بذلك بأس قال لا بأس ولكن أخبرني عن هذه الاغاني ما تصنع بها قال نعم اشتريت جارية باثني عشر ألف درهم مطبوعة فكان بديح وطويس يأتيانها فيطرحان عليها أغانيهما فعاقت منها حتى غلبت عليها فوُصفت ليزيد بن معاوية فكتب إليّ إما وهبتها إليّ وأما بعتها بحكمك. فكتبت إليه إنها لا تخرج عن ملكي ببيع ولا هبة فبذل لي فيها ما كنت أحسب أن نفسه لا تجود به فأبيت عليه فبينا هي عندي على تلك الحال إذ ذكرت لي عجوزٌ من عجائزنا أن فتى من أهل المدينة يسمع غناءها فعلقها وشغف بها وأنه يجيء في كل ليلة مستتراً يقف بالباب حتى يسمع غناءها ثم ينصرف فراعيت مجيئه فاذا الفتى قد أقبل مقنع الرأس فأشرفت عليه وقد قعد مستخفياً فلم أدعُها تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعه فبات مكانه الذي هو فيه فلما انشق الفجر اطلعت عليه فإذا هو في موضعه فدعوت قينة الجواري فقلت لها انطلقي الساعة فزيني هـذه الجارية وأعجلي بها إلي فلما جاءت بها نزلتُ وفتحت الباب وحركتهُ فانتبه مذعورا فقلت له لا بأس عليك خذ بيد هذه الجارية فهي لك وإن هممت ببيعها فردها إلي فدهش وأخذه الخبل ولبط به فدنوت من أذنه فقلت ويحك قد

أظفرك الله ببغيتك فقم فانطلق بها إلى منزلك فإذا الفتى قد فارق الدنيا فلم أر شيئاً قط أعجب منه . قال عبد الملك وأنا والله ما سمعت شيئاً قط أعجب من هذا ولولا أنك عاينته ما صدقت به فما صنعت بالجارية قال تركتها عندي وكنت اذا ذكرت الفتى لم أجد لها مكانا من قلبي وكرهت أن أوجه بها إلى يزيد فيبلغه حالها فيحقد عليّ فما زالت تلك حالها حتى ماتت اهـ .وقدم جرير المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم وأتاه أشعب فيهم فسلموا عليه وحادثوه ساعة وخرجوا وبقي أشعب فقال له جرير أراك قبيحا وأراك لئيم الحسب ففيم قعودك وقد خرج الناس فقال له أصلحك الله إنه لم يدخل عليك اليوم أحد أنفع لك مني قال وكيف ذلك ؟ ! قال آخذُ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي فقال له جرير قل فاندفع يغنيه

يا أخت ناجية السلام عليكمُ قبل الرحيل وقبل لوم العذلّ
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يومُ الرحيل فعلت مالم أفعل

قال فاستخف جرير الطرب لغنائه بشعره حتى زحف اليه واعتنقه وسأله عن حوائجه فقضاها له اهـ وسمع عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ ـ ١٠١هـ) راكباً يغني في سفره بأبيات طرفة

فلولا ثلاث هنّ من حاجة الفتى وجدّك لم أحفل متى قام عوّدي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرّي إذا نادى المضاف محنبا كسيدِ[8] الغضا في الطخية[9] المتورّد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة[10] تحت الطراف الممدد

فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عوّدي لولا أن أنفر في السرية وأقسم بالسوية وأعدل في القضية. وخرج عمر بن عبد العزيز إلى الحج وهو والي المدينة المنورة وخرج الناس معه وكان فيمن خرج بكر بن اسماعيل الانصاري وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فلما انصرفا راجعين مرا بطويس المغني فدعاهما الى النزول عنده فقال بكر بن اسماعيل قُد البعير إلى منزلك فقال له سعيد بن عبد الرحمن بن ثابت أننزل على هـذا المخنث ؟ ! فقال أنما هو منزل ساعة ثم نذهب فاحتمل طويس الكلام عن سعيد فأتيا منزله فإذا هو قـد نظفه ونجده فأتاهما بفاكهة الشام فوضعها بين أيديهما فقال بكر بن اسماعيل ما بقي منك ياطويس قال بقي كلي يا أبا عمرو — قال أفلا تسمعنا من بقاياك قال نعم ثم دخل خيمته فأخرج خريطة وأخرج منها دفا وغنى

ياخليلي نابني سهدي لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل مؤنس تلتذه كبدي

(٨) السيد بكسر السين الذئب أو الأسد (٩) الطخية الظلمة (١٠) البهكنة المرأة الغضة الناعمة

من بني آل المغيرة لا خامل نكس ولا جحد
نظرت عيني فلا نظرت بعده عيني إلى أحد

ثم ضرب بالدف الارض والتفت إلى سعيد بن عبد الرحمن فقال يا أبا عثمان أتدري من قائل هذا الشعر قال لا - قال قالته خولة بنت ثابت عمتك في عمارة بن الوليد بن المغيرة ونهض فقال له بكر لو لم تقل له ما قلته لم يسمعك ما أسمعك. وبلغت القصة عمر بن عبد العزيز فأرسل اليهما فسألهما فأخبراه فقال واحدة باخرى والبادي أظلم. وسمع سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ - ٩٩هـ) مغنيًّا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤوا به فقال أعد عليّ ما تغنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان مفرطاً في الغيرة فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشول وما أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت اليه وأمر به فخصي. وروى الجاحظ قال حكي عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوَضوء فجاءت به جارية فبينما هي تصب الماء على يده إذا استمدها وأشار إليها مرتين أو ثلاثاً . فلم تصبّ عليه فانكر ذلك ورفع رأسه فاذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر. فأمرها فتنحت فسمع الصوت فإذا رجل يغني فانصت له حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن الناس فأجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والتسهل لمن سمعهُ وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقي أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من اهل الابلة محكمان قال فأين منزلك من العسكر فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول أحدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال من عهدك به قال البارحة قال وفي أي النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال ما اسم صاحبك قال سنان قال فأقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبعت الناقة ونبّ التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصي وسأل عن الغناء أين أصله قالوا بالمدينة ومغنوها هم المخنثون فكتب الى عامله أن اخص من قبلك من المخنثين وحدث الأصمعي أن الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو

محجوبةٌ سمعت صوتي فأرقها من آخر الليل لما بلها السحر
تدني على الخد منها من معصفرة والحلي باد على لباتها خصر
في ليلة البدر ما يدري (مؤانسها) أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يمنع الصوت أبواب ولا حرس فدمعها لطروق اللحن ينحدر
لو تستطيع مشت نحوي على قدم تكاد من رقة في المشي تنفطر

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكى فوجه إلى سنان فأحضره ووجهت الجارية رسولاً إلى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم أن سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

استبقنى إلى الصباح أعتذر إن لسانى بالشراب منكسر
فارسل المعروف فى قوم نُكُر

فامر به فخصى وكان بعد ذلك يسمى الخصى. ويروى أن سكينة بنت الحسين غنيت بهذا الشعر

سرى همّى وهمّ المرء يسرى وغاب النجم إلا قيدَ فتر
لهمّ ما أزال له قرينا كأن القلب أودع حرَّ جمر
على بكر أخى فارقت بكرا وأى العيش يصلح بعد بكر

فقالت ومن بكر هذا هو ذاك الاشتر الذى كان يأتينا لقد طاب كل شىء بعده حتى الخبز والزيت — والشعر لعروة بن أذينة يرثى أخاهُ بكراً. وقال الاصمعى كان أبو الطمحان القينى شاعراً مجيداً وكان مع ذلك فاسقاً وكان قد انتجع يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ-١٠٥هـ) فطلب الإذن عليه فلم يصل فقال لبعض المغنين الا أعطيك بيتين من شعرى تغنى بهما أمير المؤمنين فإن سألك من قائلهما فأخبرهُ أنى بالباب وما رزقنى اللهُ منهُ فهو بينى وبينك قال هات فأعطاهُ هذين البيتين

يكاد الغمام الغرّ يرعد إن رأى محيا ابن مروانٍ وينهلُّ بارقه
يظل فتيت المسك فى رونق الضحا تسيل به أصداغه ومفارقه

قال فغنى بهما فى وقت أريحيته فطرب لهما طرباً شديداً وقال لله در قائلهما وأمر لهُ بألفى درهم وقال لا يدخل علينا فأخذها ابو الطمحان وانسلَّ بها وخيَّب المغنى

ولما كلف يزيد بن عبد الملك بحبابة واشتغل بها وأضاع الرعية دخل عليه مسلمة أخوه فقال يا أمير المؤمنين تركت الظهور للعامة والشهود للجمعة واحتجبت مع هذه الأمة. فارعوى قليلاً وظهر للناس فأوصت حبابة الى الأحوص أن يقول أبياتاً يهوّن فيها على يزيد ما قاله مسلمة فقال وغنت بها حبابة

ألا لا تلمهُ اليوم أن يتبلدا فقد منع المحزون أن يتجلدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
هل العيش إلا ما تلذّ وتشتهى وان لام فيهِ ذو الشنان (١١) وفندا

فلما سمعها ضرب برجله الأرض وقال صدقت صدقت على مَسْلَمَةَ لعنة الله ثم عاد إلى سيرته الأولى م؟

عبد الرحيم محمود مدرس فى السعيدية الثانوية

(١١) الشنان لغة فى الشنآن بمعنى البغض والكره

الفينيقيون وأصل الحروف الابجدية

اين استنبطت الابجدية ومن انشأها ومتى وكيف كان ذلك

تمهيد — كانت الحروف الابجدية ولا تزال من اعظم وسائل العمران وهي من اثمن التحف التي قدمها لنا العالم القديم ان لم تكن اثمنها . ولما كان العقل البشري يفضل ان لا يكتفي بالمنظور فقط بل يودُّ ان يخترق ستارهُ ويرجع الى اصله فان كثيرين من علماء الآثار بحثوا عن اصل الحروف الابجدية منذ عهد ليس ببعيد فاناروا ما كان غامضاً واضافوا كثيراً الى ما يعرف في هذا الموضوع الخطير بعد ان استعانوا بالكتابات الاثرية المنقوشة في الصخور المبعثرة في طول بلاد المشرق وعرضها للتوصل الى غايتهم . على انهُ لا يسعنا إلا الإقرار بان النتائج التي وصلوا اليها ليست حاسمة والسعي الى كشف الغوامض حثيث والبعثات الاجنبية تواصل اعمال الحفر في امكنة عديدة

الفينيقيون والحروف اللاتينية — تقول الاسطورة الإغريقية ان « كادموس » احضر خمسة عشر حرفاً من ابعد شطوط البحر المتوسط والمرجَّح ان فينيقية هي الشطوط المقصودة . ولكن من اين اتى بها الفينيقيون ؟ هنا محط النظر وهذا موضوع المقال

لقد فسَّر شامبوليون حجر رشيد ولم يكن ذلك الا منذ نحو قرن ، فكشف بذلك عن غوامض اللغة المصرية وبالتالي تاريخها . وفي اواسط القرن المنصرم وجد النَّصَب المؤابي وهو مسلة ملك مؤاب تاريخهُ ٩٠٠ — ٨٥٠ ق . م . وهو اول ما كتب بالابجدية الفينيقية وتختلف بعض الإختلاف عن العبرانية . وبعد ذلك بنحو عشرين سنة وجد بعضهم اواني خزفية في رومية على اثر حفريات اجروها هناك ، وعلى تلك الاواني علامات يرجع تاريخها الى ٤٠٠ ق . م . تفيد ان جماعة من المهاجرين الإغريق من كالسدونيا حملوا معهم الى ايطاليا بضعة احرف صنعت منها احرف لاتينية ، وقد اثبتت اكتشافات الجيل الثاني من الكلسدونيين هذه النتيجة بعد ذلك بعشر سنوات . وقد عرف آنئذٍ ان الحرف Z أُسقط في تلك الآونة لانهُ لم يكن للرومان صوت مثلهُ ، واستبدل الحرف K بالحرف C (وهذا ما يبرهن لنا ان الصغار الذين يدرسون الانكليزية هم غريزيًّا على صواب عندما يتهجأون كلمة Cat بوضع الحرف K في الاول وقد اعفتهم مدينة نيويورك من تهجئة هذه الكلمة حتى يبلغوا السن التي تشرح لهم فيه هذه المسائل) . وقد حصل ذلك

الإستبدال لان صوت K كان يكتب قبلاً هكذا IC — التي بهيئة K — فنشأ عن عدم الاعتناء بالكتابة هذا الاستبدال

بابل واللغة الآرامية : — كيف حصل الفينيقيون على الابجدية : (١) لقد كان الفينيقيون جيران دول البحر المتوسط واخوانهم في الملاحة وكانوا يقطنون جانباً من الحدود الساحلية للمملكة الاشورية. وقد نسب العلامة « بيترز Peters » في اوائل هذا القرن ، الحروف الفينيقية الى بابل . وكان للاراميين شأن عظيم في الالف الاول قبل الميلاد وابطلوا استعمال اللغة البابلية والكتابة المسمارية التي كانت عامة في الالف الثاني ، وصارت لغتهم لغة التجارة والمعاملات الدولية بدلاً منها . اما كتابتهم فقد كانت بسيطة وسهلة التعلم بخلاف الكتابتين المصرية والمسمارية وهذا ما يعلل لنا نجاحها الى حدّ ما[1]. هذا ما نعلمهُ من رقم اكتشفها مرسل المانيّ في شمالي سورية تبرهن على ان الكتابة الآرامية كانت اشد الابجديات الساميَّة نفوذاً وانها هي التي نعّمت زوايا الكتابة المسمارية واضافت بضعة انعطافات في الاحرف وربطها بعضها ببعض في الكلمة نفسها . هذه التدرجات في الكتابة لاءمت ذوق العرب والعجم والهنود واخيراً الاتراك الذين اتوا من بلاد التتر. ويقول بعض الباحثين ان الحجاج كتبوها في طريقهم الى مكة على حجارة وجدها الاثريون في اواخر القرن الماضي ، على ان تلك الكتابة المشار اليها هي في حجر (مدائن صالح) التي تبعد نحو سبعة ايام الى شمال المدينة وهي كتابة نبطية ولا يمكن ان يكون الحجاج قد كتبوها لانها كتبت قبل الاسلام [2]. وابعد تاريخ للكتابة الآرامية عرف حتى الآن هو ٨٠٠ ق . م . ولا يعلم مدى قدمها قبل ذلك إلا اننا نعلم ان البابليين عرفوها ومدنيتهم قديمة جداً فقد كانوا يسجلون الملاحظات الفلكية منذ القرن العاشر قبل الميلاد

وقد اعلن « فلندرز پيتري Petrie » قبيل الحرب العامة ان اصل الاحرف اليونانية — الفينيقية انما هو علامات قديمة استعملت تدريجاً الواحدة بعد الاخرى ثم انتشرت بواسطة التجارة . على انهُ لم يذكر كيف كانت هيئة تلك العلامات وكيف انقلبت الى الاحرف الفينيقية ومتى كان ذلك

(٢) كتابة سينا واصل الابجدية الفينيقية — كان العلامة « پيرى Peary »

---

(١) انظر Rostoutzett, The Ancient World, V.I. 132

(٢) راجع Doughty : Documents Epigraphiques recueillis dans le Nord de l'Arabie p. 12.

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطولة

رمتني بدائها وانسلّت

صديقي المفضال رئيس محرّري المقتطف

تحية لكم أو تحيتي لكم أو تحيتي إياكم ولا أحيّيكم كما حيّاكم حضرة الفاضل مصطفى افندي جواد المعلم العراقي الذي قصر نقدهُ في مقتطف مارس الفائت على تخطئتي فقال تحيةً أياكم فهذا خطأٌ لانهُ أتى بالضمير المنفصل المفعول بهِ مع عدم أضافة المصدر ألى فاعله ولو قال تحيتي إياكم اصحّ قوله (وهو أرجح من تحيّتيكم مثل. لقد كان حبيك حقّاً يقيناً) . وفي هذه الحالة يرجح أن يؤتى بالضمير منفصلا ويجب انفصاله لو قلت عجبت من حب الناس إيّاكم . وكذلك أذا أضيف المصدر الى مفعوله وجب أن يؤتى بالفاعل المضمر منفصلاً نحو بنصركم نحن كنتم ظافرين كما في كفاية الطالب وبغية الراغب وحاشية الخضري على ابن عقيل والتصريح — وتحيه مصدر متعدّ يعمل كفعله فأقول أحييكم ولا أقول أحيي أياكم إلا إذا تقدم الضمير لقصر تحيتي عليكم فأقول إياكم أحيّي وهذه أثره يرغب عنها كلانا — هذا ولما ضعف تسلّط المصدر على معموله مباشرة جاز أن نأتي بلام تسمى لام التقوية فندخلها على ذلك المعمول ولا يجوز دخولها على معمول فعله فنقول تحية لكم ولا نقول تحيّي لكم مريدين نُحيّيكم . وبعد فقد قرأت في مقتطف مارس سنة ١٩٢٩ م لحضرة العلامة المذكور نقد نقدي نظم العقيان للإمام جلال الدين السيوطي فقصره على ملاحظات لغوية ونحوية وصرفية ولم يتعرض لما ظنه صواباً على أن النقد كان أكثر من ذلك كله وليتهُ وفق الى الصواب فأشكر له وهذا ردّي عليه

(١) أذا ألف المجمع اللغوى من علماء اللغة المدرسين والأطباء والنباتيين والقانونيين

والطبعيين ألى غيرهم وصنّفوا معجماً ينهض باللغة العربية فى جميع فروعها ودائرة معارف واعتمدوا هذين المصدرين فانا أول من يؤمن بهذين العملين الجليلين إذا كانا صحيحين وإليهما أرجع فى كل ما أكتب وما أقول

أما ترك الكتاب والشعراء والخطباء على هـذه الفوضى ليضع كل منهم ما يشاء من الا لفاظ فلا أرضاهُ ولا يرضاه أرباب اللغة ولنا فى الغربيين قـدوة حسنة إذ لهم مجامع لغوية تضع الألفاظ بعد التحرى وتذيعها بأحسن وسائل الإذاعة على أنهم أبناء لغاتهم ونحن بعيدون عنها وإن تعلمناها فليس لنا الحق فى وضع ألفاظ فى لغاتهم . على أن هـذا كله فى غير مالم تضع له العرب ألفاظا أما وقـد بلغ الاستخفاف باللغة الى حد الخروج على المعاجم اللغوية فى موادها فلا حول ولا قوة إلا بالله — أما المشاهير فلم ترد جمعا لمشهور فى المعاجم المعتمدة فى مادة شهر كلسان العرب والقاموس وتاج العروس والمصباح المنير ومختار الصحاح ولم نقف لها على مصدر عربى يحتج به فيما نعلم وكذلك مواضيع جمع موضوع أما قول مصطفى أفندى إن مشاهير وردت جمعا لمشهور فى قاموس الأب أنستاس مارى (مع إجلالى له) نقلا عن كلام صاحب تاج العروس فى مادة (قب) إن وجدت وفى مادة (عشا) وفى شرح خطبة القاموس وفى كلام ابن سيده والزمخشرى وياقوت الحموى والفخرى والمواضيع جمع موضوع فى مادة (دور) من التاج فليس بحجة لأن هؤلاء الأفاضل لا يحتج بقولهم فى نثرهم ونظمهم إذ أنهم من المحدثين المتأخرين ودليلى على ذلك ما قاله صاحب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية المطبوع بالمطبعة الاميرية فى بلاق من الصفحة الثالثة إلى ما بعدها من الجزء الأول (والطبقة الرابعة المولدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبى نواس والصحيح أنه لا يستشهد بكلامهم مطلقا) وقد ذكر أنه يستشهد بكلام الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين إلى عصر ابن هرمة وقد نقل ثعلب عن الأصمعي انه قال ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج ووفاته بعد نصف القرن الثانى من الهجرة بقليل وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . مدح الوليد بن يزيد الاموى وابا جعفر المنصور العباسى ثانى الخلفاء العباسين كما قال العلامة الشيخ حمزة فتح الله فى المواهب الفتحية فى الصفحة ٥٥ من الجزء الاول وكما قال أيضا قـد اعترض على الزمخشرى فى قوله فى خطبة المفصل محيطا بكافة الابواب حيث جرّ كافة وهى لا تستعمل الا منصوبة الخ بما محصله إن عصمة اللسان لا تنال بالعلم إذ قد أخذ على أبى تمام فى حروف لم يمكن الجواب عنها مع كونه عربيا فكيف بالزمخشرى الأعجمى اه .اقول ومعلوم

أن الفيروزبادي توفي سنة ٨١٧ هجرية في عصر المماليك وقد جاء بعده صاحب تاج العروس فالاحتجاج بقولها المنثور والمنظوم ضرب من الهذيان . واذا كان سيبويه المتوفى سنة ١٨٣ هجرية وهو امام اللغة والنحو لم يحتج بحديث رسول الله في كتابه المطبوع المتداول ورسول الله افصح العرب كما نعلم لان العلماء جوزوا رواية الحديث بالمعنى وبعض رواته اعاجم كانوا في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين وأوائل الدولة العباسية فكيف نحتج بكلام من بعدهم مع أن قول سيبويه هذا على إطلاقه فيه إجحاف بكثير من أحاديث رسول الله المتواترة الروايات بألفاظها ومعانيها ولكنهُ عمل بالاحوط دفعاً للشبهة ومظنة الاحتمال وقال صاحب الخزانة أيضاً لو فتح هذا الباب للزم الاستدلال بكل ما وقع في كلام المحدثين كالحريري وأضرابه والحجة فيما رووه لا فيما رأوه وقد خطئوا المتنبي وابا تمام والبحتري في أشياء كثيرة كما هو مسطور في شرح تلك الدواوين. وفي الاقتراح للجلال السيوطي (صاحب كتاب نظم العقيان) أجمعوا على أنهُ لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية اهـ أما ما ذكره الاستاذ الفاضل العراقي من أن القياس يقضي أن يجمع مشهور وموضوع ونحوهما على مشاهير ومواضيع كعصافير جمع عصفور لخطأ لان القاعدة وإن طبقت كما قال على مفعال ومفعيل فإنه يمتنع تطبيقها على مفعول وهذه هي الادلة

(١) قال صاحب كتاب شذا العرف في فن الصرف في الصفحة ٨٥ من الطبعة الخامسة بعد أن انتهى من بيان جمع التكسير وأوزانه ما نصه (كل ما جرى على الفعل من اسمي الفاعل والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح ولا يكسر لمشابهته الفعل لفظاً ومعنى وجاء شذوذاً في اسم مفعول الثلاثي من نحو ملعون وميمون ومشئوم ومكسور ومسلوخة (الجمع) ملاعين وميامين ومشائيم الخ (ب) في حاشية الخضري ما نصه (وكذا لا يكسر نحو مضروب وشذ ملاعين في ملعون في التعليق على قول الشارح حرف مد عند شرح بيت الالفية : وزائد العادي الرباعي احذفه ما : إلى آخر البيت ذلك إلى ما في التصريح والأشموني وحاشية الصبان فمن الخطأ إذاً جمع مشهور على مشاهير وموضوع على مواضيع والصواب أن يجمعا جمع تصحيح فيقال مشهورون وموضوعات عملا بالقاعدة التي أومأت اليها في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٢٨ ومن الخطأ أشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظم

(٢) قول الناقد الفاضل. الصواب أنني بدلاً من أني (مخطئاً الصواب أنني بدل أني) في غير محله فكلا الأسلوبين صحيح أنشد صاحب ديوان الحماسة قصيدة لأعرابية ترثي أخاها مطلعها

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك

إلى أن قالت

ليت نفسي قدّمت للمنايا بدلك

وقد قال صاحب خزانة الادب . يحتج بأبيات الحماسة لوثوقهم برواية أبي تمام وإتقانها اهـ أقول إن أبا تمام نقله حجة وليس قوله حجة كما قال ذلك علماء اللغة على أن ديوان الحماسة مجموع من كلام العرب الجاهليين والإسلاميين الذين سبقوا بشار بن برد رأس المحدثين وهو أسبق من أبي تمام . ولا يقال إن هذا ضرورة فليس هذا من الضرورات التي ذكرها العلماء وليس في القصيدة تكلف حتى يكون هناك مجال لارتكاب الضرورات على أن حذف الجارّ مع أنّ وأن يطرد مع أمن اللبس نحو عجبت أنك تخطىء الصواب . أما قوله ان الحال لا تكون إلا نكرة وهي هنا معرفة وما ورد من الحال معرفة فشاذ لا يقاس عليه ففيه نظر لأن علماء النحو قالوا ان الحال قد تقع معرفة لفظاً أي إذا أوّلت بنكرة وجعلوا منها قولك اجتهد وحدك أي منفرداً وكلمته فاه إلى فيّ أي مشافهة وجاءوا الجمّاء الغفير أي جاءوا جميعاً وأرسلها العراك أي معتركة وفصّل الكوفيون فقالوا إن تضمنت الحال معنى الشرط صح تعريفها فمثال ما تضمن معنى الشرط زيد الراكب أحسن منه الماشي فالراكب والماشي حالان وصح تعريفهما لتأويلهما بالشرط إذ التقدير زيد إذا ركب أحسن منه إذا مشى فإن لم تؤوّل بالشرط لا يصح تعريفها فلا تقول جاء زيد الراكبَ إذ لا يصح جاء زيد إن ركب

(٣) قد خطأني حضرة الناقد العراقي أيضاً في قولي ربما سرى إلى ذهن الناسخ وقال الصواب ربما سار إلى ذهن الناسخ أو تبادر لأن السرى خاص بالليل وهو القائل في صفحة ٣٨٧ (أي من مقتطف دسمبر الماضي) السرى السير بالليل. أقول هذا معنى من معاني سرى وقد ذكرته كما قال في حاشية مقالتي الاولى من الغناء العربي إلا أن سرى هنا بمعنى مضى وذهب وسار قال صاحب المصباح المنير في مادة سرى ما نصه . وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيهاً لها بالاجسام مجازاً واتساعاً قال تعالى (والليل اذا يسر) والمعنى اذا يمضي وقال البغوي اذا سار وذهب وقال الفارابي سرى فيه السم والخمر ونحوهما وقال السرقسطي سرى عرق السوء في الانسان ... وسرى همّه ذهب

(٤) هو مخطىء في تخطئتي استنتج واستلفت لما ذكرت هناك وذكر هو من أدلتي لان استدلاله بقول العلامة القس انستاس الكرملي الذي نقل عن الحريري كلمة تستنتج لا ينهض دليلا على صحة ما ادّعاه لان الحريري كما علمت في صدر مقالتي هذه قد ضرب به المثل للخطأ في كلامه وأنه لا يجوز الاستدلال بقوله وقول أضرابه على أن كتابه درة الغواص الذي استدرك به على الخواص لم يسلم من الخطأ كما اشار الى ذلك العلماء الذين تعقبوا أقواله وما كانت عبارتي (وما أدري من أين نقل صاحب المنجد استنتج) لتدلّ

على انى رميت مؤلفه الفاضل بالجهل كما زعم حضرة العراقى وأدبى فى النقد شهد به قراء المقتطف والاستاذان الخضرى بك واسعد افندى خليل داغر بقلميهما فى أجزاء المقتطف سنة ١٩٢٥ على أنى لم أزد بكلمة أو التفسير حتى يقول إننى ارتكبت غلطين أولهما استعمال أو فى موضع أى المفسرة بالترادف اللفظى مرة والمعنوى آونة . أو ما علم الاستاذ أنّ من معانى أو التخيير نحو تزوج هنداً أو اختها ولك أن تقول كتبت بالقلم أو زبرت بالمزبرة وأرجو أن يتسع صدر الأستاذ المتصرف أكثر مما اتسع له صدر الأستاذ الجامد فى هذا ونحوه.
اما قوله إنّ الهمزة والسين والتاء فى يستافت تدل على الطلب وقولهم بطلب الالتفات ليس معناه الالتفات ولا اللفت الخ فمن أين جاء لحضرته أن السين والتاء للطلب هنا أليس من معانيهما الصيرورة نحو استحجر الطين كما أنهما يكونان زائدين نحو قول الله تعالى (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الى آخر ما قيل فى معانى استفعل فى كتب اللغة والصرف — هذا ولم يقل أحد ان همزة الوصل لها معنى كما ذكر حضرته ! ولم يذكر دليلاً لغويًّا على ورود استافت وكل ما قاله هو (فالعربية محتاجة إلى استلفت كل الاحتياج كما احتاجت إلى استجوب وتضامن وتزاعم وتنجلز وتفرنس فتعاورتها الالسن واليراع) . فما هذه الفوضى يا رجال اللغة العربية !

[لها بقية] عبد الرحيم محمود

الرائد

حضرات الدكاترة المحترمين اصحاب المقتطف

تحية العلم لكم . وبعد فاني اطلعت على وصف السياحة والسائحين (الرائد) في المقتطف الاغر وهذا ما حدا بي الى ان ابعث اليكم بالقصيدة الآتية راجياً نشرها إن كانت مما ترتاحون اليه

قف لي وحدّثْ عن مناك قليلا	كبُر المنى عن لفظ قال وقيلا
ذللت وعر السالكين فما ترى	من شاغ الا يصير ذليلا
جبت البلاد حزونها وسهولها	أغدتْ حزون الراسيات سهولا
وغدوت تنظر للبحار كأنها	بلد تراهُ ساكناً مأهولا
خضتَ الظلام وما لعينك مرشد	الا المنى صبحاً ينير سبيلا
وسلكت في ذا الزمهرير بهمة	كانت حرارتها لديك كفيلا
تتساقط الانواء وهي مهالك	فتنيلها التكبير والتهليلا

وتقول بشرى النفس ترسل من علٍ فكرمت يا ضيف الحتوف نزيلا

***

يا رائد الدنيا عليك تحية ان المنى تذر الكثير قليلا !
لم يكف ما عرف الانام لغاية فذهبت تنشد غامضاً مجهولا
قل لي بربك ما الذي جعل الورى يغدو بناظر مقلتيك قتيلا ؟
ومن الذي جعل المخاوف عذبة والحتف في نائي البقاع جميلا ،
ومن الذي سنّ الهلاك تحية للهالكين ولو نراه وبيلا
النفس ان عظمت رأيت رداءها شيئاً عظيما في العباد جليلا
لولا الشجاعة ما غدا ليث الشرى الا غزالا في الحذار كحيلا

***

يا صاحب البيداء يضرب ظهرها بعصا الرحيل وما سئمتَ رحيلا
حُمّلت صبراً ضاقت الدنيا بهِ فأتاك آخرها اليك ذليلا
خالطت أسد الغاب في آجامهم ليثاً اغرّ وصارماً مصقولا
وسلكت بالآجام وهي مجاهل ظلاً ولم يك للعباد ظليلا
يسقي بسُمّ الرقش جل ترابها من سار خرّ على التراب قتيلا
لا يهتدي الجن المَريدُ سبيلها والنيرات بها تريد دليلا
والشمس تحسبها دياجر خلدت فوق الثرى لا تقبل التحويلا
وقطعت من تلك الرمال بحارها عبثاً على الدنيا سواك ثقيلا
سيان عندك ان تصادف جؤذراً في ذا الفضاء وان تصادف غيلا
ان عشت كنت بذي الحياة مكرّماً او متّ كنت بأن تموت نبيلا
اقسمتُ ما هذي الشجاعة لامرىء ولّي امامك بالقرون الاولى
لم تنبت الدنيا نظيرك سيداً قبلا ولا امثال جيلك جيلا

***

وسريت فوق البحر وهو شوامخ يرتد طرفك دونهن كليلا
الجاريات يهبن خوض عبابه حاشا يرون لوجههِ تقبيلا
متلاطم ان شئت او متجمد بل ساء مأوى للورى ومقيلا

***

قل للأُلى ملأ العباد فخارهم انا نريد على الفخار دليلا

ما الفخر الاَّ بالنفوس عظيمة لم ترض بالفخر الصحيح بديلا

المحمودية مدرسة الامير عمر طوسن عبد الغني الكتبي

توحيد المصطلحات العلمية في الطب والعلوم المتصلة به

رأت الجمعية الطبية المصرية ان المؤلفات والتراجم في الطب والعلوم المتصلة بهِ قد زادت كثيراً في اللغة العربية بما يظهر في مصر وغيرها من البلاد العربية من وقت لآخر ولقد لوحظ بعين القلق تفنن الكاتبين في العلم الواحد في نحت وتعريب المصطلحات العلمية وكثيراً ما يروق كلَّ كاتب الفاظ تغاير ما يختاره الآخر ولذلك تعددت المصطلحات لغرض واحد. ولما كان اساس العلم الاتفاق على لفظ واحد ينصرف الى معنى خاص لا يتعداه الى غيره ولا ينصرف ذهن قارئه الى غير ما وضع له اللفظ مما دعى الامم الاوربية الى نحت مصطلحاتهم العلمية من اللغات القديمة كاللاتينية واليونانية حتى لا يكون لدى القارئ اي معنى غير ما اتفق عليه وتستعمل هـذه المصطلحات في كل اللغات الاوربية الحديثة حتى سهل على المعلمين بكل علم مراجعة الكتب الموضوعة فيه بأي لغة من اللغات

لهذا تناشد الجمعية الطبية المصرية جميع الكاتبين باللغة العربية في الموضوعات الطبية ان يأخذوا بالمصطلحات التي جمعت في قاموس الدكتور محمد شرف. على ان الجمعية ترحب بكل اقتراح او تصحيح لاي لفظ وارد بالقاموس المذكور او وضع الفاظ جديدة لم ترد بهِ وقد شكلت لجنة من المذكورين بعد وبينهم المؤلف لفحص جميع ما يصل للجمعية من الاقتراحات في هذا الشأن واقرار الصالح منها وادخاله بالطبعات التالية للقاموس كتعهد المؤلف بذلك : —

سعادة تيمور باشا	حضرة الاستاذ احمد امين
حضرة الشيخ احمد السكندري	« الدكتور احمد زكي ابو شادي
« خليل بك مطران	« محمد احمد العمراوي افندي
« الدكتور احمد عيسى بك	« عازر ارمنيوس افندي
« الدكتور نجيب بك محفوظ	« الدكتور محمد شرف
« الدكتور محمد بك عبد الحميد	« الدكتور محمد خليل عبد الخالق

وترى الجمعية في حضرات من ضمتهم هذه اللجنة من الاعضاء خير ضمان لبذل الجهد الصادق في تحقيق اماني المتكلمين بالعربية ازاء هذا الموضوع الخطير كما انها تأمل معاونة جميع الكتاب وارسال اقتراحاتهم الى سكرتيرية الجمعية الطبية المصرية رقم ٥ شارع الصنافيري بالقاهرة

باب الزراعة والاقتصاد

الضرائب في مصر والامتيازات الاجنبية

حديث لوزير المالية

قال مندوب المقطم : — يشتغل علي ماهر باشا وزير المالية باعداد مشروعات جديدة لنظام الضرائب في مصر تشمل اولاً كيفية جباية هذه الضرائب من سكان البلاد لا فرق في ذلك بين المصريين والاجانب. وثانياً البحث في انشاء ضرائب جديدة للانفاق على المشروعات والاعمال التي تحتاج البلاد اليها. وقد اشار معاليهِ الى هذه المشروعات في آخر المذكرة التي قدمها الى مجلس الوزراء مع مشروع الاتفاق الذي وضعهُ مع المستر روس مندوب وزارة المالية البريطانية في شأن ديون الجزية وتعويضات الحرب العظمى . ومن حين نشر تلك المذكرة ما فتئت الصحف تلهج بالكلام عن المشروعات العظيمة التي يشتغل وزير المالية باعدادها ولما كان هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التي تشغل الرأي العام المصري والاجنبي على السواء رأيت ان اقابل معالي علي ماهر باشا واستوضحهُ بعض المسائل العامة التي اعتقد انها تعد بمثابة قواعد اساسية او مبادئ جوهرية تقوم عليها مشروعاته فقابلت معاليهِ في ديوانهِ بوزارة المالية وكاشفتهُ بالغاية من زيارتي فقال لي :

« ان هذا الموضوع ليس وليد اليوم كما قد يتبادر الى الاذهان لاول وهلة واظن اني حدثتكم عنهُ في الصيف الماضي .ولا اخالني افشي سرًّا اذا قلت لكم اننا ما زلنا ندرس مبادئه الاولية لانهُ لا يخفى عليكم ان موضوعاً كالذي نعالجهُ الآن ليس من الموضوعات التي يصح أو يستطاع البت فيها بين عشية وضحاها . والذي بعثنا على الاقدام على التفكير في الموضوع الذي نحن بصدده هو شعورنا بان نظام توزيع الضرائب على السكان كما هو في الوقت الحاضر لا يقوم على أساس عادل ولا يرتكز على قواعد الانصاف .فانهُ بينما الحكومة تنفق من خزينتها على مصالح سكان البلاد كلهم بلا تمييز بينهم ولا تفريق فان الذين يدفعون الضرائب الآن هم اصحاب العقارات والاطيان في حين ان اصحاب الثروات المنقولة لا يدفعون شيئاً مع انهُ لا نزاع في ان الثروة المنقولة لا تقل شأناً في هذا الزمان عن الثروة العقارية بل قد تكون أهم منها. ولما كنا نعيش في عصر لا تستطيع فيهِ الحكومات المستنيرة ان تفرض ضرائب على السكان الا اذا كانت نافذة على المصريين والاجانب على السواء ولما كان

بعض الاجانب لا يزالون يتذرعون بالامتيازات الاجنبية للامتناع عن دفع كل ضريبة تخرج عن الضرائب العقارية كان ذلك سبباً في غل يد الحكومة المصرية عن القيام بواجبها الى الآن

وهنا سكت معالي الوزير لحظة ثم قال بلهجة جلية صريحة « أما الآن فاني اؤكد لكم ان حسن توزيع الضرائب هو امنية من اماني الحكومة المصرية وذلك بصرف النظر تماما عن المباحث التي نقوم بها لتدبير موارد جديدة لخزينة الدولة »

ثم استأنف معاليه حديثهُ فقال « واستطرد الآن الى الكلام عن مسألة زيادة الموارد في خزينة الدولة فأقول ان الاحصاءات الرسمية تدل على ان ما يصيب كل شخص من سكان هـذا القطر من الاموال التي تنفق على الصحة والتعليم لا يتجاوز خمسة وعشرين قرشاً صاغاً في السنة وهذا مبلغ ضئيل لا يكفي لارتقاء المستوى الاجتماعي في البلاد ومما لاريب فيه انهُ اذا اريد تحسين الحالة الاجتماعية بتنفيذ المشروعات الكثيرة كمشروعات الري الكبرى أو مشروعات تغذية القرى بماء الشرب المقطر أو مشروعات رفع مستوى الصناعات كي لا يظل القطن المورد الوحيد لثروة البلاد أو مشروعات تحسين المواصلات المائية والبرية فان الاحتياطي الذي عندنا لا يكفي . اضف الى ذلك انهُ اذا اريد تجديد مباني المصالح الحكومية والمدارس الاميرية او بناء دور جديدة للاستعاضة بها عن الدور المستأجرة الآن فان هـذا يقتضي ايضاً نفقات طائلة تضاف الى نفقات المشروعات التي تقدمت الاشارة اليها

ثم اننا اذا أنفقنا المال الاحتياطي نخسر بانفاقهِ علاوة عليهِ مالا يقل عن مليونين ونصف مليون جنيه وهو مجموع الفوائد التي تجنيها الحكومة من تشغيل الاحتياطي — فجميع هـذه المسائل يتناولها البحث والتفكير الآن الا انها تحتاج الى وقت ليس بيسير لاهميتها وخطورتها »

فقلت لمعالي الوزير « وهل عجمتم عود الحكومة البريطانية وسائر الحكومات الاوربية لمعرفة موقفها في هذا الموضوع وهل عندها اعتراض توجهه اليهِ وما هو نوع هذا الاعتراض »

فقال معاليه انكم تدركون جيداً اني لا استطيع الآن الجواب عن هـذا السؤال بصراحة وجلاء لان المسألة ما زالت مطروحة على بساط البحث الاولي ولكن المفهوم هو ان البعض يرى عند البحث في هذا الموضوع انهُ جزء من اجزاء نظام الامتيازات الاجنبية والبعض الآخر يتفادى البحث في هذه النقطة ولكنهُ يثير مسألة اخرى وهي ان الضرائب تحتاج اما الى تشريع مدني او الى تشريع جنائي يضمن نفاذها ويكفل تطبيقها وان جميع

المسائل التشريعية التي تمس الاجانب يجب الحصول على مصادقة الدول المتمتعة بالامتيازات الاجنبية عليها او على الاقل يجب الحصول على موافقة الجمية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة عليها

« ولكن يتضح لكم مما تقدم انهُ اذا كان الموضوع من حيث المبدأ ليس محل نزاع فتكون مسألة سن التشريع اللازم لضمان التنفيذ امراً ثانوياً كثيراً ما واجهت الحكومة المصرية مثله

« على ان الحكومة المصرية واضعة نصب عينيها دائماً تشجيع اليد العاملة الاجنبية وتشجيع رؤوس الاموال الاجنبية في هذا القطر وانا نعتبر مما يرفع سمعتها ويعزز مكانتها السياسية ان تزداد رؤوس الاموال الاجنبية فيها لانها لا شك تكون دليلاً على عظم الثقة بالامة المصرية وبحكومتها ولذلك لا يعقل ان نعمل عملاً يعرقل التجارة الاجنبية بل انا نريد تشجيعها وتنمية وسائلها ونحن في مقدمة من يقدر اهمية الاعمال العظيمة التي عملها الاجانب في مصر مما كان لهُ أثر كبير في كثير من نواحي تقدمها وعمرانها الحديث »

فقلت لمعالي الوزير « وهل ينتظر ان يتم تنفيذ شيء من مشروعات الضرائب قريباً »

فقال « المفروض ان المسألة ممهدة من الوجهة السياسية لان الحكومة سالكة فيها سياسة الاعتدال ومن شأن هذه السياسة ان تؤدي حتماً الى الاتفاق واني استطيع ان اصرح لكم من الآن بانهُ ليس هناك اعتراض على المسائل المتعلقة برسوم الخفر والسيارات والجمارك من حيث المبدأ وان البحث لن يدور الا على الامور التفصيلية الخاصة بكيفية تقدير الرسوم والضرائب وكيفية تطبيقها وضمان نفاذها . وغني عن البيان ان جميع هذه المسائل تحتاج الى وقت لاعداد المباحث المرتبطة بها والانتهاء من الاستشارات والمحادثات المتعلقة بها »

فسألت معاليه عن مشروعات الضرائب الجديدة التي وردت في مذكرته عن المفاوضات المالية وهي ضريبة التمغة وضريبة التركات وضريبة المهن فاجاب « ان هذه مشروعات جديدة درستها وزارة المالية والضريبتان الاوليان مأخوذتان عن نظام الضرائب في بريطانيا العظمى

« وأما ضريبة المهن فمأخوذة عن نظام الضرائب في فرنسا على ان الملحوظ في اعداد هذه المشروعات ان قيمة الضرائب خفضت كثيراً عن مثيلاتها في اوروبا علاوة على ان الاموال التي اعفيت من دفع الضريبة ارفع جداً من نظائرها هناك. ففي انجلترا مثلاً لا يعفى الايراد السنوي الا اذا كان اقل من ١٢٠ جنيهاً في حين ان المشروع المصري يعفي

الايراد من الضرائب لغاية ٥٠٠ جنيه ويعفي التركات من الضرائب لغاية ٥٠٠٠ جنيه

«وعلى كل حال ان عملنا في ما يتعلق بانشاء ضرائب جديدة لن يكون سوى مجرد اعداد مشروعات وتجهيزها حتى اذا عاد البرلمان الى استئناف اعماله عرضت عليه لبحثها واقرارها

واما المسائل التي لا تحتاج الى موافقة البرلمان عليها للشروع في تنفيذها واعني بها مسائل رسوم الحفر والسيارات والجمارك فيشرع في تنفيذها حال الاتفاق على تفاصيلها نهائيًّا»

المستك او الكاوتشوك او الصمغ المرن او المطاط

يحار الكاتب او المترجم باية كلمة من هذه الكلمات يعبر عن مادة اصبحت في ايامنا هذه من اهم المواد الصناعية ومورد من اكبر الموارد التجارية. وحبذا لو اهتم ابناء العرب بضبط الالفاظ المعربة والتي تدعو الضرورة الى تعريبها احياناً ولو من قبيل الاصطلاح والعرف. اما الانكليز فيسمونهُ انديا رابر او كوتشوك وتقول دائرة معارفهم ان هذه الكلمة ربما تكون مشتقة من كلمة كاوتشا او كاوتشو كما يعبر اهالي الاكوادور وبارو عن المطاط والشجر الذي ينتجهُ. ويتكوَّن المطاط من لبن نباتي يستقطر من عدة انواع من الاشجار ونسبة المطاط الى اللبن تختلف باختلاف نوع الشجر والتربة التي ينمو فيها وتتفاوت من عشرين الى خمسين في المئة وهذا اللبن ليس العصارة التي تدور في الشجر وتغذيهِ وتنميهِ وحتى الآن لم يتحقق الناس من وظيفتهِ الحقيقية لان حياة الشجرة لا تتوقف عليهِ اما الاشجار التي تفرز لبن الكوتشوك بكثرة فافضلها نوعان هما: «ابو سيناسيا» «واسكلا ياداسيا» ويستقطر اللبن عادة من قشر الشجر او جذوعها بجزها حزًّا عميقاً يكاد يبلغ خشبها وهذا اللبن النباتي يشبهُ لبن الحيوان وعند ما ينظر اليهِ بالمكرسكوب تبدو فيهِ كريات مستقلة طافية في السائل وهذه الكريات هي التي تتجمع تدريجاً وتتحول الى كاوتشوك ويتسنى تعجيل هذا التحول بوضع اللبن في آلة فرازة كالآلة التي تفرز القشدة من لبن الحيوان ثم تعرض القشدة لدرجة معلومة من الحرارة او تحرك او يضاف اليها بعض الاحماض او بعض المواد القلوية او القابضة فتتخثر وينفصل الكاوتشوك عن المواد الاخرى وقد يجري هذا التفاعل ايضاً تدريجاً اذا عرضت للهواء. واذا اضيف قليل من محلول النشادر او الفورمالين الى اللبن يتسنى حفظهُ مدة طويلة في حالتهِ الطبيعية. اما طبيعة التخثر في هذا اللبن فلم تدرك تماماً حتى الآن. ويعتقد البعض انهُ من قبيل تخثر لبن الحيوان او اشبه بجمود الدم

اكتشف العالم المتمدن الكوتشوك بعيد اكتشاف اميركا فقد لوحظ ان هنود اميركا

الحمر يلعبون بكرة مرنة مطاطة وجد فيما بعد ان لها مزية مسح كتابة قلم الرصاص عن الورق فكان اول استعمال الكوتشوك تجاريًّا لهذه الغاية اذ شرع في صنع مسَّاحات منهُ وهذا ما حدا الانكليز والاميركان الى تسميتهِ « انديا رابر » اي الماساحة الهندية . ولم تكتشف الاشجار التي تنتج الكوتشوك حتى اواسط القرن الثامن عشر ومعظمها بمعرفة الطوافين الفرنسيين . فاكتشف المسيو لاكواندمين طبيعة الشجرة المعروفة الآن باسم « هافيا برازيلينسس » التي استخرج منها كوتشوك بارا الذي كان يرد من اميركا الجنوبية. وبعد ذلك بزمن وجيز اكتشف المسيو فرازنو والمسيو اوبلا الشجرة المعروفة باسم « ادفورياسوس » التي استخرج منها كاوتشوك جويانا

اما الطريقة التي يستعملها اهالي المكسيك وهنود اميركا لاستقطار لبن الكوتشوك فهي طريقة اولية ولكنها لا تزال مستعملة حتى الآن مع قليل من التعديل

كان الكاوتشوك الى عهد قريب لا يستخرج الاَّ من غابات المناطق الاستوائية باميركا الجنوبية واميركا الوسطى ومن شرق افريقية وغربها ومن اسيا من اشجار وعرائش تنمو في الغابات من تلقاء نفسها . ولكن ازدياد الطلب على الكوتشوك الذي نجم عن استعماله لعجلات السيارات والدراجات وادوات اخرى كثيرة حدا الناس الى زيادة السعي لاستخراجهِ وكانت النتيجة ان كثيراً من اشجارهِ وعرائشه ابيدت من سوء الاستعمال وطريقة البذل واتفق ان مساحات كبيرة ولاسيما في جنوبي السودان اصبحت خالية من هذه الاشجار العظيمة الفائدة . فأدى ذلك الى اصدار قوانين وقيود تحصر المواسم والطرق التي يستقطر فيها لبن الكوتشوك وتفرض وجوب زرع عرائش اخرى بدلاً من التي تتلف وفي بعض المناطق لا يصرح استخراج اللبن الاَّ في مدد دورية. على ان هذه التدابير التي تجري الآن في مستعمرات افريقية الفرنسوية والكنغو البلجيكية تقتضي نفقات طائلة لتنفيذها بتعيين حراس ومفتشين لهذه الغاية وما هي الاَّ تمهيدات اولية ربما يتسنى انشاء مزارع خصوصية لشجر الكاوتشوك التي يمكن مراقبتها والتحكم فيها بسهولة

وقد حلَّ بغابات اميركا الجنوبية واميركا الوسطى مثل هذا الاذى فاتلفت اشجار كثيرة جدًّا . وكثيراً ما كان طلاب الكوتشوك يقطعون فروع الاشجار للحصول على كميات وافرة من اللبن نظراً لارتفاع اسعار الكاوتشوك ارتفاعاً عظيماً وادى ذلك الى تشديد المراقبة لصيانة الاشجار من التلف وسوء الاستعمال وشرع في غرس اشجار جديدة في مساحات مترامية الاطراف . ولا يزال الكاوتشوك الناتج من الاشجار البرية

في اميركا اكبر مورد لتجارة العالم وسيظل كذلك عدة سنين اخرى

ان طلب الكاوتشوك قد زاد زيادة عظيمة في اسواق العالم وربما ظلت الزيادة مستمرة نظراً لكثرة الادوات التي تصنع منهُ وقد ادى هذا الى زيادة الاهتمام بزروع شجر الستك وادخاله الى بلدان لم يعرف فيها قبلاً ولا سيما جزيرة سيلان وشبه جزيرة الملاي وارخبيلها حيث ادخلت اشجار كاوتشوك بارا المعروف باسم « هافيا برازيلياسس » ونجحت كلَّ النجاح . وهناك الآن مزارع كثيرة لم يكن لها وجود منذ عشرة او خمسة عشر عاماً تنتج كميات كبيرة من الكاوتشوك الذي يباع في اسواق العالم ويعرف بكاوتشوك المزارع وهو خلاف الكاوتشوك البري . وكثيراً ما يباع كاوتشوك بارا انتاج المزارع باسعار تعادل كاوتشوك باره البرازيلي العال بل كثيراً ما تربي عليها والسبب في ذلك يرجع الى حسن العناية بتحضير الكاوتشوك في مزارع سيلان والملاي واستعمال طرق علمية راقية لتنظيفهِ وتكريرهِ من الادران التي تعلق بهِ عادة ولكن لوحظ ان مزية المط والتملص في الكاوتشوك البري اقوى مما هي في كاوتشوك المزارع ويعزى السبب الى ان الكاوتشوك البري تدخلهُ ادران ومواد غريبة تزيد فيهِ تلك المزية ويذهب البعض الى ان السبب هولان اشجار الغابات اقدم عهداً من اشجار المزارع ويبلغ معظمها من الثلاثين الى الخمسين من العمر . ومعروف أن اشجار كاوتشوك باره التي تنمو في المزارع وتنتج نوعاً واطياً جدًّا من الكاوتشوك اذا استقطر لبنها قبل السنة السادسة او السابعة من عمرها وهناك ادلة عدة على ان نوع الكاوتشوك يحسن كلما تقدمت اشجاره في العمر فينتظر والحالة هذه ان يتحسن نوع كاوتشوك المزارع مع الوقت حتى يبلغ درجة المطاط البري في قوة مغطه (لها بقية) سليم خوري

الدكتور صروف وفن الزراعة

مراقبة السماد الكيماوي

من مقالة في السماد الكيماوي ومراقبة الحكومة افتتحها بقولهِ : —

ان السماد الكيماوي مظنة الغش ويجب ان يكون بين دوائر الحكومة دائرة خاصة بتحليلهِ . . . . وتطبع اوراق تلصق على كل شوال تبين فائدتهُ لنوع الزراعة الفلانية والارض ومايساوي الخ واختتمها بقولهِ فلا بد للحكومة نائبة الامة ان تراقبهُ اشد مراقبة اه وقد تحقق بعض ما اقترح رحمهُ الله باصدار الحكومة لقانون الاسمدة

زراعة القطن

ومن مقالة في زراعة القطن بدأها بذكر قلة محصول القطن في موسم حاضر عن موسم سابق بنحو ٣٠ ٪ او اكثر قال . . . ويظهر لنا ان الاسباب التي تزيد محصول القطن أو تقلله لم يزل اكثرها سراً غامضاً فقد رأينا اطياناً من نوع واحد من التربة او من انواع مختلفة زرعت كلها من نوع واحد من التقاوي المأخوذة من زراعة واحدة فترى عند الزارع الواحد في الحوض الواحد فداناً يقدر محصوله بخمسة قناطير او ستة وفداناً لا يزيد محصوله على قنطارين الاول شجر قطنه قصير كثير الفروع كثير اللوز وقد نضج كله والثاني شجرهُ طويل شديد النمو اخضر الورق غصنهُ قليل اللوز لم يفتح الا القليل من لوزه . والغيط القصير الشجر الكثير اللوز تكون حواشيه في الغالب طويلة الشجر شديدة الخصب قليلة اللوز حتى ان طول بعضها يبلغ مترين وتفرعات اغصانهِ تبلغ نحو ثلثي المتر من كل جهة فتشتبك اغصان الاشجار بعضها ببعض اشتباكاً يمنع المرور لجنيها فما هي الاسباب التي دعت الى هذا الاختلاف العظيم مع تساوي الارض والتقاوي والسماد والخدمة

أيحتمل ان يكون السبب في اوقات الري ومقدار المياه . فان اوقات الري لا يمكن ان تكون واحدة في كل الغيطان ولا في الغيط الواحد لان بعضها يروى في الساعة الاولى من النهار وبعضها في الثانية وبعضها في الثالثة وهلمَّ جرًّا . بعضها يروى نهاراً وبعضها يروى ليلاً . بعضها في ساعة الحر الشديد وبعضها قبل شروق الشمس او بعد غيابها . بعضها يروى وقد تشققت ارضهُ من شدة العطش وبعضها يروى قبل ذلك وبعضها يروى والسماء غائمة والظلال كثيرة على الارض وبعضها يروى والسماء صافية واشعة الشمس محرقة

واوقات الزرع لا يحتمل ان تكون واحدة فالفلاح يضطر ان يزرع اطيانهِ في عدة ايام لا في يوم واحد حسب سعتها وتوفر العمال وماء الري . وقد يجود المبكر اكثر من المتأخر او يجود المتأخر اكثر من المبكر . ورأينا غيطين زرع احدهما قبل الآخر بنحو ثلاثة اسابيع لكن برد الهواء بعد ما زرع فتلف بعض زرعهِ ورُقع مرتين وتأخر كثيراً اما المتأخر فنما سريعاً وسبق المتقدم فجني بكيراً . ولكن جاء محصولهُ ضعيفاً لم يُجنَ من الفدان اكثر من ثلاثة قناطير ونصف قنطار واما المتقدم فتأخر جنيهُ ويقدر محصولهُ بنحو خمسة قناطير (الى ان يقول) فما هي الفواعل الطبيعية التي جعلت المحصول الحاضر في تلك الاطيان اقل من المحصول السابق بنحو ٣٠ ٪ او اكثر وليس هناك دود ورق ولا دود لوز ولا قلة في ماء الري ولا زيادة فيها ولا اهمال في انتقاء التقاوي او خدمة الارض

« الى ان يقول » هذه امور احق بالدَّرس والبحث من كل ما يتعلق بالوراثة وناموس مندل فعسى ان تلقي من اهتمام الباحثين في هذا الموضوع ما هي حقيقة بهِ » اهـ

فهذا بيان بديع لاحدى مشاهداتهِ الزراعية يدل على دقة الملاحظة وقوة الانتباه وسعة الادراك وخصب الالمعية فانهُ بعد بضع سنين من قولهِ في مشاهدته السابقة « ان الاسباب التي تزيد محصول القطن او تقللهُ لم يزل اكثرها سرًّا غامضاً » اتضح ان لاوقات تشريق الارض وطرائقه اثراً مهماً في زيادة محصول القطن او قلته كما فصل في النشرة الفنية رقم ٤٧ من نشرات وزارة الزراعة المصرية

وقد كان اول من وصف النمل الذي يأكل ديدان ورق القطن ولطعها « بيوضانها » وعنهُ اخذت مجلة وزارة الزراعة هذا الوصف

ولمعرفتهِ بندرة المؤلفات والابحاث الزراعية وضيق انتشارها بين الجمهور حتى كاد يكون عدماً كان حريصاً على الاستفادة من كل ما تصل اليهِ يده منها فبينما تراهُ يقتبس ما يناسب اقتباسه الآن من كتب الفلاحة العربية القديمة تراهُ يترجم لنا افيد التجارب الحديثة عن اللغات الاوربية . كذلك كان حريصاً على افادة الزراع بما يناسب طبقاتهم المختلفة سألتهُ مرة عن كتاب زراعي قديم ومحتوياته وكنت اظن انهُ سيسهل عليهِ تعرفهُ ولكن علمت من مجاوبتهِ لي عنهُ انهُ قضى في سبيل ذلك بضع ساعات في الكتبخانة المصرية وكتبت مرة بحثاً زراعيًّا مبنيًّا على احصاآت دقيقة مشروحة باسهاب فاشار علي باختصاره لتكون نتائجهُ العلمية قريبة من متناول الجمهور

ومن ابحاثهِ الزراعية ابحاث في خصب التربة واتقان وسائل الفلاحة وازكاء المزروع حاصلات كانت او فواكه او خضروات واستجلاب البزور الاجنبية وتوطينها وترقية صناعة الالبان وترقية الطيور ومقاومة الحشرات وتحسين الماشية وتأصيلها وتسمينها حتى يجيء كل نوع منها كما يجب ان يكون — ومن ابحاثهِ الاقتصادية المهمة — ارخاء عام لولا الدين — الملك المستأجر — ربط الايجار عيناً — كيف يحفظ سعر القطن — زراعة القطن وزراعة الحبوب — الخ

فعسى ان يقوم قلم تحرير المقتطف باستخلاص اهم هذه الابحاث لاسيما ما تفرَّد المرحوم بوضعهِ او ترجمتهِ او امتاز بتحقيقهِ واجادة تبيينهِ — وتنسيقها ونشرها في كتاب مستقل لتسهيل الاستفادة منها على قراء المقتطف وتعميمها بين غيرهم من جمهور القراء بل بين قراء المقتطف الحدثين وفي مثل هذا العمل تجديد لمجهوداته في خدمة الفنون الزراعية بين النشأة الحديثة

احمد الالفي

مكتبة المقتطف

من الطفولة الى الفتوة

(١) قصص الاطفال — بقلم كامل كيلاني
(٢) اسرار المراهقة بالفتى — تأليف الدكتور شحاشيري

بينما كنت أُجيل النظر في العدد الخاص برسالة « الغفران » من سلسلة «الروائع» الطريفة للاستاذ فؤاد افرام البستاني إذ لفتَ نظري التقديرُ الموجَّهُ الى طبعتها المهذبة التي وقف على نشرها الاستاذ كامل كيلاني صديق ابي العلاء وابن الرومي وغيرهما من أعلام الأدب العربي فجرى على لساني قول حكيم المعرة :

أولو الفضلِ في أوطانهم غُربَاءُ تشذُّ وتنأى عنهمو القُربَاءُ

وهذا من أصدق ما يُقال عن الأديب الغيور المتهم بافساد رسالة « الغفران » جزاء اجتهادهِ وحسن ذوقهِ الأدبي ، كما اتُّهم من قبل الدكتور محمد شرف بك بالجناية على اللغة لاصداره وحيداً ودون مكافأةٍ معجمهُ الطبيّ العلميّ النفيس الذي أبرز فيهِ كنوزها المجهولة بعد عناء وتضحيةٍ اثنى عشر عاماً ، حينما اقتصر كثيرون من الهيئات والافراد على إصدار القرارات ونشر الاماني الطيّبة عن اللغة العلمية واحيائها بغير جهدٍ مثمر.... وما يُقال عنهما يُقال عن كثيرين من المجتهدين والمبدعين والمبتكرين بيننا — اولئك الذين لا نَعرف تقديرَ فضلهم الا بعد فوات الوقت المناسب لاستغلال مواهبهم ، حتى صحّت كلمة الدكتور أنيس أنسي بك عن الفرق ما بين ثقافتنا وثقافة الغربيين عمليـاً واجتماعيًّا : فاولئك لهم « مجامع » شعارها التعاون الفكري والعملي ، ونحن لنا من مجامعنا « مَفَارق » شعارها بثّ الخذلان والأنانية ومحاربة النبوغ ! وأُقسم انهُ لولا هذه « الفردية » المتسلطة على الكثيرين منا خاصةً وعامةً في كلّ شيء لما بقيت حالنا حال المستضعف المغلوب

من أجل هذا شكرتُ للاستاذ فؤاد افرام البستاني رُوحَ الانصاف المتجلّية نحو أديب من أدبائنا المجدّدين القديرين الذين يفهمون من التجديد غير التجريد ويحرصون على تراث الماضي الجليل ، واستبشرتُ خيراً بهذا الروح الجميل الذي يُشعّ من عاصمة لبنان متّسماً بأبهى ما يتّسم بهِ الأدب العربي

وبينما انا مرتاح الى هذا الشعور قرير بهِ إذا بي أُفاجأ بالجزء الاول من تأليف عظيم النفع للاديب كامل كيلاني وأعني بهِ كتابه (قصص للاطفال) الذي نشرت منهُ قصة « السندباد البحري » وستتبعها قصة « علاء الدين » وكثيرات غيرها. فشكرت للقدر هذه الفرصة السانحة لكتابة هذه الكلمة تنويهاً بفضل هـذا الرجل الوديع المتواري، وانصافاً لجهدهِ القيّم، وتقديراً لتأليفهِ الخطير الجديد

لقد كان كامل كيلاني مشغوفاً بافادة المتأدبين الناشئين مهدياً اليهم لزوميات ابي العلاء مشروحة، ورسالة الغفران مهذَّبة محلَّلة، وابن الرومي في تنسيق عصريٍّ مشوّق، ونظراتهِ المقبولة في تاريخ الأدب الأندلسي وغير ذلك، واليوم يُهدي الى الالوف من اطفالنا الحلقة الاولى من حلقات سلسلتهِ القصصية البديعة ليروّضهم على القراءة، ولينمي فيهم ملكة التخيّل، وليقرن كلَّ ذلك بالتهذيب والعظة المفيدة

تقع قصةُ السندباد البحري في ٨٤ صفحة من القطع المتوسط منسَّقة اجمل نسيق ومزدانة بالكثير من الصور في مواضعها المناسبة، ولولا خلوُّها من شكل الحروف ولولا رقة في ورق الطبع لا تناسب الحبر المستعمل لما كان لديّ مأخذ على طبعها. وقد اختارها الناشر حروفاً كبيرة لا تتعب النظر فأحسن الاختيار وان لم تكن الحروف جديدة. وقد قرأت القصة مستمتعاً ولحظت تدقيق المؤلف في اختيار ألفاظهِ الملائمة وهو تدقيق لا بدَّ منهُ في المؤلفات المدرسية على الاخصّ — وقد جرى قلمي بكلمة « المدرسية » وإن كنت لا اعرف اذا كان مثل هذا الكتاب سيُقبَل عليهِ في المدارس، ولكنهُ حقيقٌ بذلك من وجوه شتّى

ولن يشقَّ على الناقد المنصف عند مقارنة هـذه القصة المستخرجة من (ألف ليلة وليلة) بنظائرها في اللغة الانجليزية أن يعترف للكاتب بمهارة التأليف وتمكّنهُ منهُ تمكّناً تامًّا. وقـد كان كامل كيلاني والداً قبل أن يكون مؤلفاً قصصاً للأطفال، ولذلك بثَّ في تأليفهِ رُوحَ الابوّة والشّغفَ بتهذيب ولده، وكان خيرَ من يؤلّف في هذا الباب وكلُّ والدٍ منا يقدّر له هذا الجميل ويشعر بأن هذا عملٌ تهذيبي عظيم لا يقلّ في القدر عن اعماله الأدبية الأخرى إن لم يكن اعظم منها

بقي لي ان أؤمل من حضرة المؤلف أن يعتمد في جانب من قصصهِ المقبلة على الأساطير المصرية القديمة ليجمع بين المتعة الروائية والفائدة التهذيبية وتحبيب التاريخ القومي وأساطيره الى أطفالنا الناشئين. ولستُ ادري تماماً أأصاب المؤلّف أم أخطأ بعدم التغيير في بعض مواقف قصتهِ الأولى حيث يظهر حُبُّ الرغبة في الحياة (عند ما كان

السندباد مدفوناً في الجبّ) داعياً الى الاجرام نحو كل لاحق بهِ ليستخلص منهُ غذاءه لنفسهِ . صحيحٌ ان هذا هو ماينتظر حدوثهُ في الحياة غالباً تبعاً للطبيعة البشرية الأصلية ولكن الغرض الاسمى من الكتب التهذيبية ليس شرح الحياة وحده بل الدعوة الى مثل أعلى . فهذه إذن مسألة تقديرية لا أريد أن أحكم عليها حكماً جازماً وان كنت أودّ لو ان المؤلف الفاضل جعل نجاة السندباد واطالة حياتهِ متوقفتين على محاسن الاتفاق ولا صلة لهما بأي تحايل اجرامي

وصفوة القول ان الاستاذ كامل كيلاني قد أقدم على مشروع تهذيبي عظيم لاطفالنا فوجب علينا شكره قولاً وعملاً . ولعلَّ كتبهُ تنال من الذيوع في البيئات المدرسية ما يستحقهُ اخلاصهُ ومجهودُه حتى يُشجّعهُ ذلك على المضيّ في عمله النافع الذي سدَّ بهِ فراغاً محسوساً في مكتبة الاطفال

***

ولكن متى أصبح الطفل فتىً وأشرف على سن المراهقة فنحن لا نستطيع أن نقدم اليهِ بالعربية كتاباً هادياً بكياسة الى أسرار هذا الدَّور من حياتهِ المحفوف بالمزالق والأخطار الصحية والأدبية وهذا نقص معيب في المكتبة العربية لفتياننا حاول أن يتلافاه الدكتور شخاشيري بكتابهِ (أسرار المراهقة بالفتى) وهو قرين كتابهِ (اسرار المراهقة في الفتاة) الذي تكلّمتُ عنهُ في « مقتطف » مارس ، فكان الدكتور موفّقاً في وضع كلا الكتابين بأسلوبهِ القصصي السهل . تقرأ هذا الكتاب على الاخص فلا تجد عائقاً فنيًّا يقف في سبيلك وفي كل سطر من سطوره تتجلى روح الاخلاص لشباب الامة والعطف الحار عليهم والرغبة الصادقة في الاخذ بأيديهم وهدايتهم الى طريق الشرف والرجولة الكاملة . وقد أجاد المؤلف بصفة خاصة في الحديثين الخامس والسادس في كلامهِ عن الامراض الزّهرية وكان الفيلسوف الاجتماعيَّ كما كان الطبيب الحكيم والوالد المرشد والصديق الحميم . ومما راقني من حواره قوله « ان كثرة التهتك والخلاعة اذا لم تهبّ الحكومات الى ملافاتها وإطفاء جذوتها أحدثت ضرراً مفجعاً في أهم أركانهِ (يعني التمدين المصري) وكانت السبب الاكبر في انحطاطهِ وفنائهِ كما جرى لامم في العصور الخالية كالرومان فانهم سقطوا من أوج عظمتهم ودبّ فيهم الانحلال بسبب انغماسهم في الملذات الحيوانية . كذلك أصاب الكلدانيين والاشوريين وأصاب العرب في الاجيال الوسطى » . وبودي عند ما يعيد حضرة المؤلف طبع هذا الكتاب (ولا بد أن يكون لمثل هذا الكتاب طبعات) أن يتوسع قليلاً في سبك أسلوب الحوار بدل الاقتضاب. وقد

يعد بعض القراء ذلك من اللغو والحشو على حين انهُ من التهذيب الفني للكتابة ليظهر الحوار طبيعيًّا في جملتهِ وتفصيله وليكون له بذلك التأثير النفساني المنشود . فأكرر الشكر للدكتور شخاشيري على ما يتحف بهِ ابناء العربية من زكاة علمه وأدبه ونبله

احمد زكي ابو شادي

المساكين

تأليف مصطفى صادق الرافعي — صفحاته ٢٨٧ — طبع بمطبعة المصور — ثمنه ١٠ غروش صاغ

اذا قرأت الرافعيَّ في « تاريخ آداب العرب » و« اعجاز القرآن » و« شعر البارودي » و« شعرِ صبري » و« الشعر العربي في خمسين سنة » رأيتهُ فيها مؤرخاً دقيق البحث ، وراوية فيّاضاً لا يكتفي بنقل الروايات بل يعنى بموازنتها وبتحكيم العقل في تمييز صحيحها من فاسدها ، وناقداً لهُ من صفاءِ الحسِّ ودقة الشعور ومعرفتهِ بآداب العرب معرفة قلَّ من يجاريهِ فيها ما يجعل لرأيهِ قيمة خاصة هـذه المباحث . واذا قرأتهُ في كتاب « المساكين » وما هو مثلهُ « كرسائل الاحزان » و « السحاب الاحمر » رأيتهُ شاعراً يحلّق بخياله وحكيماً بعيد الغور في تأملهِ وحكمتهِ . وهو في كلا الحالين كاتب في الطبقة الاولى بين كتاب العربية السابقين والمعاصرين بل بقية من بقايا الادب العربي في ازهى عصورهِ . اذ قد اجتمع لهُ في نثره صفاء الديباجة ومتانة التركيب وجزالة الالفاظ مطبوعة كلها بطابع شخصيّ لا تستطيع الاَّ ان تتميز الرافعي في كل تعبير من تعابيرهِ ثم من بعد ذلك مسح الاسلوب بمسحة من موسيقى الالفاظ والتركيب تهز اوتار النفس وتسمو بها

واذا لم يكن لهُ في هذا الكتاب الاَّ وصف « الشيخ عليّ » الذي اجرى على لسانهِ آراءهُ في شؤون الحياة المختلفة « ووصف الحرب » وفي وحي الروح لكفتهُ آية في الادب . ولكن كلَّ فصل من فصول الكتاب يشتمل على حكمة وادب في بيان صاف وبلاغة نادرة

قال: «وكأنهُ (اي الشيخ علي) جزيرة قائمة في بحر لا يحبط بهِ الماء فلا صلة بينهما في المادة وان كانت هي فيهِ . فالناس كما هم وهو كما هو . يرونهُ من جفوة الزمان اضعف من ان يصاب بأذى ويرى نفسهُ من دهره اقوى من ان يصيب بأذى . ويتحاشونهُ رأفة ورحمة ويتحاماهم انفة واستغناء ثم ان مسهُ الاذى من رقيع او سقيط احسن الى الفضيلة بنسيان من اساء اليهِ . . . . وهو والدنيا حكمان في ميدان الحياة غير ان امرهما مختلف جدًّا فلم تقهره الدنيا لانهُ لم يطمح اليها ولم يقع فيها وقهرها هو لانها لم تظفر بهِ . . . . . . وماذا في السعادة اهنأ من ان توقى شرَّ هذه السعادة فلا تتطلع نفسك اليها ولا ينالك الا

ما تحبُّ ان ينالك . فانت بعد وادعٌ قارٌّ آمنٌ في سربك معافى في بدنك، خارج من سلطان ما بينك وبين الناس من خلق مستبد او رغبة ظالمة او صلة عاتية ولا حكم عليك الاَّ لمالك الملك. ولم يفتق الله لك من فنون اللذات ما ينغصّهُ عليك ولا ضرب منك مثلاً ولا نصَّ لك عقاباً ولا جعلك مرآة عدوّ يصالح فيها نفسهُ ولا نصبك لمجاراة او مباراة . . . . وانت اذا سطعت لهُ (اي للشيخ علي) بالجوهرة الكريمة النادرة فلا يعدو ان يراها حصاة جميلة تتألق . وان هولت عليها بالوان الخزّ والديباج حسبك مائقاً لا ترَ قط نضارة البرسيم والوان الربيع . . » وهكذا

حبذا الحال لو اتسع امامنا مجال هذا الباب لاثبات العبارات الرائعة في مبناها ومعناها مما تقع عليهِ في كل فصل من فصول الكتاب بل في كل صفحة من صفحاتهِ. ولكن قرّاء المقتطف اطلعوا على ثلاث رسائل منها نشرناها في المقتطف هي : « وحي الروح » في مقتطف دسمبر الماضي ورسالة « امن عصر العقل الى عصر القلب» في مقتطف يناير ٢٩ والثالثة « اؤمن بالدين » في مقتطف فبراير ١٩٢٩ وقد رفع الكتاب الى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظَّم في كلمة بليغة اليك بعض ما جاء فيها . «فمن أعمالك عرفنا ان خير ملوكِ النيلِ من أضاف الى خِصْب هذه الارض خِصْب إنسانيها وخصب تاريخها ، فعرف كيف يحفظ لها الطبعَ المُثمِر، وكيف يهيِّئ لها الشعبَ المثمر، وكيف يخرج فيها الزمن المثمر»

فرنسا وسوريا

تأليف حنا خباز — طبع بمطبعة علم الدين — صفحاته ٢٣١ قطع صغير

ليست السياسة من المباحث التي يتناولها المقتطف . ولكنَّ الكاتب يستطيع ان يتناول الموضوع السياسي ويعالجهُ معالجة تاريخية عمرانية فيكون كتابهُ من الموضوعات التي تعنى بها مجلة كالمقتطف لا تعنى عادة بالمباحث السياسية . ومن هذا القبيل كل الكتب التي كتبت في تاريخ الحرب الكبرى ومذكرات رجال السياسة امثال تشرتشل وهوس ولودندورف وبوانكاري وامثالهم . والكتاب الذي بين ايدينا ليس مذكرات شخصية ولكنهُ مبني على الوثائق والمكاتبات الرسمية التي نُشرت في الصحف . والجزء من هذا الكتاب يتناول الاسباب العامة التي حملت سورية على محاربة فرنسا وفيهِ تفصيل لسياسة فرنسا في الشرق. ورائدهُ في وضعهِ قول ابن المقفع «اذا اردت ان يقبل منك الرأي فلا تشعرنهُ بشيء من الهوى لانك ان جرّدتهُ عن الهوى قبلهُ منك العدو . وان انت اشعرتهُ بشيء من الهوى ردّهُ عليك الوالد »

وقال ان مبادئهُ التي يجري عليها في معالجة هذا الموضوع هي : انصاف الخصوم . تقديس الانظلام . استقلال الحق عن القوة رسميًّا وسرمديًّا. حب اوربا عموماً وفرنسا خصوصاً. احتقار الانتقام وكره سيف النقمة. عدم تحريك القلم لجرّ مغنم ولا لدفع مغرم الاّ ماكان لخير بني الانسانية.فالكتاب حري بان يطالعهُ كل مهتم بشؤون السياسة السورية

دعوة الاطباء

هذه رسالة طبية فلسفية وضعها ابن بطلان الطبيب البغدادي من اطباء القرن الخامس الهجري وجرى فيها مجرى التهكم في تبيين اعمال الدجالين واقوالهم نقلها الى الفرنسية الدكتور محمود صدقي بك طبيب السجون بمصر سابقاً والعضو في جمعية البحث ضد السلّ بباريس. وليست هذه المرة الاولى التي يعنى فيها الدكتور صدقي بموضوع « الطب العربي القديم » فانهُ نشر سنة ١٩٠٩ رسالة في الطب العربي والقواعد الصحية الاسلامية لخص فيها معارف العرب العلمية والطبية واثرها في التاريخ . والرسالة التي نحن بصددها الآن مزدانة بصور كثيرة وقد تفضل صاحبها فاعارنا الصور الاربع المنشورة امام الصفحة ٤٠٥

المناهل

في اللغة العربية فكاهات واساطير وامثال معظمها غير مدوَّن تتناقلها الالسن مستشهدة بها في ايضاح حوادث الايام فيطرب لها خاصة الناس وعامتهم ويعجبون بما تنطوي عليهِ من حكمٍ وعظات . هذه النكات هي قسم من آداب اللغة العربية تسرَّب اليها من مصادر مختلفة . وقد اشتهر الاستاذ جرجس الخوري المقدسي احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية بجمعها والتفنن في ايرادها وتطبيق مغازيها على احوال الحياة مستخرجاً منها العبر والعظات . ولما رغب اليهِ جمهور من مريديهِ والمعجبين بهِ في جمعها وطبعها فعل ذلك في كتاب دعاهُ « المناهل » بين ايدينا الجزء الاول منهُ وهو جدير بان يطالعهُ الكبار والاحداث على السواءِ وحبذا لو اتسع مجال هذا الباب لا يراد بضعة مختارات منهُ

من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام

للاستاذ بندلي جوزي المدرس بجامعة باكو

اخرج الاستاذ خليل سكاكيني الجزء الاول من كتاب جديد في تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام للاستاذ بندلي جوزي من حملة الدكتوراه العربية والاستاذ في جامعة باكو وقد اقتصر فيهِ على تاريخ الحركات الاجتماعية

وقد اراد المؤلف من وضع كتابهِ « ان يثبت ان تاريخ الشرق وحياته الاجتماعية وعقلية شعوبهِ على الاطلاق والشعوب الاسلامية على الاخص تخضع لنفس النواميس والعوامل التي تخضع لها حياة وتاريخ الامم الغربية » . ولكن يظهر ان النزعة التي تسود الجزء الاول من هذا البحث متأثرة جدًّا بالاحوال الاجتماعية في البلاد التي يعيش فيها الاستاذ فقد اهتم ان يثبت في كتابهِ ان الاسلام ليس فكرة دينية محضة وانما هي فكرة سياسية اقتصادية استلزمتها الاحوال الاجتماعية التي كانت سائرة اذ ذاك في جزيرة العرب. فان اختلاف الطبقات وارهاق الفقراء والمساكين ادى الى ظهور الاسلام ليعالج مشكلة الطبقات للتوفيق بين « مصالح الغني والفقير، السري والصعلوك، اصحاب المعامل والاراضي الواسعة والعمال والفلاحين »

حتى الفرق التي نشأت في الاسلام والتي اجمع الباحثون على ان السبب الرئيسي لها والاساسي لكثير منها انما هي في نظر الاستاذ بندلي نتيجة الكفاح بين الاغنياء والصعاليك. وتظهر روح الاستاذ جلية في الاهداء فهو يقدم كتابهُ الى « الشبيبة العربية الناهضة الذين حرروا عقولهم من تأثير الخرافات الاجتماعية والدينية والقومية »

على اننا وان كنا لا نوافق الاستاذ على كثير من آرائهِ التي ابداها في المسائل الاسلامية وفي بيان مرامي الآيات القرآنية والتشريع الاسلامي الا اننا ننظر الى مجهودهِ بعين التقدير شاكرين للاستاذ خليل سكاكيني خدماته المستمرة في سبيل لغة العرب مما استحق منهُ تقدير الناطقين بالضاد الذين شرعوا يعدون المعدات للاحتفاء بهِ

فجر الاسلام

الجزء الاول في الحياة العقلية للاستاذ احمد امين المدرس بالجامعة المصرية

من بين الثمرات الناضجة التي انتجها مجهود لجنة التأليف والترجمة والنشر في العام الماضي كتاب فجر الاسلام الذي اشترك في وضعهِ الادباء المجددون الدكتور طه حسين والاستاذ احمد امين والاستاذ عبد الحميد العبادي . اما الجزء الاول من البحث وهو الخاص بدرس الحالة العقلية في صدر الاسلام فقد اختص بهِ الاستاذ احمد امين ولكنهُ قرأ كتابهُ مع زميليهِ واقراهُ عليهِ كما اقرهُ هو فثلاثتهم متضامنون فيهِ تضامنهم في الجزئين الآخرين الذين يبحثان في الحالة السياسية والادبية للعرب واللذين لم ينشرا بعد

***

درس الاستاذ احمد امين الحياة العقلية وتولى « تحليل هذه الحياة تحليلاً ليس اقل

دقة واستقصاء من تحليل صاحب الكيمياء في عمله» كما يقول الدكتور طه حسين احد زملائه وانهُ اخذ يرد هذه الحياة العقلية العربية ما استطاع الى عناصرها المختلفة المكوّنة لها وبان يعرف الى اي حد امتزجت هذه العناصر وتداخلت »

ففي الباب الاول يتكلم على العرب في الجاهلية واتصالهم بمن جاورهم من الامم وحياتهم العقلية واثر البيئة الطبيعية والاجتماعية في تكوينها ومظاهر هذه الحياة ودلالة اللغة العربية والشعر والامثال والقصص على تلك المظاهر

ثم يحدثك في الباب الثاني عن الاسلام ومعناهُ وتأثر العرب بهِ والنزاع بين الاسلام والجاهلية وآثار الفتح الاسلامي والاختلاط الذي نشأ منهُ بين الامم والشعوب

وتتعرف آثار الفرس واليونان والرومان والسبب في تأثر العرب بالادب الفارسي اكثر من غيرهِ وفعل فلسفة اليونان وادبهم وادب الرومان في البابين الثالث والرابع

حتى اذا جئت الى الباب الخامس رأيت وصفاً للحركة العلمية ومراكزها والمؤثرات فيها تنتقل منهُ في الباب السادس الى الكلام على القرآن الكريم وتفسيره والحديث واثر ذلك كله في التشريع فهو يفصل لك الحياة الدينية تفصيلاً ينتهي بك في الفصل الاخير الى الفرق الاسلامية وكيف كانت الخلافة اساس الكثير منها وسبب اختلافها وتعاليمها

مجهود جبار ذلك الذي قام بهِ الاستاذ احمد امين يعاونهُ زميلاهُ طه حسين وعبد الحميد العبادي وهو ثمرة شهية ناضجة نرجو ان يكون منها خير كثير

ونحب ان نلفت انظار الكتاب الافاضل الى ان مجهوداً كبيراً كهذا يجب ان يتنزهُ عن عدم الدقة في رواية بعض آيات القرآن الكريم على ان هذا الذي حدث قليل لا يضعف من قيمة هذا المجهود المشكور

تاريخ الحركة القومية

وتطور نظام الحكم في مصر

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

لكل امة صفحة من الحياة القومية تحتوي تاريخ الجهود التي بذلتها والآلام التي عانتها في سبيل حريتها واستقلالها

تلك الصفحة اول ما تعنى كل امة بتدوينهِ ففيها ذكريات الجهاد الماضي وعبر الجهاد الحاضر، وعظات الجهاد المستقبل، فيها بيان لنصيب الاجيال المتعاقبة في اداء الامانة القومية، تلك الامانة المقدسة وديعة السلف للخلف ووصية الآباء للابناء

هذه هي المقدمة التي افتتح بها الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك الجزء الاول من كتابهِ عن تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر وهو سفر جليل اضافهُ الاستاذ عبد الرحمن بك الى سلسلة الكتب الجليلة التي اخرجها لبلاده فجاءت جنباً الى جنب مع مجهوده السياسي في سبيلها دليلاً ناصعاً على ما يمكن الوطني المخلص ان يؤديهِ لبلادهِ من جليل الاعمال

والحركات القومية في الامم تقترن دائماً باسماء اعلام يرجع اليهم كثير من فضل الجهاد في سبيل امهم ويعرف لهم التاريخ قدرهم . ومصر كغيرها من البلاد لها في المجاهدين في سبيل رفعتها اسوة حسنة ومثل يضربهُ الخلف للسلف ولا نعتقد ان منصفاً يستطيع ان يذكر الحركة الاخيرة دون ان يشير فيها الى امين وعبد الرحمن الرافعي

فمن نشأتهما كانا في طليعة العاملين لخدمة البلاد . عاش امين حياتهُ لبلاده حتى سقط في ساحة الجهاد في ٢٩ دیسمبر ١٩٢٧ ففقدت مصر بهِ ابناً باراً وصديقاً مخلصاً

وما حال الحول على وفاتهِ حتى تقدم اخوه عبد الرحمن الى الامة التي قضى امين في سبيلها بسجل نافع لتاريخ الحركة القومية فكان خير ذكرى لخير مجاهد راحل

في ما ينوف على اربعمائة صفحة تقدم عبد الرحمن للبلاد ببيان لدفاعها في سبيل حريتها ابان الثورة الفرنسية وحدها ويكفي في بيان المجهود الذي بذله في سبيل جمعها ان ترجع الى الفصل التاسع عشر من الكتاب الذي يبين مراجع البحث والمصادر الأصلية التي بحث فيها المؤلف ليجمع بياناتهِ فيجدها تملأ ٢٤ صحيفة كاملة

فمن نظام الحكم في عهد المماليك الى نظامهِ في عهد الحملة الفرنسية الى نظم الحكم التي اسسها نابليون في مصر ومجهود مجمع العلماءِ الفرنسي الى المقاومة الاهلية في عهد الحملة وفي كل بقعة من بقاع القطر منفصلة — كل ذلك يشرحهُ المؤلف مؤيداً بالوثائق التاريخية

فهذا الكتاب النافع خير سجل اخرج لتبيان هذه الوقائع وشرحها والجهود التي بذلتها الامة في سبيل تحرير مصر من النير الاجنبي وفك قيود الاستبداد عنها وتقرير قيود حقوق الشعب السياسية

واذا كان البحث في الحملة الفرنسية استغرق هذا المجهود الكبير من الاستاذ عبد الرحمن بك فانا نرجو ان يوفق الى بذل مجهود مماثل في الادوار التي تلت دورها الى عصرنا الحاضر فان البلاد احوج ما تكون الى معرفة تاريخها القومي وهو ما ينقصنا نقصاً فاحشاً

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وغير ذلك من تدبيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطعام والسن

يقسم عمر الانسان من حيث اعتمادهُ على الطعام الى ثلاثة اقسام سن النمو وهو من الولادة الى السنة الخامسة والعشرين . وسن الثبات وقلما يثبت على حالة واحدة وهو من السنة الخامسة والعشرين الى الخامسة والستين . وسن الانحلال وهو من الخامسة والستين الى التسعين وقد يطلق على ذلك سن الحداثة وسن الكهولة وسن الشيخوخة

ويقال بنوع عام ان مقدار الطعام يجب ان يكون مناسباً لثقل الانسان وان يقلّ تدريجاً بتقدمهِ في السن فيكون كثيراً في الحداثة ومتوسطاً في الكهولة وقليلاً في الشيخوخة. فالحدث من طفوليتهِ الى ان ينتهي سن نموهِ محتاج الى كثير من الطعام ويجب ان يكون طعامهُ جيداً وان يتناولهُ في اوقات معينة . والكهل يجب ان يعتدل في طعامهِ ولا يأكل كل ما تحبب نفسهُ اليهِ اكلهُ ويكتفي بما يغذيهِ ويستطيع هضمهُ بسهولة. وطعام الشيخ يجب ان يكون اقل من طعام الكهل وابسط حتى اذا طعن في السن عاد كطعام الطفل

الطعام في الحداثة

يقسم هذا السن الى ثلاثة اقسام الطفولية والصبوة والشبيبة والطفولية اهمها من حيث تدبير الطعام ولو اغضي عنهُ فيها غالباً ولاسيما في اشهر السنة الاولى بعد الولادة. فان اربعة اخماس الاطفال الذين يموتون في هذا السن سببُ موتهم الطعام لان الذين يربونهم يحسبونهم قادرين على هضم الاطعمة النباتية كالخبز والنشا كأنها اذا كانت لينة لا تحتاج الى مضغ فلا يبخلون عليهم بها وهذا خطاء فان الطفل لا يستطيع ان يهضم المواد النشوية مهما كان نوعها . والطعام الوحيد الصالح لهُ هو اللبن لبن امهِ ان امكن والا فلبن مرضع مثل امهِ او لبن بقرة صحيحة .واما الاطعمة النشوية فتكون كالسم لهُ لان المادة التي تحوّل النشا الى سكّر وتجعلهُ صالحاً للهضم لا تتكوَّن في جسمهِ الاَّ بعد ان يبلغ الشهر السادس من عمرهِ

فاذا بلغ هذا السن جاز ان يضاف الى اللبن الذي يرضعهُ قليل من الاطعمة النشوية كالارورُوط مطبوخاً بالسكر او بمرق اللحم

ثم ان الطفل كثير الاكل بالنسبة الى جسمهِ فكل الف درهم منهُ تحتاج الى ثلاثة دراهم من الطعام الحيواني الذي في اللبن وكل الف درهم من جسم البالغ تحتاج الى درهم ونصف درهم فقط من الطعام الحيواني. ويُقتصر على اطعام الطفل خبزاً ولبناً وبيضاً وارزاً وخضراً وقليلاً من اللحم والسمك الى ان يصير عمرهُ اربع سنوات

ومن المعلوم ان نمو الطفل بعد ذلك لا يجري على نسق واحد فاحياناً تمضي السنة كلها ولا يظهر انهُ نما شيئاً يذكر واحياناً يزيد جسمهُ في بضعة اشهر ما لا يزيدهُ في بضع سنين فيتعذَّر على الوالدين ان يعرفا مقدار ما يحتاج اليهِ من الطعام ولذلك يترك حتى يأكل كل ما يستطيع اكلهُ ولكن يشترط في طعامهِ ان يكون صحيحاً مغذياً وان يقدم لهُ في اوقات محدودة الساعة السابعة صباحاً والساعة الثانية عشرة ظهراً والرابعة عصراً والسابعة مساء او ما يقرب من ذلك

ففي الصباح يأكل الخبز واللبن والبيض او الخبز والزبدة والمربى وفي الظهر الخضر مطبوخة باللحم مع الخبز والاثمار الناضجة او المطبوخة . وفي العصر الخبز والزبدة والمربى وفي المساء الشوربا والخبز واللبن وما يشبه ذلك من الطعام السخن

ولا يحسن ان يطعم الصغار في هذا السن من طعام البالغين ولا يغصبوا على اكل ما يكرهونهُ . اما الفاكهة فيجب ان تكون ناضجة والاطايب يكتفى منها باسهل الهضم كالنشا المحلى بالسكر. واذا جاع الطفل بين طعام وطعام يعطى كسرة خبز وكاساً من اللبن. ولا بدَّ من تنويع الاكل والاَّ عافهُ الطفل كما يعافهُ البالغ . واصح الاطعمة واجودها يصير سمًّا قاتلاً اذا تكرر يوماً بعد يوم حتى عافتهُ النفس

واذا كبر الطفل وبلغ سن الصبوَّة يقلل طعام العصر ويزاد طعام المساء حتى يصير عشاء صحيحاً

الطعام في سن الكهولة

ولا يخفى ان الطعام الذي يشبع الانسان جيداً لا يهضم عادة في اقل من ثلاث ساعات او اربع ولا بدَّ من ان تراح المعدة بعد ذلك ساعة او ساعتين قبل ادخال طعام آخر وهذا يجعل الفترة بين طعام وطعام خمس ساعات اوستاً ويجب ان تكون كذلك من سن البلوغ فما فوق لا كما كانت في الطفولة

والناس يختلفون فيما يأكلونهُ صباحاً . ويختلفون في أكل معظم طعامهم ظهراً او مساء

ويجب ان يعتبر في ذلك نوع العمل فاصحاب الاعمال العقلية يحسن بهم ان يكتفوا بالطعام الخفيف اللطيف صباحاً وظهراً ويأكلوا الطعام الكثير المغذي مساء اي ان يخففوا الفطور والغداء ويثقلوا العشاء . واصحاب الاعمال البدنية والذين يروضون اجسامهم رياضة كافية يحسن بهم ان يثقلوا الفطور والغداء ايضاً ويخففوا العشاء. ولا بدَّ من الراحة جسداً وعقلاً بعد الطعام الثقيل ولو ساعة من الزمان .وكلما زاد الشغل العقلي بعد الاكل وقل العمل الجسدي وجب ان يكون الطعام خفيفاً فاذا كان لا بدَّ من متابعة الاشغال العقلية بعد الغداء وجب ان يكون خفيفاً لطيفاً ما امكن ومعلوم ان القويَّ البنية الخالي من كل مرض لا يعبأ بهذه القواعد ولا يرى بأساً ثقُل طعامهُ او خفَّ ولكن ليس كل الناس على حدّ سوى في قوة الابدان وجودة الصحة ولا هم على حالٍ واحدة دائماً والحكيم من يفرِط ولا يفرّط

وقد اشار كثيرون من الاطباء والحكماء بالاقتصار على الاكل مرة واحدة كما قال الشيخ الرئيس

اجعل طعامك كل يوم مرةً واحذرْ طعاماً قبل هضم طعامِ

لكن هذه القاعدة لا تراعى الآن الا نادراً والمرجح انها ليست خيراً من القاعدة المتبعة عموماً وهي تناول الطعام ثلاث دفعات في النهار

فاذا فضل المرء تكثير الاكل صباحاً كما يفعل الانكليز وجب ان يجعل طعامهُ من اللبن والقهوة والشاي والخبز والزبدة والبيض واللحم مع قليل من المربيات والاَّ فحسبهُ القليل من الخبز واللبن والقهوة كما يفعل الفرنسيون . وقد وجد الذين يقدرون قوة الانسان قدرها ان قوة العامل الانكليزي تزيد على قوة العامل الفرنسوي نحو مائة طن قدمية اي ما يرفع مائة طن قدماً واحداً او ما يرفع طناً واحداً مئة قدم وذلك من اكله الطعام الكثير المقوي صباحاً

هذا من حيث طعام الفطور اي طعام الصباح أما الغداء اي طعام الظهر فالاكتفاء بالقليل منهُ كما يفعل اصحاب الاشغال الكثيرة ليس من الحكمة ولو اعتادوا ذلك ولم يروا منهُ ضرراً . ويحسن بالمرءِ ان يأكل في غدائهِ ما يأكل الصغير في عشائهِ قليلاً من اللحم مع الخبز والجبن . واذا كان الغداء كافياً وجب ان يكون العشاء خفيفاً والاَّ فتزاد الوانهُ حسب الطاقة . والعادة المتبعة عند اكثر الاواسط والموسرين وهي اكل الشوربا اولاً في العشاء ثم السمك فاللحم فالحلوى فالجبن والفاكهة عادة دلَّ الاختبار على انها حسنة لمن يستطيع الجري عليها . ولا يحسن بالانسان ان يترك اعمالهُ ويبادر عشاءهُ حالاً بعدها بل يجب عليهِ ان يتمهل ساعة من الزمان يستريح فيها او يروّض جسمهُ رياضة خفيفة بالمشي ونحوه

ومما يجب الانتباه له ان قلال الحركة اقل احتياجاً إلى الطعام اللحمي من غيرهم فاذا اكثروا من اكل اللحم ابتلوا بضعف الهضم واصابهم داء النقرس الاليم . والمشتغلون بالاشغال العقلية اقل حاجة الى الاطعمة اللحمية من جميع الناس ولكنهم يكثرون منها اكثر من غيرهم . اما الذين يعملون الاعمال البدنية الشاقة فهم احوج الى الاطعمة اللحمية منهم الى الاطعمة النباتية

وعلى الكهل ان يجتهد ليبقى وزن جسمهِ على حاله لا يزيد ولا ينقص او لتكن الزيادة او النقصان ضمن حد محدود لا يتجاوز ثلاث اقات.واذا اراد احد ان يسمن قليلاً فليزد من اكل النشا والسكر . ويقال ان اكل عشرة دراهم من السكر كل يوم يزيد ثقل الجسم خمس اقات في السنة. واذا اراد الانسان ان يقل سمنهُ وجب عليهِ ان يقلل طعامهُ رويداً رويداً حتى يجعلهُ نصف ماكان فينقطع عن الاطعمة النشوية والسكرية والدهنية ويزيد الاطعمة اللحمية الربع او النصف . وقد زعم البعض ان الاقلال من شرب الماء واكل الاطعمة السائلة ينحف الجسم وليس الامر كذلك ولا الاكثار من شرب الماء يسمّن

الطعام في الشيخوخة

بقي علينا ان نتكلم على طعام الشيوخ وهو موضوع هامٌ جدًّا ولاسيما لانهُ قلَّ من يلتفت اليهِ بما يستحقهُ من الاهتمام

ولا شبهة ان كثيرين من الناس عمّروا عمراً طويلاً في بلدان مختلفة وعلى انواع وضروب شتى من الطعام من كسر الخبز الجاف والماء القراح الى انواع اللحوم والخمور التي لا تكون الا على موائد الملوك والعظماء . لكن من يبحث في هذا الموضوع بحثاً مدققاً ويستقري احوال الناس يجد ان اكثر الشيوخ الذين عمروا طويلاً كانوا يقتصرون في طعامهم على القليل البسيط بالنسبة الى ماكانوا يأكلون وهم شبّان وكهول . وكلما تقدموا في السن زاد طعامهم قلة وبساطة حتى صار كطعام الاطفال

وقد استقرى بعضهم احوال ثمانمائة شيخ ماتوا مناهزين الثمانين فوجد ان ٤٨٠ منهم من المعتدلين في طعامهم وشرابهم و٢٤٠ من قليلي الطعام والشراب و٨٠ فقط من الذين يكثرون الطعام . ومفاد ذلك ان تقليل طعام الشيخ بتقدمهِ في السن هو القاعدة المرعية ولا عبرة بالشذوذ

هذا من جهة مقدار الطعام ويقال في كيفيتهِ مايقال في مقدارهِ فقد يظن في اول وهلة ان طعام الشيخ يجب ان يكون كثير الغذاء فتوضع في فيهِ الاسنان الكاذبة ويطعم اللحوم التي لا تهضمها الاَّ المعد القوية وينتظر منهُ ان يهضم طعامهُ كما يهضمهُ الشاب.وهذا خطاء فاحش

فاذا كان الشيخ قوي البنية وكان لم يزل في الستين او السبعين من عمره وجب ان يكون اعتماده على الطعام النشائي والدهني مع قليل من اللحم واذا طعن في السن وجب ان يعود الى طعام الصغار كالخبز واللبن والعسل مع قليل من الزبدة وليتناول طعامهُ في اوقات محدودة ولا تكن الفترة بين طعام وطعام اكثر من اربع ساعات . واذا سمن وزاد ثقلهُ يوماً بعد يوم فليقلل طعامهُ ما لم تكن هذه الزيادة مرضية

ولا بدَّ من ان يكون طعام الشيخ سخناً او فاتراً ويحسن بهِ ان يأكل قليلاً في الليل ايضاً فيشرب كاساً من اللبن الفاتر مع قطعة من البسكوت او ما اشبه . واذا زاد تقدُّمهُ في السن حسُن بهِ ان ينام قليلاً بعد الفطور والغذاء وقبل العشاء

وجملة القول ان الطعام في سن النمو يجب ان يكون كثيراً غير محدود . وفي سن الكهولة يجب ان يكون محدوداً معتدلاً في مقدارهِ وكيفيتهِ بحيث لا يزيد بهِ ثقل الجسم . وفي سن الشيخوخة يجب ان يكون قليلاً في مقدارهِ بسيطاً في كيفيتهِ

حديث للفتيان

ملك الاتوموبيلات في انكلترا

كان صانع عجلات

وُلِد مورس الصغير صاحب الترجمة ، في بلدة «وستر» من اعمال انجلترا وما عتَّم ان انتقل بهِ والده الى بلدة اكسفورد حيث تلقى مبادىء العلوم وكان مورس الصغير شغوفاً بالميكانيكيات من صغرهِ ، فما انهى دروسه الاولية وكان عمرهُ ١٦ سنة حتى التحق بمعمل صغير للعجلات (بيسكلت) . لم تكن السيارات قد عمَّمت حينئذٍ ، اما العجلات كانت تملأ البلد فما كنت تسير من بلدة صغيرة الى اخرى الاَّ وترى مئات الدكاكين الصغيرة حيث يلحم الكاوتشوك وتباع قناديل الزيت الصغيرة والمنافخ وما شاكل

وما مرّت على مورس الصغير تسعة شهور في شغله حتى قرر ان يعمل مستقلاً لا مستخدماً فيكون هو وحده المسؤول عن عمله وعن وقتهِ فلم يقف في سبيلهِ حداثة سنهِ ولا رأسماله القليل وكان خمسة جنيهات

« العمل الشاق سر النجاح » كان شعاره ولا يزال . وقد قال في احدى خطبهِ «اذا وُجدت الارادة وجد كل شيء » ولم تمضي سوى مدة قصيرة حتى وسّع محل عملهِ ، ثمَّ اخذ يصنع عجلةً تحمل اسم مورس، وكانت متينة الصنع رخيصة الثمن ، فانتشر البيع انتشاراً لم يكن بالحسبان فشجعهُ ذلك على المضيّ في عملهِ ، فلم يعد يكتفي بالعجلة بل صنع

السر وليم موريس
صاحب سيارات موريس كولي وموريس اكسفرد المشهورة
وقد رقي الى مصاف الاشراف بعد ما كان صانع عجلات

درّاجة تفوق اي دراجة اخرى صنعت في ذلك الحين

كانت السيارات قليلة العدد غير ان عددها اخذ يزداد في بريطانيا العظمى ابتداء من من سنة ١٩١١ وكان متوسط ازديادها ١٠٠٠٠ سيارة في السنة . على ان اصحاب معامل السيارات كانوا يبذلون جهدهم في صنع سيارات ضخمة كبيرة فاخرة ، ولم تكن قوة اصغر محرك تقلّ عن قوة ١٥ حصاناً حينئذٍ وكان معدل قوة المحركات الانجليزية من ٢٠ الى ٢٥ حصان . وبالطبع كان اقتناء هذه السيارة صعباً جدًّا لغلاء ثمنها وصعوبة تسييرها وكثرة نفقاتها ، فاتجهت انظار الشعب الى السيارات الاميركية وبالاخص سيارة فورد الرخيصة

هنا نظر مورس نظرة نافذة الى المستقبل ، وعرف ان للسيارة الصغيرة الحجم القوية الصنع والرخيصة الثمن مستقبلاً عظيماً في بلاد الانجليز . واخذ يعمل الفكرة للوصول الى غايتهِ هذه . فاقدم سنة ١٩١٢ على ابتياع مصنع صغير في كولي وبدأ عمله بهدوء وسكينة ، وقد اعترف انهُ كان في بعض الاحيان يصل نهاره العملي بليلهِ دائباً على العمل ٣٦ ساعة متواصلة . وكان في العشرين من عمرهِ حينئذٍ وهو لم يتلقَ دروساً ميكانيكية علمية بل كان كل ما يعرفهُ قد تعلمهُ بالعمل . وفي سنة ١٩١٣ صنع اول سيارة وسماها مورس اكسفورد فجاءت جميلة المنظر قوية المحرك رخيصة الثمن ، ولتعلم متانة سياراتهِ هذه نقول ان معظم سياراتهِ التي صنعها ١٩١٣ — ١٩١٤ ما زالت لمتانتها تستعمل الآن

وجاءت الحرب الكبرى فنزل عدد السيارات الخصوصية في بريطانيا العظمى من ٩٢٬٠٠٠ الى ٥٠٬٠٠٠ سيارة فقط ، في اثناء هذه الفترة كانت مصانع مورس قد تحولت الى صنع ادوات ومواد يحتاج اليها الجيش البريطاني ، وبانتهاء الحرب اضطر مورس الى تجديد عمله الاول ولما لم يكن لديهِ المال الكافي لشراء الماكينات اللازمة لعملهِ اخذ يعمل الفكرة في استحضار الرأسمال الضروري ولما سئل مرة كيف دبّر امرهُ ونال الدراهم كان جوابه « على كلٍّ احمد الله »

ظهرت سيارة مورس الجديدة التي كانت يترقبها الشعب ، فكان الاقبال عليها ، وعطل ذلك على السيارات الكبيرة الغالية الثمن ، فافلس كثيرون من اصحابها ، وخلا الجو لمورس فزاد عدد ما يصنعه من السيارات ورخّص الثمن ، فازداد البيع وهكذا دواليك ، وصدق حدسهُ فبعد ان كان عدد السيارات الخصوصية سنة ١٩٢٠ — ١٢٢٬٠٠٠ فقط زاد سنة ١٩٢١ الى ربع مليون سيارة ،فاضطر الى توسيع مصانعهِ ولماكثر ما يصنعهُ من السيارات صار يشتري مقادير كبيرة من المواد الخام فكان سعرها اقلّ طبعاً ولكنهُ لم ينتهز هذه الفرصة ليضع الفرق في جيبهِ بل اخذ يرخص ثمن سياراتهِ ،وعدد المبيع يزداد، وفي سنة

١٩٢٦ كان يصنع الف سيارة كل اسبوع ولما عرضت شركة وولزلي مصانعها للبيع تقدم مورس بقدم ثابتة واشتراها كلها بثمن ٧٣٠٠٠٠ جنيه وهو الآن صاحب شركات عدة « كما فورد كذلك مورس » ادفع اجوراً عالية وقلل اوقات العمل

وبالرغم من ان مورس اصبح غنياً كبيراً فهو ما زال يكدح نهاراً وليلاً مكباً على العمل ككل عامل آخر من عماله

وفي سنة ١٩٢٧ ربحت الشركة مليوناً وربع مليون من الجنيهات ورأسمالها خمسة ملايين فقط وكانت حصة مورس منها نحو مليون، رفض ان يتناول مليما واحداً منها بل ترك كل ارباحهِ في صندوق « المال الاحتياطي » لاستعماله في توسيع العمل واتقانهِ . هذا هو مورس العصامي الذي انشأ نفسهُ بنفسهِ ورأسماله الوحيد دماغ مفكر وارادة اقوى من الصلب « والعمل الشاق سرُّ النجاح » . وقد اعترف لهُ ملك الانكليز بنجاحهِ وما افاد بهِ الصناعة الانكليزية فرقاهُ الى مصاف الاشراف ومنحهُ اخيراً لقب سر من رتبة بارونت

العناية بالاطفال

فصول صحية في حديث بين طبيب ورجل وزوجته

٢

الدكتور — تقولين انك تحبين ولدك حباً جمًّا . وهذا صحيح وانك احببتهِ قبل ان تراه عيناك وتسمع صوتهُ اذناك وهذا صحيح ايضاً وان قلبك يستمد من نضارتهِ قوة ومن انفاسهِ نشاطاً . وشأنك هذا مع ولدك شأن كل والدة مع ولدها فكانك لم تقولي شيئاً جديداً . فما من والدة الا وتحب ولدها وتعطف عليهِ وهذه المحبة وان تفاوتت في مراتبها واختلفت درجاتها في بعض الوالدات فهي غريزة متأصلة فيهن جميعاً حتى في الحيوانات وسائر المخلوقات وليس من فضل لهن على هذا الحب كما ترين لانهُ اصيل فيهن ، كذلك ليس لوردة فضل على ما ابدتهُ من الحب والعطف على طفلها لان هذا الحب كائن فيها وهو ذرة في عالم الاجنة ومسوقة اليهِ من غير ان يكون لها ارادة فيهِ وانما قد يكون لها فضل كبير او صغير على نسبة عنايتها بهِ وتربيتها اياه على القواعد الصحية . واذا كان ممدوح بحاجة الى عطفك فانما هو بحاجة الى من يعنى بتربيتهِ وانماء عوده والى من يدفع عنهُ عوادي الامراض والاسقام

وردة — اشكر لك يا دكتور اهتمامك هذا وارجوك ان تضع لي برنامجاً اسير عليهِ في تربية ممدوح وسوف تجدني جد حريصة في تنفيذ ما ترسمهُ من نظم . وتضعهُ من قوانين

ولسوف ابرهن لك ولعزيزي كريم اني جديرة بثقتكما جميعاً

كريم — واني اشكر لك ياصديقي هذه المساعدة الثمينة التي تفضلت بها علينا وسوف اكون لعزيزتي اكبر معضد في تحقيق ارشاداتكم . وكان الدكتور قد قطع الحبل السري وربطهُ جيداً واشار بتحضير المغطس وكانت الغرفة مقفلة النوافذ وحرارتها معتدلة وثياب الطفل مهيأة وقبل ان تأتي الخادم بالمغطس قالت وردة ، اليس من خوف يادكتور على صحة حبيبي من تغطيس جسمهِ في الماء ، فاني سمعت خالتي جيانة تقول اوعا تبلي جسمهُ بالماء وانها ربت اولادها من غير حمام وصحتهم مع اولادهم على غاية ما ينبغي ان تكون وهي تنصحني ان اتبع خطتها في تربية ممدوح وامشي على اثرها في تغذيتهِ في جميع ادوار طفولتهِ

الدكتور —وكأنهُ كان منتظراً من وردة مثل هذه الملاحظة على رغم ما اظهرتهُ من استعداد للعمل باقواله واما كريم فكانهُ قد صدم في صخرة ايمانهِ وطعن في صميم آماله وهم ان يظهر دهشتهُ لملاحظة ام ولده فسبقه الدكتور بقوله وهل تظنين ان خالتك جيانه على صواب في تربية اولادها لدرجة ادخلت الى نفسك الشك في طريقة علمية صحيحة الاساس وبعيدة عن الاوهام يلقيها عليك طبيب صديق لزوجك وقد اختبر صحتها في تربية اولاده واولاد من له من معارف واصدقاء

وردة—وكأنها شعرت بخطأها— ارجو ان تعذرني يا دكتور على صراحتي وتسرعي في نقض ما وعدت بهِ من الاخذ بنصائحك والعمل بارشاداتك ولا ادري حقيقة كيف تأثرت من قول خالتي الى هذا الحد

فقال كريم ارجو ان لا تلوم وردة على ما ابدتهُ من شك في صواب الطريقة التي تريد ان تتبعها في تربية ولدنا وارجو ان يكون ما بدا منها في البداية آخر ما يبدو من نوعهِ حتى النهاية . وكانت الخادمة قد احضرت المغطس وفيه الماء الساخن ، ودخلت الغرفة امرأة في السادسة من عمرها وتقدمت الى الطفل وقالت ها إنا يا دكتور اقوم بهذه المهمة ثم اخذت الطفل على يدها وشرعت تعدّل حرارة الماء وهي جالسة بالقرب من المغطس فقال لها الدكتور ان تضع في الماء قليلاً من ملح الطعام واشار عليها ان تغسل الرأس والوجه قبل ان تغمر الجسم في الماء وان تحمل الخادم الطفل على يديها وهي تتولى غسله . وبعد ما فرغت من غسل الرأس والوجه غسلت الجسم وهو في الماء على يدي الخادم وقبل ان ترفعهُ من الماء صبت على الرأس ماء ساخناً كان معدًّا في كوز وبسرعة اخذت الطفل من الخادم واحتضنتهُ بشكير كبير ناعم.وبعد ان البستهُ ثيابهُ تقدم الدكتور

ووضع في عيني الطفل ثلاث نقط من محلول البروتوركول . ثم عقم الحبل السري بمحلول حمض البوريك ووضع عليهِ مسحوق البوريك وقطعة من الشاش المعقم والقطن وربطهُ برباط ناعم وبعد ذلك وضعتهُ السيدة في جانب والدتهِ وقالت لوردة ارجو ان يكون من حظه الحياة عظيماً فردت عليها وردة بقولها اني شاكرة لك جميلك هذا ما حييت ارجو الله ان يحفظ لنا ممدوحاً وان يتولى هو مكافئتك وتقدم منها كريم وشكرها ايضاً ثم التفتت الى وردة وقالت لها اني لم اسمح ولا والدك سمح بغسيل جسمك وانت طفلة مثل ما غسلت ممدوح الآن ولا اذكر اني بللت جسمك بالماء قبل بلوغك الخمس سنوات ، ولكني مطمئنة البال على ممدوح وان كان ما فماناه لهُ جديداً مكوني على ثقة من نصائح الدكتور وارشاداتهِ فهي لا شك افضل من نصائحي او نصائح خالتك فاتبعيها وان ظهرت لك غريبة ولا تخافي من عواقبها فهي ترمي الى ما يعود على ممدوح بالصحة وعليك بالهناء. ولم يسع الدكتور الا ان اظهر استحسانهُ للسيدة دميانة على ما ابدتهُ من المساعدة والتأييد في تنفيذ الآراء العلمية الممحصة في تربية الاولاد والعناية بهم والتغلب على الاوهام والعادات القديمة التي لا تزال محتكمة في نفوس عدد غير قليل من امهات اليوم

ثم تقدم كريم من الدكتور وسألهُ هل نحمم ممدوح غداً وفي مثل هذا الوقت

الدكتور — لا يجوز ذلك قبل ان يلتئم جرح السرة وتسقط الرباطة عنه وعادة لا تسقط هذه قبل مضي بضعة ايام ، ولكن في خلال هذه الايام يغسل وجههُ واطرافهُ

وردة — ومتى ارضعهُ انهُ كثير البكاءِ الا تراه كذلك

الدكتور — اعطهِ الثدي كل اربع ساعات لمدة اربع وعشرين ساعة سواء اكان في الثدي لبن او لم يكن واعطيهِ قليلاً من الماءِ كل ساعتين

وردة — اعطيهِ ماءً صرفاً من اليوم

الدكتور — نعم اعطيهِ ماءً صرفاً من اليوم ولا تخافي لا من الماءِ ولا من خالتك وبعد مضي اربع وعشرين ساعة قد يجود الثدي عليهِ بالغذاءِ الصالح لهُ ولا اصلح لهُ منهُ واذ ذاك تصبح مواعيد رضاعتهِ مرة كل ساعتين واما الماءُ فمرة كل اربع ساعات

دميانة — وعند ما تسقط رباطة السرة احممهُ ثانية مثل ما حممتهُ اليوم او بلا حمام

الدكتور — ان فائدة الحموم للطفل ثابتة لا تحتاج الى برهان ومن الضروري ان يغسل جسمهُ مرة في اليوم وان لا يكون قبل مضي ساعة على رضاعتهِ ولا يلزم ان تضعي ملحاً في الماءِ كما فعلت اليوم وان تكون حرارة الماء ١٠٠ بميزان فارنهيت لخمسة اسابيع و٩٨ لستة اشهر و ٩٥ للسنة الاولى و ٨٥ الى ٩٠ في السنة الثانية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) الترجمة والتأليف

مصر . ايهما انفع لنهضتنا الحالية الترجمة ام التأليف

ج . كلاهما نافع بل هما في نظرنا لازمان ولكن يجب تعيين منطقة لكل منهما . ففي اي المباحث يجب ان تقدَّم الترجمة على التأليف وفي ايها يجب تقديم التأليف على الترجمة

من الواضح ان منطقة العلوم على اختلافها هي المنطقة التي يجب ان ترجح فيها كفة الترجمة على كفة التأليف لان ابناء الغرب قد سبقونا مراحل عديدة في استنباط وسائل البحث وادواتهِ فكشفوا عن حقائق كثيرة في علوم الحياة والهيئة والكيمياء والطبيعة وما اليها . فاذا حملنا غرورنا على ان نحاول الاستغناء عنها حتى نبلغ مبلغهم من التعمق في البحث والابداعِ في الاكتشاف قضي علينا ان نبقى ذيلاً في موكب العلم والعمران . فالامر الذي يقضي بهِ العقل والمصلحة ان نأخذ منهم ما كشفوا عنهُ من الحقائق والقواعد والنواميس وان نتعلم اساليبهم في البحث ونحاول مجاراتهم وخصوصاً في المباحث التي تتصل بحياتنا اتصالاً وثيقاً كالامراض الاستوائية وفنون الري والزراعة وما اليها

اما المنطقة التي يجب ان يغلب فيها التأليف على الترجمة فهي منطقة الادب والتاريخ . لان ادب كل امة انما هو تاريخها النفسي ، هو صورة حية لحياتها الحقيقية ، هو تعبيرٌ عما يجول في صدور ابنائها وبناتها من الآمال والرغبات . وهذه الصور الحية سواءٌ كانت اشعاراً او روايات او رسائل في النقد لا نستطيع ان نستوردها من انكلترا او فرنسا او ايطاليا كما نستورد الملابس . لان كتاب كلٍّ من هذه البلدان انما يكتبون ما يتفق مع عادات امتهم وتقاليدها واحوال المعيشة فيها . ولكن هذا يجب ان لا يصرفنا عن نقل آياتهم في الادب

لنستفيد مما تميه من صورة صادقة للحياة ومقاييس عالية للفن. وما يصح على الادب يصح على التاريخ العام بوجه عام والتاريخ القومي بنوع خاص. وفي كل الاحوال يجب ان نأخذ عن الاوربيين اساليبهم في البحث ونطبقها على مصادر التاريخ الفنية المطمورة في ارضنا او المطوية في خزائننا

(٢) آثار الحضارة

اولفيرا برازيل. ما هي الآثار التي تخلفها حضارتنا واي عمل يقوى على عوامل الطبيعة بعد كرور قرون يضاهي آثار الفراعنة والبابليين

ج. اشهر الآثار التي خلفتها حضارات العصور القديمة مبان كالاهرام او معابد كهيكل اور الكلدانيين ومعبد الكرنك بالاقصر وهياكل الاكروبليس باثينا او قنوات الماء التي اشتهر الرومان ببنائها. فاذا اردتم من آثار الحضارة الحالية ما يقابلها وجدتم في ناطحات السحاب والسدود العظيمة في مصر والسودان والولايات المتحدة الاميركية والمتاحف الشهيرة في عواصم البلدان المختلفة والتماثيل المنصوبة في الساحات العامة او المحفوظة في دور المتاحف ما يستطيع ان يقاوي انياب الدهر. فان المباني الحديثة التي بنيت في طوكيو عاصمة اليابان على نمط ناطحات السحاب اي بُني هيكلها من عوارض الصلب ومُلئ الفراغ بالسمنت المسلح قاومت فعل الزلازل المدمرة التي تنتاب تلك البلاد ولم تهدم كما تهدم غيرها

واذا اردتم بالآثار غير الآثار الهندسية فالطباعة والصحافة والتصوير الشمسي والصور المتحركة والفونوغراف والمتاحف وسائل لتخليد كل آثار التقدم العقلي الذي اصبناهُ في القرنين الاخيرين وهذه الآثار لشيوعها بين امم الارض لن تندثر لانها اذا احترقت الدور التي تحفظ فيها في بلدٍ من البلدان او دمرت فلا يحتمل ان تدمر او تحترق كل دور الكتب والصور والآثار في انحاء الارض

(٣) تقوية الذاكرة

لبنان. هل هناك من وسيلة فعّالة لتقوية الذاكرة تبدونها لنا ولكم الشكر

ج. اقرأ كتاباً يلذُّك موضوعهُ وانعم نظرك فيما تقرأ. وكلما اتممتَ قراءة صفحة منهُ اغلق الكتاب وجرّب ان تفكر في ما قرأت. جرّب ان تتذكر الآراء التي قرأتها وان تصوغ تلك الآراء بعبارتك كانك تفسرها لصديق لك. فاذا واظبت على القيام بهذين الامرين اي القراءة بامعان وتذكُّر ما قرأت قويت ذاكرتك بما تخزنهُ فيها من الافكار والحقائق التي تطالعها لانها ترسخ بالتكرار وباشتراك اكثر من حاسة واحدة في حفظها. وبعدئذٍ يسهل عليكم ان تتذكروا كل ما يتعلق بها او يماثلها بقوة تماثل الافكار وتداعيها

ومن اضرّ الامور بالذاكرة القراءة السطحية فيمرّ القارئ على صفحات عديدة دون أن يستوعب فكراً واحداً . ومن هذا القبيل مطالعة الصحف اليومية بالمرور على عناوين مقالاتها وتلغرافاتها كأنَّ القارئ استوعب معانيها وهو لم يستوعب معنى واحداً منها

(٤) ارقى المجلات الفرنسية العلمية

ومنهُ . ما هي في نظركم ارقى المجلات الفرنسية التي تماثل المقتطف في نمطها وشكلها ومباحثها المتنوعة وما هو عنوانها كاملاً

لعلّ مجلتي Je Sais Tout و La Science et la Vie اقرب المجلات الفرنسية الى المقتطف في مباحثها. امامنا جزء من الاولى قلّبنا صفحاته فاذا هو يحتوي على المباحث التالية. هل باريس معرّضة للهجوم الجوي هل تأتينا الصحة من الكواكب . هل يجب ان يكون ستار السنما اهليلجيًّا. الشموس الصناعية . اتصال البحر الشمالي بالبحر الاسود بطريق مائي. الفرنسيون في الخارج وتوسيع التجارة الفرنسية. آن الاوان لنصبح كلنا لاسلكيين. وعنوانها Librairie Hachette 79 Boulevard Saint Germain Paris

وامامنا كذلك عدد من الثانية فاذا هو يحتوي على المباحث التالية : هل الارتقاء العلمي محدود . لا غناء عن الطيارة في الاساطيل الحديثة . المحرك الكهربائي . هل يكون شارع المستقبل معدنيًّا . هل تبنى في نيكارغواى قنال كقنال بناما . اسرار البراكين وافعالها . التصوير في خدمة الصحافة . رحلة غراف زبلين وهلمَّ جرًّا. وعنوانها 13 Rue d'Enghien Paris

وتختلف المجلتان في ان اسلوب الاولى اقرب الى متناول العامة من الثانية وكلٌّ منهما تحتوي على صور كثيرة

(٥) اونجلينا قصيدة لونغفلو

ومنهُ . هل لكم علم ان قصيدة الشاعر الاميركي الشهير لونغفلو تحت عنوان « اڤانجلينا او نفي الاكادين » مترجمة الى اللغة العربية او الى اللغة الفرنسية

ج. لم يتصل بنا انها ترجمت الى العربية ونرجح انها لو ترجمت لكنا اطلعنا على نسخة منها . ولدى البحث في المصادر التي بين ايدينا لم نوفق الى معرفة الجواب عن الشق الثاني من سؤالكم . ولعلكم اذا كتبتم الى الاستاذ سمث استاذ الادب الانكليزي في جامعة بيروت الاميركية هداكم الى ضالتكم

(٦) ارجح الصناعات

اوهايو اميركا . ما هي ارجح الصناعات لمن معهُ رأس مال قليل مثل مائتي جنيه

ج . لا يفلح المرء في صناعة ما لم يكن لهُ ميل اليها . فالصناعة التي يميل اليها ويدأب عليها يفلح فيها سواء كان معهُ

ماتنا جنيه او لم يكن كما ترون من مراجعة سير رجال المال والاعمال التي نشرناها تباعاً في اجزاءِ المقتطف السابقة. ولذلك يتعذر تحديد الصناعة المطلوبة ما لم يعرف ميل طالبها ولا بد كذلك من ان تعرف الصناعات الرائجة في البلاد التي يقطنها طالب الصناعة

(٧) رجحان الدين على العلم

اللاذقية . ان وسائط العلم اكثر من وسائط الدين في ما نرى ولكن لاتزال كفة الدين ارجح من كفة العلم فما سبب ذلك وايهما انفع للهيئة الاجتماعية في الحال والاستقبال

ج . اذا اردتم بالدين معناهُ المجرَّد الذي تشترك فيهِ جميع اديان البشر وهو علاقة الانسان بخالقهِ او بالقوة التي خلقت هذا الكون فهذا الدين تبقى كفتهُ راجحة ولو قوي العلم وتعزَّز واذا اردتم بالدين ما تفترق بهِ الاديان بعضها عن بعض اي ما يميز اليهودية عن المسيحية والمسيحية عن البوذية والبوذية عن الاسلام وما يفرق بين مذاهب الدين الواحد من العقائد والرسوم وما اشبه فهذا كفتهُ راجحة عند العامة وعند غير المتعلمين من الخاصة واما المتعلمون فكفتهُ مرجوحة عندهم غالباً لانهم لايرون من الادلة ما يكفي لتأييده . والدين بمعناه الاول لازم للهيئة الاجتماعية ولفهم حقيقة الوجود وهو نوع من العلم او من الفلسفة. اما النفع فاذا اريد بهِ حفظ الصحة ودفع المرض وتسهيل الانتقال ومقاومة الحرّ والبرد والالم وما اشبه من المنافع المادية فالعلوم (اي العلوم الطبيعية) انفع واذا اريد بهِ راحة البال وانتظار حياة هنيئة بعد الموت فالدين انفع

(٨) تغلب القوي على الضعيف

بارا برازيل . لماذا نلوم القوي الذي يأكل الضعيف مع ان الخالق قد وضع في الطبيعة ناموس تنازع البقاءِ وبقاءِ الانسب

ج . اننا لا نلوم الاسد الذي يأكل الخروف كما لا نلوم الخروف الذي يأكل العشب لان حياة الخرفان متوقفة على اكلها الاعشاب ونحوها وحياة الاسود متوقفة على اكلها الخرفان ونحوها . ولكننا نلوم الانسان اذا اكل اخاهُ او اهتضم حق اخيهِ لان حياتهُ غير متوقفة على اكلهِ اخيهِ واهتضام حقوقهِ بل هو لو راعى حقوق اخيهِ لراعى اخوهُ حقوقهُ ايضاً وتعاونا كلاهما على المعيشة . ففي اهتضامهِ حقوق اخيهِ يضرُّ اخاهُ ويضرُّ نفسهُ . ومثل ذلك الحيوانات التي تعيش بالتعاون كالنمل فان نمل القرية الواحدة يعاون بعضهُ بعضاً على المعيشة فيفلح ولكنهُ اذا تخاذل وتخاصم افنى بعضهُ بعضاً فيكون قد فعل ما يضرهُ ويلام عليهِ

باب الاخبار العلمية

مكافحة الامراض بالاصباغ

يعلم قراء المقتطف ان الاصباغ الصناعية على الوانها الكثيرة الزاهية تستخرج كلها من قطران الفحم الحجري الاسود وذلك من عجائب الصناعة. ويعلمون ايضاً ان هذه الاصباغ من اقوى مضادات الفساد وقد استعملت في الحرب الكبرى لمعالجة الجروح فلما وضعت الحرب اوزارها اخذ العلماء ما عُرف في الحرب عن هذه الاصباغ وتوسعوا في درسها للوقوف على ما لها من الشأن في مكافحة الامراض فوفق احدهم وهو من الذين يبحثون في طبائع المكروبات بالمكرسكوب الى الكشف عن حقيقة جديدة في الطب وهي ان اصباغ الانيلين التي تستعمل لصبغ المكروبات تفعل بالمكروبات فتوقفها عن الحركة اولاً ثم عن التناسل ثم عن تغذية نفسها ويتلو ذلك موتها. وجرى بعض الباحثين في اثره مغيّرين انواع المكروبات وانواع الاصباغ فخطر لهم ان الاصباغ تميت المكروبات خارج الجسم فلماذا لا تميتها داخله. وقد اثبتوا فعلا ان بعضاً من الاصباغ الصناعية المشهورة تميت انواعاً مختلفة من مكروبات الستربتوكوكس او توقفها عن النمو

وقد قرأنا الآن في مجلة العلم العام الاميركية ان علماء الكيمياء والطب في جامعة ستانفورد الاميركية يجربون التجارب الآن بحقن انواع مختلفة من الاصباغ في الارانب وخنازير الهند والحمام ليعرفوا فعلها في معالجة الدفثيريا والتسمم البتوميني ولدغ الافاعي وغيرها من الامراض والسموم. ومن تجاربهم انهم اعطوا ارنباً مقداراً من الستركنين كافياً لان يقتل ثوراً ثم حقنوهُ في اوردته بمقدار من الصبغ المعروف «باحمر الكنغو» فمنعوا فعل الستركنين. وحقنت حمائم كثيرة بسم الكورا الزعاف وطائفة من خنازير الهند بمكروبات الدفثيريا ثم عولجت بانواع مختلفة من الاصباغ الصناعية فوقيت شرّ هذه السموم. ويظهر ان «احمر الكنغو» هو افعل الاصباغ التي امتحنت حتى الآن

البريليوم : معدن عجيب

البريليوم عنصر من العناصر المعدنية كالحديد والنحاس والالومنيوم والرصاص. وهو اخف من الالومنيوم بنحو ثلاثين

في المائة ولهُ خواص الصلب من متانة وقساوة. ولكن لم يشع استعمالهُ حتى الآن مع مرور اكثر من قرن على اكتشافهِ لان استخراجهُ من تبرهِ على وجهٍ تجاري بقي متعذراً الى عهد قريب

والفخر في اكتشافه يعود الى ڤوكلان الباحث الفرنسي وذلك سنة ١٧٩٧ ومن ثمَّ اخذ العلماء يحاولون استفرادهُ من تبرهِ فعجزوا عن ذلك حتى جاء وهلر الكيماوي الالماني المشهور سنة ١٨٢٨ وبعد مشقة عظيمة حصل على مقدار قليل منهُ ليستعملهُ في تجاربهِ الكيماوية . وبقي الامر كذلك حتى جاء المستر هيو كوبر احد مهندسي التعدين بكليفلند فاستنبط طريقة لاستخراجهِ من تبرهِ بغير نفقةٍ كبيرة وقد اخذ يعدُّ المعدات مع المولين الذين يعضدونهُ لبناء المعامل اللازمة لذلك

يظن البعض ان البريليوم من المعادن النادرة وهذا خطأ لان مباحث المهندسين في الولايات المتحدة الاميركية دلت على وفرة وجودهِ في ١٥ ولاية منها ويغلب ان تكون مركباتهُ ممتزجة بمركبات الالومنيوم والسلكون. واما ندرة وجودهِ فسببها يرجع الى تعذُّر استخراجهِ نقيًّا من تبرهِ فاذا صحَّ ما قيل عن طريقة كوبر الاميركي وصار ثمنهُ رخيصاً استعمل حالاً في محركات الطيارات لانهُ يجمع الى خفة الوزن الصلابة والمتانة . ثم اذا رخص بعد ذلك فقد يستعمل في صنع محركات السيارات ثم لا يلبث ارباب الصناعات ان يستنبطوا لهُ الف وجهٍ ووجهاً يستعملونهُ فيها . فهو من هذا القبيل شبيهٌ بالالومنيوم

البريليوم والالومنيوم

اذ لا يخفى على قرّاء المقتطف وخصوصاً من قرأ منهم بسائط علم الكيمياء وما اليها من المقالات في الكيمياء الصناعية ان عنصر الالومنيوم اكتشف سنة ١٧٠٠ ولكن استفرادهُ نقيًّا من مركباتهِ ظلّ متعذراً حتى جاء وهلر سنة ١٨٢٨ واستفرد مقداراً قليلاً منهُ لتجاربهِ. وجاء بعدهُ من عدَّل طريقتهُ ولكن بقي سعر الرطل من الالومنيوم نحو ٢٣ جنيهاً الى اواسط القرن الماضي وفي سنة ١٨٥٤ استنبط عالم يدعى دفيل طريقة لاستفرادهِ رخصت ثمنهُ فصار ثمن الرطل نحو ١٤٠ قرشاً ثم جاء هول الاميركي واستنبط الطريقة الكهربائية المستعملة الآن فهبط سعر الرطل الى بضعة غروش وينتظر ان يكون تاريخ البريليوم مماثلاً لتاريخ الالومنيوم

خواص البريليوم

والبريليوم معدن رماديّ اللون يكاد يكون رصاصيًّا يمكن صقلهُ كالفولاذ حتى يتعذر على غير العارف لاول وهلة ان يفرق بين قطعتين مصقولتين من البريليوم والفولاذ. فاذا حملت القطعتين في يدك ادركت الفرق حالاً لان الفولاذ ثقيل الوزن والبريليوم اخف من الالومنيوم وهذا اخف من الفولاذ كثيراً. وهو معدن صلب لا يمكن خدشهُ بمبرد من الصلب ولما كان الكيماويون قد وجدوا علاقة مطردة بين الصلابة والمتانة فالمرجح ان يكون هذا المعدن متيناً كالصلب. ولكنهُ في حالتهِ النقية قصمٌ ولذلك يجب مزجهُ بمعادن اخرى كالالومنيوم او النحاس او الحديد. ولكن موضوع الاخلاط المعدنية التي يمكن صنعها منهُ لم يستوف بعدُ لحداثة عهد العلماء بمقادير وافرة منهُ

انباء الطيران

اضخم الطيارات

تبنى الآن في المانيا على بحيرة كونستانس طيارة من طراز دورنيه فيها متسع لثمانين مسافراً. ويكون وزنها متى تمَّ بناؤها نحو خمسين طنًّا وتجهز باثني عشر محركاً يستعمل منها ستة محركات او ثمانية في اثناء الطيران وتبني شركة يونكرز الالمانية طيارة فيها متسع لخمسين راكباً وقد نحت نحواً جديداً في بناء غرف الركاب اذ وضعها بين طبقتي الجناحين الكثيفين. وقد بُنيت في اميركا طيارة فيها متسع لاثنين وثلاثين مسافراً والمسافة بين طرفي جناحيها ١٠٠ قدم وقد بلغت نفقات بنائها ٣٠ الف جنيه

البقاء في الجو

ذكرنا في مقتطف فبراير الماضي ان طيارة اميركية تدعى «علامة الاستفهام» تمكنت من البقاء محلقة في الجوّ نحو اسبوع وانها كانت تستمدُّ البنزين بانبوب من

طيارة تحلّق فوقها . وقد نشط الانكليز مؤخراً لبناء طيارة من ذوات السطح الواحدمن طرازفايرى القصدمنها ان تبقى في الجوّ اطول مدة ممكنة من غير ان تملأ احواضها بنزيناً كما فعلت الطيارة الاميركية. ثم تطير الى مدينة الكاب ومنها تحاول ان تعود الى لندن من غير ان تحط على الارض والمسافة بينهما نحو ثمانية آلاف ميل

وقد بنيت احواض هذه الطيارة حتى تسع الف جالون من البنزين تكفيها للبقاء في الجوّ ثلاثة ايام بلياليها وفيها جهاز خاص ينبهُ السائق من تلقاء نفسهِ اذا حادت الطيارة عن اتجاهها

الطيران حول الارض

وقد اقترح بعض الاميركيين ان يحاول نفر من طياريهم الطيران حول الارض من غير نزول الى الارض على ان تملأ احواض الطيارة التي تحاول ذلك بنزيناً في اماكن معينة كما ملئت احواض «علامة الاستفهام» فاذا حقق هذا الاقتراح طارت الطيارة من باريس الى الهند فالصين فسيبيريا فالاسكا فكندا فالولايات المتحدة

فتاة طيارة بارعة

حلقت المس الينور سمث وهي فتاة اميركية في السابعة عشرة من عمرها بطيارتها فوق نيوريوك وبقيت في الجوّ ١٣ ساعة و١٦ دقيقة و٤٥ ثانية فنالت بذلك قصب السبق على كل السيدات في مدة البقاء في الجو . ولكن المس اقلين تروت من بنات كاليفورنيا طارت بعدها بايام فتفوقت عليها اذ بقيت في الجوّ ١٧ ساعة و٥ دقائق و٣٧ ثانية . ولكن المس سمث لم تقنط من الفوز ثانية وهي تعد العدة لذلك

بدأت تتعلم الطيران وهي في الرابعة عشرة من عمرها ولكن لم تعط رخصة للطيران حتى بلغت السادسة عشرة من عمرها . وقد ارتفعت في الصيف الماضي الى علو ١٦٦٣ ١ قدماً وهي تفعل كلّ ذلك بطيارتها الخاصة ومن غير ان يصحبها فيها احد

اصوات العظماء

عنيت ادارة المتحف البريطاني بصنع قوالب فونغرافية من النحاس كل قالب منها يحتوي على خطبة او اغنية او حديث لاحد عظماء العصر تخليداً لاصواتهم . ومن هذه القوالب النحاسية يستطاع صنع قوالب عادية. وقد خلّد كذلك صوت الملك جورج في خطبة خطبها عند افتتاح معرض ومبلي وصوت البرنس اوف ويلس في خطبة لهُ موضوعها « الروح الرياضية » ومن الذين خلّدت اصواتهم الملكة ماري واللورد بلفور والمستر ونستن تشرشل والمستر لويدجورج ولورد اكسفرد واسكويث والسر ارنست شكلتُن الرائد والسنيور كاروزو ومدام تترازيني وديم ملبا والمسيو شاليابين وهؤلاء الاربعة اشهر مغني العالم .

على انتالم نر بين اسماء الذين حفظت اصواتهم كذلك اسم عالم من العلماء ولعل ذلك ناجم عن ان اظهر صفات العلماء ليست في اصواتهم كرجال السياسة والمغنين !

آلة فوتوغرافية عجيبة

استنبط احد الشبان اليابانين — بارون شيبا — آلة فتوغرافية سريعة يستطيع ان يصور بها عشرين الف صورة في ثانية واحدة ثم اذا عرض بعد ذلك هذه الصور على ستار الصور المتحركة بالسرعة العادية استغرق عرضها ثلث ساعة

تصوّر الصور للسنما بسرعة ١٦ صورة في الثانية عادة ثم تعرض بهذه السرعة فترى حركة الاجسام طبيعية . ولكن اذا صوّرنا حصاناً يعدو بسرعة ٢٠٠ صورة في الثانية ثم عرضت صوره بسرعة ١٦ صورة في الثانية رأينا حركة الحصان بطيئة جداً كأن الحصان يسبح في الفضاء . وغاية المستنبط الياباني تصوير الطيور في اثناء طيرانها ثم عرض هذه الصور ١٦ صورة في الثانية حتى ترى حركتها بطيئة لعلّ صانعي الطيارات يستطيعون ان يستفيدوا من ذلك في بناء طيارات تشبه الطيور كالسابحات في الهواء . فالطيور تستعين بحركة مجاري الهواء في الصعود والهبوط وعيونها حادّة البصر تستطيع ان ترى بها هذه المجاري الهوائية وتستفيد منها ولكن عين الانسان لا تستطيع ان ترى ذلك . فالانسان لن يستطيع ان يجاري الطير في طيرانه الاّ متى صار قادراً ان يرى مثله هذه المجاري ولعلّ هذه الآلة الفتوغرافية تمكنهُ من ذلك في المستقبل

نظام الكون وعظمته

نشرنا في مقتطف مارس الماضي صفحة ٣٥٦ نبذة علمية موضوعها « نظام الكون وعظمته »وقع خطأ في سطرها الثاني صوابهُ مائتا سنة نورية بدلاً من« ١٥٠٠ مايون » وفي سطرها العاشر باسقاط « او لطخاً سحابية » قبل « كما في » فاقتضى التنبيه

ولكن يظهر لنا ان الرقم المذكور المنقول عن « العلم العام » اي مائتا سنة نورية هو خطأ كذلك فقد جاء في مقال للاستاذ جرداق استاذ الرياضيات العالية في جامعة بيروت الاميركية ان شابلي اثبت ان قطر المجرة ٣٠٠ الف سنة نورية وسمكها ٤٠٠ سنة نورية وسنشبع هذا الموضوع بحثاً في عددٍ تالٍ

إصلاح خطأ

جاء خطأ فى السطر ٢٣ من الصفحة ٤٤١ من هذا الجزء هو مخطىءٌ فى تخطئتى استنتج الخ والصواب فى تصويب استنتج الخ

الجزء الرابع من المجلد الرابع والسبعين

المارشال فرديناند فوش

(١٨٥١ — ١٩٢٩)

القائد الذي سار بجيوش الحلفاء الى النصر في الحرب الكبرى

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة الاولى

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الرابع والسبعين

١ مايو سنة ١٩٢٩ — ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

بنك ومصرف

ان كلمة بنك صقلتها الالسنة منذ اكثر من خمسين سنة وهي تقع الآن امام كل احد في مصر والشام والعراق كل يوم ولا نبالغ اذا قلنا انها صارت في شيوعها لا تقل انتشاراً عن كلمة خبز وكلمة ماء. فالبنك الاهلي نشر في الاقطار العربية ملايين كثيرة من اوراقهِ المالية (بنك نوت) وعلى كل ورقة منها كلمة « البنك » بحروف عربية وافرنجية واضحة في ثلاثة اماكن او اربعة. والبنوك منتشرة في القاهرة والاسكندرية واكثر مدن القطر المصري والسوري والعراقي وكلها مسماة بنوكاً كالبنك العثماني والبنك الاهلي والبنك المصري والبنك الزراعي وبنك لويد وبنك رومية وبنك اثينا وبنك حسن سعيد وبنك موصيري الخ الخ. وكلمة بنك داخلة في اسماء هذه البنوك دخولاً رسميًّا يتعذر تغييرهُ. وكلُّ الذين يعاملون هذه البنوك يستعملون كلمة بنك كتابةً وتكلماً ولا يستعملون سواها. ولا نرى علةً من العلل تنافي استعمالَ هذه الكلمة فانها خفيفة لطيفة جارية على الاوزان العربية في مفردها ومثناها وجمعها. واذا اردنا ان ننفي من العربية كل كلمة معرَّبة فقدنا كلمات كثيرة لا يسهل الاستغناء عنها وبعضها معرب من قبل الهجرة

اما كلمة مصرف فسكان مصر ١٤ مليوناً تسعة اعشارهم فلاحون او مشتغلون بالفلاحة وعندهم اكثر من خمسة ملايين فدانٍ ولكل فدان منها ترعة يروى منها وترعة اخرى ينصرف اليها الماء الزائد عن ريهِ او الماء المتحلب منها واسم هذه الترعة مصرف جمعها مصارف فالمصارف في القطر المصري تعدُّ بمئات الالوف او بالملايين وكل مشتغل بالزراعة يستعمل كلمة مصرف ويخصها

بهذه النزعة التي يُصرف بها الماء ولا يسبق الذهن الاَّ اليها . ولا نقول انهُ يستحيل ان نسمي البنك مصرفاً او مذهباً او جيناً او لبناً وبعد بضع سنوات نصير نفهم للفظة التي نصطلح عليها معنىً غيرمعناهاالوضعي فيزول الالتباس بالقرينة.ولو لم تشع كلمة بنك وطلب منا ان نضع لهُ كلمة عربية تدل على معناهُ لوضعنا لهُ كلمة مأمن اي مكان وضع الامانات او كلمة مودع اي مكان وضع الودائع اما وقد شاعت كلمة بنك فيستحيل ان نقنع اصحاب البنوك لكي يحرقوا رخصها الرسمية وسجلاتها وسنداتها واسهمها واوراقها المالية ويبدلوها كلها بغيرها لوضع كلمة مصرف او اي كلمة اخرى . ولا ندري ما فائدة عَبدة اللغة من الوقوف في سبيل اتساعها ومجاراتها للغات الذين سبقونا في كل شيء فان هذا الوقوف مناقض على خط مستقيم لسير العربية في كل عصورها السالفة

غرض الحياة

ما هو غرض الحياة وخصوصاً حياة الانسان فانهُ يعمل ويجتهد ثم يموت ويندرس فينهض ابنهُ يعمل مثلهُ . فهل لذلك منفعة حقيقية يرتاح اليها العقل وما النتيجة من كل هذا العناء الدائم ؟ اذا اجبنا عن هذه الاسئلة جواباً دينيًّا فلسفيًّا قلنا ان كلَّ نفس تجزى في الآخرة عما عملت في هذه الدنيا خيراً كان او شرًّا .واذا اجبنا عنها جواباً علميًّا قلنا ان العلم اثبت ان الاحياء آخذة في الارتقاء منذ وجدت على وجه هذه البسيطة وارتقاؤها من الادنى الى الاعلى ومن البسيط الى المركب كما يستدلُّ من الاحافير او المتحجرات التي في طبقات الارض ومن آثار الانسان وافعالهِ . فبعض الغاية من وجود الانسان ان يزيد ارتقاءَهُ عصراً بعد عصر . وهذه الغاية حاصلة للنوع كلهِ ولكن فائدة الفرد الواحد من عملهِ وسعيهِ قد تكون قليلة جدًّا فالذي استنبط آلة الخياطة أفاد نوع الانسان فائدة كبيرة أما هو فمات في الفقر المدقع. والذين وضعوا القوانين الادبية لم يستفيدوا منها شيئاً يذكر بالنسبة الى ما استفادهُ منها ابناء نوعهم.واذا تلاشى الانسان او بطل وجدانهُ بموتهِ فالفائدة الحاصلة لهُ من تعبهِ قد لا توازي تعبهُ ولكن إذا كان التلاشي ضرباً من المحال كما يظهر بالاستقراء العلمي وبقيت قوى الانسان العقلية في الكون فلا يبعد أن يصحبها الوجدان ايضاً وحينئذٍ يكون للانسان وجود آخر بعد انحلال جسمهِ المادي فيشعر بنتيجة أعمالهِ التي عملها في هذه الدنيا . والعلم الطبيعي لم يثبت ذلك حتى الآن ولكنهُ سائر في طريق اثباتهِ واذا ثبت ان مناجاة الارواح خالية من الغش ثبت بقاء نفوس الناس عند علماء الطبيعة كما هو ثابت عند الفلاسفة ورجال الدين وحينئذٍ يفهم معنى الحياة

ده فرست : ابو العصر اللاسلكي

انطق الامواج اللاسلكية والصور المتحركة

مهما يتكَّر في وصف هـذا العصر من الصفات فلا ريب في ان صفة «اللاسلكية» غالبة عليهِ . قد نستطيع ان نسميهُ عصر «الطيران» او عصر «الانقلاب» في علم الطبيعيات . ولكن التسمية الاولى تنحصر في وجه واحد من وجوه العمران . والثانية تشمل فرعاً من فروع العلم قلما تعنى بهِ العامة لغموضهِ وعدم علاقتهِ المباشرة بالحياة العملية

اما «اللاسلكي» فتتغلغل في كل شؤون العمران . الاغاني والموسيقى تذاع باللاسلكي . والمدارس الجامعة تنشر خطب اساتيذها على عامة الناس باللاسلكي . والتجار يتلقون انباء الاسواق ويتخاطبون مع عملائهم على الوف الاميال باللاسلكي . والروّاد يخاطبون ابناء العالم المتمدن باللاسلكي وهم طائرون فوق مفاوز الجليد القطبي . وسائقو الطيارات يكفلون سلامة طياراتهم وسلامة ركابها باللاسلكي . والصور تنقل باللاسلكي والانوار تنار بهِ . وحوادث العالم تشاهد باللاسلكي . والصحف تجمع انباء الامم باللاسلكي تلغرافاً وتلفوناً . والسفن الماخرة عباب اليم تستغيث باللاسلكي اذا احدق بها الخطر . والطيارات المحلقة في الجوّ من غير سائق كالسفن في البحر من غير بحارة تدار باللاسلكي . ومع ذلك يقول العلماء اننا لا نزال في مفتتح العهد اللاسلكي وينتظرون يوماً ما — وقد يكون قريباً — ان يذيعوا القوة الكهربائية باللاسلكي كما يذيعون الخطب والصور والانغام

افتتح مركوني هذا القرن بنقل الاشارات اللاسلكية التلغرافية بين اوربا

واميركا . فدهش اديصن حين سمع بذلك وارتاب في صحتهِ ولكنهُ صدّق ما قيل حين اطلع على وصف التجربة ونتيجتها موقعاً عليهِ من مركوني نفسهِ. وظلَّ التقدم بطيئاً محصوراً في نقل الاشارات التلغرافية ،لان الجهاز الذي استنبطهُ مركوني لالتقاط الامواج اللاسلكية لم يبلغ درجة من دقة الاحساس تمكنهُ من التقاط الامواج اللاسلكية الحاملة لمميزات الصوت الانساني وما بينها من الاختلافات الدقيقة في النبرة والغنَّة .وبقيت الحال كذلك حتى استنبط الانبوب المفرغ واتقن.فجرى العلماء في ميدان المخاطبات اللاسلكية شوطاً بعيداً والفضل في كل ذلك يرجع الى مستنبط الانبوب المفرغ الدكتور لي ده فرست الاميركي

هكذا حكمت المحكمة العليا الاميركية في قضية رفعها ده فرست على الشركات التي استباحت حقوقهُ . فهو في عُرف هذه المحكمة «ابو العصر اللاسلكي ». ولكننا مع اجلالنا لحكمها يجب الاَّ نغفل جمهور العلماء والباحثين الذين تقدموا ده فرست وحققوا نواميس الكهربائية وابتدعوا تطبيقاتها الاولى ومهدوا لهُ الطريق مثل فراداي وكلارك مكسول وهرتز والسر اوليفرلدج وبرانلي وماركوني وفلمنغ وغيرهم

***

جرى سباق بحريٌّ بين اليخت الانكليزي شمروك الثاني واليخت الاميركي كولمبيا سنة ١٩٠١ . وبعض الذين حضروا السباق يذكرون مركباً صغيراً لاحقاً باليختين المتباريين وقد اقيم على مقدمهِ ومؤخرهِ صاريان ربطا باسلاك دقيقة . وكان على ظهر المركب طاولة عليها آلة غريبة الشكل وامام الطاولة شاب شاحب الوجه ناحل الجسم يدير الآلات بيديهِ النحيفتين فتولد شرارات كهربائية من حين الى آخر فينير وجههُ وتبرق اسرتهُ

ذلك الشاب هو الدكتور ده فرست . كان قد استنبط آلة لارسال الاشارات اللاسلكية في الفضاء في غرفة حقيرة بشيكاغو — بعد ما قضى سنتين يعنى باستنباطهِ هذا فينفق عليهِ كل دقيقة من وقتهِ خارج العمل ومعظم راتبهِ الشهري الذي لم يزد على ستة جنيهات . وبلغ منهُ انهُ قتّر على نفسهِ ليبتاع المواد اللازمة لاتقان استنباطهِ لانهُ كان واثقاً انهُ استنبط آلة لاسلكية يصح الاعتماد عليها

وخطر لهُ في احد الايام ان يستعمل آلتهُ هذه لارسال اخبار السباق البحري الى جرائد اميركا الكبرى فيشتهر استنباطهُ وباشتهارهِ يستطيع جمع المال اللازم لاتقانهِ . فاستدان اجرة القطار وذهب الى نيويورك فوجد ان ماركوني قد سبقهُ الى ذلك وعقد اتفاقاً مع شركة الاسوشيتد برس لارسال اخبار السباق المذكور اليها من عرض البحر بآلتهِ اللاسلكية .

الدكتور لي ده فرست
منطِق الامواج اللاسلكية والصور المتحركة

مقتطف مايو ١٩٢٩
امام الصفحة ٤٨٥

فذهب ده فرست الى مدير شركة صحافية اخرى وعرض عليهِ موافاة جرائده باخبار السباق من عرض البحر فقبل ذلك وامر باعداد قارب توضع فيهِ الآلة

فاستأجر ده فرست دكاناً صغيراً في نيويورك ليعدَّ فيهِ آلتهُ لكنَّ الفشل كان نصيبهُ في اكثر الاحيان فما من مرة وضع الآلة في القارب وجرَّبها الأ وجد انها لا تفي بالغرض فكان يعيدها الى دكانهِ ويصلحها . ولولا اغتيال الرئيس ماكنلي حينئذٍ وتأجيل السباق اسبوعين لما استطاع ان ينجز وعدهُ لمدير الشركة الصحافية . وقبل السباق بيومين مرض ده فرست فاشار عليهِ الاطباءُ بالذهاب الى المستشفى والبقاء فيهِ حتى يتماثل الى الشفاءِ فذهب ولكنهُ لم يستطع البقاء فيهِ لانهُ شعر ان مستقبلهُ رهن النجاح في ارسال اخبار السباق بالآلة التي استنبطها . كان قد قضى سنتين في اعدادها غير مدخرٍ وقتاً ولا مالاً ولا نشاطاً وحينما سنحت لهُ الفرصة لاظهار فائدتها لم يشأ ان تفلت من يدهِ فترك المستشفى رغم نصيحة الاطباءِ وتوجه الى القارب . لكن المشتغلين باللاسلكي في ذلك الحين لم يعلموا من امر الدوزنة شيئاً فاختلطت الرسائل التي ارسلها ماركوني بالتي ارسلها ده فرست

وحينما انتهى السباق عاد بقاربهِ وعلى وجههِ دلائل الفوز وذهب الى المحطة اللاسلكية فوجد مدير الشركة الصحافية واقفاً في انتظارهِ فسألهُ « هل وصلتكم الاخبار واضحة » فهزَّ المدير رأسهُ عابساً وقال « لم يصلنا شيء مفهوم »

نظر اليهِ ده فرست نظر المستغرب ثم انتفض ووقع مغمياً عليهِ فان صدمة الفشل زادت فعل المرض في جسمهِ النحيل وكادت تقضي عليهِ . فحُمل الى المستشفى حيث بقي ثلاثة اسابيع يغالب الموت ولكنهُ تغلَّب عليهِ وماكاد يشفى ويعود اليهِ نشاطهُ حتى رجع الى عزمهِ الاول على اتقان استنباطهِ فمضى في تجاربهِ الى ان انتهت باختراع من اعظم المخترعات العصرية وابعدها اثراً في العمران

***

الحادث المذكور آنفاً يمثل تمثيلاً صحيحاً حياة الدكتور دهٔ فرست مخترع الانبوب المفرغ الذي مهَّد السبيل الى التلفون اللاسلكي الذي تذاع بهِ الاخبار والخطب والاغاني فتقطع الفضاء الفسيح امواجاً كهربائية حتى تصيب محطة او آلة مستقبلة تحوّلها بواسطة الانبوب المفرغ الى اصوات مسموعة او نغمات شجية

كان الاستاذ پيوپن احد اساتذة جامعة كولومبيا قد استنبط ملفّاً تأثيريّاً أُستخدم في آلات التلفون السلكي فصار في الامكان ارسال الصوت بهِ مئات من الاميال. ولكن التكلم

بالتلفون اللاسلكي الى مسافات بعيدة لم يكن مستطاعاً قبل ان استنبط الدكتور ده فرست الانبوب المفرغ وقد استعمل لاول مرة في نقل الصوت من نيويورك الى سان فرنسسكو مسافة ثلاثة آلاف ميل سنة ١٩١٥ . بواسطة هذا الانبوب المفرغ حققت كل المستنبطات والاعمال اللاسلكية التي اشرنا اليها في صدر هذا المقال وزد على ذلك ان هذا الانبوب يساعد الصمَّ على السمع ويقوي صوت نبضات القلب ويرسلها في الفضاء حتى يسمعها الاطباء من قارة الى اخرى. وعدا ذلك فهو يولد القوة الكهربائية كما يفعل الدينامو. هذا وكل ما ينسب الى التلفون اللاسلكي في سرعة نقل الاخبار ونشر المعارف وربط الناس بعضهم ببعض يعود الى الانبوب المفرغ الذي استنبطهُ ده فرست

* * *

ولد هذا الرجل سنة ١٨٧٣ في قرية صغيرة بولاية ايوى من اعمال الولايات المتحدة ووالدهُ قسيس فيها . ودخل المدرسة وهو في السادسة من عمرهِ وكان والدهُ يريدهُ ان يقتفي خطواتهِ فيصير قسيساً مثله ولكنهُ اظهر ميلاً شديداً الى الهندسة الميكانيكية منذ نعومة اظفارهِ. وكان مولعاً بالدرس والبحث فكثيراً ما كان ابوهُ يرغمهُ على ترك الدرس في ساعة متأخرة من الليل . ولما صار لهُ من العمر ١٨ سنة عزم ان يدخل مدرسة عالية ليستعدَّ فيها لدرس الهندسة الميكانيكية في جامعة يايل ولم يكن ابوهُ في سعة من العيش ليستطيع الانفاق عليهِ في تلك المدرسة فلم يثن ذلك عزمهُ بل ذهب اليها وكان يشتغل في ساعات الفراغ بما يوفّي نفقات المدرسة

ودخل جامعة يايل سنة ١٨٩٣ في قسم الهندسة ونال شهادتها سنة ١٨٩٦ ولكنهُ اراد التوسع في العلم فقضى ثلاث سنوات اخرى وخرج ومعهُ لقب دكتور في الفلسفة . ثم ذهب الى شيكاغو ليعمل في شركة كهربائية براتب صغير جدًّا لمن كان مثلهُ حائزاً لقباً علميًّا كبيراً

نكاد لانصدق الآن ان التلغراف والتلفون اللاسلكيين كانا في مهدها منذ ٢٥ سنة ولكن اذا راجعنا تاريخهما وجدنا ان مركوني كان قد استنبط « الرابط » وهو انبوب فيهِ برادة من الفضة والنكل تؤثر فيها التموجات اللاسلكية حال اتصالها بها فتقترب الذرات بعضها من بعض وتنقل المجرى الكهربائي واستطاع ان يتناول بهِ الاشارات اللاسلكية من مسافة قريبة . اما ده فرست فمال الى التجارب اللاسلكية وهو يطلب العلم في جامعة يايل وكان واثقاً انهُ يستطيع استنباط وسيلة لتناول الرسائل اللاسلكية تفضل (رابط) مركوني .

فلما انتقل الى شيكاغو استأجر غرفة كبيرة وجعل يقتصد من راتبهِ ما ينفقهُ على تجاربهِ .
وفي احدى ليالي سنة ١٩٠٠ اتفق انهُ وضع المائدة تحت قنديل الغاز وكان في الغرفة خزانة على ثمانية امتار من المائدة وضع على سطحها ملفاً يولّد شراراً وتموجات كهربائية متى اداره بخيط ربطهُ بهِ فيصغي الى صوت التموجات بالآلة المستقبلة التي على المائدة امامهُ .
على ان امراً غريباً لفت نظرهُ وهو يجرب تجاربهُ هذه وهو ان نور الغاز كان يضعف ويقوى لغير سبب ظاهر فعزم ان يعرف السبب وبعد بحث طويل عرف ان النور يضعف حينما يدور الملف واتفق انهُ وضع الملف في الخزانة واقفلها ثم ادارهُ فلم يضعف النور فقال ان هنالك علاقة بين صوت الملف والنور لا بين التموجات والنور كما كان يظن. فعاد الى تجاربهِ الاولى متناسياً العلاقة بين النور والملف الدائر ولكن رسخ عندهُ ان قنديل الغاز خير السبل لحل المشكلة اللاسلكية الكبرى وهي استنباط آلة حساسة تلتقط التموجات. وظنهُ هذا كان صحيحاً الا انهُ لم يستطع تحقيقهُ الا بعد خمس سنوات قضاها في البحث والامتحان. وكانت النتيجة الانبوب المفرغ المذكور والمصوّر آنفاً

ولما رأى ان انبوبهُ صار على جانب من الاتقان بحيث يستطاع استخدامهُ في نقل الاخبار حدث ما حدث من اختلاط الاصوات في حادثة السباق البحري المشار اليها في صدر هذا المقال . لكنهُ لم يقنط بل مضى في عملهِ وكان أحد رفاقهِ في المدرسة قد وثق من نجاح تجاربهِ فادانهُ الف ريال مقابل ٣٠ في المائة من اسهم الشركة الجديدة التي تألفت باسم شركة ده فرست اللاسلكية

ثم اتجه بعد ذلك الى استنباط طريقة تمكنهُ من انطاق الصور المتحركة. وكانت الطريقة المستعملة حينئذٍ وضع فونوغراف دوّنت على اقراصهِ الكلمات التي ينطق بها الممثلون . ولما كان الفونوغراف مستقلاً عن آلة الصور المتحركة تعذَّر الجمع بين كلمات الممثلين وحركاتهم جمعاً طبيعيًّا فاذا اسرعت آلة الصور المتحركة في عرض الصور سبقت حركاتُ الممثلين كلماتِهم وصار المشهد يبعث على الضحك والسخرية بدلاً من ان يدعو الى الاعجاب

فخطر لده فرست ان يستنبط طريقة تمكنهُ من تحويل اصوات الممثلين الى اختلافات نورية تدوّن فوتوغرافيًّا على منطقة ضيقة من الفلم نفسهِ ثم تعاد هذه الاختلافات اصواتاً مسموعة بآلة تلفونية بعد تحويلها الى تيار كهربائي . وقد اتيحت لنا مشاهدة أول فلم صنعهُ في نيويورك سنة ١٩٢٤ ومبدؤهُ هو الاساس الذي بنيت عليهِ الصور المتحركة الناطقة التي احدثت انقلاباً في صناعة الصور المتحركة كما وصفناها في مقتطف دسمبر الماضي

الشأن الاول لمسألة المياه

لحضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا

رئيس مجلس الوزراء

قال سويفت في كتابهِ « أسفار جوليفر » ان من استطاع ان ينبت سنبلتين من القمح او ساقين من الحشيش حيث كانت تنبت سنبلة او ساق واحدة فهو اخلق بان يشكره الناس لانهُ يكون قد ادّى لبلاده خدمة اجل من خدمات جميع رجال السياسة كافة

لقد عانت مصر من الاضرار المادية بسبب الحرب العظمى الماضية ما عانت غيرها من البلاد . وليست مصر بلاداً صناعية وهي مضطرة في الوقت الحاضر الى استيراد المقادير الكبيرة من المصنوعات للقيام باعمال التجديد والاصلاح ولمقاومة الهبوط المالي . وقد كان من المتعذر استيراد هذه المصنوعات في خلال سنوات الحرب وظل الحصول عليها عسيراً حتى بعد عقد الهدنة بزمن . وعليهِ تراكمت الاعمال المطلوبة للاصلاح واضطرت الحكومة الى ارجاء خطط الانشاء الجديدة بحيث لم يكن لدى اولياء الامور عند ما عقد الصلح سوى مجموعة من اعمال الاصلاح والتجديد . ولم يكن هذا التجديد يتطلب المواد اللازمة فقط بل كان يحتاج الى جو هادئ ايضاً والى توحيد قوى البلاد كلها تحت قيادة زعمائها . الاَّ ان عناية زعمائها كانت منصرفة الى السياسة الداخلية فكانت النتيجة ان طائفة كبيرة من اعمال التجديد والصيانة ذات الشأن اهملت

وقد بعثت الآن سجلات تلك الاعمال من لحدها وبدئ بانجاز الاعمال بقدر ما تأذن بهِ الاحوال . وليست البلاد في حاجة الى المال لتنفيذ هذه الغاية فانهُ متوافر في خزينة الحكومة بسبب ارجاء الانفاق على اعمال الصيانة وبفضل اطراد الرخاء في خلال الثمانية الاعوام الماضية . وقد بلغ المال الاحتياطي لدى الدولة اكثر من سبعة وثلاثين مليوناً من الجنيهات وهو مبلغ يعادل نفقات الدولة في سنة كاملة

وعزمت الحكومة عزماً صادقاً على تنفيذ الكثير من تلك الاعمال . وقد كان معروفاً منذ عدة سنوات ان حاجة البلاد القصوى هي الى الماء للتمكن من مضاعفة محصولات البلاد في الانحاء التي لا تشغل فيها الارض الاَّ مرة واحدة في السنة . ولتقديم المياه اللازمة للجهات التي تروى فيها التربة على مدار السنة ولكن الماء فيها نكد شحاح . وفوق كل

ذلك لاستغلال الارجاء الفسيحة في شمال الدلتا . وقد قضت الحكومة عشرين عاماً في البحث في هذه الشؤون فوضع لها جارستن وديبوى ومكدونلد وسري باشا الخطط الاجمالية وفي بعض الاحوال وضعوا لها الخطط التفصيلية ايضاً . ولم توضع خطط هذه الاعمال الاجمالية والتفصيلية فقط بل ان بعضها — كسدّ جبل الاولياء مثلا — بدئ بهِ ثم ارجئ والبعض الآخر — كتعلية سد اصوان — لم يجاوز فيهِ العمل مرحلتهُ الاولى

وفي الواقع ان هذه اهم اعمال الري التي تحتاج اليها البلاد لان منافعها عاجلة . على انها ليست سوى مقدمة لاعمال الاصلاح التي تتناول انشاء سد على منفذ بحيرة البرت لتحويل ذلك المنفذ الفسيح الى اعظم مخزن (خزان) للماء في العالم ولاصلاح منطقة المستنقعات التي لا بد للماء من اختراقها قبل الوصول الى مصر

فاذا تمت هذه الاعمال الهندسية العظيمة فقد ضمنت مصر ما تحتاج اليهِ من الماء الى الابد . ولهذا جعلتها الوزارة الحاضرة في رأس برنامج اعمالها

ولقد عهد الى لجنة دولية مؤلفة من اعظم رجال الفن المحايدين في ابداء الرأي في مسألة تعلية «خزان اصوان» . فاشارت اللجنة بامكان تعليتهِ . وشرعت الوزارة في اخذ العدة للقيام بما هو لازم لتنفيذ ذلك. وقد اعترضتها بضع عقبات تتعلق بمسألة انشاء «الخزان» جبل الاولياء ولكنها سائرة في سبيل تذليلها سيراً مرضياً لمصر والسودان على السواء

وعليهِ فقد بدئ بتنفيذ هذه الاعمال اللازمة . وستواصل الحكومة العمل بالتدريج لاصلاح ما مساحتهُ تسعمائة الف ومليون فدان من الاراضي لجعلها صالحة للزراعة . ومتى تمت هذه الاعمال تحصل مصر على مقدار من الماء يزيد ثلاثمائة مليون متر مكعب على ما كانت تحصل عليهِ قبل الحرب وذلك من المياه المخزونة في

حضارة قديمة في ثوب جديد

نشرت جريدة المانشستر جارديان الانكليزية ملحقاً خاصًّا بشؤون مصر باقلام طائفة من وزرائها وكبرائها . وقدمت لهُ مقدمة بالعنوان الآنف الذكر فرأينا ان ننقل لقرائنا بعض ما جاء فيهِ من الرسائل التي تعالج المسائل العمرانية واخترنا لهذا الجزء مقالتي دولة رئيس الوزراء ومعالي وزير المواصلات . وفي الشهر القادم ان شاء الله ننقل لهم مقالة الدكتور شاهين باشا التي يعالج فيها شؤون الصحة العامة

« خزان » سنار الذي ينفع مصر مع ان الغرض الاولي منهُ هو ري السودان . وستحصل مصر على مقدار اضافي من الماءِ يبلغ اربعة آلاف وخمسمائة مليون متر مكعب بفضل تعلية « خزان » اصوان وانشاء « خزان» جبل الاولياء . وستحصل ايضاً على ماء من بحيرة البرت يكفي لزرع جميع الاراضي التي ينتظر زرعها صيفيًّا في مصر . اما الاضافي المخزون في « خزاني » اصوان وجبل الاولياء فسيتيح زراعة اربعمائة الف فدان من الاراضي الموات (اي البور) في الدلتا ويفسح مجال العمل لمليون وربع مليون من الفلاحين وبهيء اسباب التحسين لري نحو اربعمائة الف فدان آخر في الشمال ولري ثلاثمائة الف فدان بالاسلوب المعروف عند الفلاحين بالراحة وخمسين الف فدان آخر في الصعيد بماء « الطلمبات » وبذلك تخف ازمة العمل في مصر العليا — تلك الازمة التي تحدو السكان في الوقت الحاضر الى المهاجرة الى القاهرة والاسكندرية سعياً وراء العمل الذي لا يجدونهُ في بلادهم . ان الوزارة بانتهاجها الخطة السالفة قدعزمت عزماً باتاً على انجاز هذه الاعمال اللازمة وهو عزم كان ينقص مصر من قبل مع ان الحاجة الى هذه الاعمال قد اعترف بها الجميع والوسائل لتنفيذها متوافرة

وصفوة القول ان الوزارة قد انتهجت مسلكاً يمكن تلخيصهُ بما قد اقتبسناه من اقوال « سويفت » الذي صدرنا بهِ هذه المقالة وليس معنى ذلك ان اغراض الوزارة مقيدة بهذا الجزءِ المادي من برنامجها فسيبحث غيري من الوزراءِ في المسائل الخاصة برخاء الفلاح من حيث امداده بالماء الصالح للشرب وازالة ما يشوب صحتهُ وحمله على الاهتمام بحالتهِ وحالة اسرتهِ في وقت المرض ومساعدتهِ في تحسين زراعتهِ وترقية مستوى تعليمهِ لكي يكون عاملاً احسن ووطنيًّا افضل

***

[المقتطف] لا يسعنا الاّ ان نختم هذا الفصل بعبارة نقتبسها من مقالة موضوعها « مستقبل القطر المصري : مرتبط بقطنهِ» انشأها المرحوم الدكتور صروف في مقتطف يناير سنة ١٩٢١ قال فيها : « لا نزال نتذكر ماكان يقولهُ لنا لورد كرومر حينما تطلب مصالح الحكومة ان تزاد نفقاتها ولو لعمل نافع جدًّا كالتعليم العمومي. فانهُ كان يقول يجب ان تنفق الاموال اولاً على الاعمال العمومية التي تزيد ثروة السكان ومتى زادت ثروتهم زاد دخل الحكومة فيسهل عليها حينئذٍ ان تنفق عن سعة على المنافع العمومية. وقد اصابت سياستهُ من هذا القبيل ولولاها لما استطاعت الحكومة المصرية ان تنفق الآن في السنة اكثر من مليون جنيه على التعليم العمومي بعد ان كانت تعجز عن انفاق مائة الف جنيه عليهِ »

المخاطبات اللاسلكية في الرحلات القطبية

اللاسلكي في فاجعة نوبلي القطبية

خاصة بالمقتطف بقلم العالم اللاسلكي الذي رافق بعثة نوبلي

الاستاذ بهونك

اذا وُجّه اليَّ سؤال يدور على فائدة اللاسلكي في رحلتنا القطبية على متن البلون ايطاليا قلت ان فائدتهُ ثبتت فوق كل ريب . ولولا آلتنا اللاسلكية التي اتصلنا بها بالعالم المتمدن لقضي علينا ان نموت جوعاً وبرداً على ركامٍ طافٍ من الجليد

لقد اثبتت طائفة الطيّارين الحربيين انهُ يتعذر على المراقبين الحربيين في الطيارات رؤية مدفع اتقنت تعميتهُ اي دهنهُ بالوان تمتزج مع الوان الاشجار او الاعشاب اوالبيوت التي حولهُ فلا يُرى. يضاف الى ذلك ان الاستطلاع من الجوّ فوق مفاوز الجليد التي تحيط باحد القطبين اكثر صعوبة من الاستطلاع الحربي لان النور المنعكس والمنكسر على سطح الجليد يبهر الابصار فلا يستطيع الطيّار من الجوّ ان يرى رجلاً او خيمة مضروبة ولو كان لونها احمر غامقاً. لذلك يجب ان يعمد الى الاشارات اللاسلكية في ارشاد الطيارات والسفن التي تبحث عن بعثةٍ ضائعةٍ الى مكانها . ولولا هذه الاشارات لما تمكنت السفينة الروسية كراسين من الاهتداء الى رجال البعثة ونجدتهم لان الناس كانوا يظنون اننا في مكان ابعد غرباً من المكان الذي كنا فيهِ لذلك اتجهت عناية الباحثين عنا الى البحث في المكان الذي لم نكن فيهِ

تدور مباحثي العلمية على موضوع الاشعاع .فنواميس الاشعاع الاساسية مشهورةوقد كشفتها اولاً مدام كوري التي تشرفتُ بالتلمذ لها . ولكن النواميس التي تشمل الاشعاع وعلاقتهِ بالظاهرات الجوية لا تزال غيرمحققة لدى العلماء ولا بدَّ لهم من ان يقضوا زمناً طويلاً في جمع الحقائق وامتحانها ثم ترتيبها وتنظيمها قبلما يتسنى لهم استنباط النواميس العامة التي يصحُّ الاعتماد عليها

وهذا الفرع من فروع العلم لا يزال بكراً ولذلك اراهُ من اعلق المباحث بالنفس لانهُ يحملها على اجنحة الشوق الى استقصاء المجهول . وقد وقفت حياتي العلمية عليهِ لذلك لما

سنحت لي فرصة الانضمام الى بعثة نوبلي اغتنمتها لانها مهدت امامي ميداناً لجمع الحقائق العلمية المرتبطة بموضوع بحثي. ولم يخطر ببالي قط اني باغتنامها اعرّض نفسي للمخاطر. ألا يعرّض الطيارون حياتهم للخطر حينما يحاولون عبور المحيط مثنى وثلاثاً مع ان غيرهم اثبت امكان هذا العبور قبلهم؟ ان الانسان لا يستطيع ان يفكر بشخصهِ الضعيف الضئيل حين ينفتح امامهُ فصل حافل بالعجائب من الكتاب الذي يخط فيهِ الانسان تاريخ صراعهِ مع الطبيعة وانتزاعهِ اسرارها. امامنا اسرار محجَّبة ١ — ما علاقة الامواج اللاسلكية بالهواء؟ كيف يمتصها او يعكسها؟ كيف تضيع احياناً طلبات الاستغاثة S. O. S. التي تذيعها البواخر حين يحدق بها الخطر؟ كيف يمكننا الاتصال بالروّاد الذين يضربون في الصحاري القاحلة او على مفاوز الجليد ولا صلة تصلهم بابناء البشر الاَّ هذه الامواج الخفية؟

ثم هناك كل المسائل التي ترتبط باطارة طيارة من غير سائق وادارتها في الجوّ بجهاز لاسلكي على سطح الارض وما يلي ذلك من التحكم بالقوة اللاسلكية واذاعتها واستقبالها. هذا ميدان واسع للبحث والاستنباط يعود بفائدة كبيرة على الحضارة اذا عرفنا كيف نبتدع الحلول العلمية لهذه المسائل وما اليها. لذلك اقول ان المخاطبات اللاسلكية على فائدتها العظيمة في ارشاد اصحاب النجدة الينا وتخليصنا من قبضة الجليد لا تزال تحتاج الى اصلاح واتقان. فقد مضت علينا ايام كانت صلتنا الوحيدة مع العالم المتمدن هذه الآلة الصغيرة التي تذيع الانباء وتستقبلها. ولكنها فجأة صمَّت عن السماع كما عجزت عن الكلام فانقطعت الصلة التي بنينا عليها كلَّ آمالنا وبتنا نشعر حينئذٍ بما تحتاج اليهِ المخاطبات اللاسلكية من وسائل الاصلاح والاتقان حتى تفي بالحاجة اليها وفاءً يصحُّ الاعتماد عليهِ

***

لما غادرنا ايطاليا على متن البلون «ايطاليا» امتحنا الاجهزة اللاسلكية في دائرة نصف قطرها ١٧٥٠ ميلاً. امتحناها فوق اليابسة وفوق البحر ثم امتحناها بين رومية وميلان اذاعةً واستقبالاً فوفت بالغرض ثم طلبتُ ان يسمح لي ان نمتحنها في المناطق القريبة من القطب لعلَّ للاحوال الجوية والعوامل المغنطيسية فعلاً خاصًّا بها فلم يتَّحْ لي ذلك لان البعثة تأخرت عن الوصول الى سبتسبرجن في الميعاد المعين لارتياد الاصقاع القطبية ولذلك قيل لنا ان الوقت غير متسع للمباحث النظرية. وكان قد اتيح لي قبلاً ان ارافق بعثة امندسن الى القطب فقمت حينئذٍ بتجارب من هذا القبيل ولكنها لم تكن وافية

لذلك بدأْنا رحلتنا ونحن لا نعرف معرفة كافية كيف تتصرف اجهزتنا اللاسلكية في المناطق القطبية. على اننا لم نكن ننتظر ان تدهمنا نكبة كالنكبة التي دهمتنا وان تصبح هذه

بحر رس

خليج الحيتان

CAPE MANS HEAD

NUNATAKS

الباخرة مدينة نيويورك

الى « اميركا الصغرى »
مقرّ بعثة برد

منظر لفاوز الجليد عند مدخل القارة المتجمدة الجنوبية حيث رست الباخرة التي قلت رحال بعثة برد واكثر معداتها

مقتطف أبريل ١٩٢٩

امام الصفحة ٤٩٣

الاجهزة الدقيقة عمادنا الجوي الوحيد. فلما حلّت بنا النكبة وانفصلت مركبة البلون عن هيكله الطائر بقيت اكثر الاجهزة في الهيكل ودمّرت بتدميره . لذلك فرحنا فرحاً لا يوصف حين وجدنا انفسنا على الجليد وفي حوزتنا آلة لاسلكية صغيرة للاذاعة والاستقبال بالامواج القصيرة . وكانت الاذاعة بهذه الآلة على ما يرام من القوة والوضوح فتمكنا من ان نتصل بها بمحطات لاسلكية تبعد عنا مئات الكيلومترات فكانوا يسمعوننا وكنا نسمعهم

ولا بدَّ من ان اذكر في هذا المقام ان الاعتماد على الامواج القصيرة آخذ في الذيوع رويداً رويداً لان ما يذاع بها يكون اوضح ويسمع على مسافات ابعد . وقد احذت محطات الامواج القصيرة تحلُّ محلَّ المحطات التي تعتمد على الامواج الطويلة . ولكننا مع هذا لا نزال ما نعرفهُ عن الامواج القصيرة نزراً وخصوصاً ما يرتبط منها بالظواهر الجوية والافعال الكهربائية والمغناطيسية

***

وكنا ذات ليلة نستعمل آلتنا الصغيرة فاذا هي تبدو لنا فجأة ، صمّاء بكماء ، لا تذيع ما نريد اذاعتهُ ولا تستقبل ما نودُّ الاطلاع عليهِ . وعندي ان سبب ذلك هو انخفاض طبقة الجوّ الكهربائية التي تدعى طبقة كنلي هيفيسيد . اذ لا يخفى ان استقبال الرسائل اللاسلكية يتوقف على امرين الاول الامواج التي تذيعها الآلة المرسلة وتستقبلها الآلة رأساً والثاني على الامواج التي تنتشر في الفضاء في كل الانحاء فتعكسها الى سطح الارض طبقةٌ من الهواء كأنها مرآة كهربائية صقيلة . وارتفاع هذه الطبقة عن سطح الارض في المناطق المعتدلة يبلغ نحو خمسين ميلا اما في المناطق المتجمدة القطبية فهي واطئة جدًّا بسبب دوام النهار في الصيف . فينتج عن ذلك في بعض الاحيان ان تصبح الآلات اللاسلكية صمّاء بكماء لا تذيع ولا تستقبل والمرجح ان السفن والطيارات التي كانت تبحث عنا اصيبت اجهزتها اللاسلكية بما اصيبت بهِ آلتنا فتعذر عليهم سماعنا كما تعذر علينا سماعهم

هذا رأيي. ولا يمكننا تأييدهُ او نفيهُ الاَّ بعدما نجمع قدراً كبيراً من الحقائق وخصوصاً علاقة الاشعة اللاسلكية بالاشعة الكونية التي كشفها ملكان

ومن الخطأ ان يحسب عجز الآلات اللاسلكية عن الاذاعة والاستقبال عائداً الى اضطراب الجوّ لانهُ قد تثور عاصفة زعزع ولا تؤثر في الامواج اللاسلكية المنتشرة في الفضاء فتلتقطها الآلات المستقبلة من غير عناء كبير . انما السبب في هذا العجز ينجم غالباً عن اضطراب كهربائي مغنطيسي في الجوّ وهذا هو الموضوع الذي لم يوف بحثاً بعدُ مع ان ابلتن وبرنيت ووط من الباحثين الانكليز كشفوا حقائق كثيرة مرتبطة بهِ . ولذلك

اقترح ان تكون كل محطات الظواهر الجوية مجهزة بآلات دقيقة لقياس التغيرات المغناطيسية والكهربائية التي تحدث في الجوّ

على اننا لم نكن نعلم كل هذه الحقائق ونحن مخيّمين على ركام طافٍ من الجليد لا حول لنا ولا طول . والامر الوحيد الذي كنا نعرفهُ هو ان عاملنا اللاسلكي بياجي ومهندسنا تشكيوني عجزا عن اصلاح الخلل الذي طرأ على آلتنا اللاسلكية ليعيدا اتصالنا بها بالعالم الخارجي . وبعد ما فشلنا في محاولتنا اصلاحها اخذنا نفككها الى اجزائها لعلنا نقف على منشإِ الخلل فعجزنا مع ان تشكيوني اظهر من البراعة الميكانيكية ما استرعى دهشتنا واعجابنا . ثم خطر لنا ان سبب الخلل قد يكون ناجماً عن الاسلاك الهوائية التي تلتقط الامواج من الفضاء فرفعنا الاسلاك على مزلقتين من المزالق التي معنا ثم اخذنا الآلة نفسها وجعلنا نرفعها آناً ونخفضها اخرى فلم نفلح حتى كاد القنوط ان يستولي علينا . وكان سبب ذلك اضطراب مغناطيسي كهربائي في الجوّ دام اربعة ايام بلياليها من ٧ يونيو الى ١٠ منهُ ولكننا لم نكن نعرف ذلك حينئذٍ . وفي اليوم الحادي عشر من يوليو عادت مياه الآلة اللاسلكية الى مجاريها فتخاطبنا مع السفينة كراسين فاهتدت الى مكاننا

لذلك نقول ان وسائل المخاطبات اللاسلكية لم تفشل في تأدية مهمتها ولكننا مع اننا مدينون لها بنجاتنا لابدّ من ان نقول من ان الاجهزة لا تزال معقدة التركيب والبطريات اللازمة لها في عملها لا تزال كبيرة ثقيلة . ورغماً عنا لابدَّ من التصريح بان الغراموفون يفوق الموسيقى التي تستقبَل لاسلكيًا لان الاذاعة والاستقبال يتوقفان على عوامل مغنطيسية في الجوّ لا قبل لنا الآن بفهمها والتحكم بها

الارتياد اللاسلكي : الصعوبات

هذا وصف المصاعب اللاسلكية التي اعترضت سبيل نوبلي وصحبهِ في نكبتهم المشهورة بقلم عالمٍ شهدها لم تكد تنتهِ من مطالعتها ونقلها حتى ورد علينا عدد من مجلة السفير الانكليزية وفيه وصف مسهب لما تقوم بهِ المخاطبات اللاسلكية من الاعمال الجليلة للعلم والصحافة والارتياد في بعثة برد الى القطب الجنوبي فآثرنا نقل خلاصتها الى القارىء

تحمل بعثة برد الى القارة المتجمدة الجنوبية اثنتين وعشرين آلة لاسلكية للاذاعة واربعاً وثلاثين للاستقبال وفي اثناء فصل الارتياد يبقى خمسة من العمال متصلين بالروّاد المتفرقين في انحاءِ القطب وبالعالم المتمدن . لان كلَّ فريق من رجال البعثة يطير بالطيارات لاستكشاف المجاهل من الجوّ او يمتطي المزالق لارتيادها على سطح الجليد يجب ان يكون

فيه عامل لاسلكي وآلة لاسلكية حتى اذا حدث لهُ مكروهٌ ما في اثناء القيام بعمله بلغت اخبارهُ حالاً الى الباخرة الراسية في خليج الحيتان والى الرجال المقيمين في المركز العام فتتخذ الوسائل لارسال النجدة اليهِ .وقد مضت اسابيع الارتياد الاولى كان فيها مقر كلُّ رجل من رجال البعثة معروفاً لدى القيادة العامة كلَّ نصف ساعة من الزمان

وقد اتفقت جريدة التيمس النيويوركية مع قيادة البعثة على اختصاصها باخبار الرحلة من اولها الى آخرها لقاء مبلغ كبير من المال ا نفق في اعداد معداتها وارسلت مكاتباً من قبلها يحسن جمع الانباء وكتابتها وارسالها لاسلكيًّا ليوافيها يوميًّا بانباء هذه الحملة القطبية التي لم نرَ لها مثيلاً في تاريخ ارتياد القطبين في كمال معداتها وطول بقائها في الاصقاع المتجمدة وشمول اغراضها للبحث الجغرافي والعلمي على اختلاف مناحيهِ

كان ينقضي على روّاد القطبين اولاً شهور قبلما يتسنى لهم ان يعودوا الى البلدان العامرة يذيعون منها انباء مكتشفاتهم . اما الآن فاصبح قراءُ الصحف اليومية يطلعون على هذه الاخبار يوماً يوماً بل ساعة ساعة . واذا اتيح لبرد وصحبهِ ان يطيروا من مركزهم على الشاطىء الجليدي الى القطب الجنوبي ويعيدون اكتشافهُ فقد لا يعودون من القطب الى مقرهم العام حتى تكون اخبار فوزهم قد سارت الى اجنحة الامواج اللاسلكية الى نيويورك — الى مكتب نيويورك تيمس — ومنها ترسل الى سدني باستراليا وانفرس وبراغ ولندن وميلان واوساكا باليابان وروتردام ومكسيكوستي واوسلوا عاصمة نروج وستوكهلم وهلسنغفور عاصمة فنلندا وبونس ايرس عاصمة الارجنتين ولاباز عاصمة بوليفيا وكارتاجينا عاصمة كولومبيا وباريس وغيرها من المدن العظيمة التي اتفق اصحاب الصحف الكبيرة فيها على شراء هذه الاخبار من نيويورك تيمس

ترسل هذه الرسائل اللاسلكية بمتوسط ١٢٠٠ كلمة في الساعة وقد يسرع الارسال والاستقبال فيبلغان ١٥٠٠ كلمة في الساعة الى ٢٠٠٠ كلمة اذا لم يعقهما اضطراب الجوّ على ما بيّنهُ الاستاذ بهونك . على ان عامل الاستقبال في نيويورك يثبت في مكانهِ حتى يجمع فتات الانباء المرسلة اليهِ مهما اضطربت احوال الجوّ الكهربائية والمغناطيسية .وقد حدث فعلاً ان مكاتب التيمس المذكور لم ينهِ بعض رسائلهِ حتى كانت عباراتها الاولى قد نضدت حروفها واعدت للطبع في نيويورك مع ان المسافة بين المكانين لا تقل عن عشرة آلاف ميل . وفي كل ليلة سبت يجلس رجال البعثة في مقرهم يصغون الى ما تذيعهُ بعض المحطات الاميركية من الاغاني والقطع الموسيقية . أين هذه الحال من تلك الوحدة الرهيبة التي خاضها سكوت وشاكلتن وامندسن الى القطب !

وسائل النقل والتلغرافات والتلفونات

في القطر المصري

لحضرة صاحب المعالي عبد الحميد سليمان باشا وزير المواصلات

(١) النيل

لا بد لكل بيان عن حالة المواصلات في مصر ان يبدأ بالاشارة الى المواصلات عن طريق النيل — ذلك النهر الذي تحسب مصر نفسها مدينة بوجودها له والذي كان سبب غنى اراضيها منذ أقدم الازمنة حتى الآن وكان بمنزلة اعظم طريق سلطاني للشعب المصري. ولهذا السبب كان المصريون من اقدم بناة السفن في العالم . وان الملمين بالنقوش التي تشاهد على جدران المعابد القديمة يذكرون مشاهد بناء السفن وصور المراكب ماخرة عباب النيل . وقد كان المصريون القدماء ينقلون حجارة الغرانيت والحجارة الكلسية من مكان الى مكان بواسطة النيل . ومع ان ماء هذا النهر يجري من الجنوب الى الشمال فان الرياح تهب عليه من الشمال الى الجنوب . وهذا مما يسهل الملاحة في النهر

ولا تزال المراكب الكثيرة تمخر عباب النيل . ولاشك ان السياح الذين يزورون مصر في الوقت الحاضر يقفون معجبين بالمراكب الشراعية وهي تنتقل من ميناء الى ميناء مثملة بالشحن وشرعها جميلة المنظر منتفخة بفعل الهواء . ولا يفوتنا ان نذكر الذهبيات والبواخر النيلية . والاخيرة مراكب فخمة تتيح للزائر رؤية نهر النيل العظيم وعلى ضفتيه اثنتان وثمانون مدينةوقرية كبيرة ، وهناك شبكة من الترع والقنوات توزع المياه على جميع المناطق الآهلة بالسكان

(٢) ترعة السويس

اما ترعة السويس فقائمة بنفسها وليست من طائفة الترع ذات المياه العذبة ويبلغ طولها مع طول ما يتصل بطرفيها من البحر الملح مائة وثمانية وخمسين كيلو متراً وتمتاز بكونها لا توصد .وقد بدئ بحفر هذه الترعة في سنة ١٨٥٩ وفتحت للتجارة الدولية في سنة ١٨٦٩. ومنذ افتتاحها لم ينقطع العمل لصيانة مجراها وضفتيها . اما عمقها فقد كان في الاصل ثمانية امتار وعرضها عند سطحها اثنان وعشرون متراً . ويبلغ اقل عمقها الآن عشرة امتار ويختلف عرضها من خمسة واربعين متراً الى ستين متراً . ولا يزال العمل متواصلاً لجعل
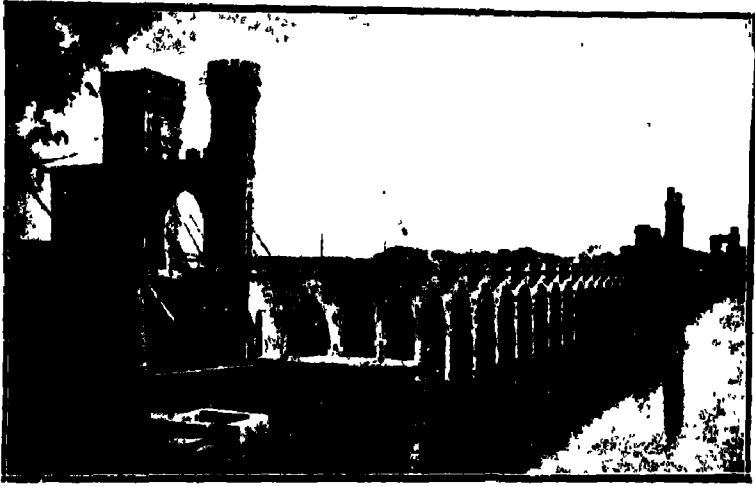
القناطر الخيرية

المراكب الشراعية على النيل

مقتطف مايو ١٩٢٩
امام الصفحة ٤٩٧

اقل عمقها اثني عشر متراً وعرضها في جميع اجزائها ستين متراً

ولهذه الترعة محطات للمراقبة متصلة ببور سعيد والاسماعيلية والسويس بالاسلاك التلغرافية والتلفونية على مدى كل عشرة كيلو مترات على كلتا الضفتين . ومعظم السفن التي تجتاز الترعة هي بريطانية . وقد بلغ مجموع وسق السفن التي مرت بها في السنة الماضية ستة وعشرين مليوناً وسبعمائة واثنين وستين الف طن وبلغ مجموع دخل الترعة في سنة ١٩٢٥ ستمائة وثمانية ملايين وستمائة وسبعة وسبعين الفاً من الفرنكات وبلغ في السنة التي بعدها ٧٤٦ ٥٤٧ ٠٠٠ فرنك . اما مجموع النفقات فبلغت مائة واربعة عشر مليون فرنك في سنة ١٩٢٥ ومائة وثمانية عشر مليوناً وسبعمائة الف فرنك في السنة التي عقبتها

(٣) الترع الاخرى والنقل الميكانيكي

وليس بين ترع البلاد الداخلية سوى قليل منها يصلح للملاحة على مدار السنة لان معظم تلك الترع هي للري فهي عرضة لما يطرأ على النيل من ارتفاع وانخفاض في فصول السنة المختلفة . على انها اداة صالحة للنقل . وقد مهدت اغلب الطرق الزراعية على محاذاتها لان اسس تلك الطرق هو التراب المتراكم من حفر الترعة . ويبلغ مجموع طول الطرق الزراعية نحو ستة آلاف كيلو متر تخترق جميعها قلب البلاد

ثم ان بين القاهرة والسويس طريقاً تخترق الصحراء والاوتوموبيلات تجتازها اليوم بكثرة . وفي الصحراء طرق اخرى كثيرة تصلح لسير الاوتوموبيلات ولكن جوب الصحراء يحتاج الى حذر عظيم اذ يجب ان يتم بارشاد مرشدين جديرين بان يعتمد المرء على خبرتهم كما انهُ يجب اخذ العدة والزاد واوتوموبيلين اضافيين على الاقل . وقد اقيمت على محاذاة الطرق علامات يستدل بها المسافر على وجهته

وقد ادت ضروب التسهيل بالطبع الى اتساع نطاق النقل الميكانيكي فاصبحت الاوتوموبيلات ومركبات اللوري تنافس القطرات الحديدية كما في جميع البلدان

اما الطرق والجسور (الكباري)الكبرى في مصر—ما عدا جسور السكك الحديدية وقناطر الري فتقوم بصيانتها « مصلحة الطرق والكباري » التابعة لوزارة المواصلات . وهنالك طرق تخترق النيل والترع في مواضع مختلفة وتصلح سدوداً او قناطر او جسوراً للسكك الحديدية . كما ان على النيل والترع مئات من المراكب والقوارب لنقل الناس من ضفة الى اخرى . وجميع هذه المراكب مسجلة في مصلحة تسجيل المراكب التابعة لوزارة المواصلات . وقد بلغ عددها في سنة ١٩٢٧ اكثر من احد عشر الف مركب . وبلغ مجموع وزن البضائع التي نقلتها المراكب مارة تحت جسر امبابه نحو خمسمائة وتسعة

وستين الف طن في سنة ١٩٢٣ ونحو ثمانمائة وتسعة وعشرين الفاً في سنة ١٩٢٧ ومعظمها من مواد البناء التي يتطلبها اتساع نطاق العمران السريع في القاهرة . وقد كثر استخدام البواخر في المياه الداخلية ومن ضمنها بواخر شركة الخواجات توماس كوك وولده وبواخر شركة الانجلو اميركان النيلية والزوارق المختلفة التي هي في ازدياد مستمر

(٤) السكك الحديدية

على ان السكك الحديدية هي وسيلة المواصلات العظمى . وقد كانت مصر من اقدم البلاد التي انشئت فيها هذه السكك وقررت ان يكون عرضها العرض المتفق عليهِ في جميع انحاء العالم . وفي سنة ١٨٥٢ عهد الخديوي عباس الاول الى المهندس جورج ستيفنسون بانشاء الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية . ومنذ ذلك الحين اتسع نطاق السكك الحديدية في مصر فزادت سنة بعد اخرى وعمت مكاناً بعد آخر ففي سنة ١٨٧٤ وصلت الى اسيوط وفي سنة ١٨٩٨ وصلت الى الاقصر . وجاءت بعد ذلك الحملة على السودان بقيادة اللورد كتشنر فأدت الى انشاء خط حديدي بين الاقصر واسوان كان عرضهُ ثلاث اقدام وست بوصات ثم ابدلت بهِ مصلحة السكك الحديدية بعد ذلك خطاً عريضاً من المقياس المتفق عليهِ . وعقب ذلك انشأت بعض الشركات خطوطاً ضيقة من مقياس قدمين ونصف قدم ومن مقياس متر واحد وذلك باذن خاص من الحكومة المصرية

ولا تزال الخطوط والمحطات والجسور الجديدة تنشأ وحيثما اقتضت الحاجة جُعل الخط مزدوجاً . والوزارة تعمل الآن بهمة على جعل الخط مزدوجاً بين اسيوط والمنيا

ويبلغ الآن طول الخطوط التي تمتلكها الحكومة ٣٢٨٠ كيلومتراً وطول الخطوط التي للشركات ١٣٧٦ كيلومتراً . ويبلغ عدد الركاب الذين تنقلهم السكك الحديدية الاميرية ثلاثين مليون نفس في العام ومجموع وزن البضائع التي تنقلها سبعة ملايين ونصف مليون طن فضلا عن خمسين الف طن من امتعة الركاب تقريباً وعن خمسمائة وخمسين الف راس من الماشية . وفي محطة القباري بالاسكندرية — وهي الموضع الذي يرسل اليهِ القطن عادة — مائتان وخمسون « مزلقانا » تمرُّ عليها كل يوم نحو الفي وخمس مائة مركبة . ويسير كل يوم خمسمائة قطار للركاب ومائتان وعشرون قطاراً للبضاعة وكلها تابعة لمصلحة السكك الحديدية . وتمرُّ هـذه القطارات على ثلاثمائة وعشرين جسراً منها ثمانية جسور فوق نهر النيل . وفي القنطرة ناقل ينقل ركّاب السكك الحديدية فوق ترعة السويس فهو حلقة اتصال لنقل المسافرين والبضائع الى السكك الحديدية الفلسطينية

ولشركة المركبات عربات للاكل والنوم ومركبات من طراز بولمان مردفة بقطرات

« الاكسبرس » بالاتفاق مع مصلحة السكك الحديدية . واهم القطارات مجهزة بمدافئ بخارية وبالنور الكهربائي وبمصابيح خاصة للمطالعة كما انها مجهزة ايضاً « بالفرامل » من الطراز المفرغ من الهواء وفي فصل الشتاء تسير القطرات الفخمة بين القاهرة والاقصر واصوان ومنها القطار الموسوم « باكسبرس الشمس المشرقة » الشبيه بقطار « السهم الذهبي » في انجلترا وقطر « كوكب مصر » الشبيه « بالقطار الازرق » . وقد بدئ حديثاً بتسيير مركبات بخارية لنقل المسافرين والبضائع في انحاء الدلتا . والوزارة تنظر الآن في « مشروع كهربة خط حلوان » ووصل هذا الخط فيما بعد بخط المرج . فاذا وافقت الحكومة على ذلك وجب انشاء خط كهربائي يجتاز القاهرة في نفق تحت الارض وسيخفف ذلك وطأة الزحام التي يعانيها المرء في الانتقال من الاحياء الشرقية الى الاحياء الغربية

وستنشئ الوزارة مصانع (ورشاً) للسكك الحديدية خارج القاهرة اكمل معدات من المصانع الموجودة الآن في بولاق . وقد شرعت ادارة السكك الحديدية في ادارة خط الترام الكهربائي بين الاسكندرية وسان استفانو وهو الخط المعروف بترام الرمل

وتقوم ادارة السكك الحديدية الاميرية على النظام المعروف « بالمصلحي » الا فيما يتعلق بترام الرمل المشار اليه . وميزانيتها هي جزء من ميزانية الدولة . وقد زاد الدخل من ٢٥٣ ١١٨ ١ جنيهاً مصرياً في سنة ١٨٧٧ الى سبعة ملايين جنيه في سنة ١٩٢٧ ويقدر رأس مال السكك الحديدية في الوقت الحاضر بواحد وثلاثين مليوناً من الجنيهات وقد بلغ صافي الربح في سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ مليونين واربعمائة وستة واربعين الف جنيه اي نحو ٧٦ ، ٧ في المائة من رأس المال . اما العمال فيبلغ عددهم خمسة وثلاثين الفاً

ولشركة سكك الدلتا الضيقة ما طوله ٩٧٨ كيلومتراً من الخطوط التي يبلغ قياس عرضها قدمين ونصف قدم . وهي تتصل بخطوط السكك الحديدية الاميرية في عدة مواضع . وقد بلغ عدد الذين نقلتهم هذه الشركة على خطوطها في سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ثمانية ملايين واربعمائة وثلاثة وسبعين الفاً وتسعمائة واثنين وتسعين نفساً

وقد بدئ باستعمال المركبات البخارية ووسائل النقل الميكانيكية لمنافسة الاوتوموبيلات في الارياف . وهي تنقل جانباً كبيراً من محصول البلاد الزراعي ومن ادوات البناء والمعادن والسمك . اما خط الوجه البحري (ومقياس عرضه متر واحد) فمقصور على انحاء الدلتا الشمالية الشرقية . وهذا الخط متصل بالسكة الحديدية الاميرية عند المنصورة . وفي مديرية الفيوم خط مفرد ضيق يبلغ عرضه ثلاثة ارباع المتر « لشركة سكة حديد الفيوم الضيقة »

التتمة في الشهر القادم وتتناول التلغراف والتلفون والبريد والموانئ والمواصلات الجوية

اوراق الورد(١)

رسالة الابتسامة

يُدَمْدِمُ الحُبُّ على قلْبِهِ كأنه في نفسِهِ يَنْهَدِمْ
برَجفةٍ حامِلُها لم يَزَلْ مُمزَّقاً في القلبِ لا يلتئم

***

زلازلُ البركانِ لما دَعَتْ إذ سئِمتْ بركانَها المحتَدِمْ
أجابها اللهُ الطفِي وارجفِي من شفتَيْ محبوبةٍ تبتسِمْ

***

لا يمكن القلبَ أن يعانق القلب ، ولكنهما يتوسلان الى ذلك بنظرة تعانق نظرة وابتسامة تضمُّ ابتسامة

كلمة سماوية مخلوقةٌ من الضوء في شفتيكِ الجميلتين تعبّرُ عن كل شيء بحركة واحدة لا تتغيّر ولا تختلف ، على حينِ أن معانيَها في النفس دائبة في تغيُّرها واختلافها

في عينيكِ الأحلامُ رهيبةً غامضة ، ولكنْ على شفتيكِ معانيَ الأحلام واضحةً مفسَّرة فابتسامكِ هو كلامكِ الذي لا تتكلمين به . وهو يضيء ليومئ باشارة سماوية الى سر المجهول الذي يتحجّبُ في جمالك . ولكنه لا يكاد يُومِضُ حتى يطفئه هذا السر . فيعودُ فيستطير ثم يعود فيختفي ثم يعودُ ثم يعود.

---

(١) « أوراق الورد — رسائلها ورسائله » هي التي نبهنا اليها في آخر كتابنا (رسائل الاحزان في فلسفة الجمال والحب) وهي معان تطارحها شاعر روحاني فيلسوف وشاعرة روحانية فيلسوفة في رسائل جرت بينهما في حالات مختلفة يكتب اليها بما عنده منها وما عنده منه من نفسه وما يكون من الوجود المحصور بينهما في حدود الحب وكذلك تفعل هي . وقد كتب هو لنفسه بما في نفسه لا غير . وهذه رسالة الابتسامة واحدة منها

أهناكِ نزاعٌ على حقيقة خفية من الحقائق الجميلة لم تجد لها مخبأ الا ثغركِ الجميل؟
أم لكِ فكرٌ شعريٌ موسيقيٌ فهو يرقص دائماً على وزنٍ من ابتسامك؟
أم في قلبكِ مادةٌ من النجوم فهي دائماً تلمحُ لمحها في سماء وجهك النيّرة؟

***

يجد الطفل على كل حالة وفي كل مكان سرورَ نفسه لسبب واحد وهو أن ابتسامه أبداً معه، فهو لم يملك من الوجود شيئاً بعدُ ولكنه أغنى من عليها بهذا الكنز الذي خبأته السماء فيه لينفق منه فيما لا تبيعُ كنوزُ الأرض ولا تشتري

لولا هذا الابتسامُ في هؤلاء الأطفال وأنه على أفواههم كالنبض في قلوبهم، لما نفعتْهُمْ نافعةٌ في تحصيل النموّ للجسم والصبرِ للطبيعة والاستقرارِ للعاطفة والهدوء للنفسِ والسعةِ للعقل، ولضغطت الحياةُ أجسامَهم ونفوسَهم اللينة في قوالب معانيها المحدودة الضيقة المصبوبةِ من الضجر والآلام والهموم فما يكبرُ من بعدها على الأرض طفل أبداً. ولكن ابتسامَهم سَراحٌ من كل قيود المادة. هو أشعةُ الهية تذيب ما حول القلب الصغير من المعاني الضاغطة عليه ولو كان كلُّ معنى رُوحَ جبلٍ صخريٍّ من الهمّ

لا تزال الجنّةُ مع الطفل حتى اذا كَبِرَ قيلَ له كما قيلَ لآدمَ أهبطْ منها
أكل آدم من الشجرة ولا شيء يضيع في الكون فأين الحلاوة؟ هيَ في أفواه الأطفال

***

ويتبسّم الطفل ويضحك ونحسبُ ذلك على مقداره. كلاّ إنه وان يكن طفلاً صغيراً في ملء جلده وعلى وزن جملته، ولكن مادة ابتسامهِ على مقدار

الطبيعة كلها لأن عظمة الكون هي التي ترعاه بهذا الأسلوب الصغير
هو لا يحيا في العالم بل في معاني نفسه . وبذلك هو دائماً فوق الدنيا
ومن حياة الأطفال في معاني أنفسهم ندرك سرَّ الحب وسرَّ السعادة ،
فان كل لذة الحب وإن أروعَ ما في سحره أنه لايدعنا نحيا فيما حولنا من العالم
بل في شخص جميل ليس فيه إلا معاني أنفسنا الجميلةُ وحدها ومن ثَمّ يصلنا
من جمال الحبيب بجمال الكون ، وينشئ لنا في هـذا العمر الانسانيّ المحدود
ساعاتِ الهيبةَ خالدةَ تُشعِرُ المحبّ أن في نفسه القوةَ المالئةَ هذا الكونَ على
سعته . فتمرُّ النفس حينئذ في سبحاتِ اللذة الروحية من الجميل ، الى الجمال ،
الى الطبيعة ، الى الله

***

أما ابتسامتكِ أنتِ ؟
انكِ حين تمنحين نظرتَكِ وتُتبعينها الابتسامةَ التي تفسّرها ، أقول عندئذٍ
في نفسي لقد عَلِمَ اللهُ علمَهُ في حكمته ورحمته . فلما خلق الحقيقةَ من قوّته عابسةً
جافيةً قابلها من رحمته بالحبيبة متبسمةً رقيقة . فلعل المرأة الجميلة أسلوبٌ في
الفرع الانساني كأسلوب انشاء الزهرة في ذات القوة الخشنة التي تنبت الشوك

***

المعنى الذي لا يتحولُ بغيره يقابله المعنى الذي لابد ان يحوّل غيرَه . إنها
مشكلةٌ عجيبة كان حلُّها أعجبَ منها
فما توجد امرأةٌ هي جميلةٌ فاتنةٌ في وهم رجل إلا انبعث من شخصها معنى
ليس في أحد غيرها كأنَّ فيها وحدها ما لا يوجد في آدميّ . وفي هذا السيّال
المعنويّ يذوب كل شيء . وترى هذا الرجلَ يصغرُ للحب — ولا أقول يصغرُ

بهِ - فيرجع كالطفل تتولاّه الطبيعة في شكل امرأة ، تعمل وحدها فيما يسوء ويسرُّ عملَ الدنيا وأكبرَ من عمل الدنيا

ولكلِّ محبٍ مع المخلوقات التي يعيش بينها مخلوقات من خواطره وآماله ، وهذا برهانٌ آخر على ان الشخص المحبوبَ أحدُ قوتين متقابلتين في الخلق

***

في ابتسام الحبيب يتنقّل العاشقُ بروحه بين المعاني والخيالات الشعرية السماوية ، وفي تلك النظرات يسافر بقلبه الى أحلامه البعيدة كما يسافر الفلكيُّ بعينه الى النجوم في (التلسكوب)

يسمُّونه ابتساماً . ولكن حين يظمأ النباتُ لا يقول للناس أريد الماء ، بل يقول للشمس وحدها أريد من شعاعك البارد العذب يا حبيبتي

والماء حين يبصر تحرُّق الأسفنج الجافّ يقول إن كل ثقب من هذه الثقوب نفسٌ ظمأى

كذلك أُوحيَ اليَّ أن محباً قبّل حبيبته في روضة عند شجرات من الورد ، فأشارت إحداهن الى شفتي الجميلة المضمومتين وقالت لصواحبها : أسمعتنَّ قطُّ أجملَ من صوت هذه الوردة الصغيرة وهي تتفتح . . .

الزمنُ كلُّه موسيقى عند المحب ، ولماذا ؟

لصوت حبيبته

والزمن كلُّه ربيع في رأي عينيه ، والدليل ؟

وردُ خديها وشفتيها

والزمن كلُّه جمالٌ في نفسه ، والبرهان؟

كلها . كلها . . .

وهل أبدع اللهُ الفمَ الجميلَ المبتسمَ بهندسته وتقسيمه الا ليُبدِعَ هو في إبتساماته فنَّ الروح حين لا تستطيع أن تتكلم فترتعش . . . ؟

كلامُ الفكر من اللسان ، وكلامُ القلب من العينين ، أما كلامُ الروح فهو هذه الحركةُ البليغةُ وحدها . وحدها

أليس تألق الماسة هو وحده لغةَ معدنها النفيس ؟

الألفاظ تجيء ومعانيها في نطقها . ولكن ابتسامَ الحبيبة هو يستخرج معناه من محبها

واللغة رابطة بين النفس والمادة، وأما الابتسام فرابطة بين الحسن والقلب

إنها الروحُ تأخذ عن روح أخرى في حالة من الحالات النفسية الخالقة، تحوِّلُ كلَّ شيء الى لغةٍ حتى اللحمَ والدم

***

عند ما تبتسمين أشعر بحرارة أفكاركِ في دمي

وفي تضرُّج وجنتيك لا أرى احمراراً ولا خجلاً ولا حياءً بل أرى قلبك يتكلم بلون خديك

إن للقلب أربعَ لغاتٍ يتكلم بها : واحدةٌ منهن بالألوان في الوجه ، والثانيةُ بالدلال في الجسم ، والثالثة في النظر بالمعاني . والاخيرة وهي أسهلُهنَّ وأبلغهن : يتكلم بكل ذلك في ابتسامة

***

ومع ابتسامة الحب يأتي فمُ الحبيب أن يلفِظَ كلمةً لا يقبلُها فمُ حبيبه يالها فكرةً ملائكيةً معلَّقةً على فم ......

(طبق الأصل)

مصطفى صادق الرافعي

الكتب والمكاتب في الشام

اقدم الخزائن وانفس الكتب

للاستاذ محمد كرد علي

وزير المعارف السورية ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

ثبت ان العرب لم يدوّنوا في الجاهلية شيئاً من مآثرهم بالعربية ، لان الخط العربي محدث انتقل اليهم من الانبار قبيل الاسلام ، ولكنهم كانوا اول من اسرع الى التدوين خارج جزيرتهم ، ولاسيما في العراق والشام اوائل عهد الاسلام . والظاهر ان اهم كتاب عربي قديم دخل الشام كتاب الرسول الى تميم الداري واخوته باقطاعهم حبرون اي الخليل وما اليها وهي المرطوم وبيت عينون وبيت ابراهيم ، وقد رأى هذا الكتاب الشريف ابن فضل الله العمري صاحب مسالك الابصار في سنة ٧٤٥ ، والغالب انهُ رأى صورة منهُ بحسب وصفه . ويقول العلامة كيرنكو ان هذا العهد مصنوع وان كثيراً من المتقدمين لُبّس عليهم . وكان هذا الاقطاع قبل ان تفتح الشام . اقطع الرسول تميماً الداري واخاهُ نُعيم بن اوس هذه القرى تحبياً او على امل فتح الشام ومن اهم الكتب القديمة في الشام مصحف سيدنا عثمان الذي ارسلهُ عام ثلاثين للهجرة الى دمشق ليكون الاعتماد عليهِ كما ارسل مثلهُ الى الامصار الكبرى في الاقطار الاخرى . والغالب انهُ نقلت عنهُ عدة مصاحف عُدّت من الامهات منها ما جعل في طبرية ، ومنها ما وضع في قنسرين . وكثرت النسخ بعد ذلك ، لكن هذه المصاحف ذهبت في الحريق الذي أُصيبت بهِ الجوامع في عصور مختلفة ، وكلما حرق مصحف قديم قال القوم انهُ مصحف عثمان ، والاصح ان يقال المصحف المنقول عن مصحف عثمان . وحدثني صديقي الشيخ مسعود الكواكبي انهُ تشرف غير مرة بزيارة مصحف كتب عليهِ حرره عثمان بن عفان وهو محفوظ في مكتبة جامع ايا صوفيا في الاستانة

ثبت ان اول خزانة كتب في الاسلام أُنشئت في دمشق انشأها حكيم آل مروان خالد بن يزيد الاموي المتوفى سنة خمس وثمانين ، ولم يصل الينا من اخبارها شيء ، ولا

(١) فصل مقتطف من الجزء السادس من خطط الشام المنتظر صدوره قريباً

شك انها كانت تحوي بعض العلوم التي نقلها من القبطية واليونانية والسريانية ، في الكيمياء والطب والنجوم وغيرها ، وربما كان فيها شيء من كتب الجغرافيا لانهُ ثبت مما قالهُ ابن السنبدي الذي زار خزانة الكتب بالقاهرة في سنة ٤٣٥ هـ انهُ كان فيها كرة من نحاس من عمل بطليوس ، كتب عليها حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية . وقال انهُ كان في تلك الخزانة من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء . ولاشك ان خزانة خالد بن يزيد كان فيها ايضاً كتاب عُبيد بن شَرْيَة الجرهمي الذي كان استحضرهُ جده معاوية من صنعاء اليمن وسأَلهُ عن الاخبار المتقدمة، وملوك العرب والعجم ، وسبب تبلبل الالسنة ، وامر افتراق الناس في البلاد . فاجابهُ الى ما امر ، فامر معاوية ان يدوّن. وينسب الى عبيد بن شرية ولعبيد كتاب الامثال وكتاب الملوك واخبار الماضين . وهذا من اول التدوين في النصف الاول من القرن الاول . ولوهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ او ١٤ او ١٦ تصنيف ترجمه يذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم رآهُ ابن خلكان في القرن الثامن

وجاء القرن الثاني والشام تهتز أعصابها بانتقال الملك من بني أمية الى بني العباس فلم يؤثر عنها انهُ كان فيها خزانة كتب ، ولا عرف احد من الخاصة بانهُ كان مولعاً بجمع الاسفار ، فكانت الكتب القليلة بالطبع اذ ذاك تجعل في الشام في الجوامع او في بعض دور الخاصة ، على ما كانت الحال في اكثر المدن الاسلامية . واذ وقع التدوين في القرن الاول لم يدخل القرن الثاني حتى كثرت الكتب ، وقد ورد في سيرة الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ وهو من اعلام التابعين انهُ كان اذا جلس في بيتهِ وضع كتبه حوله مشتغلاً بها عن كل احد ، فقالت لهُ زوجتهُ : والله لهذه الكتب اشد عليّ من ثلاث ضرائر . وهذا دليل على تكاثر الكتب حتى صارت للزهري مجموعة منها ينصرف اليها بكليتهِ ، وامرأتهُ تريدهُ على ان يكون لها فقط . وكل هذه الكتب لم تبق الايام عليها . والغرب كان امهر منا في الاحتفاظ بما دوّن فان اقدم كتاب في اوربا يرد الى القرن الثاني للمسيح

ولم يعرف قبل عهد الرشيد والمأمون ان جمعت الكتب في خزانة وسميت دار الحكمة او بيت الحكمة او بيت المعرفة . وكانت دار الحكمة أشبه بجامعة فيها دار كتب يجتمع فيها رجال يتفاوضون ويطالعون وينسخون . ويدير شؤون تلك الدور من يثق الخليفة بعقلهم وأماناتهم وعلمهم . كان هذا في القرن الثاني واعتوره في القرن الثالث بعض الفتور، وظل بيت الحكمة في القرنين الرابع والخامس في بغداد مفتح الابواب . وانشأ احد وزراء العباسيين ابو نصر سابور بن اردشير في القرن الخامس داراً بالكرخ في بغداد

سماها دار العلم ، وقفها على العلماء ونقل اليها كتباً كثيرة . وانشأ الفاطميون في القاهرة دار العلم في القرن الرابع تشبهاً بالعباسيين في بغداد ، انشأها الحاكم بامر الله سنة ٤٠٠ وفرشها ونقل اليها الكتب العظيمة واسكنها من شيوخ السنة شيخين قال ابن قاضي شهبة: وبقي الحاكم كذلك ثلاث سنين ثم اخذ بقتل اهل العلم واغلق دار العلم . ولم تعهد الشام دار حكمة الا في القرن الخامس انشأها بنو عمار في طرابلس .وكان في كل من كفر طاب والمعرة في زمن ابي العلاء المعري خزانة كتب وقد زارها كما زار خزانة طرابلس .وهذه الخزانة كانت قبل بني عمار بمدة خلافاً لما وهم بعض المؤلفين المعاصرين ، لان القضاة بني عمار لم يستولوا على طرابلس الا بعد الاربعين واربعمائة . وكان ابو العلاء زار طرابلس قبل هذا التاريخ اي في اواخر القرن الرابع ، وانتفع بخزانتها وكتبها الموقوفة . واول من حكم من القضاة بني عمار ابو طالب عبد الله بن محمد بن عمار في دولة المستنصر الفاطمي في حدود سنة اربعين واربعمائة وبنو عمار هؤلاء هم من غير سلالة بدر بن عمار الذي كان يتولى الساحل وهو الذي مدحهُ ابو الطيب المتنبي غير مرة

وكانت في الشرقية التي بجامع حلب خزانة كتب مهمة اسمها خزانة الصوفية واتفقت فتنة في بعض ايام عاشوراء بين اهل السنة والشيعة ونهبت خزانة الكتب ، وكان ذلك في زمن ابي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب الا قليل . قال ابن القديم : وجدد الكتب بعد ذلك الوزير ابو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً اخر وقد ذكر ابن سنان الخفاجي (٤٦٦) هذه الخزانة في قصيدتهِ اليائية التي كتبها من القسطنطينية يداعب احد اصدقائهِ قال فيها :

ابلغ أبا حسن السلام وقل له هذا الجفاء عداوة الشيعية
فلأ طرفن بما صنعت مكابراً وابثُّ ما لاقيت منك شكية
ولأجلسنك للقضية بيننا في يوم عاشوراء بالشرقية
حتى اثير عليك فيها فتنة تنسيك يوم «خزانة الصوفية »

وقد ظلت هذه الخزانة في حلب عامرة الى القرن السابع وهي مسبلة على المطالعة ، ولم يعلم هل كانت الخزانة المهمة التي انشأها في حلب سيف الدولة بن حمدان وجمع فيها الامهات الجيدة كانت عامة للناس ايضاً كخزانة الصوفية ام هي خاصة بهِ وبجماعتهِ في قصره وقد اشتهر عنهُ ولوعهُ بالكتب الى الغاية . وناهيك بخزانة كان من جملة خزانها الخالديان الشاعران المشهوران . وربما ذهبت هذه الخزانة في هجمة الروم على حلب وتخريبهم قصر سيف الدولة

وقلت عناية الملوك بخزائن الكتب ، لما كثرت المدارس في هذه الديار في القرن الخامس « اكتفاء بخزائن كتب المدارس التي اثبتوها من حيث انها بذلك امس » ولم تكد تخلو مدرسة من المدارس في بلاد الشام من خزانة كتب . وكان لحلب ودمشق والقدس وهي من حواضر العلم منذ القديم الحظ الاوفر من ذلك ، لو لم تنازعها طرابلس التي كان يراد من انشاء دار الحكمة فيها نشر التشيع على ما يقال ، وساعد على كثرة الكتب في طرابلس ما كان فيها من معمل الورق الجيد . وقد عرفنا ان معامل الورق كانت تخرج الكاغد والقراطيس والطوامير الجيدة في طرابلس ودمشق وحلب ومنبج وطبرية وغيرها من المدن . ومن اشهر خزائن الملوك والامراء في القرن السادس والسابع خزانة الكتب التي وقفها بحلب نور الدين محمود بن زنكي على مدرسته وسلمت الى محمد بن علي بن ياسر الجياني الاندلسي زميل ابن عساكر مؤرخ دمشق ، وأجريت عليه جراية ثم وقف كتبهُ على اصحاب الحديث وتوفي سنة ٥٦٣ ووقف نورالدين على البيمارستان الذي انشأه بدمشق جملة كثيرة من الكتب الطبية كما وقف كتباً كثيرة على اهل العلم في ارجاء مملكته

واعطى صلاح الدين يوسف لمؤدب ولده الافضل ابي سعيد البندهي (او البنجديهي) كتباً كثيرة من خزانة كتب حلب ، اباح له ان يأخذ منها ما شاء ، وهذا جمعها وحصل من الكتب التي لم تحصل لغيره ، ووقفها بخانقاه السميساطي بدمشق . وكثيراً ما كان صلاح الدين يبيح لرجاله ان يأخذوا ما شاءوا من الكتب التي وقعت اليه ، كما فعل في مصر واعطى وزيره القاضي الفاضل من خزانة الفاطميين قدراً كبيراً من كتبها ، واعطى عماد الدين الكاتب ايضاً بعض اسفارها ، وكان في هذه الخزانة على ما قيل الف الف كتاب وفيها من تاريخ الطبري فقط الف ومئتا نسخة . فبيعت خزانة الفاطميين وتشتتت على هذه الصورة ولم يكن في بلاد الاسلام اعظم منها ووهب صلاح الدين القاضي الفاضل ما شاء من كتب خزانة آمِد لما فتحها وكان فيها الف الف واربعون الف كتاب على ماذكر المؤرخون فانتخب منها الفاضل سبعين حملاً وهذه الالوف من الكتب التي ملكها القاضي الفاضل وقفها بعد على احدى مدارس القاهرة وكان هو وابنهُ من غلاة الكتب

ومن الخزائن التي كانت بالشام خزانة علي بن طاهر السلمي النحوي (٥٠٠) كانت له حلقة بالجامع بدمشق ووقف فيه خزانة كتب . وكان لتاج الدين الكندي في الجامع الاموي بدمشق خزانة كتب فيها كل نفيس . ووقف شرف الدين بن عروة الموصلي المنسوب اليه مشهد ابن عروة في الجامع الاموي بدمشق خزائن كتبه فيه . ومن الخزائن المهمة خزانة بني جرادة العلماء في حلب فقد كتب احدهم ابو الحسن ابن ابي جرادة (٥٤٨)

بخطه ثلاث خزائن من الكتب النفيسة وخزانة لولده ابي البركات وخزانة لابنه عبد الله . ومات موفق الدين بن المطران (٥٨٧) وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخهُ . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون لهُ ابداً ولهم منهُ الجامكية والجراية . ومات امين الدولة السامري وقد اجتمع عندهُ نحو عشرين الف مجلد لا نظير لها في الجودة وكان مهذب الدين الدخوار صاحب مدرسة الطب بدمشق من اهل القرن السابع اقتنى كتباً كثيرة. واقتنى من آلات النحاس التي يحتاج اليها في علم الهيأة والنجوم ما لم يكن عند غيره اي انهُ كان عندهُ مرصد فلكي وخزانة كتب

وجمع جمال الدين بن القفطي (٦٤٦) في حلب ما لا يوصف من الكتب ، وكانت خزانتهُ تساوي خمسين الف دينار . وكانت خزانة قطب الدين النيسابوري مهمة وقفها على احدى المدارس بدمشق . وكان الملك الناصر ابن الملك المعظم عيسى (٦٥٦) معتنياً بتحصيل الكتب النفيسة ، وكان جمع قبله الامير نور الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه صاحب حماة وابن صاحبها من الكتب ما لا مزيد عليهِ ، وكان في خدمته ما يناهز مائتي متعمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب (٦١٠) ووقف الملك الاشرف موسى (٦٣٥) كتبهُ بالمدرسة الاشرفية بدمشق واشتهرت في هذا القرن خزانة ابن ابي أُصيبعة وتلميذه ابن القف بدمشق . ومن خزائن القرن الثامن والتاسع والعاشر التي بلغنا خبرها خزانة ابي الفداء صاحب حماة فانهُ جمع من الكتب كثيراً وقفها على جامع الدهشة وكانت سبعة آلاف مجلد

ولم يقم في هذا القرن بعد الملوك من بني ايوب احد من الامراء يعنى بالكتب وتسبيلها على المطالعة لخدمة الامة . فالقرن الثامن كان خاتمة هذه الحركة المباركة في الشام نعم لم يقم فيها في العصور الاخيرة مثل الملك المؤيد هزبر الدين داود ملك اليمن المتوفى سنة ٧٢١ . وكان محبًّا للعلوم ، مقرباً لاهلها ، يستجلبهم اليهِ حيث كانوا ويرغب فيهم ويرغبهم فيما عندهُ ويجمع الكتب والتحف وقد جمع من مصنفات اهل العلم على اختلافها ما ينيف على مائة الف مجلدة ، وحملت اليهِ التحف والكتب من كل جهة . وكان عندهُ زيادة على عشرة نساخ ينسخون الكتب وترفع الى خزانته بعد مقابلتها وتحريرها

ومن الخزائن المهمة في هذه الحقبة من الدهر خزانة ناصر الدين العسقلاني (٧٢٣) فقد خلف ثماني عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة . واقتنى ابن قيم الجوزية تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية خزانة مهمة . وملك زين الدين عمر القرشي الدمشقي (٧٩٢) من نفائس الكتب شيئاً كثيراً . ووقف تقي الدين اليلداني اكثر كتبه ومجاميعه بالخزانة

الفاضلية بالكلاسة بدمشق سنة ٦٥٥ ، وحصل شمس الدين البعلي كتباً وكتب بخطه المليح شيئاً كثيراً (٧٧٤) ،وخلف الفتح الفارقي (٦٩٤) الفي مجلدة ومائتي مجلدة .وكانت خزانة ابن رواحة الحموي (٦٢٢) في مدرسته بدمشق . وخلف بدر الدين ابن غانم الدمشقي الفي مجلدة . واجتمع لشرف الدين البازري الحموي (٧٣٨) من الكتب ما لم يجتمع لاهل عصره .وكانت خزانة الامير سيف الدين ارغون نائب حلب (٧٣١) عامرة بالكتب النفيسة.ومن الخزائن المشهورة خزانة ابن فضل الله العمري وابن مالك النحوي وابن خلكان المؤرخ

واقتنى بعض ولاة العثمانيين في الشام كتباً نفيسة بطرق مختلفة ومنهم سنان باشا صاحب الجامع المنسوب اليه بدمشق خلف مائة وستين مصحفاً مرصعاً بالدرر والجوهر وخمسة وثلاثين صندوقاً مملوءة بالكتب التي لا تقدر بثمن ، وكانت الصناديق مرصعة باليواقيت والمعدن.وكل هذا اخذهُ صاحبهُ من اليمن والشام وغيرها ونقل الى الاستانة . وجاء من كملة الترك في العهد الاخير من نقلوا الكتب الثمينة من الاستانة الى المدينة المنورة مثل شيخ الاسلام عارف حكمت فانهُ وقف خزانته وهي بضعة الوف من المجلدات بالخطوط المنسوبة وجعلها في مكان خاص بها في البلدة الطاهرة . وكان في القرن العاشر في الجامع الاموي بدمشق خزانة كتب خاصة بالمالكية والامين عليها مفتي اهل هذا المذهب محمد بن عبد السلام التونسي .ووقف علي الدفتري من اهل القرن الحادي عشر للهجرة كتباً نفيسة ثانية بدمشق . وكان لبولس الزعيم اللبناني من اهل القرن السابع عشر للميلاد خزانة مخطوطة . ولم يبلغنا ان قامت للكتب سوق في وراء جنوب دمشق من البلاد الى اقصى حدود الشام مع ان بعض بلادها انجبت علماء اجلاء مثل قرا وامتان وعُرّمان ونجران وشهبة وصرخد وبُصري والصات ووادي الاردن وجبل الشراة وعمان ومعان والشوبك وعجلون واذرعات وجَرَش والسويداء

وبعد فقد كانت الوراقة او صنعة الكتب من نسخ وتجليد وتذهيب ، صناعة رائجة في العهد القديم ، كأهم الصناعات الضرورية في المجتمع ، والناسخ يرزق بقدر إجادته الخط او الخطوط التي يعرفها ويحسنها.وكذلك المجلد والمذهب يكافأ كل واحد منهما بحسب غنائهما وكان كثير من العلماء يكتبون الخط المنسوب اي الخط ذا القاعدة وينسخون نسخاً لا بأس بهِ ويعيشون من نسخهم . ومنهم من كانوا يتعففون عن القضاء ، او تولي شيء من امر الامة ، ويؤثرون ان يعيشوا بالنسخ او الوراقة او الاتجار بالكتب،ومنهم من أثروا منها . وكانت في كل حاضرة سوق لبيع الكتب يختلف اليها العلماء والادباء . ومن العلماء

من نسخوا المائة بل المئات من الكتب ، ومنهم من نسخ الف مجلد في حياته . ولم يكد الكتاب يخرج من يد مؤلفهِ خصوصاً اذا كان من المشاهير الثقات حتى تتعاورهُ الايدي بالنسخ ، وينتقل من قطر الى قطر ، ويتداول في الايدي ، ويجلد ويوضع في القماطر ، ليستفيد منهُ العلماء والطلاب ، ويستمتع بهِ هواة الكتب

وقد جاء زمن على دمشق مثلاً اي من القرن السابع الى القرن الحادي عشر وكل مدرسة من مدارسها الكثيرة لا تخلو على الجملة من خزانة مهمة وافية بغرض الاساتيذ والتلاميذ . ومن أهم المدارس التي حوت خزائن مهمة العمرية والعروية والناصرية والعادلية والاشرفية. جاء في فتاوى التقي السبكي صك وقف دار الحديث الاشرفية هذا : ويصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهماً في كل شهر وعليهِ الاهتمام بترميم الكتب ، واعلام الناظر او نائبه ليصرف فيهِ من مغل الوقف ما يفي بذلك ، وكذلك اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب او مقابلته .وجاء فيهِ : وجعل جزءا من الوقف يصرف على مصالح المدرسة النورية ومن ذلك ان يصرف في شراء ورق وآلات نسخ من مركّب (حبر) واقلام ودوي ونحو ذلك ما يقع بهِ الكفاية لمن ينسخ في الديوان الكبير او قبالته الحديث او شيئاً من علومهِ او القرآن العظيم او تفسيره ، ويصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء ، والى من يتخذ لنفسهِ كتباً او استجازة ، ولا يعطى من ذلك الا لمن ينسخ لنفسه لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنه . قال وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف او يشتري ما تدعو الحاجة اليهِ من الكتب والاجزاء ثم يقف ذلك اسوة ما في الدار من كتبها . وكتب سنة ستمائة واثنتين وثلاثين اه

وكان رهبان الموارنة في لبنان منذ القرن الخامس عشر يصرفون بعض اوقات فراغهم في نسخ المخطوطات الدينية والعلمية بل ان بعض بطارقتهم وأساقفتهم كانوا يحملون الخوارنة والرهبان وغيرهم على نسخ الكتب يزيدون بها مجاميع الاديار والبيع في الجبل ويتقيلون في ذلك مثال إخوانهم علماء المسلمين في المدن . وبهذه الطريقة كانت تنمو الكتب والايدي تتناولها على أيسر وجه كأنها بعض المقدسات . اوكأن القوم كانوا يتعبدون الله بحفظها وإماطة الاذى عنها وتجليدها وتخليدها ، وخدمتها بالتعليق عليها ومعارضتها بالنسخ الصحيحة ووضع الفهارس لها بحسب عرفهم في تلك الايام ، يتخيرون لها ما يبقى ويخلد طويلاً من الورق المتين والمركب الجيد والجلد النفيس الجود الدبغ لانها نادرة قليلة وفيها ثمرة العقول ، والنادر موضع العناية وهو خليق بان تشد عليهِ يد الضنانة وتحتفظ النفوس بهِ وتغتبط بتعاور الايدي عليهِ من دون ان ينالهُ سوء من عوادي الدهر

الى ا . ا .

الربيع في باريس

أحكم العودَ وهاتِ صوتَ نوح وشكاةِ
خفِّف اللمسَ عن الأو تار واضربْ بأناةِ
كلُّ ما أنَّ وبثَّ الهمّ م من بعض فؤادي

***

يا ربيعاً واثباً كالشـ ـدي م من خلف حجاب (١)
خالعاً معطفه الهَشّ (٢) م على رثِّ الثياب (٣)
ضحك القوم له ضحكة م جوعان لزاد

***

قبحتْ ألوانك الغرُّ م ومزّقتَ بناب
جئتني كالليـل غشّى جنحه سودُ سحاب
جئتني بالغمّ والبأ ساء في زيّ حداد

***

أحكم العودَ وهاتِ صوت نوح وشكاة
خفّف اللمسَ عن الأو تار واضرِب بأناة
كلُّ ما أنّ وبثّ الهمّ م من بعض فؤادي

باريس ادوار فارس

(١) الحجاب هنا بمعنى القميص (٢) اللين الجديد (٣) رث الثياب كناية عن ارض الشتاء

الجزية والخراج في اوائل الاسلام

سياسة الخلفاء الاقتصادية

المقدمة

الامه العربية تتحفز اليوم للدخول في دور جديد من حياتها التاريخية الطويلة تأمل ان تستعيد فيه وحدتها القومية المنشودة وتوحد كلمتها المفقودة التي فرقتها شتى العوامل بين داخلية وخارجية كسياسة اجدادها الاقتصادية الخرقاء وغارات علوج اسيا الوسطى ومغوليا المتواصلة وسموم التعصب الديني المبني على الجهل بحقيقة الدين ومطالبه والعصبية القومية المتطرفة والنزوع الدائم الى نظام البداوة وعيشة القبائل المتأصلة في طباعهم اجيالاً الى غير ذلك من الاسباب التي لا يخلو منها تاريخ امة عظيمة كان لها شأن خطير في تاريخ الانسانية . فمن اراد ان يؤمّن مستقبل هذه الامة الزكية الغبيّة ، الغنية الفقيرة ، السعيدة الشقية ويضمن لها وحدتها القومية وجب عليه ان يبين لها بكل اخلاص وصراحة اسباب سقوطها المستمرّ حتى اذا تمّ لها ما تريد لا تقع مرة اخرى في ما وقع فيه اجدادها من الاغلاط التي ادّت بها الى حالتها الحاضرة . هذا ولما كنت اعتقد ان من اهم اسباب سقوط الدولة العربية بل اعظم هذه الاسباب هو سياستها الاقتصادية رأيت ان افتتح ابحاثي في اسباب سقوط الدولة المذكورة بمقالة عن سياسة الخلفاء الاقتصادية وما نتج عنها

من فضل النبي العربي على امته واكبر الادلة على عبقريته وقوة ارادته انهُ اول من وُفّق في تاريخ هذه الامة على ما نعلم الى جمع شتاتها وتوحيد كلمتها وجعلها شعباً واحداً او امة واحدة بمعنى هذه الكلمة الحقيقي تسعى وراء غاية كبرى ideal معتمدة في ذلك على وسائل ادبية وسياسية معقولة تضمن لها بلوغ هذه الغاية في اقرب وقت . وذلك بعد ان كانت قبائل متخالفة متطاحنة لا جامعة ادبية او دينية تجمعها ولا شعور قومي يربط اجزاءها المتباعدة المتنافرة . وهو ما لم يتم لغير محمد قبله مع ان الذين حاولوا جمع الامـة العربية بالسيف ان كان في جنوب الجزيرة او في وسطها وشمالها كانوا كثيرين ذكر التاريخ بعضهم واهمل اكثرهم وهذا شأنهُ مع من اصابهُ الفشل . وإنّ لمن اقوى الادلة على بُعد نظر المصلح العربي الكبير وحسن سياسته وعظيم ذكائه الطبيعي ان جمعه لتلك القبائل

المتباغضة المفككة العرى بل لتلك الرمال المتناثرة لم يكلفهُ من التعب والضحايا ما كلّف غيره من موحّدي الامم ومؤسسي الممالك الضخمة قبله وبعده مع توافر الوسائل لديهم ومساعدة الاحوال لهم اكثر من مساعدتها لهُ . نعم ان المنية لم تمهل المشترع العربي ان يشيد بنفسهِ مملكة ضخمة كمملكة اسكندر الكبير او امبراطورية الرومان او احدى ممالك المغول والترك بعدهُ . الاَّ ان ذلك لا يقدح في عملهِ لان الغرض الاول من دعوتهِ لم يكن سياسيًّا بل اجتماعيًّا ودينيًّا ولا اراني بعيداً عن الحقيقة اذا قلت ان توحيد الامة العربية السياسي على يد محمد كان نتيجة توحيدها الادبي والديني وان النبي العربي لم يفكر قط في بناء مملكة ضخمة كاحدى الممالك التي ذكرناها بل جلّ ما كان يرمي اليهِ هو ان تنتشر دعوته بين العرب فقط . الاَّ ان الاصلاح الذي ادخلهُ على حياة امتهِ وبعض الافكار والانظمة الجديدة التي تضمنتها دعوته وغير ذلك من الاسباب الخارجية المادية قد مهّدت لخلفائهِ طريق الفتوحات العظمى وكانت تلك الأسس التي اقاموا عليها الخلافة الاسلامية الواسعة الاطراف

توفي مؤسس الدين العربي بعد ان رأى بعينيهِ نتيجة جهاده المستمر اي بعد ان وحّد امتهُ وجمع اطرافها ووضع لها نظاماً تسير عليهِ في حياتها الدينية والمدنية ويتفق مع حالتها العقلية والاجتماعية في ذلك العصر وفي ذلك المحيط الذي انتشرت فيهِ دعوتهُ. ونعني بهذا النظام الجديد تلك الاصول او المبادئ العامة التي تتفرع عنها الاحكام والقوانين العملية الخاصة التي يحتاج اليها الحاكم في حكمه والقاضي في اعماله اليومية . ومعلوم ان القرآن — الاَّ بعض سور منهُ — هو كتاب مبادئ واصول عامة بل هو كتاب ادبي ديني قبل كل شيء لا مجلة احكام او مجموعة ابحاث في علوم مختلفة فهو يبين او بالاحرى يذكر بعض المبادئ العامة ويترك لاصحاب الاجتهاد ان يستنتجوا منها ماشاءوا من الاحكام والقواعد العملية على شرط ان لايخالفوا في ذلك روح الكتاب وسنة صاحبهِ . بناءَ على ذلك لا يجب ان نستغرب خلو القرآن او تقريباً خلوه من التفاصيل العملية والاحكام القابلة للتغير بتغيُّر الزمان والمكان وعوامل اخرى معلومة . فهو يكتفي بوضع المبدإ الاساسي ويترك امر التفريع الى اصحاب الحكم وفي ذلك من التوسيع على اصحاب الحل والعقد مالا يخفى على احد . فكاني بصاحب الشريعة الحنيفية اراد ان يطلق الحرية لخلفائهِ فيما يتعلق بامور هذه الدنيا فان احبوا اكتفوا بما جاء في القرآن من الاحكام وإلاَّ اخذوا عن غيرهم من الامم المجاورة لهم ما تدعو اليهِ الحاجة من القوانين والعادات وما يتفق مع روح الدين الجديد او وضعوه من عندهم وهذا ما نراه جليًّا في تاريخ التمدن الاسلامي العربي على العموم وسياسة الخلفاء الاقتصادية على الاخص

الفيء والغنائم

من المفردات القليلة التي جاء ذكرها في القرآن والاحاديث النبوية الصحيحة للدلالة على الضرائب او نوع من الضرائب الفيء والغنيمة والجزية على اهل الذمة والعشر او الزكاة او الصدقة على المسلمين واقدم هذه الاسماء الغنيمة او الغنائم وهي معروفة فلا حاجة الى الافاضة فيها. اما «الفيء» فهو اسم جامع لكل ما افاءه الله على رسوله وخلفائه من بعده (الحشر ٦ — ٧) ان كان عفواً من غير قتال كما حدّده الماوردي في « الاحكام السلطانية »[1] ويحيى بن آدم القرشي في« كتاب الخراج »[2] او قسراً بالقتال كما جاء في«كتاب الخراج» لقدامة[3] .وعليه فان كلمة « فيء» كانت تشمل في بادىء الامر كل ما كان يدخل بيت المال من مال وغيره او كل ما كان يؤخذ من المشركين من الضرائب على رؤوسهم او اراضيهم وكل عقار استحوذ عليه المسلمون في جزيرة العرب او في البلاد المغلوبة على امرها كما يظهر من الاستشهادات الآتية قال البلاذري[4] « ان رسول الله افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت مما افاء الله على رسوله فخمّسها » اي فعل بها كما فعل بالغنائم قبلها وقال القاضي ابو يوسف « اما الفيء فهو الخراج عندنا خراج الارض والله اعلم[5] »

هذا معنى الكلمة في ايام النبي والخلفاء الراشدين الا انها صارت بعد ذلك تطلق فقط على الاراضي التي فتحها العرب عفواً او قسراً ولم تخمّس كاراضي السواد ومصر وغيرهما مما فُتح في ايام عمر وعثمان وبني امية ولم يقسم بين الفاتحين لاسباب نذكرها بعد ذلك وهي الاراضي التي اقرّها الفاتحون في ايدي اصحابها من المشركين واهل الكتاب او اوقفوها على مصلحة المسلمين عامة فكانوا يستغلونها او يقطعون منها لمن ارادوا اقطاع تمليك او اقطاع استغلال[6] .وعلى هذا اصبح الفرق بين الغنائم والفيء ان الغنائم كانت دائماً تخمّس اي تقسم بين من حازها وبيت المال بحسب القاعدة التي سنّها النبي (الانفال ٤١) وتعطى ملكاً لمن استحقها من المقاتلة . اما الفيء فلم يعد يخمّس بل اصبح محبوساً وموقوفاً على الجماعة اي على جميع المسلمين يستغله الامام كيف شاء وينفق منهُ على الفقراء المهاجرين ... والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم . والذين جاءوا من بعدهم حتى لم يبق احد من المسلمين الا دخل في ذلك . واول من منع تخميس الاراضي

---

(١) ص ١١١ من الطبعة المصرية لسنة ١٩٠٩

(٢) من طبعة ليدن للاستاذ Th W. Junboll ١٨٩٦

(٣) انظر Max van Berchem, La propriété territoriale etc. p. 10 (Genève 1886)

(٤) فتوح البلدان ص ٢٧ (من طبعة ليدن)

(٥) كتاب الخراج ص ١٣ (من طبعة مصر) (٦) الماوردي الاحكام السلطانية ص ١٦٨

المفتوحة خارج جزيرة العرب هو عمر بن الخطاب كما ذكرهُ المؤرخون واصحاب كتب الخراج . الاَّ انهُ يؤخذ من كلامهم ان هذا الاصلاح او هذه البدعة التي ادخلها عمر على الفيء لم يكن ليرضى عنها اكثر المسلمين من المقاتلة وغيرهم لانهم حرموا بذلك نصيبهم من الاراضي الغنية الواسعة في السواد ومصر وهذا سبب تذمرهم من عمر والحاحهم عليهِ[1] بوجوب العدول الى سنة النبي اي بوجوب تقسيم الاراضي بين الجند كما فعل النبي باراضي خيبر . الاَّ ان هذا الالحاح لم يكن ليؤثر في عمر فكان دائماً يرده محتجاً بالآية « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله... (الحشر ٨) او بمحافظته على مستقبل المسلمين «اذا قسمت ارض العراق بعلوجها وارض الشام بعلوجها فما يسد بهِ الثغور وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من اهل الشام والعراق »[2] وهو في كل ذلك يدافع حقيقة عن المصلحة العامة او مصلحة بيت المال التي كان يؤثرها على مصلحة الافراد او طبقة معلومة من الامة ولهذا ترك الارض واهلها ووضع عليهم الجزية او الخراج فعرفت اراضيهم باراضي الخراج او بالاراضي الخراجية تفريقاً لها عن الاراضي العشرية اي التي كانت او صارت بعد وفاة عمر تؤدي العشر ان كان في الجزيرة او في البلاد المفتوحة . الاَّ انهُ يؤخذ من بعض الاحاديث واقوال المؤرخين والفقهاء ان عمراً لم يبتدع الاصلاح المذكور الذي ادخلهُ على احكام الفيء بل هو اتبع في ذلك سنة النبي لكنهُ وسَّع فيهِ كما يظهر مما يأتي: قال صاحب المغازي[3] ان عمر سأل النبي ان يخمّس سبي قريظة كما خمس الغنائم يوم بدر فقال النبي لا ! هذا شيء جعلهُ لي دون المؤمنين» ونزلت الاية « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . . . » (الحشر ٧) وذكر البلاذري[4] واصحاب السير « ان نصف فدك كان خالصاً لرسول الله لانهُ لم يوجف المسلمون عليهِ بخيل ولا ركاب وكان يصرف ما يأتيهِ منها الى ابناء السبيل » وكذلك فعل باراضي خيبر فانهُ « قسمها على ستة وثلاثين سهماً وجعل كل سهم مائة سهم فعزل نصفها لنوائبه وما ينزل بهِ وقسم القسم الباقي بين المسلمين فكان سهم رسول الله فيما قسم الشقّ والنطاة وما حيز معهما وكان فيما وُقِفَ الكتيبة وسُلالم فلما صارت الاموال في يدي رسول الله . . .دفعها الى اليهود يعملونها على نصف ما خرج منها فلم يزل على ذلك حياة رسول الله

(١) كتاب الخراج لابي يوسف « حتى قال عند الحاحهم عليه في قسمة السواد اللهم اكفني بلالاً واصحابه » ص ٢٠ «واكثروا على عمر وقالوا نقسم ما افاء الله علينا باسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا » ص ١٤ (٢) كتاب الخراج لابي يوسف ص ١٤ (٣) لابي عبد الله بن عمر الواقدي ج ٤ ص ٣٧٢ من طبعة كلكته سنة ١٨٥٥ (٤) فتوح البلدان ص ٢٩

وابي بكر فلما كان عمر . . . اجلى اليهود عنها الى الشام وقسم الاموال بين المسلمين[١]

فانت ترى مما ذكرناه ان قسمة الفيء او الغنائم لم تكن في ايام النبي نفسه تجري على طريقة واحدة بل كان امرها يرجع الى امام الامة فان شاء خمسها وان شاء نصفها وان شاء اقطع بعضها لاصحابه كما فعل بارض بني النضير [٢] وهو اول اقطاع في الاسلام وان شاء جعل قسماً منها وقفاً على جميع المسلمين بعده وان احبَّ جعلها لنفسه وذي القربى من بعده دون المسلمين . ويراد من قولنا ان النبي لم يخص ارض بني قريظة بل جعلها كلها لنفسه او انه اختصَّ نفسهُ بنصف اراضي خيبر او بخراجها وانهُ وقف هذه الاراضي على جميع المسلمين من بعده لا على آله واصحابه يؤيد ذلك ما ذكره اصحاب التاريخ والفقه عن خيبر وفدك . قال البلاذري[٣] نقلاً عمن سبقهُ من اصحاب الحديث « ان ازواج النبي ارسلن (بعد وفاته) عثمان بن عفَّان الى ابي بكر يسألنهُ مواريثهن من سهم رسول الله بخيبر وفدك فقالت لهنَّ عائشة اما تتقين الله ؟ اما سمعتن رسول الله يقول نحن معاشر الانبياء لا نورث . ما تركناه صدقة انما هذا المال لآل محمد لنائبتهم وضيفهم فاذا مت فهو الى والي الامر بعدي قال فامسكن » . وجاء في رواية اخرى ان فاطمة بنت رسول الله اتت ابا بكر الصدّيق فقالت له من يرثك اذا متَّ ؟ قال ولدي واهلي قالت فما بالك ورثت رسول الله دوننا ؟ قال يا بنت رسول الله والله ما ورثت اباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا . فقالت سهمنا بخيبر وصدقتنا بفدك ؟ فقال يا بنت كان رسول الله يقول انما هي طعمة اطعمنيها الله حياتي فاذا متّ فهي للمسلمين[٤]

على كل حال لا ريب في ان كلمة «فيء» كانت في ايام عمر تستعمل للدلالة على كل ما كان يدخل بيت المال من غير المسلمين فقط ولعلها بقيت تستعمل الى اوائل حكم بني امية الى ان غلبت عليها اولاً كلمة جزية ثم كلمة خراج التي ارجح ان العرب لم يستعملوها الاَّ في حكم معاوية بن ابي سفيان او عبد الملك بن مروان فلم يعد احد بعد ذلك يستعمل كلمة فيء بمعناها الاصلي حتى ان القاضي ابا يوسف تلميذ ابي حنيفة ومعاصر هارون الرشيد لم يعد يفقه معناها الحقيقي كما يؤخذ من عبارته السابقة التي ختمها بقوله «والله اعلم»

[لها بقية] — باكو — بندلي جوزي

---

(١) فتوح البلدان ص ٢٥ (٢) فتوح البلدان ص ١٥ (٣) فتوح البلدان صفحة ٣٠

(٤) « « ص ٣١ — ولما انتقلت الخلافة الى بني امية اقطع معاوية فدك لمروان واخيه فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها الى ما كانت عليه قبلاً (البلاذري ٣٠ — ٣١) ولما كانت سنة ٢١٠ هجرية (٨٢٥ م) امر المأمون بدفعها الى ولد فاطمة فلما استخلف المتوكل على الله (٨٤٧ — ٨٦١ م) امر بردها الى ما كانت عليه قبل المأمون الى ان جاء المنتصر (٨٦١ — ٨٦٢ م) فردها الى ولد علي (ابن الاثير ج ٧ صفحة ٣٩)

خمسة في سيارة

١١

استئناف الحديث

السيدة الافرنسية — أرأيتم هذا الرجل الثقيل الذي اقتحم مجلسنا وتبرمنا به وبامرأته ليلتنا . انهم كلهم ذلك الرجل . قوم لا كرامة لهم ولا مروءة لا يتخذون من دون المال ربًا ولا يعرفون لغير المادة وجوداً

زوجها — رويداً رويداً . اما اننا تبرمنا به فنعم واما بامرأته فمسألة فيها نظر . اسألي صديقنا المصري !

المصري — وما ذنب اليهود وماذا جنوا على العالم حتى يسلقهم الناس اينما كانوا بالسنة حداد . انكم معشر المسيحيين في اوربا اسقتموهم الكره والاساءة واذقتموهم الاضطهاد الواناً ومنعتم عنهم كل شيء الا الاشتغال بالمال فاشتغلوا بما لا مندوحة لهم عن الاشتغال به فلما افقتم من سبات القرون الوسطى وجدتموهم اكثر استعداداً منكم للتمرس باعمال الصناعة والتجارة مما لا قوام له الا بالمال . وما فعله النصارى فعله المسلمون ايضاً حذوك النعل بالنعل فهل يلام القوم اذا كرهوكم وتمنوا على حضارتكم ان تزول

الانكليزي — اما انهم اكثر استعداداً منا في مضمار الحياة المالية فقول مشكوك فيه كل الشك — انك لو جمعت يهود العالم قاطبة لما حازوا من المال جزءاً مما يحوزه نفر ذليل من المسيحيين . ولكن الامر ليس على مثل هذا الوضع الذي وضعته به السيدة المحترمة . فالامم غير اليهودية ظلموا اليهود فيما مضى واما الآن فلا . انهم أينما حلّوا حلّوا سهلاً ولقوا اهلاً فصار شأنهم شأن اهل البلاد الاصليين وهذا هو العدل

وفي امثالنا نحن الانكليز ان لكل بلد يهوده الذين يستحق . اما نحن ففهمنا الامر قبل سوانا فساويناهم بانفسنا فصار لهم ما لنا وعليهم ما علينا ولا نجد غضاضة في ان نرى اليهود الانكليز متبوّأين مقاعد الحكم او المال عندنا . هذه هي السياسة الحكيمة العادلة وقد اتبعتها فرنسا بعدنا فاخلص لها القوم واصبحت لا تعلم الفرق بين اثنين من ابنائها افرنسيًا مسيحيًا كان او افرنسيًا يهوديًا

الفرنساوي — هذا صحيح . فانهُ ليس من العدل الذي يفتخر بهِ القوم المتمدينون ان يُفرّقوا بين اهل بلد واحد بحجة الدين. على اني اظن اخواننا بني اسرائيل يكادون لا ينسون انهم يهود قبل كل شيء

المصري — وهل ينسى القوم في قرنٍ ما احتملوهُ في قرون ، فليس بالخبز وحدهُ يحيى الانسان . وهم بعد ان منحوا الحرية والمساواة ونالوا ما يطمحون اليهِ من ثروة مادية لا يزالون يشعرون بنقص يمسُّ كرامتهم ان لم يكن عندكم في انكلترا او عندكم في فرنسا ففي بقية انحاء المعمور فرأوا ان يعيدوا ملكاً لهم قديماً لا ليجعلوهُ دولة تناهض الدول بل سنداً يجمع مطمح آمالهم في ركن يبالون بهِ الكرامة التي ينشدونها . فلا تقيسوا الامور على يهود انكلترا او فرنسا بل على يهود روسيا وبولونيا ورومانيا تعلموا ما يريدهُ القوم من الوطن القومي في فلسطين

الوطن القومي الفلسطيني

السيدة الفرنساوية — هذا الوطن القومي رشوة اخرجها اصحابنا الانكليز من غير جيوبهم يدفعونها للبلاشفة اذ ظنوا ان الاصبع اليهودي يحركهم فقالوا اننا نرضي هذا العامل المحرك علهُ يسكت عن مناوأة الامبراطورية البريطانية . او هو هدية التقطوها فقدموها لارباب الاموال في حي السيتي في لندن يستعينون بهم على ارباب الاموال من اليهود في البلاد الاخرى . او هو حيلة سياسية يخافون بها ممالكة مدينة لهم بالوجود يضعونها على شرق قناة السويس بين اقوام لا يعترفون لهم بمثل هذا الدين — والاَّ فما معنى ان تعدوا قوماً بوطنٍ ليس لكم وليس لهم . هذا بلد مقدس عندنا نحن النصارى فيهِ تجسد المنا وفيهِ دفن وقام. فهل تسلمونهُ لمن لا يعرف لهذه الامور معنى. وهو بلد اكثر سكانه عرب مسلمون فهل تحكمون فيهم اقلية موتورة

الانكليزي — سأجيبك على ما تقولين بحقٍّ ومن غير هوى وانا واثق من اقناعك

نحن النصارى — وانت ايتها السيدة الكاثوليكية المتدينة سيدة العارفين — ذوي دين يأخذ بالروح لا بالجسد ويقدس المنى ولا يعبأ بالحرف — سيّان في عرف المسيحية قام المسيح في القدس او في مجاهل افريقيا او اعالي اوربا وسيَّان صاب في هذا البلد او ذاك فالعبرة بالروح المسيحية لا بالعبادة الوثنية

اننا نزعم ان المسيح روح وان تعاليمهُ خالدة بل نزعم اننا نتبع مثلهُ الاعلى اذا نحن تجاوزنا عن التاريخ الحرفي واللفظ الجاف فنسينا محلاً ولد ومات فيهِ واخذنا بما هو ارقى

من ذلك واسمى فكفرنا عن ظلمنا الماضي لاخوان لنا في الانسانية واعدناهم الى وطن كل كيانهم الماضي مرتبط بهِ

امرأته الانكليزية — ولماذا لا ينسون هم هذا فلا يعرف اليهودي الاميركي الاَّ اميركا ولا يهمّ اليهودي الافرنسي الاَّ فرنسا . انهم لو فعلوا ذلك لصاروا مثلنا تماماً ولكنهم يحنُّ امرؤهم الى اخيهِ من اقصى الارض الى اقصاها فجامعتهم يهودية مهما قلت لنا

الانكليزي — لا لا . فدزرايلي انكليزي اولاً ويهودي ثانياً — هذا فيما مضى ومثله الآن اللورد ريدنج الذي ولناهُ الهند فذهب اليها مرتين الاولى يافعاً منذ نيف واربعين سنة على ظهر مركب صغير يسعى الى رزقه والاخرى نائباً عن امبراطور الهند تقصف لهُ المدافع اذ تطأ قدماهُ ارضها

يجب ان يفهم الناس بعضهم بعضاً . ان انت لم تساوِ اخاك بك فظلمته كان من حقه عليك ان لا يخلص لك . افتح صدرك رحباً . ابذر الحرية والمساواة تجنِ الاخلاص والتضامن على مكافحة الحياة . انا نحن الانكليز عند ما فهمنا هذه الاولية في الحكم امنّا شر اختلاف الاديان والعناصر في بلادنا

ولكني لم انهِ بعد ما بدأت بهِ والذنب ذنب زوجتي التي قطعت كلامي — قلت ان الوطن القومي كفارة عن الماضي يقدمها العالم لشعب اليهودي — فاذا قال قائل ان العالم الآن لا يأخذ بالاوطان على اساس الدين قلت ليس لنا نحن ان نغير ما في عقول الناس وقلوبهم . فاليهود يريدون الامر ويسعون اليهِ ويظنونهُ سبباً يعيد اليهم كرامتهم فلماذا لا نسهل عليهم الامر . واين الشرّ في هذا

المصري — الشرّ ان هناك اكثرية تسكن البلاد فهل شاورتموهم في الامر قبل البتّ فيهِ

الاكثرية

الانكليزي — اكثريه . اكثريه . وظل يعيد الكلمة ويتأمل في موضعه يميناً وشمالاً كأنهُ اضاع شيئاً لا يعلم موضعه واهتدى اليهِ اخيراً اذ مدَّ يدهُ الى جيبهِ فاخرج غليونه وملأهُ واشعله ثم فتح فاهُ وقال اسمع يا بنيّ . اني سأفسر لك امراً غاب عنك وعن الكثيرين فخلطوا كلمة الاكثرية ومعناها في كل امورهم السياسية والاجتماعية فضلوا السبيل

ما هي الاكثرية — وما هو معنى الاخذ بحكم الاكثرية في السياسة والاجتماع

المصري — انت ادرى فانتم وضعتموها في قاموس نظامكم البرلماني وعنكم اخذها الناس

الانكليزي — نعم نحن وضعناها ولذا كنتُ اجدر الناس بتفسيرها لك

اننا عند ما تدرجنا في نظمنا البرلمانية خطوة خطوة كانت كل غايتنا منصرفة الى مراقبة انفاق ما يجبي من الضرائب حتى لا يبذرها الملك ذات اليمين وذات الشمال كما يهوى

فلما استقرَّ الامر وقوي سلطاننا برزت الاحزاب في المجلس فكان حتماً علينا والحكومة البرلمانية حكومة مساومة واخذ وعطاء ان نستقرَّ على رأي بعد تبادل الآراء. فلم يكن هناك الاَّ نظام الاكثرية لنحكمه لاننا ان فوضنا الامر فيما نحن مختلفون فيهِ الى الملك خفنا ان يسترد سلطانه ويستأثر بالامر فلم يكن لنا من ملجأ الاَّ باتباع الاكثرية

يبرر امرنا هذا ان الاكثرية اليوم قد تصبح اقلية غداً فتعدل في الامر او تلغيه ان لاقت هوى في قلوب الناخبين. فانت ترى ان اتباع الاكثرية حلٌّ موقت لرأي عارض ولا مبرر لهُ الاَّ في نظام يستند على الانتخاب

فالاكثرية حتى تصلح قضاءً فاصلاً في نزاع يجب ان تكون متحركة غير مستقرة. تراها اليوم في هذا الحزب وغداً في ذاك والاَّ فلا معنى لها بل ينعكس امرها الى اثرة واستبداد

يعرض اليوم امر على مجلس فتحكم الاكثرية حكمها ثم يدور الزمن دورته فتتغير الاحوال وتذهب المناسبات فيعرض الامر نفسه على المجلس فتحكم اكثرية اخرى حكماً آخر. فنظام الاكثرية ان كان متحولاً متغيراً تمشى مع مقتضيات الزمن لان شريعة مادي وفارس التي لا تنسخ لم يعد لها وجود في عصر الحرية والنور. لذلك كانت «الاكثرية» نظاماً حسناً في كل امور السياسة والاجتماع مما تفصل فيهِ مجالس الامم

هذا ما فهمناهُ من « الاكثرية » وهذا ما يجب على العامة ان يعرفوهُ

واما ان تأخذ هذا النظام وتنفذهُ فيما سوى ذلك فهذا الخطأ كله. خذ بلداً يسكنهُ قوم يدينون بدينين او يمتّون الى عنصرين مختلفين. فان انت حكّمت اصحاب الاكثرية من هذا العنصر او ذاك الدين ظلمت الفريقين الآخرين واسأت الحكم

ذلك لان الناس لا يتحولون عن دينهم او عن عنصرهم بمثل السهولة التي يتحولون فيها عما يطرأ عليهم من الامور السياسية والاجتماعية. فتحكيمك مصلحة الاكثرية في هذا الصدد خروج عن مبدأ المساواة والاخاء لانك لماذا تحرم على هذه الاقلية ما تحللهُ للاكثرية ابد الدهر. ان القاعدة العادلة هي اطلاق الحقوق كلها على السواء لاهل البلد الواحد الخاضعين لقانون واحد في جميع مرافق الحياة اطلاقاً لا حدَّ لهُ ولا تمييز فيهِ

ارأيت الينا نهتمّ اذا رأينا كل وزرائنا اسكوتلنديين او رأيناهم كلهم انكليزاً. لا. ولا

يفكر مخلوق منا في ان الاكثرية في الجزائر البريطانية انكليزية لا اسكوتلندية . لذلك تراني —على كرهي للاميركيين — احبّذ مبدأهم في قارتهم الواسعة فالكل متساوون في الحقوق وفي الواجبات ولكل رجل احتمال ان يصل الى ابعد مجال في ايّة حلبة في سباق الحياة . ذلك لانهُ ليس من حسن السياسة في شيء ان تحدّ مطامع فرد واحد في الامة بحد انتسابهِ الى دين دون آخر او الى عنصر دون آخر

ان الذين يأخذون بهذه الروح عرفوا طريق الحياة وصراطها المستقيم

المصري — لم اسمع بعد تفسيراً لكلمة الاكثرية مثل هـذا ولكنهُ يلوح لي انكم جيرة المانش قد جعلتموهُ بضاعة محلية لا تصدرونها كبقية بضائعكم الى الخارج

وانطفأت شعلة الدخان في غليون صاحبنا الانكليزي فانطفأ معها توقد ذهنه فأغمض عينيهِ ورمى برجليهِ الى الامام وصمت

***

وتحول القوم كلٌ الى جريدة يقرأها الاّ صاحبنا المصري فخرج يبحث عن صديقهِ ابي اسحاق في غرف الفندق من تحت الى فوق حتى رآهُ داخلاً حجرتهُ فرصدهُ الى ان خرج فهشّ لهُ وبشّ وقال تعال نتمشى في ازقة لوسرن

ولم يكن ابو اسحاق يتوقع مثل هذا الظرف ولم يفطن الى سرّهِ فانقاد اليهِ وطاف الرجلان ملاهي لوسرن ومتنزهاتها الى الهزيع الثالث من الليل حتى اذا همّا بالعودة سأل المصري صديقهُ عن حان السيدة قرينته واين مكانها لا تُرى. قال الرجل لقد جاءنا نبأ برقي من امها في جنيف تستدعيها على جناح السرعة فسافرت قبيل العشاء

فكتم المصري غضبه ووجم لحظة ثم قهقه ضاحكاً وسألهُ هل تفهم العربية قال لا قال انهُ كان لنا في سالف العصر شاعر ادعى ان ثلاثة تشرق الدنيا بطلعتها شمس الضحى وابو اسحاق والقمر. فها انا ذا في لوسرن وليس للشمس من اثر والقمر لا نعرف لهُ وجهاً فلم يبقَ لي الاّ وجهك ابا اسحاق يشرق عليَّ وعلى الدنيا

قال ماذا تقول . ترجم

قال انا نحن الخمسة راحلون غداً في الفجر بالقطار الى باريز ومنها الى بلاد البلجيك. استودعك الله

ابو اسحاق — ولماذا تسرعون في الفرار من سويسرا والحرُّ في باريز يلفح الوجوه ويصهر الاجسام فلم يجبهُ صاحبنا وهرول الى غرفته ودخل سريره يغط في نومه معياً من سهرتهِ مع ابي اسحاق

سامي الجريديني

تاريخ المسكرات عند المصريين

والفرس واليونان والرومان

كانت الباخرة الكندية «ايم آلون» تمخر عباب البحر على مقربة من شواطئ الولايات المتحدة في اواسط شهر مارس الماضي فغرقتها احدى بواخر خفر السواحل الاميركية لانها حسبتها من البواخر التي تهرب المسكرات الى اميركا . وثارت الحادثة ضجة كبيرة في الدوائر السياسية باميركا وكندا وانكلترا حتى كادت تجر الى مشكلة دولية . فرأينا من ذلك الحكمة المناسبة ان ننشر في هذا العدد مقالة في تاريخ المسكرات عند الامم القديمة وتتبعها بأخرى موضوعها تاريخ المسكرات عند العرب

لا امة على وجه البسيطة الاّ وعندها مسكر من المسكرات أو مخدّر من المخدّرات كأن في الانسان ميلاً فطريًّا الى استعمال ما يسكن الحواس ويفرج الكُرَب ولو كانت مضاره تربي على منافعه فاستعمل المسكرات على انواعها وعمّ استعمالها طبقات الناس غنيهم وفقيرهم عظيمهم وحقيرهم واكثرهم يقول مع ابي نواس

أَلا فاسقني خمراً وقل لي هيَ الخمرُ   ولا تسقني سرًّا اذ امكن الجهرُ

وقد اجمعت تواريخ الامم القديمة كالصينيين والهنود والعبرانيين والمصريين والفرس على ان المسكرات كانت تستعمل في العصور الغابرة كما تستعمل الآن فكان الصينيون يصنعون الخمر من العنب والمزر من الارز ويشترك في شربهما سوقة الناس وسراتهم حتى الملوك على عروشهم

وجاء في كتب البراهمة الدينية ذكر كثير من المسكرات وطرق شربها وادمانها وتهافت الكهنة والحكام عليها . وذكر فيها نوع من الخمر اسمهُ صوما يصنع من عصارة النبات ويسكب للآلهة سكباً فتشربهُ وتسكر بهِ وتطيب نفوسها ويجوز لساكبيهِ ان يشربوا بعضهُ فاذا طابت بهِ نفوسهم قالوا ان الآلهة رضيت عنهم وانعمت عليهم بما شعروا بهِ من الانبساط وخفّة الروح

وكثر ذكر الخمر في التوراة ووصف ماينتج عنها من النفع والضرّ فقيل انها « تفرح قلب الانسان » وانها « تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان » . ولذلك قال البعض ان الخمر الممدوحة هي السلافة اي عصير العنب غير المختمر والمذمومة العصير المختمر

وعَصر المصريون الخمر من العنب واستخرجوا المزر (البيرة) من الشعير منذ خمسة آلاف عام ورسموا صور الكروم والمعاصر والدنان على جدران هياكلهم ومدافنهم. ويجد اهل النقب دنانهم مختومة بالقار الا ان خمرها استحال بخاراً وتراباً . وقد نظر الندمان ختم اناتها وعلموا انها من بقايا قوم نوح ولكن لم يسكرهم ختمها ولا جلت ظلمة الاحزان والكُرَبِ . وجلُّ ما استفدناهُ منها اننا علمنا مكانها من نفوس المصريين القدماء وعلمنا انهم كانوا يعنون بتعتيقها كما يعنى بهِ اكبر محبيها في هذا العصر

وكانوا يجلسون في مجالس الشراب رجالاً ونساءً يطوف عليهم الغلمان والجواري بقلائد الازهار وكؤوس النضار ولسان حالهم يقول
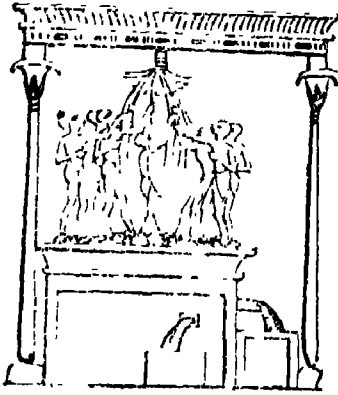
اشرب على زهر الرياض يشوبهُ زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الـــ ـــشوق الذي قد ضلَّ في الاحشاء

والغلمان عراة الابدان لا حلي عليهم ولا حلل الا التبابين تستر عوراتهم والجواري سادلات الشعور مقلدات النحور على رؤوسهنَّ العصائب وفي معاصمهنَّ الاساور وفي آذانهن الاقراط وليس على ابدانهنَّ غير سيور دقيقة يقصد بها التحلي اكثر من الاستتار

وكانوا يسكرون احياناً ويعربدون ويُحمَلون من مجالس الشراب على المناكب والرؤوس ولم تزل صورهم الى يومنا تؤيد ما تقدم كما ترى في هاتين الصورتين فانهما تمثلان معاصر الخمر نقلاً عن كتاب ولكنسن « عادات المصريين القدماء وآدابهم »

***

وفي كتاب الفرس القدماء اشارات كثيرة الى المسكرات ولها فيهِ اسماء شتى ومنها الحما (اي الحيًا) والحوراء وكان الماديون اهل سكر وخلاعة فسهل على قورش الفارسي التغلب عليهم برجالهِ الفرس سكان الجبال اهل النجدة والشدَّة . فلما تمَّ لهم النصر عكفوا على الملاهي وانغمسوا في الملاذ . ونقل عن ملكهم زركسيس خليفة قورش العظيم انهُ كان اقدر على شرب الخمر من كل رجل في
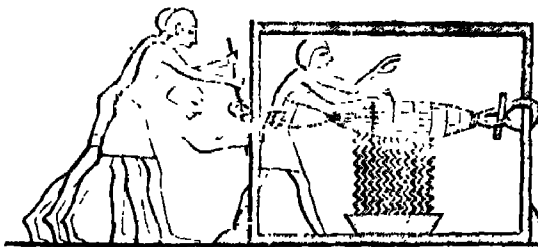
مملكته فلا غرابة اذا تغلب اليونان عليهم بعد ذلك ونخرُ ملوكهم ادمان المسكرات

ولم يكن اليونان يحرمون المسكر ولكنهم كانوا مقتصدين في شربهِ غاية الاقتصاد شأن اكثر الامم التي الخمر من نتاج ارضها فانهم استخرجوه اولاً من الشعير والتين والتمر ثم اشتهرت خمرهم التي كانوا يستخرجونها من العنب وتفننوا في زرع الكرم وحسبوهُ من اكبر الهبات الآلهية لكنهم كانوا يراعون شأن اجسادهم ويهتمون بترويضها وتقويتها ويبتعدون عن كل ما يضعفها فلم يشع السكر بينهم لانهُ مخالف لما كانوا يسعون اليهِ من تقوية الابدان . وكانت خمرهم ضعيفة قليلة الالكحول ولم يشربوها الا ممزوجة بالماء وكانوا يكثرون قتلها بالماءِ حتى لقد يمزجون الكاس منها بعشرين كاساً منهُ وان قللوا الماء مزجوا الكاس منها باربع او خمس منهُ . واذا اجتمع شبانهم لوليمة وشربوا الخمر ممزوجة الكاس منها بثلاث كؤوس من الماء سمي عملهم اسكثية نسبة الى الاسكثيين البرابرة المتوحشين

ولا يبعد ان بعضهم كان يستحلُّ الشرب ويبالغ فيهِ حتى يسكر لكن كان ذلك نادراً او قليل الشيوع . وغاية ما كانوا يقصدون من شرب الخمر الطرب لا السكر . وصوروا ديونيسوس اله السكر بصورة ولد يضحك ويمزح ثم بصورة شاب جميل الطلعة ثم بصورة رجل طلق المحيَّا محب للعلم والادب

وكانت ايام قطف العنب عندهم ايام سرور وحبور ولعب ومزاح كأيام القطاف في جبال لبنان . وسميت الالعاب التي كانوا يلعبونها حينئذٍ كومديا نسبة الى كومُس وهو اسم المركبة التي كان اللاعبون يركبون عليها

ونشبت الحرب الاهلية بين اثينا وسبرطة وطيبة فاستنزفت قوى اليونان وحلت عزائمهم فامسوا غنيمة باردة لسكان الجبال وهم اقوام خشنو الطباع جمع شملهم فيلبس المقدوني ابو الاسكندر وتغلب بهم على اليونانيين وكان رؤساؤهم يكثرون من شرب الخمر وجاراهم فيلبس على ذلك فشاعت خلة السكر وضربت في البلاد اعراقها

يروى ان احد الفلاسفة رفع دعواهُ الى الملك فيلبس فحكم عليهِ لا لهُ فقال اني استأنف الحكم . فقال فيلبس الى من تستأنف وانا الذي حكم عليك. فقال اني استأنف منك سكران اليك صاحياً . فكان لكلامهِ وقع عظيم عند فيلبس فسمع دعواهُ في اليوم التالي وحكم لهُ

ويروى ان فيلبس طلَّق زوجتهُ اولمبياس ام الاسكندر وتزوَّج باخرى واولم لذلك وليمة كبيرة وكان عمُّ زوجتهِ الجديدة حاضراً فيها فتكلم كلاماً اغاظ الاسكندر فرفع

الاسكندر كأس الشراب ورماهُ بها فاغتاظ فيلبس من ذلك واستلَّ سيفهُ وهجم على الاسكندر ليقتله وكانت الخمر قد لعبت برأسهِ فعثر وسقط على الارض فقال الاسكندر من فورهِ «انظروا يا رجال مقدونية ان الرجل الذي يريد ان يزحف بكم من اوربا الى اسيا لا يستطيع ان ينتقل من كرسي الى آخر بلا عثار»

ورقي الاسكندر الى عرش الملك في السنة التالية وكان مثالُ ابيهِ لم يزل نصب عينيهِ فبذل جهدهُ في تجنُّب كل ما يضعف ملكهُ او يمنعهُ من بلوغ الغرض الذي طمحت اليهِ عيناهُ ولم يمضِ عليهِ سنتان حتى عبر إلى اسيا فدوَّخ بر الاناضول ومصر والشام والعراق وبلغ بلاد الهند . قهر الممالك لكن الخمر قهرتهُ وصرع الابطال لكن ابنة العنب صرعتهُ فدخل بلاد قرمان في زي ديونيسوس اله الخمر وحولهُ موكب من السكارى ولعبت الحميَّا برأسهِ في سمرقند فقتل صديقهُ كليتوس وكان قد انقذهُ من القتل . وسكر في برسبوليس عاصمة الفرس فامر بحرق قصر الاكاسرة . ثم اولم وليمة عظيمة لكبار قوادهِ ووعد من يفرع غيرهُ في الشرب بتاج من الذهب فتبارى الرجال في هذا المضمار ونال التاج شاب اسمهُ بروماخوس بعد ان شرب ثلاثين رطلاً (مصريًّا) من الخمر . وعصفت الريح بليلاً تلك الليلة فخرقت ابدان تلك السكارى الى عظامهم فمات اربعون منهم شهداء السكر ورأى ذلك سائر القواد فتذمروا وتململوا ولكن الخمر

معوَّدةٌ غصب النفوس كأنما لها عند ألباب الرجال ودائعُ

فطأطأ لها الاسكندر رأسهُ وبقي على ولائها حتى اخذت انفاسهُ . فانهُ اقام مرَّة في مجلس الشراب يومين وليلتين فاصابتهُ حمى قضت عليهِ وهو في الثانية والثلاثين من عمرهِ

***

وتاريخ الخمر في بلاد الرومان كتاريخها في بلاد اليونان فان الرومانيين كانوا اولاً رجال بأس ونجدة حاربوا دفاعاً عن انفسهم ثم بقصد الغزو والكسب ومرَّت عليهم السنون وهم اهل حربٍ وجلاد لا يشربون المسكر ولا يتنعمون بالملاذ . وكانت خمرهم رديئة ولم يكن يشربها الاَّ الرجال من سن الثلاثين فصاعداً واذا شربتها امرأة فجزاؤها القتل . وكان يفرض على المرأة ان تحيي زوجها واباها واخوتها تقبيلاً بالفم حتى يشموا نكهة فيها ويكونوا على ثقة انها لم تشرب خمراً . ذكر بلينيوس المؤرخ ان رجلاً رومانيًّا ضرب زوجتهُ حتى ماتت لانها شربت خمراً ولما رفع امرهُ الى رومولوس باني رومية في زعمهم عفا عنهُ حاسباً انهُ لم يرتكب جريمة وكان ذلك سنة ٧٠٠ قبل المسيح

ثم لما تمَّ لهم الغلب على ايطاليا ودانت لسطوتهم بلاد اليونان واسيا الصغرى كثرت لهم الملاذ وفاضت عليهم د ان الشراب فانقلبوا في قرن واحد من شظف العيش الى رخائهِ ومن التقتير الى التبذير حتى جرت عادة كاتو الحكيم الذي نشأ في القرن الثاني قبل المسيح ان يعيّر اهل بلاده اكثارهم من الخمر بعد ان كان القليلون يشربونها في ايام ابيهِ

واهتمَّ الرومانيون بالمسكرات اهتماماً لا مثيل لهُ في تواريخ الامم . فكان عندهم مائة وخمسة وتسعون نوعاً منها على ما ذكرهُ بلينيوس المؤرخ . ورخص ثمن الخمر العادية حتى صارت كالماء وكانوا يجلبون الرحيق منها من جزائر اليونان ويسمونها باسماء مختلفة حسب اوصافها . ويحلونها بالعسل ويطيبونها بالافاويه كالمر والصبر والقرنفل . وكثيراً ما كانوا يمزجونها بماء البحر فيبعدون ثلاثة اميال عن البر والبحرُ رهو ويستقون منهُ ثم يمزجون الرطل من مائهِ بخمسين رطلاً من الخمر

وكانوا يعتّقون الخمر ويشربونها بعد ان يمرَّ عليها سبعون سنة او ثمانون او مائة او مئتان . قالوا والخمر العتقة كذلك تجمد في دنها حتى لا تنصب منهُ صبًّا بل تغرف بملعقة غرفاً كالعسل واذا فتح اناؤها تضوَّع منها ريح طيب يملأ البيت ولعلَّ الاخطل التفت الى مثل ذلك حيث قال :

صهباءُ قد كلفت من طول ما خبئت في مخدع بين جنّات وانهارِ
كانما المسك يحبو بين ارجلنا مما تضوَّع من ناجودها الجاري

ولما ثُلَّ عرش الجمهورية زاد اقبال الرومانيين على السكر والخلاعة رجالاً ونساءً ونجد كتّابهم المشهورين مثل بلينيوس وجوفنال وسنيكا وتاشيتوس واثنايوس وغيرهم مجمعين على ذم تلك الحالة والشكوى منها . وصارت ولائمهم مجالس شرب وسكر واتصل ذلك بالعبيد والخدم فعمَّ السكر كل طبقات الناس وصاروا يبنون غرفة بجانب غرفة الطعام يسمونها غرفة القيء يذهب السكارى اليها لتفريغ ما في بطونهم . وكانت الجوائز تعطى لمن يقرع غيره في شرب المسكر والمناصب تمهد لهُ فلا عجب اذا اسرع الخراب والدمار الى تلك المملكة العظيمة وتغلبت عليها قبائل الشمال

تاريخ المسكرات عند العرب : في مقتطف يونيو القادم

شعر التصوير

إيكو الجديدة

THE NEW ECHO

تَجَلَّيْتِ حُورِيَّةَ المُغرَمِينْ ... ومِنْ حولِكِ الماءُ يأبى المسيرْ
يَحُفُّ بكِ النَّبْتُ كالمعجَبِينْ ... بل العابدينَ البهاءَ النضيرْ !

***

وما أَسَنَ الماءُ في وَقْفَةٍ ... وذلكِ نُورُكِ يحيي المَوَاتْ
ولكنَّهُ صارَ مِنْ خِفَّةٍ ... لِأُطْفِكِ يُؤثِرُ هذا الثَّباتْ !

***

تألَّقَ في وجهِهِ الطُّحْلُبُ ... كما مالَ نحوَكِ عُشْبٌ قريرْ
وتلكَ الحشائشُ لا تَجْذِبُ ... إذا غابَ عنها سَنَاكِ الأميرْ

***

وَقَفْتِ وُقُوفَ التَّمَنّي الجميلْ ... وللغابِ خلفَكِ رُوحٌ تُسَرْ
لَهُ رَوْعَةٌ بين ظِلٍّ ظليلْ ... ونُورٍ لَعُوبٍ بِهِ لا يَقِرْ !

***

ايكو الجديدة

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة ٥٢٩

ووَجّهْتِ طَرْفَكِ نحو السّماء وأعْلَيْتِ ساعِدَكِ السّائلا
تحيينَ بل تجذِبين القَضاء إليكِ ليمشق هذي الحُلَى!

***

وتَسند رأسكِ أخرى يدَيْكِ فيَغمُرنا المُرْفَقُ الباسمُ
فكلُّ الذي شاق مرْأًى لديكِ إليكِ انتهى حسْنُهُ الحاكمْ

***

قِفي وأطيلي وُقُوفَ الدّلالْ ونَادِي تُحِبْكِ قلوبُ العِبَادْ
فقد صار حُلْمُكِ غيرَ الخَيالْ وقد عَمّ مُلْكُكِ حتى الجمادْ

***

وأنت لنا الصّوْتُ ثم الصّدَى كما أنتِ نرجسُ هذي العُيُونْ
وكلٌّ لحُسْنِكِ صار الفِدَى فما باتَ حُسْنُكِ يوْماً يهُونْ

ابو شادى

تاريخ الطب عند العرب

وجوب الاحتفال بيوبيل الرازي الآفي

وفقنا ان نذكر في مطلع هذه المقالة النفيسة التي جمعت بين التاريخ والطب والادب انها خطبة تلاها صاحبها في جمعية للثقافة العربية بباريس ثم اتحفنا بها

الرازي

سادتي : اذا كان من ذكرت من فحول الطب والجراحة والكيمياء قد نبغ كلٌّ منهم في فنه وكان عالماً ، فان الرازي واسمهُ منسوب الى الري كان طبيباً قبل كل شيء ، كان شفوقاً ، كان رحوماً ، كان يجمع المرضى ويجري عليهم جرايات ، كان جمعية اسعاف في نفسهِ ، كان صحيح الاستدلال ، كان الطبيب المعالج الذي يراح ويغدى اليهِ ، الى آخر ما هنالك من الصفات التي تجعل ذاك الشيخ الجليل الى القلوب حبيباً ، والمشتغلون في الطب بينكم في باريس يقدرون ان يروا رسمهُ على قمة الجدار الامامي للبهو الكبير في مدرسة الطب وحولهُ ابو القاسم خلف ابن عيَّاش الزهراوي ، وابو علي الرئيس ابن سينا

للرازي مؤلفات عديدة في فروع متنوعة اوصلها ابن ابي اصيبعة الى المائة ، وتزيد واما ما يتعلق ببحثنا هنا فهما اثنان المنصوري والحاوي

نُقل الكتابان الى اللاتينية في الجيل الثاني عشر ودرسا في باريس ومونبليه وقد اتفق للحاوي واسمهُ في اللاتينية Contenens من غرائب الاتفاق ما يحسن ذكرهُ ، منها ان المؤلف المذكور لم يظهر للملإِ الاَّ بعد موت الرازي ، اظهرهُ ابن العميد الوزير الاديب المعروف ، ومنها انهُ عند وصولهِ لتونس احتفى به صاحبها واستقبلهُ الى ظاهر المدينة ، كما كان يفعل اهل طليطلة عند وصول مؤلفات ديوسقوريدس الى مدينتهم

واتفق ان جامعة باريس الطبية في القرن الرابع عشر ارادت ان تقوم ببعض ترميمات واعوزتها الدراهم ، فلم تجد من يسلفها المال إلاَّ بعد ان استودعتهُ حاوي الرازي مرتين ، ولم يقبل المستر هن بشيء ثمين سوى هذا المؤلف ، وهكذا كان . تجدون هذا مطولاً في الفصل المختص بمدرسة باريس الطبية في اطروحتي

هذا ايها السادة مقام الرازي ومؤلفاتهِ في الشرق والغرب ، وقد شاهدت في المكتبة

الوطنية (باريس) منذ اسبوع نسخة خطية من كتاب له معروف يدعى الفاخر، جيء به الى المكتبة منذ عهد قريب، واخبرني صديقي المسيو بلوشه احد امناء المكتبة: أنه من بقايا الجيل الثاني عشر، واليكم ما قاله البروفسور بوشو في وصف الرازي: «لقد وصف الرازي ضرباً من الجدري تظهر بثوره على سطح الجسم بيضاء متلاصقة كأنها بقعة من الدهن وقال ان آخرتها محزنة، واني والحق يقال لم اجد اجود من وصفه لها ولا اصدق مما قاله في تاليها، وهو اول من كتب في امراض الاطفال وفي واجبات الطبيب»

يا سادة: اما الجدري فلا اذكر اني قرأت ان وافدة منها ضربت اطنابها في بلاد العجم في اوائل الجيل العاشر للميلاد ولكني اذكر ان واحدة منها ظهرت في الشطر الثاني للجيل السابع قال الاغاني جزء ١٦ صفحة ٣٣: ان معاوية وجه جيشاً الى بلد الروم ليغزو الصائفة فاصابهم جدري فمات اكثر المسلمين وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مران مع زوجته ام كلثوم فبلغه خبرهم فقال:

اذا ارتفقت على الانماط مصطبحاً بدير مرّان عندي ام كلثوم
فما ابالي بما لاقت جنودهم بالفرقدونة من حمّى ومن موم [1]

فبلغ شعره اباه فقال اجل والله ليلحقنّ بهم فيصيبنه ما اصابهم فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القسطنطينية، فنظر الى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج فاذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من احداهما اصوات الدفوف والطبول والمزامير، واذا كانت الحملة للروم ارتفع من الاخرى، فسأل يزيد عنهما فقيل له هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جبلة ابن الايهم، وكل واحدة منهما تظهر السرور مما تفعله عشيرتها، فقال اما والله لاسرتها، ثم كفّ العسكر وحمل حتى هزم على الروم فاحجرهم في المدينة وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق فضرب عليه لوح من ذهب، فهو عليه حتى اليوم» ولا ادري اذا كان من زاروا الاستانة بعد ابي الفرج الاصبهاني قد شاهدوا اللوح الذهبي المذكور، ولكني ادري ان امثولة الاتحاد القومي التي تظهر من هذه الحادثة تساوي جبالاً من ذهب لا لوحاً

واذا كان المؤرخون لا يصرحون بشكل البثور الجدرية التي ظهرت يومئذٍ فانهم لا يشيرون ولو من طرف خفي الى شكل القروح التي مات بها امرؤ القيس ابن حجر الكندي الملقب بذي القروح صاحب المعلقة المشهورة والقائل:

---

(١) «الموم البرسام واشد الجدري»

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ وايقن انا لاحقان بقيصرا

فاني اميل الى الاعتقاد انهُ كان من ضحايا الجدري ، وآسف ان الرازي لم يتقدم عهدهُ فيكون طبيب امرءِ القيس ويتعهدهُ بما اوتي من عطفٍ وحنان على مرضاهُ كما ذكرت فلا فقول ذاك عن نفسهِ

اجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

هذه ايها السادة صفحة من حياة الرازي ابي بكر وقد دبر في اول امره مستشفيات الري وجاء بعدها الى بغداد ومات عن هذا اللقب منذ الف عام ، واذا علمتم انهُ اقدم على الطب بعد ان كان صيرافياً اعتقدتم انهُ لم يكن طالب مال

اقول منذ الف عام لاني ارسلت من اسبوعين مقالة باللغة الافرنسية الى جريدة في القاهرة وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبي الدولي فيها ادعو فيها المؤتمرين هناك الى الاحتفاء بمرور عشرة قرون على موت الرازي لانهُ على اصح الاقوال مات عام ٩٢٤ ميلادية ، فانتم اليوم تعيدون تذكار الرازي ويوبيلهُ الالفي . الا تسمعونهُ يقول وقد حضرتهُ المنية

لعمري ما ادري -- وقد آذن البلى بعاجل ترحال الى اين ترحالي
وأين محل الروح بعد خروجهِ من الهيكل المهجور والجسد البالي

رحم الله الرازي عدد حسناتهِ وان كثيراً من كتب الرازي الخطية موجودة في قسم المنسوخات في المكتبة الاهلية بباريس ويوجد حتى اليوم في الاقرباذين مرهم باسم الرازي هو مرهم كربونات الرصاص

ابن سينا

اما القرن الحادي عشر الميلادي ايها السادة فقد كان يلمع في افقهِ نجم مؤتلق لهُ لمعان خاص وانوار مدهشة عديدة عنيت ابا الرئيس ابن سينا صاحب القانون والسياسي الفلكي والوزير اللاهوتي والشاعر والعالم بسائر علوم عصره على الاطلاق

نُقل كتابه القانون الى اللاتينية في الجيل الثاني عشر بقلم جيرار الكرماني وكان موضوع التدريس في جامعات فرنسا واوربا اجيالاً طوالاً

اما جيرار الكرماني فقد آن لي ان اقول في حقهِ كلمة : ان اوربا مدينة لهذا الرجل باكثر ما علمتهُ من القرن العاشر حتى السادس عشر والسابع عشر لانهُ نقل وحدهُ عن العربية ثمانين مؤلفاً من اعظم وأضخم ما خطهُ العرب في الطب والفلك والرياضيات

والزراعة والصيدلة والاسماء الشائعة في هذه الفنون دليل على الاصل العربي ، وهو في الغرب على رأس النقلة من العربية الى اللاتينية ، كما ان حنين ابن اسحاق وحبيش — زعيما التراجمة من اليونانية الى العربية . قلت ان ابن سينا دُرِس الى القرن السابع عشر في اوربا والحال ان بوشو البروفسور في مدرسة باريس يقول في صفحة ٣٥٢ من كتابه المذكور ان روفلنك في جنوى كان يشرح قانون ابن سينا لتلاميذهِ في اواسط الجيل الثامن عشر وكذلك في لوڤان ببلجيكا وفي هولاندة

واضيف على ذلك ان في المكتبة الاهلية بباريس جوهرتين لا يعادلهما ثمن في العالم ، اولاهما قانون ابن سينا وقد طبع في روما باللغة العربية في اواخر القرن السادس عشر اي في اوائل عهد الطباعة وهو لا يعار إلاَّ على طاولة مخصوصة وثانيهما نسخة عربية لكتابٍ لجالينوس في الطب العام وقد كتب على اول صفحة منها « : هذا الكتاب ملك ابي علي الحسين بن سينا المتطبب » وهي بخط الرئيس ابن سينا نفسهِ

واضيف على هذا ان في عيادتي بباريس رسماً مكبراً لابن سينا وهو بقلم المتفنن جبران خليل جبران وقد كتبت تحتهُ بيتهُ المشهور في صفة النفس :

هبطت عليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعززٍ وتمنعِ

ورسمت الورقاء المذكورة بتعززٍ وتمنعٍ وقلت تحتها : هذه نفس ابن سينا ! وقد درس الرئيس ابن سينا في مونبليه حتى اواخر القرن الثامن عشر

القرن الثاني عشر

انقضى الجيل الحادي عشر في الشرق ولم تنقض ويلات الحروب الصليبية فيهِ فانتقل مصباح الطب منهُ الى الاندلس وكان حاملوهُ بنو زهر ونسبهم يتصل بآياد احد اجداد العرب . قال ابن خلكان في حق ابي العلاء مروان بن زهر او واسطة عقدهم ، كان من اهل بيت كلهم رؤساء حكماء نالوا المراتب العالية ، قال الحافظ ، وكان ابن زهر بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب عذب معين ومن شعرهِ في احد بنيهِ الصغار ، وهو من ارق ما قرأت في الشعر الابوي :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا صغير تخلف قلبي لديهِ
نأت عنهُ داري فيا وحشتا لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقتـــــهُ فيبكي عليَّ وابكي عليهِ
لقد تعب الشوق ما بيننا فمنهُ اليَّ ومني اليـهِ

اما كتابهُ التيسير فقد ترجم الى اللاتينية في القرن الرابع عشر وكان موضوع التدريس في مدرسة باريس الطبية ،ويقول البروفسور بوشو في حقهِ « ان ابن زهر اول من اهتم بدرس العظام لمداواة الوثأة والكسور وقد اتيح لهُ التشريح لان ما تركهُ من وصف الدمامل في الصدر وفي البريطون وفي المعدة يدل دلالة صريحة على معرفتهِ التشريحية القائمة على العمل ، وهو يشير باستعمال الحقن المغذية في امراض المريء والمعدة كانهُ يعلم ان المعى الغليظ يتضمن مسالك للكيلوس ماصة »

وقال الدكتور كياز احد اساتذة كلية ليون الطبية في كتابهِ المطبوع عام ١٩١٠ صفحة ٥٠١ : « وهو مؤلف مدرسي في الطفيليات ، اما مايتعلق بعامل الداء المعروف بالجرب فان اطباء العرب كانوا اول من دلَّ على مكانهِ ، وكان اول من وصفهُ منهم وصفاً لا غبار عليهِ ابن زهر حكيم الاندلس ودعاهُ بالصؤاب »

وجاء في الاغاني جزء ٩ صفحة ٨١ دخل ابو النجم الرجاز على هشام بن عبد الملك يسمعهُ ما قال في بناتهِ الثلاث — وكانت ثالثتهنَّ واسمها ظلامة لم تتزوج بعد — فقال هشام واي شيء قلت في تأخير زواجها : قال قلت فيها :

كانت ظُلامة اخت شيبان يتيمةٌ ووالداها حيّان
الرأس قملٌ كلهُ وصئبان وليس في الساقين إلاَّ خيطان
تلك التي يفزع منها الشيطان

قال فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكهِ وقال للخصي كم بقي من نفقتك ؟ قال : ثلاثمائة دينار ، قال اعطه اياها ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين »

هذا في تفسير الصؤاب ايها السادة اما في سرد حادثة للمرضى فاسمعوا ما جاء في الاغاني جزء ١٠ صفحة ١١٥ في حق علوية المغني قال أبو الفرج : هو علي بن عبد الله ويكنى علوية أبا الحسن وكان مغنياً حاذقاً ومؤدياً محسناً ، وضارباً متقدماً مع خفة روح وطيب مجالسة وملاحة نوادر وكان ابراهيم الموصلي علَّمهُ وخرجهُ وعني بهِ فبرعَ وغنى لمحمد الامين ، وعاش الى ايام المتوكل ، ومات بعد اسحاق الموصلي بمديدة يسيرة ، وكان سبب وفاته ان خرج بهِ حرب فشكاهُ الى يحيي بن ماسويه فبعث اليهِ بدواء مسهل وطلاء فشرب الطلاء واطلى بالدواء المسهل فقتلهُ ذلك »

ان علوية مات مسموماً بالكبريت او باحدى مركباتهِ على ان المرض نفسهُ كان معروفاً حتى في الجاهلية وهذا لبيد العامري يقول :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وان انس لا انس فيلسوف الاندلس وحكيمها ابن رشد وقد اهتمت بهِ اوربا قرناً طويلاً من اجل طبهِ وفلسفتهِ وآخر من كرس بحثاً لهُ الفيلسوف والكاتب الفرنسوي ارنست رينان . ودرّس ابن رشد في مونبليه عشرات السنين بعد ان نقل الى اللاتينية ، وقال في حقهِ المؤرخ الفرنسوي الدكتور غوستاف لوبون « امر لويس الحادي عشر بتدريس مذهب ابن رشد ومذهب ارسطو الفلسفيين في كل جامعات فرنسا ونافار » وكثيرون سوى من ذكرت ممن يقتضي لاستقصاء ما قاموا بهِ ساعات ولا ساعة

هذا ايها السادة يسير من كثير مما اخترت من اطروحتي الطبية احببتُ ان اتلوهُ على مسامعكم فان احسنت الاختيار فشكراً والاَّ فعذراً . على اني اعنى للناشئة الجديدة وعلى الاخص للمدارس الطبية المبثوثة اليوم في الشرق ان ارى من رجالها امثال الرازي وابن الجزار بن علي ابن العباس المجوسي ، واسحاق ابن سليمان الاسرائيلي وابن سينا وابن زهر فاننا بذلك نعيد للشرق العزيز رونقهُ الغابر ونكون يداً واحدة مع ابناء المعمور من اجل رفاهية الانسانية ، فان المجال متسع للعمل وان الارض ارث المجتهدين الناهضين

باريس الدكتور يوسف حريز

عناصر الالفاظ

بحث عام في حروف الهجاء

إذا سألنا ما هي حروف الهجاء كان الجواب انها الحروف التي تتألف منها اية لغة . ثم ان هناك لغاتٍ كثيرةً ، ولكل لغة تقريباً حروف هجاء . بيد ان عدد هذه الحروف ليس متساوياً ، فعدد حروف الهجاء في اللغة العربية ٢٩ حرفاً [١] ،وفي اللغة الانكليزية ٢٦ حرفاً ،وفي اللغة السنسكريتية ٤٩ حرفاً .كذلك عدد حروف الهجاء في اللغة الفارسية ٤٥ حرفاً ،وفي اللغة السلافونية ٤٠ حرفاً ، وفي اللغة الأرمنية ٣٦ حرفاً . ولا تقلّ حروف الهجاء في اللغة الإفرنسية عن ٢٥ حرفاً ، وفي اللغة اليونانية عن ٢٤ حرفاً ،وفي اللغة اللاتينية عن ٢٣ حرفاً . ولكن حروف الهجاء في اللغة التليانية لا تُربي على الـ ٢١ حرفاً .امَّا الصينيون فانهم لا يستعملون حروف الهجاء الاَّ في أحوال نادرة .فهم يستعملون

(١) قد ذهب قوم الى ان عددها ٢٨ حرفاً زاعمين ان الهمزة والألف حرف واحد ولكن هذا ليس صحيحاً

بدلاً منها علامات وارقاماً تمثل ما يريدون تمثيله أو يستعملون ما يسمونهُ بالانكليزية "Ideograms" او "Ideographs" اي صور المعاني . واللغة الصينية ملأى بمثل هذه العلام والارقام . ومعدل ما يستعمله الصيني من هذه العلام لا يقل عن ٢٥٠٠٠ علامة . امّا الصيني الذي يستخدم ٢٠٠٠٠ علامة في كتاباته فيُحصى في الطبقة الراقية من المتعلمين . وكذلك اليابانيون فانهم يعتمدون في معظم كتاباتهم على مثل هذه العلامات ، على ان لهم فوق ذلك ٧٣ علامة ذات مقاطع هجائية . وليست هذه المقاطع الهجائية مؤونة كافية لما يريد استخدامهُ اليابانيون في كتاباتهم ، فان الياباني إذا أنشأ كتاباً اضطر الى استخدام ٤٠٠٠ علامة علاوة على تلك المقاطع الهجائية . وفي اليابان اليوم كما في الصين نزوع الى اتخاذ حروف الهجاء في اللغة اللاتينية [1] لاستعمالها فيما يتعلق بالاشغال وشؤون التجارة والصناعة

ولكي نتوصل الى المصدر الذي انحدرت منهُ حروف الهجاء ، علينا أن نرجع الى آلاف من السنين خلت . ففي سنة ٣٠٠٠ قبل المسيح كان المصريين القدماء نوع من حروف الهجاء تمتزج بالكتابة الهيروغليفية التي هي عبارة عن صور حيوانات وأشجار وأسلحة تمثل كلمات وهذه الكلمات تمثل معاني . ولكنَّ هذه الحروف الهجائية لم يعمَّ استعمالها ولذلك لم تحلَّ محلَّ الكتابة الهيروغليفية . وحوالى القرن التاسع قبل المسيح قورنت هذه الحروف الهجائية بالحروف الهجائية السامية ، وذلك نظراً للقول القائل بان الحروف السامية قد أُتخذت من الحروف المصرية . على انهُ وإن كان هناك تشابه او بعض التشابه بين نوعي الحروف ، فان انحدار الحروف الهجائية السامية من الحروف الهجائية المصرية ليس محققاً . وقد عزا بعضهم الى ان مصدر الحروف الهجائية السامية هو الكتابة الإسفينية التي كان يستعملها الاشوريون ، غير ان ذلك لم يتحقق ايضاً

ويقول السير أرثر افنس Sir Arthur Evans بعد اكتشافاته التي اجراها في جزيرة كريت Crete انَّ الفينيقيين لا يمكن أن يكونوا المكتشفين لحروف الهجاء ، وهو يُضيف الى ذلك ان الاهلين في الجزيرة المذكورة كان لهم حروف هجائية نقلها الفلسطينيون الى فلسطين . وعلى هذا يكون الفينيقيون قد اتخذوا حروف الهجاء من الفلسطينيين وليس من المصريين . وبالرغم من ان هذا قد يكون اصل حروف الهجاء الحقيقي ، فاننا نرى ان أصلها سامي وليس فلسطينيًّا

---

(١) ان حروف الهجاء في اللغة اللاتينية هي نفسها حروف الهجاء في اللغة الانكليزية

ان حروف الهجاء السامية التي تتألف من ٢٢ حرفاً قد نُقلت الى بلاد اليونان بواسطة التجار الفينيقيين الذين كانوا يروحون ويجيئون إليها. ولكن معلوماً ان الساميين لم يكتبوا مطلقاً أحرف علتهم، وقد ادخلوا في القرون المتأخرة علامات خاصة تمثل أحرف العلة استعملوها في الكتابة وذلك لتسهيل القراءة. امَّا اليونان فلم يروا مندوحة عن كتابة احرف العلة الخمسة a,e,i,o,u، وقد زادوا عليها الحرف S ولفظوهُ كما يلفظ الانكليز w الاَّ انهم بعد ذلك أسقطوهُ

وفي القرن السادس قبل المسيح دخلت حروف الهجاء اليونانية الى ايطاليا حيث صارت ذريعة لنشر الأدب الروماني، وقد احتوت بعد ذلك ٢٦ حرفاً، الاَّ ان بعض هذه الحروف لم يُستعمل فتحوَّل عددها الى ٢١ حرفاً

وكان اول استعمال لحروف الهجاء اللاتينية في بريطانيا، غير انهُ قبل ان تصل اليها طرأت عليها تغيرات مختلفة، وما تداولها البريطانيون حتى بلغ عددها ٢٣ حرفاً. ولما كان هذا العدد غير كافٍ لسدّ حاجات البريطانيين أضافوا اليها w التي كان يُعبَّر عنها قديماً بـ vv و u التي كانت وظيفتها مضاعفة أي ان تقوم مقام v ومقام نفسها ايضاً، و التي كان يُعبّر عنها بحرف i

ولقد كان ٤٠٠ نوع مختلف من حروف الهجاء منذ عهد الفينيقيين، وكلها قد انبثقت من التراكيب المختلفة لحروف الهجاء السامية. ولكنَّ اكثر هذه الانواع قد اندثر ولم يبق منها سوى خمسين نوعاً. ونخطئُ إذا اعتبرنا حروف الهجاء كاملة، لان ذلك يحتاج الى ان يكون لكل حرف هجائي صوت خاص، وان لا يظهر الصوت الواحد اكثر من حرف واحد. فحروف الهجاء كلها — من هذه الجهة — ناقصة لا تفي بالمرام. لنأخذ اللغة الانكليزية مثلاً فان لها ٤٢ صوتاً ولكنها لا تحوي اكثر من ٢٦ حرفاً هجائياً. ولهذا فنحن مجبرون غالباً على استعمال حرفين لكي نعبر بهما عن صوت واحد. مثال ذلك ch في كلمة charm و churn و choke و th في لفظة thank و thirst و throat الخ

فانت ترى بعد ذلك ان أحرف العلة كلها ذات اصوات مختلفة متعددة. ففي هذه الكلمات: fair ; fall ; fate ; fat ; far نجد ان حرف العلة الذي هو "A" يختلف لفظاً في كل منها. وحرف العلة "e" في هذه الالفاظ be ; bell ; her يختلف ايضاً في اللفظ [١]. وقس على هذا. هذه كلها أمثلة تدل دلالة قاطعة على ان اللغة الانكليزية

(١) يفرق بين لفظ كل من هذه الكلمات بالقاموس بواسطة الحركة (Accent) التي توضع على كل منها

عاجزة عن ان تعبر عن كل الاصوات بواسطة حروفها فقط . ومن جهة أخرى فان في اللغة الانكليزية أحرفاً يمكن ان نستغني عنها مثلاً : حرف C فانهُ نافل إذ يمكننا ان نستعيض بهِ K او S ، وذلك يتوقف على كيفية لفظهِ فتارة يلفظ K مثل Camel وطوراً يلفظ S مثل Circle: وكذلك حرفا x ، q فاننا نستطيع ان نستبدل بهما حروف k و sk; gz او z . وليس هذا في اللغة الانكليزية فقط فان في اللغات الاخرى حروفاً نافلة ايضاً

ومع هذا كلهِ فان حروف الهجاء في اية لغة كانت خير من تلك الرسوم والعلامات التي انبعثت منها فهي ليست تمكنا من ان نكتب بسرعة فائقة فحسب ، بل تمكنا ايضاً من تلافي سوء التفاهم الذي قد يحصل من جراء هذه الحروف الرمزية فيما لو كنا نستعملها اليوم

تأمل اللغة الانكليزية مثلاً فان حروف هجائها ٢٦ حرفاً ، ومع ذلك فان في وسعنا ان نؤلف الألوف المؤلفة من الكلمات ولا يبعد عنك ان في قاموس عادي من ٣٥٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠٠ كلمة ، وكل هذه الكلمات مصدرها هذه المجموعة الضئيلة من الحروف

ربما كان من حسن حظ الانسان ان ليس في مكنتهِ استخدام كل هـذه الكلمات او عشرها ، إذ ان هذا شاق وعسير حتى على الطبقة الممتازة من الكتَّاب والمؤلفين وهذا شكسبير من اعاظم الكتاب والشعراء في العالم كلهِ قد استخدم فيما كتب وألف اقل من ٢٥٠٠٠ كلمة مختلفة . ولم يرَ ضرورياً ان يستخدم خمس هذا المقدار من الكلمات اكثر من مرة . على ان تركيب ٢٥٠٠٠ او ١٠٠٠٠٠ او ٥٠٠٠٠٠ كلمة من الحروف الهجائية سهل وبسيط بالنسبة الى تركيبها من تلك العلامات والارقام على النسق الذي يتبعهُ الصينيون في كتاباتهم ومن هنا نستطيع ان نميز الفرق بين صعوبة كتابتهم وسهولة كتابتنا

***

وهنا نتساءل : أليس في مقدورنا تغيير حروف الهجاءِ في اللغة الانكليزية مثلاً ؟ ونقصد من هذا التغيير ما يسمونهُ بالطريقة الصوتية للهجاء "Phonetic System of Spelling" اي ان نهجأ الكلمة كما نلفظها . وفي اللغة الانكليزية كلمات كثيرة من هذا القبيل غير ان فيها كلمات اكثر نقيض هذه الطريقة

وهناك آراء تؤيد هذه الطريقة الصوتية للهجاء ، كما ان هناك آراء تناقضها ، فالذين يناقضون هذه الطريقة يقولون انهُ إذا استصوبنا استعمال الطريقة الصوتية للهجاء عجزنا عن حل اشتقاق الكلمة وتاريخها الذي يظهر غالباً بواسطة لفظها

ولعلّي اعود في فرصة اخرى الى هذا الموضوع ، فأتناول حروف الهجاء في اللغة العربية بالبحث والتحليل م

« القدس » قسطنطين ثيودري

ابن الرومي : كيف اغفلهُ

صاحب الاغانى

« لو نطق الدهر هجا اهله كأنه الرومي أو دعبل »
« ابو العلاء »

ألف ابو الفرج كتابهُ الاغاني لغرض خاص هو اثبات المائة الصوت التي اختاروها للرشيد ، ثم جرّه ذلك الى الاستطراد ، فذكر من الطرف والبدائع شيئاً كثيراً حتى اصبح كتابهُ كنزاً من كنوز الادب العربي لا مثيل لهُ !

فاذا اغفل ابو الفرج التنويه بشاعر فحل كابن الرومي ، فهل نجد من يحتجُّ لهُ بهذا العذر ؟ وأيّة دهشة تتملكنا بل أيّة حيرة تملأ نفوسنا حين نجيل البصر في هذه المجلدات الضخمة التي تؤلف دائرة معارف ادبية نادرة ، فنرى مؤلفها الذي اغفل ابن الرومي قد استطرد أكثر من الف مرة إلى ذكر من يستحق الذكر ومن لا يستحقهُ والتنويه بشعراء — إن اجللناهم مرة — نزهنا ابن الرومي عن أن يوضع معهم في ميزان او يقاس اليهم بمقياس ورأيناهم إلى جانبهِ أقزاماً أمام عملاق !

فاذا زعم زاعم أن شعر ابن الرومي لم يغنَّ بهِ ، قلنا لهُ : هذه مسألة فيها نظر ، وليس لدينا الآن ما ندحض بهِ زعمه فان اخبار ابن الرومي لم يصلنا منها شيء يذكر ،وقد اجمع المؤرخون — أو كادوا يجمعون — على اغفال هذا الشاعر العظيم ! كما تعمد ابو الفرج أن يغفل ذكرهُ اغفالاً يكاد يكون تامًّا ، في حين انهُ ملأ الدنيا باخبار البحتري الذي كان يعاصر ابن الرومي ، واخبار ابي تمام استاذ البحتري ، وكثير من معاصريهما وغيرهم من المشهورين كابي نواس ودعبل الخ . وقد عني ابو الفرج — في غير كتابهِ الاغاني — بدواوين من يحبهم من الشعراء ، فجمع ديواني ابي تمام والبحتري ، ورتب كل ديوان منهما على الانواع — لا على الحروف ، كما عني بجمع ديوان ابي نواس !

وتعمُّد الاغفال ظاهر ، فان أبا الفرج لم يذكر ابن الرومي في كتابهِ « الاغاني » الاَّ مرتين، وكانهُ لم يذكرهُ الاَّ ليسيء اليهِ بدلاً من أن يشيد بذكره

فقد ذكرهُ في الموضع الاول بمناسبة انتحالهِ بيتاً من الشعر لابراهيم ابن العباس[1] ،

---

(١) ارجع الى ج ٩ ص ٢٨ من كتاب الاغاني

وذكرهُ في مكان آخر من الكتاب بمناسبة نكبة سليمان بن وهب وابنهِ [٢] ليظهرهُ لنا بمظهر الشامت وكلا الموقفين لا يشرّف صاحبه . ففي الموقف الاول يعرفنا بهِ سارقاً متنحلاً بيتاً من الشعر ، وفي الموقف الثاني يقدمهُ لنا هاجياً في غير موقف هجاء ، ليثبت ابو الفرج في نفس الصفحة رثاء البحتري لسليمان بن وهب الذي جوّد فيهِ — كما يقول ابو الفرج — ثم يتبع ثناءهُ على البحتري باطرائهِ ابراهيم بن العباس والاشادة بذكره ! فاذا لم يكن ذلك اغفالاً فهو عندنا شر من الاغفال واذا لم يكن ابو الفرج الاريب الفطن الراوية قد تعمد الاساءة الى ابن الرومي فكيف يكون تعمد الاساءة بعد ذلك ?

***

لم يكن ابن الرومي خاملاً في عصرهِ حتى يقتصر ابو الفرج على رواية اربعة ابيات من شعرهِ في هذه الموسوعة الضخمة . وقد زعم بعض الادباء أنهُ كان خاملاً ، وهو وهم يفنده الواقع ، فلم يكن ابن الرومى خاملا —لافي عصره ولا بعده— ولكنهُ كان مكروهاً من الناس لافحاشهِ في الهجاء حتى لم يكد يسلم من لسانهِ انسان له خطر !

فاذا قال قائل — : « ولماذا نوّه ابو الفرج بدعبل وذكر كثيراً من اخباره ، وهو كابن الرومي في سلاطة اللسان والاقذاع في الهجاء ? » قلنا : ان عصر دعبل قد تقدم عصر ابن الرومي وقد مات كل من اساء اليهم دعبل وقلّ حقد الناس عليهِ ، فلم يبق هناك بأس من الاشادة بذكره والتنويهِ بفضله !

اما ابن الرومي فقد اساء الى اعيان الدولة وكبارها ، كما اساء الى شيوخ الادب وزعماء الشعر ، ولم تزل اساءتهُ - الى زمن ابي الفرج — عالقة بالأذهان ، ولا زال بعض من الحش ابن الرومي في هجائهم عائشاً في زمن ابي الفرج وربما كان من بينهم اقاربهُ واصدقائهُ ! . ولقد كان أبو الفرج من المتشيعين، وكان ابن الرومي متهماً بالتشيع، ولم تكن هذه الصلة شفيعاً له عنده ولا سبباً يدعوهُ الى التنويه بذكره

هجاء البحتري والاخفش

ولقد هجا ابن الرومي البحتري الشاعر هجاء مقذعاً وأفرط في شتمهِ وكان للبحتري مكانة بين اعيان الدولة وكبار رجالها حتى بعد موتهِ، وقد رأيت ان ابا الفرج كان يحبهُ ويشيد بذكره ويعنى بآثاره . ولا يتسع هذا المقام الضيق للاستشهاد بكثير من هجاء ابن الرومي للبحتري وشرح الاسباب التي دعت الى ذلك

---

(٢) ارجع الى ج ٢٠ ص ٧٢ من كتاب الاغاني

ولا تنس هجاء ابن الرومي للاخفش ، استاذ أبي الفرج — فقد كاد ابن الرومي يقف حياتهُ على هجاء الاخفش ، وكاد الاخفش يقف حياتهُ على التشنيع بهِ والزراية عليهِ ، فلا غرو ان يغرس الاستاذ في نفس تلميذهِ بزور الكراهية والبغض لابن الرومي منذ الصغر ، أو يغضب التلميذ لاستاذه فيتعمد اغفال من جعل همهُ الاول شتم استاذه والتشهير بهِ . «وآفة الرأي الهوى ! » . والى القارئ شيئاً من هجاء ابن الرومي للاخفش ليتبين منها صحة ما ذهبنا اليهِ : قال من قصيدة طويلة رائعة : —

قلت : لمن قال لي عرضت على الاخ فش ما قلتهُ فما حمده
قصرت بالشعر حين تعرضهُ على مبين العمى اذا انتقده
ما قال شعراً ولا رواه ، فلا ثعلبهُ كان ، لا ولا اسده
فان يقل : انني رويت فكالدفـ ـتر جهلاً بكل ما اعتقده
أرُمتَ زيني بأن تعرضني لمدحهِ ، فالذليل من عضده
أم رمت شيني بان تعرضني لثلبهِ ، فالسابم من قصده

شعري شعر اذا تأملهُ الانـ ـسان ذو الفهم والحجا عبده
لكنهُ ليس منطقاً بمث الله ه بهِ آية لمن جحده
ولا انا المفهم البهائم والطـ ـير سليمان قاهر المرده
ما بلغت بي الخطوب رتبة من تفهم عنهُ الكلاب والقرده

لارحم الله أم اخفشكم ولا سقى قبر والد ولده
ماذا عليهِ وقد رأى ولداً أعور جمَّ العوار لو وأده
سأسمع الناس ذمه ابداً ما سمع الله حمد من حمده

وقوله من قصيدة اخرى

لا يأمنن السفيه بادرتي فانني عارض لمن عرضا
عندي لهُ السوط ان تلوَّم في الـسير وعندي اللجام ان ركضا

الى ان قال : —

أقسمت بالله لا غفرت لهُ إن واحد من عروقهِ نبضا

فاذا ذكرنا الى ذلك الهجاء المقذع ان في التنويه بابن الرومي اساءة الى جمهرة من اعيان الدولة وكبار رجالها الذين هجاهم ابن الرومي او هجا آباءهم — كما اسلفنا القول — عرفنا السر في هذا الاغفال

كامل كيلاني

اساطيل الجو التجارية

خاصة للمقتطف بقلم المستر كلارنس ينغ
مدير مصلحة الطيران في وزارة التجارة الاميركية

منذ خمس وعشرين سنة طار اورفيل ريط الاميركي لاول مرة في التاريخ، بطارة اثقل من الهواء. وكان ذلك في كثبان كتي هوك بولاية نورث كارولينا الاميركية فاستغرق طيرانهُ بضع ثوانٍ وكانت سرعتهُ نحو ثلاثين ميلاً في الساعة. ولكن منذ مدة وجيزة فاز احد الطيارين الاميركيين بقصب السبق الاميركي في طول البقاء في الجو فلبث محلقاً بطيارتهِ ٥٣ ساعة متواصلة. وتمكنت الطيارة الاميركية علامة الاستفهام من البقاء في الجو نحو اسبوع كامل كانت تملأ احواضها بنزيناً في اثنائهِ بانبوب يمتد اليها من طيارةٍ محلقة فوقها. وفي الخريف الماضي بلغت سرعة الطيار الانكليزي دارسي كرايج ٣١٨ ميلاً في الساعة اي عشرة اضعاف سرعة اورفيل ريط لما كان الطيران في مهدهِ

ان في هذه الارقام دليلاً واضحاً على مدى ارتقاء الطيران في ربع القرن الاول من حياتهِ!

كان طيران اورفيل ريط في كتي هوك مفتتح عهدٍ جديد من التجربة والامتحان في فنون الطيران تلتهُ فترة الحرب الكبرى فانصبَّت مساعي المستنبطين والطيارين على ترقية الطيارات واستعمالها في الاعمال الحربية فبلغوا في ذلك شأواً بعيداً. فلما وضعت الحرب اوزارها باعت الحكومات المتحاربة طائفة كبيرة من طياراتها الحربية فاقتناها الطيارون الذين كانوا يستعملونها فوق صفوف القتال وحوَّلوها للنزهة او للتجارة فتكونت كذلك النواة التي نشأت منها اساطيل الجو التجارية في مختلف الامم

وقد صنعت في السنوات الاخيرة انواع جديدة من الطيارات وضعت رسومها خاصة لكي تستخدم في الشؤون التجارية كنقل الركاب والبريد. فاسترعت اعمالها انتباه الجمهور وبثت في نفوس الناس الطمأنينة الى ركوب الهواء لدقتها وامانة جانبها. حتى اذا حدثت اعمال الطيارين العظيمة كطيران لندبرغ وبرد وتشمبرلين وغيرهم اخذ الناس يهتمون بشؤون الطيران اهتماماً جعلهُ من الامور التي يجب ان تعنى بهِ كل امة من الوجهتين الصناعية والتجارية — والحربية! فقد اصبحت الطيارات جزءًا اساسيًّا من وسائل

المستر اورڤل ريط

اول من طار بطائرة اثقل من الهواء في ١٧ دسمبر ١٩٠٣

تراه في الوسط والى شماله وزير الحربية الاميركية يعلق على صدره « صليب الطيران الممتاز »

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة ٥٤٣

المواصلات في كل بلدٍ راقٍ ولا بدَّ ان ترتقي فتصبح وسيلة لا مندوحة عنها من وسائل الرقي الصناعي والاجتماعي

يقسم الطيران التجاري الى فروع ثلاثة هي النقل الجوي وانتظام الاعمال الجوية واقتناء الطيارات الخاصة

فالنقل الجوي يشمل طيران الطيارات فوق خطوط معينة لنقل البريد والركاب . وهذا النقل انتظم انتظاماً حسناً في بلدان اوربا واميركا وخصوصاً المانيا وبريطانيا وفرنسا وهولاندة والولايات المتحدة الاميركية ويشمل الطيران في النهار وفي الليل. [المقتطف: خص الكاتب خطوط الطيران الاميركية بالذكر في مقالهِ . ولما كانت بلدان اوربا اقرب الينا رأينا ان نذكر هنا مبلغ انتشار الطيران التجاري فيها . فقد بلغ عدد الذين سافروا بالطيارات في المانيا سنة ١٩٢٦ نحو ٥٦ الفاً ثم تضاعف عددهم سنة ١٩٢٧ . وبلغ عدد الذين انتقلوا من انجلترا واليها عن طريق الجو نحو خمسين الفاً سنة ١٩٢٧ وعدد الذين استقلوا الطيارات في فرنسا نحو عشرين الفاً سنة ١٩٢٥ ولم نطلع على احصاء مثبت بعد ذلك]

لابناء الجوّ في كل يومٍ فتح جديد واحدث فتوحاتهِ انشاء البريد الجوّي بين لندن والهند عن طريق الاسكندرية والبصرة وقد افتتحهُ وزير الطيران البريطاني السر صموئيل هور في الاسبوع الاول من شهر ابريل الماضي فصارت الرسائل التي تكتب في لندن يوم الجمعة تصل الهند بعد اسبوع عن طريق الجوّ بدلاً من ان تقضي شهراً او اكثر في البريد البحري . ويسرّنا ان ننشر هذا المقال بقلم رجل متفرغ لشؤون الطيران لنستخرج منهُ العبرة

وانتظام الاعمال الجوية يشمل على انشاء شركات لصنع طيارات تكون تحت طلب المستأجرين كسيارات الاجرة يضاف الى ذلك استعمالها في مسح الاراضي والتصوير والبحث عن الآثار وهلمجرا .

واقتناء الطيارات الخاصة غايتهُ الاولى الطيران للنزهة او لقضاء الاعمال الخاصة او للتجارة كما يستعملها صاحب سيارة خاصة للاجرة

فكل فرع من فروع الطيران المذكورة آنفاً لهُ مقام خاص في نظام الطيران التجاري ومع انهُ يوجد في الولايات المتحدة نحو ١٤٠ شركة شرعت تبني الطيارات التجارية او

ستشرع قريباً في ذلك يتعذر على طالب طيارة ان يذهب الى السوق ويشتريها جاهزة كما يستطيع ان يشتري سيارة جاهزة لان ما تصنعهُ الشركات من الطيارات لا يكفي الطلب عليها مع انها تصنع نحو ٤٠٠ طيارة كل شهر

هذا وصف موجز لحالة الطيران التجاري الآن بعد انقضاء خمس وعشرين سنة على طيران اورڤيل ريط

الطيران والحكومة الاميركية

في سنة ١٩٢٦ سنَّ مجلس الامة الاميركية قوانين خاصة بالطيران والطيارين اعترف فيها بثلاثة انواع من الطيران هي الطيران الحربي وهو تابع لوزارة الحربية والطيران البحري وهو تابع لوزارة البحرية والطيران التجاري وتشرف عليهِ وزارة التجارة . وانشأ في وزارات الحربية والبحرية والتجارة ثلاثة مناصب لوكلاء مساعدين يقتصر عملهم على العناية بشؤون الطيران التابعة لوزاراتهم

والغاية من هذا القانون ترقية الطيران التجاري حتى يصبح في عرف العامة جزءًا من وسائل المواصلات التي الفوها كالسيارات وسكك الحديد والبواخر . ولكي تمهد الحكومة الطريق لنمو الطيران التجاري نموًّا صحيحاً اشترطت شروطاً خاصة تتعلق اولاً ببناء الطيارة ومتانتها ومقدرتها على الثبات في الجو وثانياً بالطيارين الذين يسوقونها واستعدادهم لذلك استعداداً وافياً يمكنهم من اجتناب الخطر الذي قد يتعرضون لهُ هم وركاب طياراتهم وسكان المدن التي يمرُّون فوقها وثالثاً انشاء طرق جوية تستطيع الطيارات ان تطير فوقها كانها تطير فوق طريق ممهَّد . ويجب ان تكون هذه الطرق مجهزة بكل ما يلزم من الانوار والميادين العامة لنزول الطيارات حين يحدق بها الخطر اذا لزم الامر ورابعاً وضع قوانين لحركة الطيارات يجري عليها الطيارون كقوانين الحركة في شوارع المدن الكبيرة التي يجب ان يرعاها سائقو السيارات

فوزارة التجارة الاميركية التي تسيطر على الطيران المدني والتجاري في اميركا تعني الآن بثلاث امور — ١ — هي منح الرخص للطيارات التي ثبت اتقانها ومتانتها وتجهيزها بكل وسائل الطيران اللازمة ، وللطيارين الذين استعدوا لعملهم استعداداً يبعث على الثقة و — ٢ — انشاء الخطوط الجوية والانفاق على حفظها و — ٣ — العناية لكل ما يساعد الطيران المدني والتجاري على الارتقاء والانتشار
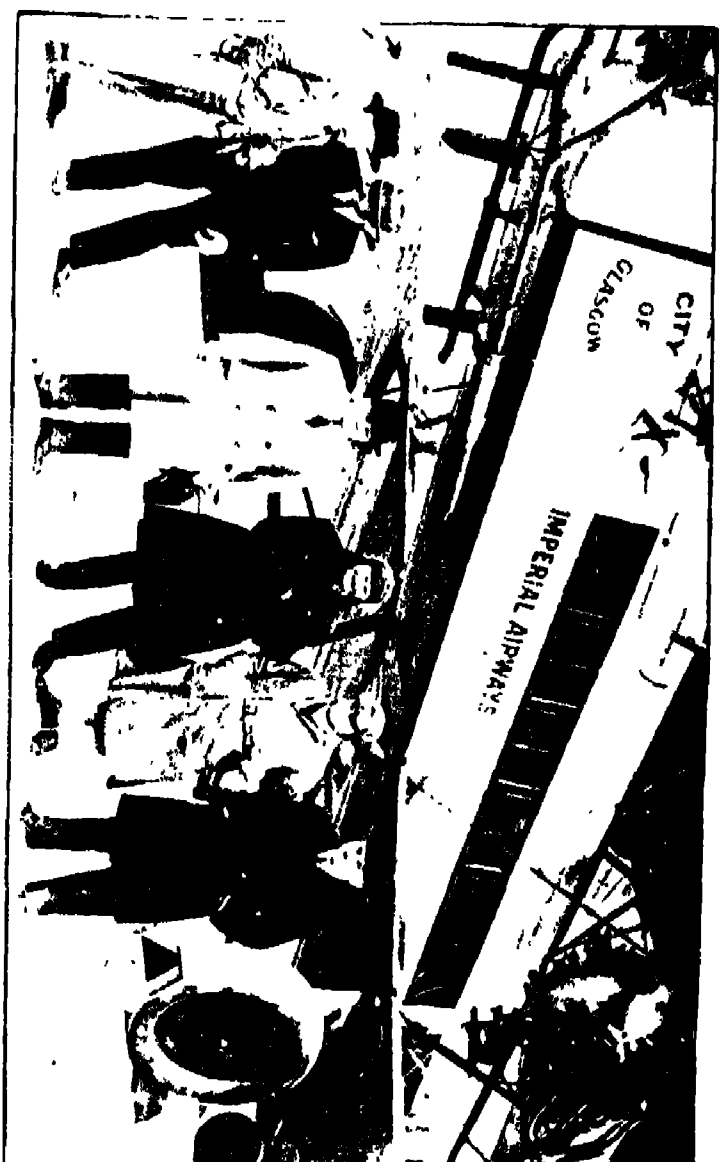
افتتاح خط البريد الجوي بين لندن والهند

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة ٥٤٥

لا يزال الطيران التجاري في السنة الثانية من عمره ولكنهُ خطا الى الامام خطوات الجبارة باشتراك الحكومات والشركات في انشاء الخطوط الجوية وحفظها وباقبال الناس على اتخاذها سبيلهم العادي للنقل والانتقال وبابداع العلماء في استنباط الاجهزة التي تجعل الطيارات وافرة الراحة لا تقلُّ فيها سلامة الذهاب والاياب عما هي عليهِ في السكك الحديدية والسفن البخارية واهم هذه المستنبطات هو استعمال الاجهزة اللاسلكية المرسلة والمستقبلة التي تمكن السائق ان يبقى متصلاً في كل دقيقة من دقائق الطيران بانباء الجوّ كما تذاع لاسلكيًا من المطارات الكبيرة. فاذا غادرت طيارة مدينة من المدن والسماء فيها صافية الاديم وكان الجوُّ في المدينة التي تقصد اليها مكفهرًّا والريح عاصفة والغيوم متلبدة عرف الطيّار ذلك فادار طيارتهُ على وجهٍ يكون اكفل لسلامة الركاب. واذا تعذر النزول الى الارض لكثافة الضباب تمكن مدير الحركة في المطير الذي يقصد اليهِ من ان يواصلهُ بكل ما يحتاج اليهِ من الحقائق حتى يكون نزولهُ الى الارض امين الجانب

ومنها انشاء المنائر الباهرة النور في الخطوط التي تطير فوقها الطيارات ليلاً تبعد المنارة عن الاخرى نحو خمسين ميلاً حتى اذا ارتفع الطيّار الى علو الفي قدم او اكثر ظهرت لهُ هذه المنائر خطًّا من النور يجري فوقهُ فيأمن الضياع في سواد الليل. ومن هذا القبيل المنائر التي تملأ مصابيحها بغاز النيون فتضيء ضوءًا احمر قانياً يخترق الضباب مهما كثف ويهدي الطيارات الحائرة الى سبيلها

من لندره الى الهند

في سبعة ايام

السبت —— القيام من لندن الى بال ٤٨٥ ميلا ثم ينقل البريد بالاكسبرس الليلي الى جنوى ١٥٠ ميلا

الاحد —— من جنوى الى سيراقوسه صقلية ٧٠٠ ميل بطيارات بحرية تمر على رومية

الاثنين —— سيراقوسه الى طبرق ٧٥٠ ميلا وتمر على تاورمينو باليوان

الثلاثاء —— طبرق الى الاسكندرية ٣٥٠ ميلا ثم من الاسكندرية الى غزة ٢٨٠ ميلا

الاربعاء —— غزه الى البصرة ٩١٢ ميلا تمر على محطة رطبة

الخميس —— البصرة الى جاسك ٨٠٠ ميل وتمر على بوشير ولنجه

الجمعة —— جاسك الى كراتشي ٦٠٠ ميل وتمر على جوادار

ومنها المنارة اللاسلكية وهي جهاز لاسلكي مرسل يبعث على خطٍّ من خطوط الطيران سلسلة من الاشارات اللاسلكية تبين للسائق سماعاً او عياناً هل هو سائرٌ في الاتجاه الصحيح او هو منحرف عنهُ . وهذا مما يساعد الطيار على ان يطير في جوّ متلبد بالضباب . يضاف الى ذلك الاجهزة التي تدل على سرعة الريح واتجاهها وارتفاع الطيّارة وما الى ذلك

مصر والطيران

هذه ملخّص لمقال المستر ينغ . فما هو نصيبنا من هذه الاعمال وقد اصبحت مصر مركزاً من اهم مراكز الطيران التجاري في العالم وصار مطيراها في هليوبوليس وابو قير ملتقى لاهم الخطوط الجوية وصلة بين الشرق والغرب ؟

لقد كان اهتمام ملوك اوربا وتجارها بالوصول الى الهند وغيرها من بلدان الشرق اكبر البواعث على السير بسفنهم حول افريقية ثم على فتح ترعة السويس . وبعد ما كان الوصول الى الهند برًّا بطريق سورية وبغداد وايران وافغانستان او بحراً حول رأس الرجاء الصالح يقتضي شهوراً ويعرض القوافل والسفن للمخاطر شُقت ترعة السويس وصار السفر الى الهند لا يستغرق اكثر من اربعة اسابيع . اما اهل هذا العصر فلم يكتفوا بطريق البر والبحر بل عزموا على ان يزاحموا الطيور ويصلوا الى الهند في الهواءِ . وقد تمَّ لهم ذلك . ولما كان للانكليز الشأن الاكبر في ذلك لاتساع املاكهم الشرقية رسموا خطًّا تسير فيهِ طياراتهم من القاهرة الى قراشي اولاً ثم من لندن الى قراشي وهو الخط الذي افتتح حديثاً وينتظر ان يمدّوا هذا الخطوط حتى تتصل باستراليا من جهة وبجنوب افريقية من جهة اخرى . وغايتهم ان ينظموا شبكة من المواصلات الجوية تربط اجزاء الامبراطورية بعضها ببعض

ثم هنالك الوف من السيّاح يأمون وادي النيل كلَّ شتاء ليشاهدوا اثارهُ الفخمة الرائعة فحبذا لو عنيت الحكومة بانشاء خطٍّ جوّي لحسابها او بالاتفاق مع شركة الطيران الامبراطورية على انشاء هذا الخط فيسير سيراً منتظماً جنوباً الى الاقصر واسوان والخرطوم وغرباً الى الواحات وصحراء ليبيا وشرقاً فشمالاً الى صحراء سينا ففلسطين فسوريا فيشاهد المسافرون هذه الآثار الفخمة من الجوّ كما يرون النيل منساباً في واديها الاخضر الاغنّ.

اننا لا نستطيع ان نجاري دول الطيران العظيمة دفعة واحدة . ولكنَّ هذا عمل يصح الابتداء بهِ فيكون باعثاً يدفع ابناء مصر على مجاراة الاوربيين ومنافستهم ومقدمة ليوم تقبض فيهِ مصر على زمام الطيران في جوّها وبلادها وتحمل عبء هذه المهمة العمرانية الكبيرة

صفحات مطوية : التجسس ومكافحته

في اثناء الحرب الكبرى

يعلم القرّاء ان الحرب الكبرى امتازت عن جميع الحروب التي سبقتها بعدّة امور. منها وفرة المتحاربين واتساع الميادين والساحات وتنوّع المعارك والاسلحة وكثرة عدد القتلى والجرحى. فإنّ الجيوش التي خاضت غمارها لم يقلّ عددها عن خمسين مليوناً. ولم تنحصر معاركها في ما نشب منها في البرّ بل تعدَّتهُ الى مواقع الاساطيل الكبرى في عرض البحار ومكافحات اسراب الطيارات في اعالي الجوّ وغارات الغوّاصات في أعماق اللجج اي انها ثارت في الارض والهواء وعلى الماء وتحت سطح الماء. واستخدموا فيها من العدد والاسلحة كلَّ ما استنبطهُ العلم واخترعهُ العقل البشري للتعجيل في التنكيل والتقتيل وتعميم التخريب والتدمير. وبلغ فيها عدد القتلى عشرة ملايين وأربى عدد الجرحى على عشرين مليوناً

ولكن قد لا يخطر ببال القرّاء انها امتازت ايضاً على الخصوص بالتجسس الذي اتسع فيها نطاقهُ وامتدّ رواقهُ واستوفى المتحاربون شروط تنسيقهِ وتنظيمهِ واستكملوا اسباب إحكامهِ وإتقانهِ. فبالتجسُّس توسَّل كلُّ فريق الى تسقط اخبار الفريق الآخر والوقوف على ما خفي من حركاتهِ وسكناتهِ وعليهِ عوَّل في معظم خطط الهجوم وطرق الدفاع. وبالتجسُّس تذرَّع كلٌّ منهما الى ترصُّد جواسيس عدوّهِ والتفرّغ لاحباط مساعيهم واتّقاءِ شرورهم. وهكذا كان عند كلّ فريق ادارة شحنة (بوليس) سرية لتنشُّم أنباءِ الفريق الآخر وإدارةٌ اخرى لمناهضة جواسيس العدوّ وقطع دابرهم

وفي أثناءِ هذه الحرب كانت اسبانيا، علاوة على هولندا وسويسرا، محطَّ رحال جواسيس الحلفاءِ وقبلة انظار جواسيس المانيا والنمسا. ومن جميع السفارات والقنصليات في مدريد، ولاسيما من مكاتب الملحقين العسكريين وشجت اعراق الاشراك المنصوبة للتجسُّس وانتشرت الشباك المخفاة للرصد والاستطلاع، ممتدّة الى جميع الفنادق الكبرى في مدريد وغيرها من امهات المدن ومتفرّعة حتى الى احقر مساكن الفوضويين الاسبانيين. وهذه المصايد المحكمة الوضع أُلقيَتْ ايضاً حول الملك الفونس الثالث عشر الذي اعترتهُ دهشة عظيمة عندما علم بعد الحرب انهُ كان اكبر غرض وضعتهُ المانيا وبريطانيا العظمى

السرية والاخبار الخفية وقضت الضرورة بوجوب وضع حدٍّ لهذا الامر باية طريقة كانت . ولما كانت الملكة إينا، زوجة الملك الفونس، من أُسرة باتنبرغ وشديدة المؤاساة لانكلترة — ارتأت وزارة الخارجية الانكليزية ان تستعين بسلطة هذه الملكة على مناهضة الملحق العسكري الالماني واستئصال شأفة الحظوة التي نالها في قصر ملك اسبانيا . ولإدراك هذا الغرض اوفدت دوق وستمنستر الذي لهُ عقارات كثيرة في ولاية باسك وكان بعضها مجاوراً لضياع الملك الفونس . وهو علاوة على ذلك من امهر لاعبي البولو[1] المولع بها الملك الفونس وكثيراً ما لعبها مع دوق وستمنستر

وبينما كان الملحق العسكري الالماني يتوسَّل بالمآدب والمراقص الى ترويج سعاياته ونشر شباك مكايده كان الدوق البريطاني يستخدم الرياضة البدنية لتوثيق عرى الصداقة والمودَّة . وقد يودّ القارئ ان يقف على ماكانت ادارة التجسُّس البريطانية في اسبانيا، ومنها كان دوق وستمنستر ، تكتبهُ في تقاريرها السرية الى وزارة الخارجية في لندن . قال الكبتن توهي في كتابهِ عن « التجسُّس » ما ترجمتهُ : — « اولاً — إنَّ الملك مؤاسٍ للحلفاءِ من صميم فؤاده لكنهُ محاط بحاشية شديدة الحول وضلعها مع المانيا وينقاد الى مشورة اركان حرب قصارى مناهم السعي في انتزاع المغرب الاقصى من فرنسا. ثانياً :— الملكة كرستينا ، ام الملك الفونس ، نمسوية الاصل فتقيم الدنيا وتقعدها في سبيل معونة سليل آل هابسبورغ الجالس على عرش الامبراطورية الكاثوليكية وهي بلا ريب صلة التقرُّب وواسطة المفاوضة بين ڤينا والڤاتيكان . وهذا ، اي الڤاتيكان ، اكبر معين لها في اسبانيا . ثالثاً : — الملك كثير الكلام . ويخشى ان الانباء التي تسرّ الى ملحقي الحلفاء البحريين والعسكريين تبلغ مسامع الاعداء . وقد بعثت حكومة المانيا الى مدريد ملحقاً عسكريًّا هو آية في الظرف والكياسة وسلامة الذوق وحسن التناول . والملك ملازم لهُ وقلما يفارقهُ . رابعاً : — يظهر ان مشكلة الغوَّاصات خطيرة جدًّا . فضباط الغواصات الالمانية يفعلون ما يشاؤون في مياه اسبانيا وموانيها »

على ان ترويج الدعوة لمحبة فرنسا وادارة المنابآت (المخابرات) الفرنسية كانا جاريين على ما يرام من النشاط والإحكام . وفي سنة ١٩١٦ ، حين كانت المعركة حول فردون ناشبة بما لا مزيد عليهِ من الشدة والاحتدام وكان موقف فرنسا على غير ما يرام اشتدَّ اهتمام الفرنسيين بمسألة حياد اسبانيا وعدُّوها اخطر المسائل شأناً وخافوا ان تنتهز اسبانيا فرصة ارتباكهم وتجدّد مطاليبها القديمة من جهة ما تدعيهِ من الحقوق في المغرب

(١) ضرب من لعب الكرة يأتيه اللاعبون وهم على ظهور الخيل

الاقصى . وفي هـذه الاثناء حدث ما أفضى الى تقويض اركان ادارة الشرطة الفرنسية السرية في بلاد البلجيك المانية للاحتلال الالماني. فان جاسوساً فرنسيًّا خان حكومتهُ ووطنهُ وانضم الى ادارة التجسس الالمانية وباح لها بأسرار مكنتها من القبض على نحو ٧٠ جاسوساً فرنسيًّا وحينئذ تعذر على اركان حرب القيادة الفرنسية العليا استطلاع انباء الجيش الالماني والوقوف على خططهِ الحربية وحركاتهِ العسكرية وكانت النتيجة ان الجيش الالماني بقيادة ولي العهد زحف على الجيش الفرنسي وفاجأه بهجوم كبير على حين غفلة

وفي هذا الوقت تألق في سماءِ التجسس كوكب جديد بهر الانظار وخلب العقول اعني بهِ كوكب الباريسية الحسناء التي احرزت قصب السبق بصوتها الجميل ورقصها البديع وحازت نجاحاً منقطع النظير على مسارح باريس وبروكسل واصبحت ربة الصيت الذائع والشهرة المستطيرة في امهات مدن اوربا والولايات المتحدة واميركا الجنوبية وكان لها في صفوف الحلفاء مساعٍ مذكورة وخدمات مشكورة وكانت في اوائل الحرب في ايطاليا فحسرت عن ساعد الجد والاجتهاد وجاست في المدينة الخالدة خلال القصور والدوائر العالية واستخدمت ما اوتيتهُ من براعة وذكاء ومكر ودهاء في سبيل والوقوف على علاقات المانيا بايطاليا وشخصت الى سويسرا بجواز مزور مع سائق سيارة الماني الاصل كان في خدمة البرنس ايتل فردرك البروسي . وفي مدينة برن اتفق لها ان عرفت مدير ادارة الشحنة الالمانية السرية فهام بها . وفيما هما يتناولان طعام العشاءِ استهوتهُ برقة الحديث ولين الكلام واقتنصتهُ بحبائل المداعبة والمغازلة وانتزعت من صدره السر المكتوم باسماءِ الفرنسيين المستخدمين في ادارة الجاسوسية الالمانية . ثم شخصت هذه الجاسوسة الفائقة الدهاء الى اسبانيا لتلقي شباك المكايد والدسائس حول الملك الفونس

وكان عليها ان تسعى في مدريد وتقابل الملك بنفسها وتلتمس منهُ ان يتوسط لدى الالمان في اطلاق صديق لها كان معتقلاً اسير حرب في المانيا . وقد حظيت بمقابلة الملك وتمكنت من الاطلاع على ميل اسبانيا السياسي ونالت وعداً صريحاً ببقاءِ اسبانيا على موالاة فرنسا وعدم انحرافها قيد شعرة عن خطة الحياد حتى تضع الحرب اوزارها . وهـذا الوعد الصريح سمعتهُ من فم الملك نفسهُ . وقد ساء الكونت ماسار الذي كان النائب العام العسكري الفرنسي في ٤٥ جلسة في محكمة حصن فانسين العسكرية ان هـذه الباريسية المنقطعة النظير في البراعة والامانة لم تمنح وسام جوقة الشرف [لجيون دونور] الذي يزين صدور كثير من السيدات اللواتي هنَّ اقل منها جدارة واستحقاقاً

ترجمة : اسعد خليل داغر

تاريخ الغناء العربي

(٥) فى بقية العهد الأموى من عهد يزيد الثانى إلى عهد مروان الثانى

أى من سنة ١٠١ هـ الى سنة ١٣٢ هـ أو من سنة ٧٢٠ م الى سنة ٧٥٠ م

قد اشتملت هذه الفترة من الزمن وقدرها إحدى وثلاثون سنة هجرية على حكم ستة ملوك أمويين انقطع اثنان منهم إلى اللهو وهما يزيد بن عبد الملك أو يزيد الثانى (١٠١ — ١٠٥ هـ) ثم ابنه الوليد الثانى (١٢٥—١٢٦ هـ) أما الباقون فقد شغلتهم الفتن والاضطرابات عن الغناء والقصف حتى دالت دولتهم سنة ١٣٢ هـ ولذلك لم نعثر على أخبار عن الغناء والمغنين فى هذه الفترة إلا فى عهد هذين الخليعين اللذين مهّدا الدولة الأموية بالمشرق سبيل الفناء. والإسراف فى اللهو المباح كالغناء ذميم مُرد فكيف إذا أسرف أميران للمؤمنين فى اللهو المحرم وشغل كل منهما بنفسه عن رعيّته — ودعاة الخلافة الهاشمية مجدّون فى الدعاية وخير أعوانهم أعداؤهم الأمويون لما اتصفوا به من مقيت الصفات وسيء العادات

وقد بلغ من شغف يزيد الثانى ببعض جواريه أن جعلها تأمره أن يُسدى معروفاً إلى من تشاء ولا يعصى لها أمراً كما يستدل على ذلك من هذه القصة التى اشتملت على أعجب مجلس من مجالس الغناء الأموى فقد حدّث أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله المأمون فى طريق الحج من العراق إلى مكة قال حدثنى أبى قال: كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجهاً وأكملهم عقلاً وأفضلهم أدباً قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك (يزيد الثانى) فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة أو أحد يحسن أن أصطنعه أو أسدى إليه معروفاً قالت يا أمير المؤمنين أمّا قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاى كنت أحب أن ينالهم من خير ما صرت إليه فكتب إلى عامله بالمدينة فى إشخاصهم وأن يعطى كل رجل منهم عشرة آلاف درهم وأن يعجل بسراحهم إليه ففعل عامل المدينة ذلك فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم فأذن لهم وأكرمهم وسألهم حوائجهم فأما الاثنان فذكرا حوائجهما فقضاها لهما وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين!! ما لى حاجة قال ويحك ولم؟ ألست أقدر على قضاء حوائجك؟! قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى لا أحسبك تقضيها قال ويحك فسلنى

فإنك لاتسألنى حاجة أقدر عليها إلاَّ قضيتها قال ولى الأمان يا أمير المؤمنين قال نعم وكرامة قال إن رأيت أن تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا لها أن تغنينى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها قالت وما عليك يا أمير المؤمنين أن أفعل ذلك فلما كان من الغد أمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسىّ من ذهب فألقيت فقعد يزيد على أحدها وقعدت الجارية على الآخر وقعد الفتى على الثالث ثم دعا بالطعام فتغدوا جميعاً ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى قل ما بدا لك وسل حاجتك قال تأمرها تغنى :

لا أستطيع سلوًّا عن مودتها أو يصنع الحبّ بى فوق الذى صنعا
أدعو إلى هجرها قلبى فيسعدنى حتى إذا قلت هـذا صادق نزعا

فأمرها فغنّت فشرب يزيد وشرب الفتى ثم شربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها تغنىّ !

تخيرت من نعمان عود أراكة لهند ولكن من يبلّغه هندا
ألا عرّجا بى بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا

قال (الرواى) فغنّت بهما وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية ثم أمر بالأرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال يا أمير المؤمنين مرها تغنى !

منّا الوصال ومنكم الهجرُ حتى يفرّق بيننا الدهرُ
والله ما أسلوكمُ أبدا مالاح نجمٌ أو بدا فجرُ

قال فلم تأت على آخر الأبيات حتى خرّ الفتى مغشيًا عليه فقال يزيد للجارية انظرى ما حاله ؟ فقامت إليه فحركته فإذا هو ميّت فقال لها ابكيه قالت لا أبكيه ياأمير المؤمنين وأنت حىّ قال لها ابكيه فوالله لوعاش ما انصرف إلا بك . فبكته وأمر بالفتى فأحسن جهازه ودفنه اهـ وقد ختم هذا الملك حياته فى السكون إلى حبابة إحدى جواريه ذوات الحسن والخلاعة وكانت ماهرة فى الغناء وقـد أتينا في المقالة السابقة بغناء لها غنته سيدها فأعجبه واحتجب بها عن الرعية حتى ماتت سنة ١٠٥ هـ ومات بعدها مطعونا إثر مضيّ ١٧ يوما ثم ولى الوليد بن يزيد الثانى سنة ١٢٥ هـ وكان خليعاً كأبيه ومكث خمسة أشهر وأياما مستبدًّا بالأمر حتى أدركته منيته سنة ١٢٦ هـ . قال خالد صامه وكان من أحسن الناس ضربا بالعود قدمتُ على الوليد بن يزيد فى مجلس ناهيك به من مجلس فألفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبى السمح وابن عائشة وأبو كميل وغزيّـل الدمشقي وكانوا يغنون حتى بلغت النوبة إلىَّ فغنيته

سرى همي وهمّ المرء يسرى | وغاب النجم إلاّ قيد فتر
لهمّ ما أزال له قرينا | كأن القلب أودع حرّ جمر
على بكر أخي فارقت بكرا | وأي العيش يصلح بعد بكر

فقال أعد ياصام ففعلت فقال لى من يقول هـذا الشعر قلت يقوله عروة بن أذينة يرثى أخاه بكرا قال الوليد وأى عيش يصلح بعد بكر والله لقد حجر واسعا هذا والله العيش الذي نحن فيه يصلح على رغم أنفه — وقـد غنيت بهذا الشعر السيدة سكينة بنت الحسين بن على فقالت مثل هذا القول كما سبقت الإشارة إليه فى بعض مقالاتى الفائتة

وقد روى أبو العباس قال حدثت أن عمر الوادى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى صمد[1] من الأرض فسمعت غناء من الهواء لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن إليه فإذا هو لعبد أسود فقلت له أعد ما سمعت فقال والله لو كان عندي قِرًى أقريك ما فعلت ولكن اجعله قراك فإني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم ابتدأ فغنّى

وكنت متى ما زرت سُعدى بأرضها | أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها | إذا ما انقضت أحدوثة لو يعيدها

وكان بالشام أيام الوليد بن يزيد مغنّ يقال لهُ العزيز ويكنى أبا كاهل وفيهِ يقول الوليد بن يزيد :

من مبلغٌ عنى أبا كاهلِ | أنى إذا ما غاب كالها بلِ

ومن غنائهِ :

امدَح الكاسَ ومن أعملها | واهجُ قوماً قتلونا بالعطَشْ
إنما الكاس ربيعٌ باكرٌ | فإذا ما لم نذقها لم نعِشْ

وكان حكم الوادى فى صحبة الوليد بن يزيد أيضاً ويغنى بشعره ومن غنائه

خف من دار جيرتى | يابن داوُد أُنسُهَا
قد دنا الصبح أو بدا | وهى لم تقض لبسها
خرجت بين نسوة | أكرم الجنس جنسها

ومن المغنين المحدّثين الأتقياء الذين أدركوا مساء الدولة الأموية عروة بن أذينة ذلك الشاعر المعروف وكان لبقا فى شعره غزِلاً وكان أيضاً ثقة ثبتا فى الحديث روى عنهُ الامام مالك بن أنس وكان يصوغ الألحان والغناء على شعره فى حداثته وينحلها المغنين فمن ذلك قوله وغنى بهِ الحجازيون

(١) الصمد بفتح الصاد وسكون الميم المكان المرتفع والجمع أصماد وصماد

يا ديار الحيّ بالأجمهْ　　لم يبيّن رسمها كلّمهْ

وهو موضع صوته ومنه قوله

قالت وأبثثتها وجدى وبحت به　　قد كنت عندى تحبّ الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى ؟! فقلت لها　　غطّى هواكِ وما ألقى على بصرى

فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذة فقالت أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

إذا وجدتُ أُوار(٢) الحب فى كبدى　　عمدت نحو سقاء(٣) القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره　　فمن لنار على الأحشاء تتقد

لا والله ما قال هذا رجل صالح قط اهـ وروى المبرد أن رجلاً من الصالحين كان عند ابرهيم بن هشام فأنشد ابرهيمُ قولَ الشاعر

إذْ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ　　وإذْ اجرّ إليكم(٤) سادرَ ارسنى

فقام الرجل فرمى يشق ردائه وأقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع الى موضعه فجلس فقال لهُ ابرهيم ما بك قال إنى كنت سمعت هذا الشعر فاستحسنته فما ليت ألاّ اسمعه إلاّ جررتُ ردائى كما جرّ هذا الرجل رسنه

وأشهر الشعراء المغنين فى العهد الأموى غير من تقدم الآتون :

(١) حنين الحِيرى وهو شاعر نصرانى كان يغنى أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥ هـ)

(٢) سعيد الدارى التيمي وهو شاعر ظريف من أهل مكة كان يغنى أيام عمر ابن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١)

(٣) عبادل مولى قريش فى الحجاز

(٤) محمد بن الأشعث من قريش وكان كاتباً من فتيان أهل الكوفة ظريفاً ينظم ويغنى . أحب سلامة الزرقاء ونظم فيها

(٥) نُصَيْب مولى عبد العزيز بن مروان واشتهر بالشعر والغناء فى عصر سليمان ابن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ)

(٦) ابن عائشة من موالى المطلب وكان يغنى للوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ

عبد الرحيم محمود

المدرس فى السعيدية الثانوية بالجيزة

---

(٢) الأوار بضم الهمزة الحر أو العطش (٣) السقاء بكسر السين وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما والجمع أسقية وأسقيات وأساق (٤) السادر المتحير وهو أيضاً الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع والرسن الحبل

اقيموا التماثيل للحيوانات

التي تقي الناس وتشفيهم

كيف تصنع الامصلة وانواع اللقاح للوقاية والمناعة

اذا اصبت بالجدري او الدفتيريا او غيرهما من الامراض المعدية او لدغتك افعى زعاف السم فشفاؤك يتوقف على حصان او عجل او خروف او خنزير من خنازير الهند. ذلك ان الاطباء وجدوا ان اجسام هذه الحيوانات وامثالها افضل المعامل الكيماوية لصنع الامصلة المختلفة التي تستعمل في مكافحة الامراض المعدية وقاية وعلاجاً

جاء في الانباء التلغرافية ان وصول مجدور على باخرة انكليزية الى منشستر القى الذعر في نفوس الاهلين لان الانكليز لا يقون انفسهم وقاية تامة من الجدري باستعمال اللقاح المضاد له كما يفعل سكان البلدان التي تنتابها اوبئته مع ان مواطنهم ادورد جنر كان اول من كشف عن طريق التلقيح للوقاية منهُ . وذعرهم في محله لان مرض الجدري يميت من يصاب بهِ واذا لم يمتهُ تركه مشوَّهاً في الغالب . وقد ظلَّ ذكر الجدري زمناً طويلاً مرادفاً للموت لشدة فتكه

اما الآن فبفضل العجول التي سيقت كالاغنام الى المعامل البكتيريولوجية واستعملت في تحضير اللقاح الواقي من الجدري يستطيع كلُّ انسان ان يقي نفسهُ منهُ . فسيطر العلماء والاطباء كذلك عليهِ وزال الذعر الذي كان مقترناً بذكرهِ من قديم الزمان . فقد جاء في الاحصاءات الطبية ان ١٢٥ الفاً من الجنود الفرنسية اصيبت في اثناء حرب السبعين بهذا المرض مات منهم خمسهم اي ٢٥ الفاً . ولكن الحرب الكبرى التي دامت اربع سنوات ونيف واشترك فيها ملايين من ابناء فرنسا لم تحدث فيها سوى ١٢ اصابة في الجيش الفرنسي واحدةٌ منها فقط انتهت بموت صاحبها

اما العجول التي تستعمل لتحضير اللقاح الواقي من الجدري فتنال من العناية الطبية ما ينالهُ طفل نحيف البنية . تطعم العجول لبناً نقيّا من الشوائب وتحفظ في مبانٍ نظيفة حيث تقف على حصر معقمة ويضرب عليها الحجر الصحي حتى يثبت للاطباء انها سليمة من كل مرض قبلما تستخدم في تحضير اللقاح . ثم يجزُّ شعرها وتغسل بمادة قلوية يفرك

بها جلدها حتى تنظف ثم تؤخذ الى المعمل البكتيرلوجي حيث يحلق شعر بطنها في غرفة خاصة بذلك بادوات معقمة ومنها تنقل الى غرفة العمليات حيث توضع على مائدة خاصة ويعقَّم المكان الذي حلق الشعر عنهُ ثم تلقح بمكروبات الجدري مراراً

بعد ذلك تنقل الى غرفة خاصة حيث تنال من العناية الطبية ما ينالهُ المريض في احدث المستشفيات ومتى انقضى على تلقيحها خمسة ايام الى سبعة ايام تكون البثرات التي تنمو على بطنها حيث تلقح بالمكروب قد كبرت وامتلأت قيحاً فتكشط ويمزج قيحها المحتوي على سموم المرض بالغلسرين وهذا هو اللقاح الذي يستعمل في تلقيح الناس . على انهُ قبلما يوضع في الانابيب الزجاجية المعقمة يجب امتحانهُ لتثبت نقاوتهُ او عدم امتزاجهِ بمكروبات معدية فتحقن خنازير الهند بمقادير منهُ تفوق المقدار المستعمل في الانسان عشرين ضعفاً ومتى ثبتت نقاوتهُ يوضع في الانابيب الزجاجية ويباع للاطباء في كل انحاء العالم

ولصنع المصل المضاد للدفثيريا (انتيتكسين) في اجسام الخيل. تؤخذ مكروبات الدفثيريا (وهي من نوع الباشلس) وتزدرع ثم ترشَّح بشمعة باستور تشمبرلين وبعد ترشيحها يحقن سمُّها في اجسام الخيل جرعات متزايدة المقدار . فتحقن جرعة صغيرة اولاً ثم تزيد رويداً رويداً في اوقات معينة ، مدةً تتراوح بين ثمانية اسابيع وعشرين اسبوعاً . وليست كل الخيل متساوية في مقدرتها على توليد الاجسام المضادة لسم الدفثيريا فبعضها لا يولدهُ مطلقاً وبعضها يولدهُ سنوات متتابعة والبعض الآخر بين بين

ولما كان ثمن الخيل طائلاً وحقنها بسموم الدفثيريا قد يميتها توصل العلماء الى طريقة تضعف فعل المكروبات السامّ من غير ان تضعف مقدرتها على انتاج الاجسام المضادة لها في اجسام الخيل وذلك بصبّ قليل من الفورمالين عليها (راجع مقتطف يناير الماضي ص٨٠)

وبعدما تقوى المناعة ضد سموم الدفثيريا في اجسام الخيل يؤخذ الحصان الى غرفة تعرف بغرفة الفصد حيث يفصد ويؤخذ منهُ نحو ١٨ لتراً من الدم من حبل الوريد . ثم يترك هذا الدم في اناء معقم محكم حتى يجلط وترسب الكريات في قعرهِ فيؤخذ المصل ويركَّز ويعرف حينئذٍ بالغلوبيولين وبعد ذلك يرشَّح ويمتحن حتى تثبت نقاوتهُ ثم يمتحن لتعرف قوتهُ ويوضع في انابيب زجاجية ويباع

اما تجارب باستور في اعداد مصلٍ مضادٍ للكلب فمن اشهر المباحث العلمية في هذا الباب وقد قال فيها الاستاذ هكسلي « ان مكتشفات باستور تساوي المليارات الخمسة التي اعطتها دولة فرنسا لدولة المانيا غرامة » ونحن نقول انها تفوق كلَّ اموال الدنيا لان حياة الناس لا تقاس بالجنيهات

لما بدأ باستور مباحثهُ في الكلب استنتج استنتاجاً فقط ان المكروب مسبب المرض يوجد في الجهاز العصبي واثبت ذلك بالامتحان اذ اخذ مقداراً من سائل العمود الفقاري من كلب كلِبٍ وحقن بهِ كلباً سليماً فظهرت عليهِ اعراض الكلَب . ثم خطا خطوة الى الامام اذ حاول ان يضعف مكروب المرض ليستعملهُ للوقاية من الاصابة بالكلب . ففاز بذلك بعد تجارب وامتحانات استغرقت وقتاً طويلاً وجهداً عظيماً ولما حقن كلباً سليماً بالمكروبات بعد اضعافها حدثت في الكلب المحقون مناعة ضدَّ الكلب . ثم خطا خطوة الى الامام اذ سأل نفسهُ : هل تفيد المكروبات الضعيفة في شفاء كلب عضهُ كلب كلِب ? فاذا تمَّ لهُ ذلك تمكن من شفاءِ الناس الذين تعضهم كلاب كلبة . ذلك ان مدة الحضانة في مرض الكلب طويلة لا تقلُّ عن ثلاثة اسابيع فاذا تمكَّن الطبيب من ايجاد لقاحٍ يستعملهُ بعيد ما تدخل مكروبات المرض الى الجسم اي قبلما يستفحل امر الداءِ تمكن من منع المرض قبلما يتغلب على المصاب . وهنا ايضاً ثبت ان براعتهُ في التحليل والتجربة تسيطر على الامراض . فاخذ طائفتين من الكلاب وحقن الطائفة الاولى بمكروبات الكلب بعد اضعاف فعلها والطائفة الاخرى لم يحقنها . ثم جعل كلاباً كلبة تعضُّ هاتين الطائفتين من الكلاب . فنجت الاولى من الكلب واصيبت بهِ الثانية

ولكن من يجرؤ ان يجرّب ذلك في الناس ? على ان باستور كان راسخ اليقين في صحة رأيهِ فجرّب ونجح في تجربتهِ

ومما يحسن ذكرهُ في هذا الصدد ان ريد الطبيب الاميركي الذي انتدب في لجنة من الاطباءِ الاميركيين لدرس الحمى الصفراءِ اراد ان يثبت ان بعوض الستيغوميا هو الذي ينقل مكروبها فجعل هذا البعوض يلسعهُ فاصيب بالحمى الصفراءِ ومات بها . ولكن موتهُ كان انتصاراً للعلم اذ تمكن العلماء بعد ذلك من ابتكار الطرق لمكافحة هذا البعوض واستئصالهِ . كذلك لما اكتشف الدكتور دك وزوجته مصلاً شافياً من الحمى القرمزية تقدم لهم متبرعون كثيرون لتجربتهِ بهم

وقد توسع الاطباءُ حديثاً في مكافحة الكلب فاخذوا يحقنون الكلاب نفسها بالمصل الواقي منهُ . ذلك ان جماعة من الانكليز في الهند ضاقوا ذرعاً بكلاب تدخل المنطقة التي هم فيها فلا يستطاع حصرها واجراء القانون عليها فاخذوا يحقنون كلَّ كلب لا يُعرف صاحبهُ بالمصل الواقي من الكلب لوقاية الناس بوقاية الكلاب اولاً . ثم استعملت الطريقة نفسها لمكافحة وباءِ الكلب الذي فشا في طوكيو عاصمة اليابان . والظاهر ان حقن الكلب نفسه اشدُّ ألماً من حقن الناس

على ان ادعى الاعمال البكتيريولوجية الحديثة الى الاعجاب هو ابتداع طريقة لصنع مصل يقي من سموم الافاعي والعقارب وكذلك استطاع الانسان ان يفوز في النزاع بينهُ وبينها . وقد اخذت المصانع الطبية الآن تصنع مصلاً يدعى انتيفنين يرجع الفخر في اكتشافهِ الى الدكتور كالمت الفرنسي يقي من لدغ الافاعي في اميركا الشمالية وغيرها كالافعى ذات الاجراس والافعى ذات الرأس النحاسي وهو يباع في انابيب يستطيع الصياد او الرحالة او الفلاح او اي شخص آخر معرض للدغ الافعى ان يحملهُ في جيبهِ ويجب ان يستعمل حالاً بعد حصول اللدغ او على الاكثر في اثناء ١٢ ساعة الى ٢٤ ساعة بعد حصولهِ ويبقى فعالاً مدة خمس سنوات بعد تحضيرهِ

ومما يؤخذ على هذه الطريقة ان نوعاً واحداً من المصل لا يستطيع ان يقي من كل انواع السموم التي تفرزها الافاعي السامة . فالرجل الذي يتعرّض للدغ الافاعي يجب ان يحمل في جرابهِ انواعاً مختلفة من الامصلة الواقية من سمومها وعليهِ ان يجمع حواسهُ حين يلدَغ ليعرف نوع الافعى التي لدغتهُ ويستعمل المصل الخاص الذي يقي من سمها . فهل وفّق الباحثون الى صنع مصل عامٍ واقٍ من جميع انواع السموم التي تفرزها الافاعي ؟ هذا ما يجب ولكننا لم نقرأ بعدُ انهم فازوا بذلك

يؤخذ السم من افعى الموكاسين او ذوات الاجراس بجعلها تعضُّ بانيابها على اناء زجاجي مستطيل تحيط بهِ مادة غروية فيستقطر من كل افعى من ٣٠ قطرة من السم الى ٤٠ قطرة . او يقبض على الافعى وتدلك فوق الغدد التي تحتوي على سمها فيتقطر من نابيها . ثم يحقن هذا السم في حصان حقناً متزايدة المقدار مدة ١٦ شهراً في الغالب وبعدما تنقضي بضعة ايام على الحقنة الاخيرة يفصد الحصان اولاً ثم يعاد فصدهُ ثلاثة اشهر بعد ذلك ويحضر المصل الواقي من السم كما يحضر انتيتوكسين الدفثيريا

هذه اربعة امثلة تبين لنا الخدمات الجليلة التي تقوم بها الحيوانات لوقاية الناس من شرّ الامراض . ولكن الامراض التي دانت لهذا النوع من العلاج كثيرة اشهرها حمى التيفوئيد والكزاز (التتانوس) والطاعون والكوليرا والبثرة الخبيثة وحمى النفاس والحمى القرمزية ولا بدَّ ان تتبعها امراض الحيوانات نفسها كالطاعون البقري وكوليرا الخنازير وغيرها والامل وطيد انهُ لا ينقضي زمن طويل قبلما يسيطر الانسان على كل الامراض بهذه الطريقة او بطريقة اخرى فعّالة مثلها . فاذا حلَّ هذا اليوم وجب ان نقيم في مدننا تماثيل تنطق بفضل هذه الحيوانات الوديعة الصبورة التي تسير الى الموت في سكينة واستسلام لتخلص بني الانسان من اهوالهِ

العوامل الجغرافية في عمران الشرق

صناعة الغرب وصناعة الشرق

٢

تستند نهضة اوربة على وفرة مناجم الفحم الحجري في بلادها . فهو مذيب الحديد ، ومولد البخار الذي نفخ روح الجدّ والحركة المطردة في صناعتها وتجارتها . رفع البخارُ بقوته هذه الصناعة عن ذراع الانسان واكثر بسرعة جولانه كمية المصنوعات فأرخص ثمنها . وقضى كذلك على صناعة الشرق التي ما برحت تعتمد على ساعد الانسان الضعيف ، وتذعن لحكم البطء والأناة . وقد رقّق البخارُ صفائح الحديد العظيمة ، لبناء القطر والبواخر الجسيمة وسيّرها بسرعة الطير على ظهر الارض وفي جوفها ، وعلى وجه المياه وفي لجتها ، فقرّب اطراف البلاد النائية . واحدث انقلاباً جديداً في عالم التجارة لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ. فقواعد الصناعة والتجارة الحديثتين، ليست بالامر الذي يسهل فهمهُ على الشرقي المحتفظ بعادته. لاسيما وقد قطع منذ برهة طويلة كل علاقة لهُ باوربة. ولم يتتبع اخبار تطورها ، ولم يطلع على الاسباب الاجتماعية التي طورتها هـذا التطور . وهب ان الممالك المغولية ، وآخرها الحكومة العثمانية التي ترأست جسم الشرق الأشلّ منذ اربعة اعصر ، جددت افكاره ، وغيرت عقيدتهُ في اصول الصناعة والتجارة ، اتراها تجد من الفحم الحجري والحديد ما يجعل من الشرق بلاداً كانكلترا وبلجيكا والمانيا وفرنسا الشمالية. هنا نجد ايضاً كيف ان العوامل الطبيعية والجغرافية التي جعلت من الشرق بلاداً زراعية فقيرة بمناجمها ، تجعلهُ متأخراً في هذا المضمار . فمن الوهم بعد هذا ان نظن أن الترك كانوا سبب تأخرنا الوحيد . فهم كغيرهم من الامم الشرقية التي كثرت آثارهم المدنية في العصور الخالية قبل التاريخ وبعد التاريخ . فقد كان عهد السلاجقة في العراق وفارس والاناضول عهد امن ورخاء ازدهرت فيه الحضارة الشرقية خاصة في فارس والاناضول. ولم يقم قائم العمارة ، ولم تتقدم الصناعة والشعر والموسيقى في انحاء الهند ، ولم تستتبّ وحدتها الا في عهد المغول . وكذلك حدث عن آثارهم في الصين وانما اكبر ملامة نوجهها الى الترك هي ضنّهم بالحرية او بشيء من الاستقلال الاداري ، على البلاد التي كانت في

حوزتهم ، حين اصبحوا عاجزين عن تدبير شؤونها ، وسوقها برمتها نحو التجدد والفلاح

بلاد قامت حضارتها على اساس الزراعة، وقد انضب الفقر والجهل في نفوس اهلها معين التفكر والابتكار ، يتعللون بذكرى عصور زاهرة ، وسؤدد دعامتهُ الرمح والسيف، وعماله القوافل البطيئة والمراكب الشراعية ، يستحيل عليها ان تنفض عنها غبار البلى نفضة واحدة ، وتعتنق اساليب الرقي الحديث ، وتفهم ما لقوة البخار والحديد والمال المتراكم في ايدي الشركات ، من الاثر في تطور الحياة

انتبه سلاطين بني عثمان سادة الشرق منذ اربعة عصور، الى رقي اوربة واحسوا بتفوقها عليهم في ساحات الوغى قبل كل شيء ، فقاموا يلتمسون التجدد من بعض وجوههِ ساهين عن وجوههِ الاخرى . لم يفكروا بتغيير اساليب الزراعة والصناعة ، وتعبيد الطرق ووصل اطراف البلاد بعضها ببعض ، واصلاح انظمة الحكم والادارة البالية : ولكن حاولوا اصلاح جيشهم واسطولهم حرصاً منهم على حفظ ملكهم الواسع فلم يجدهم ذلك فتيلا . فان البلاد كانت مهملة ، وامتيازات اوربة التجارية والاقتصادية كانت تبتزُّ البقية الباقية من ثروتها ، وتعمل على قتل الصناعة القديمة ، لتجد مخرجاً جديداً لصناعتها في اطراف هذا الملك الكبير

كانت تقضي الحكمة في مثل هذا الوقت العصيب ان تتنازل الدولة العثمانية لكل بلد من البلاد النائية التي لا يتكلم سكانها التركية ، عن حق الادارة الداخلية ، في ظل سيادتها العسكرية والخارجية ، كي يلتفت كل بلد الى ادارة مصالحهِ وتدبير شؤونهِ . فيسن لنفسه سنة تلائم حاجاتهِ واستعداد اهليهِ وتوصلهُ باقرب وقت الى مستوى البلاد الراقية . غير ان هذا التسامح الذي لا نجدهُ عند امة من الامم المتمسكة بتقاليدها كان يعرب ايضاً عن اذهان بني عثمان . دع اللامركزية جانباً فانهم ما زالوا يقتنصون شبان هذه البلاد وايديها العاملة ، ليسوقوهم الى الموت في ميادين الحرب التي كان نصيبها الفشل منذ عصرين. فحصول هذه البلاد على ما تطمح من الاستقلال الاداري ، كان يحتاج الى ثورة يمتنع على الدولة العثمانية قمعها. فظهرت باوقات مختلفة ثورات ترمي الى هذا الغرض في الالبان ، وكردستان، واليمن ، والحجاز ، ولكنها باتت عقيمة ، ولم تأت بفائدة من الفوائد الا ثورة مصر على يد محمد علي باشا الكبير

كان محمد علي باشا الكبير ، ينبوع العزم والذكاء الذي تحتاج اليهِ بلادٌ تسرب الى اعضائها الوهنُ ودنت من الهلاك . فقد ادرك بذكائهِ ودرايتهِ ، كما ادرك قبلهُ باني الاسكندرية وبطليموس واحمدُ بن طولون والاخشيد والقاهر الفاطمي ما لمكانة مصر

الجغرافية من المقام الخطير . وتحقق بعد ان درسها عن كثب ، انها من البلاد التي قضت الطبيعة عليها بان تكون مركزاً من مراكز الحركة الصناعية والعلمية والتجارية،ورأساً مدبراً تنقاد لحكمه سائر البلاد المجاورة . نخط خطة حزم جليلة ترمي الى احياء مصر والشرق العربي معاً ، فتأهب لتحقيقها بما اوتي من عقل وسياسة ودهاء

وجد في مصر من الثروة ما يسهل تنميتها ، ومن الرجال،ما يقوم بأود مشروعه العظيم . فعبأ الجيوش المصرية على النمط الحديث ، وقوّى اسطولهُ دون ان يهمل الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم.فكان يرسل الى اوربة التلاميذ ويجلب منها الاساتذة للجامعات، والاطباء للمستشفيات ، والمهندسين لبناء السدود ومصانع المواد والادوات الحربية فخطت مصر في عهده خطوة كبيرة نحو التجدد . واماطت عن وجهها اللثام الذي حجب عن عينيها النور مدة طويلة من الزمان

نبّهت نهضة مصر نظر المستعمرين، لاسيما الانكليز فلما رأوا انتصار محمدعلي باشا على الحكومة العثمانية ، وتقدم جيوشه بقيادة ولده ابراهيم باشا في الشام والاناضول ، جزعوا وجاءوا الى الباب العالي يعدون لهُ يد المعونة ضد كبير مصر ، فحاربوهُ براً وبحراً واحرقوا اسطولهُ واجبروهُ على الرجوع الى مصر ، مكتفياً ببعض الامتيازات الادارية والسياسية

خشيت اوربة التي تنتظر ، بفارغ الصبر ، اليوم الذي تتفق فيه دولها على تقسيم السلطنة العثمانية ،تلك اللقمة السائغة ، أن تقوم للشرق قائمة على يد محمد علي باشا الكبير . لاسيما في اهم البلاد التي يحرقون عليها اضراسهم طمعاً بغناها ، ونظراً الى وقوعها على الطريق المؤدية الى الهند واسواق الصين ، محشر الملايين من الباعة والمشترين

على انهم وان ردّوا محمداً عليًّا الى عرينه ، وضيقوا منطقة مساعيه لم يأمنوا ان تنهض مصر بسرعة توصلها الى درجة من القوة والمناعة ، تكونان عقبة كاداء في طريقهم الى آسية . فتداخلوا في شؤونها واتخذ الانكليز من فتح قناة السويس وسيلة تخولهم حق البقاء في اراضي النيل

حرّك طمع الانكليز واستئثارهم بموارد الثروة في العالم حسد الالمان . فاتجهوا هم ايضاً وجهة آسية ، وقاموا ينشدون اليها طريقاً جديدة ، يتصرفون بها تصرف الانكليز بقناة السويس . ففكروا بانشاء الخط الحديدي الذي يصل اوربة الوسطى ، عن طريق القسطنطينية ، بالبصرة وفرعٌ يمتد منهُ الى اسكندرونة فيصل البحر المتوسط بالخليج

الفارسي . لم تكن غاية الالمان من انشاء هذا الخط موقوفة على مناوءة قناة السويس فحسب . ولكنهم رأوا في العراق بلاداً لا تقل ثروة عن مصر والهند ، اذا عمّرت السدود الاشورية والكلدانية ، واصلحت الاقنية والخزانات . فهنا بلاد غنية على مقربة منهم بالنسبة الى الكرون ، تكفي ما يحتاجون اليه من المواد الابتدائية الضرورية لصناعتهم لاسيما القطن والبترول والصوف إذا بذلت بعض الهمة لاصلاح قطعان بادية الشام والجزيرة وجبال كردستان . لم تخف نيات الالمان على جيرانهم الانكليز . فكأنهم انتظروا فرصة الحرب العظمى ليبتدروا الى احتلال سورية والعراق . فيدرأون بذلك خطر كل مراقبة تهدد قناة السويس ، ويضمون الى ممتلكاتهم قطراً جديداً من اغنى الاقطار . هذه كانت خطة الامم الشرقية الكبرى التي حكمت في هذه البلاد ايضاً . فقد كان لطريق البحر الاحمر شأن في التجارة القديمة لا يقل عنهُ شأن خليج البصرة ووادي الفرات ، ولا تسلم طريق من مراقبة الاخرى الاَّ اذا كانت البلاد الثلاثة (مصر وسورية والعراق) في حوزة امة واحدة . ولذلك كانت مصلحة مصر تقضي ببسط نفوذها على سورية والعراق . وكانت مصلحة آشور وبابل حين تخلصا من حكم الفراعنة تقضي بنشر سيادتهما على سورية ومصر

جل ما يهمنا من هذا البحث ان العوامل الجغرافية التي كانت سبب تقدم الشرق وتأخره قديماً لا تزال عاملة الى يومنا هذا . فلو لم يستول الانكليز على العراق وجانب من الشام لكان هذان البلدان يشكوان اليوم من جور الالمان . لان طرائق الاستثمار ، ووسائل الضغط والارهاق ، سواء لدى جميع هؤلاء الخلق . فأيّما كان منهم فهو اشدُّ وطأة علينا واعظمُ خطراً على مستقبلنا من شراذم البدو الذين يسوقهم الينا البؤس والمجاعةُ ، ويكتفون بالنزر القليل من السرقة والنهب ، في ايام الفوضى والضعف . واما هؤلاء ، فيحملهم الجشع والجبن على تجريدنا من كل سلاح مادي وادبي . يودون لو يجعلون منا بهائم تنقاد باشارتهم وترضى بما يرضونهُ لها من الجهل والمذلة والفقر . يكرمون الدنيء الخائن ، ويحاولون قتل مواهب النفس الشريفة ، ويخنقون كل صوت ينادي بالحق ، ويتهكمون بعاداتنا وتقاليدنا مهما كرمت ، طمساً لكل عنعنة تستند اليها قواعد القومية والحرية والمروءة . هذه سيرتهم في جميع البلاد التي تعنو لحكمهم مع بعض التفاوت . لا تقطعُ انواعُ هذه الفجائع امل الشرقيين بالنجاة . فسينجو الشرقيون يوماً ولا بد من ذلك . وتكون نجاتهم معجزةً لانهم يحاربون في دمهم وفي اخلاقهم

باريس نافذ غنام

باب الزراعة والاقتصاد

منافسة القطن الصناعي للقطن الطبيعي

ماذا نحن فاعلون

أوردنا في مقتطف مارس الماضي في سياق الكلام على الكيمياء الصناعية نبذة بشأن القطن الصناعي حيث قلنا ما يأتي : « ومن غريب ما روي أن عصفوراً غريباً قد علم الصناع الانكليز في غويانا البريطانية كيفية الحصول على مادة تستعمل بدل القطن وذلك من نبات عديم النفع إذ كانوا يرون الطائر وهو يبني عشهُ بمواد أشبه بالقطن فثبت بالفحص أن الطائر اخذها من نبات آخر وعالجها طبق المرام . وجاء الباحثون ببذور ذلك النبات وجذورهِ الى انكلترا منذ ثماني سنين فأصبح الآن ما ينتج منهُ يتراوح بين ثلاثة ملايين واربعة ملايين من الارطال من هذا القطن الصناعي الذي يزرع في ولايتي اسكس وصسكس وهما الولايتان اللتان لم تصلح فيهما زراعة الخضراوات على الاطلاق . ولم يكتف ولاة الامور بالانتفاع بأراضي تينك الولايتين على ذلك الاسلوب بل يقال ان القطن الصناعي الذي يستغَلُّ منهما جيد كالقطن الطبيعي وأرخص منهُ ١٦ مليماً في كل رطل انكليزي»

وقد نشرت مجلة الميكانيكا العامة المقال الآتي ففضلنا ترجمتهُ ليقف منهُ قراؤنا على مبلغ اهتمام الانكليز بالقطن ويتبينوا المدى الذي وصل اليهِ ذلك المحصول الجديد :

ثبت ان النبات المنافس للقطن وهو الذي عثر الباحثون على اليافهِ عرضاً في أحد أوكار الطيور التي تعيش في أمريكا الوسطى قد استثمر في انكلترا بغير جلبةٍ وبلغ من نجاحهِ أن المهتمين بأمرهِ لم يسمهم الا الاعراب عما يخالجهم من حسن نتائجهِ فأزمعوا أن يزرعوا منهُ في العامين القادمين مساحة تكفي لانتاج ما يسد ١٥ ٪ مما يستنفذهُ العالم من الاقمشة القطنية ومنتجات القطن الطبعي

كان الدكتور ت . ج . هدلي ثورنطون الخبير اللندني المتخصص في آفات القطن ولاسيما دودة اللوز هو وفريق من صحبهِ العلماءِ يجوسون خلال غويانا البريطانية في امريكا الوسطى بغية البحث العلمي فرأوا بوكر طيرٍ خُيِّـل اليهم أن ساكنه قد نسجهُ من القطن الطبيعي نفسه . ولكنهم لم يجدوا في تلك الارجاء القصية أي أثر او مصدر للقطن يتخذ منهُ ذلك الطائر حاجته لبناء عشه فرقبوا الطائر عن كثب فاذا بهِ يستخرج التيلة التي

نسجها وصنع وكره بها من نبات بري ينمو في هاتيك الاصقاع . وقد كشفوا عن تسعة أنواع مختلفة من ذلك النبات فرأوا كلاً منها قريب الشبه من الآخر ولم يوجد بينها الا نبات واحد ذو تيلة تضارع تيلة القطن الطبيعي وهي التي اختارها الطائر لصنع عشه من أليافها

فتناولوا فسائل منها وأخذوها معهم الى انكلترا حيث بذلوا الجهد في غرسها . ومع مضادة الجو لنموها فقد أقبلت التربة الانكليزية بها أيما اقبال واخذ الخبراء في انتقاء الاصلح منها على مر السنين واستنبتوه حتى غدت سوقه يتراوح طولها بين خمس اقدام وسبع اقدام وتنتج تيلته أخفر بكثير منها في النبات البري الاصلي

ومن شأن ذلك النبات أن ينبت ويترعرع حتى في التربة الضعيفة . ومن غريب أمره انهُ ليس غذاءً سائغاً للحشرات فلم تسطُ عليهِ حتى الآن آفة منها

وقد أنتجت الاطيان الواسعة التي غرس فيها ذلك النبات الجديد بولايتي صسكس واسكس مقادير كبيرة منهُ . وبلغ متوسط حاصل الفدان الواحد منها في الحقبة الماضية بـ ٨٠٠ رطل انكليزي يقدر ثمنها بمائة ريال أي عشرين جنيهاً وبلغ من اتقان القماش المنسوج من تيلته أن عرض على الخبيرين فلم يستطيعوا تمييزه من نسيج القطن الطبيعي . الاَّ انهُ لا بدَّ من معالجة تيلته قبل غزلها علاجاً كيماويًّا خاصًّا وما خلا ذلك فطريقة نسجهِ وتحويلهِ الى قماشٍ قطني لا تختلف بتاتاً عن صناعة اقمشة القطن الطبيعي

ومن السهل خلطهُ إما بالحرير الطبيعي وإما بالحرير الصناعي وإما بالصوف لصناعة الانسجة المخلَّطة . ثم يُبيَّض ويطبع ويصبغ بالطرق عينها المتبعة في المنسوجات كافة

ويقال أن هذا القطن الصناعي يفوق القطن الطبيعي في درجة اللمعان بحيث اذا خلطت عشرة في المائة من الحرير الصناعي بتسعين في المائة منهُ صارت الاخلاط قماشاً يفاخر الحرير الطبيعي . ويزعم نساجه أن تشربهُ للاصباغ اسهل جدًّا من تشرُّب القطن الطبيعي لها ولذا لا يقتضى لصبغهِ الاَّ ثلث ما يحتاج اليهِ صبغ منسوجات ذلك القطن . ولا تجنى أليافهُ بالايدي في الحقل بل تستخدم الآلات في حصدهِ ثم ينقل المحصول الى الدواليب في المصانع لتستخلص التيلة من الحطب . ومن طبيعتهِ استحالة إنباتهِ من البذور لانها تستعيد مزاياها البرية فلا تصلح للانبات وانما تؤخذ منهُ الفسائل التي تتولد من الجذور القديمة إذ كل جذر عتيق يخلف ثلاثة أفراخ . وقد يتخلف عن حاصل الفدان الواحد منهُ بعد تقليعهِ جذور حديثة تكفي لغرس ثلاثة افدنة في السنة التالية . وبعد استخراج الالياف من سوقها تصنع اوراق النبات ورقاً صالحاً للكتابة ويحول الحطب الى خشب صناعي للبناء . وقيل ايضاً انهم يستخرجون من الجذور صنفاً جديداً من العقاقير

واهل انكلترا ينظرون الى هذه النتائج الباهرة بكل اهتمام لجملة اسباب . منها : إن هذا النبات الغريب يمكن غرسه في موات الاراضي فيأتي بمحصول جيد يدرُّ عليهم ربحاً عظيماً وان رخصهُ ينعش صناعة غزل القطن التي كابدت كثيراً من الكساد في الاعوام الاخيرة. وهم يقولون انهُ يستحيل بيع القطن الامريكي او المصري لمصانع لنكشير باسعار زهيدة تنافس أسعار ذاك القطن الصناعي .وقد اسفرت التجارب الكيماوية والنسجية ان الاقمشة المنسوجة من القطن الصناعي امتن منها اذا نسجت من القطن الطبيعي وأشد منها مرونة . ومع ان كل ما صنع منهُ للآن هو من الاصناف الثخينة فان الدكتور هدلي تورنطون لا يرى ما يحول دون نسج الرقائق منهُ لمناوءَن أجود أقمشة القطن الطبيعي

هذا وقد شرعت مناسج لنكشير في اعداد المعدات تمهيداً لهذه الغاية متوخية احراز قصب السبق في ميدان نسج هذا القطن . والشركة المحتكرة هذا الضرب من القطن المقلد للقطن الطبيعي تبيع الرطل منهُ باثني عشر سنتاً ونصف سنت اي بخمسة وعشرين مليماً . وقد اهتمت وزارة خارجيتنا المصرية بهذا الاختراع بناء على التقرير الذي قدمهُ اليها حضرة صاحب العزة قنصل دولتنا في ليفربول كما اشارت الى ذلك الصحف المحلية في حينهِ وحبذا الحال لو اهتمت بهِ وزارة زراعتنا وعينت من يدرس الموضوع درساً علمياً توطئة للعناية باستخدام بعض فسائله وتجربة التجارب بهِ في ارضنا الخصبة

اصلاح الارض وتحسينها

هذا موضوع قل عارفوه ووقف ما كتب فيه على ندرته عند مشاهدات قاصرة او تخلف سريعه وقد تبينت اثناء اشتغالي به في براري الدلتا وشمالي الفيوم كثيراً من قواعده العملية فدونتها لنفسي ثم رأيت لما ينتظر من التوسع في احياء الارض الموات وتحسين ما يجاورها عقب اتمام مشروعات الحكومة رياً وصرفاً ان احدث اخواني الزراع بما وقفت عليه فيه راجياً ممن هم ادرى مني به ان يستدركوا ما قد يكون حز علي من الخطأ او فتني من الصواب

اهم وسائل اصلاح الارض

اولاً انشاء المراوي والمصارف لريها وصرفها — ثانياً . تسوية سطحها لاتقان اجراآت فلاحتها — ثالثاً غسل ملوحة تربتها لتحلو لانماء الزروع — رابعاً زراعتها بالزروع المناسبة لتحسينها لتخصب لسائر الزروع — خامساً انشاء المباني اللازمة لادارتها وفلاّحيها

وانشاء المراوي والمصارف يراعى معهُ ان تقسم بها الارض الواسعة الى احواض

وادرع وموارس وان تكوّن من جسورها واتربتها الطرق للمرور عليها وان يوضع في تقاطعها بعضها ببعض وفي افام المراوي ومصبّات المصارف ما يلزم من المواسير والكباري لتعدية المياه وتسهيل المرور

ويسبق تسوية الارض استئصال خرسها واعشابها ان كانت وبابها غسل ملوحتها اما زراعة الزروع فتساير هذا الغسل وتليه . وانشاء المباني بعضهُ يسبق عمليات الاصلاح وبعضهُ يسايرها ويجب ان يكون ما يصلح بقدر ما يمكن تمميره وفلاحته بربح

وتسوية سطح الارض مرتبطة بانشاء المراوي والمصارف فحيث يكون انحدار الارض والتفاوت بين اجزائها قليلاً تكون التسوية بعد الانشاء وحيث يكون العكس تكون التسوية قبله والضابط لذلك ان تصير اجزاء الارض بعد التسوية متقاربة او متماثلة بعضها مع بعض ومع مراويها ومصارفها بدون تفاوت بينها يصعّب ري أحدها او يضر بصرفه وأن تكون انحداراتها مناسبة لتسهيل سيولة ماء الري عليها وجريانه في مراويها ومصارفها

ولذلك يتقدم عمليات الاصلاح ان توزن الارض بعمل ميزانية شبكية تعرف منها ما سبب ارتفاعاتها وانحداراتها ويجب ان يكون المهندس الذي يعمل هذه الميزانية متدرباً ودقيقاً حتى تأتي متقنة محكمة اذ هي الاساس الذي سيبنى عليه تحديد الاجزاء العالية التي يلزم جرّ ترابها الزائد والاجزاء الواطية التي تجرُّ اليها هذه الاتربة ونسبتها بعضها الى بعض وتخطيط مراويها ومصارفها الاولى في الجهات العالية والثانية في الجهات الواطية وكلاهما في الاتجاه الذي ينبغي ان يكون لهُ بالنسبة لانحدارات الارض ومصادر ريها ومسالك صرفها ومقدار ما يمكن وما يلزم ريهُ وصرفهُ بالراحة او بالآلات طبقاً لارتفاعات الارض ونسبتها لمناسب الفيضان والتحاريق في الترع والمصارف

ويبدأ بها مسلسلة الى الاطيان من اقرب روبير من روبيرات مصلحة الري ولكن روبير قنطرة الموازنة بالترعة التي تروى منها الاطيان وان لا تزيد المسافة بين نقطة ونقطة من نقط الميزانية داخل الاطيان عن خمسين سنتيمتراً في الارض ذات الكراريد والانحدارات المختلفة وعن ١٠٠ متر على الاكثر في الارض المبسوطة ذات الانحدارات المتسقة

ووضع خطوط التصميم تصميم المراوي والمصارف على خريطة الميزانية من عمل الزارعي او المهندس الخبير باصول اصلاح الارض وتطبيقاتها العملية في مختلف الظروف بعد معرفة احوال الارض المراد اصلاحها من حيث نوعها ودرجة ملوحتها ورطوبتها والاستعداد الموجود او الممكن لاجراآت الاصلاح وبالجملة سائر الظروف الزراعية العملية وملابساتها

المراوي والمصارف اجالا

اما عمومية او خصوصية فالعمومية ما تنشئهُ الحكومة لمنطقة تشمل جملة بلاد او ملاك او آلافاً من الافدنة وعنها تتفرع الخصوصية وهي ما ينشئهُ فرد او افراد متجاورون في بلدة او حوض قاصراً على ارضهِ او اراضيهم وعنها تتفرع مراوي اجزاء الارض ومصارفها

ولذلك فان اول وسائل اصلاح الارض انشاء مرواها ومصرفها الخاصين بها سواء كانا فرعين لترعةٍ ومصرف عموميين او خصوصيين فاذا كان يفصلها عنهما ارض اخرى لمالك آخر فانهُ يمكن بالاتفاق عرفيًّا او بواسطة مصلحة الري اخذ ما يلزم منها لانشاءهما فاذا كان الاخذ ممكناً من ارضين يختار المروى في اعلاها والمصرف في اوطاها ومن اقرب مسافة ممكنة فيهما لتسهيل الري والصرف وتقليل ما يؤخذ وما عسى ان يكون عنهُ من الضرر الواجب التعويض عنهُ وملاقاته

فاذا كانت الترعة (ومثلها المصرف) الذي ستنتفع منهُ الارض خصوصيًّا يقصر تصرفه على ري الارض المستجدة مع القديمة وجب توسيعه على نفقة صاحبها لزيادة تصرفه بحسبها

فاذا كانت حالة الترعة العمومية لا يمكن معها اجازة ري ارض مستجدة ريًّا صيفيًّا . فيؤخذ اذا امكن فتحة نيلية الى ان يحين وقت امكان اجازة ريها صيفيًّا

وذا كان يمكن انتفاع الارض من ترعتين احداهما اكبر واعلى من الاخرى فتفضَّل الاولى خصوصاً اذا كانت رئيسية او فرعية لا توزيعية لاسيما وان المراوي الخصوصية الآخذة منها تكون محررة من قيود المناوبات النيلية وليست كذلك الآخذة من الترع التوزيعية

والماء لا يركب الارض للري بالراحة الاَّ اذا كان منسوبهُ اعلى منها بـ ٢٥ سنتمتراً ولكن لا يتيسر هذا دواماً خصوصاً في فصل التحاريق ولذلك لا بد من وضع آلة رافعة اصلية اي على مروى الارض الاصلي لريها كلها اثناء شح الماء فاذا كان يوجد بالارض اجزاء لا يركبها الماء في بعض فصول السنة الاخرى او بالاحرى لا تكون اوطى من منسوب فيضان ترعتها بـ ٢٥ سنتمتراً توضع آلة رافعة مساعدة على مرواها الخاص بها لريها خاصة واذا كان ما لا يركبهُ الماء في فصل التحاريق عادة هو بعض الارض توضع آلة رافعة مساعدة خاصة بهِ ايضاً حتى لا تدور الآلة الرافعة الاصلية الاَّ لاكبر مقدار من الارض

واذا لم يكن اوطأ جزء من الارض منخفضاً عن منسوب فيضان مصرفها بـ ٦٠ سنتمتراً على الاقل يصعب صرفها بالراحة واذاً يلزم لها آلة رافعة اصلية لصرفها توضع على مصرفها الاصلي فاذا كان الجزء الاوطى قليلاً ويمكن وضع آلة رافعة مساعدة خاصة بهِ كان ذلك اوفر . ولذلك يجب في مثل هذه الاحوال ان يكيف تخطيط المراوي

والمصارف بحيث تكون مراوي الاجزاء العالية ومصارف الاجزاء الواطية مستقلة او يمكن استقلالها عما يجاورها حتى لا يعطل أحدها الآخر فيحصل الضرر لري العالي وصرف الواطي اذا اهملت الآلات او تزيد الكلفة اذا استعملت لكليهما معاً

وعادة تنشأ مراوي وقنوات خاصة بروافع الماء ليمكن الانتفاع بالمراوي العادية اذا كان ماؤها يركب بالراحة في جزء من الارض اقل علواً بينما تستعمل تلك للجزء الاعلى الذي لا يركبهُ الماء حينئذٍ

سماد نترات الصودا الطبيعي

ومزاحمة الاسمدة الصناعية

على اثر مقالي السابق في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٩ عن سماد نترات الصودا الشيلي الطبيعي نشر المقتطف الاغر مقالاً عن مزاحمة الاسمدة الصناعية للسماد المذكور

واذا كان انتاج نترات الصودا في هذا الموسم بلغ ٣٬٢٢٥٬٠٠٠ طن يقابل ذلك ٢٬٥٠٧٬٠٠٠ طن في العام الماضي فان هذا دليل ظاهر على ان المزاحمة المزعومة لم تؤثر في تجارة النترات الطبيعي

على انهُ مهما يكن من امر الحالة العالمية فان نترات الصودا في مصر لا تزال صاحبة المقام الاول بين الاسمدة الكيماوية

وللدلالة على ذلك ننشر فيما يلي بياناً بواردات مصر من الاسمدة المختلفة طبقاً للاحصاءات الصادرة من مصلحة الجمارك منذ عام ١٩٠٦ الى آخر عام ١٩٢٨ ويلاحظ ان الواردات تحت اسم الاسمدة الازوتية الصناعية تشمل جميع الاصناف على اختلاف انواعها التي اشير اليها في مقال المقتطف في شهر مارس الماضي

وما دامت الارقام لا تكذب فان نترات الصودا الشيلي لا تزال كما كانت اهم الاسمدة الكيماوية جميعاً على اختلاف انواعها فهي تقدر بثلثي الوارد لمصر من الاسمدة سواء في ذلك الازوتية وغيرها . واذا قورنت بالوارد من الاسمدة الازوتية الصناعية وجدنا الوارد من نترات الصودا في عام ١٩٢٨ يعادل اربعة اضعاف جملة الاسمدة الازوتية مجتمعة

ونسبة الزيادة في عام ١٩٢٨ عن التي قبلها بلغت ٣٢ في المائة وهذا يكفي . ويلاحظ ان الاسمدة الواردة الى مصر قبل السنة ١٩٠٦ التي يبدأ بها الجدول كانت كلها من نترات الصودا الشيلي الطبيعي

جلال حسين

الأسمدة الكيماوية المستوردة الى مصر من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩٢٧

(بالطن المتري)

السنة	نترات الصودا الشيلي الطبيعية	الاسمدة الازوتية الصناعية	سوبر فوسفات	اسمدة مختلفة	المجموع
١٩٠٦	—	—	—	—	١٢٧٢٥
١٩٠٧	—	—	—	—	١٣١١٩
١٩٠٨	—	—	—	—	١١٥٢١
١٩٠٩	١٨٥٣٠	٣٥٤	٢٢٥٥	٢٦	٢١١٦٥
١٩١٠	٣٠٥٠٥	١٦٦٠	٣٣١٨	٧٦	٣٥٥٥٩
١٩١١	٤٨٧٧١	١٦٣٩	٩٤٩٧	٥٥	٥٩٩٦٢
١٩١٢	٥٦٠٤٧	٢٣٧٨	١١٤٥٩	٢٠٥	٧٠٠٨٩
١٩١٣	٥٦٤٧٤	١٥٣٢	١٣١٤٨	٥٠٠	٧١٦٥٤
١٩١٤	٥٢٣٢٥	٣٤٠٤	١٥٢٧٨	١٦٠٣	٧٢٦١٠
١٩١٥	٥٣٠٧٦	١٠٤٨	٧٠٥٦	٦٣	٦١٢٤٣
١٩١٦	١٩٣٥٠	٢٨٢١	٣٢٥٠	١١	٢٥٤٣٢
١٩١٧	٣٢٦٦٢	١٦٢٨	٢٥٨٠	٧٠	٣٦٩٤٦
١٩١٨	٢٨٨٨	١٧٣	—	١٠	٣٠٧١
١٩١٩	٥٤٤٦٨	١٢٨٩	١٤٣٥	٥٢٦	٥٧٧١٨
١٩٢٠	٩٨٨٨٩	٣٨٦١	١٧٧٧٢	٣٧٢٤	١٢٠٢٤٦
١٩٢١	٣٥١٥٧	٤٩٢٠	٣٥٧١	١٠٠	٤٣٧٤٧
١٩٢٢	٩٧٣٥٠	١٠٣٨٠	١٠٣٧٨	٩٩	١١٨٢٠٧
١٩٢٣	٧٠٣١٥	٨٨٥٦	٢٢٥١٦	٦٨	١٠١٧٥٥
١٩٢٤	١٢١٨٣٥	١٢٩١١	٤٣١٤٦	١١٩٥	١٧٩٠٨٧
١٩٢٥	١٧٣٧٦٤	٢٥٠٢٦	٥٥٨٠٣	٣٧١٣	٢٥٨٣٠٦
١٩٢٦	١٧٢٨٤٩	٢٩٩٧٠	٣٦٧٩١	٣٤٦٣	٢٤٣٠٧٣
١٩٢٧	١٤٢٢٩٩	٣٧٨٧٧	٤٣٨٣٣	١٤٢١	٢٢٥٤٣٠
١٩٢٨	١٨٨٠٧٧	٤٧٠١٤	٣٩٢٦٦	١٠١٣	٢٧٦٣٧٠
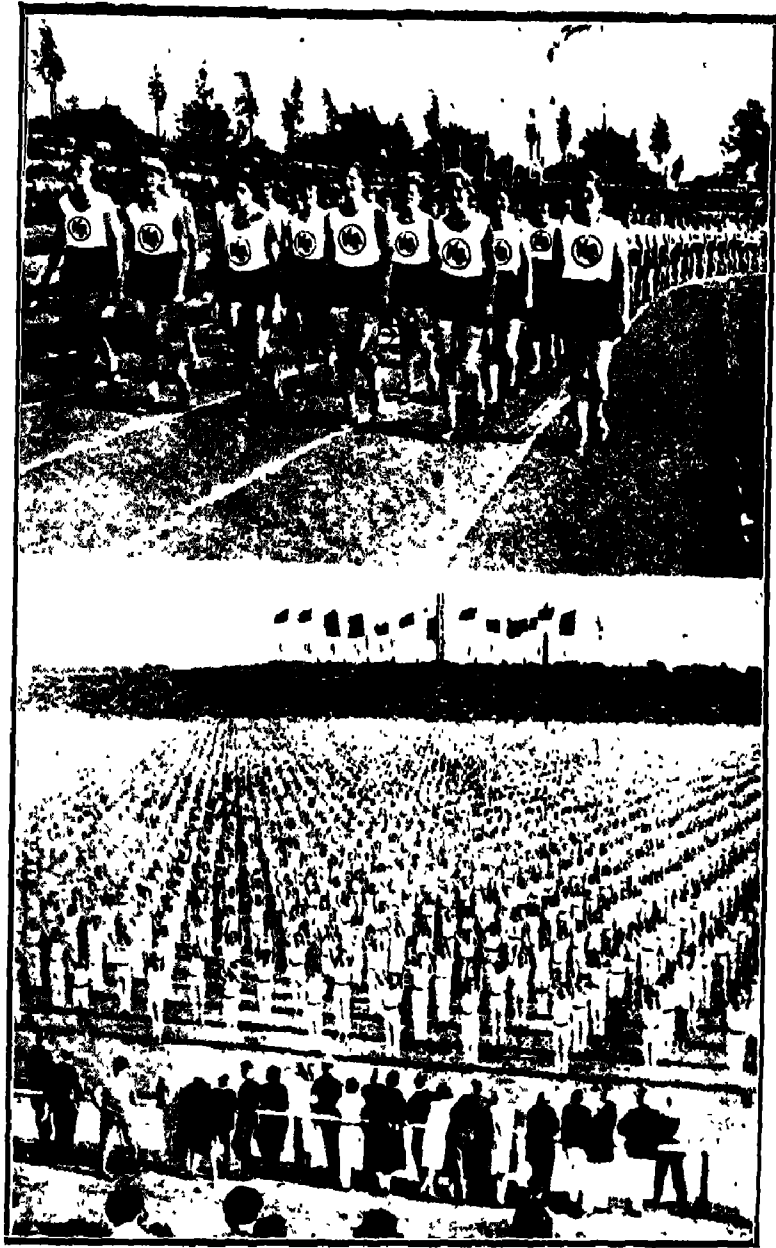
شيوع الرياضة البدنية في المانيا بعد الحرب

مقتطف مايو ١٩٢٩

امام الصفحة ٥٦٩

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التربية الجسمانية الحديثة

وأثرها في مصر

تنقسم التربية الجسمانية الى ثلاثة اقسام : الاول يختص بالام ، والثاني بالمدرسة ، والثالث بالنادي . وكان هذا التقسيم قديماً مهملاً ومحملاً كله على الام واحياناً على الام والمدرسة ، لكنهُ على كل حال كان شائعاً لا تنحصر فيهِ المسئولية في حدود معينة

القارئ ليس بحاجة الى التدليل على ان سلامة الجسم اساس سلامة العقل ما دامت العقول ترضع مما تدرهُ الاجسام من ألبان. كما انهُ ليس بحاجة الى التدليل على ان تربية الجسم جزء لا يتجزأ من تربية العقل ما دام النمو في الاثنين سائراً على نظرية التغذية المعروفة

اذن فتربية العقل لا بد ترتبط في كل اطوار الحياة بتربية الجسم . وان من يتولى الاولى لا بد ان تتوافر فيهِ الثانية ولو على قدر الالمام باصولها

واذن يتحتم على الام،والمدرسة ،والنادي ان يلمّوا جميعاً بالتربيتين العقلية والجسمانية حتى لا تتأثر احداها بالثانية تأثيراً عكسيًّا فيفقد التوازن في الانسان الواحد وهو الخطأ الدائم في التربية . على انني لا احتاج الى الاشارة الى ماهية جسم قوي وعقل ناقص ، ولا الى ماهية عقل راجح في جسم عليل .فكلتاهما تدل على ابدية التفاعل المعكوس.وعندي ان الانسانية لا تفرق عن الوحشية الاّ بارجحية العقل ، وزيادة الاحساس في الاولى

الام وأثرها في التربية الجسمانية

من يقدر دقة مركز الام في التربية الجسمانية ، ومن يستطيع ان يغني عنها فيها مهما بالغ وتفنن ا ان للام المركز السامي والاول في هذا النوع من التربية لانها تتولاهُ بين جنبيها وعلى يديها وصدرها .وهي أنما تعرض لا خطر المخاطر في الطور الاول

تبدأ تربية الأم الجسمانية من يوم ان تشعر بالحمل فتدعم تلك النطفة بنظم معينة تقيد بها نفسها : فلا تتحرك الاَّ لفائدة ، ولا تسكن الاَّ لفائدة . وهي لا تأكل الاَّ ما يغذي النطفة قبل ان يغذيها بقدر ونسب دقيقة . ثم اذا شربت فلا تشرب ما يضر النطفة ،واذا نامت او قامت فنوم وقيام لا يزعج تلك النطفة

وهي لا تفتأ تنتقل بهذه النطفة الى علقة الى عظام وهكذا حتى تنمو جنيناً يلعب .وهي تظل في هذا العذاب مقيدة بتلك النظم الدقيقة تسعة اشهر كاملة ، ثم تخرج منهُ فتلاقي من الم الولادة الى حد ان تتعرض فيهِ للموت

فاذا ما ولدت هذا الجنين فاصبح طفلاً امست إزاء هذا الطفل مقيدة باسلوب آخر لا يقل عن الاول دقة ومسئولية .وهكذا تبقى امام طفلها الطبيب الماهر، والميزان الحساس، والخادم الخاص ، والحارس الامين ، والمربي الوحيد

وانت لا تعرف قيمة الأم وعظم مسئولياتها في التربية الاَّ اذا كنت اباً ، والاَّ اذا كنت عائلاً . ثم انك لا تتصور ما تعانيهِ الام من آلام ومشاق الاَّ اذا كنت في جوار الام ولو يوماً وليلة لترى كيف تقضي يومها ، وكيف تقضي ليلها لا تعرف للحياة لذة غير لذة البنين يرفلون في صحة . ولعلك لا تدرك تلك الابتسامة التي ترتسم على وجه الام حينما تنظر الى طفلها لحظة ان يداعبها او لحظة ان تبدر منهُ ظاهرة السرور.ثم لعلك لا تدرك تلك النظارة الساحرة التي تنظرها الام لطفلها الباكي المتألم. لا تدرك هذه او تلك ما دمت لا تستطيع ان تمسَّ قلب الام لترى ان كل شعاع في نظرها وكل تغير في اسارير وجهها انما يتصل بهذا القلب الحساس

تظل الام في هذا العذاب خمس سنين وتسعة اشهر بين تربية الجسم والعقل لا تستطيع التخلي لحظة عن واجباتها لتهيء للمدرسة طفلاً نامياً ممهد العقل يحتمل التفكير فيما في هذه الدنيا من جد ولهو ، وقد ظل كبار المفكرين الى الآن عاجزين عن رسم خطط حكيمة او وافية وميسورة لهذا الطور من التربية . وظلت الام الى هذه الساعة حقل التجربة وميراث الماضي لا تتزعزع عن مركزها الدقيق

والام في التربية هي البناء في الاساس يترتب على متانة ما تصنع من مواد وما ترسم من خطط مستقبل البناء . وهل اذا خار الاساس يبقى للبناء من اثر ؟

أثر هذا في مصر الآن

انتقل من اجمال وصف مركز الام من التربية الجسمانية الى استطلاع اثر هذا النوع

من التربية في مصر الآن . ومن يستطلع مثل هذا الاثر الدقيق لا بد يحرص كل الحرص على الحقائق بخطوات بطيئة لكنها مؤكدة

هناك في بلاد المدنية الغربية عني الناس كثيراً بام الامهات فخاطوهن بكثرة من العناصر المساعدة لهن على تأدية واجباتهن . وهناك ايضاً قد تضافروا وتعاونوا على اكتشاف هذه العناصر بحيث تمددت وسهل تناولها في كل آن ولكل طبقة من طبقات الشعب . فلم تعد هناك من صعوبة على اي فرد للحصول على عنصر من تلك مهما عظم قدره وكثرت نفقاته او قيمته

ولعلك تريدني ان اشرح لك اهم هذه العناصر لتعرف ان المدنية الحديثة لم تترك دقيقة او صعوبة الا بحثتها وذللتها لتضمن سعادة المجتمع وهل بعد معونة الام من سعادة وهناء

اما العنصر الاول فهو غذاء الفتاة بمادة علمية تعدها للتفكير والادراك . وهذه المادة تتفرع منها ابواب كثيرة كالتربية المنزلية ، وتربية الطفل ، وعلاقة الام بالعائلة ومركزها فيها

واما العنصر الثاني فهو غذاء الفتاة بمادة عملية تعدُّ فيها جسماً نامياً سامياً يصلح ان يكون مرعى خصباً لعقل مفكر كبير ، ثم تعد جسمها لام نشطة عاملة . وهذا العنصر هو بيت القصيد من التربية الجسمانية

واما العنصر الثالث فهو مد الام بما يعينها على تربية اطفالها من الارشادات والنصائح ومختلف التراكيب الصحيحة لمواد التغذية . ومدها بالخدمة التي تعينها على تأدية واجباتها وهي حامل وهي تلد وهي تربي بانشاء الجمعيات الطبية والخيرية وما الى هذه من عوامل تعين وتساعد . هذا قليل من كثير من العناصر التي تعدها المدنية الحديثة للام . وقد اتت فعلاً بالفوائد المنشودة مع انها ما تزال تنمو وتتزايد الى درجة الكمال

وهناك في تلك البلاد تتولى المدرسة وتتولى الاندية تربية الفتاة وتربية الامهات جسمانيًّا تربية صحيحة تسهل لها سبل الحياة بنجاح حتى تسعد العائلة وتهنأ . فهل اثر هذا ظاهر في مصر اليوم ؟

نعم اجد لهذا اثراً في مصر الآن وان كان لا يذكر بجانب ما هنالك . وما دام الاثر موجوداً فضآلتهُ لا بد ان تنمو مع مرور الزمن رويداً رويداً فتصبح يوماً في مرتبة عالية من الكمال

اجد الحكومة ساهرة على رعاية الامهات في مدارسها وفي مصاحها وفي مستشفياتها . واجدها ساهرة ايضاً على رعاية الاطفال من ناحية اخرى في مدارسها بانشاء بساتين

الاطفال على احدث اساليب التربية ، وفي مستشفياتها بانشاء العيادات الطبية لعلاج الاطفال وارشاد الامهات الى كيفية تربية الاطفال

واجد الامة لا تسكت يوماً عن مناصرة الحكومة في نهضتها بانشاء ومناصرة الجمعيات الخيرية التي تؤسس لمساعدة الامهات ورعاية الطفل

واجد كذلك الامهات المصريات مقبلات على تعرف ادق اساليب تربية الاطفال بالاقبال على سماع المحاضرات وتقبُّل الارشادات والعمل على الاستفادة من العيادات وغير ذلك

ثم اني اجد بجانب هـذا وذاك ما يفرح ويبشر بمستقبل زاهر للتربية الجسمانية ان الأم قد بدأت في مصر تستهجن ماكان يحلو لها من قبل وهو « سمن الجسم » فعملت على تربية اجسامهن بحيث يصبحن ذوات نحف صحيّ مصقول يقوى على الحركة ويحتمل مشقة الحركة بكثير من اللذة

ولست أنسى ان اذكر ان تلك البادرة التي بدرت من ناحية امهاتنا وهي تأسيس اندية نسوية انما تدل على طموح امهاتنا المصريات الى ادراك الكمال يوماً ما

الاّ اني مع كل هذا ما زلت ارى نقصاً وخمولاً من ناحية الآباء في تأدية ما عليهم نحو الامهات والفتيات فيما يختص بالتربية الجسمانية . لان مراكز الآباء متصلة بواجبات الامهات اتصالاً مباشراً ثم انهُ يؤثر في واجبات الامهات تأثيراً دقيقاً

ورث الآباء الحاضرون من الماضي ما يعرف القارىء منهُ اكثر مني: ورثوا عادة حرمان الفتاة من التربية المدرسية ، وورثوا عادة حرمان الفتاة من استطلاع الحياة السعيدة ، وورثوا عادة حرمان الفتاة من التربية الجسمانية ، وورثوا عادة تزويج الفتاة ممن لا تحب ولا تهوى، وورثوا عادة حرمان الزوجة من حرية الحياة في حدود الامومة ، واخيراً ورثوا حرمان الزوجة من التربية الجسمانية

هذا ما ورثوه وكلهُ آفات التربية الحديثة وما دامت توجد في العقائد فهي تسممها وتفسد عليها كل فائدة ترجوها . وبقدر تجمعها في مخيلة الآباء بقدر ضررها على المجتمع. وكما يجب ان نهذب الام ونعدها لتربية الاجسام والعقول يجب ان نحارب في الآباء تلك العقائد الفاسدة حتى لا يحدث تنافر بين الامهات والآباء اذا ما اجتمعوا على رأس العائلة

اذن في مصر اليوم حركة نسوية ترمي بصدق الى ايجاد امهات صالحات جسمانيًّا لكنها ناقصة من ناحية الآباء ولا بد من مدها اولاً بطاردة ما في عقائد الرجال من فاسد العادات

[لها بقية] ابرهيم علام

حديث صحي : العناية بالعين

﴿ ضعف البصر ﴾ ان ضعف البصر اكثر انتشاراً الآن مما كان عليه في القرن الماضي وما قبلهُ وما قبله . وسبب ذلك التغيّر في احوال المعيشة وكثرة الاقبال على المطالعة والخياطة والعناية بالاعمال الدقيقة التي تحتاج الى اجهاد العينين لاتمامها . العين السليمة ترى الاجسام على مسافة معينة من غير تعب او اجهاد ولكنها يجب ان تجهد حتى ترى اجساماً دقيقة تكاد لا ترى لدقتها ولذلك تقرّب هذه الاجسام من العين قرباً غير طبيعي، فيحصل تغيير في عضلات العين يؤدي الى توسيع الحدقة وتحديب العدسية وتبقى كذلك ما زال الانسان مكبّاً على العمل الدقيق الذي بين يديهِ . فاخراج العين عن حالتها الطبيعية زمناً طويلاً يجهد عضلات العين فينشأ عن ذلك ضعف البصر على اختلاف انواعهِ

﴿ دلائل ضعف البصر ﴾ ما يصيب العين من ضعف البصر لا يصلح من ذاتهِ بل في الغالب يزداد رويداً رويداً ولذلك يجب استشارة طبيب مختصّ بامراض العين حالما تدلُّ الدلائل على ان البصر آخذ في الاختلال . واشهر هذه الدلائل عدم تميّز المرئيات وسرعة التعب من المطالعة والدرس وتكرُّر الصداع وظهور اعراض تدلُّ على ضعف الاعصاب

﴿ النظر البعيد ﴾ كلما تقدم الناس في العمر قلّت مقدرة العضلات في عيونهم على التكيف حسب مقتضى الاحوال ويصاب اكثرهم بما يعرف ببعد النظر اي انهم لا يستطيعون ان يروا الاجسام القريبة منهم مع انهم يرون الاجسام البعيدة واضحة. وسبب ذلك ان عدسية العين قلّ تحدّبها وكثر تسطحها فاذا وضع جسم قريباً من العين اجتمعت الاشعة المنعكسة عنها وراء الشبكية لقلة تحدب العدسية فيرى الجسم مبهماً فاذا بعد الجسم عن العين صارت الاشعة التي تنعكس عنهُ تجتمع على الشبكية فيرى واضحاً . ولذلك توصف النظارات المحدبة للمتقدمين في السن يستعملونها حين المطالعة لانها تقرّب اشعة النور قبل وصولها الى العدسية فاذا اخترقتها اجتمعت على الشبكية ورؤيت حروف الكتابة واضحة .

﴿ قصر النظر ﴾ اما الاحداث من فتيان وفتيات فيصابون عادة بقصر النظر لانهماكهم منذ صغرهم بالدرس والمطالعة فيتعودون تقريب الكتب من اعينهم فتصبح لا ترى المرئيات واضحة الا اذا كانت قريبة منها. اما الاجسام البعيدة فترى غير واضحة لان العدسية كثر تحدُّبها فاذا كان الجسم بعيداً اجتمعت اشعتهُ امام الشبكية فلا تستوضحهُ العين واما اذا كان قريباً اجتمعت اشعتهُ على الشبكية فتراهُ واضحاً . ولذلك تستعمل النظارات المقعّرة

واهم الامور التي يجب على قصير النظر ان يعنى بممارستها هو ما يأتي : لا تقرأ كتاباً

لا تستطيع ان تستوضح حروفهُ على مدى ذراعٍ من عينيك واطلب مشورة طبيب مختص بامراض العيون ليفحص لك نظرك ويعين درجة نظاراتك

﴿ الماء في العين ﴾ غدد الدموع تفرز من سائلها ما يكفي لترطيب العين فاذا زاد ما تفرزهُ قليلاً عما تحتاج اليهِ العين خرج الى الانف بمسالك خاصة . وفي بعض الاحيان تفرز الغدد الدمعية مقداراً كبيراً من الدموع اذا هاجها الغبار او قوة النور او تأثر العاطفة في فرح او حزن ، فتسيل الدموع على الوجه . فاذا كانت هذه حالة موقتة وجب عدم القلق لها ولكن اذا استمرت وجب استشارة طبيب اذ قد تكون ناجمة عن التهاب غشاء الجفن او عن كثرة المطالعة او العمل في نور ضئيل او نور رجراج او غير ذلك

﴿ العيون الحمراء ﴾ كل عين مغشاة بغشاء مخاطي كالذي يغشى باطن الانف والحلق . وهذا الغشاء — الا في مقدمة العين — يحتوي على اوعية دموية دقيقة وكل احتكاك بسبب احتقان هذه الاوعية فتحمرُّ العين وتدعى هذه الحالة التهاب الملتحمة وقد تنشأ عن زكام او اي الاسباب التي تسبب الماء في العين . ولو كنا نستطيع ان نؤكد ان الحالة التهاب الملتحمة لكان يسهل وصف غسول مطهر تغسل بهِ العين كلَّ يوم ولكن اكثر الامراض التي تصاب بها العين تبدأ كذلك ولذلك يجب مراجعة طبيب عيون

﴿ القذى في العين ﴾ اذا دخل قذى في احدى عينيك فلا تفركها لانك اذا فعلت كان الضرر مضاعفاً . ذلك ان اغشية العين اللطيفة تلتهب من الفرك وينتقل القذى من مكان يسهل الوصول اليهِ الى زاوية قد يصبح فيها بعيد المنال . وافضل ما تفعله في هذه الحال هو ان تغمض جفنيك وتعطس بشم احد المساحيق التي لها هذا الفعل فتجري الدمع من مآقيك وينتقل القذى الى مقدم العين فتسهل ازالتهُ حينئذٍ بطرف منديل نظيف . واذا لم تنجح فاغمض عينيك وضع الجفن الاعلى فوق الجفن الاسفل ثم افتح عينيك وحينئذٍ فقد تجد القذى عالقاً باحدى اهداب الجفن الاسفل . واذا لم تنجح في ذلك فأتِ بطست من الماء الفاتر النظيف واغطس وجهك فيهِ ثم افتح عينيك تحت الماء والاَّ فاذهب الى الطبيب . ولا تنس على كل حال ان تضع قطرة من زيت الزيتون النقي فانها تخفف الالم والالتهاب

﴿ وصاية عامة ﴾ مهما تبلغ عيناك من الصحة فهناك امور كثيرة يجب ان تجتنبها لتحتفظ بصحتهما : اجتنب حين المطالعة الحروف الدقيقة والورق اللامع والنور الضئيل والنور الرجراج . لا تقرأ قراءة مستمرة مدة طويلة من غير ان ترفع عينيك وتنظر بهما الى الفضاء لتريحهما . اجلس حين المطالعة حتى يقع النور عليك وعلى الكتاب من اليسار . لا تقرأ وانت مضطجع لان ذلك يجهد العينين فيضعف عضلاتهما وخصوصاً اذا كان الانسان ناقهاً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

(٢) رمتني بدائها وانسلت

هذه بقيّة ردّي على مقال حضرة الأستاذ العراقي ولم تتّسع لهذه البقيّة صفحات مقتطف إبريل الفائت تحت باب المراسلة والمناظرة فأوجّه أنظار القراء إلى قراءة شطري الردّ لأنهُ سلسلةٌ حلقاتها متواصلة وما هنا من الردّ مبنيٌّ على أساسهِ السابق فأقول :—

(٥) يُعلم مما تقدم خطؤه في اشتقاق التطوّر من الطور إذ لم يُقم علاّمة العراق دليلاً على صحتها. على أن المولّدين وهم ليسوا حجة قد جعلهم حجته إذ قال (قلت إن المولدين احتاجوا إلى التطوير والتطور فاشتقوهما من الاسم ومن ذلك قول الشعراني في الطبقات (كان الشيخ حسين من كمّل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات) فالشعراني الذي كان في أحطّ عصور اللغة العربية في آخر عصر المماليك وأوائل العصر العثماني عصر أصبح حجة اللسان العربيّ عند المعلم العراقيّ الجليل. يا هيء مالي ! ! والشعراني توفي سنة ٩٧٣ هـ .
وقال حضرتهُ أيضاً كيف جاز لا سلافنا أن اشتقوا استنوق من الناقة واستجمل من الجمل ولا نصوغ تطوّر من الطور واستحمر من الحمار وهل سبب الإشتقاق إلاّ الحاجة اهـ أقول وإذا جاز للشعراني في زعمه أن يشتق تطوّر من الطور فلِمَ لا يجوز للعراقي الفاضل أن يشتق من الحمار استحمر ويجوز لهُ أكثر من ذلك يوم لا يكون ناطق بالضاد — ولعلّ الحمار لم يكن في عهد العرب كالناقة فاشتق منهُ ما فاتهم ! أو لم يعرفوا أن يقيسوه ! على استنوق من الناقة وما أكثر حمر العرب وما أكثر أسماءها ! قال الله تعالى (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) وقال « كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة » ورحم الله مروان الحمار آخر ملوك بني أمية . فلا يقتل اللغة العربية كما قتلتها في المقتطف كما زعم ! !

(٦) قد بلغ من شغف الاستاذ العراقي بالنقد أن ينقد بعض ألفاظ حواشي مقالاتي الفنائية في غير هذا المقام فقال يخطئني في تفسير الصبوح بشرب الخمر في الصباح عند شرحي بيت لبيد: بصبوح صافية وجذب كرينة بموتر تأتاله إبهامها

ولو رجع إلى المصباح المنير ومختار الصحاح لما خطأني. قال صاحب المصباح في مادّة صبح. والصبوح بالفتح شرب الغداة واصطبح شرب صبوحاً وقال صاحب مختار الصحاح الصبوح الشرب بالغداة وهو ضد الغبوق. أما قوله صافية فهو صفة لخمر المقدرة وهي مؤنثة وهذا كثير في لسان العرب قال الله تعالى لداوُد (أن اعمل سابغات) أي دروعاً سابغات وقال الأعشى: كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهيها فلم يَضِرْها وأوهى قرنه الوعِلُ

أي كوعل ناطح صخرة. على أنني لا أخطئه في تفسير الصبوح بما يشرب في الصباح ولعله أخذ هذا المعنى من القاموس ورأيان أفضل من واحد. أي بشرب خمر صافية صباحاً

(٧) قوله (الفصيح المشهور إدخال الباء على حسب فتكون بحسب) دليل على انه لم يخطئني في قولي الفهرس الاول يتضمن التراجم حسب الشهرة ومن أين جاءهُ أن قوله هو الفصيح مع أن أصحاب لسان العرب والقاموس و تاج العروس قالوا (والحسب قدر الشيء كقولك الاجر بحسب ما عملت وحسبه) كما ورد في هذه المعاجم أيضاً على حسب فلم رَجَّح الباء وهي حرف جر على على وهي أيضاً حرف جر ولم يذكرها داخلة على حسب كما ذكرها اللغويون. وإذا كان وجه الفصاحة تقدُّم كلمة بحسب على كلمة حسب في قولهم بحسب ما عملته وحسبه فالواو لمطلق الجمع لا تفيد ترتيباً. وليس التقدم من أسباب الفصاحة يا هذا

(٨) في تاج العروس الملاحظة مفاعلة (من لاحظ) وهو أن ينظر الرجل بلحاظ عينيه الى الشيء شزراً وهو شق العين الذي يلي الصدغ فيكون المعنى لينظر إليها العلماء والادباء فيعملوا على اجتنابها وكون النظر شزرا لا يضيرنا بل هو الواقع في الغالب لان النفوس لا ترجع الى الصواب وهي راضية فكيف إذا أرشدها إليه جامد مثلي ! على أن قول صاحب التاج أن ينظر الرجل إلى الشيء بعد ذكر المفاعلة لا يقضي أن تكون (أي المفاعلة) حقيقة من الجانبين لان الشيء هو الموجود وهو عامّ فيشمل الإنسان والنبات والارض إلى غير أولئك. وغير خاف على الاستاذ العراقي أنّ مادة فاعل لا تكون دائماً للمشاركة مثل سافر عليّ وعافاك الله يا فُـلُ فقولي ليلاحظها العلماء الخ صحيح

(٩) من أين جاءه وجوب إدخال الباء على المتروك بعد التغيير أي التبديل فأدخلَ الباء على المبدل منه وأنصب المبدل كما في قوله تعالى (وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) فيكون الصواب كما قال حضرة الناقد بتغييره ببعض كلماته غيرها. أما قولي «بتغيير بعض كلماته بغيرها»

لخطأ فى زعمه . وفى لسان العرب[وغيّره حوّله وبدّله كأنه جعله غير ما كان وفى التنزيل العزيز (ذلك بأن الله لم يك مغيّرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) قال ثعلب معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله] انتهى كلام صاحب اللسان فى المادة بدل. وقال الله تعالى أيضاً (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا) فأين الباء الداخلة على المبدل منه ومن أفصح من الله قيلا ؟ ! فإدخال الباء على المتروك بعد التغيير كالتبديل جائز لا واجب

(١٠) قولى مروج الأندلس الخضراء فى أيامها البيضاء صحيح لا كما زعم حضرة الناقد العراقى مخطئاً له وديلى على صحة قولى كلام الله تعالى(إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبرهيم وموسى)وقوله(قلوب يومئذٍ واجفة أبصارها خاشعة) فقد نعت جمع الكثرة لغير العاقل بالمفرد المؤنث ولو قيل فى غير القرآن أيضاً إن هذا لفى الصحف الأوليات وقلوب يومئذٍ واجفات أبصارها خاشعات لكان أيضاً صحيحاً على أنى حاكيت لغة القرآن الكريم فنعتُّ الجمع المكسر بالمفرد وليست المروج والأيام مثل المؤمنين والمؤمنات وما أبعد جمع التصحيح عن جمع التكسير فى المنى وأوجه الاعراب وفى أحوال النعت . وأدبى يأبى أن أوجه إلى حضرة الناقد كلة تؤلمهُ كما وجّه إلىّ على أن العلم يلزمنى أن أذكر لهُ هذه القاعدة وهى فى الصفحة ٥١٢ من كفاية الطالب وبغية الراغب (وحكم النعت إذا كان المنعوت جمعا لغير عاقل أن يكون مفرداً مؤنثاً سواء أكان المنعوت المذكور جمعا مكسرا أم جمعا سالماً لمؤنث فنقول انكسرت الأشجار المثمرة أو الشجرات المثمرة ويجوز أن يكون النعت جمعا سالماً فنقول الأشجار أو الشجرات المثمرات)

(١١) تخطئة حضرته إياى لقولى (فالواجب ذكرها مثلما فعل المؤلف والناشر كما هى) لا محل لها لأن قوله يجب ذكر خبر هى فأقول كما هى عليه فيهِ استبداد وهو نزّاع الى حرية القول ! إذ أنّ الخبر يحذف إذا دلّ عليهِ دليل كقول الله تعالى (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدّتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) أى كذلك وقيل المحذوف المبتدأ والخبر معا والتقدير فعدّتهن ثلاثة أشهر وكقول عمرو بن امرئ القيس الخزرجى

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ ـــدك راضٍ والرأى مختلف

(أى نحن راضون) على أنى أقدّر كما هى مذكورة وقد تقدم ما يدل على ذلك فى كلامى كما يصح أن نقدر كما هى عليهِ وقد ورد هذا المثال فى كلام مالك بن الريب الذى كان فى صحبة سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قِبَل معاوية بن أبى سفيان فقال

فياليت شعرى هل تغيرت الرحى رحى المثل أو أمست بفلج كما هيا !؟

أي كما هي عليه (انظر إلى الصفحة ١٣٨ من ذيل الأمالي لأبي عليّ القالي)

(١٢) ما كنت أحسب أن يمتدّ بي زمني حتى أطالب من معلّم في العراق بذكر دليل على تخطيئي هذا التركيب (وقال في مليحة لابسة ثوب خمري) وأن أذكر دليلاً على الصواب وهو قولي « لابسة ثوباً خمريا » لأن ثوباً مفعول به للابسة كقوله تعالى (وكلبهم باسطٌ ذراعيهِ بالوصيد) فذراعيه منصوب بباسط وهو حكاية حال ماضية

(١٣) قول الناقد، إن الجزم واجب لا جائز بصدد قولي إن المجزوم في جواب الأمر مجزوم جوازاً لا وجوباً مستدلاً ببيت امرئ القيس المشهور قفانبك الخ ورأى المبرّد النحوي في الكامل ، فيه العجب، لأن كتب النحو وأصغرها كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية فيه بالصفحة ٢٧ من الطبعة الحادية عشرة ما نصه (وقد يجزم المضارع إذا وقع جواباً للطلب نحو جودوا تسودوا ولا تدن من الأسد تسلم وجزمه بشرط محذوف تقديره إن تجودوا تسودوا الخ اهـ) وأيضاً ما ورد في شرح ابن عقيل على الألفية . وقد ورد في القرآن الكريم الوجهان قال تعالى (فهب لي من لدنك وليا يرثني) فقرأ أبو عمرو والكسائي بجزم يرثني وقرأ غيرهما برفع يرثني وكلتا القراءتين سبعية . على أن المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ قد انفرد بمذهب خاص في النحو يعرف ذلك من يقرأ كتب النحاة كالتوضيح والتصريح وشرح ابن عقيل والأشموني إلى غيرها من الكتب المطولة

(١٤) أما الأصول فإن كان جمعا فالنسب إلى مفرده، وإن كان علماً فالنسب إليه على لفظه. وما خفي عليّ هذا الأصل وإنما أذكر الاستاذ العراقي بأن كلمة الأصول تطلق بكثرة في عهد السيوطي صاحب نظم العقيان على أصول الفقه وأصول النحو وفي هذا الكتاب وغيره يقول السيوطي وكان فلان عالماً بالأصولين فقد زالت العلمية من المفرد (الأصول مفرد أصولين) كما في المحمدين مثنى محمد لأنه قصد تنكير المفرد من كل منهما فلذلك ولأن الشيوع في لفظة الأصول قلتُ إن النسب يكون إلى المفرد ومن الكتب التي نقل منها صاحب خزانة الأدب كتاب الأصول لابن السراج في النحو كما ذكر في مقدمة كتابه فتأمل

(١٥) قد خطأ حضرته قولي هذا (وغير خاف علينا مالاقى واضع هذين الفهرسين من المتاعب الجمة لولا يد الصبر الجميل أي أن قال والصواب ولولا يد الصبر الجميل لما نال بغيته) أو ما درى قول الله تعالى في اللعان « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم » اي لفضحكم وعجل لكم العقوبة (كما في الصفحة ١١٩ من الأصول الوافية) فجواب لولا محذوف قرينته حالية تفهم من سياق الكلام ولي في كلام الله أسوة حسنة

وهو الذى هداه إلى أن يفهم فيقدر لى الجواب (لما نال بغيته) فلا تناقض اذن فى كلامى

(١٦) ماذا يرى حضرة الناقد فى قول الحكمىّ وهو من شعراء القرن الثانى الهجرى

غيرُ مأسوف على زمنٍ ينقضى بالهمّ والحزنِ
إنما يرجو الحياة فتىً عاش في أمن من المِحَنِ

والبيتان مشهوران وقد اطلع عليهما فى مواطن كثيرة فأضاف غير إلى مأسوف على زمن ينقضى بالحزن والهمّ وفى هذا عدم جحد زمن السرور. وغير هنا بمعنى لا أى فلا أسف على زمن يذهب فى الهم والحزن وإنما الأسف على زمن السرور إذا ولّى. فقولك إذا أضيفت غير إلى نكرة جحدتها كلها فيه نظر (أى ما لم تقيّد النكرة) واستدلالك بالآية الشريفة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) فى غير موضعه لأن الله ذكر حالة واحدة أو حالتين وقد نفاها بأداتى نفى فقولى بغير دقة تامة صحيح وقولك بدقة غير تامة صحيح أيضاً كما يقال جئتَ بغير زاد حسن وبزاد غير حسن أو جئتَ بزاد ردىء . والنكرة فى الآية غير مقيدة

(١٧) لعلّ رصيفى الاستاذ العراقى يسره أن أقول وعناوينه فقط ٢٤ وحواشيه فقط كذا حتى أكون فصيحاً لأنى قلت ومقياس حروف عناوينه ومقياس حروف حواشيه كما قلت فى فهرس دار كتب ليدن وكان الأولى أن أقول كما قال الاستاذ حِتّى فى كتالوج مكتبة ليدن لإن تتابع الأضافات من مرديات الفصاحة !! وعلماء البلاغة قالوا أنها لا تخل بالفصاحة إلاّ إذا أوجبت الاضافات ثقلاً وقد احترز عنها بالتنافر وإلاّ فهي فصيحة كما في القرآن الكريم قال الله تعالي (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) . (مثلَ دأبِ قومِ نوح) (انظر التلخيص وشرح السعد والمطول والأطول فى علوم البلاغة) ولا تنافر فى إضافاتى

(١٨) قول حضرة ناقد كلامى (فما يؤثر عن رؤبة بن العجاج الشاعر المتوفى سنة ١٤٥ هـ أنه كان يبتدع من الكلم مالم تقله العرب ويوسع العربية بتصرف قياسى وكذلك كان أبوه الخ فيه إقرارٌ لصاحب الحق بحقّه فرؤبة وأبوه من صميم العرب الذين يحتج بقولهم ومن أعلمه أنهما كانا يبتدعان ولهما أن يقولا وعلينا أن نحتج بقولهما وهل درى حضرته التصرف القياسى لرؤبة وأبيه ! وهل له أن يقيس ويبتدع إن صحّ أن هذين الشاعرين كانا يبتدعان ويقيسان قَدْكَ قَدْكَ يا أخانا !!

(١٩) قوله (أما تأكيد المعنى بذات فليس فصيحاً فالصواب على المعنى بعينه أو عينه أو بنفسه أو نفسه) فيه غرابة فإن ذات تأتى بمعنى نفس فأقول جاء الأمير نفسه أو عينه أو ذاته وكذلك أقول أعجبني هذا المعني ذاته وهذا ما قاله صاحب المصباح المنير فى المادة

ذوي « قال الحجة في قوله تعالى (عليم بذات الصدور) ذات الشيء نفسه والصدور يكنى بها عن القلوب. وقال أيضاً في تفسير سورة السجدة ونفس الشيء وذاته وعينه هؤلاء وصف له . وقال المهدويّ في التفسير النفس في اللغة على معانٍ نفس الحيوان وذات الشيء الذي يخبر عنه فجعل نفس الشيء وذات الشيء مترادفين وإذا نقل هذا فالكلمة عربية ولا التفات إلى من أنكر كونها من العربية فانها في القرآن وهو أفصح الكلام العربي »

(٢٠) وإني أعدّ هذين العاطين اللذين وقعا في كلام العلاّمة العراقي مصطفى جواد سبق قلم وهما .(١) فكيف نباح أن نزيد من أسلافنا قولهم ما لم يحتاجوا إليه والصواب فكيف يُبَاح أن نزيد الخ . (٢) بصبوح صافية وجذب كريعة تأتاله إبهامها والصواب

بصبوح صافية وجذب كرينة بموتّر تأتاله إبهامها

ولمّا يُصِبْ حضرته في نقد شيء !!

وإني موافق المقتطف كل الموافقة أن سنة الارتقاء تقضي باشتقاق ألفاظ جديدة للإعراب عن المسمّيات الجديدة والمعاني الجديدة فأنا مع حضرة محبّره المفضال غير أني أكل هذا الحق إلى المجمع اللغوي العربي العامّ إذا جمع أفاضل العلماء في كل علم وفن وكانوا نوابغ أيضا في اللغة العربية منعاً للفوضى . فنغمة التجديد والتجدّد والجديد مطربة وأين المطربون ؟!

هذا وقد وضع نادي دار العلوم المنشأ سنة ١٩٠٧ م بضعة آلاف لفظة اصطلاحية جديدة نشر كثيراً منها في صحيفة دار العلوم. وهاكم قرار النادي برياسة المرحوم الشيخ حفني بك ناصف في ٢٠ من فبراير سنة ١٩٠٨ م : « يُبْحثُ في اللغة العربية عن أسماء للمسمّيات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة فإذا لم يتيسّر ذلك بعد البحث الشديد يُستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض » وهذا القرار كان أثر خطب ومناظرات زهاء شهرين بين الأفاضل من إخواني كالشيخ محمد الخضري بك والشيخ أحمد الاسكندري والشيخ شاويش بك والشيخ عاطف باشا بركات وحفني بك ناصف وأحمد باشا زكي وفتحي باشا زغلول وغيرهم وما زلنا للمجمع اللغوي منتظرين. وكان سعد باشا زغلول وزير المعارف المصرية عهدئذٍ معنياً جدّ العناية بهذا النادي وبحوثه وقُرّره وكان أخوهُ المذكور وكيل وزارة الحقانية أقوى معاضدلنا ولنادينا : والسلام عليكم

عبد الرحيم محمود

المدرس في السعيدية الثانوية بالجيزة

باب الصناعة

آراء في اختيار

طريقة تحضير النشادر المركب

لقد اصبح تحضير النشادر المركب من العناصر المكونة لهُ وصناعة الاسمدة النشادرية من مسائل اليوم اكثر من اي وقت سبق . فالمعدات الجديدة جارٍ انشاؤها ، والانتاج في نمو سريع ، والاساليب الحديثة في الصنع تظهر بلا انقطاع تحمل كل منها مزايا عديدة

فكم طرأ من التغيير منذ الوقت الذي قال فيهِ المؤلفون المعدودون، وقد مضى عليهِ على الاقل عشر سنين ، ان الالمان هم وحدهم القادرون على تركيب النشادر الصناعي من العناصر المكونة لهُ نظراً للمصاعب التي تحيط بهِ والآن تلقاء الطرق المتعددة التي امام الصناعة كيف يمكن احسان الاختيار؟ وما هي الاعتبارات النظرية والمقدمات العملية التي لها الاثر الفعال ؟

الاعتبارات النظرية

يمكن تقسيم طرق صناعة النشادر الصناعي الى قسمين رئيسيين : قسم الطرق ذوات الضغط المنخفض المأخوذة عن « هابر » والضغط المنخفض يقصد بهِ هنا ضغط مائتي جو او نحو ذلك . وقسم الطرق ذوات الضغط العالي المساوي لالف جو او نحو ذلك المأخوذة عن «ج . كلود » . فالى اي قسم من هذين القسمين تعطى الافضلية ؟ كان المسلم بهِ للآن ان الضغط العالي يناسب المصانع الصغيرة والضغط المنخفض يلائم المصانع الكبيرة . انما دلَّ الفحص الجدي للموضوع على ان هذه العقيدة هي ايضاً ضعيفة الاساس كالعقيدة السابقة باستحالة صناعة النشادر من غير واسطة « البديش انلين »

فقبل كل شيء قد ثبت اليوم صناعيًّا ان الضغط المرتفع في وسعهِ ان يعمل بانتظام كالضغط المنخفض سواء بسواء . وحيث ان الاول سهل المعدات ولا يستدعي نفقات كبيرة فهذه اول ميزة لهُ . والميزة الثانية انهُ يسمح بزيادة القوى القصوى لعناصر التركيب زيادة عظيمة . وتحدد هذه القوة عادة الابعاد الخارجية لانابيب التأثير . ففي حالة تساوي الابعاد يمكن لضغط الف جو ان ينتج ٨٠ في المائة من النشادر زيادة عن ضغط مائتي جو ، مع حساب سمك الجدران . فان كانت الوحدة المحدودة «المؤثر» يعمل مائتي جو هي ٢٥ طنًّا من النشادر يوميًّا ، كانت ٤٥ طنًّا يوميًّا « المؤثر » يعمل بالف جو . وهذه مسألة هامة

جداً اذ ان المقدرة اليومية للمصانع المشروع فيها تقدر بمئات الاطنان وليست بعشراتها

ولقد عابوا على طرق « الضغط المرتفع » انها تستنفد من القوى لانتاج الكيلوغرام الواحد من النشادر مقداراً يفوق ما تستنفده طرق « الضغط المنخفض » وهذا ليس في محله . لانهُ ان كان المسلك الظاهر من القوى اكثر ارتفاعاً فالمستهلك الحقيقي اقل . والحساب الآتي يبين ذلك : يحتاج ضغط المخلوط الغازي ز + يد٣ الى قوة ٩٠٠ جو لانتاج ١٠٠ كيلوغرام من النشادر والى ٢٣،٦ كيلوات ساعة زيادة عما اذا كان الضغط يساوي قوة ٢٠٠ جو ، غير انهُ يقابل هذه الزيادة ابواب الاقتصاد الآتية :

(١) ازدياد عامل الاتحاد وبالتالي نقص كمية الغاز الواجب اعادة كبسهِ بواسطة مضخة التحريك وبذا يقتصد ١٦،٢٥ كيلوات في كل مائة كيلوغرام من النشادر

(٢) يجمع النشادر على هيئة سائل غير مخلوط بالماء بدلاً من جمعهِ مذاباً فيهِ وبهذه الطريقة يكون تحت اليد ٣٠٠٠٠ كالوري[1] في كل مائة كيلوغرام من النشادر ومن حيث ان مصانع النشادر والاسمدة محتاجة دائماً الى وحدات الحرارة لذلك يقتصد في كل مائة كيلو من النشادر ١١،٧ كيلوات ساعة

(٣) يجمع النشادر بواسطة الترويق فيستغنى عن الضغط اللازم لارسال الماء لاذابة النشادر وبذا يقتصد ٢،٩٥ كيلوات ساعة في كل مائة كيلوغرام من النشادر

(٤) بالحصول على النشادر سائلاً بدلاً من الحصول عليهِ على هيئة محلول نشادري يستغنى عن عملية التقطير او التركيز وبهذه الطريقة يتحقق تغيير النشادر المركب الى اسمدة نشادرية واقتصاد يعادل ١١،٥ كيلوات ساعة

فمن ذلك يتضح ان النتيجة النهائية ليست صرف قوى زيادة ولكن فيها اقتصاد يعادل ١٦،٢٥ + ١١،٧ + ٢،٩٥ + ١١،٥ — ٢٣،٦ = ١٨،٨ كيلوات ساعة في كل ١٠٠ كيلوغرام من النشادر المصنوع بالضغط العالي

وهذا الاقتصاد في القوى المصروفة يضاف اليهِ امكان زيادة القدرة القصوى للوحدا واختصار ذي قدر في العمل واقتصاد هام في تكاليف الانشاء (حيث لا لزوم لمغيرا حرارة الغاز تحت الضغط قبل انابيب التأثير ولا لدائرة اذابة النشادر تحت الضغط ، لجهازات تقطير المحاليل النشادرية)

لهذا كانت طرق الضغط المرتفع مفضلة بغير نزاع على طرق الضغط المنخفض

---

(١) وحدة لقياس الحرارة الصغيرة تساوي الحرارة اللازمة لرفع حرارة غرام واحد من الما درجة صفر مئوية الى درجة واحد

وعند ما اجرينا حساب المزايا السابقة فرضنا كما لا يخفى ان طرق الضغط المرتفع تستخدم عامل الاتحاد بآخر طاقته وهذا ما يستدعي التحقيق الصناعي لمهيء انقشاع الحرارة العظيمة التي تصدر عن وحدة الحجم تحت ضغط يتراوح بين ٩٠٠ الى ١٠٠٠ جو

وللضغط المرتفع طرق انقص فيها عامل الاتحاد بطريقة اصطناعية بدلاً من التغلب على صعوبة استبعاد الحرارة . انما تفقد هذه الطرق جزءاً كبيراً من المزايا التي عددناها. لذلك كان من الواجب الالتجاء اما الى مغيرات الحرارة او الى تسخين الغازات الداخلة . كذلك تستخدم الطرق المشار اليها « المؤثر » استخداماً سيئاً ينقص من المقدرة العظمى لوحدات التركيب ، وهذه ليست طرق الضغط المرتفع الحقيقية

وفي طرق الضغط العالي يمكن لجهاز المؤثر اتخاذ انبوبة مفردة بمضخة تحريك اجباري او اتخاذ عدة انابيب متسلسلة بمضخة تحريك اختياري لطرد الفضلات الى الانبوبة الاخيرة

والجهاز ذو الانبوبة المفردة يبدو انهُ ابسط في التركيب وفي الاستعمال . انما اذا كانت حركة الانابيب منظمة ، كما يجري ذلك عادة ، بواسطة جهازات ذات حركة ذاتية، فوحدة المؤثر في جملة انابيب لا تستدعي مراقبة اكثر من الوحدة ذات الانبوبة المفردة لان مرور الغاز من الانبوبة الى التي تليها يحدث من غير مراقبة ولا ضبط وانما من تلقاء نفسه.ومن جهة بساطة الجهاز وسهولة ادارته فالجهازان من الوجهة العملية سواء تقريباً غير ان للجهاز ذي الانابيب المتسلسلة مزية انقاص ابعاد الانابيب وذلك بتسهيل عمليات تغيير المؤثر فينتج عن ذلك انقاص المستهلك من القوة الذي ولو انهُ لا يستحق الاعتداد بهِ الا انهُ لا يهمل في الوحدات الكبيرة

وتوزيع الانتاج بين جملة انابيب لا تعد فائدتهُ ثانوية بل بالعكس تصبح هامة عند ما يراد الوصول الى وحدات بالغة في العظم : من ٥٠ الى ١٠٠ طن في اليوم مثلاً . ولقد سنحت لنا فرصة الاطلاع على جهاز « ج . كلود » مقدرتهُ ٣٠ طناً في اليوم ذي اربع طبقات من المؤثرات تعمل بضغط ٩٠٠ جو فرأينا ان اكبر انابيب هـذا الجهاز لا يزيد قطرها الخارجي على ٧٠ سنتيمتراً وارتفاعها ٣ر٥٠ متر .وعلمنا انهُ بواسطة قطرخارجي مقاسهُ متر يمكن الوصول الى جهاز يعطي ٦٠ طناً يومياً و بواسطة قطر خارجي مقاسهُ ١ر٢٠ متر يمكن الوصول الى جهاز يعطي ١٠٠ طن يومياً

وتدل هذه الارقام على السهولة الفائقة التي يتحقق بها الانتاج العظيم بفضل الجهاز ذي الانابيب المتسلسلة. هذا فضلاً عن ان الانابيب المتسلسلة تجعل الانتاج ينتظم من تلقاء نفسهِ بتقويم مفعول ضعف المؤثر في الانبوبة المفردة حيث يكون المنتج معرضاً للتسمم دفعة

واحـدة او تدريجاً حسب القاذورات التي تبقى في المخلوط ز يد ٣ اذ بمجرد ما تضعف انابيب الطبقة الاولى من الجهاز ينقص الثقل النوعي للمزيج وبالتالي يكون لدى الطبقات الاخرى من الانابيب كمية من الغاز اكبر فيحدث التكافؤ على الوجه الكامل تقريباً .
مثال ذلك اننا ان اتخذنا جهازاً « مؤثراً » مكوّناً من اربع طبقات من الانابيب وضعف انتاج الطبقة الاولى بمقدار ٢٥ في المائة ، وهذا مقدار كبير جداً فانتاج الطبقات الاخرى يزيد من تلقاء نفسه بحيث لا تبلغ خسارة الانتاج في مجموع الانابيب ٢ في المائة وهذا بدون حاجة لاجراء اي ضبط للضغط . ومن الضروري الحاق انابيب «المؤثر» المتسلسلة بمضخة لطرد الفضلات الى الصف الاخير من الانابيب وبذا يجمع بين مزايا انابيب « المؤثر » المتسلسلة وبين مضخة الطرد وبهذا الوضع ، اذا وقفت المضخة عن العمل فالانتاج لا يقف اذ ان الانابيب يمكن ان تستمر في عملها ولا يقل الانتاج في هذه الحالة عن المتوسط باكثر من ١٠ في المائة وهذا ايضاً لا بأس به

الاعتبارات العملية

بناء على الاعتبارات النظرية السابقة يمكن تحديد الصفات الواجب توفرها في الطريقة المثلى لاستخراج النشادر . اما من الوجهة العملية يجب ان لا ننسى ان العمل الصناعي المنتظم للجهاز لهُ اهمية كبرى وان نقصاً نظريًّا خفيفاً يمكن ان تعوضهُ واكثر منهُ زيادة في العمل مهما كانت الطريقة المستعملة سواء أكانت بالضغط العالي او المنخفض

وعند فحص تكاليف صنع النشادر المركب يرى ان اهم عوامل النفقة اليوميَّة للمشروع ثابتة (اجور العمال وفوائد رأس المال واستهلاكه والمصاريف العمومية) وان غيرها من العوامل كالغاز والقوة الكهربائية لا تنقص الا قليلاً في اثناء وقت الوقوف العرضي وان عامل الصيانة مهمٌّ بحسب ما اذا كان الوقوف العرضي متعدّداً او لمدةٍ طويلةٍ . وبالجملة يمكن اعتبار المصروفات العمومية كأنها ثابتة سواء أكان الوقوف عرضيًّا او غير عرضي وان تكاليف الصنع في جهاز ما هي بنسبة عكسية للانتاج الفعلي للجهاز . فاذا لم يبلغ الانتاج الا ثلاثة ارباعه على اثر وقوف عرضي او ادارة مختلة زادت تكاليف الصنع على التكاليف المعتادة بمقدار الثلث . ولما كان لضبط السير اهمية كبرى بحثنا عن واسطة سهلة وعملية لقياس هذا العامل فاخترنا « قوة الاستخدام العملي » وحدة للقياس وعرفناها بالكيفية الآتية :

اذا كان (ج ي) هو الانتاج الاقصى لجهاز اثناء سير منتظم صحيح مدى الاربع والعشرين ساعة بلا انقطاع مستعملاً في ذلك انابيب مؤثرة جديدة «فقوة الاستخدام العملي»

للجهاز تكون هي النسبة بين الانتاج المحقق الذي نرمز له بحرفي (ج ق) اثناء ادارة لمدة ١٠٠ يوم متتابعة بدون تغيير في قطع الجهاز وبين اقصى حد نظري ممكن للانتاج اثناء نفس المدة اي ١٠٠ × ج ي :

$$\text{قوة الاستخدام العملي} = \frac{\text{ج ق}}{\text{١٠٠ ج ي}}$$

فلاجل تعيين هذه القوة الدالة على الـكمال الصناعي للطريقة المستعملة يجب كما لا يخفى العمل دائماً بنفس القطع من غير التجاء الى تغييرها . وقطع التغيير ليست ضرورية مبدئيا في طريقة انتاج مضبوطة ضبطاً كافياً . ونلفت النظر الى ان سير جهاز التأثير في صناعة النشادر يتأثر غالباً بالقاذورات المحتوي عليها هيدروجين المخلوط ز + يد ٣ لذلك كان من الضروري في تحديد « معين الاستخدام العملي » ضم اجهزة انتاج الهيدروجين والسعي ليكون « معين الاستخدام العملي » مضموناً في مجموع جهاز الانتاج وهذه هي الوسيلة الوحدة التي لا تجعل « معين الاستخدام العملي » وهميًا . والتحليلات التي تجري على الهيدروجين لا تكفي للارشاد عن مقدرة الغاز في انابيب التأثير . ولاجل فهم سلطان « معين الاستخدام العملي » يكفي ملاحظة ان زيادة قدرها ٥ في المائة من هذا العامل تكون نتيجتها انقاص تكاليف صنع النشادر بمقدار ٥ في المائة (ولقد بينا آنفاً ان هذه التكاليف تجري على نسبة مكسبة للانتاج ، بينما معين الاستخدام العملي يجري على نسبة مناسبة له) وبينما « اقتصاد قدره ٥ في المائة من الغاز والقوى المستهلكة واقتصاد قدره ٥ في المائة من اليد العاملة » لا يقلل من تكاليف الصنع الا بمقدار ٢ ونصف في المائة الى ٣ في المائة وحصة « الغاز واليد العاملة » في تكاليف الصنع لا تزيد على ٥٠ في المائة الى ٦٠ في المائة. ومن باب الارشاد نقول ان طريقة صنع النشادر المركب مضبوطاً ضبطاً حقيقيًا في وسعها ان تعطي في مجموع « الهيدروجين — نشادر » معيناً للاستخدام العملي قدره ٨٥ في المائة على الاقل

ولقد اتاحت لنا الظروف زيارة مصنع في شمال فرنسا يستعمل طريقة (ج . كلود) مع استخراج الهيدروجين من غازات افران الكوك بواسطة الاذابة فوجدنا ان « قوة الاستخدام العملي » في هذا المصنع لجهاز قائم بالعمل منذ سنتين بدون اي تغيير في قطعه يبلغ ٩٣ في المائة في مجموع « الهيدروجين — نشادر » . فرقم ٨٥ في المائة الذي ذكرناه كحد ادنى لا يكون اذن مبالغاً فيه ومن الواجب ان يعد كانه معتدل للغاية بل ومن الواجب ان تبلغ القدرة في الانتاج في الوقت الحاضر رقماً يفوق ذلك الرقم عند العمل على تنافس مختلف الطرق

« مهندس »

مكتبة المقتطف

الدليل الامين في الصحة والمرض

تأليف وترجمة الدكتور شكري بوتاجي — صفحاته ٦٣٢ — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

لما تناولتُ هذا الكتاب الطبيّ الحافل لاتصفَّحهُ شعرتُ بارتياحٍ وافرٍ متعدّد الاسباب، وليس اهون هذه الاسباب شعوري بنشاط زملائي الاطباء في ميدان التأليف، وما سوف يتبع ذلك من خدمةٍ جليلةٍ للعلوم الطبية وللغة العربية وللثقافة العامة، ولجمهور القراء معاً

ولعلّ اغتباطي بما يرجى من مثل هذا التأليف لتنوير اذهان القراء هو ابلغ اسباب ارتياحي اليهِ، لانهُ وإن كان تصنيفاً طبيًّا عامًّا غيرَ محدود الفائدة الاّ ان فائدتهُ اعمّ للمتعلمات والمتعلمين جملة دون حصْر، فقد جمع فيهِ مؤلفهُ الفاضل على ماذكر في مقدمتهِ « مبادىء العلوم الضرورية التي تتعلق بهذا الفنّ (فن الطبّ) حتى يكون لكلّ من يطالعهُ المام كافٍ بهذا الموضوع، فيستفيد منهُ ماديًّا وادبيًّا ما لا يقوَّم بمال ولا يقدر بثمن، لان الاهتمام بصحة الابدان امرٌ ضروريٌّ لا يستغني عنهُ انسان ». واشار في ختام تصديره الى ان الكتاب يفيد على وجهِ التخصيص « اولئك القاطنين في اماكن بعيدة عن الاطباء، فيعينهم على التوسل بما يدفع الخطر في اشدّ ساعات المرض، ويخفف وطأة الالم ريثما يحضر الطبيب الذي لا يمكن الاستغناء عنهُ في الحوادث الخطيرة ولا سيما الجراحية » وارى حقًّا ان كتابهُ الجامع هو عند حدّ وصفهِ هذا

يربي الدكتور شكري بوتاجي مصنف هذا الكتاب على السبعين، وهو طبيب المستشفى الانكليزي في حيفا سابقاً، وقد زاول صناعة الطبّ مدة تنيف على سبعٍ واربعين سنة، زار في اثنائها اميركا واوروبا وكثيراً من مدن الشرق، فجاء يضمن كتابهُ زبدة معارفهِ وخبرتهِ ومطالعاتهِ الطبية العامة برًّا باخوانهِ في الانسانية. وفي كلّ صفحة من صفحات كتابهِ دليلٌ ناطقٌ بغزارة علمهِ وبحسن اختياره تأليفاً وترجمةً واقتباساً، فاضاف باتناجهِ هذا اثراً جديداً قيّماً الى المكتبة الطبية العامة التي خدمها من قبل امثال الدكتور محمد عبد الحميد والدكتور عبد العزيز نظمي والدكتور شخاشيري والدكتور فخري وسواهم

وعنيت المطبعة العصرية بحسن اخراج هذا الكتاب طبعاً وتجليداً حتى لا تكاد تجد

وجهاً للمؤاخذة من هذه الناحية الفنية اللهمَّ الاَّ في بعض الاخطاء المطبعية وفي التصاوير التي يعوزها بعض التهذيب واستعمال الارقام والحروف العربية . ومن اغرب ما لحظتهُ ان مدير المطبعة المصرية لجأ في العناوين الجانبية الى استعمال الحروف السميكة لتكون اظهر من الحروف الجديدة ، وهذا ذكاء منهُ . ولكني اشكّ في اكتساب الكتاب رونقاً وان زانتهُ طائفة من تصاويره التي بلغ عددُها واحداً وعشرين ومائة شكل

اما تنسيق الكتاب فيدلُّ على قدرة الدكتور شكري بوتاجي ككاتب ومؤلف منظم الذهن ، فقد جعلهُ في خمسة اجزاء متناسبة متلاحقة : فكان الجزء الاول خاصًّا بعلم التشريح في ايجاز مناسب ، ثم بعلم الفسيولوجيا (وظائف الاعضاء) ، واخيراً بعلم الاقرباذين (وصف العقاقير الطبية وتركيبها).وكان الجزء الثاني وقفاً على تشخيص الامراض وعلاجها مع بعض الجداول الطبية المفيدة . وكان الجزء الثالث بحثاً في امراض النساء والاطفال ، فضلاً عن تناول الولادة وكلّ ما يتعلق بها من الرعاية العامة.وكان الجزء الرابع — وهو من اهم اجزاء الكتاب — بحثاً ضافياً في فني التّمريض والاسعاف . وكان الجزء الخامس — وهو ختام الكتاب — من خير ما كُتب للجمهور في علم الصحة متناولاً فيما تناولهُ طرق الوقاية من الامراض ، والرياضة البدنية ، والطعام واللباس والشراب والاستحمام ، واردفهُ بملحق مفيد في السموم وترياقها

واما لغة الكتاب فسلسلة مقبولة ، وهاك مثالاً منها : « ان البنية الجيدة وحسن تركيب الجسد هما الامران الجوهريان لكمال صحة الجسم . وكان قدماء اليونان يعدّون الجمال معادلاً للفضيلة . قال احد مشاهير المؤلفين : كلما قربنا من العزة الالهية ازداد ادراكنا لجمالها . ولكي يحسن الانسان التعبير عن افكاره يحتاج الى وسائط طبيعية متقنةٍ من لغةٍ ونطق وحركات الخ . ، والعقلُ البشريُّ يسهل تثقيفهُ وتحسينهُ بالتربية والتهذيب ، ولكن حصر هذا التثقيف في العقل دون الجسم اضعف البنية عموماً ، وجعل النّسلَ نحيفَ البدن سخيفَ العقل قصير العمر،وهذه الحقيقة اهملت وقتاً طويلاً لعدم اهتمام ارباب العلم بها ». بيد ان الكتاب في لغتهِ العلمية لم يسلم من هفوات كثيرة راجعة الى تساهل المؤلف في التعبير تارة والى جهدهِ الفردي المستقل تارة اخرى. فهو يقول مثلاً ان حمى مالطة تتولد من طفيليات،وهذا تعبير خطأ من الناحية العلمية فان كلمة«طفيليات» هي ترجمة parasites لا ترجمة Microbes (ميكروبات) ، وليست حمى مالطة من الامراض الطفيلية . واما اجتهاده الفردي فيظهر في مخالفتهِ للاصطلاحات المستعملة في مصر(وقد نشر بين أهليها كتابهُ)في مناسبات كثيرة سواء لفظاً او هجاء ،مثال الاول انهُ

يسمى الحُبْسة Aphasia « أفاسيا » ، وقد اصطلح تعريبها « بالافازية » كما يقول « سبيروشاتس » بدل « سبيروخينات » وترجمتها المستعملة « حلزونيات » وهي مقابل spirochetes ، ومثال الثاني كتابته « الروماتزم » هكذا : « الريوماتزم » ، وباسلس « شيجا » : باسلس « شيكاس » ، ، وقس على ذلك . وليس هنا مجال مناقشة الآراء او الارقام او البيانات التي احتواها الكتاب من وجهةٍ طبيةٍ او علمية ، ويكفي ان نقول انها في جملتها تستحقّ الاحترام ، كما ليس لنا ان نتتبع هنات النحو او الصرف ما زال الاسلوب في جملتهِ مقبولاً . ولن يشقّ على المؤلف الفاضل تدارك ذلك في الطبعة الآتية

ولكن لنا ان نقول كلمة عامة في الترجمة والتعريب وفي الاسلوب العلمي . لقد اعتمد المترجمون غالباً على (معجم شرف) منذ صدوره في سنة ١٩٢٦ ، وقد عززت ذلك « الجمعية الطبية المصرية » بقرارها المعروف اخيراً وفتحت باب الافتراحات على مصراعيهِ حتى لا تستأثر لجنتها اللغوية بالامر ، فاصبح لزاماً ان نحترم هـذا القرار وان ننفذه رغبة في توحيد المصطلحات الطبية والعلمية ، كما وجب ان يضحي كلٌّ منا بنزعتهِ الخاصة التي لا تقرهـا الجماعة ، وبذلك يخدم الخير العام . وإني شخصيًّا أرى ان المسميات العلمية التي هي في منزلة الاعلام واجبة الاحترام كما هي حتى لا نقطع صلتنا بحركة الثقافة العالمية ، ولا أُوافق الاَّ على ترجمة الاسماء التي لا تعدُّ في مرتبة علمية صميمة . ولا بأس من ترجمة الاسماء العلمية للمخترعات ونحو ذلك كمرادفات تستعمل في الكتابة المعتادة ، لا في الكتابة العلمية الجدية التي لها تعابيرها ومصطلحاتها الخاصة . ولكن أقول بالاجمال إنه لا ضيرَ على اللغة من تعريب المفردات تعريباً مصقولاً كلما دعت الحاجة الى ذلك ، بل اعد ذلك ثروة للغة فطن اليها حماتها من عصور في زمن العباسيين والاندلسيين ، ولسنا نحن بأحرص منهم عليها . وهـذه خطة جميع اللغويين في جميع الامم الحية ، كما ان اللغتين اليونانية واللاتينية ليستا ملكاً للامم الغربية وحدها ، بل هما تراث تاريخي لجميع الشعوب المثقفة ، ولنا ان نشتق منهما ما نشاء من الاصطلاحات العلمية التي نريد ابتكارها تبعاً للقواعد الاممية المتفق عليها والتي ينبغي علينا أن نماشيها ، فنصون كرامة لغتنا ونحفظ لها حيويتها التي طالما اعتددنا بها . واني اهمس في آذان المتعصبين تعصباً اعمى للعربية الصميمة : انكم لن تجدوها مستقلة بمفرداتها حتى ولا في القرآن الشريف نفسهِ ، فتعصبوا للجوهر بدل العرض ، وطوعوا ما تحتاجون اليهِ من مفردات أو تعابير والاَّ قاسيتم ذل العوز والحاجة ، وحولوا جهودكم الى ترقية الديباجة وتجميل التعابير وصقل المستحدث من المفردات ، بدل الاقتصار على محاكاة القُدامى ، وبدل التنطع في مخالفة نواميس التطور والحياة

واني الى جانب الملاحظات النقدية المتقدمة ارى ان الدكتور بوناجي معتدل النزعة في مسألة الترجمة والتعريب ، واشهر انهُ متى رسخت قواعد ذلك بين الامم الناطقة بالضاد كان لنا من امثاله خير معوان على حسن التصرف . وهو من اجل ذلك يشكر على موقفهِ كما يشكر على تصنيفهِ م؟

احمد زكي ابو شادي

ساعات بين الكتب

بقلم عباس محمود العقاد — ٢٦٩ صفحة قطع المقتطف (مصورة) — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

الاستاذ العقاد اديب اديب ! اديب في سعة اطلاعهِ على مذاهب الفلسفة وفنون الادب . اديب في استقلالهِ بنظرة خاصة الى الحياة استقلالهُ بنظرةٍ خاصة الى الشعر والنثر والنقد . اديب باسلوبهِ العربي الرصين الذي تلمح فيهِ العقاد طويل القامة جبَّار الملامح قويَّ النظر عميق الصوت فياض المعاني . وهو في فصول هذا الكتاب على احسن ما عرفناهُ في كتابٍ مع ان الفصول كتبت في نحوٍ من سنتين مرَّت فيهما على مصر عواصف من السياسة لم يتزعزع لها جبل العقاد على شدة صلتهِ بالسياسة وحوادثها

فانت تنتقل فيها من ادبٍ الى فلسفةٍ الى فنٍّ الى تاريخ . وفي كل فصلٍ تجدُ صورة عامة لكتاب او لشخصٍ او لفكرة . خذ مقالتهُ في الغيرة . فانهُ لخص فيها رأي شكسبير كما ظهر في عطيل ورأي اناتول فرانس كما ظهر في الزنبقة الحمراء ورأي الحكيم سليمان كما هو في أمثالهِ ورأي روشفكول كما هو في حكمهِ . ثم اضاف الى ذلك رأيهُ الخاص فكانت المقالة في خمس صفحات صورةً عامة لموضوع الغيرة

اوخذ مقالتهُ في بيتوفن . فقد تكون جاهلاً بفنون الموسيقى واساليبها ولكنك بعد ان تطلع على هذه المقالة لن تجهل نفس الرجل العظيم الاصمّ الذي خلد في الالحان . على انا لم نفهم قولهُ صفحة ٨٦ ان طول الرجل يبلغ خمسة امتار وخمسة قراريط . ولعلَّ الصواب خمس اقدام والخطأُ مطبعي

طالعنا بعض هذه الفصول حين صدورها ثم اعدنا قراءتها في هذا الكتاب وقراءة غيرها مما لم تتح لنا مطالعتهُ من قبل فذكَّرتنا بكتاب لارنولد بنت احد مشهوري الروائيين والكتاب الانكليز الذي موضوعهُ «كُتُب» وبالرسائل النقدية البليغة التي كان يعقدها السر ادمند غوس على صفحات التيمس الاحدية . ولا نغالي اذا قلنا ان بعض فصول هذا الكتاب يصحُّ ان يوضَع مع ابلغ ما كتبهُ بنت في كتابهِ وغوس في رسائلهِ

والكتاب يحتوي على ٥٦ فصلاً تتناول مختلف الشؤون الادبية والفنية من شرقية وغربية

فمن الموضوعات الشرقية البحتة التي طرقها موضوع الشعر في مصر في ثمانية فصول وموضوع اعجاز القرآن وآراء لسعد في الادب وغيرها . والموضوعات الغربية تنتقل بك من شكسبير الى هاردي الى ماكيا فلي الى بيتوفن الى روبنس المصوّر الى جورج رومني الى جوستاف لوبون فالكتاب تحفة ادبية نفيسة. وعسى ان لا يتأخر صاحبهُ في اصدار الجزء الثاني كما وعد

ديوان بدر الدين الحامد

صفحاته ١٩١ قطع كبير . طبع بمطبعة الاصلاح بحماة.

« بين دفتي هذا الكتاب قصائد اوحى بعضها الالم وبعضها السرور وقصائد اوحتها فكرة انبعثت عن الحياة او صورة من صور هذا الكون ارتسمت في الذهن او عاطفة من حنان ورحمة الهبت القلب فكان كل ذلك نظماً » هكذا يبدأ الناظم الصفحات التي كتبها في تقدمة ديوانهِ الى القراء

الشاعر لا يزال في دور الشباب فهو في الثامنة والعشرين من العمر ولكنهُ بلا من الحياة مرَّها وحلوها والظاهر مما يقول ان كفة المرارة رجحت كفة الحلاوة لذلك يقول و« لا اعلم ما سيكون معي من انقلاب في الفكر ولكنَّ الذي اعلمهُ ان الالم جزءٌ من نفسي فكل ما قلتهُ او ساقولهُ ان كان في الاجل فسحة يصدر عنهُ »

الشاعر حموي وحماة مشهورة بجمالها الخاشع وجلالها المهيب بنيت في وادي العاصي السحيق بين الرياض الجميلة ... ولنواعيرها بنات العصور الخالية نغمات الذكرى وجلالة القدم ... » وقد قال في قصيدة لهُ من غرر الديوان يصف احدى هذه النواعير

الدهر بين يديك دانْ عجباً لشأنك اي شان
افنى الجبال وما لهُ بك يا وليدتهُ يدانْ
أترى اخذت على الزما نِ وصرفهِ عهد الامان
عاصيك يغسل مطرفيـ ـكِ وانت في ظل الحنان
داراك تشكين الغرا م وانت خافقة الجنان
عيناك من قبل المسيـ ـح وامهِ نضاختان
تترنمين ترنم ال ولهان يقتلهُ الحنان
وترددين صدى العصو ر وسرك الماضي مصان
ما انت يا لدة الخلو د تكلمي فالوقت حان

وللديوان مقدمة ادبية بليغة بقلم الاديب الدمشقي الكبير الاستاذ شفيق جبري

حقوق الدولة العامة

تأليف فوزي الغزي — الطبعة الثانية — صفحات الجزء الاول ٣٦٤ — طبع بمطبعة الشعب بدمشق

كان الجدال على اشده في مسألة اغراق السفينة الكندية « ايم آلون » حين وصلتنا نسخة من هذا الكتاب النفيس ففتحناهُ في الحال عند الفصل الذي يعالج موضوع « البحار الحرّة » وقرأنا فيهِ تفصيل المسألة من وجهها القانوني الدولي . ثمَّ تذكرنا ما كان من الضجة حول سفر البلون غراف زبلن ومنعهِ بواسطة الحكومة الانكليزية عن الطيران في جوّ القطر المصري ففتحنا كذلك الفصل الرابع وهو الفصل الذي يعالج موضوع « الاملاك الهوائية » فقرأنا ما يقال في هذا الموضوع . ثم وردت علينا مقالة من عالم انكليزي يعالج فيها موضوع المحطات اللاسلكية الدولية ووجوب تنظيمها فرأينا كذلك ان كتاب الاستاذ الغزي يحتوي على بحث في هذا الموضوع

فالقارئ يرى ان الكتاب الذي بين يدينا شامل للمباحث الدولية التي يهمُّ الناس الاطلاع عليها لان التلغرافات العامة والخاصة تأتيهم كل يوم بنبإٍ لا بدَّ في فهمهِ من الرجوع الى كتاب في حقوق الدول العامة . فعسى ان يعنى الاستاذ الغزي رغم مشاغله السياسية الخطيرة باصدار الجزء الثاني من كتابهِ حتى يتمَّ المؤلف

اشعار ادنا كحلا

The Poems of Edna Kahla

صفحاته ٧٠ قطع صغير — طبع بانكلترا باشراف رابطة محبي الشعر

الآنسة ادنا كحلا فتاة سورية الاصل انكليزية المولد والنشأة نشرت مجموعة من اشعارها باللغة الانكليزية فاذا هي فيها شاعرة الى « اطراف اناملها » كما يقول الانكليز . شاعرة بذلك الاحساس الدقيق الذي يشعر بطيوف الالوان والانغام ، شاعرة ببراعتها في اختيار الالفاظ والقوافي والتركيب الموسيقي ، وهي فوق ذلك شاعرة لانها تعرف ان تخلق « الجوّ » الذي تريد ان تصفهُ بسطور قليلة ، حتى كأنك معها تتنفسهُ وتراهُ . وقد قدّم لها احد نقاد الانكليز مقدمة قال فيها بعد ما تكلم عن اسلوبها الشعري ... « هذا هو الثوب . ولكنَّ فيهِ انعكاساً لتيّارٍ من النور مصبوب على الحياة . لان الحياة لا تعكس كما تعكس المرآة في برودة وغير احساس ، الحياة تمتص بعض النور ثم تفيضهُ من جديد » وهذا ما تفعلهُ مس كحلا في قصائدها الغنائية البديعة ، امثال « اكس لوبان » و « جراح الارض » و « لن اذهب ثانية .. الى لبنان » . ففي هذه القصيدة الاخيرة تصف في بضعة سطور رأس بيروت عند الغروب وصفاً لم نرَ ما يجاريهِ دقة في التصوير ورنة في الموسيقى

العظماء

عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم

تأليف بلوطرخس — نقله الى العربية ميخائيل بشاره داود — صفحات المجلد الاول ٣١٤ قطع المقتطف طبع بمطبعة العصور

عظماء بلوطرخس اشهر رسائل السيَر في الآداب القديمة والحديثة . بل هي المثال الذي يحتذى في هذا النوع من الادب . وقد قالت الانسكلوبيذيا البريطانية فيها ما معناه « ان سير بلوطرخس عمل مبني على علمٍ واسع وبحثٍ دقيق . فانهُ يورد لك قوائم طويلة من المراجع التي اعتمدها في تأليفهِ لذلك يرجح انهُ قضى وقتاً طويلاً في جمعها . ولكن مما توصم بهِ من جهة البحث التاريخي المجرّد ان الغاية الاولى من كتابتها ادبية. كذلك ترى ان ما كتبهُ عن عظماء الرومان لا تظهر عليهِ دلائل البحث الدقيق كما تظهر في ما كتبهُ من سير عظماء اليونان » . ولكن مهما يقال في اغلاط بلوطرخس التاريخية فلا ريب ان الكتاب كتاب ادب قلّت الكتب التي تجاريهِ في بلاغتهِ . وظهورهُ مترجماً الى اللغة العربية من الحوادث الكبيرة التي يشار اليها . فنحن نثني على ناقلهِ وطابعهِ ثناءً جمًّا ونتمنى للكتاب ما هو جدير بهِ من سعة الانتشار

مطبوعات جديدة

﴿ العدل الالهي واين اثرهُ في المخلوقات ﴾ كتاب علمي فلسفي وضعهُ الاستاذ حسن حسين وسنعود اليهِ في عددٍ تالٍ لانهُ صدر وهذا الجزء من المقتطف ماثل للطبع

﴿ المجمل في تاريخ الادب العربي ﴾ وضع هذا الكتاب الاستاذ محمد بهجة الاثري العراقي وتناول فيهِ ادب العصر الحاضر وصدر الاسلام والعصر الاموي . وسيليهِ الجزء الثاني . صفحاتهُ ٣٠٦ قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة العراق ببغداد . وسنعود اليهِ

﴿ الجامعة العربية ﴾ او مذكرة دعوتي العربية في الجمهورية الفضية تأليف الخواجه انطونيوس جمل منشىء مجلة العواطف وقد طبع في سانتياغو عاصمة تشيلي صفحاتهُ ١٦٠ قطع صغير

﴿ الشعراء والكاتبون ﴾ يحتوي على دروس في الشريف الرضي . ابن حمديس . البهاء زهير . محمد عبده . ونصوص ادبية لطلبة السنة الخامسة الثانوية بقلم الاستاذ محمد مختار يونس صفحاتهُ ٨٥ قطع صغير وقد طبع بمطبعة الاعتماد

﴿ محمد والمرأة ﴾ ومحاضرتان اخريان موضوع الاولى ابن خلدون في المدرسة العادلية وموضوع الثانية محاكمة وزيرين في امرين خطرين بقلم الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي نشرتها مجلة الكشاف البيروتية. صفحاتها ٨٣ قطع وسط وقد طبعت بمطابع قوزما بيروت

﴿ الكلمات ﴾ الكلمة الاولى في احوال العرب زمن جاهليتها واسلامها والثانية في احوال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب والثالثة في احوال معاوية وبني امية وضعهُ العلاَّمة السيد عبد الحسين نور الدين . صفحات الجزء الاول ١٥٦ وقد طبع بمطبعة العرفان بصيدا

﴿ فن القراءة والكلام والالقاء ﴾ لواضعهِ مصطفى الدمياطي بك وقد بسط فيهِ القواعد الاساسية التي تقوم عليها هذه الفنون الثلاثة وهي لدقتها تكاد تكون من الفنون الجميلة . واردف ذلك بقطع شعرية ونثرية مختارة من آداب العرب لتمرين الطالب . صفحات الكتاب ١٥٣ من القطع الصغير وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية

﴿ المؤتمر النسائي في بيروت ﴾ في سنة ١٩٢٨ عقدت جمعية سوريا و لبنان النسائية مؤتمراً عامًّا للبحث في شؤون المرأة وقد اشتركت فيهِ رسميًّا خمس وعشرون جمعية. وهذا الكتاب يحتوي على بيان وافٍ لاعمال المؤتمر واخطر قراراتهِ واهم الخطب التي تليت فيهِ صفحاتهُ ١٢٨ قطع وسط وقد طبع بمطبعة صادر بيروت

﴿ نماذج الانشاء ﴾ لطلاب الشهادة الابتدائية ومدارس المعلمين والمعلمات والمدارس الثانوية . تأليف الاستاذ محمد احمد سالم المتخرج في دار العلوم والمدرس بالمدارس الاميرية. صفحاتهُ ١٦٠ قطع صغير وطبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

﴿ علم الاخلاق ﴾ علم الاخلاق للمدارس الثانوية وفق المنهاج الحديث الذي وضعتهُ وزارة المعارف تأليف الاستاذ محمود البشبيشي ناظر مدرسة المعلمين بطنطا والاستاذ عبد الغفار طنطاوي استاذ علم الاخلاق بها صفحاتهُ ١٢٠ قطع صغير وقد طبع بمطبعة جريدة الحرية بطنطا

﴿ رسالة السلام ﴾ مجلة شهرية ادبية انتقادية اجتماعية انشأها الخوري انطون عقل رئيس كهنة كاتدرائية مارجرجس المارونية بيروت ورأس تحريرها يوسف افندي سعاده . . طالعنا عدديها الاولين فوجدناها يحتويان على طائفة حسنة من المقالات العلمية والادبية لاغنى لابن العصر عن مطالعتها . وهي تطبع بمطبعة جدعون بيروت

باب الاخبار العلمية

مذهب اينشتين والكسوف المقبل

لا يصدر هـذا الجزء من المقتطف وتتداوله ايدي قرائهِ حتى يكون علماء الهيئة من كل انحاء الارض منهمكين برصد الـكسوف الـكلي المقبل الذي يقع في ٩ مايو ١٩٢٩. ويشاهد هذا الـكسوف في منطقة تمتد فوق شبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية وجزائر الفيلبين . وقد اقتسمت الامم التي ارسلت علماءها لهـذا الغرض البلدان المذكورة فنزل العلماء الانكليز في ملقا والهولنديون في سومطرى والالمان في سيام والفرنسيون في الهند الصينية والاميركيون في الفيلبين . وينتظر ان يستغرق الـكسوف الكلي مدة تتراوح بين اربع دقائق وخمس دقائق وهي من اطول المدد التي يستغرقها كسوف كلي. اذ المعروف لدى علماء الهيئة ان متوسط الـكسوف الكلي يتراوح بين دقيقة واربع دقائق واطول مدة عرفت لـكسوف كليّ بلغت سبع دقائق وثماني وخمسين ثانية

وقد اخذ العلماء يستعدون لرصد هذا الـكسوف وتصويرهِ منذ ستة اشهر ونيف لان النتائج العلمية التي تترتب عليه خطيرة وفي مقدمتها امتحان مذهب اينشتين في النسبيّـة العامة. ففي سنة ١٩١٥ نشر اينشتين مذهبهُ العام في النسبية الذي عالج بهِ موضوع الجاذبية ومن مذاهبهِ فيهِ ان الفضاء في جوار جرم من الاجرام متحدب وان اشعة النور لذلك حين تمرُّ في جوار هذا الجرم تنحرف عن سيرها المستقيم . وقد حسب اينشتين مقدار ذلك الانحراف وقال للعلماء دونكم الارصاد اذا أيّـدت حسابي فمذهبي صحيح . وقد اشتغل العلماء منذ سنة ١٩١٩ برصد كل كسوف كلي للشمس ليحققوا هذه المسألة . ذلك انهم يرصدون موقع نجم تمرُّ اشعتهُ في جوار الشمس ملامسة لقرصها حين كسوفها الكلي ثم يرصد موقعهُ بعد انتقال الشمس من ذلك المكان في قبة الفلك ثم يحسَـب مقدار التغير في موقع النجم ويقابل على حساب اينشتين. والظاهر ان علماء الفلك مجمعون على ان الارصاد الدقيقة تؤيد حساب اينشتين مع قليل من الاختلاف في حسابات العلماء سببهُ اختلاف الاحوال الجوية وخطأ الآلات المستعملة. لذلك ينتظر العلماء بفارغ الصبر الكسوف المقبل الذي يستغرق نحو خمس دقائق ليبنى على نتائجهِ القول الفصل في هذا الموضوع

عيد كرستيان هوجنس
Huygens

لا نجد بين رجال العلم الذين نبغوا في القرن السابع عشر عالماً ابقى اثراً واخلد ذكراً من العالم الرياضي والفيلسوف الطبيعي والمستنبط الهولندي كرستيان هوجنس . وُلد في ١٤ ابريل سنة ١٦٢٩ في مدينة لاهاي اي منذ ثلاثمائة سنة في زمن كانت فيهِ مباحث كپلر وغليليو وغلبرت وهارفي آخذة في الذيوع وعاش حتى اتيحت لهُ قراءة « مبادىء » نيوتن التي نشرت سنة ١٦٨٦ ثم اختلف معهُ على مذهبهِ في طبيعة النور

درس القانون اولاً ولكن ميلهُ الى الرياضيات كان قد ظهر فيهِ منذ نعومة اظفارهِ ويقال انهُ لما اطلع ديكارت على بعض نظرياتهِ الرياضية ادرك تفوق عقلهِ وتنبأ لهُ بمستقبل علمي باهر

ومن اشهر آثارهِ العلمية اتقان التلسكوب باكتشاف طريقة جديدة لصنع العدسة وكان اول ما كشف عنهُ بتلسكوبهِ الجديد قمر زحل السادس . ثم علل حلقات زحل التعليل العلمي المعروف . وقادتهُ مباحثهُ الفلكية الى استنباط الساعة ذات الرقاص في يونيو سنة ١٦٥٧

وكانت شهرتهُ قد اخذت تذيع فنحتهُ جامعة انجرس سنة ١٦٥٥ اي وهو في السادسة والعشرين من عمره لقب دكتور في الشرائع وسنة ١٦٦٣ انتخب رفيقاً في الجمعية الملكية بلندن

وكان السياسي المشهور كارنو قد عرض عليهِ سنة ١٦٦٥ بالنيابة عن لويس الرابع عشر ان يتخذ مقامهُ في فرنسا فقبل وجعل مقرهُ « خزانة الملك » مدة ١٦ سنة لم يتركها الاَّ ليزور وطنهُ مرتين ثمَّ غادر فرنسا سنة ١٦٨١ وعاد الى وطنهِ

على ان مباحثهُ في طبيعة النور هي اعظم الاعمال العلمية التي قام بها ذلك انهُ اقام « مذهب التموُّج » على اساس علمي ثابت وكشف عن ظاهرة الاستقطاب ونشر سنة ١٦٩٠ « رسالة في النور » كان قد الفها في فرنسا سنة ١٦٧٨ ضمنها كلَّ آرائهِ هذه . ومات في مدينة لاهاي مسقط رأسهِ في يونيو سنة ١٦٩٥ مخلفاً رسائلهُ المخطوطة لجامعة ليدن

الجذام في مصر

ارسل الينا الدكتور يوسف غبريل صورة رجلٍ مجذومٍ من ناحية الزاوية مركز ومديرية الفيوم كان لهُ عمٌّ توفي بهذا الداءِ . وقد عالجهُ الدكتور غبريل بزيت الشولمجرا من الظاهر والباطن وتحسنت حالتهُ وبعد ما كانت اصابع يده متقرحة ظهرت في الصورة كأنها سليمة ويقول الدكتور غبريل ان العلاج

بزيت الشولجرا قديم جدًّا وانهُ استعملهُ منذ ثلاثين سنة لهذا الغرض وليس هو بالعلاج الجديد كما يظن بعض الذين كتبوا اخيراً في الموضوع

والحقيقة ان استعمال زيت الشولجرا في علاج الجذام قديم جدًّا. ففي بعض الخرافات الهندية ان ملكاً من ملوك برما اصيب بالجذام فحكم على نفسهِ بالنفي وفي منفاهُ علق حبَّ فتاةٍ مصابة بالجذام مثلهُ ثم اتصل بهِ فعل زيت الشولجرا في شفاءِ هذا الداءِ فتعالج بهِ هو وحبيبتهُ فشفيا وعاد الى بلادهِ وتزوج من الفتاة واسس دولة

وقد عني الدكتور بَوَر من معهد ولكم بلندن سنة ١٩٠٢ بتحليل هذا الزيت ومعرفة المواد التي يتركب منها فكشف في تجاربهِ هذه عن سلسلة جديدة من الحوامض تتركب من عناصر الكربون والهدروجين والاكسجين ومن خواصها ان شعاعة من النور المستقطب لا تخترقها بل تنحرف عن سيرها المستقيم في زاوية مقدار انفراجها ٦٢ درجة. ثم حلت هذه سنة ١٩١٩ الى مركبات آلية تدعى « اثل استر » وهذه المركبات لزجة كالزيوت لالون لها وهي المواد المستعملة الآن في معالجة الجذام حقناً في عضلات المصاب

فزيت الشولموجرا قديم وكان يستعمل شرباً ولا يفيد الفائدة الناجعة ولكن المواد المذكورة التي اشتقت منهُ حديثة وهي تعطى حقناً وقد جربت بضع سنوات متتابعة وعولج بها كثيرون من المصابين بالجذام في هنولولو بجزائر هواي فشفوا

عجائب العين اللاسلكية

وصفنا العين اللاسلكية في مقتطف مارس صفحة ٢٨٣ وبسطنا المبادىء العلمية التي تبنى عليها وقلنا انها تستعمل في الصناعة لشؤون شتى. فتنبهُ الحراسَ الى اللصوص بقرع جرس او تلفت مدير معمل الى ان الدخان في معملهِ تعدَّت كثافتهُ الحدَّ المعين او تقيس الحرارة الضئيلة التي تصلنا من السيارات والنجوم وهلمَّ جرًّا

وقد اطلعنا الآن على بعض اعمال جديدة لها في منتهى الغرابة . ذلك ان المستنبط جون بريسكي من مهندسي شركة وستنهوس الكهربائية صنع آلة مبنيَّة على هذه العين اللاسلكية تستطيع ان تفرز في معمل من المعامل رزماً لم يتقن لفها عن الرزم متقنة اللف . وقد جرَّب آلتهُ هذهِ امام جماعة من العلماءِ والمستنبطين والصحافيين فاخذ رزماً كثيرة بعضها لصق عليهِ ورقة صفراء عليها اسم المحل وماركتهُ المسجلة والبعض الآخر لم تلصق بهِ هذه الورقة ثم وضعها كلها في صندوق واخذت تسير منهُ على سيرٍ متحركٍ وتمرُّ تحت العين اللاسلكية . فمرَّت الرزمة الاولى والثانية والثالثة وكانت الورقة الصفراء ملصقة على

كلٌّ منها ولما جاء دور الرزمة الرابعة ولم تكن الورقة الصفراء ملصقة عليها ارتفعت يد حديدية من تلقاءِ ذاتها ورمت هذه الرزمة في صندوق خاص بذلك ثم استأنفت الآلة عملها كالاول تقذف بالرزم الصحيحة في صندوق والرزم الناقصة في صندوق آخر . وعلى هذا المبدإ تفرز لفائف التبغ وانواع الفاكهة واصناف الاقمشة المصبوغة

واستعملت آلة من هذا القبيل لاحصاء المدعوين الى مأدبة عشاء في احد فنادق نيويورك ذلك ان الآلة وضعت في احد جانبي الباب في مكان مخفي وصوّبت اليها شعاعة دقيقة من النور. فكلما دخل مدعوٌّ من الباب حال بين مصدر الشعاعة والآلة فيتحرك العدّاد المتصل بها . والمهندسون الآن مهتمون ببناءِ آلة دقيقة من هذا القبيل لاحصاءِ السيارات التي تمرُّ في النفق الذي حُفِر تحت نهر الهدصن بين مدينتي نيويورك ونيوجرزي

اصل الانسان

في آخر يناير الماضي كانت طائفة من عمال الطرق تشقُّ طريقاً في بلدة بجنوب افريقية تدعى سبرنغ بُك فلانس على ثمانين ميلاً الى شمال بريتوريا فعثرت في ارض جيرية على هيكل انسان وعظام نوعٍ منقرضٍ من الجاموس . فما شاع خبر هذا الاكتشاف حتى امتلأت الجرائد والمجلات في أوربا واميركا بوصفها وتصويرها والتكهن بما كان عليهِ شكل صاحبها . فرأينا ان نغتنم هذه الفرصة لنعدّ لمقتطف يونيو القادم فصلاً نلخص فيهِ مباحث العلماء في اصل الانسان واشهر الجماجم التي عثروا عليها

تكريم الرافعي

احتفلت طرابلس الشام في ابريل الماضي بتكريم الشاعر المجيد الاستاذ عبد الحميد الرافعي . ورأس الحفلة الشيخ محمد الجسر رئيس مجلس لبنان النيابي وحضرهُ الدكتور ابو الروس وزير المعارف والصحة فقلّد المحتفى بهِ وسام الاستحقاق اللبناني بالنيابة عن رئيس الجمهورية اللبنانية ، كما حضرهُ جمهور كبير من الفضلاء والادباء وتبارى فيهِ الشعراء والخطباء في وصف مناقب المحتفى بهِ . فنهنىء الاستاذ الرافعي ونتمنى لهُ عمراً طويلاً حافلاً بالمآثر

السيانوجن في المذنبات

اكتشف الدكتور بروفنيكوف احد علماء مرصد لِك ان في رؤوس المذنبات سيانوجيناً وهو من اشد السموم المعروفة فتكاً . ووجد ان اذناب هذه المذنبات مسمة كذلك لان فيها مقداراً كبيراً من اكسيد الكربون الاول وهو غاز خانق لانهُ شديد الالفة مع الاكسجين فاذا تنفسهُ الانسان اتحد باكسجين الهواء فيموت من يتنفسهُ اختناقاً

الجزء الخامس من المجلد الرابع والسبعين

صفحة

—++++—

الرواق في معبد ادفو
نقلاً عن صورة زيتية للاستاذ زكي شعبان
مقتطف يونيو ١٩٢٩
انظر صفحة ١٥

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الاول من المجلد الخامس والسبعين
١ يونيو سنة ١٩٢٩ — ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الاعصاب وفلسفة الجمال

انظر الى ازياءِ النساءِ من الطبقة العليا والوسطى التي تتغير الآن كل سنة او كل فصل في تفصيل الثياب وعقص الشعور وشكل البرانيط ونوع الاحذية والجوارب . فكلما ظهر زي جديد بعيدٌ عن المألوف كالترنير الواسع من اسفلهِ . والاكمام المنفوخة فوق الاكتاف . والقبات العالية الى الاذنين . والتنانير الضيقة التي تكاد تمنع لابستها من المشي . والتخينة التي عقبت الخصور الضيقة . والثياب القصيرة التي عقبت الثياب الطويلة الاذيال . واشكال البرانيط التي بعد ان كانت حوافيها منحنية الانحناء الهندسي الجميل يغطيها ريش النعام معما فيهِ من العلاقة بالظرف والجمال صارت قففاً من الخوص تكبُّ على الرأس حتى تغطيهُ وتغطي اكثر الوجه . فان كل زي من هذه الازياءِ كان الاكثرون يرونهُ قبيحاً عند اول ظهورهِ ثم تألفهُ العين رويداً رويداً ثم تستحسنهُ ولاسيما اذا رأت الحسان يتبعنهُ فتداق منظرهُ بمنظرهن فتستنبط لهُ حسنات تشفع بهِ . او اعتبر ما نشعر بهِ حينما نأكل طعاماً مخالفاً في طعمهِ كل المخالفة لما اعتدنا اكلهُ . فالسوريون الذين نزلوا هذا القطر استبشعوا طعم الملوخية حينما اكلوها اول مرة وكرهوا طعم الجرجير وحسبوهُ من انتن البقول . ثم لما رأوا كل احد يستطيب طعمها وكرروا الاكل منهما الفوهما وصاروا يستطيبونهما كاطيب المآكل . والانكليز والاميركيون الذين اتوا المشرق وذاقوا الزيتون اول مرة تأففوا

ولا يتعرض لصد الميول والرغبات التي تبدو لهُ، على غرابتها وخروجها عن المألوف في ذلك الزمان

وكان الفتى سيكورسكي مولعاً منذ نعومة اظفاره بالمسائل الميكانيكية والعجلات والفرامل وما اليها من الادوات التي تخفف عبء العمل اليدوي عن كاهل الانسان. وفي احد الايام كان جالساً امام نافذة في بيته فحانت منهُ التفاتة الى الخارج فرأى الثياب المغسولة معلقة على الحبل خارج الدار والريح تنفخ في قميص مكويّ من قمصان والده وتتقاذفها فخطرت للفتى وهو في الثامنة عشرة من عمره خواطر جعلتهُ في شبابه وكهولته من روّاد الطيران التجاري والحربيّ معاً. قال الفتى لنفسه اذا كان الهواء يستطيع ان يرفع قميص الاستاذ فماذا يمنعهُ من ان يرفع سطوحاً اخرى. وللحال انشأ يمتحن آراءه بصنع طيارات من الورق والكرتون. فلم تسفر تجاربهُ حينئذٍ عن شيء من النجاح الاَّ ان الخاطر ظلَّ يتردد في ذهنه وهو يتلقى علومهُ العالية في الاكادمية البحرية ومعاهد باريس ومعهد كيف الصناعي حيث توفَّر على العلوم الرياضية والهندسية. ولما اتمَّ علومهُ سنة ١٩٠٧ كانت شعوب الارض قاطبة مهتمة كلَّ الاهتمام بشؤون الطيران على اثر طيران الاخوين ربط الاميركيين سنة ١٩٠٣ واعادة تجاربهما ونجاحها في اميركا واوربا

قال سكورسكي: «ولما قرأت عنها عزمت في الحال عزماً قاطعاً على ان ابني طيارة. وكنت اتوق الى الاطلاع على رسومها الهندسية اقتداء للوقت. ومع شدة شوقي الى بناء طيارة كنت اتردد واحجم عند ما افكر فيما ينبغي لي بذلهُ من الجهد في عملٍ فرغا منهُ. على ان امراً واحداً شجعني وحملني على الاقدام ذلك اني كنت اعلم حينئذٍ ان الطيران في الامكان». فذهب الى ابيه وطلب اليه ان يمدّهُ بالمال لاستئجار العمال وابتياع المواد ففعل

وبالتفاؤل المأثور عن اكثر النوابغ اخذ سكورسكي يبني نوعاً من الطيارات يحسبهُ المهندسون الآن اعلى ما تبلغهُ في ارتقائها واتقانها — نعني طيارة الاوتوجيرو التي تصعد الى الجوّ عموديّاً وتحط على الارض عموديّاً كالطيارة التي بناها ده لاشيرڤا الاسباني في السنة الماضية بعد ما افنى المستنبطون حياتهم عبثاً في محاولة استنباطها

قال سكورسكي: كانت الفكرة خيالية حين انظر اليها الآن. ولكنها كانت فكرة المعية تستهوي العقول. ذلك اني كنت قد ادركت حينئذٍ ان اعظم عوائق الطيران قلة الميادين التي تستطيع الطيارات ان تنزل فيها فقلت لنفسي اذا استطعت ان ابني طيارة ترتفع في خطّ عمودي وتحطُّ في خطّ عمودي ذللت هذا العائق العظيم

وفي سنة ١٩٠٨ اعدَّ طيارتهُ الاولى المبنية على هذا المبدإ واجتمع جمهور كبير ليشاهدوا

ايغُر سكورسكي
مستنبط الطيارات متعددة المحركات

مقتطف يونيو ١٩٢٩
امام الصفحة ٥

الطيارة التي ينتظر ان تحدث انقلاباً في عالم الطيران ! فتقدَّم اليها سكورسكي وهو فتى لم يناهز العشرين وعلى وجههِ امارات الفوز فامتحن الاجنحة والعجلات ثم صعد الى مقعده وادار المحرك فتحركت الاجنحة ولكن الطيارة لبثت في مكانها. فسرَت بسمة السخرية على شفاهِ اصدقائهِ الا انهُ وجم مقطباً وقال في تؤدة وحزم « لقد اخطأت ولكنها تطير في المرة المقبلة »

وعاد الى دارهِ وطلب الى ابيهِ ان يمدَّهُ بالمال ثانية . فلم يسألهُ ابوهُ وهو العالم السيكولوجي العاقل في اي سبيل ذهبت النقود الاولى . وفي ربيع سنة ١٩١٠ حينما اجتاز بلريو الفرنسي بحر المانش كانت طيارة سكورسكي الثانية وهي من نوع الاوتوجيرو ايضاً مستعدة لامتحانها . فلما جلس في مقعدهِ وادار المحرك اهتزت الطيارة وارتجفت وارتفعت نحو خمس اقدام ثم هبطت وتحطم هيكلها على كتفي بانيها وسائقها . فأُفحم النقاد الذين جاءوا لينتقدوا ويهزأوا لان الطيارة طارت فعلاً طالت مسافة طيرانها ام قصرت . ومع نجاحهِ في تجربتهِ هذه الى حدٍ ما قرّر ان اوان هـذا النوع من الطيارات لم يئن بعد وحوَّل جهدهُ لصنع طيارة من نوع الطيارات المعروفة الآن . وقبل ختام تلك السنة كان قد وضع الرسوم الهندسية لثلاث طيارات كان ابوهُ عمدتهُ المالية في بنائها . ورقمها S,3 S,2 S,1 وتمكن من ان يطير بثالثها مدة ٥٩ ثانية

اننا نستغرب في هذا العصر ، وقد بلغت فيهِ اقصى سرعة الطيارات ٣١٨ ميلاً في الساعة ولبثت احداها في الجو اسبوعاً كاملاً ، كيف بذل هؤلاء الزعماء الروّاد الجهد الفكري والمالي سنةً تلو الاخرى ليحصلوا في ثلاث سنوات على طيارة لا تلبث في الجوّ اكثر من دقيقة واحدة ! ولكن يجب الاَّ نستصغر الاخطار التي كانوا يتعرضون لها في ايام الطيران الاولى. فالطيارون الذين يجتازون البحار ويطيرون فوق الجبال لا يتعرضون لمخاطر كالمخاطر التي تعرض لها سكورسكي مثلاً وهو جالس بين جناحي طيارتهِ لا يدري ماذا يخبئهُ لهُ القدر من خير او شر

قال سكورسكي : « لا شك ان الخوف كان يتملكني وانا طائر لاني كنت قد اعددت على الورق حركات مختلفة لادارة الطيارة وتغيير وجهتها ولكني لم اكن واثقاً اني اتمكن من تطبيق هذه الحركات تطبيقاً عمليًا . وفي الغالب كنت لا استطيع ذلك » . وفي السنة التالية بنى طيارتين حلـق بثانيتهما الى علو ٢٠٠٠ قدم وبقي ساعة في الجوّ يصعد وينخفض ويدور بالطيارة كما يشاء

في صنع الطيارات الحربية المشهورة التي استعملها الطيارون الفرنسيون في الميدان الغربي. واذ هو منهمك في عمله هذا وضعت الحرب اوزارها وعقدت الهدنة فتنفس الصعداء وجمع ما لهُ من عقار قليل وذهب الى الولايات المتحدة لانهُ شعر ان فيها يستطيع ان يبني الطيارة المثلى طيارة المستقبل كما يتصورها

على ان المصائب لا تأتي فرادى وحتى رجال الصناعة في الولايات المتحدة لم يفسحوا مجال العمل امام هذا النابغ الاَّ بعد خمس سنوات من هبوطهِ ارضهم. خمس سنوات قضاها في نكد وبؤس لا يكسب الاَّ ما يسدُّ بهِ رمقهُ . ولبث ينتظر مع مديرِ عمالهِ يوماً تنقشع فيهِ الغيوم عن عصر الطيران فلما بدأت هـذه الغيومِ تنقشع قليلا قامت في وجههِ مصاعب اخرى كان الفقر اهونها . فلما جمع مبلغاً قليلاً من المال وطائفة من المهندسين الروسيين وشرع في بناءِ طيارتهِ الاولى في اميركا اخذت الجرائد تهزأ منهُ وتثير عليهِ وعلى رفاقهِ عواصف الرأي العام. ولما تحطمت هذه الطيارة اشارت الصحف « الى تبدُّد شمل الملكيين الروسيين » ولكنهُ ظلَّ رابط الجأش شديد الثقة يقول لاصدقائهِ « اياكم والحقد . فالريادة عمل محفوف بالمكاره . النقد سهل ولكن الشجاعة تقضي بالمثابرة »

ولما عهد اليهِ سنة ١٩٢٦ في بناءِ طيارة لفونك الطيار الفرنسي المشهور صنعها لهُ مثلثة المحركات تحمل في احواضها ثمانية اطنان من البنزين فبلغت نفقاتها ٢٠ الف جنيه ولما اخرجها الطيار الجريء ليحاول الطيران بها من اميركا الى فرنسا جرت بهِ في منحدر الميدان ولم ترتفع فاصطدمت وانقلبت وتحولت لهيباً .كان تحطمها واحتراقها ضربة قاضية ولكنها لم تقض على ثقة سكورسكي بنفسهِ وفكرتهِ فمضى في عملهِ غير هياب وصنع لفونك طيارة اخرى . ثم بنى سنة ١٩٢٧ اول طيارة برمّية متعددة المحركات وطار بها وهـذه الطيارة كما يستدل من اسمها تستطيع النزول على سطح الارض وسطح الماءِ على السواءِ

ان معامل سكورسكي التي كانت اشباح الخمول مخيمة عليها لقلة العمل اصبحت تمجُّ الآن بالعمال ودورها الفسيحة تدوي بدمدمة الآلات المتحركة وينتظر ان يبنى فيها في سنة ١٩٢٩ مائة طيارة برمّية متعددة المحركات ثلاثون منها لوزارة البحرية الاميركية لانهُ اثبت ان هذه الطيارات التجارية تتحول الى طيارات حربية بادخال تغيير طفيف على بعض اجزائها. لقد دارت الايام دورتها فوجدت سكورسكي مستعدًّا لان يأخذ الفرص من ناصيتها شديد الثقة بالنفس وبفائدة العمل الذي وقف عليهِ حياتهُ فحملتهُ على صدر امواجها الى الذروة
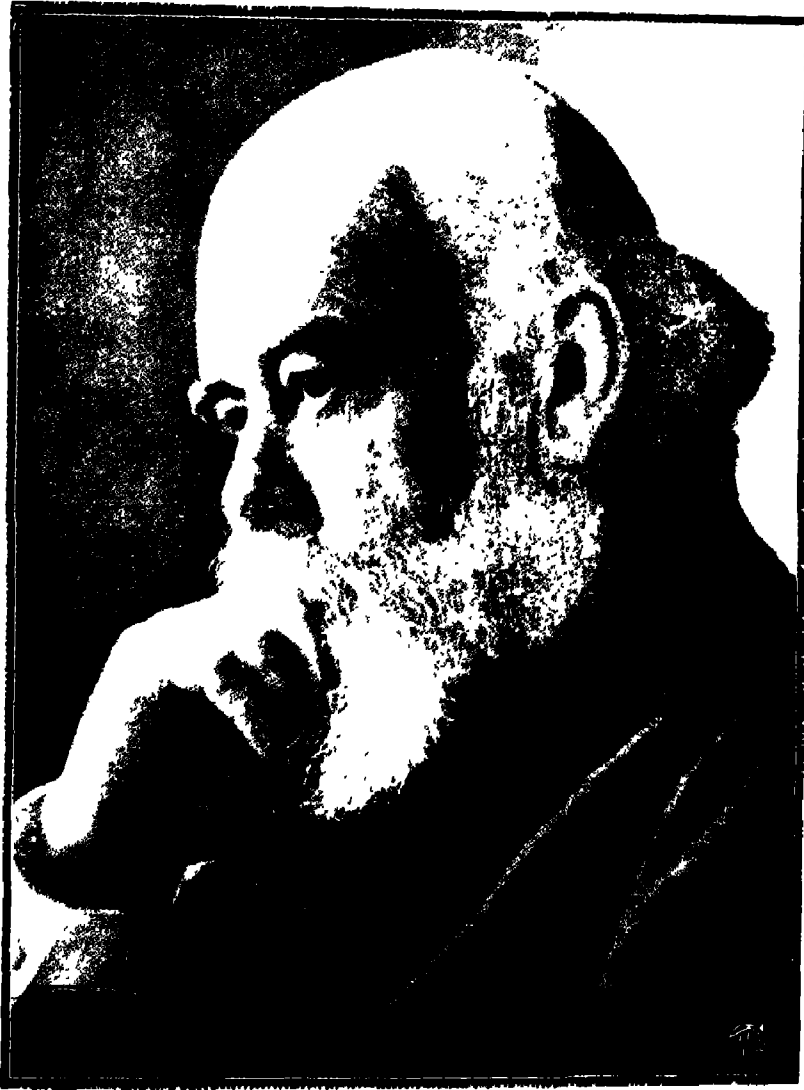
Oliver Lodge

السر اولفر لدج شيخ العلماء المعاصرين

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٩

للسير اوليفر لودج — خاصة للمقتطف

هل قوّض العلم اركان الفلسفة ؟

قيود المذهب المادي

هل يستطاع التوفيق بين طرق العلم ومذاهب الفلسفة

لقد بذلت مساعٍ كثيرة للتوفيق بين الفلسفة والمكتشفات العلمية الحديثة . فرجال العلم الذين يحاولون الكشف عن اسرار الوجود حملتهم مباحثهم على ان ينظروا اليهِ نظراً ميكانيكيًّا ماديًّا لظنّهم ان الرأي الميكانيكي قد يكون كاملاً في ذاتهِ او قريباً من الكمال. ومع انهم تقدموا تقدماً كبيراً في هذه الناحية من البحث نراهم خففوا قليلاً من سرعتهم عند ما بدت لهم ظاهرات الوجدان والادراك والعقل تتطلب تعليلاً . فساق ذلك طائفة منهم الى الريب في مكنة الاختبار من تفسير الكون تفسيراً صحيحاً متسائلين هل مذاهبنا العلمية الاّ اساليب سهلة لترتيب الحقائق المعروفة وتنظيمها ؟ غير انهُ صعُب عليهم ان يوفقوا بين النظر الفلسفي الكمالي المبني على التأمل العقلي وبين مقرّرات العلم المعينة قياساً وقيمة. كذلك وجدوا صعوبة كبيرة في التأليف بين النظر الفلسفي والرأي القائل ان الكون آلة اوتوماتيكية متصلة الاجزاء منتظمها تكفي نفسها بنفسها وان الظاهرات العقلية مظهر وهمي خارجي لا تعدو انها نتيجة للتفاعل المعقد بين الدقائق المادية . ان زمن «العلة والمعلول» قد انقضى في نظرهم ويجب ان يحلّ محلهُ نظر مجرّد الى تتابع الافعال الطبيعية . وان تكييف الغاية للوسيلة والجسم لبيئتهِ انما هو نتيجة لاحوال الحياة والوراثة ولا يدلُّ دلالة ثابتة على وجود غاية او نظام . لانهُ وان اعترف المفكرون بحقيقة النشوء امكن توفير الادلة على ان كلّ ما نراهُ انما هو تغير او تكيّف لا مندوحة عنهُ يقع وفقاً لمقتضيات البيئة من غير ان يفيد زيادة في قيمة النشوء توصلاً الى غاية معيّنة

ويقولون كذلك ان ما ندرسهُ بالعلم هو اشياء يستطاع قياسها ووزنها وفي امكاننا ان نضع لها نواميس كمّية دقيقة . ورجاؤنا انهُ كلما تقدم العلم تمكن من ان نحوّل كل شيء ، رويداً رويداً ، الى تتابع ميكانيكي محتوم يمثل فعل جسم مادي في آخر ، على طريقة نظام نيوتن الفلكي

هذا من جهة. ومن جهة اخرى نجد فريق المفكرين الذين يستوقفهم اساس الكون العقلي الكمالي قبل كل شيء . انهُ يتعذر عليهم ان يدركوا تفاعل الحياة والعقل مع المادة وان يفهموا معنى النظام الميكانيكي المادي من الوجهة العقلية الصحيحة . فكأن هناك اختلافاً بين ضدّين متنافرين لا يمكن حلهُ . والقول بان النشوء فعل اوتوماتيكي لا معنى لهُ ولا نظام تنبو عنهُ معتقدات جمهور كبير من الناس السذّج الذين يصغون لوحي بديهتهم . فاذا تعذّر التوفيق بين المذهبين تعرض هؤلاء خطأً منهم الى ان يخلوا عن حقيقة النشوء ذاتها مع توافر الادلة على ثبوتها

وهذا الموقف الاخير ، كيفما قلّبتهُ موقف عقيم

غير ان هذه الصعوبة دعت البعض الى الشك في شهادة الاختبار ، وحملتهم على اعتناق فلسفة دينية صوفية تترك كل المظاهر الطبيعية من غير تعليل. كأن حقائق الطبيعة وروح الانسان على طرفي نقيض . فلذلك نرى دعاة الرأي الواحد يتجاهلون دعاة الرأي المناقض

فالذين يرون ان « العلة والمعلول » ليسا سوى تتابع زمني ولا يجدون في النشوء سوى تغيّر مستمرّ يقفون في جهة واحدة . انهم تقدموا تقدماً عظيماً في ميدان بحثهم ولكنهم ميالون في الغالب الى ان يحسبوا النظر الكمالي نظراً خاطئاً غير جدير بالعلم وبالطرق العلمية. فالعلم قياسٌ في رأيهم وكل ما لا يستطاع تحويله (او لا يبدو عليهِ امكان هذا التحويل) الى قواعد رياضية مبنية على القياس غير جدير بالنظر

هذا المذهب الذي يعتنقهُ اكثر علماء الطبيعة والرياضيات هو ثمرة طبيعية للانتصارات العلمية الباهرة التي احرزوها في هذا الميدان من ميادين المعرفة الانسانية .وقد بدأ يتصل اثرهُ بعلماء الحياة ، فيما يطمحون اليهِ من الغايات . وفي بعض رسائل نيوتن التي بسط فيها ان غاية العلم العليا هي اسناد الظاهرات الكونية الى تفاعل القوى بين الدقائق ما يدعم هذا الرأي . ولكن يجب ان نذكر انهُ مهما يكن الرأي الذي يعتنقهُ علماء الرياضيات في هذا العصر فمبتدعوهُ العظام من عصر نيوتن الى الآن لم يكونوا قانعين بهِ لانهم شعروا فطرةً انهُ لم يكن كاملاً وان هنالك طرقاً اخرى ابعد غوراً واسمى حكمةً للنظر الى الكون. فقد حاولوا ان ينظروا الى الكون في جملتهِ واجزائهِ واعتمدوا على المشاهدة والاختبار ليقوداهم الى الغاية التي يتوخونها وهي الحق المجرّد الخالد

والظاهر ان هنالك شيئاً من العلاقة والاتصال بين عقل الانسان وحقائق الطبيعة بل لقد ذهب بعض المفكرين الى ان نظرنا الى الكون وتعليلنا للنظام الطبيعي ليسا الاَّ من مبتدعات العقل البشري وان حقيقة الوجود على ما هي — من غير نظر الى رأي

العقل فيها — يجب ان تبقى سرًّا مغلقاً. ففريق منهم يرتاب في النظام الميكانيكي وفريق آخر يرتاب في الغاية التي وجد من اجلها

ان التوفيق بين هذين الاتجاهين المتناقضين والتوحيد بينهما ثم ادغام الرأي الجديد في قانون عام شامل يجب ان يكون غاية الفلسفة الحديثة وغاية العلم الحديث

مهما تظاهر علماء النشوء بعدم اهتمامهم بالاسباب الاولى ووحدة الكون وفائدة النشوء لا يستطيعون ان ينكروا ان النشوء ليس تغيُّراً فقط بل هو تغيُّر يصحبهُ ارتقاء والانواع ترتقي من أشكالٍ دنيا الى اشكال عليا . هذا الاقرار يوجب القول بان « الكل » سائرٌ في سبيل التقدم الى كمالٍ نهائي وان مراحل هذا السير لا يمكن ان تخلو من القصد والمعنى

ولكن اصل الانواع لا يزال سرًّا غامضاً . فالمذهب القديم القائل بالخلق المستقل اي ان كل نوع من انواع الحياة خلق على حدة — ليس حلاً لهذه المشكلة الفلسفية لان طريقة خلقِ هذه الانواع يجب ان تدخل في دائرة البحث العلمي . وسواء كان النشوء العضوي عملاً متصلاً مستمرًّا بادت فيهِ انواع وانقرضت (فصار في سلسلة النشوء كلها حلقات مفقودة كثيرة) او كان هذا النشوء يتمُّ بحدوث تحوُّل فجائي يورَّث للاجيال المقبلة اذا كان مناسباً للبيئة مساعداً على البقاء (وعلى ذلك فليس في سلسلة النشوء حلقات مفقودة) كل هذه مسائل لا تزال مثاراً للجدال بين الباحثين

فالبحث والاختبار يدلان على ان التغيُّر والوراثة والتكيف وفق مقتضيات البيئة وتنازع البقاء وبقاء الانسب هي اسباب النشوء الحقيقية. ولكن كيف نشأت وجوه التغيُّر في انواع الاحياء وهل التكيف لمقتضيات البيئة يتم بسعي الفرد او بالتحوُّل الفجائي الذي لا حكم لهُ عليهِ، وهل هناك مبدأ اساسي وغاية لعمل النشوء — كل هذه مسائل لا تزال من غير جواب

فلكي نتقدم ، ونخلص من التصوف العقيم ، لا بدَّ لنا ، ونحن لا نملك علماً راسخاً بهذه الموضوعات ، شيء من الايمان — ايمان في ازدياد قيمة الوجود وفي مقدرة العقل البشري على تفهم الحق المجرد وفي فائدة الاختبار كرائد لنا في الوصول الى الحقيقة

ولا اريد ان اقصر لفظ « الاختبار » على كل الادلة التي تقع في دائرة الحواس فقط بل على ما نستطيع استنتاجهُ بوحي البديهة وبالنظريات التي تستنبط لتلقى بعد ما تساعدنا في الكشف عن حقيقة جديدة . فانا نستطيع ان ندرك الاجسام المادية بالاختبار كما نستطيع ان ندرك الحالات العقلية . وعلينا ان لا نهمل اي جانب من قوى الادراك اذا اردنا ان نفهم « الكلّ » فهماً كاملاً

اوراق الورد

رسالة الغضبى (1)

تحيَّرَ قلبي وهوَ ممتلئٌ بها   كما يملأُ المرآةَ ناظرُها ظلا
بأيّ مكانٍ فيهِ قد حلَّ شخصُها   وايُّ مكانٍ شخصُها فيهِ ماحلا ؟

لقد غضبتْ وكرَّ هجرُها على وصلها وانشقَّ الزمنُ زمنين أحدُهما مثلُها غضبانُ متبعدٌ وكأنما كان لها خاصّةً فلما ذهبتْ لحق بها

إنهُ الحبُّ يخلقُ بها خلقاً فيَّ وزمنها خلقاً في زمني ليُشعرَنا بهذا التغيير الخالق المتصرف أننا لا نتحابُّ في ذاتِ نفسينا بل في الجلال الاعظم الذي منهُ نفسها ونفسي ، فاذا تغاضبنا وقسمتنا أهواؤنا رجعنا قطعتين من المادة ليس في كلتيهما الاّ قانونُ الثقل . . . . وزادت عواطفنا وزناً جديداً من الغيظ

أين زمنها ؟ لقد فرغ وقتي منهُ حتى يخيَّلَ اليَّ أن اليوم الذي هو أربعٌ وعشرون ساعة لا يكملُ لي بعدها عشرين واربعاً . وأنظرُ في ساعتي ، فاذا كانت السابعة مساءً والتي اليها والتاسعة التي معهما (2) شُبّه لي وغُمَّ عليَّ وحسبتُ أن في هذه الساعة منطقةً خارجةً عن الزمن تخطاها العقرب ولا يشير اليها

أهي ألقت غضبها فيَّ أنا أم في حياتي وأيامي ؟

***

كلاَّ كلاَّ . لقد غضبتْ لتزيدَ في أسرار حبها سرَّ الماضي ، ولتمرَّ على أيامها اللينة مسحةٌ من القسوة تخلق فيها الى جمال الحقيقة جمالَ الذكرى

وكانت .... وتريد ان تأتيَ في الحب من وراء ماكانت فذهبت. وهذا في فلسفتها هو المجيء من وراء ما كان

الفرحُ بالجمال لذة تقتل نفسها . ولا يمسك على الجمال روحَ النعمة خالدةً في القلب الاّ الحزنُ بهِ احياناً ، كيوم الغيمْ ترى في سمائهِ قِطعاً كأنها الهاربة من الليل تختبئُ الشمس فيها ثم تسطع من بعدُ سطوعاً يخيل اليك انها ما توارت في خيمة الغمام الاّ لتنضوَ غلائلها الشفافة وتتعرى

(1) لما تغاضبا كتب هذه الرسالة فيما كتب لنفسه (2) كانت ساعات اللقاء على ما يظهر ....

يريد الجمال المعشوقُ أن يثبت فينا فيغيبَ عنا إذ كان بذلُهُ يُغني منهُ على قدر ما يعطي . فاذا هو امتنع وعزَّ منالُهُ كان جمالاً في نفسهِ بمعانيهِ وجمالاً فينا بالمعاني التي هي فينا ، وكان لهُ من اجتماع الحالتين حالةُ جمالٍ ثالث هي في ألم الرغبة المستعرة او ألم الغيظ المجنون . ومتى خلق لنا الجمال من قصر الزمن طولَ الزمن ، ومن المتاع بالحسن المعذاب بتمنّيه ، ومن الحبيبة الراضية حبيبةً هاجرة ، ومن الحاضرة غائبة ، فقد ارتفع عن انسانيتنا وجاءنا من ناحية سرّه الالهي

***

كلاّ كلاّ . لقد غضبتْ لأحبها صورةً مبهمة ليس فيها انسانةٌ بل حبٌّ إنسانة ، وانتزعتْ نفسها مني بعد ان انتزعتُ لنفسي كلَّ معانيها التي جمالها ماهي . ألا يا ثمرةً افرغت في قلبي عصيرها الحلو ! لئن بقيتِ ثمرة في لغة نفسك فانك القشرة في لغتي أنا . . . .

إنهُ ليس معي الا ظلالها ولكنها ظلالٌ حية تروح وتجيء في ذاكرتي . وكل ما كان ومضى هو في هذه الظلال الحية كأن لا يفنى . وكما يرى الشاعر الملهَم كلام الطبيعة بكلّه مترجماً الى لغة عينيهِ ، أصبحتُ أراها في هجرها طبيعةَ حسن فانٍ مترجمةً بجملتها الى لغة فكري . كان لها في نفسي مظهرُ الجمال ومعهُ حماقة الرجاء وجنونهُ ثم خضوعي لها خضوعاً لا ينفعني . . . . فبدَّلني الهجرُ منها مظهر الجلال ومعهُ وقارُ اليأس وعقلُهُ ثم خضوعُها لخيالي خضوعاً لا يضرُّها . . . . . .

كلما ابتعدت في صدها خطوتين رجع اليَّ صوابي خطوة . . . .

***

كلاّ كلاّ . فلا صواب مع مادة الفتنة ، وهل يفتتن الانسان الاّ حين يظهر مجنوناً بأسمى ما فيهِ من العقل ؟

أنا عاشق أضمُّ الطبيعة في مهجتي مُصَغَّرةً فأنا الأكبر . . . . ان هـذا لجنونٌ ولكنهُ عقل . وأنا عاشق أفسّر الطبيعة في هذه الحبيبة الجميلة فهي الأجمل . . . . ان هذا لعقلٌ ولكنهُ جنون

وقد كانت لهذه الحبيبة نظرةٌ معنوية هي مفتاحها في قلبي . وها هي ذي غضبَى نافرةٌ لا أراها ولا تراني ولكن المفتاح لا يزال يدور في قفله . . . . أجنون هذا أم عقل ؟ وهي الحبيبة ولكنها كالعدوّ صورة من أقسى ما في الطبيعة جاءت تمضي فيَّ قانوناً من عقوباتها . أعقلٌ هذا أم جنون ؟

لن يقال في الذي تحمله عاصفة وتطير بهِ إنهُ مسافر في طيارة . . . .

ولا في الذي رأى صورة دينار في مرآة فحطم المرآة ليأخذ الدينار إنهُ وجد شيئاً . .
ولكن يقال في الذي دلّـهُ الجمال إنهُ في نعيم الهوى
وفي المحب الذي يحطم قلبهُ على امرأة إنهُ وجد الحب

***

كلاً كلاً يا قلبي. إن الغضب يجمع جنون الحب من شخصين في شخص واحد . هأنذا يحوطني الآن هدوء الأشياء وابتسام الجمال الأزلي المفترّ عن نور الدنيا . أنا في كل ذلك ولست في هدأة ولا ابتسامة ، غريق في البحر ولا يبتلّ . . . .

لعمري لو غضب قاع الأقيانوس غضبة حب لانتفخ بهِ الغيظ حتى يعلوَ فوق الماء جزيرة جافة فلا يتندّى ولا يرق ولا يعود الاّ خِلقَةَ غيظ

فليكن ما طاوعَ مني هو الذي يأبى وما أحبّ هو الذي يبغض ولتأت على الحب غابرة الدهر وآخرةُ الليالي

لقد اصبحتُ أرى ألينَ العطف في اقسى الهجر ولن أرضى بالأمر الذي ليس بالرضا ولن يحسُنَ عندي ما لا يحسن ولن اطلب الحب الاّ في عصيان الحب . أريدها غضبى فهذا جمال يلائمُ طبيعتي الشديدة وحبٌّ يناسب كبريائي . ودع جرحي يَرَشّشُ دماً فهذه قوة الجسم الذي ينبت ثمرَ العضَل وشوكَ المِخلَب

أريدها لا تعرفني ولا أعرفها لامن شيء إلاّ لانها تعرفني واعرفها . . . . تتكلم ساكتةً واردُّ عليها بسكوتي. صمتٌ ضائعٌ كالعبث ولكنّ له في القلبين عمل كلام طويل . . . .

أما والله ما أدري أحاجتي في حبها كانت الى عزيمة أم الى صبر أم نسيان أم خضوع؟ يارواجف صدري اكل ذلك ليست منهُ فائدة ترجى فان حاجتي ان لا اكون عرفتها من قبل

وياقلب ! ما هي المعجزة التي يمكن أن تمنع الامر الذي وقع بعد ما وقع ؟

***

كلاً كلاً .ماذهب الحب وان الذي يكذّب حبهُ باظهار غيظهِ من الحبيب ليكذبهُ الغيظ.
واذا انتهى أمرٌ من الامر وبقي في نفسك حيًّا فما انتهى !
كلاً كلاً .ما استوفيتك يارسالة الهجر فما اكثَرَكِ عندي فنوناً وما اوسعك معانيَ في نفسي
كلاً كلاً . فلو اني كتبتك ملءُ ليل مظلم طال على محموم ، ثم اطلعتها عليك فأغضبتها ثم جاءت . . . . جاءت تسألني . . . . تسألني اكتبت هذه ؟
آه تالله إن اجبتها إلاّ « كلاً كلاً » . . . . (نسخة طبق الاصل)

مصطفى صادق الرافعي

شعر التصوير

الرِّواق : في معبد ادفو

الصورة للاستاذ الفنان شعبان زكي

نَظرَةٌ منكَ للرُّوَاقِ برسْمٍ … سَجَّلَ الفَنُّ فوقَ نظرةِ رائي

إنَّما الفَنُّ خالقٌ وإليهِ … تَتَنَاهى روائعُ الأشياءِ

هـذه لَوْحَةُ الجمالِ فراقِبْ … هذه العُمْدَ في حُلَى من رُوَاءِ

تجدِ الدانيَ المهيبَ بظلٍ … جامعَ النَّقْشِ من عجيبِ الأداءِ

يَتلاقَى الظَّلامُ فيهِ وأصبا … غُ كسيرٍ من الضِّياء النائي

وخُطُوطٌ طلاسمٌ هُنَّ للأُخْ … رَى وعَهْدٌ حَوَى ضَمِينَ الفِداءِ

واذا السَّقْفُ في الضخامةِ والمجـ … ـدِ عزيزٌ ، والعُمْدُ عُمْدُ السَّماءِ

وترَى النُّورَ وهو ينصبُّ ما بَيْـ … ـنَ فناءٍ لها عديمَ الفَناءِ

سالَ في صفرةِ النُّضارِ أو الورْ … سِ مَسِيلَ الشُّعاعِ في الصَّهباءِ

وكأنَّ الضَّخْمَ العَمُودَ يرَاعيـ … ـها يصونُ من خَشْيةِ الاعداءِ

يحرس النُّورَ مثل كنزٍ حوتهُ … حينما كلُّها كنوزُ البقاءِ

وترَى هذه السَّبائكَ تفتر … م بوحيٍ كمعجزِ الانبياءِ

وترَى النُّورَ من بَعيدٍ كسَهمٍ … يتناهى في شقِّ ذاكَ الفضاءِ

وتطيلُ التَّأمُّلَ الحرَّ حتى … تقتدي كالأسيرِ للقُدَماءِ

فاذا انت بني مختلف الاضوا … ءِ والظِّـلِّ عابدُ الاضواءِ

واذا انت رهنُ (معبد إدفو) … قرب (هوراس) خاشع في احتفاءِ

ابو شادي

اينشتين المفهوم

وهناك اينشتين غير المفهوم ، وهو صاحب الفروض الرياضية التي قيل عنها انها ألغاز مغلقة لا يفهمها الاّ اثنى عشر عالماً من كبار علماء الرياضيات في العالم كله ، وقيل بل لا يفهمها الاّ واحد فرد لا ثاني لهُ وهو اينشتين صاحب تلك الفروض . ونقول نحن ولا ذرة من الريب عندنا فيما نقول : بل لا يفهمها أحد على الاطلاق لا اينشتين ولا غير اينشتين لانها غير قابلة للفهم بطبيعتها فلن يحيط بعلمها أحد من بني الانسان . نعم لن يحيط بعلمها أحد من بني الانسان منذ كانت تتعلق بالبعد الرابع وحدود الكون وحقيقة الزمان والمكان وكلها اشياء لا يتناولها العقل الاّ بالفرض على طريقة الرياضيين او بالايمان على طريقة المتعبدين ولا فرق بين الطريقتين في اساس الفهم لان الفرض الرياضي والايمان الديني كلاهما اساسهُ التسليم

من ظن ان اينشتين حين يتكلم عن البعد الرابع يفهم ما هو هذا البعد الرابع أو يتخيله او يستطيع ان يتوهم لهُ شكلاً قريباً منهُ فخير لهُ ألاّ يجهد نفسه بقراءة شيء عن مذهب الرجل المفهوم او غير المفهوم لانهُ بعيد جداً عن طبيعة هذه المباحث منصرف جداً عن الناحية التي يتجه اليها هذا الضرب من التفكير . فالفهم الرياضي شيء والفهم العلمي شيء آخر يختلف اشد الاختلاف . الفهم الرياضي فرض يريحك من المسألة المجهولة بعلامة واحدة فاذا هي داخلة في حساب المدركات الرياضية تبنى عليها النتائج وتقام عليها القضايا وتفيد عندئذ كأنها كمٌّ محصور وان لم تكن هي بالكم المحصور ، اما الفهم العلمي فشيء آخر كما قلنا لانهُ توضيح لامر محصور فعلاً متمثل للذهن والحواس فعلاً فلا سبيل الى البحث فيهِ الاّ بعد الاحاطة بهِ من جميع جوانب الادراك التي يعرفها بنو الانسان

ان كتابة شيء بالعلامات الرياضية ليس معناها العلم بذلك الشيء والنفاذ اليهِ اذ كثيراً ما يكون معناها الجهل بهِ والعجز عن تصورهِ والرغبة في اقصائهِ جانباً ريثما تتسنى الرجعة اليهِ . ومن هذا القبيل البعد الرابع الذي يتحدث بهِ اينشتين وتلاميذه . فقصارى الامر فيهِ انهُ علامة موضوعة لكمٍّ مجهول سيظل مجهولاً الى ابد الآبدين ، وقد يلوح الآن انهُ أصعب فهماً من مذهب الجاذبية الذي ينقضهُ ويفسر الحركات السماوية بتفسير غير تفسيره — اما الحقيقة فهي ان فهم الجاذبية ليس باسهل من فهم البعد الرابع لاننا

ان نفهم الواسطة التي يتحكّم بها الجذب ولن تغنينا هذه الكلمة عن افتراض المجهولات التي لا تقلُّ في غموضها عن مجهولات اينشتين ،وغاية ما هنالك ان الناس ما برحوا يسمعون من عهد نيوتن — وقبل نيوتن — ان الارض تجذب الاجسام اليها فألفوا ذلك وكفوا عن البحث فيهِ وانهم لم يألفوا البعد الرابع بعدُ فهم لهذا يبحثون فيهِ ليدركوهُ وما هو من الادراك بسبيل

قال برتراند رسل الرياضي الفيلسوف : ان الرياضيات علم لا يعرف القائل فيهِ ما يقول ولا يدري أصحيح ما يقول ام غير صحيح[1]

وهذه قولة جد في ثوب من المزاح ، فكل فرض تفرضهُ ويسير معك الى نهاية المسألة في هوادة وسهولة فهو صحيح اوكالصحيح ، واكبر ما عدوهُ من دلائل الصحة لمذهب النسبية انهُ فرض استطاعوا بهِ ان يفسروا انحراف السيار عطارد على وجه اكمل من تفسير القائلين بمذهب الجاذبية. فما القول اذن وقد اخبرنا الاستاذ استيفان كرستسكو ان نتيجة اينشتين مطابقة تمام المطابقة للتعليل الذي ارتآهُ فون سولدنر احد الفلكيين الخاملين من علماء الالمان في سنة ١٨٠١ بغير التجاء منهُ الى البعد الرابع ولا اعتماد منهُ على هندسة غير هندسة الابعاد الثلاثة ؟ [2]

فسواء صح مذهب اينشتين أو لم يصح فالأمر المحقق الذي لا شبهة فيهِ هو انهُ مجرد تعليل لايخرج ولن يخرج من دائرة الفروض ولا يتعدى بنا ولن يتعدى نطاق المفهومات الانسانية التي قد تسعفنا في مجال التعليل ولكنها لن تنفذ بنا الى حقائق الاشياء ودخائل الاسرار

كان اسكندر مزكفسكي يحادث اينشتين في طبائع الاشياء والمدى الذي يستطاع البلوغ اليهِ في بحث تلك الطبائع فسأله : وهب انهُ كان من المستطاع ان تكشف عن جميع الطبائع التي في حبة الرمل فهل يتأدى بنا ذلك الى معرفة كاملة بالكون كلهِ ؟ الا يبقى اذن اي لغز غير محلول من الغاز الوجود ؟ فكان جواب اينشتين ان هذا السؤال يجاب بتوكيد لا تحفظ فيهِ « لاننا اذا عرفنا معرفة علمية كاملة كل ما يجري في حبة الرمل فلن يتأتى لنا ذلك الا على اعتبار واحد وهو اننا قد احصنا بجميع القوانين والحركات التي يشتمل عليها الزمان والمكان »

وهذا معنى يتفق فيهِ حكم العلم والهام الشعر ونسمع تنيسون يقول في مثله مخاطباً

(١) صفحة ٣٣ من كتاب حياة المكان لموريس مترلنك وصفحة ١٦٥ من كتاب خلاصة المعارف الانسانية لمؤلفه كلنت وود طبعة ريشارد

(٢) ص ٨٠ من كتاب حياة المكان لموريس مترلنك في الترجمة الانكليزية طبعة انوين

الزهرة قبل اينشتين باكثر من جيل : ايهِ ايتها الزهرة في الجدار المصدوع ! اني اقطفك من تلك الثقوب واضمك هنا كلك بجملتك وتفصيلك في راحة يدي ، وما انت كلك الاَّ زهيرة صغيرة . ولكني لو أتيح لي ان اعرف ما كُنهك وما انت بجملتك وتفصيلك لكنت حقيقاً ان اعرف ما الله وما الانسان »

ذلك هو في الحق أقصى مدى المعرفة الانسانية . فنحن لا ندرك البعد الرابع الذي لا نراهُ ولا ندرك حبة الرمل ولا الزهرة المحصورة في ايدينا من جميع الجهات . والا فقد عدونا طور الانسان وادركنا كل شيء في الوجود وهذا هو المطلب الذي لا يرام . هذا هو المستحيل

***

سلامٌ اذن على اينشتين الذي لا يفهمهُ الاَّ اثنى عشر على اكثر تقدير او الذي لا يفهمهُ أحد على اقل تقدير . وحسبنا الآن اينشتين الذي يعيش معنا في ابعادنا الثلاثة ولا يروغ منا بين الارقام الكثيرة في بعدٍ رابع بعيد القرار !

عاش مزكفسكي الذي سبقت الاشارة اليهِ زمناً وجيزاً مع اينشتين في عزلة عن الناس فسمع منهُ واخذ عنهُ وراقب احواله وحفظ كلامهِ ثم جمع ذلك في كتاب سماه « اينشتين الباحث[1] » فكان من احسن الكتب التي عرَّفت القرَّاء باينشتين الصميم . وهذا هو الرجل الذي نعنيهِ باينشتين المفهوم ونود ان ننقل بعض احاديثهُ الى قراءِ المقتطف الذين سمعوا كثيراً عن اخيهِ « غير المفهوم » وسيسمعون عنهُ كثيراً بعد ما سيكتبهُ الكاتبون عن رصد الكسوف الاخير عند جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية وجزائر الفيلبين

ما رأى صاحب النسبية في اللغة ؟ انهُ رأيٌ أقرب الى التعميم منهُ الى النسبية ، فهو يقول « في رأيي ان قيمة اللغات التعليمية مبالغ فيها كثيراً »

قال مزكفسكي . فسمحت لنفسي ان أستشهد بكلمة لا تزال مسلَّمة عند بعض الاساتذة وتلك هي كلة شارل الخامس الذي قال : انَّ كل لغة جديدة تكتسبها انما هي شخصية جديدة » . . . . وقال باللاتينيـة ما ترجمهُ الالمان في مثلهم المشهور « اللغة المضافة حاسة مضافة »

فقال اينشتين : اشكُّ في صدق هـذا المثل واعتقد انهُ لم يثبت قط على التمحيص . فالتجارب جميعها تنقضهُ . والاَّ وجب علينا ان نخول المكانة العليا بين المفكرين اناساً من

(١) طبعة مثيون Methuen

جبابرة اللغويين متريدانس ومتسوفانتي ، في حين اننا نستطيع ان نقيم البرهان على نقيض ذلك وهو أن امثال اصحاب الشخصيات العظيمة والذين كان لهم اوفى نصيب في حركة التقدم لم تكن مضاعفة احساسهم متوقفة على علم واسع باللغات بل أحرى ان يقال انهم كانوا يحاشون ان يثقلوا اذهانهم بما يرهق الذاكرة

واستطرد الى التعليم فقال ان الانسان ينبغي ان يتعلم ليربي له عضلات ذهنية وان التمرينات اللغوية فائدتها في هذا الباب اقل بكثير من فائدة التمرينات التي تعنى عناية خاصة بشحذ ملكات التفكير. وانتقل الحديث الى صعوبات التعليم فقال اينشتين : « لا ادري هل الصعوبات قائمة على نقص الاستعداد في التلميذ او على غير ذلك .فانني اميل الى القول بانها آتية من نقص الاستعداد في المعلم ، اذ يغلب بين المعلمين ان يضيعوا الوقت في اسئلة يراد بها اظهار ما يجهلهُ التلميذ وكان الأصحّ ان يراد بالاسئلة اظهار ما يعرفهُ او هو قادر على معرفته »

ودار الحديث مراراً على الادب فكان الذي استخلصهُ مزكفسكي من كلام العلامة في هذا الباب انهُ على رأي عمر بن الخطاب الذي يروى عنهُ انهُ أمر باحراق مكتبة الاسكندرية لانها اما ان تحتوي ما احتواهُ القرآن فلا حاجة اليها واما ان تحتوي ما ليس يحتويهِ فالخير في احراقها . . . وهكذا ينظر اينشتين الى مكتبة الادب بحذافيره على ما استخلصهُ مزكفسكي من مجمل كلامهِ . الا انهُ يعجب بشكسبير وجيتي ويذكر اسميهما بنغمة تخالطها التجلة والمحبة ، ويطرب للفنون طرباً لا يجدهُ في سواها . وقد قرأ « الاخوان كرمازوف » لمؤلفها دستويفسكي ففتن بها وسألهُ صاحبهُ عن طربه للفنون هل يعني بها غير الموسيقى ؟ فقال : انني في هذه اللحظة كنت افكر في الادب بصفة خاصة فعاد صاحبه يسألهُ : هل تعني الادب على الجملة او لديك كاتب بعينه تفكر فيه حين ذكرت ما تحسهُ من السعادة في مطالعة آيات الفنون ؟ فقال : اني عنيت الادب على الجملة ولكنك اذا سألتني عن الكاتب الذي آنق لهُ في هذه الساعة قلت لك انهُ هو دستويفسكي وكرر اسمه مرات تزداد فيها التوكيد مرة بعد مرة

قال مزكسفكي : « وكأنما اراد ان يعرب عن اعجابه اعراباً يقضي على كل اعتراض محتمل فقال ان دستويفسكي اعطاني اكثر مما اعطانيه اي عالم ، اعطاني اكثر مما اعطانيه جوس وهو عالم رياضي كبير

« قلت بعد سكوت يسهل تعليله : يا استاذ ! انك بذكرك هذين الاسمين العظيمين

في نفس واحد على ما بينهما من الاختلاف في طبيعة المواهب الفكرية انما تفتح المجال لبحث لا يتيسر الفصل فيهِ بكلمة ..... وكأنك حين تقول ان دستويفسكي اعطاك اكثر مما اعطاكه جوس تشعر بانك ماكنت لتجد « الاخوان كرمازوف » بغير وجود دستويفسكي ومن ثم تخسر ثمرة من ثمرات الحياة لا تعوض . اما جوس فانهُ لو كان اخفق في كشف بعض نظرياته في علم الجبر لكان من الجائز ان يظهر جوس آخر يتولى كشف هذه النظريات ، ولهذا تزداد قيمة الآيات الفنية في روعنا لاننا نشعر باننا معتمدون في خلقها على فرد واحد لا سواه . قال الاستاذ : نعم ولكن بشيء من التحفظ فان احسن ما استنبط جوس كان من ثمراته التي لا يشارك فيها بحيث لو لم يخلق لنا هندسة السطوح التي اتخذها ريمان اساساً لهُ لشق علينا ان نتخيل كيف يخلقها سواهُ . وأصرح لك — ولا اتردد — ان سروراً كهذا السرور من بعض الوجوه قد يتولانا حين نستغرق في بعض المسائل الهندسية »

ولعمري ان اعجاب اينشتين بالاخوان كرمازوف ليدل على ذات نفسه اضعاف ما تدل عليهِ جميع نظرياته وفروضه وارصاده . فقد يكون الرجل رياضيًّا عظيماً وليس فيهِ الاَّ آلة فكرية او بداهة لونية ، ولكنهُ لا يقرأُ دستويفسكي ويأنس بعبقريتهِ الاَّ وهو انسان حق الانسان واسع العاطفة بعيد الغور يتلقى وحي النفس الانسانية من جميع مهابطهِ ويتسع قلبهُ لآلام المعذبين وعيوب المنبوذين وضروب الخلائق التي تعيش في عالم الشهادة وكأنها تعيش في عالم الخفاء وتمت الى الحياة بسبب وثيق من قرابة الاحياء وللاحياء

***

يقول فيثاغوراس ومريدوه ان للكواكب السيارة في دورانها انغاماً كانغام العيدان وان العدد هو اساس الرياضة وهو اساس الالحان وكل ما في هذه الاكوان — وهو قول عميق الصدق مهما يظهر عليهِ من المجاز الشعري والتصوف الفلسفي فهو في اعتقادنا بيِّن الصحة من ناحية واحدة على الاقل وهي ناحيـة الاتصال الحميم بين الملكة الرياضية والملكة الموسيقية ثم الاتصال الحميم بين هاتين الملكتين معاً وبين سليقة التصوف والايمان . فللبداهة في جميع هذه الملكات دخل كبير وللرياضي والموسيقي مدد من وحي البصيرة والهام السريرة اكبر من المدد الذي يأتيهما من تجارب الحس وحقائق المشاهدة . وليس بالنادر بين الاطفال من ينبغ في العزف

على الآلات الموسيقية او ينبغ في اجراء العمليات الحسابية لان بداهة الطفولة في هذا المعرض لا تحتاج الى التجربة والمعلومات ، وليس بالنادر بين الموسيقيين والرياضيين من يؤمن بالغيب ايمان التسليم والاتكال لان كنز البداهة عندهم زاخر بالاطياف والاصداء التي يعبرون عنها بالانغام والارقام .وصاحب النسبية مصداق لما نقول ودليل على ان الالهام الرياضي والالهام الموسيقي قريب من قريب ان لم نقل انهما ينبوعان يفيضان من متفجر واحد .فانهُ شبَّ من طفولته الاولى كلفاً بالالحان ينظم الاناشيد في الثناء على الله ويلحنها ويرتلها في خلواته وصلواته . وهو الى اليوم مشغول بالموسيقى يجيد العزف على القيثار ومشغول بالحركة الصهيونية يقوم لابناء دينه في بعض المواقف مقام أحبارهم الاقدمين . وليس في ذلك كله غرابة عندنا لاننا نعتقد كما قلنا في غير هذا المقال ان الالهام صاحب الفضل الاول في الرياضة وفي الموسيقى وفي الدين او بعبارة أصح واشمل في «حاسة الدين» لان المرء قد يكون مطبوعاً على التدين وهو لا يأخذ بالظواهر التي تجري عليها بعض شعائر الاديان

***

واينشتين — وهو احد ابطال العالم الكبار — يحب البطولة العلمية ويعرف تقديس الابطال وتأليهم على منهاجهِ في التقديس والتأليه . ولكنهُ لا يحب ذلك الاعجاب الذي يزين لاكثر الناس ان يحلوا ابطالهم ما ليس لهم من المآثر والمعجزات . وهو على حق في هذه الخصلة لان الاكثار من اسناد الفضائل الى الابطال الذين نعجب بهم نقص في تقدير الابطال ونقص في تقدير الفضائل . كاننا لا نرى في فضائلهم الحقيقية الكفاية التي يستحقون بها ما نزيده لهم من الاعجاب والحب والتقدير

ذكر له مزكفسكي ما يذاع عن معجزات ليناردو دافنشي وكوبرنيكس وغيرهما من كبار المفكرين وما يقال عن سبقهم الى تقرير الفروض العلمية وانفرادهم بالاعمال التي يعجز عنها الكثيرون ،فكان رأي اينشتين ان انصار هؤلاء المفكرين يبالغون في تقديرهم وينسون ان بعض المآثر المنسوبة اليهم قد ترجع الى واحد قبل واحد من السابقين حتى تؤول في النهاية الى القدماء الأولين . فيصح ان يقال مثلاً ان كوبرنيكس الحقيقي هو هيباركس النيقي ، واذا رجعنا مائة سنة الى الوراء — اي الى ما قبل الفي سنة من هذا التاريخ — الفينا ان ارستاركس السامي كان يقول بدوران الارض حول محورها ودورانها حول الشمس في تلك الايام .وليس هناك من ضرورة تدعونا الى الوقوف هنا في رأي اينشتين

فان الاحتمال لا يمنع ان يكون ارستاركس مستمد من المصادر المصرية التي سبقتهُ

***

على ان اغرب الاتفاقات التي رويت في حياة اينشتين وكان لها معنى كمعنى النبوءة الالهية تلك القصة التي جاءت عرضاً في احاديث اينشتين وذكرها مزكفسكي في مستهلِّ كلامهِ على ترجمة الرياضي العظيم صاحب الآراء الطريفة في الكهربائية والمغنطيس. وذلك حيث يقول: « وحريٌّ بالتنبيه ان اول شيء استرعى التفات الطفل كان اداة من ادوات العلوم الطبيعية . اراه ابوهُ وهو في مهده ابرة مغنطيسية لغير غرض الاَّ ان يلاعبهُ ويسليهُ فكانت الابرة المعدنية المترجحة أول ما استيقظ لهُ ضمير الطفل ابن الخامسة ليدهشهُ من غرائب المجهول . وكانت دهشتهُ تلك كأنما هي شاخص يومئ الى روح البحث التي ما برحت مستكنة في اعماق خلده . ولتذكر هذه الواقعة النفسية دلالة فيما صار اليهِ اينشتين اليوم ، فهو على تيقظه للمشاهدات التي مرت بهِ في طفولتهِ لم يذكر انهُ التفت بالاً لسقوط الاجسام التي لا تعتمد على عمد ، وانما كان التفاتهُ الى الابرة المغنطيسية والى الابرة دون غيرها . فكأنما كانت هذه الآلة تخاطبهُ بلحن الغيب وتومئ لهُ الى ميدان الكهربائية والمغناطيسية الذي اهتدى فيهِ بعد ذلك الى نتائج بحثه المفيد»

ونقول ان هذه الحادثة من اغرب الاتفاقات التي رويت في حياة اينشتين لانها تشير الى علاقة المزاج بالافكار التي نعلل بها اسرار الوجود . فلا ريب ان التفات الطفل اينشتين الى الابرة المغنطيسية وقلة التفاته الى سقوط الاجسام مسألة من مسائل المزاج لامن مسائل التفكير . ولكنها انتهت الى ان تجعل اينشتين الكبير معرضاً عن تفسير حركات السماء بمذهب الجاذبية ومقبلاً على تفسيرها بما بدا لهُ من القوانين في ميدان النور والكهرباء

وحياة اينشتين بعدُ قليلة الغرائب لا يستخرج منها امهر الروائيين المشوقين قصة مقروءة في فصل صغير . وكذلك حياة معظم المفكرين الذين يعيشون في عالم الافكار ولا يعيشون في عالم الحوادث . وكأنما بالغت الطبيعة في اختصار رواية اينشتين فقيل عنهُ ان حياتهُ المدرسية كانت خلواً من كل ما يلفت النظر وانه كان تلميذاً وسطاً في جميع الدروس الاَّ في المحفوظات اللغوية فكان دون الوسط وكانت آفتهُ الملازمة انهُ قلما يحفظ الكلمات. ولعل هذا سر ذلك الرأي الاول الذي ارتآهُ في اللغات . فلا يقل الناظرون في الكلام « انظر الى ما قيل لا الى من قال » فانك لن تفقه ما قيل وان تعطيه حقهُ ومعناهُ الا حين تعرف من قالهُ وتعرف لم قال ما قال ؟

عباس محمود العقاد

حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ينظر بالمكرسكوب في زيارته الحديثة الى قسم الحشرات بوزارة الزراعة

تصوير ميشيل أنظر لمجلة « كل شيء والعالم »

مقتطف يونيو ٩٢٩
امام الصفحة ٢٣

اشهر الجمعيات العلمية المصرية

ونصيب جلالة الملك في انشائها واحيائها

على ذكر سفر جلالته الى اوربا

يضيق بنا المقام هنا لو حاولنا بسط النتائج التي اسفرت عنها الجهود الخالصة التي بذلها جلالة الملك وهو امير في سبيل تعميم الجمعيات والهيئات العلمية والانسانية النافعة وفي مقدمتها مساعيهِ التي كللت بالنجاح وادت الى تأسيس الجامعة المصرية فنقول انهُ ماكاد جلالتهُ يرتقي العرش حتى وجه عنايتهُ الى تنظيم اعمال الجمعية الملكية الجغرافية التي انشأها ساكن الجنان والده وما فتئ سموه يرعاها باهتمامه لما كان اميراً. فعادت الى اذاعة نشراتها الدورية العلمية وطبعت مطبوعات شتى وزعت على الجمعيات الجغرافية في البلدان الاجنبية، واستطاعت بمعونة جلالتهِ ومعاضدتهِ ان تطبع عدة مؤلفات قيمة كالسفر الذي اعدهُ المسيو جونديه عن ميناء السويس، والمؤلف الذي وضعهُ عن ميناء الاسكندرية، والاطلس التاريخي الذي عني برسمهِ لاظهار الادوار المختلفة التي تقلب عليها ميناء الاسكندرية منذ القدم، وقد اهديت هذه المطبوعات الى كبار علماء الجغرافيا في الاحتفال الذي اقيم في باريس في سنة ١٩٢١ للاحتفاء بانقضاء مائة عام على تأسيس الجمعية الجغرافية الفرنسية فاثنوا على الجمعية الجغرافية المصرية ووضعوها في المنزلة الاولى بين الجمعيات الجغرافية الدولية. واشتغل المسيو ديلارونسيير — وهو من كبار علماء الجغرافيا في العالم — ثلاث سنوات كاملة في وضع مؤلف يتضمن حالة القارة الافريقية من الوجهة الجغرافية في العصور الوسطى وذلك باقتراح من جلالة الملك وبتشجيع متواصل منهُ فجاء المؤلف من انفس المؤلفات وقد عرض على المؤتمر الجغرافي الدولي حين التأم في القاهرة في سنة ١٩٢٥ فنال استحساناً عاماً لم يقلَّ عنهُ الاستحسان الذي ناله كتاب المسيو جورج دمران الموظف بشركة قناة السويس وهو الكتاب الذي سماهُ «اسطول بونابرت عند شواطىء مصر»

ولم يقصر جلالة الملك عنايتهُ على الجمعية الجغرافية بل شمل بها ايضاً معهد الاحياء المائية وهو المعهد الذي كانت فكرة انشائهِ قد خطرت لجلالتهِ في سنة ١٩١٢ ولم يستطع يومئذٍ اخراجها الى حيز التنفيذ لصعاب شتى اعترضت لهُ فعكف على تذليلها واحدة فواحدة الى ان اتيح لهُ في سنة ١٩١٥ الشروع في تحقيق هذه الفكرة بصفة جدية فما حلت سنة ١٩١٧ حتى كانت جميع الاعمال التمهيدية لانشاء المعهد قد تمت فانتهز جلالتهُ

فرصة اعتلائهِ العرش في اواخر تلك السنة واصدر مرسوماً ملكيًّا في ٢٨ يناير سنة ١٩١٨ اعلن فيهِ انشاء معهد الاحياء المائية رسميًّا وشملهُ بالرعاية الملكية السامية

وفي سنة ١٩٢١ اضاف اليهِ جلالته بناية جديدة لتستعمل كمكتبة ومتحف للمعهد ولكي يبثّ جلالته حبّ المباحث المائية في نفوس ضباط البحرية المصرية الحق بهِ ضابطين من ضباط اليخت الملكي « المحروسة » ليشتركا في دروسهِ ومباحثهِ ويكونا صلة الاتصال بينهُ وبين زملائهما من ضباط البحرية . واخيراً عهد جلالتهُ الى البروفسور سانزالايطالي في وضع رسوم دار جديدة تشيد لهذا المعهد

وكان بديهيًّا ايضاً ان يهتم جلالة الملك برفع مستوى جمعية الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع فهو الذي اقترح تأليفها ، وهو الذي عمل بنفسهِ على انشائها ، وهو الذي وضع اهم مبادئ البرنامج الذي تضمن الاغراض التي بعثت على تأسيسها ، فكان من نتيجة هذا الاهتمام الذي ما انقطع جلالته عن ابدائهِ نحو هذه الجمعية بعد اعتلائهِ الاريكة الملكية ان عدد اعضائها والمنتسبين اليها ما برح يزداد كل سنة . وتعنى ادارة الجمعية على الدوام باعداد محاضرات نفيسة في مختلف المسائل المتعلقة بالاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ثم تعمد الى نشر هذه المحاضرات في مجلتها الدورية التي تصدر بانتظام باللغة الفرنسية باسم « l'Egypte Contemporain » وقد استطاعت في السنوات الاخيرة ان تبني لمكاتبها داراً فخمة في شارع الملكة نازلي معتمدة على هبات جلالة الملك الذي حرص على ان تعقد لجان مؤتمر الملاحة جلساتها في غرفها تعزيزاً لمنزلتها وتنويهاً بمكانتها

وليس في مصر بين المثقفين من يجهل قيمة الفائدة العلمية الجليلة التي يجنيها طلاّب العلم بوجود جمعية علمية نافعة كالجمعية الطبية المصرية التي انشئت في سنة ١٩٠٨ واستطاعت بعد زمن قصير من انشائها ان تضم اليها عدداً كبيراً من الاطباء المصريين . فلما جاءت الحرب العظمى اضطرت الجمعية ان توقف اعمالها في اثنائها ولكنها ما لبثت ان عادت الى استئناف نشاطها بعد عقد الصلح على منوال نال ارتياح جلالة الملك فتفضل في سنة ١٩٢٤ وشملها برعايتهِ واصدر مرسوماً ملكيًّا اجاز لها فيهِ ان تطلق على نفسها اسم « الجمعية الملكية الطبية المصرية » وهو نفس المسلك الذي سلكه جلالته تجاه جمعية الحشرات ، فانهُ غداة تربعهِ في دست الملك شمل هذه الجمعية برعايتهِ وعكف على تشجيعها وتعزيز مواردها وفي شهر مايو سنة ١٩٢٣ اصدر جلالتهُ مرسوماً ملكيًّا وضع فيهِ جمعية الحشرات الملكية تحت رعاية الحكومة المصرية ونفحها من الهبات ما ساعدها على تشييد دار كبيرة خاصة بها الى جانب الدار التي شيدتها جمعية الاقتصاد السياسي في شارع الملكة نازلي بالعاصمة

رسم تخيلي فالشخص الكبير يمثل صاحب جمجمة روديسيا (١٩٢٢)
والصغير صاحب جمجمة تونغز بجنوب افريقية (١٩٢٥)

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٥

اصل الانسان ومنشؤهُ

تاريخ اشهر الجماجم التي وجدت ودلالتها

العلاقة بين الانسان والقردة

يقف الانسان على قمة « الحاضر » ينظر منها الى الوراء والى الامام ، ليتعرف اصلهُ ومنشأهُ وليتكهن بمستقبلهِ ومصيرهِ . على ان العلوم تتفاضل في فائدتها المادية . فمنها ما لا يمكن الاستغناء عنهُ كالعلوم الطبية التي بها حفظ الصحة ودفع المرض . والعلوم الزراعية التي بها احياء الارض وتكثير غلتها . والعلوم الآلية التي بها تسهيل الاعمال وتقليل المشاق. ومنها ما فائدتهُ ادبية ترتاح لها النفس في الغالب وان كانت لا تخلو من فائدة فلسفية عملية كالبحث عن اصل الانسان وكيف وجد وفي اي زمن وهل طوائفهُ كلها من اصل واحد. واهتمام الغربيين بهذه المباحث عظيم جدًّا يجمعون لها النقود وينشئون المتاحف ويرسلون البعثات الى اقاصي الارض للبحث والتنقيب . فهل يتاح لنا يوماً ما ان ينشأ بيننا من يعنى بهذه المباحث بعض عنايتهم بها ؟

دلالة الاعضاء الأثرية

في جسم الانسان اعضاء كثيرة لا وظيفة لها الآن . ولا يستطاع تعليل وجودها تعليلاً معقولاً الاَّ اذا حسبنا ان الانسان منحدرٌ او بالحري مرتقٍ من حيوانات كانت تأوي الى اغصان الاشجار . ولكثرة هذه الاعضاء وضع الاستاذ وود جونز كتاباً خاصًّا بها سمَّاهُ « الانسان الشجري » حتى لقد قيل انهُ لو لم توجد الاشجار لما وجد الانسان على حالتهِ الراهنة

فاذا كان هذا الاستنتاج صحيحاً تطلعنا بحكم الطبع الى القردة العائشة الآن لنفهم حالة الاحياءِ المنقرضة التي تسلسلنا منها . فالعلاقة التي بين الناس والقردة لها اساس علمي ولا تعتمد على خيال بعض المفكرين فقط . على ان العلم لا يعترف قط بان القردة الحية الآن هي سلالة القردة التي نشأ منها الانسان من غير ان يطرأ عليها تغيير ما . لانهُ كما ارتقى الانسان على مرّ العصور حتى اصبح منتصب القامة هكذا ارتقت القردة فصارت اعظم براعة في تسلق الاشجار . والاصل الحيواني العام الذي نشأ منهُ فرعا القردة والانسان لم يكن

منتصب القامة كالانسان ولا بارعاً في تسلّق الاشجار كالقردة الآن . وما يقال في هذه الصفة يقال في صفات كثيرة اخرى امتاز بها الانسان او امتازت بها القردة بعد انفصال فرعيهما من اصل عام . فالعلم اذاً يشير الى اصل حيواني عام متغلغلٍ في التاريخ نشأ منهُ الانسان والقرد في خطين منفرجين يزيدان انفراجاً كلما نشأت صفات جديدة في ابناء كل فريق منهما تختلف عن صفات الفريق الآخر. والمرجح إن هذا السلف العام كان يسمى قرداً لو كان حيًّا الآن الاَّ ان تسميتهُ كذلك ليست الاَّ على سبيل التجوز لانهُ يختلف كل الاختلاف عن القردة المعاصرة

على ان الحيوانات التي انقرضت في العصور الغابرة لم يحفظ منها في طبقات الارض سوى الاجزاءِ الصلبة من اعضائها التي تقاوي انياب الدهر وتقاوم فعل الانحلال . لذلك يتعذر علينا ان نجد من آثار اسلاف الانسان والقردة شيئاً سوى بعض العظام والاسنان. ومن هذه الآثار يستطيع العلماء ان يستنتجوا وصف الاعضاء التي انحلّت وفنيت وان يتصوروا شكلاً عامًّا للقرد او للانسان التي وجدت آثاره

اسلاف القردة والانسان

ان ما يعرف عن القردة التي نشأ منها فرعا الانسان والقردة المعاصرة نزرٌ واقدم الآثار المعروفة بعض فكوك سفلى صغيرة وبعض انياب ضعيفة وجدت في مصر . ويليها في القدم فكوك واسنان لنوع من القردة يدعى الجبون وسعادين حجمها قدر حجم الشمبانزي وجدت في اوربا الوسطى وفرنسا واسبانيا . ولم يوجد من هياكل هذه الحيوانات سوى عظمة واحدة هي عظمة فخذ . ثمَّ عثر على فكوك واسنان كثيرة في الهند ولكنها خاصة بانواع مختلفة من القردة . وقد وجدت حديثاً جمجمة غير تامة لحيوان حديث السن في بلدة توْنغز بجنوب افريقية . وصفات هذه الجمجمة لا تختلف اختلافاً كبيراً عن صفات قرد معاصر حديث السن . الاَّ انَّ فراغها في حالة لا تمكن الباحث من موازنة علمية دقيقة

ان مميزات الهيكل العظمي في طائفتي القردة والناس خاصة بكل نوع منهما لذلك يسهل تمييز هيكل الواحد عن هيكل الآخر . ففراغ الجمجمة في القرد حيث يستقرُّ دماغهُ اصغر من فراغها في جمجمة الانسان . وعظام الوجه بالنسبة اليها اكبر في القرد منها في الانسان واكثر بروزاً . أما جمجمة الانسان فاكبر وجبهته عالية عريضة . ثانياً ترى عظم الحجاج فوق العينين في جماجم القردة اكثر بروزاً وتكاد لا ترى لبروزهِ اثراً في جبهة انسانٍ معاصر كما ترى في الصورة العليا . ثالثاً ترى عظم الذقن في القردة مرتدًّا الى الوراء والانياب كبيرة متراكبة كما تراها في فم كلب او قطة . اما في جمجمة انسان حديث فترى عظم

الذقن بارزاً والانياب غير كبيرة وتنتظم مع باقي الاسنان كأنها حبات في سمط . رابعاً في كل انواع القردة حتى نوع الجيبون تجد السلسلة الفقارية مستقيمة. اما في الانسان الحديث فهي شبيهة بحرف S وذلك لتمكن الانسان من الانتصاب . خامساً في كل انواع القردة الحيّة تجد الذراعين اطول منهما في الانسان اذا حسبت النسبة بين طول الذراعين وطول بقية الاعضاء .والابهام الاكبر في رجل القرد معدّ للمسك كالابهام في يد الانسان. سادساً ان عظمة الفخذ في القرد مقوّسة قليلاً على العالب وعظم القصبة قصير وثخين وفقاً لمقتضيات القامة المقرفصة . أما عظمة الفخذ في الانسان الحديث فمستقيمة لانهُ منتصب القامة

فاذا كان الرأي القائل بان اصل الانسان والقرد يرجع الى اصل قردي سابق لكليهما وجب ان تكون اقدم الهياكل العظمية الانسانيه التي يعثر عليها اكثر مشابهة لهياكل القردة في الامور المتقدم ذكرها من هيكل الانسان المعاصر . اي انهُ لا بدَّ لنا من ان نجد بين الاحافير حلقات مفقودة . ولكن درس آثار الحيوانات المتحجرة تدل دلالة واضحة على اننا لن نستطيع العثور على سلسلة مطردة الارتقاء من الهياكل العظمية تصل بين القرد القديم والانسان . وما ينتظر العثور عليهِ انما هو اشكال مختلفة يقترب فيها الانسان القديم في صفات مختلفة من مميزات القردة . والخلاصة ان نوع الانسان الذي يملك الارض الآن انما هو نتيجة محاولات مختلفة حاولتها الطبيعة لتخلق نوعاً من الاحياء يستطيع بدماغهِ الكبير المعقد التركيب ان يقوى ويسيطر على سائر اشكال الحياة

انسان جاوى

والصعوبة في البحث عن اصل الانسان قلة الآثار التي وجدت والتي يرجع تاريخها الى زمن قبل الزمن الذي تعلم فيهِ الناس دفن موتاهم . قبل ذلك الوقت لم يتيسر لآثار انسان ما ان تحفظ الا اذا اتفق لها ان تقع في ثقب من الارض او قعر نهر او بحيرة حيث يتراكم عليها الطمي والرمل والحصى فتحفظ كذلك . وقد عثر حتى الآن على آثار عظمية لاربعة او خمسة من هؤلاء الناس الذين اتيح لهم ان تحفظ عظامهم اتفاقاً

واول هذه المكتشفات تمَّ على يد الاستاذ اوجين ديبوى سنة ١٨٩٢ في قعر نهر قديم بجزيرة جاوى ووجد معها وبقربها في طبقة الارض ذاتها آثار انواع منقرضة من الفيل ووحيد القرن وغيرها من الحيوانات المماثلة لها التي تمتُّ بصلة القربى الى بعض الحيوانات التي لا تزال حيّة الآن في جزائر الهند الشرقية . وأعظم قطعة عظمية وجدها الاستاذ ديبوى كانت القطعة العليا من جمجمة حجمها حجم جمجمة رجل صغير ولكن

عظم حجاجيها فوق العينين كبير شديد البروز يشبهُ حجاج القرود على انَّ آثار الدماغ في باطن الجمجمة تدل على ان صاحبها كان بشريًّا في صفتهِ الاساسية . ووجد سنَّان ليسا مثل الاسنان البشرية ولكنهما شبيهان باسنان الجبون الذي يقطن بعض غابات جاوى الآن . أما عظمة الفخذ التي وجدت فمستقيمة كعظمة الفخذ في انسان معاصر ولكنها مصابة بداء من طرفها الاعلى وقد يكون صاحبها منتصب القامة. فاذا كانت كل هذه الآثار العظمية تخص شخصاً واحداً ، وهذا مرجح ، فهي تمثل نوعاً من اسلاف الانسان كان قريباً من القردة بحجاجيهِ البارزين واسنانهِ او هو يمثل جبوناً كان لهُ دماغ اكبر من ادمغة الجبون في الغالب . لذلك دعي صاحب هذه الآثار « بيثاكانثروبوس » اي « القرد الانساني » والآثار محفوظة الآن في متحف تايلر بهارلم من اعمال هولاندة

انسان هيدلبرج

وقد تمَّ الاكتشاف الثاني لآثار انسانية مطمورة في طبقات الارض يرجع تاريخها الى قبل العهد الذي تعلم فيهِ الانسان ان يدفن موتاهُ ، على ايدي الاستاذ اوتو شويتنساك الالماني سنة ١٩٠٧ في طبقة كثيفة من الرمل رسبت في قعر نهر ببلدة موَر قرب هيدلبرج ومن ثمَّ نسب صاحبها الى هيدلبرج . والاثر المهم الذي وجد كان فكًّا اسفل مع عظام واسنان يرجَّح انها لفيل ووحيد القرن وفرس النهر وغيرها من الحيوانات التي كانت تقطن اوربا في عصر البلستوسين . والفك كبير ضخم ومع انهُ يماثل الفكوك البشرية في اكثر مميزاتهِ الاَّ انهُ يختلف عنها في ارتداد ذقنهِ الى الوراءِ فيماثل في ذلك فكَّ القرد . ولكن وجدت في الفك اسنان مثل اسنان الانسان منتظمة انتظاماً حسناً وانيابها متناسبة في حجمها مع باقي الاسنان . فهذا الاثر يمثل نوعاً من الناس دعي هومو هيدلبرجنسس اي انسان هيدلبرج ولكنهُ لم يكن قد ارتقى كلَّ الارتقاءِ بعدُ بدليل ارتداد عظمة ذقنهِ. وهذا الفك محفوظ الآن في المتحف الجيولوجي بجامعة هيدلبرج

انسان بلتدون

ثم كشف الاستاذ تشارلس دوصن سنة ١٩١٢ عن آثار في قعر نهر قديم في بلدة بلتدون من مقاطعة صسكس الانكليزية ويعود عهدها الى عصر البلستوسين في مفتتحه . وكانت الآثار مؤلفة من قطعة من جمجمة انسان ونحو نصف فك اسفل فيهِ ضرسان وناب واحد ومعها آثار فيل وفرس نهر . اما الجمجمة فتشبه جماجم بعض الاقوام المنحطة الحية في ان عظامها كثيف ولكنها فريدة في ان بناء العظم خلوي يمكنهُ من مقاومة اللطم وتحملهِ . وهي كذلك خالية من ارتفاع عظمي الحجاجين فوق العينين فتشبه من هذا القبيل
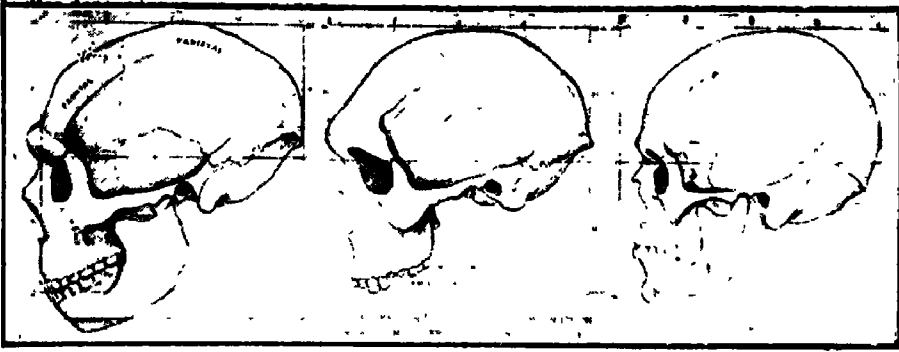
جمجمة انكليزي معاصر   جمجمة روديسيا (١٩٢٠)   جمجمة لاشابل (١٩٠٧)
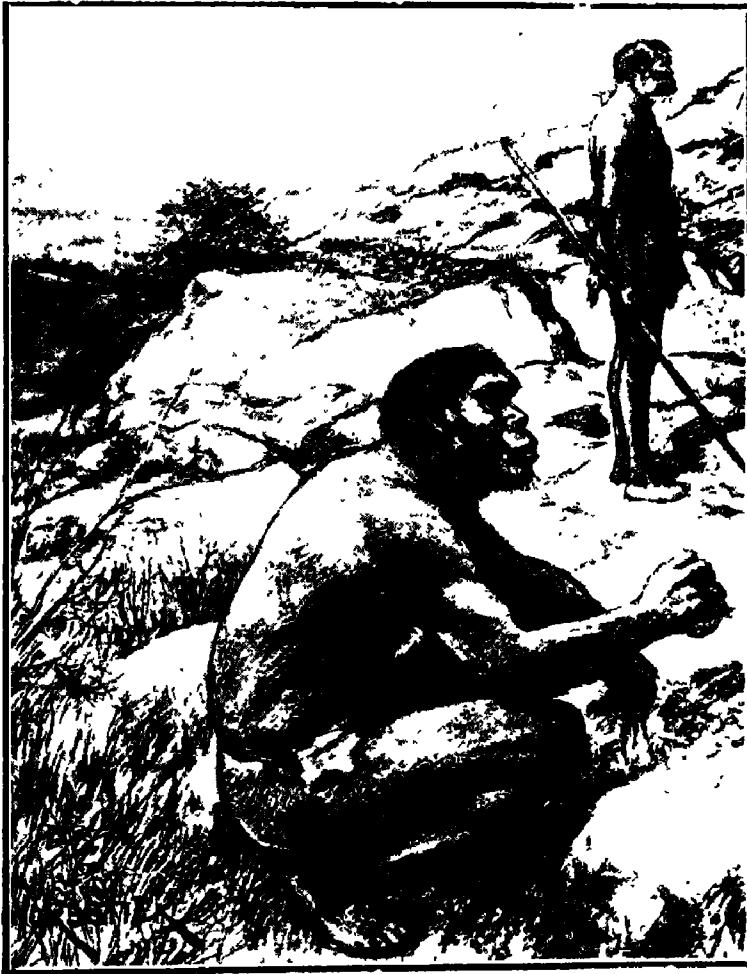
صورة مبنية على الخيال والعلم للانسان الافريقي

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٩

جمجمة انسان حديث وجبهتها عالية ولكن اعلى الرأس واطيء وكذلك عظمة القفا عريضة وواطئة اما الدماغ فالمرجح انهُ كان بشريًّا في مميزاته واكبر من اصغر دماغ بشري معروف الآن في مقدارهِ . على ان الجمجمة على العموم غريبة والمرجح ان صاحبها كان انساناً يختلف كلَّ الاختلاف عن الانسان الحديث . اما الفك الاسفل فضعيف ولكنهُ مستطيل يستدل منهُ على ان وجه صاحبهِ كان كبيراً وعظمة الذقن مرتدة الى الوراء تماثل تقريباً ذقن القرود كل المماثلة فهو اقرب الى القرود من ذقن انسان هيدلبرج

اما الضرس فشبيه بالاضراس البشرية ولكنهُ يفوق المعتاد في حجمها وطولها. ويستدل من مكان الناب انهُ يطبق على الناب الذي في الفك الاعلى وهذا من مميزات القرود لانهُ يساعدها على تمزيق الفريسة الا انهُ يختلف شكلاً عن انياب القردة المعروفة ويشبه على الاكثر انياب اللبن في الانسان الحديث . والحق يقال ان انسان بالتدوْن يرجع عهدهُ الى فجر الجنس الانساني ولذلك دعي ايوانثروپس اي « انسان الفجر » وهذه الآثار محفوظة في قسم الجيولوجيا بالمتحف البريطاني

جمجمتا روديسيا والجليل

وفي سنة ١٩٢٢ وجد المعدنون في روديسيا بجنوب افريقية كهفاً فيهِ كثيرٌ من عظام الحيوانات ومعها ادوات صوَّانية تدلُّ على ان ذلك الكهف كان مسكناً للانسان منذ عهد غير بعيد لان الحيوانات التي وجدت عظامها هناك من انواع الحيوانات العائشة الآن او تفرق عنها قليلاً . في هذا الكهف وجدت جمجمة بشرية تكاد تكون كاملة وهي تمثل سكان افريقية الاقدمين المماثلين للذين وجدت جماجمهم في اوربا وكانوا فيها في العصر الجليدي الاخير الذي يرجح علماء الجيولوجيا انهُ كان فيها منذ خمسين الف سنة الى ثلاثين الفاً وهم المعروفون بالجنس النيندرتالي نسبة الى وادٍ ببروسيا حيث وجدت اول جمجمة وصفت من هذه الجماجم. الاَّ ان المكان الذي وجدت فيهِ جمجمة روديسيا يبعد نحو اربعة آلاف ميل عند جنوب اوربا حيث وجدت جماجم النيندرتال . وشكلها يدلُّ على ان سكان روديسيا الاقدمين كانوا احط في السلسلة البشرية من الذين وصلوا الى اوربا لما كانت متصلة بافريقيا . الاَّ ان الاستاذ ودورد الجيولوجي يرى ان الجنسين مختلفان كثيراً والروديسي ارقاهما

ثم وجد في رواسب منضدة في كهف تبغة قرب طبرية بالجليل القسم الامامي من جمجمة بشرية قديمة جدًّا ومن مزاياها بروز حجاجي العينين وغور الجبهة كما في الشمبانزي هذا و يطابق طراز جماجم نيندرتل الاوربية التي لم يعثر على ما يماثلها من قبل في قارة اسيا. والمرجح ان تاريخها يرجع الى العصر الحجري القديم

السلطان محمود ومحمد علي الكبير

موازنة تاريخية بينهما

ربما عرت القارئ الدهشة لاول وهلة لاقدام تابع يحكم ولاية واحدة على مناجزة متبوع عظيم يتولى امر سلطنة مترامية الاطراف تمتد من خليج العجم شرقاً الى البحر الادرياتيك غرباً ولهُ فوق شرف الانتساب الى سلالة قامت باعباء الملك اجيالاً طوالاً عظمة الخلافة التي تنحني امامها رؤوس المسلمين في الخافقين اكباراً واجلالاً . على ان كثيرين من الاحياء يذكرون ان مثل هذه الدهشة عرت فريقاً كبيراً من الناس في اواخر القرن الماضي عند ما اقدمت اليابان على محاربة الصين وعدد اليابانيين حينئذٍ لم يتجاوز عشر عدد الصينيين . وجرى ما يقرب من ذلك في اوائل جيلنا الحاضر عند وقوع الحرب بين روسيا واليابان وقد كانت روسيا الى ذلك العهد غول اوروبا لها الموقع المنيع والجيش الذي لا يقهر. ومع هذا فان اليابان الصغيرة فازت على جارتها العظيمتين وكان لمزايا القوّاد وميزات الانظمة القول الفصل في تقرير مصير المتحاربين . فهذه العوامل نفسها رجحت كفة الميزان الى جانب محمد علي في نزاعهِ مع السلطان محمود

ان كلاً من التابع والمتبوع المتنافسين بذل ما في وسعهِ في سبيل الاصلاح واراد لبلاده مجاراة البلدان الغربية في نظاماتها ومباراتها في مضمار الرقي والعمران غير ان محمد علي كان امضى عزيمة من مولاه واوسع منهُ حيلة واكثر خبرة واقتداراً على تصريف الامور كما ان المصاعب التي قامت في وجه السلطان محمود لم يقم مثلها في وجه محمد علي

فالمماليك كانوا اعظم العقبات المحلية التي كان على محمد علي ان يتغلب عليها وهؤلاء المماليك كان قد هلك اكثرهم وانهكت قواهم في وقائعهم مع جيش بونابرت وبعد ذلك دبَّ دبيب الشقاق بين زعمائهم وانحاز فريق منهم الى جانب محمد علي ثم مات زعيما الحزبين وانتشرت الفوضى في صفوفهما فهان امرهم على محمد علي .وحيث رأى ان لا امان عليهِ من مكايدهم عزم على البطش بهم والقضاء عليهم جميعاً دفعة واحدة .فدعاهم الى حضور حفلة في قلعة الجبل في اول اذار(مارس) سنة ١٨١١ ودبر من اغتالهم كما هو مشهور ولم تبقَ بازائهِ في مصر قوة يخشى معارضتها لان الشعب المصري لين العريكة مطواع لحكامهِ كما انهُ كان قد استعدَّ بعض الاستعداد لتبدُّل الاحكام في اثناء اقامة الحملة الفرنساوية في مصر

ووجد في حكومة محمد علي من الانتظام مالم يجد مثله في عهد المماليك . ثم ان البلاد المصرية ضيقة النطاق منبسطة الارض سهلة المسالك ولها من النيل خير وسيلة لتقريب المواصلات بين عاصمة البلاد وقواعد اقاليمها كما ان الارتباط بين ولي الامر وحكام الاقاليم كان وثيقاً واوامره نافذة وفي كل ذلك ما يحول دون نشوب الثورات ويسهل قمع اي انتقاض على سلطة الحكومة قبل استفحال امره

تولى محمد علي الحكم في مصر سنة ١٨٠٥ فلما عوَّل على غزو سوريا في سنة ١٨٣١ كان قد وطد اركان الامن والاصلاح في بلاده فنظم الادارات الملكية والعسكرية وانشأ المدارس والمصانع وكانت جيوشهُ قد خاضت حروب الفتح والتأديب في بلاد العرب والسودان وابلت احسن بلاء في مقاتلة ثوار اليونان في المورة وكريت ونالت في جميع هذه الحروب انتصارات باهرة فبعد صيت محمد علي وزادت شهرة قواد جيشهِ وثبت ما للجنود المنظمة من المزايا على الجنود غير المنظمة

اما السلطان محمود فارتقى الى عرش السلطنة في سنة ١٨٠٨ وادارة البلاد وجنديتها في حالة فوضى وسلطتهُ اسمية في الاقاليم البعيدة لانتشار النظام الاقطاعي وتملك حكام الولايات القاصية كمصر وسوريا وبغداد والبانيا وغيرها ونمو الروح القومية ما بين الرعايا المسيحيين في اليونان وولايات البلقان الذين كانوا يلاقون معاونة وتشجيعاً من الدول والشعوب الاوروبية فهذه الاحوال القلقة في مختلف انحاء السلطنة مع الاخطار الدائمة التي كانت تهدده من جهة الروسية جعلت مهمتهُ الاولى تقوية السلطنة المركزية باخضاع العناصر المشاغبة . فنجح في قهر كثيرين من الولاة العصاة وارباب الاقطاعات واستعصى عليهِ اخضاع الباقين كثوار اليونان ومحمد علي فكان لهُ في كل ذلك وفي حروبهِ مع الروسية ما يحول دون

هذا فصل من كتاب نفيس موضوعه «ابرهيم باشا في سورية» وهو يدل على موضوعه اي فتح سوريا على يد ابرهيم باشا وقيام حكومة محمد علي فيها . وفيه فصول حسنة وبحث مستفيض في ترجمة محمد علي . وطموحه الى التوسع والاستيلاء على سوريا . والتمهيد لغزوة سوريا . واسباب الحملة عليها وحالة تركيا وسوريا عند حصول الغزوة . وتفاصيل وافية عن الوقائع من حصار عكا الى معركة قونية ثم موقعة نزب الشهيرة وبيان عن حكومة محمد علي في سوريا وترتيباتها الادارية والقضائية والمالية والثورات التي عقبتها . وتتخلل الكتاب فصول سياسية عن تدخل الدول الاوربية في اثناء النزاع بين السلطان محمود ومحمد علي واظهار مرامي كل واحدة منها . ثم تدخلها عسكرياً وانسحاب ابرهيم باشا من سوريا الخ وهو تحت الطبع

الاصلاح الذي كان ينشدهُ ويستنزف اموال الدولة ويضعف جنديتها. على ان ذلك لم يزده اقتناعاً بوجوب الاسراع في اصلاح طرق الحكم وادخال الانظمة الاوربية في الادارات الملكية والعسكرية لكن كان له من مصاف الانكشارية خصم عنيد وخصومة الانكشارية حينئذٍ كانت شديدة الخطر لانهم بعد ان كانوا في ما مضى جيش الدولة الدائم ومصدر قوتها وحاملي رايات النصر من قطر الى قطر كثر عدد الرعاع في صفوفهم وضعفت فيهم الروح العسكرية وارتخت روابط النظام فصاروا ثورة فساد ومصدر اضطراب وخطراً دائماً على السلطان ووزرائهِ ورعاياه يتدخلون في مختلف شؤون المملكة ويقاومون كل اصلاح بقوة السلاح وكانوا يسومون الاهلين صنوف العذاب وليس في الدولة قوة تردعهم فاصبحوا ولهم الامر المطاع حتى اذا ما قاموا بمظاهرة ضد الحكومة نفسها شاركهم الاهلون في ذلك مكرهين بدون ان يعرفوا سبب التظاهر . ومن غرائب اعمالهم انهم حاولوا مرة ان يرفعوا الى كرسي الحكم على احدى الولايات حلاقاً من عامة الناس لمجرد كونهِ صديقاً لهم . فجندية هذا شأنها لم تبق ذات قيمة حربية بازاء الجندية الاوربية التي كانت تتقدم في التنظيم العسكري تقدماً سريعاً . وكان السلطان سليم الثالث قد شرع في تنظيم جيش جديد على النمط الاوروبي فاسخط الانكشارية عمله فثاروا عليهِ وخلعوه ثم قتلوه وبقيت هذه حالتهم من التمرد والاستبداد الى عهد ابن عمهِ السلطان محمود فصمم على التخلص منهم لكنهُ تريث الى ان ضج العلماء والوزراء وعامة الشعب من طغيانهم والتفوا حوله للانتقام منهم . وكان قد اتم تدريب وتسليح فرق من رجال المدفعية على الطراز الجديد فتألبت جميع الطبقات على الانكشارية وبطشوا بهم في سنة ١٨٢٦ . وكانت ثورة اليونان حينئذٍ حامية الوطيس وتخللها تدخل الدول الاوربية تدخلاً عسكريًّا وتلتها الحرب مع الروسية فاودت بالبقية الباقية لدى السلطان من المال والرجال فحق لهُ ان يقول عندئذٍ

ولو كان همٌّ واحدٌ لاحتملتهُ ولكنهُ همٌّ وثانٍ وثالثُ

بل واكثر من ذلك لان العقبات السابق ذكرها على خطورتها لم تقم وحدها في سبيل الاصلاح . بل ان العلماء وهم حفظة الدين والمتسلطون على عقول جموع العامة الساذجة كانوا يقاومون الاصلاح لاعتقادهم ان كل جديد بدعة وجاراهم في ذلك جيش الموظفين الجرَّار وبينهم اكثر الوزراء وحكام الاقاليم وكبار القوَّاد فهؤلاء كانوا يحسبون ان في ادخال الانظمة الاوربية ضرراً بمصالحهم الشخصية وانقادت عامة الشعب اليهم والى

العلماء فاعتبرت التجدد كفراً وقاومتهُ اشد المقاومة . نعم ان السلطان محمود قام ببعض الاصلاحات لكن لم يظهر منها للعيان الاَّ ما كان سطحيًّا كتغيير ازياء الموظفين ورجال الجيش اما غير ذلك فنظراً الى اتساع نطاق السلطنة وصعوبة مواصلاتها ذهب كقطرة في بحر . كما ان قيادة الجيش العليا والمناصب الرفيعة في الولايات بقيت في ايدي رجال العهد القديم الذين لو شاءوا تنفيذ الاصلاح لما استطاعوا ذلك لجهلهم طرقه وعدم وجود مأمورين في دوائر حكمهم عارفين بالنظام الجديد . وكانت الحكومة المركزية ضعيفة بازاء الشعب ورجال الدين ومن الامثلة على ذلك أن حكومة الاستانة شاءت تسمية شوارع العاصمة ووضع الارقام على منازلها لكنها احجمت عن اجراء ذلك خوفاً من ثورة الاهالي عليها وشاء السلطان محمود ان يستخدم لتعليم ولي العهد استاذاً فرنسويًّا واسع الاطلاع على اللغات الشرقية غير ان المفتي رأى عدم جواز ذلك فاضطر السلطان الى الرجوع عن عزمهِ ولزيادة ايضاح رأي عامة العثمانيين في السلطان محمود واصلاحاتهِ نورد خلاصة حديث لرحالة اوربي مع احد اغاوات الاناضول . قال صاحب الحديث ما خلاصته : ساقني الحديث مع آغا « دركلاداغ » الى الكلام عن ملابس السلطان محمود فسألني هل كنت متأكداً من ان السلطان يرتدي ملابس الكفار فاجبتهُ بالايجاب وقلت لهُ ان ذلك غير محصور في السلطان وحدهُ بل ان رجال جيشه وجميع المسلمين الداخلين في خدمة حكومتهِ يرتدون الملابس الافرنجية . فقال الاغا : « ان محمود الثاني مجنون لا يفكّر في مستقبل امتهِ . ان رجوع مياه قيزل إيرمق (النهر الاحمر) صعوداً الى منبعها لايسر من حمل العثمانيين على احتذاء مثال الغربيين — انهُ يريد تجديد السلطنة العثمانية لكن ألم ترَ انهُ منذ شروعهِ في التجديد المزعوم لم يكن نصيب السلطنة سوى الضعف والفشل ؟ ان تركيا الجديدة تركيا ذات الاصلاح قد غلبها على امرها ثائر من رعاياها ! ففي اي زمان من تاريخنا بلغ السلطان من الضعف مبلغاً اعجزه عن تأديب تابع ثائر ؟ ان محموداً سليل عثمان ووارث الخلفاء سلطان السلاطين وخاقان الخواقين مانح التيجان المسيطر على البحرين الابيض والاسود ومالك بر آسيا والبلاد العربية وافريقيا واوربا اخا الشمس وابا النجوم وابن عم القمر وظل الله الظليل على الارض . ان محموداً هذا خاف ان يسحقهُ ذلك الباشا المقدام الجالس على ضفاف النيل فاستغاث بالروسية لتحميهِ من محمد علي . وما ادراك ماذا ستجرُّ هذه الحماية من الويل على البلاد ؟ فمن ذا الذي يجهل مطامع المسكوب في سلطنة آل عثمان ؟ فوا أسفي على هذه السلطنة التاعسة الجد . ان المصائب تهددها بينما حكامها لا يدركون الخطر

المحدق بها . وقد روى صاحب هذا الحديث انهُ سمع مراراً عديدة في اثناء تجواله في الاناضول مثل الآراء التي ابداها آغا دَرَكلا داغ

***

ولا بد من ذكر عامل آخر كان من اشد العوامل في نجاح محمد علي واخفاق السلطان محمود وهو اعوان كل منهما . فقد كان اكبر اعوان محمد علي اولاده واحفاده وانسباؤه وابناء جلدتهِ او غيرهم من الذين نشأوا تحت حكمهِ او ممن احسن اختيارهم من الافرنج والارمن والسوريين . فكل واحد من هؤلاء عرف ما فُطر عليهِ محمد علي من حب التوفيق في العمل والسهر على تنفيذ الاوامر والاحكام وتحقق ايضاً ان في البلاد ارادة واحدة طاعتها غنم ومخالفتها غرم وهذه الارادة هي ارادة محمد علي فعمل كل في دائرتهِ على تنفيذ مشيئة مولاه بدون تردد ولا ابطاء ووجدوا بالاختبار ان في إنجاح مشروعات مولاهم سعادة لهم لانهُ كان يغمر رجاله المصلحين بانعامهِ فكثيرون منهم صاروا من اصحاب المقامات الرفيعة والثروات الطائلة بما نالوه من المكافآت على اخلاصهم في الخدمة والنجاح في الاعمال التي قاموا بها . ففي هذا التضافر على تنفيذ مشيئة محمد علي في الاصلاح كان السر الاعظم في تكلل مساعيهِ بالنجاح . اما السلطان محمود فلم يسعده الحظ باعوان كاعوان محمد علي مع انهُ لم يكن اقل منهُ حباً بالاصلاح واهتماماً بهِ ورغبة في رفع مقام شعبهِ الى مستوى الشعوب الراقية . لكن حب الاصلاح شيء وتنفيذه شيء آخر . وانىَّ للسلطان محمود ان ينفذ مشيئتهُ وهو عاجز عن اختيار استاذ قدير لتعليم ابنهِ في وسط قصره . او كيف يستطيع القيام بتجديد واسع النطاق في سلطنتهِ مادامت حكومتهُ في حالة من الضعف تمنعها من تسمية شوارع العاصمة وتمييز منازلها خوفاً من ثورة الاهالي عليها . وقد قال اللورد بونسونبي (Ponsonby) سفير انكلترا في الاستانة عن السلطان محمود انهُ كان حسن القصد شديد الرغبة في اصلاح بلاده لكنهُ لم يجد حوله من يستعين بهِ على انجاز الاعمال الاصلاحية التي كان راغباً في القيام بها

ان هذه الامور وامثالها كانت معروفة لدى محمد علي معرفة تامة لانهُ كان واقفاً على احوال السلطنة العثمانية مطلعاً على ما اصابها من التضعضع والاختلال ولهذا اقدم على محاربتها وهو غير هياب ولا وجِل

بيروت سليمان ابو عز الدين

تاريخ المسكرات عند العرب

واقوال شعرائهم فيها

من تصفح كتب متن العربية رآها اغنى اللغات باسماء الخمور واوصافها واستدلَّ من ذلك على ان العرب كانوا من اشد الناس معاقرة للخمر ومن امهرهم تفنناً في استخراجها وتعليلها فانهم كانوا يستخرجونها من العنب والشعير والذرة والقمح والزبيب والتمر والبسر والكشوث والاثمار على انواعها اي من كل ما يختمر كأنهم كانوا يستخرجون السوائل من هذه المواد ويغلونها ويبقونها الى حين الحاجة اليها فاذا حفظت من الاختمار شربوها شراباً حلواً والاَّ شربوها خمراً. وكانوا يطيبون الخمر بالافاويه ويعتقونها ويبردونها ويغلونها حتى يذهب نصفها او ثلثاها . والادلة قاطعة على ذلك كله في كلمات اللغة وهي اثبت تاريخ وادلُّ دليل فنها قولهم الصهباء وتفسيرهم اياها « بالخمر المعصور من العنب الابيض » وقولهم ابنة الكرم وابنة العنب ونحو ذلك مما يدلُّ دلالة واضحة على انهم كانوا يعصرونها من العنب ولعله كان كثيراً في البلاد التي احتلوها من العراق الى البتراء وهي الآن قفار جرداء

ومنها قولهم الغبيراء وتفسيرهم اياها بخمر الشعير والذرة ومنهُ قول الحريري

وزارعاً ذرة حتى اذا حصدت   صارت غبيراء يهواها اخو الطربِ

وقولهم الكسيس وتفسيرهم اياهُ بنبيذ التمر وفي ذلك يقول العباس ابن مرداس

فان تسقَ من اعناب وجّ فاننا   لنا العين تجري من كسيس ومن خمرِ

وقال ابو حنيفة الكسيس شراب يتخذ من الذرة والشعير

وقولهم البتع وتفسيرهم اياهُ بنبيذ العسل . وفي الحديث سئل النبي عن البتع فقال كلُّ شراب اسكر فهو حرام.وعن ابي موسى الاشعري انهُ خطب فقال خمر المدينة من البسر والتمر. وخمر اهل فارس من العنب.وخمر اهل اليمن البتع وهو من العسل. وخمر الحبش السكركة

وقولهم السكَر وتفسيرهم اياهُ بالشراب المتخذ من التمر والكشوث . قال ابو حنيفة السكر يتخذ من التمر والكشوث يطرحان سافاً سافاً ويصب عليهِ الماء

ونقل صاحب التاج ان عمر فسر الانبذة فقال البتع نبيذ العسل والجعة نبيذ الشعير والمزر من الذرة والسكر من التمر والخمر من العنب . ويسمون الشراب المطيب بالافاويه

مطيباً او مفوهاً والذي ذهب ثلثاهُ مثلثاً والذي ذهب نصفهُ نصفاً

وكانوا يصفون الخمر بالمروقة والصافية ومنهُ قول ابي نواس

قامت بابريقها والليل معتكر فلاح من وجهها في البيت لألاء
وارسلت من فم الابريق صافية كانما اخذها للعقل إغفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافة وخفى عن شكلها الماء

ويجلبونها من بابل وقرطبل وغيرها من شاسع الاقطار قال ابن سناء الملك

شهدتُ بان الشهد والمسك ريقهُ وما كنت لو لم اختبره لاشهدا
وان السلاف البابلية لحظهُ والاَّ سلوا انسانهُ كيف عربدا

وقال المتنبي

سقتني بها القُطرُ بُلّيُّ مليحة على كاذب من وعدها ضوء صادقِ

ويديمونها في دنانها حتى تصفو وتعتق ومن ذلك سميت بالمدام قال ابن المعتز

اهلاً بفطر قد انار هلالهُ فالآن فاغدُ الى المدام وبكّرِ

وبالمدامة قال عنترة العبسي

ولقد شربت من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمشوف المعلَمِ
بزجاجة صفراء ذات اسرَّة قُرنت بازهر في الشمال مفدَّمِ

وبالمعتقة وهي التي عتقت دهراً طويلاً ومنهُ قول ابي نواس

معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل درّ ما لناظمها سلكُ
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر اصلحهُ السبكُ

ويروّقونها حتى تصفو ويزول عكرها ومنهُ قول العمري

يدير محياهُ على كل ناظر باقداح احداق مداماً مروَّقا

ولا نطيل الكلام في هذا المعنى لان ما ذكرناهُ منهُ كافٍ للدلالة على ما قدمناهُ وهو ان العرب كانوا يعرفون انواعاً مختلفة من الانبذة وكانوا يعللونها ويشربونها قبل الاسلام وبعدهُ. ولما جاء الشرع الاسلامي حرَّم الخمر مطلقاً وقال انها والازلام والميسر رجس من عمل الشيطان لكن العلماء اختلفوا في اطلاق تحريمها قال ابن الرومي

اباح العراقيُّ النبيذ وشربهُ وقال حرامان المدامة والسكرُ
وقال الحجازيُّ الشرابان واحد فحلت لنا بين اختلافهما الخمرُ
سآخذ من قوليهما طرفيهما واشربها لا فارق الوازر الوزرُ

وجاء في كتاب المحاضرات للراغب الاصبهاني ان الحسين بن موسى استحضر ابن

عياش ابن ادريس فسألهما عن النبيذ فقال ابن عياش حلال وقال ابن ادريس حرام فقال ابن عياش ادركنا ابناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولائم حلا كانت او حراماً وبكاؤنا على الدين اشدُّ من بكائنا على النبيذ

وليس من غرضنا الخوض في هـذا الموضوع وانما نقول ان تاريخ الخلفاء من بني اميَّة وبني العباس واكثر الذين جاؤوا بعدهم يدل على ان الناس عامتهم وخاصتهم لم يرتدعوا عن المسكر. فقد جاء في المحاضرات ان الوليد كان يشرب يوماً ويدع يوماً وسليمان يشرب في كل ليلة وهشاماً يسكر في كل جمعة ويزيد بن الوليد يدمن الشرب فكان دهرهُ بين سكر وخمار. وكان المنصور يشرب عشيَّة الثلاثاوات والمأمون يشرب الثلاثاء والمعتصم لايشرب الخميس ولا الجمعة. وكان ابن المعتز لا يشرب الاَّ قليلا ويقول الليل امنع لا يطرقك فيهِ خبر فاظع ولا سبب مانع والنهار ابرص لا يتم فيهِ سرور. وقال بشار

ما نام واشٍ وغاب ذو حسدٍ فاشرب هنيئاً خلا لك الجو

واكثر ابن المعتز من ذكر الشراب في اشعارهِ ومن قولهِ فيهِ

اشرب عقاراً كانها قبسٌ قد سبك الدهر تبرها فصفا
يبدي لثام الابريق من دمها كأنهُ راعف وما رعفا

ومنهُ

أيا عاذلي هلاَّ اشتغلت بسامعٍ كما انا مشغول بكاسٍ عن العذْلِ

وكان العلماء والفضلاء ينهون عنها ويشددون الملامة على شاربها وذلك يدل على تهافت الناس عليها والاَّ لم يكن الى اللوم سبيل. قيل حضر نصيب عند عبد الملك ابن مروان فدعاهُ الى الشراب فقال اني لم اصل اليك بنفسي ولا بحسن صورتي وانما قربت منك بعقلي فان رأى الامير ان لا يحول بيني وبينهُ فعل وقيل للعباس ابن مرداس لو شربت النبيذ لازددت جرأة فقال ما كنت لاصبح سيد قومي وامسي سفيههم وادخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي

وقال الوليد للحجاج هل لك في الشراب فقال « لا يا امير المؤمنين وليس بحرام ما احللتَـهُ ولكني امنع اهل عملي منهُ واخاف ان اخالف قول العبد الصالح وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنهُ ». وسأل الخليفة المنصور ابا بكر الهذلي عن النبيذ فقال عادت فيهِ السفهاء حتى كرهتهُ العلماء. وقال الخليفة المأمون اشرب النبيذ ما استبشعتهُ فاذا استطبتهُ فدعهُ. ولما وقع الخلاف بين الامين والمأمون كان المأمون يخطب بخراسان بمساوىء الامين ويقول في مساوئهِ وما ظنكم بخليفة يقتني شاعراً ينشد بحضرتهِ جهاراً نهاراً في مجلسهِ هذا القول

ألا فاسقني خمراً وقلْ لي هي الخمرُ ولا تسقني سرًّا اذا امكن الجهرُ

ولقد فتحنا كتاب حلبة الكميت لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشحون بما تحمرُّ منهُ وجنة الادب ويندى لهُ جبين الفضل. من ذلك ما روي عن حمَّاد الراوية قال «كنت محبًّا للوليد بن عبد الملك فلما تولى اخوهُ يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما انا في المسجد الاعظم اذ اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليهِ فقال ورد كتاب امير المؤمنين بحملك اليهِ وبالباب نجيبان فاركب احدهما ودفع اليَّ كيساً فيهِ الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن ودخلت عليهِ فاذا هو جالس في دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسطهِ قبة حمراء من خز وفرشها وكلا فيها من خز احمر وعلى رأسهِ جاريتان عليهما ثياب حمر بيد كل واحدة ابريق وفي يد واحدة نبيذ احمر والاخرى نبيذ ابيض فلما واجهتهُ سلمت عليهِ بالخلافة فرد عليَّ وقال ادنُ يا حماد اتدري فيمَ بعثت اليك قلت لا قال في بيت شعر ذهب عني اولهُ فقلت من اي عروض وقافية قال لا ادري الاَّ انهُ بيت فيهِ ابريق فقلت في نفسي ان نفعتني الرواية يوماً فالآن وفكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعلهُ في قول تبع اليماني

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي اما تستفيقُ
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوقُ
لست ادري اذ كثروا العذل فيها اعدوٌّ يلومني ام صديقُ
ثم نادوا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها ابريقُ

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينهِ وشرب وقال يا جارية اسقهِ فسقتني كاساً اذهب ثلث عقلي ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقهِ فسقتني الكاس الثانية ولما شربت ذهب ثلث عقلي الثاني ثم استعاد مني الشعر وشرب وقال يا جارية اسقهِ فقلت قد ذهب ثلثا عقلي يا امير المؤمنين فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث الآخر فقلت احدى الجاريتين قال هما لك وما عليهما ومائة الف درهم يحسن بها سيرك ثم ناولتني الجارية كاساً فشربتها ونهضت وقد ذهب عقلي فعدت الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذ بشمع يوقد والجاريتان ترصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيرهِ واصبحت وقد قبضت المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة

ومنهُ ان الخليفة هرون الرشيد قال للفضل بن يحيي بلغني انهُ قدم اسمعيل بن صالح وانا اريد ان اراهُ قال يا سيدي اخوهُ عبد الملك في حبسك وقد نهاهُ ان يمضي الى احد قال

فاني اتعالل حتى يأتيني عائداً فقال الفضل لاسمعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فمضى بهِ اليهِ وكان اخوهُ قد وجه اليهِ انهم انما يريدونك لتشرب معهم وتغني لهم فان فعلت فما انت اخي فلما دخل على الرشيد رفعهُ واكرمهُ وقال اني وجدت بك راحة واشتهيت الطعام فقدمت المائدة فاكلوا ووصف الطبيب اقداح الشرب فقال الرشيد والله ما شربنا حتى يشرب اسمعيل فقال لهُ اتق الله يا سيدي فان عليَّ يميناً ان لا افعل شيئاً من ذلك فقال لا بدَّ من الشرب فشرب ثلاثة اقداح وسقاهُ مثلها ثم مدت ستارة وخرج بعض الجواري يضربن وبعض يغنين فطرب الرشيد واسمعيل وتناول الرشيد عوداً ووضعهُ في حجر اسمعيل وكان في يد الرشيد سبحة فيها عشر قطع اشتراها بثلاثين الف دينار فوضع السبحة في عنق العود وقال غنِّ وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع اسمعيل يغني ويقول

لعمرك ما اهويت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة من الدهر الاّ قد اصابت فتى قبلي

فطرب الرشيد وقال الربع يا غلام فعقد لهُ لواءً على مصر قال اسمعيل فوليتها سنتين واوسعتها عدلاً وانصرفت منها بخمسمائة الف دينار

وفي ذلك كلهِ ادلة قاطعة على ان الامراء والعظماء كانوا يشربون الخمر ولا يتهون بنهي الشرع

وتواريخ العرب مشحونة بوصف الشراب ومجالسهِ وندمانهِ ودواوينهم مملوءة بالاشعار الخمرية مما ابدع فيهِ الشعراء بوصف الخمر وآنيتها الى ما ارتكبوا فيهِ مما لا تقدم عليهِ امة مؤدبة بآداب شرع شريف كالامة العربية. ولا يختص ذلك بالمتهتكين من الشعراء كابي نواس بل هو شامل لسراة القوم كعبدالله بن جدعان وحسّان بن ثابت (قبل الاسلام) وامير المؤمنين ابن المعتز وصفي الدين الحلي وابن السماك وغيرهم

ولم تكن معاقرة الخمرة قاصرة على اهل المشرق بل شاعت عند أهل المغرب ايضاً ويظهر لنا ان هؤلاء اقبلوا عليها اكثر من اقبال اهل المشرق

اخذنا كتاب نفح الطيب لنذكر منهُ بعض الشواهد على ما تقدم فوقع في يدنا الجزء الثاني منهُ ففتحناهُ فانفتح عند الصفحة ١٦٥ وفيها ابيات يقول ناظمها

افدي اسماء من نديم ملازم للكؤس راتبْ
قد عجبوا في السهاد منها وهي لعمري من العجائبْ
قالوا الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكبْ

وقصة هذه الابيات على ما في نفح الطيب ان ابا عامر ابن شهيد حضر ليلة عند الحاجب ابي عامر بن المظفر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ولم تزل تسهر في خدمتهم الى ان همَّ جند الليل بالانهزام وكانت تسمى اسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع هذه الابيات ارتجالاً . ويتضح من ذلك انهم كانوا يشربون الراح من المساء الى الصباح . غفر الله لهم

وفي الصفحة التالية ان الوزير ابا العلاء دخل على الامير عبد الملك رزين في مجلس انس و بين يديهِ ساقٍ يسقي خمرين من كاسهِ ولحظهِ ويبدي درين من حبابهِ ولفظهِ

وفي الصفحة التالية ان عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة دخل على الامير محمد ابن عبد الرحمن الاموي ملك الاندلس وبين يديهِ غلام حسن المحاسن فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا فقال عقار ينفد الدنان ويؤنس الغزلان فاستضحك الامير ثم امر بمراتب الغناء وآلات الصهباء

فقلبنا صفحات قليلة فاذا نحن بنونية ذي الوزارتين بن زيدون في ولاَّدة بنت المستكفي الاموي وقد ابدى فيها من الوجد والحنين ما يعذرهُ عليهِ الشعراءُ الى ان قال

نأسى عليكِ اذا حثت مشعشعة فينا الشمولُ وغنانا مغنينا
لا اكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا

فوقفنا عند هذا الحد ولم نزد خوف الاطالة على غير طائل ورجعنا عن كتب اللغة والادب واثقين ان الذين كانت بيوتهم عامرة بالجواري والوصائف لم يكونوا يمتنعون عن الراح وان ذوي السعة منهم كانوا يشربونها ويقولون فيها ما قالهُ عبد الله بن جدعان

شربت الخمر حتى قال صحبي الستَ عن السفاه بمستفيقِ
وحتى ما اوسد في مبيت انام بهِ سوى الترب السحيق
وحتى أُغلقَ الحانوت دوني وآنست الهوانَ من الصديق

ويصفونها لاخوانهم كما وصفها الصفي الحلي بقولهِ

خذ فرصة اللذات قبل فواتها واذا دعتك الى المدام فواتها
واذا ذكرت التائبين عن الطلى لا تنسَ حسرتهم على اوقاتها

لكن جمهور العمال والمسترزقين لم يكونوا على دين ملوكهم من هذا القبيل ويقيننا ان العلماء الفضلاء كانوا يتجنبونها ولذلك لم يبلغ الناس من معاقرة الخمرة في ممالك العرب ما بلغوهُ في ممالك الروم ولا في ممالك الافرنج

وسائل النقل والتلغرافات والتلفونات

في القطر المصري

لحضرة صاحب المعالي عبد الحميد سليمان باشا وزير المواصلات

٢

(٥) التلغراف والتلفون

اما مصلحة التلغراف والتلفون (وفيها قسم للتلغراف « اللاسلكي ») فهي جزء من ادارة السكك الحديدية الاميرية ويشرف عليها « مفتش عام » هو مسؤول عن الادارة كلها الى المدير العام . ولقد كانت مصلحة التلغرافات في مصر مرتبطة دائماً ارتباطاً وثيقاً بالسكك الحديدية الاميرية . فاقسام السكك الحديدية المختلفة تقوم باعمال شتى لمصلحة التلغراف تتعلق بالشؤون القضائية والطبية والحسابية وغيرها . ومصلحة التلغراف تقوم بدورها بارسال جميع التلغرافات التي تحتاج اليها ادارة السكك الحديدية . وتتم تصفية الحساب المتبادل بين هاتين المصلحتين بتعيين مبالغ (اعتمادات) خاصة في الميزانية السنوية اما في المحطات الصغرى فيقوم عمال مصلحة السكك الحديدية باعمال مكاتب التلغراف

واجور التلغراف في مصر معتدلة جداً واقلُّ اجرة تتقاضاها المصلحة هي قرشان اميريان عن الكلمات الست الاولى مع اضافة نصف قرش عن كل كلمة اضافية تزيد على ذلك اما فيما يتعلق بالتلغرافات الخارجية فالبلاد مقسومة الى منطقتين وفي كل منطقة تجبى ضريبة تعادل خمسة عشر سنتيما ذهباً عن كل كلمة اعتيادية . وجميع خطوط التلغرافات الاميرية تستعمل لنقل التلغرافات باللغة العربية واللغات الاوربية وهي تستعمل رموز مورس مع بعض التوسع فيها باستعمال رموز للحروف العربية التي لا يوجد ما يماثلها في اللغات الاوربية واذا استثنينا جهاز هويتستون السريع وجدنا ان مصر لا تستطيع ان تستخدم في الوقت الحاضر نظام التلغراف الاوتوماتيكي المعروف بالخامي وهنالك اجهزة مزدوجة لارسال التلغرافات البعيدة المدى وهي تتصل بالخرطوم ويافا والقدس وبيروت

وقد عقدت مصر مع شركة تلغرافات الايسترن طائفة من الاتفاقات منحت بموجبها حق امتلاك الخطوط التلغرافية التي تصل مصر بالخارج للشركة المذكورة . وتأخذ الحكومة

مقابل ذلك جعلاً معيناً عن جميع التلغرافات التي تنقلها الشركة على خطوطها الخاصة وعن التلغرافات التي تنقلها بالاشتراك. وقد منحت الحكومة شركة ماركوني اذناً بانشاء المواصلات اللاسلكية مع البلاد الاجنبية بشروط شبيهة بشروط الامتياز الممنوح لشركة الايسترن. ولشركة ماركوني هذه محطة في ابي زعبل للتلغرافات الصادرة واخرى في المعادي للتلغرافات الواردة

واذا نظرنا الى نظام التلغراف الدولي وجدنا مركز مصر على اعظم ما يكون من الشأن لان مصر نقطة الاتصال بين الشرق والغرب وقد افادت الاجهزة التي انشأتها شركة تلغرافات الايسترن في مصر وفي غير مصر في تسهيل نقل التلغرافات والاسراع بها. ولا حاجة الى شرح ما لمحطة تلغرافات الاسكندرية من الشأن للملاحة. على ان هذه المحطة ليست مقصورة على الشؤون البحرية فقط بل تتناول البر ايضاً. وامام الحكومة الآن عدة مهام (مشروعات) خاصة باستخدام النظام اللاسلكي في داخلية البلاد

اما في مصلحة التلفون فان الهمة تبذل لادخال احدث وجوه التحسين واستعمال افضل العدد والآلات. من ذلك تشييد ابنية جديدة في عدة مواضع. ولن تمرَّ مدة طويلة حتى يعم التلفون الاوتوماتيكي مدن القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس والمنصورة. وقد طلب من بعض الشركات الاجنبية تقديم بعض الآلات المطلوبة. اما طنطا وغيرها من المدن الكبرى فستجهز بتلفون من النوع المعروف «بذي البطارية المركزية». وسيمدُّ خط تحت الارض للمخاطبات التلفونية بين مصر والاسكندرية ويكون هذا الخط تسعة وستين فرعاً. وقد انشئت الصلات التلفونية بين مصر وبعض مدن فلسطين. والوزارة تبحث الآن جديًّا في وصل مصر باوربا بالتلفون اللاسلكي. ولا يخفى ان تنفيذ برنامج كهذا يقتضي نفقات عظيمة جدًّا. وقد انفق في سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ مبلغ ٩٩٧٠٠ جنيه مصري على ان هذا المبلغ سيزيد في السنين المقبلة الى ان تنجز اهم اجزاء هذا البرنامج

(٦) ادارة البريد

اما ادارة البريد فهي جزء من وزارة المواصلات ويرجع الفضل في انشائها الى محمد علي الكبير فانهُ انشأ في اول الامر مصلحة لنقل الرسائل الاميرية ثم انشأت احدى الشركات الخاصة فيما بعد مصلحة صغيرة لنقل الرسائل الخاصة. وفي يناير سنة ١٨٦٥ ابتاعت الحكومة هذه المصلحة واخذت توسع نطاقها بالتدريج الى ان اصبح عدد مكاتب

البريد في القطر المصري في الوقت الحاضر ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثة مكاتب تقوم باعمال البريد على اختلاف انواعها كنقل الرسائل الاعتيادية والرسائل المسجلة والمؤمنة والرزم « والحوالات » المالية بالبريد وبالتلغراف وتبادل صكوك (اذونات) البريد البريطانية وترويج الادخار (صناديق التوفير) وهلم جرّا . وهنالك مركبات للبريد مردفة بالقطارات الكبرى التي تسير بين انحاء القطر

(٧) ادارة الموانئ والمنائر

تشرف هذه الادارة على جميع المنائر المقامة في الموانئ وعلى السواحل المصرية وهي ايضاً جزء من وزارة المواصلات . ويبلغ عدد المنائر على السواحل المصرية عشرين منارة منها خمس من الطراز الاول . وفي ميناء الاسكندرية سبع منائر من جملتها منارة في رأس التين يبلغ ارتفاعها مائة وثمانين قدماً ويرى نورها عن بعد عشرين ميلاً . اما منارة بورسعيد المعروفة عند الكثيرين والتي تمكن رؤيتها عند الدنو من ترعة السويس او الخروج منها فيبلغ ارتفاعها مائة وخمساً وثمانين قدماً ويرى نورها عن بعد اربعة وعشرين ميلاً

واقصى منارة في سواحل مصر الجنوبية هي منارة سنجنيب على سواحل البحر الاحمر وهذه المنارة ايضاً من الطراز الاول

(٨) الملاحة

ان اقبال السياح على مصر ورواج التجارة في القطر ووقوع البلاد عند ملتقى الشرق والغرب — كل ذلك قد ادى الى اتساع نطاق الملاحة في الموانئ المصرية ويبلغ عدد شركات الملاحة الكبرى التي تسير سفنها بين مصر والبلاد الاجنبية عشرين شركة على الاقل معظمها بريطانية . وقد بلغ عدد السفن التي دخلت الموانئ المصرية في سنة ١٩٢٦ ثمانية آلاف سفينة كان مجموع وسقها سبعة وعشرين مليوناً ونصف مليون طن . والوزارة تبحث الآن في تحسين ميناء الاسكندرية من عدة وجوه . وقد شرعت منذ مدة في انشاء ميناء جديد للسويس

(٩) وسائل النقل والانتقال

وقد اعدت شركة مركبات النوم قطاراً للسفر من مصر الى اوربا بطريق البر وهذا القطار يسير الآن مرتين في الاسبوع من القاهرة الى القنطرة فحيفا فالاستانة ومنها الى نفق سمبلون . وسيجعل سفر هذا القطار من القاهرة في المستقبل يومياً

ولا يخفى ان وسائل النقل الجوي تتقدم اليوم بسرعة في جميع انحاء العالم . ولاشك ان مصر ستكون بفضل موقعها الجغرافي نقطة اتصال عظيمة الشأن للخطوط الجوية الدولية

وقد عزمت الحكومة المصرية على انشاء ميناء جوي في الاسكندرية وعلى تسهيل كل ما تحتاج اليه الطيارات الجوية والمائية لكي تكون الاسكندرية محطة للطيارات التي تجتاز البحر الابيض المتوسط وللطيارات التي تذهب الى الهند والشرق الاقصى والتي ستطير في المستقبل الى جنوبي افريقيا. وقد بدئ بالعمل التمهيدي لانشاء هذا الميناء الجوي وسيبدأ بتشييد المباني اللازمة حالما يتم انشاء الميناء

وقد وقع الخيار على ميدان في القاهرة لجعله ميناء جويًّا للطيارات ولكن هذا الميناء لن ينشأ حتى يدل نشوء نظام النقل الجوي على الحاجات التي يجب الاحتياط لها وفضلاً عن ذلك ستنشأ مراسٍ للطيارات المائية على النيل اذا دعت الحاجة الى ذلك. وقد ارسل بعض الشبان المصريين الى انكلترا ليدرسوا فن الطيران المدني من الوجهين الاداري والفني ليتمكنوا في المستقبل من شغل المناصب التي ستنشأ في مصلحة الطيران المدني بوزارة المواصلات

وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٢٦ اجازت الحكومة المصرية لشركة المواصلات الجوية الامبراطورية انشاء خط جوي بين مصر والهند على ان تستخدم موقتاً مطار الجيش الانجليزي بهليوبوليس. وستقام المحطة النهائية لهذا الخط في المستقبل في مدينة الاسكندرية لتتصل بالخط الجوي الذي يمر فوق البحر الابيض المتوسط الى اوربا وطيارات هذه المصلحة تطير اليوم مرة في الاسبوع من القاهرة الى البصرة وبالعكس والعمل سائر منذ انشاء الخط في شهر يناير سنة ١٩٢٧ بانتظام تام من دون ان يلحق اي ضرر او خطر بالمسافرين او بالبضائع

وامام الوزارة الآن اقتراحات تبحث فيها لانشاء مصلحة للنقل الجوي بين الاسكندرية وايطاليا. ومن المحتمل ان يبدأ في القريب العاجل بالجزء الشمالي من الخط الجوي الذي سيخترق افريقيا من الشمال الى اقصى الجنوب

فترى من جميع ما تقدم ان الحكومة قد سارت على خطة من شأنها ان تجعل نظام المواصلات في مصر كفيلاً بسد حاجات الشعب المصري وحاجات الذين يفدون على مصر وجديراً بنظام المواصلات الدولي المتشعب المناحي والذي تتوقف عليه حياة العمران

متى نرى الطيارات المصرية محلقة فوق وادي النيل ؟

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٤٤

نقم القتال نعم السلام

التوسل بالغازات الحربية الفتاكة الى مقاتلة الاشرار في زمن السلم . طريقة استخدام الكيماويين في الولايات المتحدة سموم الخنادق لقمع اللصوص و بادة الحشرات واخماد النيران والمعاونة على استتباب الامن العام

حدث منذ بضعة أشهر ان قصدت سيارة ذات قوة كبيرة الى بنكٍ بمدينة في اقليم متوسطٍ من أقاليم غرب الولايات المتحدة — وكان وصولها الى هناك في الغداة بُعَيد ميعاد فتح البنك . فوثب من السيارة ثلاثة شبان حسنو البزّة وظلّ رابعهم فيها قابضاً على زمام دولاب تسييرها — وما لبث اولئك الشبان الثلاثة أن اقتحموا ابواب ذلك البنك الدوّارة . وكان صراف البنك المالي وقتئذٍ يُنسّق رزماً مرتبة من الصكوك الخضراء المذهبة الظهور — وفيما هو دائبٌ على عمله ذلك إذ رأى شبحاً يخيم على نوافذ سياج حظيرته النحاسي ، فشخص ببصره ليستطلع من ذا المقبل عليه لعلهُ عميل أ.ين ورأى شاباً واقفاً تجاه النوافذ فسألهُ الصراف حاجتهُ كعادته قائلاً — « عفواً سيدي ! أتريد أداء أي واجب لك ؟ » فبادره ذلك القادم المجهول بأن صوّب غدارتهُ الاوتوماتيكية » اي العاملة بنفسها نحو صدر مخاطبه الصراف قائلاً لهُ بصيغة الآمر الناهي : — « ألا فلتغض الطرف عن هذه الصكوك ، واتركها وشأنها »

فوجم الصراف هنيهة ولم يسعهُ في أثنائها الاّ ان عمد في الحال الى زر كهربائي كامنٍ تحت الطبقة الرخامية لنافذة المعدّ فضغطهُ بقدمه ضغطاً شديداً ، لم يحدث صوتاً ولا صياحاً ولا صفيراً ولا جلبة كالتي تحدث من الادوات والاجراس المنبهة وانما نجم عنهُ توّاً غمامة قاتمة خيّمت في سماء المصرف كأنها ضبابة دخان التبغ — فسعل اللص في الحال واغرورقت عيناهُ بالدموع وحينئذٍ ألقى بغدارته على الارض صاغراً وأخذ يمسح عبراته بيديه كلتيهما . وما عتم ذلك الشرير أن ولول واستغاث برفيقيه الوغدين قائلاً « ويحكما لقد أُصبتُ بالعمى » فلم يسعها نجدتهُ لانهما شغلا عنهُ بمسح عيونهما المتألمة أيضاً وعندئذٍ أخذ اللصوص الثلاثة في التسكع حتى وصلوا الى باب المصرف إذ كانوا طوراً يصطدمون بالمنضدات ، وتارةً بالاثاث الثابت بالردهة ، مستمرين على مسح عيونهم وتلمس طريقهم حتى وافاهم الشرطة حيث اقتحموا أبواب المصرف وكبّلوا اللصوص الثلاثة بالاغلال

فسلموا أنفسهم طائعين . وما أفاقوا واستعادوا أبصارهم بعد نصف ساعة في مركز الشرطة حتى شعروا بالتهاب طفيف في عيونهم وعرفوا أنهُ لم يصبهم غير ذلك من الاذى . فتساءلوا قائلين ماذا حداكم على المجيء بنا الى ههنا ؟ » فاجابهم ضابط برتبة جاويش . وهو يستشيط غضباً — « أيها الارذال لقد دهمكم بعض الغاز المسيل للدموع فجئتمونا مولولين كالاطفال »

اذن كان إخفاق مشروع هذا السلب من ذلك المصرف دليلاً على فلاح خبراء مصلحة (الكفاح الكيماوي) التابعة لجيش الولايات المتحدة في استخدام الغاز الحربي السام لنفع الانام في أزمان السلام . وبرأس المصلحة المشار اليها القائم مقام آموس ا . فرايز وقد نجحت ثلتهُ نجاحاً باهراً في أعمالها إذ سخّرت الابخرة السامة ومرشات الغاز التي خلفتها الحرب العظمى في عشراتٍ من وجوه الخير العام

***

ومما قالهُ الجنرال فرايز لكاتب هذا المقال الاميركي في فوائد الغازات السامة : —

« لقد شرعت البنوك وجماعة الجوهريين في اميركا تعد المعدات سراً لتركيب أجهزة الغاز المثير للدموع في عماراتها بحيث يكاد يستحيل على الرائي ، وان يكن نقاداً الاهتداء الى فوهات الانابيب التي ينساب منها ذلك الغاز لانها مستكنّة بحذق كي تتوارى عن العيان باختلاطها بنضائد الحجر التي تودع فيها . ويمكنك ان ترى في بضع ثوان ذلك الغاز منتشراً في المكان المراد وقايتهُ من المهاجمين فيخفق بانتشارهِ كل مشروع يقصد بهِ السلب والنهب ، وقد أخذت جماعتنا على عاتقها ارشاد البنوك والاندية الى أجود أصناف الغاز الذي يستعمل لهذا الغرض وايضاح أمثل الطرق لاستعمالهِ »

بيد أن الاجهزة التي يتذرع بها لوقاية العائلات تختلف كل الاختلاف عن غيرها . فان كانت الدار مثلاً واقعة في أحد الاقاليم الغربية بالولايات المتحدة أو بقرب نبع غاز يسهل على ربة الدار استعمال الغاز الطبيعي في طهو طعامها بموقد الطبخ الغازي في مطبخها من غير ان تتعرض لخطر استنشاقهِ لان رائحة الغاز الطبيعي الفائت لا تخفى على أحدٍ . ولكن أنواع الغاز الصناعي الكثيرة الاستعمال في أيامنا هـذه هي نفسها غازٌ سام وهذا كلما قلّ فوح رائحتهُ تفاقمت أخطاره . وكم من حوادث ثابتة تدل على أن السيدات اللواتي أصبن بالغيبوبة في أثناء قيامهن باعداد الطعام كنّ يجهلن أن ريحاً هوجاء هبت فاطفأت اللهيب المتولد من فوهة أنبوب الغاز فانتشر الغاز في المطبخ واستنشقتهُ السيدة وهي لا تدري . وهذا هو الخطر المقيم الذي تكفلت مصلحة الكفاح الكيماوي بالقضاء عليهِ

أما الغاز الذي يثير العطاس فمركب يهيج اغشية الانف ، أستنبط في غضون الحرب الكونية واتجهت اليه أنظار الجماعة الكيماوية الآنفة الذكر. وهذا اذ استعملت منهُ مقادير طفيفة فلا ضرر منهُ . وعملاً بارشاد مصلحة الكفاح الكيماوي قد شرعت شركات الغاز الصناعي في اضافة مقادير ضئيلة من الغاز المعطس الى كل الف قدم مكعبة من الغاز الصناعي المستعمل وقوداً . وبناءً على ذلك يقول الجنرال فرايز « ومن الآن فصاعداً اذا تُرِكَتْ فوهة أنبوب غاز مفتوحة خطأ من غير ان تكون مشعلة احدث الغاز المعطس المضاف الى غاز الوقود ، عطاساً حاداً ينذر العاطس بالخطر الذي يتهددهُ . وعلاوة على ذلك قد يتنبه من تأثيره الاشخاص النيام فتتضاعف منافعه بهذه الطريقة وسبب ذلك أن الغاز المعطس اذا احترق لا تفوح منهُ رائحة الغاز

واستنبطت جماعة الكفاح الكيماوي غازاً آخر اسمهُ الغاز الظرباني نسبة الى الحيوان المنتن المسمى بالظربان فاخذت شركات الغاز في استخدامه كمنبه ينبه على النضح الذي يحدث في الانابيب . وهذا لاخطر منهُ البتة . ورائحتهُ خبيثة ولكنهُ اذا احترق زالت تلك الريح الكريهة منهُ . وبناءً على ذلك يعتبر من الوسائل التي تثبط عزائم الشارعين في الانتحار بفتح انابيب الغاز الصناعي واستنشاقه منها فتحملهم الرائحة الخبيثة عن المضي في تنفيذ عزمهم الا اذا كان متعمد الانتحار من اشد الناس يأساً من بؤس الحياة فينتحر باستنشاق الغاز السام غير مهتم بالرائحة الخبيثة التي تفوح منهُ

ووقع من عهد قريب ان شذت الارانب البرية الغارة على الضياع في الاقاليم الغربية من الولايات المتحدة فهبّ اصحابها لمقاومتها وقايةً لمزروعاتهم من غائلتها فباءُوا بالخسران وحينئذٍ تجلّت فائدة جديدة للغاز السام — إذ شاهد اولئك الفلاحون غلات اراضيهم تلتهمها الارانب فاستغاثوا من شرها برجال الحكومة المتخصصين لدرءِ الآفات الزراعية فأصاخ هؤلاءِ لشكواهم واتفق وقتئذٍ أن كان لدى جماعة الخبراء الكيماويين مقدار يسير من غاز الخردل . وهو الغاز الرهيب الذي استخدم في الحرب الكبرى حيث كان يحرق رئات الذين ينتابهم من جنود الاعداءِ بتجفيفها . وباشر الزرّاع بكل حذر رش الحقول حيث توجد آثار اقدام الارانب بمرشات مملوءة بغاز الخردل تحت اشراف اولئك الخبراء. وما سقط ذلك الغاز على الارض حتى تحوّل نقطاً صغيرة كانها قطرات الندى . وجاءت الارانب كعادتها للانتجاع سائرة في سبلها المطروقة من قبل التي رُشَّ عليها الغاز الخردلي فلصقت قطراته بقوائمها فلعقتها كدأبها فهلكت . فزالت بهلاكها « غائلة الارانب »

ولما وضعت الحرب اوزارها خلفت من معداتها مقادير كبيرة من غاز الهيدروسيانيك

أي البروسيك «غاز سام مركب من الهيدروجين والكربون والنيتروجين بنسب متساوية» فرأى الخبراء الكيماويون الاستفادة بها في زمن السلام – وهذا الغاز ذو خاصيات مهلكة تبيَّنت في القنابل الفرنسية في خلال الحرب العالمية وهي احداث شالل في الجهاز العصبي يتبعهُ الموت الزؤام—وهاتيك الخصائص نفسها هي التي جعلت ذلك الغاز مطهراً عظيماً لتطهير بواطن البواخر بطريقة التبخير—تطهيراً مفيداً من كل الوجوه الأوجهاً واحداً—لانهُ يقتل الفيران وما يعلق بفرائها من البراغيث التي تنقل جراثيم الطاعون والحمى التيفوسية ولكن وا أسفاه قد حدث منهُ ذات مرة ما لم يكن في الحسبان— واليك البيان :

قدمت من اوستراليا في يوم ما باخرة فرضةَ سان فرانسسكو في الولايات المتحدة وعند وصولها صعد اليها أحد مفتشي مصلحة الصحة العمومية ليستوثق من العمل بالقوانين الموضوعة لتطهير البواخر بالبخار— وما انقضت بضع ساعات على قيامهِ بمهمتهِ وتحققه من نفاذ الانظمة الصحية كالمراد حتى عثر عليهِ ميتاً واأسفاه في جوف الباخرة وظهر ان سبب الوفاة وجود آثار من غاز الهيدروسيانك — وهذا ليس لهُ خصائص تنمُّ على وجوده في المكان الذي يطلق فيهِ فتسمم المفتش وقضى ضحية للواجب

وحدثت عدة وفيات من هذا السبب فلم يسع الجنرال فرايز الأ مزج غاز الهيدروسيانك القتال بأحد انواع الغاز المثير للدموع وهو كلورور السيانوجين ثم جرّب تجارب شتى في مراكز الجيش ومخازنه حتى ايقنوا من فائدتهِ للغرض المقصود فعهدوا الى مصلحة الصحة العامة استعماله في السفن فصار استعمال الغاز الهدروسيانيك مأمون العواقب اذ انهُ يدل على وجوده بنفسهِ في حينه باثارة الدموع وهذه نذير للنجاة. هذا فضلاً عن استخدام غازات القتال السامة لابادة الحشرات التي تلتهم المزروعات . ومما يروى في هذا الصدد : ان جنديًّا محنكاً يسمى جونسون تهيأت لهُ فرصة تمكن فيها من الاعراب عما يخالجهُ من الاطناب في مدح ذلك الغاز اللعين وهو عينهُ الذي كان يتأوه منهُ في ميدان الحرب . وتفصيل الخبر ان هذا الجندي اصيب باحتقان رئوي فاستصوب ديوان الجنود القدماء مكافأتهُ على بلائهِ في الخدمة الحربية الطويلة فمهّد لهُ سبيل الفلاح بالسفر الى جزائر هواي حيث يباشر استغلال اشجار الاناناس ففعل . وحدث انهُ لما بلغ تلك الجزيرة وطفق يعمل في الزراعة ناء بمشاقها لان رأس ماله كان زهيداً وجاءت حاصلاتها مخيبة لآمالهِ وكابد زملاؤه ماكابده من الشقاء فجأروا بالشكوى الى كيماويي الحكومة مسترشدين بهم الى انهاج اقوم المناهج لاستغلال اراضيهم ففحص الخبراء الشكاوى فاستدلوا منها على مكامن الداء فاذا هي طفيليات سماها الكيماويون (نيماتود) تغشى جذور

اشجار الاناناس فتمتص عصاراتها الحيوية فتذوى ثم تموت

فاستورد الكيماويون من واشنطون طائفة من الاسطوانات المحتوية على غاز الكلوروبيكرين المضغوط وهو صنف سريع التبخر من الغاز المثير الدموع وهو الغاز الذي طالما تألمت منهُ عينا صاحبنا جونسون في القتال بالميدان الغربي فأرشدوا الزراع الى رش بعض قطيرات منهُ حول جذور كل شجرة اناناس فما كادت النوامي الجذرية أن تترعرع حتى هلك ماكان فيها من الطفيليات. وعقب هذه العملية ان جاد محصول الاناناس

وقال الجنرال فرايز « وانا نحو هـذا النحو في استخدام المواد الكيماوية لابادة دودة القطن التي تلتهم اللوز وكذلك الحشرات التي تغتال الفاكهة من البساتين ، متوسلين الى بغيتنا هذه بالطيارات فتقوم برش مساحات واسعة من الاراضي المصابة برشات من الطراز الذي استخدم في زمن الحرب لاحداث غمامات الدخان

« ولدينا اختراع آخر وهو الغاز السام المستعمل لوقاية دعائم احواض السفن من نخر الديدان البحرية . وهـذا يتركب من الكريوزوت والغاز الحربي السام المسمى (دفيني — لاميني — كلورارسين) ونحوها من المواد الكيماوية المتعددة

واسفرت التجارب التي قمنا بها في الدعائم التي عولجت بهذا السائل عن كونها تبقى سليمة من ان تنخرها الديدان مدة ثلاثة اعوام اي من عهد اجراء التجربة الى حين كتابة هذه السطور — وقد استنبطت مصلحة الكفاح الكيماوي حديثاً دهاناً سامًّا آخر لصيانة قعور البواخر من الدويبات البحرية التي تعيش لاصقة بها

واستطرد كاتب المقال الانكليزي فقال : — ومن اغرب ما ابانني إياهُ الجنرال فرايز قوله « إنا على اهبة استخدام الطيارات لرش الغاز السام من الجو لاطفاء الحرائق »

وقد حملهُ على ذلك انهُ لما طاف في الصيف الماضي في الاقاليم الغربية بالولايات المتحدة وشاهد الدمار التي تحدثهُ الحرائق في الآجام والحراج هنالك وظهر لهُ ان الاجهزة الحالية المستعملة لمقاومتها غير كافية بالمرام — تذكر في الحال أنهُ في نهاية زمن الحرب قامت مصلحة الكفاح الكيماوي باختراع مرشة غازية تعلـق بالطيارات لرش جنود الاعداء بغاز الخردل بمقادير كبيرة لجاءت المدنة مانعةً لاستعمالها في الميدان الغربي كما كان ينتظر فظلت تلك المرشات الحديثة الصنع لدى المصلحة بلا جدوى . قال الجنرال فرايز « ونرى الآن الاستفادة منها بأن نشحنها بسائل مطفىء للحرائق مثل تيترا كلورور الكربون وهو السائل المنزلي المألوف المستعمل لاذابة الادران — وهذا عند ما يتبخر تتكوَّن منهُ غمامة غازية لا تؤثر فيهـا النار فتخمد اللهيب ، فاذا ما تسنى لمصلحة الغابات تجهيز

اثنتي عشرة طيارة بمرشات من هذا الطراز استطاعت تقليل عدد الحرائق الى ادنى حدٍ.
ولقد تبين لي من البحث ان الطيارة التي تحمل مضخة اطفاء الحريق قد تكون عند ابلاغها نبأ شبوب الحريق طائرة على بعد مائة ميل او مائتي ميل مثلاً فتقصد في الحال الى مكانهِ وتحلق على ارتفاع ملائم كي لا تندلع اليها ألسنة اللهيب فيتاح لها اخماد الحريق بالمضخة بما ينهمر منها من القطرات الكبيرة التي لا يستطيع الهواء تجزئتها فتطفئ النار اطفاءً تاماً في بضع ساعات على حين ان الوسائط الحالية لا تمكن من اخمادها الاَّ في بضعة ايام. آه منقولاً عن مجلة العلم العام الاميركية

***

وكان الكلور اول الغازات السامة التي استعملها الالمان في ميادين القتال ثم جعل بعدئذٍ اساساً بنيت عليهِ انواع مختلفة من الغازات السامة الاخرى . والكلور غاز ثقيل اخضر ضارب الى الصفرة لهُ رائحة خانقة فاذا استنشق في مقادير قليلة اضرَّ بانسجة الحلق والرئتين وشعابهما واذا استنشقت منهُ مقادير كبيرة كان سبباً للموت . ولذلك استعمل في القتال لابادة جنود الاعداء

على ان لهُ صفات اخرى تجعلهُ من افيد العناصر في الصناعة . فهو من اقوى المطهرات اذا اضيف الى الماء قتل ما فيهِ من مكروبات الامراض واذا اضيف قليل منهُ الى الماء الذي ترش بهِ الشوارع قتل ما يكون فيها من المكروبات ايضاً . وهذه الصفة جعلت الاقبال عليهِ عظيماً لاستعماله في تطهير مياه المدن من المكروبات . ففي اميركا الآن ٢٥٢٥ مدينة وبلدة مجموع سكانها يزيد على اربعين مليوناً يستعملون الكلور لتطهير الماءِ الذي يشربونهُ وكان من أثر ذلك ان قلَّت وفيات التيفوئيد فيها نحو ٧٠ في المائة عما كانت عليهِ قبيل الحرب الكبرى . واما في الارياف حيث لم يستعمل الكلور لما استعمل لهُ في البلدان المشار اليها فمتوسط الوفيات بالتيفوئيد لم يقلَّ الاَّ نحو ١٠ في المائة . وكان كلوريد الجير يستعمل قبلاً في تطهير المياه فيفلت منهُ الكلور ويفتك بالمكروبات اما الآن فيستعمل الكلور السائل . ومما يستعمل لهُ ايضاً تطهير مجاري العواصم الكبيرة قبل اطلاقها في بحر او نهر فتؤمن كذلك مغبتها. كذلك يستعملهُ اصحاب المدابغ في ازالة الروائح الخبيثة والقائمون على صحة الفرض البحرية لتطهير مياه الشواطئ حيث يستحمُّ الناس. وكل مستشفى حديث يجب ان تكون فيهِ اسطوانة من غاز الكلور تستعمل في صنع سائل خاص لتطهير الجروح.
وغاية احدى التجارب التي تجرب الآن استعمالهُ لحفظ اللحوم والاثمار من الفساد

اركان التفكير الصحيح

اساليبهُ وعيوبهُ

ليس اليق بالانسان ، على ما اعتقد ، من نعتهِ بنعت الحيوان المفكر . فليس هنالك ، على التحقيق ، من صفة مفردة تجعل الانسان يقف هذا الموقف المنعزل وتميّزهُ هذا التمييز الواضح المعالم ، في عالم الحيوان ، كهذه الصفة - صفة التفكير . واختلافهُ فيها عن الحيوان هو اختلاف كيف لا اختلاف كم ، على ضدّ باقي الصفات التي يشترك فيها والحيوان على درجات من التفاوت . فالانسان ليس بالحيوان الاجتماعي الفذ ، كما يريد البعض ، وهو ليس بالحيوان الناطق الوحيد ، كما يريد البعض الآخر ، فان كثيراً من الحيوانات لهُ ، على وجه التعميم ، شيء من احدى هاتين الصفتين او من كلتيهما قلّ او كثر هذا الشيء . اما ان الانسان هو الحيوان المفكر الوحيد فهذا لا شك فيهِ . على ان هذا لا يعني ان كل انسان ، بحكم الضرورة ، يفضل الحيوان من هذا القبيل . فان كثيرين ممن سقمت افهامهم واعتلّت مداركهم يقفون مع الحيوان عند درجة الادراك الحسّي ، فلا يفضلونهُ في شيء ، ويفضلهم في اشياء . وثم فئة اخرى لا تحب ان تجشّم نفسها مشقة التفكير الصحيح فتسير في ادمث الطرق والين المسالك ، وهو ضعف شائع في كثير من الافراد والطبقات . ولكن بالرغم من هذا كلهِ فان الانسان يظل ، بما اختُصَّ بهِ من مواهب التفكير ، كائناً منعزل النظير . فالبحث في التفكير بحث في اسمى الصفات الانسانية واجلّها خطراً

اسلوبان للتفكير

التفكير من حيث الاسلوب ، على نوعين : التجريبي والعلمي . اما الاسلوب التجريبي فهو الاسلوب الذي سار عليهِ علماء الشرق القديم عصوراً طويلة . وهو علة البطء في تقدم العلوم طيلة هذه العصور بالقياس الى اتساع المدة . ان علماء الشرق استطاعوا التنبُّؤ عن اوقات الخسوف والكسوف ، ولكن دون ان يدركوا العلة الطبيعية لذلك ، وقدروا ان يضبطوا الى حدٍّ كبير من الدقة ، حركات القمر والشمس والسيارات ، ولكن دون ان يفقهوا ذلك النظام الشامل الذي يهيمن على حركات هذه الاجرام . وقد اهتدى هؤلاء العلماء الى هذه الحقائق من الملاحظات المتكرّرة بتكرُّر هذه الظواهر . فالراجح الذي يهدي اليهِ الاستقراء انهم لم يتمكنوا من تعيين اوقات الخسوف

ذلك ان المتصلّب في آرائهِ يصعب عليهِ ادراك مواطن الضعف في هذه الآراء — على حد قولهم : عين المحب عمياء — كما انهُ لا يمكنهُ ان يدرك مواطن الاجادة في آراء غيره . ومما يصحب هذا العيب انهُ يتملكنا غير شاعرين بهِ ، فقد يتوهم أحدنا انهُ من اكثر الناس تساهلاً في آرائهِ ، ومن أنزلهم على حكم العقل ، وهو مع ذلك نجدهُ من اشد المحافظين ومن اكثرهم تصلباً في آرائه . ومن هنا ، على ما اعتقد ، ما نراهُ في قوم يدعون الى التجديد ، وهم من اشد الناس محافظة واكثرهم جمود فكر . والتصلّب في الرأي يُفسَّر من وجهة بسيكولوجية في ان رد الفعل الواحد اذا طال تكرُّره يتمركز أثره في ذهن الانسان بما يحدثهُ من تغيير في خلايا الدماغ . فتتعذر ازالة هذا الاثر . ولعلَّ هذا هو سر المحافظة والرجعية في المتقدمين في السن

ومن عوائق التفكير الصحيح ايضاً عدم المقدرة على تأجيل الحكم في شأنٍ من الشؤون قبل ان يغدو تام الجلاء . وخطورة هذا الشرط تبدو واضحة من ان كثيراً من الاخطاء الفظيعة ، في مختلف العلوم والفنون ، كان ناشئاً من عدم المقدرة على تأجيل الحكم . وتلك طبيعة مركوزة في الانسان لا يطيق علها صبراً . ففي الانسان شهوة عنيفة ورغبة مُلحَّة في تفسير ظواهر الطبيعة على الشكل الذي يتلاءم ومعتقداته وتركن اليهِ نفسه وليست هذه صفة الانسان الحديث فقط ، بل هي احدى صفات اجداده في اقدم اطوار حياتهم ، حينما نسبوا البرق والرعد الى غضب الآلهة ، والمطر والخصب الى رضاها

وثمت مصدر آخر للخطأ في التفكير وهو الجري مع الاهواء ، فقد تكون من الزكانة وحصافة الرأي على شيءٍ كثير ، لكنَّ حكم العاطفة قد يصدّك في مواقف كثيرة عن استثمار مواهبك في الطريقة المثلى وعلى الوجه الأصح

والتعويل على ارباب الشهرة مصدر آخر للخطإِ في التفكير ! فقد ترفض رأياً صائباً لاحد الاوساط لا لعلةٍ الاَّ ان احد الفصحاء قال ما يخالفهُ . وما نقرأهُ في كتب التاريخ عمَّن لاقوا من الاضطهاد اشدّه ، ومن التعذيب آلمه ، بسبب جهرهم بما يخالف ما قالهُ ارسطو وغيره من قدماء الفلاسفة والمعلمين ، شيءٌ كثير

وعيب آخر هو الميل لتقدير قيمة الفكرة بنتيجتها . يحكى عن فولتير انهُ عند ما وُجدت بعض الاسماك المتحجرة في جبال الالب هاج هائجه ، لظنه ان ذلك قد يكون اثباتاً لما جاء في العهد القديم بشأن الطوفان ، مما الجأهُ الى تفسير السبب في وجود هذه الاسماك في ذلك المكان تفسيراً مضحكاً ، وذلك بقوله : أما السياح قد اتوا بها الى هنالك

ولأحوال الشخص الصحية اثرٌ ايُّ اثر في توجيه تفكيره . فالسقيم لا يمكنهُ ان يرى

الاشياء في وضعها الاصلي ونسبتها الطبيعية. وهذا مشاهد جليًا في المستشفيات والمارستانات ودور العجزة . ومما يذكر في هذا المقام هو ان اكثر المتشائمين لم يكونوا في صحة جيدة وان طائفة كبيرة منهم كان مصاباً بعاهات خلقية كالعرج والكتع والعمى وغير ذلك

ومن العيوب الشائعة في طرائق التفكير — على الاخص في هذا العصر — الحكم على الكتاب بمقدار ما يحويهِ من حقائق — ايًّا كان نوعها . وعلى هذا فكتاب يؤلف في فن السباحة او فن الطبخ يستحق من عنايتنا أضعاف ما تستحقهُ الياذة هوميروس وروايات شكسبير وأشعار المعري ! ! كلا ! ليس الامر كذلك ، بل ان افضل ما يفيدهُ المرء من قراءة المؤلفين ليس اختزانه مواد كتبهم في الذاكرة للمباهاة بها ، كما يفعل عدد ليس بالقليل من مطالعي الكتب ، بل ان يتعوَّد أساليبهم في التفكير وكيفية معالجتهم لموضوعات درسهم — هذا إذا كانوا ممن يصح الاقتداء بهم. فاذا كنت تقرأ لا ليقال عنك انك انسكلوبيديا متحركة ، وكان من تطالعهم بعيدي الغور ، نافذي البصائر ، فأحر بك ان تكتسب هذه الصفات منهم ، لكن بالتأثير وليس بالانتقال ، كما لو أدنيت قضيباً ممغنطاً من آخر لا مغنطيسية فيهِ ، دون ان تلمسهُ بهِ ، فتصبح طريقتهم في معالجة الموضوعات طريقتك ، وتطبع أساليبهم في ذهنك ، وقوتهم ، الى حد ما ، تضحي قوتك فكما انك اذا حاولت ان تترسَّم جباراً في مشيه فتتعود الخطو خطواً واسعاً ، كذلك القارئ الذي يتتبع المؤلف الفذ يجد نفسهُ أوسع خطواً في عالم الفكر

وآخر ما نذكرهُ من عيوب التفكير هو ان كثيرين لا يضعون لتفكيرهم هدفاً جليًّا ، بحيث يكون كل جهد يأتونهُ مما يساعدهم على بلوغ هذا الهدف ، بل تراهم يندفعون هنا تارة وتارة هنالك كالسفينة تتقاذفها هوج الرياح. فقد يعنّ على بال أحدنا ان يكتب شيئاً، ولكن لا يدري حول اي شيء يكتب هذا الشيء ، فيذهب يكدُّ الذهن ويقلّب الكتب على خلاف طائل . على ان جلاء الهدف وحده لا يكفي لكي ينتفع المرء باقصى ما لديهِ من جهد ، فان تقدير المدى لهذا الهدف امر آخر يستحق ان يعطى من عنايتنا اكبر قسط . فالواقع ان هناك اناس لا يحسنون تقدير ملكاتهم بدقة : فهم بين ان يرفعوا اهدافهم الى حد لا يكون بطوقهم ان يصلوا اليهِ مهما جهدوا ، أو ان ينزلوها إلى حد لا يستفزُّ اقصى قواهم ، ويلوح لي ان التمرين المتواصل هو خير ضامن لايقاف المرء على سعة الحيز الذي يمكنهُ ان يشغلهُ في أي شأن من شؤون الحياة . وقد يؤخر التمرين الزمن الذي تستوفي فيهِ الكفاءة حظها من النضوج ولكنهُ لا بد بالغٌ بها حدًّا معيّناً لا يكون لها مضطرب الاَّ فيما هو دونه ، فلا تخطاهُ ابداً

اديب عباسي

هل للنبات احساس نابض ؟

مسألة علمية خطيرة

بين بوز العالم الهندي وبرسن العالم الاميركي

الاستاذ السر جاغادس بوز الهندي مدير معهد البحث العلمي المنسوب اليهِ في كلكتا من اشهر علماء العصر واكثرهم استرعاء للانظار لانهُ استنتج بالامتحان ان في النباتات اعصاباً تتأثر بالمؤثرات كاعصاب الحيوان. فقد وجد مثلاً ان السنط الحساس يشعر بالكهربائية ولو كانت عشر ما يلزم لشعور الانسان بها . وتختلف سرعة شعورهِ باختلاف الاحوال فاذا برد قلَّ تأثرهُ واذا اصابتهُ مادة مخدرة انقطع تأثرهُ الى ان يزول الخدَّر فيعود كما كان. وعندهُ ان هذا يدلُّ على ان الشعور عصبي لا ميكانيكي . وقد تمكن من تحقيق ذلك بواسطة الآلة الدقيقة التي استنبطها للبحث في حركات النبات. فقد وجد بها ان المدة التي تنقضي بين وقوع المؤثر على هذا النبات والشعور بهِ لا تزيد على جزء من ثلثمائة جزء من الثانية ولكن هذه المدة تطول اذا تعب النبات من توالي المؤثرات . ثم اذا تكرَّر وقوع المؤثرات بطل تأثيرهُ بها ولكنهُ يستردُّ قوتهُ اذا استراح نصف ساعة . وتختلف سرعة التأثر حسب كون الغصن دقيقاً او غليظاً فالدقيق اسرع تأثراً من الغليظ . وقد تبلغ سرعة الحركة في الدقيق اربعين سنتمتراً في الثانية من الزمان فهي اشدُّ منهُ في الحيوانات الدنيا .ووجد ايضاً ان السنط الحساس يتأثر بالمجرى الكهربائي ولو كانت قوتهُ عشر القوة الكافية لشعور الانسان بهِ . وانهُ يتأثر من اعلى الى اسفل كما يتأثر من اسفل الى اعلى اي سواء فعل المؤثر في طرف الورقة او عند متصلها بغصنها . وان هذا التأثر او الشعور طبيعي لا ميكانيكي فالبرد يضعفهُ او يبطلهُ والمخدرات توقف فعلهُ والسموم تبطلهُ تماماً . وعليهِ ففي السنط الحساس اعصاب مثل اعصاب الحيوان . وقد عرف الاستاذ بوز محل هذه الاعصاب وفروعها بالكهربائية وباستعمال الاصباغ ووجد ان كل عصب منها مؤلف من خلايا انبوبية طويلة تصل بينها اغشية كما في اعصاب الحيوانات . ووجد في زند كل ورقة اربعة اعصاب تتصل بزنيدات الوريقات المنتظمة على جانبي الورقة . ولكل عصب من هذه الاعصاب الاربعة فعل خاص بهِ في تحريك الورقة اما الى فوق او الى تحت او الى اليمين او الى اليسار

ولد السر جاغادس تشندر بوز في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٨ وبعد ما تخرج من كلية سانت زافيه بكلكتا التحق بكلية كريست في جامعة كمبردج ففاز بشهادة الامتياز العليا سنة ١٨٨٤ وعين سنة ١٨٨٥ استاذاً للطبيعيات في كلية الرآسة بكلكتا واشتغل اولا بالمباحث الطبيعية كانعكاس الامواج الكهربائية وانكسارها واستقطابها ثم انتقل الى البحث في تأثر الجماد والنبات بانواع مختلفة من المهيجات سواء كانت كهربائية او ميكانيكية فادى به ذلك الى مباحثه البديعة في اعصاب النبات وهو اول هندي فاز بلقب «عضو الجمعية الملكية بلندن» ونال لقب «سر» سنة ١٩١٧

وقد اثارت بعض آرائهِ المتطرفة هذه وما هو من قبيلها جدالاً بين العلماء قالت فيهِ السينتفك اميركان «انهُ لايكتفي بان يذهب الى ان في النبات نبضاً من قبيل نبض القلب بل يعدو ذلك الى قولهِ بانهُ يرى دلائل الحياة في المعادن وغيرها من المواد غير العضوية . هذه الآراء الخيالية نالت رواجاً عظيماً على يد الصحافة الاميركية فوصلت الى جمهور كبير ولكننا لا نعرف عالماً اميركيًّا واحداً من علماء النبات الممتازين يؤيدها مع انها فازت ببعض التأييد في انجلترا واقل من ذلك في بلدان اوربا» ونشرت المجلة المذكورة مباحث عالم اميركي يدعى الاستاذ پرسن Persson اخذ تجارب بوز واتقن وسائلها وادواتها واعادها مراراً وخاص منها الى نتيجة تختلف عن آراء بوز كل الاختلاف والى القارىء خلاصتها على لسان الاستاذ المذكور : —

السر جاغادس بوز عالم هندي مشهور تعلم في جامعة كمبردج بانكلترا وانشأ معهد بوز بكلكتا والف كتباً عديدة وصف فيها مباحثهُ في اسرار حياة النبات وهي المباحث التي نال من اجلها لقب «سر» والقاباً علمية اخرى . هذا العالم يذهب في كتابهِ الاخير[1] الى ان للنباتات دورة كدورتنا الدموية ويؤيد مذهبهُ بصور كثيرة تبين ان في اصناف كثيرة من النباتات والازهار نبضاً كنبض القلب البشري

هذا اكتشاف خطير . ولكنَّ كاتب هذه السطور يجب ان يعلن انهُ ، مع احترامهِ للسر جاغادس بوز ، وفق الى اكتشاف اكثر غرابة وابعد خطراً فقد تمكن مراراً من ان يحصل على نبض شبيهٍ بنبض القلب البشريّ انتظاماً في فتيلةٍ مغموسة بعصارة الكرنب ! واصرّح ان الدلائل التي أُخذت على انها دلائل نبضٍ قلبي لم يكن سببها الا عدم الدقة في وسائل الامتحان وادواتهِ . فلما احترست من الوقوع في الخطاءِ لم احصل على شيء من الدلائل المذكورة . واذا سئلت ان الخّص رأيي في هذا الموضوع قلت ان السر جاغادس بوز وجد في النبات نبضاً قلبيًّا لانهُ كان يودُّ ان يجدهُ فيها

---

(١) Plant Autographs and their Revelations

ان موقفي ازاء العالم الهندي الممتاز موقف احترام واعجاب . اني اجلُّ ما بذلهُ من الجهد المظيم في اثناء ثلاثين سنة ليكشف الستار عن كثير من مجاهل الحياة النباتية. ولكني ارى انهُ في النتائج التي وصل اليها في كتابهِ الاخير لم يكبح جماح هواه بضابط من عقلهِ

فلقد اثبت هذا العالم بتجاربهِ المتعددة — كما قدمنا في طليعة هذا المقال — ان في النبات اعصاباً تتأثر بالمؤثرات ويختلف تأثرها باختلاف الاحوال من برد وحرّ وتنفعل بفعل المخدرات والسموم وهلمَّ جرًّا . كل هذه الحقائق الجديدة التي اضافها الى ما نعرفهُ عن حياة النبات ، رغماً عن شيء من الحماسة الشعرية يمتزج أحياناً بكتاباتهِ العلمية ، لها قيمة كبيرة وقد احرزت للكاشف عنها مقاماً ممتازاً بين العلماء

اما في كتابهِ الاخير « اسماء النباتات بخطها وما تنبيء عنهُ » فيصف السر بوز «درة مباحثهِ» على ما يصفها احد النقاد الانكليز وهو «ان عصير النباتات يُدفع في عروقها بجهاز ميكانيكي يشبهُ في اصولهِ جهاز الدورة الدموية في الجسم البشري» . ويأتي بعد ذلك على كثير من تجاربهِ التي تؤيد في رأيهِ هذا الزعم ويدعمها بصور بيانية تمثل في خطوط مكسّرة التغيّر المنتظم في قوة مجرى كهربائي دقيق متصل بنبات من النباتات

لا سبيل الى انكار الشبه الكبير بين هذه الصور التي تبين النبض في النبات والصور الكهربائية التي تبين نبض القلب . ولكن هل التشابهُ سطحيٌّ فقط او هو اعمق من ذلك واصولهُ في الحالتين متشابهة ايضاً ؟ هذا ما اردت معرفتهُ فجربت طائفة من التجارب في معملي بمونتكلير من اعمال ولاية مشيغن للاهتداء الى الجواب عن هذا السؤال الخطير

***

يصف العالم الهندي في كتابهِ الادوات العلمية الدقيقة التي استعملها في تجاربهِ. واحدى هذه الادوات مسبار كهربائي مؤلف من سلك معدني دقيق محدّد الرأس مستطيلهُ متصل بعدّاد كهربائي . فكان يغرز هذا المسبار في النبات مقدار قطر شعرة حتى يعثر على الطبقة الحساسة في انسجة النباتات . وبواسطة هذا المسبار وهذا الغرز المتدرج حصل على آثار مجرى كهربائي متّزنة دلّت على وجود نبض قلبي او ما يقابلهُ في الازهار والنباتات التي جرّبت تجاربهُ فيها. ثم جعل يحقن هذه النباتات بمقادير صغيرة جدًّا من السموم كالستركنين مثلاً فوجد ان الستركنين زاد النبض قوة فلما زاد مقدار الجرعة وقف النبض تماماً

اما وقد لخصت رأي العالم الهندي وطريقتهُ في تجاربهِ فلاصف للقارئ كيف اتصل موضوع بحثهِ بي وكيف حُملت على اعادة تجاربهِ . ذلك انهُ يهمني في عملي طائفة من

الامراض تنشأ عن سموم في الجسم تولدها بعض انواع المكروبات ، واقوم مع مساعديّ بتجارب كثيرة نجربها في الارانب والجرذان وخنازير الهند لندرس فعل هذه السموم في اجسامها ولنحاول الكشف عن دواء لها فاتصلت بي مباحث السر جاغادس بوز الاخيرة فلمحت حالاً امكان استعمال طريقته لتجربة فعل السموم في النباتات على نحو ما كنا نجرب فعلها في الحيوانات فعزمت مع مساعديّ الدكتور ولرد بنت والمستر ولتر كريج ان نعيد التجارب التي استنبطت في معهد بوز بكلكتا لكي نتعلم من ذلك وسائلها واساليبها

فصنعنا اولاً المسبار الكهربائي الذي وصفهُ السر جاغادس بوز في كتابهِ وكان هذا المسبار مؤلفاً من انبوب شعري مستطيل الرأس محدّدهُ وفيهِ ادخلنا سلكاً من البلاتين قطرهُ جزء من ٧٥٠ جزءًا من البوصة وجعلنا كل السلك الاّ رأسهُ معزولاً بالانبوب الزجاجي الذي يحيط بهِ . ثم وصلنا هذا المسبار بآلة دقيقة تستطيع ان تقيس حركة هذا المسبار مهما دقّت ولو بلغت جزءًا من ٢٥٠٠ جزء من البوصة . وقد عنينا كلَّ العناية حتى نمنع كلَّ اتصال كهربائي الاّ بين رأس المسبار ونسيج النبات

ثم جئنا بمقياس للكهربائية (غلفانومتر) واقمناهُ على قاعدة ضخمة من الطوب واقمناها هي بدورها على ثمانية اركان من اللستك لنمنع اهتزاز المقياس وارتجاجهُ . ثم وضعنا امام المقياس آلة فوتغرافية تستطيع ان تصوّر على فلم كلَّ انحراف في ابرة المقياس

فلما تمَّ بناء الادوات اللازمة للتجربة اجتمعت لدينا وسيلة علمية دقيقة نستطيع ان نصوّر بها كل نبض يظهر في النباتات اذا كان ثمت نبض ما . ذلك ان نبضاً كهربائيًّا منتظماً في النبات لا بدَّ ان يحرّك رأس المسبار حركة منتظمة فتسري الكهربائية في السلك الى المقياس الكهربائي فتنحرف ابرتهُ الى اليمين او الى اليسار حسب قوة الكهربائية وضعفها وانحرافها هذا يصوّر فوتغرافيًّا على فلم . فاذا لم يكن في للنبات نبض منتظم لم تنحرف ابرة المقياس الكهربائي وظهر الخط على الفلم مستقيماً ولكن اذا وجد في النبات قوة تؤثر في مقدار القوة الكهربائية التي في المقياس انحرفت الابرة وظهر الخط على الفلم مكسراً كأنهُ خط الحرارة لمريض بالحمى التيفوئيدية

وقد ذكر السر جاغادس بوز اسماء النباتات التي جرّب تجاربهُ فيها فاذا هي من الفصيلة الصليبية التي تضم الكرنب واللفت والقرنبيط والجرجير فاخترنا اللفت وجربنا اكثر تجاربنا بهِ لان لورقتهِ زنداً وجربنا ايضاً تجارب في نباتات اخرى استعملها الدكتور بوز في تجاربهِ وذكرها في كتابهِ فوصلنا فيها كلها الى النتيجة عينها

بدأنا التجارب وغايتنا منها تدوين آثار النبض التي وصفها الدكتور بوز كما تشاهد في جذوع النبات ناتجة عن حركة عصارتها وقياس التغييرات التي تحدث في هذا النبض اذا عولجت الجذوع بانواع مختلفة من المخدرات

ولثقتنا العظيمة بمباحث العالم الهندي كنا ننتظر ان نرى نتائجها مكررة في معملنا . ولكن مع كل الدقة والعناية التي توخيناها في وسائل التجارب وادواتها على ما هي موصوفة في كتاب السر بوز عجزنا عن الحصول على شيء من قبيل نبض منتظم في انسجة النباتات الحية . واعدنا التجارب مراراً متوخين في الادوات المستعملة درجة من الدقة تفوق دقة الادوات التي استعملها السر بوز ولكن من غير ان نحصل على شبه دليل على وجود نبض صحيح . جربنا التجارب في اوراق مفصولة عن نباتات حية وفي اوراق لا تزال متصلة بنباتات نامية في اصص . كذلك جربناها في المعمل وفي الهواء الطلق ليلاً ونهاراً وفي احوال مختلفة من الحر والبرد والنور والظل . وفي النهاية رأينا الواجب يقضي علينا ان نذيع نتائج مباحثنا على الجمهور

ثم اورد الاستاذ تفاصيل هذه التجارب مما لا مجال للتبسط فيه في هذا المقام ولكن نتيجتها كانت انهُ كلما اتقنت وسائل العمل ومنعت الاسباب التي تهزُّ الادوات المستعملة وترجها اقتربت الخطوط المرسومة على الفلم الفوتغرافي من ان تكون خطوطاً هندسية مستقيمة اي انهُ لم يكن في النباتات الممتحنة تغيُّر ما يحرف ابرة المقياس الكهربائي حتى يظهر اثر انحرافها خطًّا منكسراً . ومن هذا يستنتج ان ما في خطوط السر بوز من التكسر سببهُ اهتزاز الآلة المستعملة اهتزازاً خارجيًّا ناجماً عن عدم ضبط التجربة ضبطاً علميًّا دقيقاً

ثم اراد الاستاذ برسن ان يضبط النتائج التي وصل اليها فاخذ فتيلة مصباح عادي وغمسها في وعاء ممتلىء بعصارة ورق الكرنب وهي في خواصها وقوامها مماثلة للعصارة التي تجري في عروق النبات . ووصل الفتيلة بالمسبار والعدّاد الكهربائيين فاحدثت حركة العصارة في اثناء امتصاص الفتيلة لها انحرافاً منتظماً كل الانتظام تقريباً في ابرة العدّاد الكهربائي فرُسم هذا الانحراف على الفلم خطًّا منكسراً انكساراً منتظماً يشبهُ من وجوه كثيرة « الكارديوغرام » اي الرسم البياني لنبض القلب . فحبذا الحال لو عني قسم المباحث الفنية بوزارة الزراعة باعادة هذه التجارب واتحافنا بنتائجها

مطالعات الصبا ومؤلفات الشباب

كنت وقد نضجتْ مني سن وبخذتني ايام وادبني دهر ، اتحدث الى نفسي في ما قد طالعتُ ازمان الصبا من كتب لو كان الكتاب منها جنيهاً مصريًّا لكنت اليوم من ذوي اليسار املك الاطيان ووافر العقار ، وكيف اني لم أُفد منها شيئاً مذكوراً ولم اعِ منها الاّ قليلا ، بل حاق بي مرة من طائفة منها اذى كبير تخلفتْ لي عنهُ في رجولتي آثار بالغة وتبعات غلاظ

وكنت ارجع البصر كرة وكرتين في ما الفت من كتب وترجمت ايام الغرارة وطراوة السن فكنت اجدني كارهاً متندماً على ما أعجلت من عمل كان يتوفر لهُ التمام والاتقان لو تركتهُ الى سن التجارب المنضجة والتحصيل الذي ربما ليبلغ باذن الله اشدّهُ

وكنت من قريب اقرأ كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) للكونت هنري دي كاستري ترجمة المغفور لهُ فتحي باشا زغلول . وكان الكونت دى كاسترى مؤلف الكتاب قد شاهد في ريعان شبابهِ صلاة المسلمين في صحارى بلاد المغرب وقد اذّن المؤذّن بحيّ على الصلاة فنزلوا من على صهوات خيولهم يقيمونها خُشّعاً ساجدين فاكبر الكونت ما قد رأى ووراءه جلال هذا القنوت لله وأُشرب بحب هذا الدين قلبهُ ، فهمَّ يكتب يومئذٍ ما جاشت بهِ نفسه في ثورة العاطفة ، ولكنهُ اتأد ولم يكتب الاّ بعد ان مضى بهِ حين طويل . وفي ذلك يقول في ص ٣ : « كنت في سن يستسهل العقل فيها حلّ المشكلات ويأخذ الاشياء من ظواهرها ويحل الخيال فيها محلّ النقد والتنقيب ويعتقد المرء في الامور بغير قيد. وهي سن لو انصف اهلوها لما كتبوا واتّئدوا وكنت ارى ان جمال الدين اصدق شاهد على انهُ الدين الحق وصرت اكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطهُ القلم طوع الفؤاد

« ولو اني اتبعت مجرد الظواهر وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموماً ورماني المستشرقون بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الاوروباويين »

اما حين تناهى شباب الكونت وامسى رجلاً مستوياً نضيجاً مستتم التجارب ثقيل النظر في الامور خبير الرأي والمعرفة فقد كتب في الاسلام كتاباً يرضي المسلمين والمستشرقين والعقلاء المنصفين

قرأت سطور هذا الكاتب في مطالعات الشباب ومؤلفاته فطاب عندي مذاقها وطربت لهذا الاتفاق في الخواطر بين كاتب وكاتب ، فقلت فلا كتبنَّ في هذا رأيي واختباري فاني احسب ان فيهِ لنشئنا وفتياتنا عظة وان لهم منهُ درساً نافعاً

***

نشأت مولعاً باصناف من الكتب ثلاثة : كتب اللغة والادب ، وكتب الحكمة والفلسفة ، وكتب الاقاصيص والروايات . وكان للروايات عندي في سن المراهقة منزلة الصدر . فما ابقت مطالعتي منها على شيء وجدتهُ في خزانة ابي او في خزانة رفاق التلمذة مما كانوا يعيرونني اياهُ منها . فاما جانب التفكير منها والافادة فشيء يسير الفيتهُ في بعض روايات الفرنسويين من نسّاج الحقائق والمقررات العلمية والفلسفية من طائفتي الناتوراليست (naturalistes) والرياليست (réalistes) واحتاج اليوم الى مراجعتهِ لاذكرهُ ذكراً تامًّا ولافيد منهُ فائدة بينة مثل روايات ستندال وبلزاك وزولا وموپاسان

اما الجانب النفسي والاخلاقي فجانب واأسفاه خراب كلهُ خرجت من قراءتهِ بالمضرة البالغة فان في طبيعتي ، وانا رجل عصبي المزاج ، ميلاً الى لذات الاحلام وتخدير الخيالات وما اليهما من افراط التأثر وغلبة العواطف التي هي جميلة في النساء ومكروهة اذا افرطت في الرجال . فلقد قلبتْ الرواية في عيني الحياة — وحسبُ الشباب جهلاً بالحياة ! — وجعلتني أريد أرادة المتعنت القاسي تطبيق الذي اقرأهُ في الرواية على ما انا صانع بالناس والناس صانعون بي متعامياً عن حقائق الامور ووقائع الدهور فاوذيت من الناس بالخديعة واوذيت من الحوادث بمطاعنتي لها في مجراها ومجالدتي لها في قضائها الذي سُنّ لها وكتب ، فلم افق الا يوم شارفتُ السادسة والثلاثين وقد كدت أهن واتضعضع ويذهب جسمي وكلي ، وليس بيدي من الوف الفرص الحسان التي عرضت لي واغرتني بحلاوتها شيء

اما كتب اللغة والادب وكتب الحكمة والفلسفة فما افدتهُ منها على كثرة الغوص وامعان التقب كان كرؤيا الاحلام تُذكر منها اشياء وتنسى اشياء لا لحام بينها ولا صلة . وكان عليَّ ان استعيد قراءتها مرات وكان خير هذه المرات مرة النضوج واكتمال التجربة والتفكير

واضرب لك مثلاً بكتاب « فقه اللغة » للثعالبي الذي حفظتهُ في الصبا غير مرة وكتاب « اميل » في التربية لروسو وكتاب « التربية الاستقلالية » لالفونس اسكيروس وكتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » كل اولئك وما اليها من نفائس المصنفات لم افهم

كنهها واقتبس فوائدها واستخرج منافعها الأ حين ارجعتُ البصر فيها كرة اخرى هي كرة السن الناضجة المبصرة

واحب ان اخص لك بالذكر من بين هذه الكنوز وافردهُ بالتنويه كتاب «سر النجاح» للعالم الفاضل صموئيل صمايلز وترجمة طيب الذكر فقيد العلم والفلسفة العلامة الدكتور صروف . فانهُ خير كتاب وقع في يدي ، تعلمت منهُ كثيراً وغنمت . فاني قرأتهُ ثلاث مرات آخرهن في هذه الايام . أفأنبئك بعجيب ، هو اني قد اهتديت في هذه الاخيرة من مطالعاتي الثلاث لهذا الكتاب ، الى اشياء جمة عظيمة الفائدة لم اكن قد اهتديت اليها من قبل ولا افدت منها ما افدتهُ اليوم من فائدة هي خير من كنز ?

اما مؤلفاتي ومعرباتي فما انا عنها ، على ما بي من حرص وترجيح لوزن الاتقان في ما صنعت يداي على وزن التجارة وشهوة الكسب منذ ان امسكت يميني بقلم ، ما انا عنها براضٍ كل الرضا واجدها بحاجة الى ان اكتبها من جديد بقلم السن التي هذبها صقال الدهر . وما احسن ما كتب في ذلك الجاحظ اذ يقول :

« وينبغي لمن كتب كتاباً الأ يكتبهُ الأ على ان الناس كلهم لهُ اعداء وكلهم عالم بالامور وكلهم متفرغ لهُ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه يغب ويختمر ولا يثق بالرأي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجباً فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرة ، اعاد النظر فيهِ وتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة انقص من وزن خوفهِ من العيب » ثم هل تراك وجدت كتاباً قيماً مخلداً الأ وقد اخرجهُ صاحبهُ وهو في الرجال مكتمل نضيج ? كل عمل جليل وصنع عظيم وبدع بديع كانوا نتاج سن الاربعين او حواليها ، وسير الاولين والحاضرين فيها مصداق ما نقول

فهذا ابن رشد فيلسوف الاندلس كان اعظم مؤلفاته واشهرها شرحهُ الكبير لمؤلفات ارسطو اخرجهُ للناس وهو في الخامسة والاربعين . وزولا الروائي الفرنسوي المشهور فقد اخذت تطير في الناس شهرته يوم اخرج لهم وهو في الثانية والثلاثين ورواياته المعلمة المعروفة بروجون ماكار (Rougon-Macquart) وهي تقع في عشرين جزءاً واتمها وهو في الثالثة والخمسين . واديسون المخترع الاميركي العظيم بدأ يتحف الانسانية بمعجزات اختراعاته وهو في سن الثلاثين . وموباسان القصصي الفرنسوي المشهور بدأ الناس ينتفعون باطيب قصصهِ وهو في الخامسة والثلاثين . وولتر سكوت الروائي الانجليزي

الذائع الصيت اخرج اشهر مؤلفاته وهو في سن الاربعين . ودريدن الشاعر الانجليزي المعروف نضج شعره وجاد ، وهو في سن الثانية والاربعين ولدينا من ذلك امثلة كثيرة على ان الصبا قلما يجيد او يبدع وإنما هو سن الإعداد وتهيئة المجوّدات والجلائل والبدائع التي هي مواليد الرجولة المحنكة والكهولة المختمرة الناضجة وما اردنا بهذا ان يجعل الشباب يدهُ مغلولة الى عنقهِ يمضي في سكون ويمرح في غير ما عمل فليقرأْ الشبان ولكن ما كان اليق بهم واجدى عليهم ، وليؤلفوا ولكن فليعلموا انهُ ليس بالتأليف الذي تقربهِ اعينهم وتناج بهِ انفسهم ،ولكنهُ جسرهم لابد عابروهُ ليصلوا الى ما سيجدون بهِ بَرْد السرور وينالون بهِ مرضاة الناس وثناءهم الحق

ومن العبث والجنف ان تطمع من الحداثة والشباب ان يتعقلا ما يطالعانه من كتب تعقل النضج والاكتمال فان علوم البشر وآدابهم تداولتها عصور وتعاقبت في تكوينها وانضاجها اجيال والعقل البشري خاضع لهذه السنة ولا يجد عن سلوك هذه الجادة مصرفاً ولا وسيلة فان لهُ حدوداً معينة وازماناً محددة يبلغ فيها تمامه ويمسي اهلاً للكسب متهيأً للاستفادة وجودة الاستغلال . ولا بد لهُ من توفية مدة صقاله وغاية تهذيبه وزمن تقلقله وتقلبه واضطرابه حتى يصير الى حد الاتزان والارتكاز . لهذا كانت استفادة الشباب بمطالعاته سقيمة عرجاء . واكتتاب واحد بطالع في سن النضج خير من عشرين كتاباً تلتهم في سن الحداثة والشباب

والذي اراهُ للشباب ان لا يقرأ الاّ ما لهُ بعلومهِ مدة الدراسة ، صلة وعلاقة متينة فيطبقهُ حين يفرغ من الدرس الى العمل ليجود بهِ عمله ويشتهر ، وليجتنب الاحداث والشبان مطالعة الروايات والاقاصيص ايّاً كانت وما اليها من معارض السينما فانها لهم لمشغلة ومضلة واذى بالغٌ . ذلك ان هذه الروايات انما تغتذي من الخيال وتهيم في وديانه وتريك صوراً من الحياة هي في الغالب غير ما أنت ترى وتصطدم بهِ كل يوم . والذي يعيش بين الناس ويبغي في الحياة النجاح وجب عليهِ ان يستبضع الحقائق وُسعه وان لا يستجلب من هذا الخيال الاّ بالقدر اللازم لهُ في صنعته او عمله حسب ما تحتاج منهُ لتكمل وتجود . اما السلوك والمعاملة فما لهما بهذا الخيال علم ولا هما يقيمان لهُ اي وزن . وليس بناجح في الحياة مهديّ المسالك الاَّ الذي ينظر الى الامور كما هي والى الناس كما فطرهم الله او كونتهم عاداتهم وامزجتهم

حتى اذا ما ولج الشاب باب العمل وبلغ زمانه فليكن كما تريدهُ حاله الجديدة مكبًا

على صنعته تجويداً لها واذاعة لشهرته بها مُحدّقاً بعينيه في ما يرى ويسمع من الاشياء والناس مستخرجاً مما رأى وسمع العبرة والعظة ، كاسباً لنفسه الدرس والفائدة . من اجل هذا أرى لهُ ان يجعل المطالعة في الكتب العشر وتسعة الاعشار الأخر مطالعة في كتاب الطبيعة . وما تحوي من ناس وحيوان متعرفاً سننها متتبعاً لمجاريها ، متعقباً للامور ، متقصياً لحركات الناس وسكناتهم ، ليفيد علماً واختباراً ونظراً وهداية وصواباً . واولئك جميعاً وسائل النجاح وادوات التوفيق والتيسير . وهو اذا تكوّن من عصير الاختبار وتجمل، وبلغ ما شاء ان يبلغ من النضوج والكمال كان ما يقرأهُ من الكتب منهُ مفهوماً جليًّا قريب التناول ، ولا يغمض عليهِ شيء مما يسنهُ لهُ كاتب في كتاب يقرأهُ او قاعدة من قواعد السلوك يقررها لهُ ، او خطة من خطط النجاح يرشدهُ اليها ، او قانوناً من قوانين الحياة يعرفهُ اياهُ . وانما هو يقرأ في الكتب حكمة الغير عن معالجته لامور الحياة ، ويطلع على اختبار مختبر ودرس دارس . فالسبيل التي سلكها فليسلكها هو كذلك وليعالج ما عالجهُ ذاك . والناس انما يتفاضلون بالاجتهاد والاختبار

وليجعل الشاب الى جانب ما يطالعهُ من هذا العشر من كتب تعزّزُ بها معرفتهُ في قواعد صنعتهِ او عملهِ واسرارها ، ويبلغ بها الى الاجادة والنبوغ فيها ، تلك الكتب المتضمنة للحقائق والمعارف وماديات الحياة التي يقوى بها عقله ويستحكم بها تفكيره ، ويسلم بها حكمه مثل كتب العلوم والمعارف ، والكتب التي تذكي عزيمتهُ وتشحذ همتهُ ، وتغريهِ بالمعالي وتفتنهُ بالكدح وجميل الجهاد فيكون في الحياة ما قالهُ الشاعر :

وتحقر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاول

امثال كتب السير التي تُعدّهُ للاستفادة من الحياة وتكسبهُ المعرفة والاختبار ما يأمن من الزلل والعثار ، وتفطّنهُ الى اغتنام الفرص وشدة الحرص على عدم اضاعتها . وأحسن كتاب في نظرنا وانفسهُ ، يقتنيهِ الشاب منها ويجعلهُ في رأس ما تحتوي خزانتهُ من كتب ، كتاب « سر النجاح » الذي اوردنا لك ذكرهُ في صدر مقالتنا واؤكد لشباننا انهُ ما من كتاب يهديهم الى مسالك النجاح وموالج العظمة مثل هذا الكتاب الذي صح في مؤلفهِ الفاضل صموئيل صميلز ومُهْديهِ الى شباب مصر والمشرق المأسوف عليهِ علامتنا الدكتور صروف ، ما أثبتهُ المؤلف في ص ٢٧٣ من كلام فرنسيس هُرنر الذي كان يُثبت في مذكراتهِ اسماء الكتب التي طالعها فغنم منها غنماً عظيماً فقال في ذلك : « واني اعد الرجل الذي يُظهر للعالم كيفية البلوغ الى العظمة من احكم الناس »

كذلك وجدنا مؤلف الكتاب ومعربهُ المأسوف عليهِ . وشبابنا اذا طالعوا هذا الكتاب مطالعة الامعان والتروية والاستفادة فانا ضامن لهم في حياتهم النجاح الاوفر

وليجعل شبابنا هذا العشر مما يقرأون قليلاً مختاراً ، مضموناً نفعه ، غير منكورة قيمتهُ ، فيعاودوا قراءته كل حين من دهرهم مثنى وثلاث ورباع فان الافادة في الاعادة ، وفي التكرار الإجادة . وفي ذلك يقول اللورد ددلي نقلاً عن كتاب « سر النجاح » : « اني مغرم بالاقتصار على الكتب المفيدة التي طالعتها وعرفت فائدتها واشهد ان قراءة كتاب عتيق مرة ثانية افضل من قراءة كتاب جديد لم يُقرأ قبلاً وان لم تكن الذ منهُ »

أما حين يخلع الرجل بُرد الشباب ليرتدي ثوب الكهولة واستواء السن فليفرغ للمطالعة ما شاء لهُ الهوى ان يتفرغ وليجعل لها بعد ان يكون جال في الحياة مجاله ، واستوفى علماً وتجربة ، وكدحاً وخبرة ، واستيثاقاً لحاضره ومستقبله ، واعداداً لنفسه ولاهله ، وتوطيداً لمعاشه وحاله ، وادراكاً لمبغانه ونجاحه ، ليجعل لها تسعة الاعشار او عشرة الاعشار فما وجدت في مثل هذه الحال مثل المطالعة خديناً مواتياً ،وسميراً ملاطفاً وأليفاً وفيًّا وناصحاً نصوحاً ومعلماً مجزلاً للفوائد .وحكيماً يهوّن من اذى الناس وشرورهم ويلطّف من تنكّر الايام وغدرها فان الكتاب كما قال الجاحظ :

« هو المعلم الذي ان افتقرت لم يحقرك وان قطعت عنهُ المادة لم يقطع تلك الفائدة وان عُزلت لم يدع طاعتك ، وان هبت ريح اعاديك لم ينقلب عليك ومتى كنت منهُ متعلقاً بسبب او معتصماً بادنى حبل لم تضطرك معهُ وحشة الوحدة الى جليس السوء . ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الاَّ منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر ومن عادة الخوض في ما لا يعنيك ومن ملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة واخلاقهم الردية وجهالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الاَّ ان يشغلك عن سُخف المنى وعن اعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما اشبه اللعب لقد كان في ذلك على صاحبهِ اسبغ النعمة واعظم المنة »

هذا ما احسب اني كسبتهُ بعد تجربة طويلة وإطالة اختبار عسى ان اكون في مساقه لشبابنا قد افدت وفي نصحهم احسنت وبلغت

احمد ابو الخضر منسي

وانا بقربك كل يوم عيدي

بِك يا كتابُ أهيمُ لا بالغيدِ والله يعلم والانامُ شهودي
إيّاكَ أشتاقُ اشتياقَ متيّمٍ وإليكَ ألتاحُ التياحَ عميدِ
هوايَ مقصورٌ عليكَ لأنّ لي عوزاً إليك كما الى المنْدودِ
أشدو وأُنشِدُ في جمالِكَ انّهُ مدعاةُ شدوي بل مدار نشيدي
وإذا نثرتُ ففي امتداحك ساجعٌ واذا نظمتُ فانتَ بيتُ قصيدي
يا مؤنسي في وحشتي ومحدّثي عن كلّ أمرٍ نافعٍ ومفيدِ
وجليسَ خيرٍ لا يخافُ جليسهُ من نزغ نمّامٍ وشرّ حسودِ
وصديقَ أمنٍ ليس معْ إخلاصِهِ خطرٌ يهدّدني بنكثِ عهودِ
فإذا سكتَّ فأنت أبلغ ناطقٍ كلماتهُ تقصارةٌ في جيدي
وإذا عبستَ فمنْ وقارٍ شائقٍ منكَ العبوسُ وليس عن تهديدِ

***

يا قبلتي حيثُ اتجهتُ فقلتي ترنو اليك بشوقها المعهودِ
في العام أعيادُ الورى معدودةٌ وأنا بقربك كلّ يوم عيدي
الشمسُ يهديني نهاراً نورُها والبدرُ في جنح الظلام رشيدي
ودمي يجدّدهُ الغذاء فيتقي جسدي الدثور بذلك التجديدِ

وضياءُ عقلي عنك يصدرُ مظفراً نفسي بنيل غذائها المنشودِ
ولديَّ طعم جناك أطيب من جنى نحل ومن رشف ابنة العنقودِ
فيكَ العُلُومُ جميعُها مذخورةٌ فيفوزُ مَنْ يقنُوكَ بالمقصُودِ
تُغْنيهِ عَنْ أُستاذهِ فيقُولُ إذْ يتلُوكَ مالي حاجةٌ لمزيدِ
هذا علمتُ بالاختبارِ فقلتهُ أفبعدهُ أخشى مِنَ التفنيدِ

***

أخلقتَ جدّةَ هذهِ الدُّنيا ومَا تنفكُّ مُدَّخراً لكُلِّ جديدِ
وطويتَ في الأرضِ العصور ولم يزل لك في الورى ذكرٌ كنشرِ العُودِ
وعليكَ كانَ تقدُّم الإنسان منْ عَهْدٍ كما علِمَ الجميعُ بعيدِ
فلأنتَ مرآةُ الحضارةِ معرضُ الـ عُمرانِ والتأسيسِ والتشييدِ
وبكَ ابنُ هذا اليوم يحيا إن يشا في عصرِ آباءٍ لهُ وجدُودِ
منكَ اجتلى الانسانُ أصل وجوده ودرَى نهايةَ عمرهِ المحدُودِ
بل منكَ سرُّ الوحيِ ذاعَ مبلغاً للخلقِ أمرَ الخالقِ المعبُودِ
لوْ أنصفَ القرّاءُ كانُوا كلُّهمْ مِنْ مذهبي وجرَوا على تقليدي
فبكَ الهُيامُ لكلِّ ذي لبٍّ هدًى يحيا سعيداً فيكَ أيَّ سعيدِ

القاهرة — اسعد خليل داغر

الصورة بعد تعريضها لاشعة اكس وقد ظهرت فيها آثار التلف في الصورة الاصلية وكيف اصلحها مصور حديث

الصورة كما تظهر للعين المجردة

مقتطف يونيو ١٩٢٩

اشعة اكس في خدمة الفن

الاساليب الكيماوية والفنية

في تمييز الصور الاصلية القديمة من الحديثة المزيفة

تبقى المسائل العلمية مطوية في سجلات الاساتذة والباحثين حتى تقع حادثة تسترعي انتباه الجمهور وعنايتهُ فتهبُّ الصحف اليومية اولاً وتليها الصحف العلمية تفصل المسألة العلمية المرتبطة بتلك الحادثة على تفاوت بينها في الايجاز والاسهاب والصحة والخطاء

ومن هذا القبيل البحث في الاساليب العلمية المستعملة الآن لمعرفة الصور القديمة الصحيحة من المزيفة . ذلك ان عن الصور القديمة التي خلّفها ائمة التصوير الزيتي كرفائيل ودهفنشي وروبنس ورمبرانت وتِشيَن وميكل انجلو واضرابهم قد بلغت اثمانها مبلغاً لا يصدَّق. فقد بيعت في السنة الماضية صورة لرفائيل بمائة وسبعين الف جنيه. وقد اصبح ابتياع صورة مشهورة بمائة الف جنيه امراً مألوفاً . فالمثري الذي يقدم على دفع مائة الف جنيه او اكثر من ذلك ثمناً لصورة منسوبة لمصوّر مشهور يريد ان يتحقق هل الصورة صحيحة او مزيفة. وخطورة ذلك ظاهرة في قول فاه بهِ الدكتور وليم بود مدير متحف القيصر وليم ببرلين. قال معبراً عن حقيقة تاريخية في قالب من التهكم: لقد صوَّر « رمبرانت » نحو ٧٢٥ صورة عرف منها حتى الآن نحو ثلاثة آلاف ! اي ان ٢٣٠٠ صورة من الصور المنسوبة اليهِ مزيفة او صوَّرها تلاميذهُ المتأثرون باسلوبهِ الفني

وفي اوائل الربيع الماضي رفعت سيدة اميركية مثرية تدعي مسز اندره هان قضية على الخبير الفني المشهور السر جوزف دوفين تطالبهُ بتعويض قدرهُ مائة الف جنيه لانهُ قال ان صورةً في مجموعتها تنسب الى ده فنشي وتدعى « الفرونية الحسناء» ليست الاَّ نسخة مزيفة غير متقنة التزييف للصورة الاصلية المعلقة في متحف اللوفر

فعهدت المحكمة الى طائفة كبيرة من رجال الفن ورجال العلم في الاعراب عن رأيهم في صحة ما ادعاه السر جوزف دوفين. وكان للمسألة دوي في المحافل وطنطنت بها الجرائد وخصوصاً لما اتفق اعضاء المحكمة على ان لا يتفقوا فكتبت اربع من المجلات العلمية التي تصلنا مباحث في هذا الموضوع فرأينا ان نلخصها في هذا المقال ونزينهُ بالصور لتوضيح المراد

يظن عامة الناس ان الصور الزيتية اما اصلية واما مزيفة وقد غاب عنهم ان هنالك صنوفاً اخرى من الصور كل صنف منها لاهو هذا ولا هو ذاك . فهناك صور قد تكون صوّرت في معمل المصوّر الذي تنسب اليهِ بريشة احد تلاميذه فلما تمَّ تصويرها اخذ المعلم ريشتهُ ومسح الصورة بمسحةٍ من فنهِ .وهناك صور قد تكون نقلت عن صور قديمة في عهد المصور الذي نسبت اليهِ فظهرت عليها آثار طريقتهِ.وهناك صور قديمة تلف جانب منها فعمد اليها احد المصورين في العصورالحديثة فرممها واعادها بريشتهِ الى ما كانت عليهِ حسب ظنهِ ! فاذا عهد الى خبير في النظر في صورة قديمة منسوبة الى مصوّر مشهور وجب عليهِ ان يعيّن الطبقة الخاصة التي توضع فيها الصورة المعروضة وهذا من اشق الامور لولم يجد العلم الى ذلك وسائل جديدة تجعل الحكم اقرب الى الصواب

***

انقسم الخبراء الذين لهم حق الحكم في هذه الامور الى فريقين الفريق الاول يذهب الى ان الخبير يستطيع ، اذا كان واسع الاطلاع دقيق الحس ان يحكم على صورة من الصور من مجرد رؤيتها والنظر الى اسلوبها . فهو في الغالب يحفظ في ذاكرتهِ ما تحتوي عليهِ المتاحف من الصور المشهورة وما تضمهُ المجموعات الخاصة في مدن الدنيا ويكون قد توفر على درس مصوّر خاص وتعرَّف طريقتهُ في الرسم والتصوير وضرب الريشة على القماش . فابناء هذا الفريق يكتفون بعرض الصورة التي يدور عليها الجدال على خبير او خبيرين من الذين اختصوا بدرس المصوّر الذي تنسب اليهِ ويؤخذ قولهُ او قولهما حجة

اما الفريق الثاني فيعمد الى المادة يستنطقها ، يفحص الخشب او القماش الذي رسمت عليهِ الصورة بالمكرسكوب ، ويحلل الادهان الزيتية التي دهنت بها . ثم هو من بعد ذلك يعرّضها لاشعة اكس والاشعة التي فوق البنفسجي ليرى هل حدث فيها تغيير بعد ما صوّرها صاحبها . الهوَّة بين اسلوب الفريقين واسعة يتعذَّر سدُّها الاَّ بالتعاون فدعاة الفريق الاول يقولون ان قطعة من الفن يخرجها متفنن كبير لا بدَّ ان تكون مطبوعة بطابع من شخصيتهِ وروحهِ ولا بدَّ ان تظهر فيها اساليبهُ الخاصة . يقولون اذا صوّرت صورة حديثة تقليداً لصورة قديمة امكن الكشف عنها بتحليل اصباغها ولكن كيف تستطيع ان تكشف عن صورة غير اصلية صوّرت في عهد الصورة الاصلية مقلدة لها واستعملت فيها الاصباغ نفسها التي كانت شائعة في ذلك العصر — ان صورة كهذه لا يستطيع ان يكشف عنها الاَّ الخبير الذي درس اسلوب الرجل الفني ومميزاتهِ الروحية وعرف كيف يستدلُّ بها على آثار شخصيته

فيجيبهم ابناء الفريق الثاني كل صورة في اساسها جسم ماديّ — اصباغ وادهان على خشب او قماش. وكل حساب يحسب لمسألة الاسلوب الفني انما هو تكهن لا يثبت حتى تؤيدهُ الادلة المستخرجة من تاريخ الادهان والخشب الذي استعملهُ المصوّر. فنحن نستطيع ان نقول لهم ما هي هذه الصورة ومتى صوّرت وهل الادهان التي فيها قديمة او حديثة وهل الصورة كلها قديمة او هل جانب منها قديم والجانب الآخر حديث. فاذا اتممنا عملنا تمهّد السبيل لكم حينئذٍ لمعرفة من مصوّر الصورة ولكن ضمن دائرة عيّنها البحث العلمي

***

لقد شطّ الكلام عن موضوع المقال الاصلي وهو الاساليب العلمية في خدمة الفن. وهذا الاستطراد كان لا بدَّ منهُ لبيان خطورة الموضوع والاركان التي يقوم عليها

خذ الاصباغ التي استعملها المصورون في قديم الزمان وحديثهِ . كان الاستاذ لوري الاسكتلندي اول العلماء الذين عنوا بدرس الاصباغ القديمة والاصباغ الحديثة وتاريخها فوجد ان الصباغ الازرق المعروف بالازرق الملكي وهو مركب من السلكون واكسيد الكوبالت استعملهُ المصورون اولاً في القرن السادس عشر وان الازرق اللازوردي Azurite شاع في اواخر القرن الخامس عشر (١٤٨٠) ثم اغفلهُ المصورون الى ان عادوا اليهِ ثانية في اواسط القرن السابع عشر

ومنذ مدة طُلب الى الاستاذ لوري ان يحكم في صورةٍ تدعى « الزهرة » لفلاسكز المصوّر الاسباني المشهور في اوائل القرن السابع عشر فتخطى اقوال الخبيرين فيما يتعلق باسلوب الصورة واخذ ذرة دقيقة من الصبغ الازرق المستعمل لتصوير جانب من صورة كيوبد اله الحب فيها واثبت انها مزيج من ازرق الملك والازرق اللازوردي فدحض بذلك اقوال بعض الخبراء الذين ذهبوا الى ان صورة كيوبد في هذه الصورة ترجع الى القرن الثامن عشر فقط

وفي الجدال الذي اثير حول صورة « الفرونية الحسناء » وقف الاستاذ لوري في جانب السر دوفين لانهُ ثبت لهُ من امتحان بعض الاصباغ التي في صورة اللوفر انها الاصباغ التي يؤثرها ليوناردو ده فنشي التي نسبت الصورة اليهِ كما جاء في صورهِ وكتبهِ وحكم انها الصورة الاصلية وما عداها نسخ منقولة عنها

واستعملت طرق الاستاذ لوري في الحكم على صورة نسبت الى المصور الهولندي رويزدايل من مصوري القرن السابع عشر . فاخذ الخبير الكيماوي الذي دعي للحكم فيها ثلاث ذرات دقيقة من ادهانها وامتحنها فحكم ان الصورة حديثة لا يرجع عهدها الى ابعد

من اواسط القرن التاسع عشر وبنى حكمهُ على ان الدهان الابيض الذي فيها هو اكسيد الزنك وهو مركب لم يكن معروفاً من ثلاثمائة سنة اي العصر الذي نسبت اليهِ الصورة. ومصورو المدرسة الفلمنكية استعملوا صبغاً ابيض غير ابيض الزنك. فقد اثبت الاستاذ لوري ان ابيض الزنك لم يستعمل في التصوير قبل سنة ١٧٨١ . ثم وجد الخبير ان القار المستعمل فيها لا يزال شفافاً ولو كان قديماً كما ادعى لكان فعل النور حوَّلهُ الى كربون صلد لا يذوب ولا يخترقهُ النور. ولدى البحث في الخشب الذي صورت عليهِ الصورة وجد ان البروتوبلازما في خلايا الخشب لم يجفَّ كلَّ الجفاف كما ينتظر في خشب مضى عليهِ ثلاثة قرون

وقد اضاف الاستاذ لوري الى بحثهِ في تاريخ الاصباغ وتحليلها طريقة اخرى هي تكبير الصورة بالفوتغراف من ضعفين الى خمسة اضعاف ثم يبحث عن مواضع التزييف فيها . فمنذ بضع سنوات ذهبت طائفة من النقاد الى ان صورة رمبرانت التي عنوانها « السامري الصالح » ليست اصلية فأفحم الاستاذ لوري اولئك النقاد حين اخذ جانباً من هذه الصورة وكبرهُ بالفوتغراف ثم اخذ جانباً من صورة ثبتت نسبتها الى رمبرانت وكبَّرها كذلك ووازن بين الاثنتين مثبتاً ان اسلوب التصوير واستعمال الفرشة واحد في الصورتين

***

نجيء الآن الى استعمال اشعة اكس في الكشف عن حقائق الصور الاصلية والمقلَّدة وهو احدث الوسائل العلمية في هذا العمل الفني الدقيق . ذلك ان الدكتور اسكندر فابر الالماني وجد منذ بضع سنوات ان اشعة اكس تخترق بعض الاصباغ اكثر مما تخترق غيرها. فاذا كان على قطعة من القماش صورة مصوَّرة باصباغ كثيفة وتلف جانب منها فجاء مصوّر آخر واصلح ما تلف بصبغ لا يوازي في كثافته الصبغ الاصلي كشفت اشعة اكس عن ذلك من غير ان تدع مجالاً للريب . واخذ بعض علماء فرنسا وهولاندة واميركا هذا المبدإ عن الدكتور فابر وتوسعوا في تطبيقهِ. وقد عني الاستاذ ألَن بروز الاميركي في اثناء السنتين الماضيتين بتصوير كل الصور المحفوظة في متحف فُغ بكامبردج ماس . وقد جمع حتى الآن الف صورة تتمثل فيها الصفات الاساسية التي امتاز بها المصورون . تؤخذ اولاً كل الاصباغ المعروفة المستعملة في التصوير سواء كانت نقية او ممزوجة وتصوَّب اشعة اكس الى كلٍّ منها وتعيَّن درجة شفوفها . فالاصباغ البيضاء تكون كثيفة عادة لان اكثرها مركب من الزنك او الرصاص . والغريب ان احمر الزئبق ليس على درجة عالية من الكثافة . اما الاصباغ المستخرجة من مواد نباتية والاصباغ الكيماوية المستحدثة فشافة في الغالب ولا يميز بين شفوف الواحد والآخر الا اذا استعملت اشعة ضعيفة لانهُ اذا

الفرونية الحسناء

صورة مسز جراهام

صورة « فينس وادونس » ظلت تحسب نسخة لصورة في البرادو
بمدريد حتى ازيلت الاقذار عنها فاذا هي لتشن احد عظماء المصورين

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٧٣

استعملت اشعة قوية نفذتها كلها على السواء . وقد ثبت ان الاصباغ الكثيفة كان لا مندوحة عنها لمشهوري المصورين القدماء فكانوا يستعملون ابيض الرصاص والاصباغ الارضية . فاذا اخذت صورة قديمة ورممت باصباغ مستحدثة ثم صورت باشعة اكس ظهرت معالم الصورة القديمة واضحة لان اشعة اكس لدى التحكم فيها تخترق الاصباغ الحديثة ولا تنفذ الاصباغ القديمة

***

يظن الناس ان كلَّ صورة مشققة صورة قديمة والواقع ان هذا خطأٌ بل نقيضهُ هو الصواب . نعم ان سطوح الصور القديمة تكون دائماً مغطاة بشقوق كثيرة ولكنها شقوق تبلغ درجة من الدقة لا تستطيع النظرة العجلى ان تميّزها . واما الصور الحديثة اي المصوّرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فتظهر على سطوحها شقوق عريضة متقاطعة تبدو للعيان من غير تحديق النظر . فشقوق من هذا القبيل تشاهد في صور رينلدز واضرابهِ

وتظهر الشقوق العريضة في صورة حديثة اذا استعمل مصورها مادة سريعة الجفاف لاذابة اصباغهِ فتمتص هذه المادة زيت الاصباغ فتتقلص المادة الملونة وتحدث الشقوق

ويجب ان نذكر القارىء في ختام هـذا المقال انهُ قلما توجد صورة قديمة لم تصب بشيء من التلف او لحق بها نصيب من الاذى في الثورات والحروب والبيع والشراء . فصورة تِشَن المعنونة «الزهرة وادونس» ظلت تحسب نسخة عن صورة في البرادو بمدريد حتى ازيل ما علاها من الاقذار فظهرت فيها آثار يد تشن وثبت انها من درر الفن التي لا تقدّر بمال . وصورة مسز غراهام التي تعدُّ من ابدع ما اخرجتهُ ريشة غينزبورو ظلت ملفاة في غرفة قذرة في بيت تجاري بلندن نحواً من ستين سنة لان صاحبتها توفيت بعد تصويرها فلم يطق زوجها ان يحفظ الصورة في بيتهِ

***

فالنتيجة العامة التي يخلص اليها الباحث هي وجوب التعاون بين اصحاب المذهب الفني في تحقيق الصور القديمة ودعاة الرأي العلمي في تحليل الاصباغ والاخشاب والاقمشة وتصوير الصور باشعة اكس وغيرها . فالباحث العلمي يستطيع ان يقول هل الصورة قديمة او حديثة او هل هي قديمة وحديثة معاً وما هو قديمها وما هو حديثها فيمهد بذلك السبيل لصاحب العين النقادة والحس الدقيق الذي يستطيع ان يتبين الروح الفنية التي تتجلى في كل صورة وان يعيّن صاحبها — وقد بلغ احد هؤلاء من الدقة انهُ يستطيع ان يميّز بين اساليب تلاميذ كثيرين درسوا على معلم واحد فتأمل

سوريا ولبنان في نظر الغرب

خلاصة لاشهر الكتب الفرنسية

جبيلة تحت ظلال الارز — رواد الشرق — في جبل الدروز
على طريق تدمر — اللايدي ستانهوب في الشرق

١

كانت سوريا ولبنان ، منذ عهدها الاول ، غاية الفاتحين والتجار والروّاد . وما ان ظهرت المسيحية حتى اصبحا معبراً للحج . فزاد اشتياق عامة الناس اليهما وهرع اليهما جمهور من ابناء الغرب والملوك والامراء والقوّادوالابطال وخصوصاً ابـان الحرب الصليبية، كريكاردس قلب الاسد وجود فروى دي بويون ورينو دي شاتيون وفردريك بربروسا ولويس ملك فرنسا وجوانفيل وسواهم . ثم زارهما من عهد قريب ، الكتّاب الافذاذ من ابناء فرنسا ، كشاتو بريان ولامارتين وميشو وغليوم ري وريـنان ورينه بازان وپول بورجيه ولويس برتران وموريس بارس وامثالهم .هؤلاء جميعهم قدموها في القرن المنصرم والحاضر الى قبيل الحرب العظمى. ثم تلاهم بعيدها ، هنري بوردو ، تصحبهُ كريمتهُ الباسلة، والاخوان تارو وپيير بنوى وغيرهم كثير . ومن المحال البحث عمن اجتاز سوريا من ملوك وامراء وكتّـاب مشهورين فعددهم لا يحصى وتعدادهم متعذر . والروابط التي تربط سوريا بالغرب كثيرة واهمها الدينية والتاريخية وهي التي حملت كثيرين من ابناء الغرب على ارتيادها

وكما يتعذر ان نعرف من اجتاز سوريا من مشهوري الافرنج كذلك يصعب علينا ان نستقصي ما كتبوه عنها . فمن فجر النصرانية كتب الروّاد والزوار المذكرات والرحلات عنها وكفانا استقصاءً وعلماً ان فروض الحج كانت لحين الحروب الصليبية تحتم على الحاج ان يدوّن ما يشاهدهُ في الاراضي المقدسة [1] في رحلتهِ اليها وذلك لاجل بث الدعوة للحج . وقليل عدد الذين ذهبوا ولم يكتبوا شيئاً وانما كان من الفرض عليهم ان يحدثوا القوم بما رأوهُ للسبب عينهِ . وان ما يوجد من المدوّنات في العالم يكفي لان تغصّ بهِ خزائن الكتب العظيمة

Henry Bordeaux—Voyageurs d'Orient—Vol. I
H. Lammens S.J.—La Syrie—Vol. I.

اذن ، فالاستقصاء عما كتب عن سوريا ضرب من العبث واضاعة للوقت سدى وانّى للمرء ان يحصي الكاتبين وما كتبوهُ ! . . . لكن يمكننا ان نأتي على ذكر من احسنوا الكتابة عنها في القرنين المنصرم والحاضر . واولهم شاتوبريان فقد نشر كتاب رحلتهِ الشهيرة وهـذا اغرى لامرتين عميد الرومانتيزم فاتاها ونفح الغرب بقصيدتهِ الخالدة « ارز لبنان » التي تناقلتها الالسن وترنمت بها كثيراً . ثم تلاهما ميشو فافاد تاريخ سوريا فائدة جلى وكان الباعث الاول بل الاهم على الاهتمام بعهد الصليبية ذلك العهد الذي هو مع خطورتهِ واثرهِ العظيم في تاريخنا الغابر قلما نجد في الشرق من يعيرهُ اقل اهتمام فكأنهُ حادثة بسيطة حدثت وسدلت عليها ستر النسيان . فكتابه وان يكن ينقصهُ بعض القيمة العلمية فهو للآن اجل ما خط في موضوعهِ . ثم زار سوريا قبل ان تقذف الحرب ويلاتها عليها وعلى العالم كاتب من اعظم كتاب الفرنسيس هو موريس بارس صاحب الكتب الوطنية القيمة فسار فيها طولاً وعرضاً ونقب وبحث وما ان وضع شيطان الحرب سلاحه حتى اظهر كتابهُ الشهير الذي اودعهُ اهم وادق الملاحظات عن سوريا عموماً وبلاد العلويين خصوصاً وشيخ الجبل ايضاً وقد نال هـذا الكتاب صيتاً بعيداً في اوربا جمعاء ثم حازت بعد ذلك روايتهُ التي انشأها عن سوريا ابان الحروب الصليبية شهرة ذائعة وسمى كتابهُ Une Enquête aux Pays du Levant (استقصاء في بلاد الشرق) وروايتهُ Un Jardin sur l'Oronte (حديقة على العاصي)

هؤلاء هم اهمُّ من كتب عن سوريا الى قبيل الحرب وانتشرت كتبهم بين ايدي جمهور الغربيين فنشرت صيتاً حسناً للشرق . وما افل نجم الحرب وغاب شبحها المخيف حتى نهد من فرنسا وبرز الى ميدان الشرق كاتب من اكبر كتابها واعزّ روائييها صيتاً واحد اعضاء الاكاديمية الافرنسية فاخترق البحار عام ١٩٢٢ م الى ميناء سوريا وحط رحاله في بيروت. هذا الكاتب هو هنري بوردو لكنهُ لم يأت وحده بل صحبتهُ كريمتهُ الباسلة وما عادا الى الغرب حتى ابرزا عدة كتب هي بالحقيقة اجل وابلغ ما كتب عن بلادنا العزيزة. وان ما قاما بهِ لتعجزعنهُ الفطاحل لما اودعاها من معلومات قيمة ولا يغرب عن البال انهما اقاما في سوريا مدة قصيرة جدًّا فلذا يذكر لهما ما اتياهُ مقترناً بالشكر

طالما قرأنا كتباً كثيرة عن سوريا ولبنان ولكننا لا نذكر اننا عثرنا في طريقنا على ما نؤثرهُ على كتب المسيو بوردو وكريمته او نضاهيهِ بها ولذا وددنا ان نأتي بكلمة عنها وآثرنا التحدث بهـا وكلنا امل ان نرى من القراء الكرام حسن الالتفات والعناية

بامثال هذه الكتب المفيدة العظيمة وقدرها حق قدرها وعسانا ان نصيب الهدف ، بما نبسطهُ « وان لنا في نية الاخلاص عذراً »

HENRY BORDEAUX

هنري بوردو

في ربيع عام ١٩٢٢ م ، استقبلت سوريا ، احد اعاظم كتاب فرنسا . وطىء الشاطىء ، وقد أخذ وهو في عرض البحر بمنظر صنين الشيخ ، المكلل بالبياض ، المتوّج بالثلج . قطع سوريا عرضاً وطولاً فلم يترك فيها موضعاً يستزار . ثم عاد الى بلاده العزيزة يحمل لسوريا ، اجمل التذكارات ، واطيب الثناء . وما لبث ان نفحنا ، باول كتاب هو رواية جميلة الخالدة . ثم بثانٍ عن رواد الشرق ، ثم بآخر عن جبل الدروز ، وبث في كتابه الاخير فينا الامل بقرب ظهور كتاب آخر ، يبسط فيهِ رحلتهُ بعد ان يضمنهُ اوفر المعلومات ، ليأتي كتاباً حاوياً لادق التفاصيل ، واعم الفوائد ، فعسى ان نرى عاجلاً هذا الكتاب فيملأ ما تبقّى من فراغ ، ويسد ما لا يزال من ثلم . وهلمَّ بنا الآن ، ولنتناول كتبهُ

***

جميلة في ظلال الارز Yamilé sous les Cédres : هــذه الرواية الخالدة — اجل خالدة ! — هي اول ما اطرفتنا بهِ قريحة بوردو عن سوريا ، بعد رجوعهِ منها . فهي ثمرتهُ الاولى . هي تلك الثمرة التي صوَّر بها ، الحياة اللبنانية القديمة الصحيحة . صورة حية لا غشاء عليها . هي خالية من عمل الخيال وليس بها رائحة للتكلف . واغلب ظننا ان المسيو بوردو هو الوحيد بين الغربيين ، الذين استطاعوا ان يصوروا ويرسموا تلك الحياة بذات الوانها المبهجة والكئيبة . . . دعاها Yamilé . واستعاض بها عن جميلة . ليخفف وقعها على الآذان ، اذ لا يخفى عنا ان من اهم دعائم الادب الفرنسي : موسيقى الالفاظ

ان روايتهُ هذه ، فاقت جميع ما كتب من روايات بالفرنسية ، عن بلادنا ، فاميرة بيير بنوى (Pierre Benoit : La Châtelaine du Liban) هي ابعد كثير عن ان تفي الحياة اللبنانية الحديثة ، حقها . وجميلة بوردو ، تفوقها كثيراً ، بما تظهرهُ من عادات واخلاق لبنانية كما هي على فطرتها . في حين ان تلك لا تظهر سوى ما يبعد في كثير من الاحايين عن الحقيقة . فهي وان كانت تعد من احسن ما كتب من روايات لبنانية ، الاَّ انها لا تقارب « جميلة » على كل حال

موضوع الرواية ، ليس الاول من نوعهِ . ولكنهُ اكبر عظة ، واشد عبرة ... فتاة

مارونية تعشق فتىً كريماً مسلماً. فالفرار ، فالمطاردة . ... فمأساة !! حدثت هذه الرواية بعد حوادث جرت فيها الدماء انهارا ، ولذا كانت نتيجتها مؤلمة محزنة ! حدثت بعد مجازر ١٨٦٠ المؤلمة ولم تكن حوادثها قد غابت عن الاذهان،ولا تزال رائحة الدماء تملأ الجو. لذا كان العقاب حقاً صارماً . وكانت الخاتمة فاجعة !

تحامل كثيرون على بوردو وروايته ، وزعموا — وزعمهم باطل — انها تظهر اللبنانيين بغير مظهرهم الحقيقي وانها تبعث التعصب القديم . ولكنهم لو فكروا لحظة . ونظروا الى الخلف نظرة ، لعلموا ان بها لنا عبرة وذكرى تمنعنا عن التعصب ، وان ما جاء بها لا يخرج عما كان يحدث في غابر الاجيال . غير ان هذه اكبرها عظة وامرّها نتيجة . وذلك لقربها من عهد الدماء ! ومما يؤلمنا ، ويعز علينا ان اسعد داغر ، احد مترجميها (ونظنها ترجمت مرة اخرى.وانما فاتنا الاطلاع عليها) قد قال في مقدمته لها انهُ (اي المترجم) « جنح الى اغفال فكرة ، تمثلها ضارة في مجتمعه ،أو مخالفة لمصلحة قومه». وهذا مما لا يحسن باديب — فضلا عن كاتب معروف — ان ينهجهُ ، اذا ترجم شيئاً .فما يشين المرء ان يحذف امرأً توخاهُ وقصدهُ الكاتب .وان للترجمة آداباً لا يجب ان تغفل قط . ومن الواجب المحتم على المرء ان يترجم ويظهر كل فكرة المؤلف ، واما ان يرفع يدهُ عنها . ولهُ الخيار قبل البدء ، وهذا ما كنا نودّ من معربها الفاضل ولعلهُ يتدارك ذلك في طبعة تالية

قرأت هذه الرواية اولاً بالعربية . ومع اني لست من عشاق الروايات .فقد شاقتني جدًّا ، اذ هي نعم الصورة ، لحياة لبنان . ثم قرأتها بالافرنسية مثنى وثلاث ، ولا ازال اعلل النفس بقراءتها ، عند سنوح الفرص

ومما يذكر لبوردو بالشكر ، انهُ اتى للشرق خالي البال من مأرب في تأليف قصة . ولكن اراد حسن الحظ ، ان تصادفهُ هذه القصة الحقيقية . فرواها كما بلغتهُ على علاتها . كما فعل في روايتيهِ « (البيت المائت) (وخيال شارع ميكلانجلو) . فهي تاريخ حقيقي ، وليس هو مخترع لها »

من عرض البحر والباخرة تمخر العباب تقترب من بيروت ،اضطربت عيناهُ ،اذ وقعتا على اجمل منظر حواهُ لبنان . الثلج يتوّج هامة قممه الشماء . تساءل عنهُ ، فكان الجواب انهُ قمة صنين « التي يمكن الوصول اليها بطريق طرابلس والارز » . اخذ المنظر بمجامع قلبهِ — ومثل بوردو من يقدر الجبال ، فهو من السافوى واحد عشاق جبال الالب الشهيرة ، وروادها المتيمين . فاذا ما اتى على لبنان الشيخ الجليل بالبياض ، علمنا اي قيمة

اعطاها لهُ — عزم على الذهاب اليهِ .فاستقل السيارة الى بشري . حيث نزل ضيفاً كريماً، على احدى عائلاتهـا الكريمة . وهناك تقدم اليهِ احد ابطال الرواية ، خليل الخوري (كما دعاهُ) ليأخذهُ الى الارز

في اليوم التالي صعدا الى الارز . وهناك تحت اشجاره ، المقدسة بالقرب من وادي القديسين ، سقط خليل على الارض وانتحب .. ما بال الرجل ينتحب ؟ بكى اذ تذكر حبيبتهُ جميلة التي رآها لآخر مرة ، وهي صريعة تسبح في دمها الزكي ، منذ نصف قرن . سألهُ بوردو عن سبب انتحابهِ ولوعته .... وكان الجواب .. هذه القصة المحزنة ! .. روى لهُ عشقهُ في صباهُ فتاة ، هي البدر بتمامهِ ، جميلة ابنة رشيد رحمة احد اشراف بشري وسراتها . خطبها من ابيها . وبينما الحب ينمو ويغزو قلبيهما اذ بالدهر الخؤون ، يعمل على الكيد ، ويصب بوارق غضبهِ ....ذهبوا جماعة الى الارز. ورقصت جميلة تحت ظلاله الوارفة وهناك لاول مرة ،وقع نظرها على عمر بك الحسين، بطل حياتها وموتها .وكان قد اتى الى الارز ، وبصحبتهِ احد اصدقائهِ عبد الرازق بك العثمان . تلاقى النظران ،فخفق القلبان :

علق القلب بها لما رنت اي قلب ، بالهوى ما علقا ؟
وتصباها ، فامست صبّةً وتصبتهُ ، فأمسى شيقا !

لاحظ ذلك خليل فأحسَّ بما وراء الاكمة وعلم بما يطويه الزمان الغادر من مصائب

قلوب العاشقين ، لها عيون ترى ما لا يراهالناظرونا !

اظهر ذلك لبطرس ، شقيق جميلة ، فتحرش بفرسان المسلمين . ولكن لم ينجح . فتعارف الفريقان . ثم سافر اشراف عكار الى بلادهم ولكن ما هي الا ايام قلائل حتى عادوا وفي صحبتهم فرس وعد بها عمر رشيداً في الارز واذا بالبيت مقفر من جميلة والفرسان المسلمين . ها قد هربت الفتاة التاعسة ! دوى الصوت والعويل ! اجتمع خوري القرية برشيد رحمة وبعض قرباه وقرروا احضار جميلة حية او مصروعة وانتدبوا للمهمة بطرس وخليلا فامتطيا جواديهما ، وتسلما بندقيتهما ، وطارا لتنفيذ الحكم العادل الصارم ! ويح العاشق المسكين ! ويحهُ ! انتدب لينفذ العدالة في شقيقة الفؤاد ! وصلا شرار ونزلا على احد موارنتها.وهناك علما ان عمر سيتخذ جميلة زوجةً لهُ. كنا لها واستعدا. ولكن حين مرّت ارتخت يد العاشق المسكين. ياله من عاشق تعس ! هكذا زفت جميلة الى عمر ورجعا (بطرس وخليل) الى بشري والفشل في ركابهما. ولكنهما بعد مضي شهور ، بعد موت والدة جميلة التي ماتت قهراً طارا الى طرابلس حيث مسكن عمر والعدالة بين ايديهما وهناك احتالا على جميلة فاخرجتها الخادمة المغرورة الى المقبرة بجوار القلعة عشية

يوم لم يكن عمر فيهِ في طرابلس. وهناك هجما عليها وقبض بطرس شقيقها عليها . اما العاشق اليائس فتردد واخيراً حملاها الى بشري. وهنا تبتدئ الفاجعة. الفت المحكمة العائلية فسئلت فلم تجب لأن عمراً ملأ فراغ قلبها ، فلم يعد فيهِ مكان للاجابة . ايتها الحسناء اما من جواب ؟ . . . صدر الحكم باعدامها . وسلم تنفيذه لبطرس . حاول الخليل انقاذها باللتي واللتيا . كذب على القضاة العتاه ولكنها اشارت بكذبهِ . فعرض ان يتزوجها وحاول ان يهديها سواء السبيل فانتحى بها غرفة اراها ما يكنُّ قلبهُ لها من الحب والاخلاص ، حاول عبثاً ردَّها ولكنها كانت عنيدة فرددت له انها لا تهوى غير عمر فهي لعمر وهو لها. خرجت من الغرفة واوصد عليهِ الباب وترك يملا فضاءها بصراخهِ . حاول تحطيم الباب وهيهات ! استغاث وليس من مجيب . بعد زمن فتحت منتهى — شقيقة جميلة — الباب فخرج منهُ كقنبلة قذفها مدفع ضخم سائلا اياها عن اختها : . . . في الارز ! . . هذا هو الجواب

حمل بندقيتهُ عازماً على قتال جلاديها . ولكن فات الاوان ! واذ بالجلادينِ قادمان من الارز . لقد نفذ الحكم وانتهى تمثيل الفاجعة ! هب يسابق الرياح سقط وقام وتعثر ولا يزال للامل بقية في فؤاده المنسحق رحمة له ! وصل الى الارز حيث الفاجعة الاولى قد مثلت هناك وتحت ظلالهِ القدسية الذكية سقطت جميلة قتيلة الرصاص كما سقط قلبها تحتهُ قبلا قتيل الحب والغرام ! نظر خليل الى جثتها الطاهرة فاذا عمر قد وصل ايضاً بعد فوات الاوان . اراد خليل ان يردي من سلبهُ حبيبتهُ اولاً ثم سلبهُ آخر نظرة اليها . ولكن يده ارتخت ايضاً كما ارتخت قبلاً في شرار حين صوب بندقيتهُ الى صدر الحبيب !

هذا ما رواه خليل للمسيو بوردو . وهما تحت الارز ثم ذهبا معاً الى منتهى شقيقة جميلة وهناك اظهر خليل ان قتل جميلة كان جوراً وظلماً ولكن منتهى اصرَّت انهُ كان في منتهى العدل والحق !

هذا ما يعرفهُ خليل ، ولكن بوردو توصل لمعرفة ، اكثر من ذلك . توصل لمعرفة الخاتمة المفجعة . فقد عاد الى طرابلس ، وهناك قابل رفيق عمر ، عبد الرزاق بك العثمان وكان لا يزال حيًّا يرزق - وسألهُ عن حبيب جميلة . فأخبرهُ انهُ حاول بعد رجوعهِ بجميلة من الارز ، وهي جثة هامدة ، ان يثير المسلمين ، على الموارنة ، ولكن العقلاء الكرام رفضوا ذلك ولما خاب رجاؤهُ بالانتقام ذهب الى قبر جميلة في سفح القلمة وغمد خنجره في فؤاده فانفجرت الدماء على قبر الحبيبة وبل ثراها فدفنوه معها . . . وهذه هي الفاجعة الثانية . . . اسدل الستار وانتهت المأساة ! !

السودان ميشيل سليم كيد

الجزية والخراج في اوائل الاسلام

سياسة الخلفاء الاقتصادية

٢

الجزية والخراج

ظهر العرب من جزيرتهم واخذوا يزحفون الى البلاد المجاورة ويدوّخونها وهم على جانب قليل من الحضارة والعلم بادارة البلاد وليس لهم دواوين مدوّنة ولا نظام معلوم للضرائب الاّ نظام الاعشار او الزكاة او الصدقة [1] الذي ورثوهُ عن اجدادهم او اخذوهُ عن جيرانهم وبعض احاديث عن سُنّة النبي في ما يتعلق بالضرائب التي وضعها على اراضي اليهود والمشركين والنصارى كالتخميس والتنصيف. وكل هذا قليل قد يصلح لبلاد كبلاد العرب في اوائل القرن السابع والقرن العشرين لكنهُ لا يصلح لبلاد قطعت من الحضارة شأواً بعيداً كدولة بني ساسان وولايات بزنطية الجنوبية ومصر حيث كانت الحضارة والتجارة والفلاحة في ارقى درجة. ولهذا لم تكد الجيوش العربية تحتل البلاد المذكورة حتى اخذ عمر منظّم الدولة العربية وواضع دستورها يبحث عن نظام للضرائب جديد يضمن لبيت المال مصلحته ولا يكون مجحفاً بحقوق الاهالي الذين دخلوا في ذمة المسلمين فكان لهُ أما ان يتبع سنة النبي في الجزيرة واما ان يسير في طريق آخر اقتضتهُ الاحوال وسنة التطور. فرأى بعد التحري والتفكير ان يقرّ الاراضي في ايدي اصحابها السابقين ويأخذ منهم الجزية التي كانوا يؤدونها لاصحاب السلطة قبله فكان من ذلك ان اتبع في السواد وبلاد فارس وتوابعها النظام الفارسي او نظام بني ساسان وفي سوريا ومصر وشمال افريقا النظام البزنطي وهو ما يؤيدهُ البحث التاريخي ولا ينكرهُ كتبة

---

(١) العشر والصدقة والزكاة واحد قال ابو يوسف (ص ٧٥) « الصدقة على المسلمين والجزية على اهل الذمة » وقال في موضع آخر ان اهل الصدقة هم اهل الفيء ويغلب على ظني ان كلمة زكاة مترجمة عن اليونانية déka (عشرة — déka) او عن diki (diky) بمعنى العادة. العرف. العدل الحكم. البراءة. الرخصة (الجواز) الجزاء. الغرامة وربما الضريبة ايضاً ومنها زكى اي ادى ما على ارضه او بضاعته من الضرائب (خلصها) ثم استعملت لمعان اخرى ادبية ودينية. وقال ايضاً « العشر زكاة » (ص ٦٩ و ١٧) وذكر البلاذري ان الصدقة والعشر واحد (فتوح البلدان ٣٦٨)

المسلمين. قال الماوردي في « الاحكام السلطانية » (ص ١٣٢ — ١٣٣) « ان عمر حين وضع الخراج[١] على سواد العراق ضرب في بعض نواحيه على كل جريب قفيزاً ودرهماً وجرى في ذلك على ما استوفقهُ من رأي كسرى بن قباذ » وقال القاضي ابو يوسف في كتاب الخراج (ص ٣١) ان عمر بن الخطاب « لما اراد ان يمسح السواد ارسل الى حذيفة ان ابعث الي بدهقان من جوخى وبعث الى عثمان بن حنيف ان ابعث الي بدهقان من قبل العراق فبعث اليه كل واحد منهما بواحد ومعهُ ترجمان من اهل الحيرة فلما قدموا على عمر قال كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم في ارضهم ؟ » وهكذا فعل في الشام ومصر وسائر البلاد المنسلخة عن دولة البزنطيين. وهذا ولا شك اهم اسباب الاختلاف بين احكام الجزية او الخراج في العراق وبلاد العجم ومثلها في سوريا ومصر كما سنبينهُ في محله. ولعلَّ عمر اضطر ان يتبع هذه الخطة اولاً لان دواوين الاراضي المفتوحة لم تكن بعد نقلت الى العربية وثانياً لان الفتوحات العظيمة التي تمت في ايامهِ شغلتهُ واصحابه عن الانصراف الى هذا العمل فتركهُ الى خلفائه[٢] وانصرف الى ما هو اهمّ في ذلك الوقت . على ان هـذا لم يمنعهُ ان ينظر احياناً في الانظمة التي اتبعها ويدقق في امر الضرائب وموارد الخلافة كما يستفاد من اقوال بعض المؤرخين والفقهاء . فقد ذكر ابو يوسف ان عمر قال للدهاقين الذين دعاهم ليستفسر منهم عن مقدار الضرائب التي كانوا يؤدونها الى الاعاجم وعن طريقها « لا ارضى منكم بهذا ووضع على كل جريب عامر او غامر يناله الماء قفيزاً من حنطة وقفيزاً من شعير ودرهماً » (ص ٢١) وقال في موضع آخر (ص ٢٢) ان عمر قال لما رُفع اليهِ ما فعلهُ عثمان بن حنيف في السواد « انهم يطيقون اكثر من ذلك » فاذا صحت هذه الاخبار يكون عمر قد ادخل شيئاً من عنده على انظمة الضرائب التي وجدها في البلاد المفتوحة . الا انهُ يغلب على ظني ان هذه الاخبار وضعت بعد وفاة عمر بمدة طويلة وهي تنبئ عن امور جرت في غير خلافة عمر ثم نسبت اليهِ والا صعب علينا ان نوفق بينها وبين ما جاء عن الخليفة المذكور من حبّهِ للعدل والرفق باهل الذمة وانهُ كان يتبع في ذلك سُنّة النبي الذي جاء عنهُ في الحديث انهُ قال « من ظلم معاهداً او كلفهُ فوق طاقته فانا حجيجه » وانهُ تكلم يوم حضرتهُ الوفاة وقال « اوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ان يوفي لهم (لاهل الذمة) بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم »[٣] زد الى ذلك ان عمر كان يطلب من عماله في الامصار وجباة

---

(١) الخراج هنا بمعنى الجزية (٢) معلوم ان ديوان الرومية وديوان الفارسية لم ينقلا الى العربية الا في ايام عبد الملك والحجاج (فتوح البلدان ١٩٣ و ٣٠٠ — ٣٠١) (٣) كتاب الخراج لابي يوسف ص ٧١

المال « ان يقصدوا العدل فيما بين اهل الارض وبين اهل الفيء من غير زيادة تجحف باهل الخراج ولا نقصان يضرّ باهل الفيء » [1] . ولا ريب في ان مَن يدقّق في اقوال مؤرخي العرب عن سياسة عمر الاقتصادية واقواله في وجوب مراعاة العدل ويدرس احوال البلاد المغلوبة درساً منزهاً عن الغرض لا يسعهُ الاّ ان يقرّ بان الجزية التي كان يؤديها اهل الذمة في خلافته لم تكن باهظة ولا مجحفة بحقوقهم وهو ما يقول بهِ مستشرقو اوربا ايضاً [2] . فقد أجمع اصحاب التاريخ وكتب الخراج او كادوا يجمعون ان جزية مصر كانت في خلافة عمر دينارين على الحالم ما عدا النساء والصبيان والشيوخ وكانت جزية اهل السواد درهماً وقفيزاً على كل جريب وثمانية واربعين درهماً على رأس الموسر واربعة وعشرين على الوسط واثني عشر على الفقير او العامل بيده او الصانع [3] فاذا صح ذلك كان ما اقرّهُ عمر على اهل الذمة من الجزية يتراوح بين دينارين ودينار اي نحو جنيه ونصف جنيه مصري على رأس الحالم كان يؤديها ورقاً وذهباً او عرضاً كالدواب والمتاع وخراج الارض كما كانت الحال في ايام الاكاسرة والرومان والبزنطيين . وهي جزية معتدلة اذا قابلناها بما يؤديهِ الفلاح اليوم في سوريا ومصر والعراق . واذا اعتبرنا ان اهل الذمة لم يكونوا في ذلك العهد يؤدون غيرها من الضرائب لا على بيوتهم ولا على تجارتهم الخ وذلك لان الجزية كانت وقتئذ ضريبة واحدة تشمل كل ما وضع على رقاب أهل الذمة وعلى اراضيهم معاً اذ انهم لم يكونوا في اول الامر يفرقون بين رقاب الناس ورقاب الارض وكانت الجزية تؤخذ من رقاب او عدد سكان القرية او الرستاق بالتخمين لا عن مساحة الارض [4] وقد بقوا متبعين هذا النظام الى اوائل حكم بني امية — كما ارجح — حين بدأوا يفرقون بين ضريبة الرؤوس او الرقاب وبين ضريبة الاراضي او بالاحرى خراج الاراضي او ايجارها فسمّوا الضريبة الاولى جزية واطلقوا على الثانية كلمة خراج وهي كلمة يونانية [5] كانت دارجة في مصر وسوريا قبل ان يفتحهما العرب وكانت تستعمل للدلالة على ما كان المزارع يؤديه عيناً لصاحب الارض اي للحكومة او البلدية [6] او الدير او المالك الذي يؤجرهُ ارضه على شروط معروفة وهم في كل ذلك يتبعون نظام الضرائب البزنطي او الفارسي الذي كان يفرق بين ضريبة الرؤوس Epikep háleon (رأسية)

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردي ١٣٣ (٢) انظر Becker H. Islamstudien ص ٢٣٥ — (٣) ابو يوسف . . — ٦٩ (٤) انظر كلمة «جزية» الـ Encycl. Musulmane (٥) يجد القارىء تفصيل هذا الرأي في باب الاخبار العلمية (٦) Metropoleis (امهات القرى)

او« andrismos (رجولية)[١] وبين ضريبة الاراضي او الخراج. الاّ ان العرب لاسباب سوف نذكرها لم تقف عند هذا التعريف البيّن بل اخذت تخلط بين الكلمتين فكانت تارة تسمي الجزية خراجاً وطوراً تطلق كلة خراج على الجزية والخراج الى غير ذلك مما استدرج بعض الكتبة المتأخرين الى الخطأ وجعلهم يعدّون الجزية والخراج من الكلمات المترادفة وهو ما يجب الانتباه له حذراً من اللبس وسوء الفهم . وقد شاع هذا الاستعمال في ايام بني العباس حتى ان ابا يوسف معاصر هارون الرشيد لم يكن يفرق بين الجزية والخراج كما يؤخذ من عباراته الآتية : « والجزية بمنزلة مال الخراج » [٢] و« اول من فرض الخراج رسول الله فرضهُ على اهل هجر على كل حالم ذكراً وانثى فلما كان عمر فرض على اهل السواد » [٣] وهذا خطأ بيّن لان الرسول لم يكن يستعمل كلة خراج بمعناها الاصطلاحي وكل ما ينسب اليهِ من هذا القبيل تجوُّز في استعماله كان يكون الكاتب اراد بكلمة جزية في العبارة المذكورة آنفاً الخراج كما يظهر من عبارة اخرى جاء فيها « ان رسول الله اخذ الجزية من مجوس هجر » [٤] وعبارة ثالثة قيل فيها « ان رسول الله اخذ منهم الخراج لاجل كتابهم » وذكر عن الشعبي انهُ سئل عن مسلم اعتق عبداً نصرانيًّا فقال ليس عليهِ خراج ولا يترك ذمي في دار الاسلام بغير خراج رأسه » [٥]

فانت ترى من الامثال التي ذكرناها ان ابا يوسف لم يكن يفرق بين الخراج والجزية فهو يستعمل كلة خراج للدلالة على الجزية وبالعكس ومثلهُ البلاذري[٦] والماوردي[٧] وغيرهم من كتبة العصور العباسية. ومن اسباب هذا الخلط ان العرب المسلمين لم يكونوا يعرفون في بادىء الامر معنى الخراج الحقيقي فكانوا يستعملونها بمعنى الخرج او الدخل على الاطلاق كما يظهر من عبارة الماوردي التي ذكرناها سابقاً ظنًّا منهم ان الكلمة مشتقة من مادة عربية وهو غلط كما رأينا . ثم ان كلة جزية بمعنى الضريبة على الرقاب او الرؤوس فقط لا على الرؤوس والاراضي معاً كما كانت في اوائل الفتح لم تستعمل على ما يظهر لي الاّ بعد ان عرف الفاتحون معنى الخراج الحقيقي وفهموا ان العجم والبزنطيين كانوا يأخذون من رعاياهم ضريبتين مختلفتين ضريبة على الاراضي وهي الخراج بمعناه الحقيقي وضريبة على الرؤوس كان يؤديها الحالم مرة في السنة نقداً وهي الجزية بمعناها الضيق المتأخر. وهناك سبب آخر

(١) طالع مقالة C. H. Becker عن العشر والخراج في كتابه المنون Islamstudien (ابحاث في الاسلام) (٢) ص ٧٠ (٣) ص ٧٤ (٤) ابو يوسف كتاب الخراج ص ٧٤
(٥) ابو يوسف ص ٧٥ (٦) فتوح البلدان ص ١٣١ و١٣٣ وكتاب المغازي ص ٤٠٣
(٧) الاحكام السلطانية ص ١٣١

لعلهُ اهم اسباب هذا الخلط وهو انهُ لما كان الخراج اعظم الضرائب واهمها وكانت تتوقف عليهِ حياة المملكة وسعادتها [1] تغلبت هذه الضريبة واسمها على سائر الضرائب واسمائها حتى كادت كلمة جزية تهمل ويستعاض عنها — هربا من اللبس — بكلمة اخرى كجالية (ج جوالي) فصاروا يطلقون كلمة خراج على جميع الضرائب وبينها الجزية كما اشرنا الى ذلك سابقاً. واقوى من كل ذلك ان المسلمين بعد ان كانوا يؤدون في بلادهم العشر اصبحوا بعد ان انتقلت اليهم اكثر الاراضي المفتوحة بطريق الاقطاع او الاشتراء او الاغتصاب او احياء الموات وبعد ان اعتنق الاسلام اكثر سكان البلاد المذكورة — يؤدّون عن اراضيهم الخراج كاهل الذمة الذين ظلوا محافظين على دين اجدادهم فادّى ذلك الى انتشار كلمة خراج لان اكثر الاراضي صارت خراجية وإهمات كلتا عشر وجزية وقد ساعد على ذلك ان اهل الذمة وهم الاقلون في البلاد الاسلامية لم يعودوا يؤدون الجزية — ضريبة الرؤوس — او صاروا يؤدونها نادراً جدًّا لان الدول الاسلامية لم تعد تكترث لها لقلتها

وانهُ لغريب ان المتقدمين من كتبة المسلمين كابي يوسف ويحيى بن ادم والبلاذري واليعقوبي والماوردي وغيرهم ظلوا يستعملون كلمة خراج بالمعنى الاصلي للجزية حتى بعد ان وقفوا على معنى الكلمة الحقيقي وحددوهُ بعبارات تكاد تكون مترجمة حرفيًّا عن اللاتينية او اليونانية كما يؤخذ مثلاً من عبارة الماوردي وهي « ان الخراج في لغة العرب (؟) اسم الكراء والغلّة » [2] وهو في الحقيقة معناهُ الاصلي لان Chorigio في اليونانية كانت تستعمل في الولايات البزنطية الجنوبية والغربية للدلالة فقط على مقدار ما كان يؤديه عيناً او نقداً — الفلاح المستأجر او المستغلّ من الاجار لصاحب الارض الذي كان يؤجر اراضيهِ على شروط مختلفة تكاد تكون هي هي ان في ايام الفراعنة المتأخرين والبطالسة والرومان والبزنطيين او في ايام العرب [3] حتى اوائل حكم بني امية وقد اشرنا في ما سبق الى ان هذه الشروط لم تكن في الدور المذكور باهظة ولا مجحفة بحقوق الاهالي وهو ما حبّب اهالي البلاد الى العرب وحملهم على مساعدتهم على ما جاء في كتاب الخراج لابن آدم وفتوح البلدان للبلاذري الا ان هذه الحالة الرضية لم تطل كثيراً للاسباب التي سنأتي على ذكرها في مقالتنا الآتية

باكو بندلي جوزي

---

(١) قال جعفر بن يحيي البرمكي « الخراج عماد الملك » (انظر عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠ من الطبعة الاوربية (٢) الاحكام السلطانية ص ١٣١ (٣) قال يحيي بن آدم (كتاب الخراج ٨) « فلما ظهر المسلمون على اهل فارس تركوا السواد ومن يقاتلهم من النبط والدهاقين على حالهم » وهكذا فعلوا في الشام ومصر

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

هل أصاب الدكتور الجوزي ؟

نشر الاستاذ بندلي الجوزي في مقتطف مايو سنة ١٩٢٩ مقالاً عنوانهُ « الجزية والخراج » في اوائل الاسلام — سياسة الخلفاء الاقتصادية ؟ وقد مهد لمقاله بمقدمة قال فيها ان اعظم اسباب سقوط الدول العربية هو سوء سياستها الاقتصادية ، فلم نستغرب منهُ ذلك ، لان هذه ليست المرة الاولى التي يقف فيها الاستاذ مدافعاً عن التفسير الاقتصادي للتاريخ ، ونحن نعرفهُ جدَّ ميّال الى هذه النزعة متطرفاً بتطبيقها قسراً على مختلف نواحي تاريخ العرب منذ نشر كتابهُ في الفكر الاسلامي

وليس غرضنا من الاعتراض أن نناقش هذا الزعم كما ليس من غرضنا ان نتحدى الاستاذ بقولنا كيف يُتوصل الى معرفة الاسباب في العلوم الطبيعية والاجتماعية — أو بالحري هل يمكن التوصل الى معرفتها ؟ وذلك لأَننا على يقين انهُ لا يمكن الوصول الى نتيجة حاسمة. وليس من غرضنا ايضاً ان نعترض على قول الاستاذ « ان القرآن — الاَّ بضع سور منهُ — هو كتاب أصول عامة بل هو كتاب ادبي ديني قبل كل شيء لا مجلة احكام او مجموعة ابحاث في علوم مختلفة (?) فهو يبين او بالاحرى يذكر بعض المبادىء العامة ويترك لأَصحاب الاجتهاد ان يستنتجوا ما شاءوا . . . » الى ان يقول « بناء على ذلك لا يجب (كذا !) ان نستغرب خلو القرآن او تقريباً خلوه (?) من التفاصيل العملية والاحكام القابلة للتغيير بتغيير الزمان والمكان » — نقول ليس من غرضنا الاعتراض على هذا القول لأَن شطره الأَول ليس بالجديد عند الواقفين على آراء المستشرقين ولأَن الشطر الثاني فيهِ من الغلو والبعد عن البحث العلمي المدعوم بالبراهين ما يجعله غير جدير بالمناقشة

انما اعتراضنا على الاستاذ مقصور على قوله « ان النبي العربي لم يفكر قط (? !) في بناء مملكة ضخمة كاحدى الممالك التي ذكرناها — مملكة اسكندر وامبراطورية الرومان

وممالك المغول والترك — بل جل ما كان يرمي اليهِ ان تنتشر دعوتهُ بين العرب »

ولسنا ندري كيف توصل الاستاذ الى هذا الاستنتاج ، ولسنا ندري كيف جوَّز لنفسهِ ان يجزم جزماً باتّاً في معضلة خطيرة مثل هذه دون بحث او مناقشة. ولعلهُ تابع في ذلك السير وليم ميوَر Sir, William Muir والبرنس كايتاني Prince Leone Caetane اذ يقول الاول ان الفكرة القائلة بوجوب اخضاع العالم لسلطة الاسلام جاءت متأخرة في تاريخ العرب . ويقول الثاني ان محمداً لم يطمع الى ما وراء حدود الجزيرة العربية ، بل ان دائرة آماله في هذه الرقعة لم تتعد نطاقاً ضيقاً . فاذا كان الاستاذ قد جاراهما في هذا الزعم او انهُ توصل الى النتيجة ذاتها بنفسهِ ، فمن الواجب العلمي أن يذكر ازاء هذا الرأي عدة آراء تناقضهُ : نذكر على سبيل المثال منها آراء الدكتور غولدتصير Goldziher والسير أرنولد Sir T.W. Arnold

وما كان للاستاذ أن يتناسى ، فوق كل ذلك ، سلطة القرآن والحديث والاصول العربية ، عند ما قرر رأيهُ في هذا الامر المهم . فنحن وان كنا لا نستطيع ان نتغلغل في صدور الرجال ، لنحس دبيب آمالهم ، ونتلمس كوامن نفوسهم ، حتى نحكم على دوافعهم وأمانيهم — فان الباب مع ذلك مفتوح على مصراعيه لمن يود ان يدرس بانصاف وتجرد عن كل غرض. هذا الباب هو الشواهد التاريخية والنصوص التي لا شك في أصالتها وصحة روايتها . وليس اصدق من القرآن والحديث والاصول العربية في تفسير ما غمض من حياة النبي

وفي معتقدنا ان القرآن اصدق نص تاريخي يمكن الاعتماد عليهِ كل الاعتماد عند البحث في حياة الرسول . وكان القرآن ، كما هو مشهور ، ينزل بحسب الظروف والاحوال . ففي بدء الدعوة الاسلامية ، يوم لم يكن عدد المسلمين يتجاوز عدد الاصابع ، هتف الوحي (سورة الشعراء آية ٢١٤) ان « انذر عشيرتك الاقربين » . ولكن سرعان ما اتسع هذا الافق الضيق بانتشار الاسلام ، فاضحى من واجب النبي ان ينذر ، ليس فقط عشيرته الاقربين ، بل ايضاً « أم القرى (مكة) ومن حولها » (سورة الانعام آية ٩٢) — وهكذا الى ان اعتزَّ الاسلام ، وصار بامكان الرسول ان يناضل عن الدين بلا خوف ولا وجل عندها جاء الوحي (سورة سبأ آية ٢٨) مُعْلناً « وما ارسلناك الاَّ كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون » « وما ارسلناك الاَّ رحمة للعالمين » (سورة الانبياء آية ١٠٧)

هنا بات من واجب النبي أن يدعو جميع الناس من عرب وعجم الى « دين الله » . ولو اردنا إبراز جميع الشواهد القرآنية المتعلقة بهذا البحث لضاق دونها المقام ، على اننا نود ان نلفت النظر ، فوق كل ما ذكرناهُ ، الى ان الله الذي كان محمد يدعو الناس في سبيله هو

« رب العالمين – ربكم ورب آبائكم الاولين » . ولم يرد ذكره كاله خاص بالعرب قط . فالاسلام اذاً جاء للناس كافة ، لا للعرب وحدهم . ومحمد ، كنبي أمين ، لا يمكن قط (هنا نستطيع استعمال هذه الكلمة) ان يتقاعد عن تنفيذ أوامر الله ، ونشر دينه في كل الارض . كيف ؟ بالموعظة الحسنة وبالجهاد ، وبغيرهما من ضروب الدعوة

أما الاحاديث فتدلُّ على ما يدل عليه القرآن أيضاً : قال فِلْهَوْزن Wellhausen المستشرق الالماني الشهير ، نقلاً عن الواقدي الصحابي المؤرخ ، ان النبي قال ما معناهُ « ارسل الله جميع الانبياء قبلي كل الى أمته ، واما أنا فقد ارسلت كافة للناس». ويروى أن الرسول قال لبلال على طريق تبوك ما معناهُ « وعدني الله خزائن الفرس والروم»

وأما التاريخ فيثبت ما جاء بالقرآن والحديث . فالاصول العربية تُجمع على ان النبي أنفذ جيشاً تحت قيادة زيد بن حارثة الى مؤتة . وهي تجمع كذلك على أن النبي قاد بنفسه جيشاً الى تبوك . والظاهر أن الرسول كان يمهد السبيل لفتح عام لولا أن قبضهُ الله الى جواره ، فأهاب بالصحابة وهو على فراش الموت أن سيروا الى سوريا ولا تتوانو ! ! ويحدثنا التاريخ بشيء أهم من ذلك ، وهو أن النبي ارسل الى كسرى وقيصر والمقوقس والحارث أمير غسان — ملوك العالم المعهود آنئذٍ وحكامه — يدعوهم فيها الى الاسلام . ويقول الطبري ، شيخ ثقات مؤرخي العرب ، أن محمداً لم يتنازل عن شيء من اجزاء هذا العالم فهو ولاشك كان يرغب في التسيطر عليهِ (تاريخ الرسل والملوك للطبري — مطبوعة الاستاذ دي غويه — المجلد الاول ص ١٧٤٩)

قلنا اننا لا نستطيع ان نتغلغل في صدور الرجال لتعرف دوافعهم ومع ذلك فلا نستطيع « تفسير » جميع هذه الشواهد والحوادث الراهنة الا بشيء واحد ، وهو ان النبي كان يرمي الى نشر دينهِ ، ليس فقط بين العرب في شبه الجزيرة ، بل كان يرى من الواجب عليهِ كرسول امين لله أن يجاهد في سبيله لنشر الدين بين جميع الناس قال الاستاذ دي غويه De Goeje ان وصية النبي كانت من اهم اسباب فتح سوريا . وكان نشر الدين هذا بالجهاد في سبيل الله فتحاً وتغلباً كان يتلوهُ عادة مُلك سياسي لا صلة مباشرة لهُ بالدين . وكانت الحروب التي ما كاد محمد يلفظ أنفاسه الاخيرة حتى هب الخلفاء الى اثارتها على الامبراطوريتين القديمتين من مظاهر هذه الدعوة ، ومن وسائط تحقيق تلك الغاية . وكان محمد الذي ائتمنهُ الله على نشر دينهِ ، وحباهُ من لدنهِ سلطة ليقاتل اعداءهُ ، اظهر تلك المظاهر ، لا بل رمزها وروحها

هذه ملاحظاتنا على رأي الاستاذ الجوزي ، لم يدفعنا الى كتابتها سوى نصرة الحق

جامعة بيروت الامريكية عبد اللطيف الطيباوي

الوردة الذابلة

يا وردة فوق المضاب   ابكيك ام ابكي الشباب ؟!
آنست هـذا الكون حيـ   ـناً ثم آب بك المآب .!
يا ربما ابتسم الصبا   ح فكنت آيتهُ العجاب
قبلت منـهُ وجههُ   فضى أريجاً يستطاب
وسرى بريّاك النسيـ   ـم وشاق رؤيتك الصحاب
ولطالما حنّ النديـ   ـم اليك من بسط الشراب
الحسن انت وان رآ   هُ القوم في خود كعاب !!
ضلّوا فبات غرامهم   في حسن زينب والرباب
يا حـلة قد صاغها   فوق الثرى كف السحاب
ماذا بجنبك من جوى   حتى تشقق ذي الثياب ؟! ؟ !
والله شجوك مسّني   والحزن يعلمهُ المصاب!
طوت الليالي دفّتيـ   ـك كما طوى المرء الكتاب !
واستعجلتك يد المنو   ن فهمّ حسنك بالذهاب
وبدا الغضون بجانبيـ   ـك كأنهـا رقم الحساب
مانبتُ هذا الدهر فيـ   ـك وشأنهُ رفض العتـاب
ايدوم بعدك جندلٌ   ويزول حسنك في التراب ؟
يا كوكباً وافى فلما   أن رأتهُ العين غاب
ابكي شبابك ام صبا   ي كلاهما مثـل السراب
لا تجزعي فالـكل في   هذي الحياة إلى تبـاب

الحمودية   عبد الغني الكتبي

ترجمة « افانجلين » لو نغفلو

طالعت اليوم في المقتطف سؤال مستفيد لبناني — هل ترجمت « افانجلين » لو نغفلو الى لغة العرب ؟ فاسمحوا لي ان اجيب السائل بان المعلمة جنفياف طعمه قد ترجمتها نثراً الى لغتنا العربية وهي احدى بنات الشوير ، تلميذة مدرسة الاميركان في طرابلس التي نالت شهادتها سنة ١٨٩٢ . ونشرتها في جريدة لبنان عام ١٨٩٨ وطبعتها على حدة في المطبعة العثمانية في بعبدا مركز المتصرفية ، في ٢٥ صفحة

بيروت   جرجي باز

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في الشعر العربي

اكثر مايدور الشعر العربي القديم على ثلاثة اغراض هي المرأة ، والحرب ، والخمر ، فاذا انت جردتهُ من هذه الثلاثة فقد ذهبت بهِ كلهُ

واذا علمنا ان العربي لم يحارب الاَّ دفاعاً عن المرأة ، او الحمى الذي فيهِ المرأة ولم يشرب الخمر الاَّ ليذكر المرأة او ينساها . ثبت لدينا ان المرأة هي انسان عين الشعر العربي وبيت قصيدهِ منذ كانت بدوية تمخض الزقَّ وتلبس العباءة وتأوي الى خيمتها في الصحراء الى ان صارت حضرية تلبس الوشي وتسكن القصر وتمشي تتكسر في مشيتها لرخاء العيش

لم يتمرَّس واحد بالشعر في ايام الجاهلية وبعدها الاَّ وصف المرأة ، وشبب بالمرأة ولكن على كثرة الشعراء ووفرة ما حاكوا من القوافي حولها يدهشك ان تبحث عنها في قصائدهم فلا تجد غير دمية منحوتة مصقولة قد تكون على كثير او قليل من الجمال ولكنها ليست على كثير من الحس والشعور الاَّ في بعض مواقف الحب حيث تظهر المرأة على المسرح خائفة مضطربة كانما خلقت لتكون سراً مضمراً في خاطر الدهر

تقرأهم وهم الشعراء الذين دقت افهامهم وصفت ارواحهم فاذا المرأة عندهم اما طرف كحيل وخد اسيل وشعر طويل وخصر نحيل واما بدر يضحك عن لؤلؤ او غصن يرفل في الخز ويمشي ويتكلم او ظبية تفترس الاسود وتشق بألحاظها القلوب قبل الجلود !

ثم تقرأهم وهم العشاق الذين لطفت مشاعرهم واثار الحب قلوبهم فيشجيك منهم انهم لا يرون في المرأة غير ما يراه منها شاب جاهل ينظر اليها من نافذة الهوى الفاني فهي اما هاجرة تتجنى ولا شيء فيها غير انها هاجرة تتجنى يجب استعطافها واسترحامها واما ممنوعة دونها الرقباء فيجب ذم الرقباء والشكوى منهم واما انها دانية مطاوعة ولا شيء غير انها دانية مطاوعة

اما قلب المرأة وما فيهِ من الاحاجي والاسرار
واما وجدان المرأة وما فيهِ من الاشواك والازهار والآصال والاسحار
واما عواطف المرأة وهي تيار لا يتكشف الا عن تيار
وأما نفس المرأة وما فيها من نور ونار
وأما المرأة نفسها وهي ذلك الكائن العجيب الجبار
فليس لها أثر بيّن في الشعر العربي منذ كان حداءً وخبباً ورجزاً الى ان صار قصائد وموشحات على كل وزن ولحن

ولا غرابة في انصراف الشعراء قديماً عن كل ما في المرأة من المعاني الى ما تنالهُ ابصارهم منها فقد جاء عليهم دهر لم تكن المرأة فيهِ اعلى منزلة من بقرة الوحش التي شبهت بها من بعد . ثم كان عهد كانت فيهِ عاراً يجب ان يطمس ولو برماد الجريمة . وتلاه زمن قضي فيهِ على المرأة ان تكون احدى اثنتين اما قنية تختزن ، أو قينة تشرى وتباع

ويستطاع القول ان المرأة التي عُرفت في الشعر العربي هي التي كان يمكن ان يقال عنها انها جميلة ، أما المرأة في أدوارها الاخرى ، في طفولتها وكهولتها وأما البنت والاخت والزوجة فقد خلا الشعر منها الاّ قليلاً لا ينقع غليلا . حتى ان حظ الناقة العجماء كان من هذا الوجه اكبر من حظها . وتلك خطة لم ينفرد بها الشعراء الاقدمون وحدهم بل كان الرجال كلهم كالشعراء من حيث تجاهل وجود المرأة والجهل باسرار نفسها . وربما كانت المرأة نفسها تجهل ما فيها من قوة ولا تفهم ما لها من حق. ولعل ذلك منشؤهُ ان «البيت» بمعناهُ المعروف اليوم لم يكن لهُ أثر في تلك الازمان وانما كان المرأة مجرّد اخباء تستتر بهِ عن الرجال . أما الرجل فكان يأوي اليهِ في آخر النهار بعد سفر او معركة او مساجلة ليخفف عن نفسه عناءها كما يذهب الرجل اليوم الى المقهى أو النادي للتلهي

وكيفما علالنا هذا الامر فاننا نرى في الشعر العربي القديم صورة صادقة للزمان الذي قيل فيهِ . ولا يعاب شعرهم على ما فيهِ من الفراغ الهائل من هذه الناحية . فالمرأة لم تكن الاّ كما صوروها . واذا كانوا قد اقتصروا على ناحية واحدة منها فلأن النواحي الاخرى لم تسفر لهم عن وجوهها . واما الذين يحق لنا ان نلومهم فهم الشعراء العصريون الذين ما برحوا يصورون المرأة في شعرهم على ما بلغت وبلغوا هم من الحضارة — كما كان يصورها شعراء الجاهلية وغيرهم ممن جروا على آثارهم وركضوا في ميادينهم فانها لا تزال عندهم تلك الدمية الحسناء . ووجهها قمر وقدها غصن بلا ثمر . واسنانها درر . الخ !

ويحزنك ان تجد من الناس من يطرب لوصف وجه المرأة بالقمر ، وتشبيه قدها

بالخيزرانة ، وجبينها بالفجر. وان يردد عند سماعه هذه الاوصاف في دهشة واكبار القول المأثور « ان من البيان لسحرا ! »

ان المرأة اكثر من وجهها وشعرها، وخديها وثغرها وجيدها ونحرها وقامتها وخصرها — فوراء هذه كلها الوف من الصور الجميلة التي لا عذر للشاعر اذا هو لم يتبينها ، ولا فضل لهُ اذا هو رآها ولم يصورها لمن لا يراها . فليس احق من الشعراء بالتنقيب عما في نفس المرأة وقلبها من الكنوز الثمينة . فاذا لم يفعلوا وهم الامراء في مملكة الارواح . حق للناس ان يثوروا عليهم ثورة هوجاء تدحرجهم عن عروشهم . لانهم لم يحسنوا سياسة مملكتهم . « وكل من لا يسوس الملك يخلعهُ » كما قال ابن زريق البغدادي

ولعمر الحق . اي خيال هذا ؟ ان يقول شاعر تقدمك بالف سنة ، ان وجه المرأة كالقمر فتقول انت ان وجهها هو القمر ! وان يزعم انها تضحك عن برد نظيم . فتردد انت هذه الاستعارة كانك الصدى !

اليس من الغبن على المرأة ان تبقى حقيقتها مجهولة في الشعر العربي الذي وسع كل شيء ؟

اليس من الغضاضة على الشعر العربي ان لا يشتمل من المرأة الاَّ على ظاهرها ؟ لقد تبوأت المرأة مكانها في الشمس فيجب ان تتبوأ مكانها في الشعر

« السمير » ايليا ابو ماضي

مدام كوري حياتي وعملي

فازت بجائزة نوبل مرتين : مرة بجائزة الطبيعيات والثانية بجائزة الكيمياء ولعلها الانسان الوحيد الذي فاز بذلك

ولدت في ڤارسوڤيا سنة ١٨٦٧ حيث كان ابي استاذاً في احدى كليات المدينة . وتلقيت العلوم في مسقط رأسي ثم علّمت بضع سنوات وكنت منذ نعومة اظفاري شديدة الميل الى العلم وادرك ابي ذلك فساعدني على تقوية هـذا الميل وتدريبي على اساليب البحث العلمي .وفي كلية العلوم بباريس تلمذت ثلاث سنوات فاكملت دروسي العلمية وفزت بشهادة في العلوم الرياضية والعلمية . هناك التقيت بالاستاذ بيير كوري فتزوجنا سنة ١٨٩٥ ولكني كنت قد تعلقت على البحث العلمي في المواد المشعة فكان زواجنا كان عقداً معنويًّا على اشتراكنا في متابعة عملنا العلمي

وقف زوجي حياتهُ على البحث العلمي واشتركت انا معهُ في ذلك لذلك بقيت في فرنسا وطني الثاني من غير ان افقد الصلة التي تربطني ببولونيا وطني الاول

بقيت سنوات كثيرة اجري مباحثي وتجاربي في مدرسة الطبيعيات والكيمياء فدرست اولاً علم المغناطيس وكان من نتيجة درسي ان جمعية ترقية الصناعة الوطنية نشرت كتابي الاول وموضوعهُ « العناصر المعالجة كيماويًّا وصفاتها المغناطيسية ». فكان لهُ وقع حسن في الاندية العلمية مما شجعني على الاستمرار في البحث فاخذت اعالج اشعاع الاورانيوم ومركباتهِ وكان هذا الاشعاع من الظواهر الطبيعية التي كشفت حديثاً فاكتشفت مع زوجي ان هناك عناصر مشعّة في بعض المعادن ووالينا التجربة والامتحان حتى كشفنا عن عنصري البولونيوم والراديوم . واستخراج هذين العنصرين من المعادن التي يوجدان فيها امر صعب حتى على الباحث العلمي في هذا العصر فاحر بهِ ان يكون شاقاً منذ ثلاثين سنة او ازيد حين كان هذا الفرع من فروع الطبيعيات لا يزال في مهدهِ

وبعد تجارب دقيقة ومعقدة نجحت في استفراد بعض ذرات دقيقة من عنصر الراديوم وتعيين بعض صفاتهِ الجوهرية. وكان لا بدَّ للقيام بهذا العمل من الصبر والمثابرة لان الادوات التي كنا نشتغل بها كانت لا تزال غير وافية بالغرض ومقدار الاملاح كان ضئيلاً . ثم درست مع زوجي خواص البولونيوم والراديوم وكشفنا عن ظاهرات طبيعية جديدة تسبب فيها الانارة او الاشعاع . ودرست كذلك الشحنات الكهربائية السلبية في بعض الاشعة فاعترف العالم العلمي لنا بما بذلناهُ من الجهد وكافأنا بالاشتراك مع الاستاذ مكرل الفرنسي بجائزة نوبل للطبيعيات عن سنة ١٩٠٣ وكان من اثر اكتشاف الراديوم في العالم العلمي انهُ حدث انقلاب عظيم في نظرنا الى طبيعة الاشياء وبنائها

وعينت سنة ١٩٠٠ استاذاً بالمدرسة النورمال للبنات في سِفْر فبقيت في هذا المنصب ثماني سنوات . ونلت شهادة دكتور في العلوم سنة ١٩٠٤ من كلية العلوم بباريز وفي السنة ذاتها عينت مديرة الاعمال المتصلة بكرسي الطبيعيات الذي اوجد ليشغلهُ زوجي . فلما توفي دعيت لاشغل محلهُ أولاً كمديرة للمحاضرات ثم استاذاً فخريًّا .وكانت الدروس التي القيها تدور على موضوع الاشعاع وما يتصل بهِ . وقد بسطتهُ بسطاً وافياً في رسالة نشرت سنة ١٩١٠ . ثم تفرغت للبحث في معملي فمنحت جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩١١ لاكتشاف البولونيوم والراديوم وعندي ان استفراد الراديوم كان من أشقّ الاعمال العلمية

وقبيل الحرب انشأت جامعة باريز معهداً للراديوم ووقفت جهود علمائهِ على البحث في ظاهرات الاشعاع . وفي هذا المعهد معملان — معمل كوري وغايتهُ البحث في الاشعاع من جهتيهِ الكيماوية والطبيعية والثاني معهد باستور وغايتهُ تطبيق حقائق الاشعاع

على مقتضيات الطب . وأهم هذه التطبيقات ما يتعلق بعلاج السرطان . فاشتغلت في اعداد المعدات لانشاء هذا المعهد وافتتاحه . وافتتح في اثناء الحرب

وقد شجعتني الجمعيات العلمية المختلفة باختياري لعضويتها والجامعات بمنحي الدرجات العلمية الفخرية منها ودعيت للخطابة في مختلف بلدان اوربا واميركا كما اني اشتركت اشتراكاً فعالاً في تجهيز معمل الاشعاع بفارسوفيا . وقد وقفت حياتي البيتية على تربية بنتيَّ ايرين وايف واولاهما تشتغل معي الآن في معهد الراديوم

التربية الجسمانية ٢ اثرها في مصر

في المدرسة

قديماً كانت المدرسة تتولى التربية الجسمانية كنوع من اللهو والمرح لا كجزء من عملها وواجباتها . وكان الآباء هم المسئولون عن تربية اجسام ابنائهم . الا ان الحال قد تطورت فادركت المدرسة ان في ترك هذا للآباء خطورة كثيراً ما عرضت التربية العقلية للفشل كلما قصر الآباء في واجباتهم نحو ابنائهم . وادرك الآباء ايضاً ان في اهمالهم تربية اجسام ابنائهم افساداً للتربية العقلية فتركوا للمدرسة امرها

توسعت المدرسة الحديثة في واجباتها وحدودها فباتت مسئولة امام المجتمع عن تربية الانسان تربية كاملة (العقل والجسم) بحيث تورد لهُ شباناً اصحاء الاجسام مثقفي العقول على اتم استعداد لتولي اعمال الفكر والجسم . وتنازل الآباء عن حقوقهم في تربية اجسام ابنائهم الاَّ على قدر ما يوجد لديهم من وسائل المسكن والملبس واكل الصباح والمساء

نعم توسعت المدرسة الحديثة في واجباتها وحدودها فباتت علاوة على ما تقدم مسئولة عن تربية العقول والاجسام في سن الطفولة ايضاً فتسلمت من المنزل الاطفال في سن الخامسة لتمهدهم الى الحياة المدرسية بعد ما كانت تستلمهم في سن السابعة او الثامنة واحياناً العاشرة . وهي في هذا قد اصابت كل الصواب لانها اصبحت تضمن اجساماً وعقولاً من جنس ما تهوى ومن روح ما تحب فازالت بهذا التنافر والمناضلة التي كانت تعاني محاربتها في النشء عند ما كانت تتولاهُ في سنّ متقدم . ولا غرو فان في هذا العمل توحيداً لسبل التربية وتجنيساً لانواعها

وماذا تفعل المدرسة في الاطفال ؟ سؤال تجيب عن نفس الاجابة التي تجيبها عن السؤال الاول وهو : وماذا كانت تفعل الام الرشيدة في الاطفال ؟ . بل زاد على هذا

ان المدرسة وحدت فعال الامهات في اطفالهنَّ في هذا الدور من الطفولة . فمن كان في حضانة ام قاسية ، ومن كان في حضانة ام مهملة ،ومن كان في حضانة ام جاهلة ، ومن كان في حضانة ام لا تعرف في الحياة الاَّ نفسها ، يتساوى ومن كان في حضانة الام المهذبة المطلعة العالمة . لان في اجتماع الاطفال في حضانة بستان واحد بين ايدي مربية واحدة يتغذى ويلعب ويثقف على اسلوب واحد توحيداً للعادات والاخلاق والطبائع والمرامي، وفيهِ ايضاً تسهيل لعاية المدرسة الاولى يوم تتولى تغذية هؤلاءِ بالعلوم والمعارف

هذه هي فوائد بساتين الاطفال في التربية العقلية ، اما فوائدها في التربية الجسمانية فواضح في اعطاء كل طفل من الحركة والغذاء واللهو بقدر ما يستحق من العناية والدقة. فاذا كانت الام لا تدرك كل هذه التحفظات فهي لا تصلح كالبستان في تلقينها وتطبيقها نظراً للفارق بين الام والمربية في الحنان والعواطف والشفقة ناهيك بالرقابة الشديدةالتي تخشاها المربية ولا تخطر على بال الام . كل هذه تخلق في الطفل طواعية لتلقي ما عليهِمن الواجبات ، وهي تدرجهُ الى تصور الحياة بصورة حقيقية تخالف كل المخالفة تلك التي كان يتصورها وهو بين احضان امهِ

الى هنا استطيع ان انتقل الى المدرسة الاولى بشارة اعجاب لما لبستان الاطفال من فضل على التربية الجسمانية فاقول ان هذهالمدرسة هي من اسعد المدارس حظًّا بعد التطور الحديث . فهي تستلم اطفالاً في صور نامية تدرك تعهدتهم الام بتربية صحيحة ، وتعهدتهم بساتين الاطفال بتربية صحيحة ايضاً . لكن مع هذه السعادة تجدها مضطرة الى السمو بمداركها الاولى الى حيث تدير دفة نوع جديد من التربية بني على انظمة ادق بكثير من الاولى علاوة على ما اصبح تواجههُ من صعوبة في ادارة قوات نامية وسائرة فيسبيلالنمو . فما كانت تتطلبهُ من المجهودات تجاه الاطفال الاولين امست تحتاج الى اضعاف اضعافهِ تجاه اطفالنا الحاليين

فالمدرسة الاولية تتعهد الاطفال جسمانيًّا تعهداً اجتماعيًّا تجابهُ نحوهُ مسئوليات اقل ما فيها انشغالها بتلقين الاولاد تلك التمارين الدقيقة والتعليمات الادق في علم الصحة بقدر ما يدرك هؤلاءِ وكما قال الرياضيون ان اقدر المرنين يجب ان يخصص للمبتدئين واقول انا ان المدرسة الاولى يجب ان تتوفر فيها قدرة فن التربية الحديثة خصوصاً وان اجسام هؤلاءِ سريعة التأثر كثيرة التقلب . وخصوصاً ان الحركة الرياضية اصبحت مع المدنية الحديثة كثيرة القيود . وما تتولاهُ المدرسة الاولية من التربية يعود على مستقبل الاولاد ويؤثر في فعال المدرسة الثانية والمدرسة الثالثة ويمتد طبعاً الى الاندية .لذلك كانت فوائدهُ

ومضاره ذات خطورة كبيرة على سابق انواع التربية ولاحقها

واما المدرسة الثانية والمدرسة الثالثة فكل اعمالها ، في دائرة لا تستطيع ان تتعداها وهي تعهد ما ترثه من الاجسام بما يحفظها ويزيد من نموها بنسبة نمو العقل والادراك

اثر هذا في مصر حالاً

اما اثر هذا كله في مصر فواضح فيما نراه من عناية الحكومة والجمعيات العلمية من المجهودات . الا انه اثر ضئيل اذا بحثنا عنه في دائرة التعليم الحرة التي مع تمتعها باشراف الحكومة علمياً ما تزال محرومة منه جسمانياً

لا ادري لماذا تبيح الحكومة لنفسها الاشراف على التعليم في المدارس الحرة ثم هي تنقص هذا الاشراف وتجعله قاصراً على التعليم مستثنية منه التربية الجسمانية مع انها قد اشتركت في المبدأ المدني الحديث وهو عدم تجزئة النوعين وضرورة تمشي تربية الجسم مع تربية العقل خطوة بخطوة . ولا ادري لماذا يحرم طالب بالمدارس الحرة من نعمة يتمتع بها مواطن له في المدارس الاميرية مع ان المفروض انهما مصريان ابناء وطن واحد تظلهما حكومة واحدة . خصوصاً وان المسلم به ان مدارس الحكومة لا تتسع لكل طلاب العلم في مصر

اما ان نرجع بهذا النقص الى المدارس الحرة نفسها فامر فيه ارهاق للقائمين بامر هذه المدارس نظراً لان هذه التربية تكلفهم ما لا طاقة لهم به من ايجاد المكان والممرنين والمراجع وغير ذلك مما هو موفور لدى المدارس الاميرية

اعود الى التربية الجسمانية في مدارس الحكومة نفسها فاقول انها ما تزال على منوال ناقص وانها على كثرة تطورها وعلى نشاط الحكومة في اكمالها ستظل ناقصة ما دامت الاساليب المتبعة تتناول عدداً معيناً من الطلبة . وما دامت هذه الاساليب لا تشمل طلبة المدرسة الواحدة على حد سواء . وما دام الطلبة محرومين من الثقافة الفنية بابتعادهم عن المحاضرات العلمية في الفن الذي يتلقونه عملياً . وليس المجال مجال تفصيل واسهاب حتى كنت احلل النقص واستجلي القارئ مواطن ضعفه . اذن فالتربية الجسمانية في مصر المدارس المصرية على وجه عام ضعيفة ، وعلى وجه خاص ناقصة في مدارس الحكومة ومعدومة في المدارس الحرة

الاندية

ما خلقت فكرة تأسيس الاندية بادئ ذي بدء الا لتكون الحلقة الاخيرة في سلسلة التربية الجسمانية . والا لتكون مهد التخصص الرياضي في مختلف فنون الرياضة . لكنها

مع النقص الحادث في التربية المدرسية ومع النقص الحادث من انعدام التربية الجسمانية في غير اوساط المدارس كالمعامل والمصانع والمتاجر والمزارع اصبحت احدى الحلقات الهامة والاساسية في هذا النوع من التربية . أما في بلاد المدنية فبلغت كثرة الاندية درجة كبيرة تكاد تصل في بعض الاحايين الى عدد المدارس الثانوية . وما هذه الكثرة الاَّ علامة حاجة الشعوب اليها في التربية ، ولا ابالغ انها تتناول التربية الجسمانية ونشر الاجتماع الصحيح وهو جزء من التربية العقلية الاساسية

النادي في العرف الرياضي هو المكان المهيأ بالمستلزمات الرياضية والصحية الذي تديره هيئة منهُ تكون على علم تام بانواع التربية الجسمانية ، على مقتضى نصوص قانون محكم التشريع وتبعاً للقوانين الفنية المصطلح عليها دوليًّا . هذا هو التعريف الصحيح للنادي في التربية الحديثة واما مكانتهُ في عالم التربية الجسمانية فرئيسي لانهُ يتولى حضانة اجسام بعضها خريج الام والبستان والمدارس وبعضها لم يعرف غير الام وقد تكون امًّا جاهلة . ثم هو يتولى ادارة كل هذه الاجسام بحنكة فيجمع بين الناقص والمعدوم والكامل وشبيه الكامل ثم هو في مدة وجيزة يحول كل هؤلاء الى اجسام كاملة التكوين قوية المظهر والباطن

وعلاوة على ان النادي يتولى تربية الاجسام بهذه الحنكة والمقدرة فهو يهذب الاجتماع لانهُ يستمد من قوانين الرياضة ما يقضي بهِ على العروق المختلفة . وهو الذي يصف الكبير والصغير في صف واحد ، ويلبس الغني والفقير لباساً واحداً ويخرج العقائد الدينية المختلفة عن حد النزاع والجدل الى حد الاحتفاظ بها في الرؤوس والمنازل ، وينسي الاجناس المختلفة حدة الجدل والتنافر ثم يلبسها جميعاً حلة الرياضي

ويكفي الاندية شرفاً انها تعوّد الانسان الاطاعة للقانون والحاكم وتعوده عدم التعرض للضعيف او الاقوى مناهضة الند في حدود المباح والقانون ، ثم انها تزيل من نفوس الناس شيئاً يسمى الشر او الاذى او الاضرار بالغير

وللاندية في اساليب التربية الجسمانية الحديثة تصانيف عديدة ما تزال تتكاثر وتصدر كل يوم بجديد ، وما تزال لبان الصحة وغذاء العافية . فهي تكوّن الاجسام تكويناً تاماً وتجعل منها ما تحتاج اليهِ البلاد في قضاء ما عليها من الواجبات لسعادة المجتمع . ولكم اخرجت الاندية للانكليز وللاميركان وللفرنسيين وللالمان وللاستراليين وغيرهم من رجال فطاحل قاموا باعباء الادارة والعمل والحكم بعقول راجحة واجسام تحملت جبابرة العقول فغذتها واشبعتها

اثر هذه الاندية في مصر

اما اثر هذه الاندية في مصر فقد بدأ يظهر منذ ربع قرن ، لكنهُ اثر ما يزال ناقصاً لان هذه الاندية يقوم بها في غير مصر الشعب نفسهُ فيقيمها بسخاء ويستعين على انشائها بتأسيس الشركات حتى تكون كاملة غير منقوصة . اما في مصر فما تزال من هبات القدر ومن فعل الخيرات التي تدرها الحكومة المصرية على الشعب . ولذلك فهي ما تزال في مهد الهبات والعطايا يجود بها الخيرون على قدر استطاعتهم . وغير معقول ان الحكومة ملزومة بانشاء عدد من الاندية الرياضية يسد حاجة الشعب باكمله . ثم انهُ غير مسلم بهِ ان تقوم حكومة بادارة اوبسن قوانين ورسم خطط الاندية الرياضية

اذن ستظل الاندية في مصر قليلة العدد وفقيرة الاستعداد ما دامت في عداد الهبات والعطايا ولم تخرج الى حيز العمل الجدي الذي يجري مع كل عمل جدي مجرى واحداً فكما يساهم الانسان في المصارف والشركات يساهم في الاندية . وكما يربح من هذه يربح من تلك بل ويربح اكثر من الاخيرة . ولعل هذا هو الذي أخر مصر في فنون التربية الجسمانية فجعلها محرومة من الاندية الرياضية المستعدة

هذه هي التربية الجسمانية الحديثة ، وهذه هي مواردها ومساقيها جئنا بها للقارئ الكريم ليكون على علم بما هنالك وبما هنا من مواطن القوى والضعف . والتفصيل يدل على ما لا يدل عليهِ الاقتضاب والاجمال ؟ ابراهيم علام

العناية بالاطفال ٣ نظافة الطفل

الدكتور — لا يحمم الطفل اذا ظهر على جسمهِ بثور الاكزيما وغير الاكزيما لان الماء والصابون يهيجانها ويزيدان في ازعاجهِ منها . وكذلك لا يغسل جسمه في احوال توعك بسيط او زكام خفيف او ضعف شديد اذ قد يحول هذا الزكام الخفيف والتوعك البسيط الى اشد الامراض خطراً على حياتهِ

وردة — لن احمم ممدوحاً اذا لحظت عليهِ توعكاً او ظهر على جسمهِ بثرة ولكن هل امتنع في هذه الاحوال عن تنظيف عينيهِ ووجهه وفمِهِ ولاسيما ما بين فخذيهِ ام اغسل هذه الاعضاء في جميع الاحوال ومن غير حذر

الدكتور — ليس من حالة مرضية تحظر عليك تنظيف هذه الاعضاء. ولقد سررت من سؤالك هذا لان معظم الوالدات يخفن في بعض الاحوال ان يغسلن عيون اولادهن فيهدمن اهم ركن من اركان الصحة. لذلك ترى امراض العيون متفشية بين الاطفال تفشياً ذريعاً. وكذلك ترى امراض الاسهال والهزال والكساح وغيرها منتشرة انتشاراً غير قليل واسباب هذه الامراض كما تعلمين هو الجهل بالقواعد الصحية او اهمال فيها واهم هذا القواعد النظافة. فالام التي تنظف عيني طفلها اكثر من مرة في اليوم وتعتني بنظافة فمهِ ويديهِ واعضائهِ الجنسية يسعد قلبها بسلامة عينيهِ وجسمهُ من امراض وبيله العاقبة

وردة — كيف انظف عيني ممدوح

الدكتور — تنظفان بالقطن المغموس بمحلول خفيف من حامض البوريك مرة في الصباح واخرى في المساء

كريم — واذا ظهر في العين صديد

الدكتور — تنظف العين في هذه الحالة مرة في الساعة ويستمر الغسيل والتنظيف على هذا المنوال الى ان يزول الصديد. ولئلا يلتصق الجفنان نضع على الجفن في المساء مرهم البوريك او الفازلين النقي. واذا استمرَّ الصديد على رغم هذه الاجراءات فالافضل دعوة الطبيب المتوفر على امراض العيون. وطريقة تحضير محلول الحامض البوريك هي ان تضع في لتر من الماء المغلي ملعقتين من مسحوق الحامض البوريك فيتم لك بذلك الحصول على سلاح تدفعين بهِ عن العين امراضها

كريم — كثيراً ما اشاهد على فم بعض الاطفال قلاعا او طفحا فطريًّا فكيف ندفع هذه العلة التي لا بد ان يكون لها علة وعلاج

الدكتور — بالنظافة والمحافظة على نظام الرضاعة والتغذية فالفم ينظف مرتين في اليوم بمسواك ليّن على طرفهِ قليل من القطن ينشف بهِ فم الطفل وينظف مما يكون عالقاً بهِ من فضلات واقذار ويعالج القلاع بالجلسرين والبورق الدكتور شخاشيري

بياض الاسنان امر نسبي

في مجلة هيجيا الاميركية انهُ ثبت لطائفة من الباحثين ان بياض اسنان الزنوج سببهُ سواد وجوههم على حدّ قول الشاعر « وبضدها تتميز الاشياء » فانك اذا اخذت سن زنجي ووضعتهُ قرب سن رجلٍ ابيض وجدت الاول قاتماً ضارباً الى الصفر ازاء الثاني وانما يظهر ابيض في فم صاحبهِ لان سواد الوجه يكشف عن بياض السن

باب الزراعة والاقتصاد

تحلية الخيل العراب[1]

٢

فصائلها — للعراب عدة فصائل اشتهر منها في بلاد الشام الكحيلات والعبيّات والمعنقيات والسقلاويات والحمدانيات وامهات عرقوب والشويمات والكبيشات والجلفات والدهم والمليحات والطوقانيات (سعدى الطوقان) وغيرها . ويتفرع عنها فروع كثيرة في بعضها وقليلة في بعض . واشهر الخيل هي لدى القبائل الرحل شرقي الشام كالصخور والرولا والعنزة والموالي والحديديين وشمر وغيرهم . ولا يزال كثير من الأسر الشامية في المدن وكبار ارباب الفلاحة يقتنون جياد الخيل العربية للركوب او السباق ولم تستطع السيارات مع انتشارها وازدياد الطرق المعبدة ان تأتي على تربية الفرس العربي ومع هذا فهي قد قللت استعماله في كثير من الاماكن

العراب في مواطنها الاصلية — قلت ان الخيل العراب هي اليوم منتشرة في بلاد واقاليم مختلفة فاجودها الخيل النجدية وهي جميلة الاعضاء رقيقة الحس زائدة القناعة لا يشوبها سوى انها صغيرة الجسم . وهذه الصفات التي تتحلى بها نشأت من هواء البلاد النجدية الجاف ومن قلة انواع الاغذية فيها . وتنقل النجديات الى الشام والى خليج البصرة حيث يشتريها التجار ويبيعونها من بعض اغنياء الفرس المولعين بها

وخيل الشام على ثلاثة اصناف البراذين او الاكاديش . والمولدة وهي التي تولد من ام عربية واب اعجمي او على العكس . ثم العراب . فالبراذين تجلب من الاناضول خاصة وعددها يبلغ نحو سبعين في المائة من مجموع خيل الشام اما الخيل المولدة فبين بين وهي تستعمل في جر العجلات في المدن ونسبتها للمجموع نحو ٢٠ في المئة . فيتضح من ذلك ان الخيل العراب في حواضر الشام لا تزيد على ١٠ في المائة من المجموع لكن هذه الخيل هي من اجمل العراب التي استفاضت شهرتها لدى الاوربيين وتعرف بقدودها المتوسطة والوانها الحسنة واحداقها الكبيرة وقوائمها الدقيقة . وتكثر فيها الشهب الحديدية

(١) تتمة ما نشر في الصفحة ٥٥٤ من المجلد ٦٦

واشتهرت لدى الانكليز خيل عُمان الكبيرة الجثة القوية العضل وهي تنقل من مسقط ومنها ما ينقل من المحمرة او البصرة الى مدينة بمباي في الهند

وقد جمعت خيل اليمن الرشاقة وارتفاع القامة وكبر الجثة وسرعة العدو وتحمل الاتعاب . وتكثر فيها الشقر المذهبة ومنها ما تكون جبهتها وقصبة انفها مقعرتين قليلاً كما في بعض خيل العراق . اما خيل الحجاز فقاماتها قصيرة وهي مرغوب فيها

العراب في البلاد الاوربية — ادخل الخيل العربية البلاد الاوروبية منذ امتلاك العرب بلاد الاندلس ثم نقلت الى بعض الممالك الاوروبية في اثناء الحروب الصليبية . وبعد ان نهض الاوربيون في العصور الاخيرة وادركوا مزايا هذا العرق اخذوا يبتاعون من جياده لتحسين الخيل في بلادهم . فالمانيا ابتاعت عدداً من العراب منذ سنة ١٧٣٢ ميلادية ووضعتها في مركز السفاد الملوكي في تراكهنن Trakehnen من اعمال بروسية الشرقية حيث كانت تستعملها في اصلاح الخيل البلدية . ثم استعملت معها الخيل الانكليزية منذ نحو نصف قرن حتى صار عرق الخيل البلدي في بروسية الشرقية عرقاً انكليزياً عربياً اشقر او كميتا . واستعملت العراب والانكليزية في مركز نوشتاد Neustadt ووايل Wiel وغيرها

ونقل المجر الى بلادهم عدداً لا يستهان بهِ من الخيل العراب ابتاعوها من الشام لاصلاح الخيل المجرية . وهذه الخيل هي في الواقع منحدرة من اصل عربي ولهذا يسهل اصلاحها بالخيل العربية واشتهر مركز بابولنا Babolna بتربية جيادنا ويقول احد المؤلفين ان هذا المركز قد ابتاع من الشام كثيراً من الجياد على ست مرات سني ١٨٣٦ و ١٩٠١ ويقول ايضاً ان في بلاد المجر ٣٢ مركزاً تربى فيها العراب

وقد كانت الخيل العربية وبعض عروق شرقية واسطة لايجاد خيل السباق الانكليزية التي استفاضت شهرتها . وليست العراب كثيرة العدد في بلاد الانكليز اليوم لكن لبعض اغنيائهم كلفاً بها وقد ذكر استاذنا دوشامبر في كتاب الخيل الذي طبعهُ سنة ١٩١٢ ان احد هؤلاء يملك وحده سبعين رأساً عربياً ذكوراً واناثاً كلها صالحة للسفاد وكلها منقولة من الشرق مباشرة

وفي مراكز السفاد في فرنسا نحو مائة رأس من الجياد العربية اهمها تارب Tarbes وبو Pau وبومبادور Pompadour . وبلغ عدد الاناث من الخيل العراب المقيدة سنة ١٩١٢ في دفتر انسال الخيل في تلك البلاد ٢٥٥ فرساً

وفي الروسية مركز شهير في ستراسك Stréletzk اسس سنة ١٨٠٥ ونقلت اليهِ

الخيل العربية من الشام فربيت وتناسلت وصارت في تلك البيئة اكبر جثة من خيول البلاد الشامية. ويذكرون رحلات قام بها احد الامراء الروسيين في بادية الشام والجزيرة لشراء الجياد العربية من العشائر المعروفة كالرولا وشمر وولد علي والسبعة

يتضح من هذه الخلاصة ان الاوربيين الذين ادركوا ما للعراب من المزايا قد ابتاعوها باغلى الاثمان ليضيفوا الى خيولهم رشاقة الفرس العربي وجماله وقوتهُ وصبره

بعض ما ورد في ذكرها — وردت العراب في القرآن باسم الصافنات الجياد [1]. وأقسم بها في الآية « والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن بهِ نقعاً فوسطن بهِ جمعاً » . وروي عن النبي « الخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة » و « المنفق على الخيل كالباسط يدهُ بالصدقة لا يقبضها » و « ما من رجل مسلم الا حق عليهِ ان يربط فرساً اذا اطاق ذلك » و « اكرموا الخيل وجللوها » و « لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها » و « ان الشيطان لا يدخل داراً فيها فرس عتيق » الخ

وما من امة تحب الخيل كالامة العربية وقد كان اجدادنا لا يرون العز الا على متونها ولهم في حبها احاديث واشعار لا تحصى . قيل لاحدهم لماذا يتضاغى اولادك جوعاً فقال « لاننا نبدأ بالخيل قبل العيال » . وقال آخر

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

وقال المقنع الكندي

وفي فرس نهد عتيق جعلتهُ حجاباً لبيتي ثم اخدمته عبدا

وقال شداد بن معاوية العبسي وكانت فرسه تسمى جروة

فمن يك سائلاً عني فاني وجروة كالشجى فوق الوريد
اقوّتها بقوتي ان شتونا وألحفها ردائي في الجليد

ولا شك في ان اهم الاسباب التي تحمل العرب على حب الخيل شدة حاجتهم اليها في قطع المسافات الشاسعة والغزو والحروب والبدو هم اشد احتياجاً اليها من الحضر لاسيما في ايامنا هذه التي صارت السيارات فيها قادرة على بلوغ معظم القرى والدساكر

ما يستحب وما يكره منها — قال الاصمعي في « كتاب الخيل » يستحب من الفرس

(١) الصافنات من صفن القوس اي قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة وهو من الصفات المستملحة ويكون في العراب الكريمة . اما الجياد لجمع جواد اي السريع في جريه

صفاء الأديم وصفاء الحدقة وصفاء الحافر وقصر الشعرة وقصر اوظفة اليدين وقصر السافين وقصر الظهر وقصر العسيب وطول الذراعين وحدبهما وطول الوظيفين في الرجلين وطول البطن وطول العنق وقلة لحمه واضطراب جرانه وحدة الفؤاد والطرف والكعب والمنكب والعرقوب وعرض الجبهة والورك والكتف والجنب والقطاة وسعة البركة اي متسع صدر الفرس مما يستقبلك وسعة النخر وسعة الشدق وعرض القوائم (قلة لحمها) ومشقها وعرق الوجه والمتن ورهل المنكب (كثرة اللحم في استرخاء) وموج جلده عليهِ ولين الناصية والعرف ورقتهِ وان يشرف منسجهِ وتشرف حجبتاهُ ويكثر لعابهُ ويشتد صهيله وترق جحفلتاهُ ويكثر عصبهُ وتمكن ارساغه ويطول سبيمه ويدق مذبحهُ وتقصر طفطفته (شاكلته) ويتسع منخره

وقال يكره من الفرس القنا (ارتفاع مقدم الخيشوم) والخذا (استرخاء الاذنين) والسفا (قلة الشعر في الناصية) والبلق وارتفاع التحجيل الى الفخذين وضفوف الحافر وقلة الدماغ وضعف الضرس واضطراب المتن وكثرة لحمهِ واضطراب الأذن وعظم الزور وطول الشعر وقصر الاضلع وطول العسيب وضيق الجلد على الكتف والعضد وغلظ الجحفلة وكثرة لحم الوجه واستدارة القوائم ودنو الصدر من الارض وتنكيس الجاعرة وطمأنينة القطاة وضيق الشدق وموج الربلة وطول النسا والفحج الفاحش والعَزَل (ميل الذنب في احد الشقين) وتطامن الظهر والهَنَع (تطامن اصل العنق)

بعض نعوتها — المُعرِب من الخيل الذي ليس فيهِ عرق هجين والانثى معربة والجمع عراب. واعرب الفرس خلصت عربيته. والعتيق من الخيل الكريم وكذا الصريع والشرجب والسرحوب وهي نعوت لا تنعت بها الأعراب

والمطهَّمة هي الحسنة التامة كل شيء. والصِلْدَمة الشديدة. والفرس النهد الجسيم. والسلجم الطويل ومثلهُ السلهب. والسُرْحوب والقيدود الطوال من الإناث ولا توصف بهما الذكور. والصصام الصلب الشديد وكذا العلندي قال الشاعر

اعددت للحدثان سابقة وعدَّاءً عَلَنْدي

والهيكل الضخم العبل اللين. والمسومة التي لها سمة اي علامة. والجواد الذي يجود في جريهِ يقال جاد الفرس في عدوه وجَوُد وعدا عدواً جواداً. والغَمر الجواد الكثير العدو وكذا البحر والفيض والسَكْب. والسبوح الذي يسبح بيديهِ في سيره. وقيد الاوابد هو الفرس الجواد اللاحق سمي كذلك لانهُ اذا رأى وحشاً لحقهُ كانهُ مقيد

والحَذِم والعَدَوان السريع . والذُهلول الجواد الدقيق والاجرد السريع المنجود من الحلبة السابق لها . وعكسهُ الخيل التوابع وهي المسبوقة انشد احدهم

يثابر حتى يترك الخيل خلفه توابع في غمّى عَجاج وعثيرِ

واول الخيل في الحلبة هو المجلي او السابق والثاني المصلي وذلك لان رأسهُ عند صلا السابق (وسط ظهره) ويليهِ الثالث فالرابع الى التاسع . والعاشر هو السُكَيْت والفِسكل الذي يجيءُ آخر الخيل في الحلبة دمشق مصطفى الشهابي

الاسمدة الكيماوية الصناعية

ومقامها في الزراعة العالمية

ان من يرجع الى تاريخ استعمال الاسمدة الكيماوية قبل الحرب العظمى يجد ان المقطوعية منها كانت تزداد سنة فسنة بمعدل ستة الى سبعة في المائة وقد تقدرت هذه المقطوعية في سنة ١٩٠٠ بنحو ثلاثمائة الف طن من الازوت النقي وبقيت تزداد حتى بلغت في سنة ١٩١٣ اكثر من مضاعف ذلك اي سبعمائة وخمسين الف طن وهذا المعدّل يعادل خمسة ملايين طن من نترات الجير الالماني او نترات الصودا كما هو معلوم عن محتويات كل منهما من الازوت (النتروجين) بواقع ١٥/١٦ في المئة

الا ان المقطوعية العالمية المذكورة للزراعة توقفت عن نموها في زمن الحرب بل قلت عنها في غضونها وهذا لحاجة المتحاربين الى الازوت في صنع البارود والمفرقعات الحربية التي كانت تفتك بالنفوس وتدمر العمران بدلاً من استفادة البشر منها في زيادة الخصب. فآل ذلك الى افتقار العالم اليها عند ما لم يجد منها في مزارعهِ ما يسمد بهِ زراعاته فلم تضع الحرب اوزارها حتى استغنى المتحاربون عنها وعاد اقبال المزارعين عليها اضعافاً مضاعفة في مدة وجيزة بعد الحرب لان مقطوعية الزراعة منها بلغ في سنة ١٩٢٢ نحو من تسعمائة الف طن من الازوت النقي وهي مضطردة في الزيادة حتى بلغت في سنة ١٩٢٧ نحو الف وخمسمائة الف طن من الازوت النقي اي ما يعادل عشرة ملايين من الاطنان على نسبة محتويات نترات الجير الالماني او نترات الصودا في نترات صودا شيلي كما قدمنا والمنتظر ان يكون الاستهلاك سنة ١٩٢٨ قد فاق ذلك كثيراً

اما الدافع الى زيادة انتاج الاسمدة الكيماوية الصناعية والى زيادة استعمالها فذلك كما اوضحناهُ اولاً يرجع الى زيادة سكان الارض وازدياد الحاجة الى الطعام على نسبة تلك الزيادة ثم الى دافع آخر ذي اهمية ألا وهو رغبة كل امة في الاستقلال واستغنائها قدر

الامكان عن حاصلات البلدان الاخرى فعمدت الى الاسمدة الكماوية الصناعية تستخدمها اداة في انماء موارد البلاد الزراعية فنالت باستعمالها وفرة في الحاصلات الزراعية اذ قد ثبت بعد التجربة والاختبار ان الكيلو الواحد من الازوت التي يعطي انتاجاً قدّرتهُ مصالح الاحصاء الالمانية بعشرين كيلو من القمح بشرط ان تكون الارض المزروعة تحتوي على كفايتها من الحامض الفصفوريك والبوتاس. فاذا قدرنا ثمن الكيلو الواحد من الازوت على ما هو في ملح (سلفات) النوشادر مثلاً بستة غروش صاغ او على ما هو في نترات الجير الالماني والكيلو منهُ يساوي تقريباً سبعة غروش صاغ امكنا تقدير ما ينالنا من استعمال الازوت في زراعاتنا لو قدرنا مقدارا نتاجها على النحو المذكور من القمح بخلاف ما نتحصل عليهِ من تبنها والمخلفات الاخرى. لان ثمن هذه وحدها يزيد عن ثمن الازوت المستهلك في تغذية الحنطة وانمائها. والى القارئ جدولاً يتبين منهُ اطّراد الزيادة في المستهلك من الاسمدة الازوتية الصناعية بالطن المتري من الازوت (النتروجين) التي

١٩٠٥	٤٠٠٠٠٠	١٩٢٣	٨٦٥٠٠٠
١٩٠٧	٤٨٠٠٠٠	١٩٢٤	٩٨٠٠٠٠
١٩١٠	٥٤٠٠٠٠	١٩٢٥	١١٨٠٠٠٠
١٩١٣	٧٤٠٠٠٠	١٩٢٦	١٣٤٠٠٠٠
١٩٢٢	٨٥٠٠٠٠	١٩٢٧	١٤٤٠٠٠٠

ثابت ثابت

السر هنري رو

توفي السر هنري رو العالم الزراعي الانكليزي في ٧ ابريل الماضي عن سبعين سنة قضاها في البحث والتنقيب واشغال المناصب العالية في حكومة بلادهِ حتى صار يحسب اكبر ثقة في فنون الزراعة من وجهتها الاقتصادية. شغل اولاً منصب مدير لفرع الاحصاء بوزارة الزراعة البريطانية ثم رقي سنة ١٩٠٦ الى منصب سكرتير مساعد فحصر عنايتهُ بالتقارير السنوية التي كانت ترد على الوزارة وما فيها من الاحصاءات ودلالتها على تقدم الزراعة البريطانية. ومن آرائهِ في خطبة خطبها وهو رئيس لجمعية الاحصاء الملكية ان مقدار الطعام الذي ينتج الآن اكبر مما كان عليهِ قبيل الحرب وهذا رغماً عن قلة المساحة المزروعة الآن اذا قيست بالمساحة التي كانت تزرع قبل الحرب

مكتبة المقتطف

تاريخ الموسيقى العربية

الى القرن الثالث عشر المسيحي

تأليف الاستاذ هنري جورج فارمر طبع عند لوزاك وشركاهم لندن

اهدى الينا الاستاذ فارمر هذا الكتاب النفيس في تاريخ الموسيقى العربية فجاء دليلاً جديداً على ما لجماعة المستشرقين من العناية الكبيرة باصول تاريخنا السياسي والادبي والفني . والاستاذ فارمر ليس حديث العهد بموضوع الموسيقى العربية اذ له في ذلك ثلاثة مؤلفات قيمة تشهد لهُ بطول الباع اليك موضوعاتها . اثر العرب في الموسيقى النظرية. المخطوطات الموسيقية العربية في المكتبة البُدلية . اثر الموسيقى من المصادر العربية

الكتاب الذي بين ايدينا سبعة فصول الاول يتناول الموسيقى العربية في ايام الجاهلية والثاني موضوعهُ الموسيقى والاسلام والثالث يتناول حالتها في ايام الخلفاء الراشدين والرابع في ايام الامويين والخامس في ايام العباسيين في عصر ازدهارهم والسادس في ايام العباسيين في عصر ضعفهم وانحطاطهم والثامن في ايام العباسيين في عصر سقوطهم

وقد اشار في مقدمتهِ الى ان اصول حضارة العرب ترجع الى الالف الثالثة قبل المسيح قال ما ملخصه : ان كل مَن كتب في موضوع الموسيقى عند العرب بحث عن اصولها عند اليونان والفرس . ولهُ في ذلك عذره لاننا لم نكن نعرف الى عهد حديث شيئاً عن حالة بلاد العرب قبل الاسلام الاَّ ما كنا نجمعهُ من المصادر اليونانية واللاتينية ، او من الخرافات والقصص التي تناقلها الكتَّاب العرب .فكان ذلك باعثاً على حسبان اصول الحضارة العربية في فارس واليونان . والواقع ان حضارة بلاد العرب لم تنشأ في ايام الجاهلية حين كانت شموس اليونان والرومان والبزنطيين والفرس في اوجها ولا نشأت في صدر الاسلام ولكنها ترجع الى عهد اقدم منهما كليهما

ان المباحث الاثرية التي اجريت في مواقع الحضارات الساميّة القديمة قد قلبت كثيراً من آرائنا في تاريخ الثقافة العالمية واول ذكر لبلاد العرب يعود بنا الى الالف الثالثة

The History of Arabian Music by Henry G. Farmer,
Published by Luzac Co. 46 Great Russell Street London W.C.

قبل المسيح. ففي بعض الالواح المنقوشة بكتابة مسمارية اشارة الى بلدان ثبت بعدئذٍ انها واقعة في بلاد العرب . . . . . وشكراً لما بذلهُ المنقبون والباحثون من الجهود نستطيع ان نعرف ان ممالك العرب القديمة كانت على جانب من الحضارة يضاهي من نواح كثيرة حضارة بابل واشور . قال الدكتور فرتز همل: «في جنوب بلاد العرب تقع على آثار حضارة زاهرة في عهد قديم جدًّا». وقد دلتهُ مباحثهُ التي تلت قولهُ هذا على ان الحضارة في جنوب بلاد العرب بآلهتها وبخور مذابحها وكتاباتها وحصونها وقلاعها كانت زاهرة في اوائل الالف الاولى قبل المسيح . . . . وقد اشار الاستاذ المذكور الى ان عظمة الحضارة العربية القديمة اظهر ما تكون في الثقافة والدين . .

ولكننا نكاد لانجد اثراً واحداً عن الموسيقى عند العرب القدماء . على ان كتابة من عهد اشوربانيبال (القرن السابع ق . م) تدل على ان موسيقاهم كانت موضع طرب وتقدير وخلاصة هذه الكتابة ان طائفة من الاسرى العرب في قبضة الاشوريين كانوا يقضون ساعات عملهم بالنشيد والموسيقى فكان اسيادهم الاشوريون يطربون لها ويطلبون المزيد

وهكذا نرى الاستاذ فارمر يسوق الدليل اثر الدليل على قدم الموسيقى عن العرب ثم يفصل تقدمها الى آخر عصر العباسيين في الفصول التي اشرنا اليها سابقاً

الشعر النسائي المصري

وشهيرات نجومه

جمع ونشر مكتبة الوفد — صفحاته ٥٦ — طبع بمطبعة الترقي — الثمن ٣ قروش

أصدرت هذا الكتاب المدرسي المفيد (مكتبة الوفد) بباب اللوق فسدَّت به فراغاً محسوساً في مكتبة البنت المدرسيَّة . واذا كانت قيمة الكتاب بموضوعهِ ومراميهِ قبل ايّ اعتبار آخر ، فعندنا ان هذا التأليف الصغير من خير التآليف النافعة التي أُخرجت للناس في هذا العام بل في الاعوام الأخيرة . وآية ذلك ان الذين سوف ينتفعون وينتفعن بهِ في عدِّ الآلاف ، والاغلبية من طالبات المدارس الابتدائية والثانوية .وهو الى جانب ذلك يشيد اشادة خاصة بشواعر العصر ،ويفتح باب الدّراسة للشعر النسائي المصري على مصراعيه بعد ان كان المألوف انصراف الطالبات غالباً عن شعر بنات جنسهن ، وان بلغ غاية الجودة الفنية ! فكان هذا الكتاب شهادة بالنبوغ النسائي الفني ومرشد الى تقديرهن ، ودليل أمين الى درس مختارات من روائع آثارهن وبعبارة اخرى هو تأليف مدرسي قيم كما انهُ عونٌ صادقٌ للنهضة النسائية الأدبيَّة وحاثٌّ على اطّرادها

وقد اختارت (مكتبة الوفد) أن تضمّن الكتابَ سِيَرَ نُخبةٍ من مشهورات شواعرنا : هنَّ وردة اليازجي وعائشة عصمت تيمور وأمينة نجيب وملك حفني ناصف ، وأتحفتنا بنماذج عديدة من أشعارهن ، بحيث جاءت هذه المجموعة مثالاً صادقاً لتطوُّر الشعر النسائي المصري تُقرأ بفائدة ولذّة وافرة

والكتاب مطبوعٌ طبعاً جيداً ومنسَّقٌ تنسيقاً حسناً كما ان قسمهُ الشعري مشكولٌ ، وقد تجرّد من الاخطاء المطبعية المشوّهة لكثير من المطبوعات العربية .وفي ذيل الكتاب فصلٌ عن نقدِ الشّعر وأقسامهِ للعلامة ابن قُتيبة ، إتماماً لفائدتهِ الدراسية . فنشكر (لمكتبة الوفد) هديتها ، ونرجو أن ينال هذا الكتاب الاقبال العظيم الذي يستحقهُ من جميع مدارس البنات في مصر والعالم العربي

تقرير المعهد السمثصوني

لسنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٧

Report of the Smithsonian Institution

جيمس سمثصن رجل انكليزي توفي سنة ١٨٢٦ فاوصى بكل ثروتهِ لحكومة الولايات المتحدة الاميركية لتنشئ معهداً في وشنطن يعرف بالمعهد السمثصوني غايتهُ ترقية العلوم ونشرها بين الناس . فقبل الكنغرس الاميركي هذه الهبة وقضى بان تتولى الحكومة الاميركية ادارة هذا المعهد فيكون رئيس الولايات المتحدة رئيسهُ ورئيس المحكمة العليا وكيلهُ ووضع قانوناً لذلك سنة ١٨٤٦ بعد معارضة شديدة قادها كلهون الخطيب الاميركي المشهور زاعماً فيها ان الكنغرس لا حق لهُ حسب نصوص الدستور على قبول هدية من هذا القبيل

والمعهد الآن من اشهر المنشآت العلمية ولرجاله آثار مفيدة في العلوم المختلفة كالفلك والطبيعيات والظواهر الطبيعية والحيوان وآثار الانسان وما الى ذلك . وهو ينشر كلَّ سنة مجلداً ضخماً يحتوي على تقرير سكرتيرهِ وعلى اشهر الرسائل العلمية التي ظهرت في انكلترا واميركا في السنة السابقة.وقد اهدى الينا في شهر واحد تقريريهِ عن سنتي ١٩٢٦ و١٩٢٧ وفي كلٍّ منها نحو ٣٠ مقالة علمية لاعظم علماء العصر نذكر منها : النظر الجديد الى الكون للاستاذ جينز سكرتير الجمعية الفلكية الملكية بلندن . الاشعة الكونية للاستاذ روبرت ملكان . تاريخ النشوء العضوي للاستاذ كولتر. نشوء الكواكب للاستاذ ابت سكرتير المعهد السمثصوني . النور البارد للاستاذ نيوتن هارفي . هذا بعض ما في المجلد الواحد.وفي الآخر: نشوء الطبيعيات في القرن العشرين للاستاذ ملكن.اسحق نيوتن لالبرت اينشتين.

قلب الجوهر الفرد للاستاذ كروذر. اطالة الحياة للاستاذ فشر. عصر الفحم الجديد للمستر ادون سلوسن وهلمَّ جرًّا . وسنعود الى بعض هذه الرسائل فنلخصها للقراء على صعوبتها

ديوان سليمان سلامة

الجزء الثاني

«...الشاعر هو الذي يرسل نفسهُ على سجيتها فلا يشكو الا من الم يحسُّ بهِ ولا يضحك الاَّ من غبطة تفيض بها نفسهُ فيفيض بها لسانهُ . اما الذين « يقولون ما لا يفعلون » فما هم بالشعراءِ الاَّ في العرف القديم». هكذا يختم الاديب مراد ابو ماضي المقدمة التي قدمها لهذا الديوان الذي يحتوي على ادلة كثيرة على ان نفس صاحبهِ تلتهب شوقاً الى الوطن الذي يملأ حبهُ جوانبها . . . «فهو شاعر سمح القريحة فياض الخاطر صريح العبارة . . يخاطبك في غير تكلف ولا تصنع ويأْتيك بالالفاظ كما تعرض لهُ ولا يبالي وسعت المعنى او ضاقت عنهُ حتى انهُ لا يبالي ان يصقلها .والسرُّ في ذلك انهُ نشأ في محيط طبيعي بعيد عن البهرجة الخارجية التي تشوّهُ اكثر مما تجمل وعاش في محيط يكره التبرقع ويحب السفور والصراحة . . . »

اجاد في وصفهِ قرى البقاع التي تحيط ببعلبك حيث يقول

قراها كالكواكب كلَّ ليلٍ تشعشع في السهول وفي الجبال

فمن رأى قرى البقاع او قرى لبنان من مرتفع يشرف عليها ولا يرى في هذا البيت وصفاً دقيقاً بل صورة واضحة في تسع كلمات على خلوها من الزخرف الذي ينتظر عادة في وصف بيت بليغ وقال في قصيدة صفحة ١٧

انا والطير شاعران كلانا ذو شعور وذو حواشٍ رقاقِ
هو يشدو لكنهُ بسرورٍ في قصور الازهار والاوراقِ
يصف الحسن في الطبيعة وصفاً اين منهُ تغزّل العشاقِ
كلما هبَّ في الغصون نسيمٌ يتغنى بقدرة الخلاّقِ
غير شاكٍ جوى التغرُّب مثلي من فؤاد معذَّب بالفراقِ
اتمنى لو كنت كالطير حرًّا في بلادٍ قد طال عنها افتراقي
لست ادري متى اعود اليها طال اسري متى يكون انعتاقي
اترى يسمح الزمان فاروي ظمأي من معينها الرقراق

والديوان مطبوع طبعاً متقناً على ورق من نوع ورق المقتطف ويطلب من صاحبهِ بواسطة المطبعة التجارية السورية الاميركية ١٠٤ شارع غرينتش نيويورك

معجم المطبوعات العربية والمعربة

هذا معجم نفيس لا يستغني عنهُ باحث في آداب اللغة العربية شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى نهاية ١٣٣٩ هـ ١٩١٩ م عني بجمعهِ وترتيبهِ وطبعهِ يوسف افندي الياس سركيس صاحب مطبعة ومكتبة سركيس بمصر . واصدر منهُ حتى الآن سبعة اجزاء كلٌّ منها في نحو ١٨٠ صفحة كبيرة قطع ٣٣×٢٥ سنتيمتراً مرتبة حسب اسماء المؤلفين وتحت اسم كلٍّ منهم عناوين المؤلفات المنسوبة اليهِ ومكان طبعها وتاريخهُ

فتحنا اتفاقاً صفحة ٤٩ فوقع نظرنا على اسم ابن البيطار تلاهُ ترجمة موجز لهُ ثم ذكر كتابهِ المشهور بمفردات ابن البيطار قال : الجامع لمفردات الادوية والاغذية ويعرف بجامع الادوية المفردة او مفردات ابن البيطار امرهُ بجمعهِ الملك الصالح وهو اجل كتب المفردات واجمعها جزء ٤ بولاق ١٢٩١ . ثم فتحنا صفحة ١٢٤١ فوجدنا اسم الطغرائي وترجمتهُ وذكر ديوانهِ ولاميتهِ . وفي الصفحة نفسها ايضاً وجدنا اسم طلعت حرب بك وذكر مؤلفاتهِ ورسائلهِ . والخلاصة ان الكتاب كنز لاتنفد درره

مطبوعات الحكومة المصرية

يضيق بنا هذا الباب اذا اردنا ان نتوسع في ذكر المطبوعات التي تخرجها دوائر الحكومة المصرية لذلك نكتفي بذكرها وذكر بعض الحقائق عنها

(١) التقرير السنوي عن اعمال تفتيش صحة القاهرة لسنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ صفحاتهُ الاول ٤٦ والثاني ٦١ من قطع ٣٣ × ٢٢ سنتمتراً وقد الحقت بكل منها خرائط بيانية كثيرة

(٢) النشرة الفنية رقم ٧٧ موضوعها تجارب تمهيدية لمقاومة حشرات القطن بالتعفير والرش. وضعها ابرهيم افندي بشاره الاختصاصي الثاني في قسم وقاية النباتات بوزارة الزراعة

(٣) لجنة مقاومة الملاريا . التقرير الاول يشتمل على اعمال اللجنة من سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٥ والثاني على اعمالها من سنة ١٩٢٥ الى ١٩٢٦ وفيهِ المشروعات والطرق التي وضعتها اللجنة لمقاومة الملاريا في القطر المصري

(٤) جدول عام يحتوي على مطبوعات الحكومة المصرية الموجودة في مخازن وزاراتها ومصالحها المختلفة

(٥) النشرة الشهرية للشؤون البيطرية يصدرها شهريًا قسم الطب البيطري بوزارة الزراعة

(٦) الملخص الشهري للتجارة الخارجية (يناير ١٩٢٩) اصدرتهُ مصلحة عموم الاحصاء بوزارة المالية . صفحاتهُ ٥٦٨ صفحة وثمنهُ ١٠ غروش

السمير

تصدر مرتين في الشهر — ٨٥ شارع وشنطن نيويورك — صفحات الجزء ٤٦

كان الاستاذ ايليا ابو ماضي الشاعر المشهور قد عزم على تطليق الصحافة ليخوض ميدان الاعمال التجارية فاستقال من منصبهِ في جريدة مرآة الغرب النيويوركية العربية ولكن رائحة حبر المطابع ما زالت في انفهِ تغريهِ بالرجوع الى ميدان الصحافة . فلما تقدم اليهِ اصدقاؤهُ ومريدوهُ في ذلك انشأ مجلة «السمير» وصار يصدرها مرتين في الشهر في ٤٦ صفحة . وصلنا العدد الثاني منها فاذا هو مفتتح بمقالٍ ادبي بليغ موضوعهُ « المرأة في الشعر العربي » نقلناهُ في باب شؤون المرأة من هذا الجزء . ومن مباحثهِ مقالة في اسباب ضعف التجارة السورية في اميركا والسبيل الى تقويتها . واخرى موضوعها قرصان البورصة . والامل ان لا يخلو كلُّ عدد منها من قصيدة بقلم صاحبها ورئيس تحريرها

العدل الالهي

تأليف حسن حسين — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم — صفحاته ٨٨

تتلخص فكرة هذا الكتاب في قول مؤلفهِ صفحة ٦ « لا نبالغ اذا قلنا اننا نعيش في عصر المادة وقد ملك المذهب المادي على الناس جماع حواسهم ومشاعرهم فصاروا ماديين في كل شيء ، في كلٍ مظهر من مظاهر حياتهم لايهتمون الا بالمادة ، ولا يأنسون الا لها ولا يفكرون الا فيها — فانتصر المذهب المادي على المذهب الادبي ولكن الى حين. اما المذهب الروحاني — فالرأي عندنا انهُ — مذهب المستقبل ولقد مل الناس هذه المادية بعد ان قطعوا فيها من عامة عمرهم شطراً كبيراً —وما في هذا المذهب (المادي) من فضل الا في تكييف وتسهيل سبل الحياة الدنيا» وهذا رأي يوافقهُ عليهِ طائفة كبيرة من فلاسفة العصر كما يرى القارئ في مقالة للسر اولفر لدج نشرناها في هذا الجزء ص ٨ على انَّ الاستاذ حسن حسين يعتقد اعتقاداً راسخاً بصحة مناجاة الارواح. ولكن اساس اعتقاده ضعيف اذا كان كلهُ من قبيل القصة التي اوردها صفحة ٤٣ وقال انها « تذهب بمذاهب هؤلاء وبكل شكٍ في الارواح واعمالها ووجودها » نقول ولو كانت هذه الحادثة كافية لان « تذهب بكل شكٍ » بهذه السهولة لما رأينا المؤمنين بالارواح بين رجال العلم والفكر اقلية صغرى . والواقع ان المسألة تحتاج الى كثير من البحث والتنقيب قبلما يبتُّ فيها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) العلم والسعادة

القاهرة . هل تقدم العلوم يؤدي حتماً الى سعادة الانسان

ج . قال شوبنهور « سعي الناس الى الثروة يفوق الف ضعف سعيهم الى احراز الثقافة مع انهُ من المؤكد تقريباً ان « ماهية » الانسان لها في سعادته أثر اعظم من اثر ممتلكاته » . فالرجل الذي لا يشعر بحاجات عقلية يجب اكفاؤها لا يمكن ان يكون رجلاً سعيداً . انهُ يبحث بجشع عن شهوات يريد قضاءها وفي آخر الامر يقضي عليهِ الضجر الذي لا يكون الاَّ نصيب الغني الخامل او المنغمس في الشهوات . وفولتر فضَّل حكمة البرهمي مع شقائهِ على جهل الفلاحة مع سعادتها لان في طبيعة الانسان دافعاً يدفعهُ الى سبر اغوار الحياة ولو كان نصيبهُ الالم والخيبة . وفرجيل الذي ذاق انواع المسرات ورتع في عناية الامبراطرة تعب في نهاية الامر من كل شيء الاَّ من مسرات الفهم . فاذا كانت الحواس الزائفة عن السعي وراء الشهوة لا يجد الانسان شيئاً اعظم من ان يتصافى مع الشعراء والفلاسفة والعلماء ورجال الفن الذين انجبتهم عصور التاريخ

فتقدُّم العلوم وما يبنى عليهِ من المخترعات والمستنبطات يستطيع ان يوفر للجسم الراحة والرفاهة فيتحرَّر من الهم والالم الى حدٍّ بعيد ويوسّع امام العقل والنفس آفاق الفكر والمعرفة . فالعلوم الطبية والصحية جعلت الانسان اقوى صحة واطول عمراً والعلوم الطبيعية وما بني عليها من وسائل المخاطبات والمواصلات وانجاز الاعمال وفرت لهُ اوقات الفراغ فاذا عرف كيف يقضيها سعياً وراء ما يحسبهُ الفلاسفة غاية السعادة كان تقدم العلوم سبيلهُ اليها . ولكنهُ اذا ترك وقت فراغهِ فراغاً اوشغل وقت فراغهِ بالسعي وراء المادة او وراء الشهوات كان الضجر والسآمة نصيبهُ على

ما قال شوبنهور . على ان المعرفة تأتي بسرعة ولكن الحكمة بطيئة كالنشد تنسن. وما لم يبلغ الناس درجة من الحكمة تعلمهم كيف يقضون اوقات الفراغ التي توفرها لهم المستنبطات الحديثة وما لم يتعلموا ان يستفيدوا من طرق نشر العلم التي كثرت جدًّا في هذا العصر فالخوف عليهم كل الخوف من ان تجرفهم الحضارة في تيارها المزبد وحينئذٍ يكون تقدم العلوم سبيلهم الى الشقاء

(٢) الوأد في الجاهلية

البصرة . ما رأيكم في وأد البنات في الجاهلية ،أحقيقة لم يكن وذلك نظراً لعدم ذكره في شعر الشعراء الجاهليين وهل سمعتم شعراً جاهليًّا ذكر فيه قائله الوأد فان لم يكن شيء من ذلك فعلى اي اساس بنى القرآن ما ذكر وهل يجوز وجوده عند قبيلة واحدة دون الاخرى

ج . عهدنا الى استاذ فاضل في كتابة مقال وافٍ ردًّا على سؤالكم ووعدنا بهِ الجزء القادم من المقتطف

(٣) الاختزال العربي

القاهرة . ما هي الكتب التي وضعت في الاختزال العربي وهل اتى احدها بالفائدة المقصودة

ج : وضع عبد الرزاق افندي عوض رسالة موضوعها اختزال الكتابة لمجاراة الخطابة طبعها سنة ١٩١١ ووضع المرحوم سليمان البستاني مترجم الالياذة رسالة عنوانها الاختزال او الاستنوغرافية طبعتها مكتبة العرب بمطبعة الهلال سنة ١٩٢٠ ولم يتصل بنا ان احد الاسلوبين انتشر انتشاراً واسعاً والسبب في ذلك يعود الى عدم الحاجة الى هذا الضرب من الكتابة العربية الآن حاجةً تجعلهُ من الامور التي لا يستغنى عنها . واكبر حافز لترقيتهِ هو ضيق الوقت عن انجاز المراسلات التجارية والعناية بما يلقى من الخطب الخطيرة في المجالس النيابية او الحفلات العامة . وعندنا انهُ متى مسّت الحاجة اليهِ فانهُ ولا شك يرتقي ارتقاءً سريعاً حتى يبلغ درجة عالية من الاحكام والاتقان

(٤) فائدة السرعة

الاسكندرية . قرأنا في الصحف اليومية ان احد الانكليز بلغ سرعة ٢٣١ ميلاً في الساعة بسيارتهِ . فما هي الفائدة التي تنجم عن مغامرة من هذا القبيل

ج . الرجل الذي يشتري سيارة رشيقة ثم يركبها واثقاً انها لن تنقلب بهِ وان القضبان المعدنية لن تلتوي وتتكسر وهو يسير بسرعة خمسين ميلاً اوستين لا يدري ان صانعي السيارات ما كانوا يستطيعون ان يتقنوا صنعها ويوفروا لهُ اسباب السرعة والراحة والسلامة على المنوال الذي وفروهُ لولا جرأة الرجل الذي يغامر بنفسهِ في سيارة تنطلق كقذيفة المدفع.

فسباق السيارات اثبت لصانعيها مثلاً ان مركز الثقل فيها يجب ان يكون واطئاً حتى يصبح انقلابها صعباً او متعذراً. وعلّمهم كذلك اموراً كثيرة عن قوة المعادن المستعملة في بنائها وعن شكل السيارة الامثل حتى يكون ضغط الريح ومقاومتهُ لها على اقلها. ولا يزال امامهم اموركثيرة لا بدَّ من ايضاحها قبلما تبنى السيَّارة المثلى. فالسباق السريع تجربة علمية عملية تتقدم كل اتقان في صناعة السيارات

ثم هنالك وجه آخر للمسألة وهووجه تجاري بحت. ذلك ان اصحاب المصانع الكبرى يحرصون على ان تفوز سيارة مصنوعة في مصانعهم بقصب السبق في السرعة لان فوزها بمثابة اعلان عالمي عن متانة مصنوعاتهم وتفوّقها تنشرهُ الصحف في كل انحاء العالم مجاناً لانهُ من الانباء التي يتلهف الجمهور الى مطالعتها

(٥) المصايف البحرية والمصايف الجبلية

بور سعيد. هجم فصل الصيف وابتدأ سكان مصر يقصدون الى المصايف البحرية والجبليـة. فايهما اكثر فائدة لصحة الانسان — هواء المصايف البحرية او هواء المصايف الجبلية

ج. هواء الجبال مفيد لغير المصابين بتصلب في الشرايين او امراض القلب والكلى. وهواء البحر لا يوافق المصابين بالروماتزم وسائر الامراض العصبية. اما الاصحاء فسواء عندهم هذا وذاك كلاهما مفيد لان الراحة والرياضة في الهواء الطلق اهم ما يطلب في الاصطياف وهذان متوافران في المصايف الجبلية والبحرية على السواء

(٦) سبب السرطان

عاليه لبنان. ما هو سبب داء السرطان وهل اكتشف له دواء شاف

ج. لا يعرف سبب السرطان بعد معرفة علمية يقينية كما يعرف سبب الملاريا والتيفوئيد وغيرها من الامراض المعدية. ولم يكشف عن علاج شافٍ لهُ حتى الآن. ولكن العلاج بالراديوم واشعة رنتجن ينجع في بعض الاحوال والعلاج بمركبات الرصاص الآلية ينجع في احوال اخرى. وفي غير ذلك لا يفيد الاَّ مبضع الجراح باستئصال النمو السرطاني. وفائدة هذه العلاجات محدودة باحوال الحادثة التي تحت النظر. فقد يستأصل سرطان من مصابٍ بهِ فيعاودهُ بعد زمن قصير او طويل في المكان الذي استؤصل منهُ او في مكان آخر من جسمهِ وقد يستأصل من آخر فلا يعاودهُ مطلقاً

(٧) مقياس العظمة

ومنهُ. ما هو مقياس العظمة في رأيكم

ج. خُلُق الرجل وما يفيد بهِ الناس فباستور في رأينا من اعظم العظماء كان وديعاً صبوراً بعيداً عن الدعوى يخضع للحق. كذلك كان المعيَّا في فكرهِ وما افاد

بهِ العمران لا يقدّر بمال . قال هكسلي « ان مكتشفات باستور تساوي المليارات الخمسة التي اعطاها دولة فرنسا لدولة المانيا غرامة » ونحن نقول انها تفوق كل اموال الدنيا لان حياة الناس لا تقاس بالجنيهات. وداروِن كان من اعظم العظماء في خلقهِ وفي اثرهِ الفكري مع انهُ يتعذر قياس اثره في العمران على نحو ما يقاس بهِ اثر باستور

(٨) الاعتقاد فلسفياً

ومنهُ . ما هو الاعتقاد فلسفيًّا

ج. راجعوا مقالة السر اولفر لدج المنشورة في الصفحة التاسعة من هذا الجزء وخصّوا نهايتها بعنايتكم ففيها جواب عن سؤالكم

(٩) المقتطف والسحر

ومنهُ . ما هو رأي المقتطف في السحر وهل السحر الذي يقوم بهِ الاعجام والهنود حقيقة

ج . كل الاعمال الغريبة التي تنسب الى قوى خارقة ويطلق عليها لفظ السحر انما هي شعوذة وخداع على ما ثبت بالبحث العلمي حتى الآن . واما الاعمال النفسية التي يدعيها بعض الوسطاء ويؤيدهم في صحتها بعض العلماء فلم تثبت بعدُ امام البحث العلمي بل ظهر انها في الغالب اما خداع او انخداع ولكن نفيها نفياً باتّاً لا يتفق مع روح العلم واسلوبهِ ولذلك نقف مع جمهور كبير من العلماء موقف المنتظر لما يكشف عنهُ البحث والتنقيب من الحقائق التي تشع النور في جوانب هذا البحث المعقد

(١٠) المجلة الزراعية المصرية

المنيا . ما هي ارقى المجلات الزراعية باللغة العربية

ج . نظنكم تريدون مجلة زراعية تختص بشؤون الزراعة المصرية فنشير عليكم اذاً بمطالعة المجلة الزراعية الملكيــة التي تصدرها وزارة الزراعة وتطبع بالمطبعة الاميرية بالقاهرة

(١١) العنبر وفائدته

ريوده جنيرو . من اين يؤتى بالعنبر. وما هي فوائدهُ الطبية والصحية

ج . هو مادة دهنية تفرز من امعاء نوع من الحيتان وتوجد طافية على وجه الماء وملقاة على شاطىء البحر في برازيل ومدغسكر وافريقية وبلاد العرب والهند الشرقية والصين واليابان وهو يستعمل الآن طبيًّا لا غير وكان الاقدمون يكثرون من استعمالهِ طبيًّا كمنبهٍ للاعصاب

(١٢) الرشيدي

اسيوط . من هو الرشيدي صاحب كتاب المادة الطبية

ج . هو احد الاطباء المصريين الذين اتموا دروسهم الطبية في فرنسا في عهد اسمعيل باشا وبعد عودتهِ جعل يدرّس في مدرسة قصر العيني الطبية وكانت وفاتهُ سنة ١٢٨٢هـ وكتابهُ في المادة الطبية من اوسع الكتب التي وضعت في موضوعهِ الى عهدهِ

باب الاخبار العلمية

السرعة

على غلاف المقتطف هذا الشهر يرى القارىء صورة للسيارة المدعوة « بالسهم الذهبي » على رمال شاطىء ديتونا حيث قادها الماجر سيجريف الانكليزي وفاز بقصب السبق في سرعة السيارات فبلغ متوسط سرعته على ميل واحد ٢٣١ ميلاً في الساعة . وهذه سرعة لا تكاد تصدق . فلو اتيح للماجر سيجريف ان يسير بهذه السرعة على سطح مائل طوله ميل وزاوية انفراجه عن مستوى الارض نحو ٤٥ درجة لتمكن في نهاية السطح المائل من ان يقفز فوق نهر عرضه كيلو متر. واذا زيد انفراج الزاوية الى ٥٥ درجة تمكن من ان يقفز بسيارته الى ارتفاع الف قدم او اكثر

والهواء الذي يصيب السيارة وهي سائرة بهذه السرعة يلطمها لطماً شديداً كانه جسم صلب ولو تجرأ سيجريف واخرج رأسه من مكنه وهو سائر بهذه السرعة للطمته الريح لطمة دقت عنقه

على ان سرعة هذه السيارة تقصر نحو مائة ميل عن سرعة الطيارة المائية الانكليزية التي طار بها الملازم دارسي كريج فبلغت سرعته ٣١٩ ميلاً في الساعة وينتظر ان تبلغ سرعة الطيارات التي تستعد لمباراة كاس شنيدر بكاوز من اعمال بلاد الانكليز في سبتمبر القادم ٣٥٠ ميلاً او اكثر ويقول الكابتن ارفنغ وهو المهندس الانكليزي الذي وضع تصميم « السهم الذهبي » انه لا يستحيل ان تبلغ سرعة السيارات يوماً ما ٤٠٠ ميل في الساعة

ان سرعة القاطرات الكبيرة ازاء السيارات والطيارات تكاد تكون كالسلحفاة مع الارنب . فهل من فائدة تجنى من العناية بزيادة السرعة الى هذا الحد الفائق؟ هل يستطيع الجسم البشري ان يحمل مشقة السفر بسيارات تنطلق كالقذيفة ؟ هل يمكن ان تعبَّد الطرق وتنتظم حركة المرور حتى يسمح لسيارة ان تسرع هذه السرعة في المدن والارياف؟ لا نظن ان الفائدة في زيادة السرعة تجنى من هذه الناحية ولكنها تجنى من جعل المسابقات لاحراز قصب السرعة بمثابة تجارب علمية عملية لا بدَّ ان تتقدم كل اتقان في صناعة السيارات . وقد سألنا سائل في ذلك فابدينا رأينا فيه في باب المسائل صفحة ١١٣ من هذا الجزء

استنباط لاسلكي جديد

اعلن الجنرال سكوير الاميركي لاكادمية العلوم الوطنية في ١٩ ابريل الماضي انهُ استنبط جهازاً جديداً دعاهُ المونوفون يمكنهُ من نقل الاذاعة اللاسلكية في الاثير وعلى الاسلاك التلفونية في وقت واحد من غير ان تتعارض مع المخاطبات التلفونية العادية. فالاثير في اميركا مزدحم بالامواج اللاسلكية من مختلف الشركات والمحطات وهي تتعارض احياناً فتختلط الرسائل وتتشوش . وفضلاً عن ذلك تتمكن الشركة التي تتولى صنع جهاز المونوفون من حصر الاعضاء الذين يصغون الى ما تذيعهُ من الموسيقى والاغاني والخطب والقصص وغيرها اذ على كلّ منهم ان يشتري هذا الجهاز فتستغني عن اضطرارها الى الاعلانات للقيام بنفقاتها . والقوة المستعملة في الآلة المرسلة قليلة جدًّا فالقوة الكهربائية اللازمة لانارة مصباح كهربائي عادي تكفي لان تبعث بالرسائل اللاسلكية السلكية الى نحو خمسة آلاف تلفون . وصاحب التلفون الذي يشترك في هذا النظام يستغني عن كل تعبٍ في دوزنة آلتهِ ولا يعبأ بتقلب احوال الجوّ وكلُّ ما عليه هو ان يدير زرًّا كهربائيًّا كما ينير مصباحاً فاذا الموسيقى والانغام تملأ فضاء البيت طرباً

نظام البريد الدولي

اجتمع مؤتمر البريد الدولي في الاسبوع الثاني من شهر مايو الماضي بلندن فرأينا ان نذكر فيما يلي نبذة عن البريد الدولي مقتطفة من تقرير وضع في مصلحة البريد المصري

كانت مسألة تبادل المراسلات بين اقطار العالم في القرن التاسع عشر من المسائل المعقدة بسبب التشدد الذي كانت تبديهِ حكومة كل بلد في وجوب استعمال طوابع البريد الخاصة بها داخل حدود بلادها . فكان اصحاب الرسائل يضطرون ان يلصقوا على مراسلاتهم طوابع البلدان المصدّرة والمصدَّر اليها معاً والاَّ اضطر المرسَل اليهِ ان يدفع غرامة عن المراسلات باعتبار انها بغير طوابع لعدم رغبة هذه الدول في ان تعترف الاَّ بالطوابع التي تصدرها هي

ولم يكن من السهل ان يجد الجمهور في كل بلد طوابع كلّ البلدان الاجنبية لاستعمالها ولهذا كان يضطرُّ الى تأخير مراسلاته حتى يحصل على هذه الطوابع او يكتفي بوضع طوابع مملكتهِ تاركاً للمرسَل اليه دفع الغرامة التي تفرضها بلاده

ازاء هذه الحالة وما كان يلاقيهِ الجمهور من المتاعب اخذت البلدان تنشيء بينها علاقات خاصة باتفاقات من شأنها تسهيل

امر التراسل بينها . وكان من اثر هـذه الاتفاقات ان الرسائل اصبحت تعتبر مستكملة الرسم متى كان مخلصاً عليها بطوابع بريد البلد الذي تصدر منهُ اذا كانت مرسلة الى بلد آخر بينهُ وبين الاول اتفاق

على ان هذه الاتفاقات الخاصة لم تكن الاَّ تخفيفاً لحالة كثيرة الارتباك ولم تكن علاجاً حاسماً . ولهذا فكر في عقد مؤتمر عام يحضرهُ ممثلون من كل البلدان النظامية لتقرير قواعد عامة تسير عليها البلدان كافة

وقد عقد هذا المؤتمر في مدينة برن في عام ١٨٧٤ واهم القرارات التي اتخذت في هذا المؤتمر هي ما يأتي

(١) انشاء اتحاد البريد الدولي العام

(٢) رصد رسوم المراسلات للبلد الذي تصدر منهُ لا للبلد الذي تصدر اليهِ

(٣) تقرير رسم واحد يعمل بهِ في كل البلدان المنتظمة في عضوية هذا الاتحاد

وكان اتخاذ هـذه القرارات الخطوة الاولى في تسهيل اتصال الشعوب وتوثيق العلائق ونموها وتنظيم تبادل المراسلات. وتوالى انعقاد مؤتمرات البريد الدولية للاتفاق على تبادل الحوالات والطرود على انواعها . وكانت مصر ممثلة فيها دائماً

وعقد سنة ١٩٢٧ مؤتمر البريد الجوي في لاهاي فوضع المؤتمر نصوصاً مؤقتة للبريد الجوي الدولي تنفذ على سبيل التجربة اعتباراً من اول يناير سنة ١٩٢٨ على ان يعاد النظر فيها في مؤتمر سنة ١٩٢٩ وهذه القرارات تتعلق بالتعريفة وتدوين احصاءات يومية لوزن الرسائل المنقولة وعددها

فيتامين ج في الشاي الاخضر

يظهر ان زراع الشاي اليابانيين يدَّعون ان نوعاً من الشاي يعرف بالشاي الاخضر يحتوي على فيتامين (ج) وهو الفيتامين الذي يكثر في عصير البرتقال والطماطم وبعض الخضراوات . ويقولون انهُ في اثناء اعدادهم للشاي العادي الاسود اللون يحصل اختمار حين تجفيف الاوراق فيزول ما فيها من الفيتامين المذكور. واما في اعداد الشاي الاخضر فيمنع هذا الاختمار ويحفظ الفيتامين فيها وجعلوا يعلنون اعلانات ضافية عن ذلك في اميركا وغيرها

فعمد طبيبان اميركيان من اطباء جامعة روتشستر بنيويورك الى امتحان هـذا الشاي في خنازير الهند فثبت لهما ان في الشاي الاخضر قليلاً من فيتامين (ج) ولكن فائدتهُ لا تكاد تذكر في منع الاسكربوط الذي ينجم عن قلة الفيتامين المذكور في الطعام . وعليهِ يجب ان لا يستعمل مطلقاً ليحلَّ محلَّ الاطعمة العادية التي تحتوي على عناصر الغذاء كاملة سواء كان ذلك في طعام الصغار او طعام المتقدمين في السن

النار كوزان وادمان المخدرات

منذ سنتين دهش العالم الطبي لنشرة صدرت من مستشفى جزيرة بلاكول بنيويورك مؤداها ان طائفة من الباحثين فيها كشفوا عن علاج يشفي من ادمان المخدرات وهو مزيج من المواد البروتينية اطلقوا عليهِ اسم النار كوزان . فكتبت في ذلك مجلة الجمعية الطبية الاميركية مشيرة الى ان الادلة على صحة هذه الدعوى لاتزال تفتقر الى التأييد وان اسم الرجل الذي تولى صناعة الدواء و بيعهِ لا يبعث على الثقة

فعينت لجنة خاصة بنيويورك برأسها الدكتور الكسندر لمبرت للبحث في فائدة هذا العلاج. وجرّبت التجارب في مستشفى بلڤيو بنيويورك من شهر مايو الماضي فعولج ٦٨ شخصاً بالنار كوزان وروقبت حركاتهم وسكناتهم وقوبلت بحركات المدمنين الذين لم يعالجوا بهِ فثبت ان ليس للنار كوزان فائدة ما في شفاء مدمني المخدرات

اصل لفظة خراج

يرى الاستاذ بندلي جوزي الاستاذ بجامعة باكو وصاحب مقالة الجزية والخراج في اوائل الاسلام ان اصل لفظة خراج هو اللفظة اليونانية Chorigia التي كانت دارجة في مصر وسوريا قبل ان يفتحها العرب وكانت تستعمل للدلالة على ماكان يؤديهِ المزارع عيناً لصاحب الارض. قال : قد وهم كتبة العرب ومن اخذ عنهم من كتبة الغرب في اشتقاقهم كلة خراج بمعناها الاصطلاحي من فعل خرج وقد استدرجهم الى هذا الخطأ ورود هذه الكلمة في القرآن (المؤمنون ٧٤) وظاهرُ القرابة بين خرج وخراج . ولولا استعمال « خراج » في الدواوين البزنطية في مصر قبل الاسلام لترددنا في اصل الكلمة ولصدق الماوردي في قولهِ « والفرق بين الخرج والخراج ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض »(ص ١٣١).انظر La propriété territoriale : M. van Berchem (ص ٢٠) : « والخراج كلة عربية قديمة كانت تدل في الاصل على الخرج وبالاخص على خرج الارض » . ولهذا ارجح ان الكلمة كانت شائعة بين سكان سوريا ومصر قبل الاسلام وعنهم اخذها العرب

امتياز اليابان في البحث الطبي

في تاريخ ارتقاء العلوم الطبية نجد العلماء اليابانيين يشغلون مقاماً عالياً . وهذا المقام يعود الى مباحث نغوشي الذي قضى ضحية للبحث في اسباب الحمّى الصفراء والى غيره من الباحثين الذين اضافوا بمباحثهم حقائق اساسية في علمي المكروبات ووظائف الاعضاء . وقد عمدت الحكومة

اليابانية مؤخراً الى انشاء وسام اورتبة دعتها رتبة الامتياز في الثقافة (بنكوشو باليابانية) تمنح للذين يتفوّقون في فنٍ من الفنون او يمتازون بخدمة يؤدونها للاجتماع او للثقافة

وقد منحت هذه الرتبة للمرة الاولى في نوفمبر الماضي حين توج امبراطور اليابان الجديد فكان بين الذين فازوا بها عالمان من علماء الطب الاول الدكتور شيجا الذي كشف مع سيمون فلكسنر باشلس الدوسنطاريا والثاني الدكتور اينادا الذي ينسب اليه الكشف عن الباشلس المسبب للبرقان المعدي وهو من السبيروشيتا

الاحتفال بغوستاف ايفل وبرجه

احتفل باريس في ٢ مايو الماضي بانقضاء اربعين سنة على بناء برج ايفل المشهور وبازاحة الستار عن تمثال نصفي لبانيه غوستاف ايفل اقيم عند قاعدة البرج ورأس الحفلة المسيو مارتن وزير البوستة والتلغراف .

ولد ايفل في ١٥ دسمبر سنة ١٨٣٢ ومات في باريس في ٢٨ دسمبر سنة ١٩٢٣ وبعدما تعلم في مدرسة السنترال الشهيرة تمرّس بالاعمال الهندسية الكبيرة وسنة ١٨٨٧ بدأ يبني برجهُ المشهور الذي يبلغ علوهُ ٩٨٤ قدماً فاتمهُ سنة ١٨٨٩ وما يزال الى الآن اعلى بناء على سطح الارض. وهو يستعمل الآن محطة للمخاطبات اللاسلكية وللبحث في الظاهرات الجوية ويزورهُ الوف من السيّاح كلَّ سنة لينظروا الى باريس من اعاليه . وقد قدر عدد الذين صعدوا اليه منذ تمَّ بناؤه الى اليوم باربعة عشر مليوناً

من لندن الى قراشي

في ٢٤ ابريل الماضي قام الطياران الانكليزيان جونز-ولمز وجنكنز على متن طيارة من مطار كرانول بغرب بلاد الانكليز قاصدين ان يطيرا بها الى الهند من غير ان ينزلا الى الارض فتحققت امنيتهما حين نزلا في قراشي يوم ٢٦ ابريل بعد ما اجتازوا ٤١٣٠ ميلاً في نحو ٤٨ ساعة . وكانت الطيارة مجهزة بمحرك واحد قوتهُ ٥٣٠ حصاناً وبلغ متوسط سرعتها في نصف الرحلة الاول ٩٦ ميلا في الساعة ثم هبط الى ٧٠ ميلاً على شواطىء الخليج الفارسي لان الرياح على علو ١٠ آلاف قدم اعاقتها عن التقدم ولو هبطت الى علو ٦ آلاف قدم لصادفت رياحاً تهب في الجهة التي تقصد عليها

الطيران في الليل

بلغ طول المسافة التي طارتها الطيارات الاميركية ليلا في السنة الماضية ١٥ الف ميل وكانت في اكثر الاحيان تحمل بريداً وركّاباً

الجزء الاول من المجلد الخامس والسبعين

صفحة